
الواحدي
ومنهجه في التفسير
الدكتور جودة محمد محمد المهدي

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
لجنة التعريف بالإسلام

الواحدى

ومنهجه فى التفسير

الدكتور جودة محمد محمد المهدى

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهداء

الى مقام العارف بالله تعالى ، سيدى وشيخى وقدوتى الى الله عز وجل : الشيخ جودة ابراهيم النقشبندى رضى الله عنه ·

الذى اصطفاه ربه لوراثة الكتاب المبين · فكان — ولا يزال بحق — علمـا للهداية والوصول الى الله تعالى على طريق التخلق بقرآنه العظيم ·

اليك ياجدى أرفع — فى خشوع — بعض ثمار هديك ونفحاتك آملا أن انال شرف التخلق بكتاب رب العالمين ·

ثم : —

الى النور الذى قاد خطاى على طريق الله تعالى ونهج رسوله الأعظـم صلى الله عليه وسلم ، وحبب الى قلبى درس القرآن والاستغراق فى محيط أنواره وأسراره ، وغرس فى روحى التحبب الى المتحققين به من صفوة أولياء الله وأحبابه ، الى والدى العارف بالله تعالى : سيدى محمد أبى يزيد · رضى الله عنــه ·

أقدم منه واليه هذه الدراسة على مأدبة الله ، آملا أن أسير على هداه الى الملتقى فى رحاب الله ·

ابنــكم

جــوده

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى أنزل على رسوله الخاتم كتابا أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، ليخرج به الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد •

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين • الذى جاء بالوحى والتنزيل ، وأوضح بيان التأويل ،فأكرم به من نبى عربى أمى جاءت معجزته القرآن وكان خلقه القرآن ، وأوتى جوامع الكلم وأسرار الفرقان •

صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه الذين امتلأت قلوبهم بحب القرآن ، فاستغرقوا فى بحار علومه ، وانغمسوا فى محيط أسراره ، فكانوا خاصة الله من خليقته ، وأهله من عباده ، كما ورد فى الحديث الشريف : (ان لله تعالى أهلين من الناس ، أهل القرآن هم أهل الله وخاصته)[1] •

أما بعد :

فمنذ وليت وجهى شطر دراسة تفسير القرآن الكريم وعلومه ، وتعرفت فى هذه الساحة الرحبة على نتاج بعض أعلام المفسرين الذين أثروا المكتبة القرآنية بكنوز من المعرفة تحتل الصدارة فى مفاخر هذه الأمة : وجدت أملا يراودنى وفكرة تتردد وتتوهج فى ذهنى: وهى أن أرتاد فى ساحة الدراسة التفسيرية مجالا بكرا أنقب فيه عن تراث دفين لعلم من أعلام التفسير الذين توفرت لهم الأصالة المنهجية وحملوا لواء الريادة فى هذا العلم وتركوا فيمن بعدهم من المفسرين آثارا بارزة تحتسب لهم فى السجل العلمى • وتسجل لهم امتدادا باقيا فى تاريخ العلماء وفى عقول الدارسين الملتفين حول مأدبة الله •

وقد وجدت فى الامام أبى الحسن على ابن أحمد الواحدى وفى نتاجه التفسيرى ضالتى المنشودة ، والأمل الذى طالما ظل يراودنى ويلح بخاطرى فلم أتردد ولم أتوان فى اختيار (الواحدى ومنهجه فى التفسير) موضوعا لهذا البحث ، وقد بنيت اختيارى لهذا الموضوع على جملة من الركائز والأسباب أجملها فيما يلى :

أولا : ان هذا الموضوع لم يطرق من قبل بالدراسة ، لا من قريب ولا من بعيد ، وقد ظل تراث الواحدى فى التفسير — رغم ما له من مكانة علمية رفيعة الشأو — بمنأى

---

(1) رواه النسائى وابن ماجه والحاكم ، كلهم عن ابن مهدى ، حدثنا عبد الرحمن بن بديل عن أبيه عن أنس ، وقال الحاكم : يروى من ثلاثة أوجه عن أنس ، هذا اجودها . وقد خرجه عنهم : الحافظ عبد العظيم المنذرى وقال فى اسناده : وهو اسناد صحيح . انظر : الترغيب والترهيب ٣/١٧١ ط : التجارية . وانظر الجامع الصغير للسيوطى ١/٩٥ ط : الحلبى .

عن ضوء البحث والدراسة ، وقد مضى عليه أكثر من تسعة قرون • ولا يزال مبعثرا فى مكتبات العالم قيد الخط ، ويوشك أن يصير أضابير دون أن يحظى — قبل هذه الدراسة — بنظرة علمية فاحصة تسبر غوره ، وتحدد منهجه العلمى : وتجوب الآفاق والجوانب التى طرقها الواحدى فيه •

ثانيا : ان هذا أول بحث يتناول مفسرا — من أهل السنة — فى القرن الخامس الهجرى ولم يدرس من أعلام مفسرى هذا القرآن — فيما أعلم — الا مفسر معتزلى هو الحاكم الجشمى وقد ظل التراث التفسيرى لمفسرى أهل السنة فى القرن الخامس الى وقتنا هذا[1] ضربا من المغيبات لم يتناول بالبحث المنهجى التحليلى الذى يبرز مكانته وتقويمه العلمى • من ثم أفرد جانب من هذا البحث لرصد حركة التفسير فى القرن الخامس •

وقد رميت بالنظرة البعيدة — بتوفيق الله تعالى — من وراء دراسة علم من أعلام التفسير المتقدمين الى مراقبة التطور المنهجى الذى يبدأ من نقطة زمنية متقدمة ، فأجلى بالبحث مدى أسبقية المتقدم فى ارتياد جوانب قد تحتسب لبعض اللاحقين فى غيبة عن ادراك سبق المتقدم اليها ، ومن ثم يتسنى رصد أثر السابق فى اللاحقين بعده ، ويقدر لكل جهده فى ضوء الحقيقة التى يسفر عنها البحث •

ثالثا : ان الواحدى قد حقق لنفسه مكانة علمية شامخة على مستوى عصره وفى التاريخ العلمى بصفة عامة ، وقد عجبت من اغفاله بالبحث والدراسة الى يومنا هذا وهو الذى بلغ فى نظر فحول علماء عصره الى الحد الذى قيل فيه •

قد جمع العالم فى واحد
عالمنا المعروف بالواحدى

وبلغ فى التفسير — بصفة خاصة — الى المكانة التى تكاد تجمع عليها المصادر والتراجم وهى أنه (أستاذ عصره فى التفسير) ، ولم تكن تلك الشهادة له من اطراء المؤرخين ، فقد قال فيه الحافظ الذهبى — وهو من هو — : (انه امام علماء التأويل) !

رابعا : من أبرز ما قادنى الى دراسة الواحدى ومنهجه التفسيرى : أننى كنت — ولا زلت — شديد الاعجاب والتعلق بتفسير الامام فخر الدين الرازى ، وكنت — ولا زلت — شغوفا بمطالعته ومعاودة النظر فيه ، وكان من أبرز ما شد انتباهى فيه ، كثرة ترداد اسم الواحدى بين صفحاته كمصدر من مصادر تفسير الامام الرازى ، وكنت أقف فيه على نقول ذات مفاد علمى جليل ، بينما لم يتجاوز علمى بالواحدى حد الاسم الى المسمى أو الى نتاجه • ودفعنى الفضول العلمى الى البحث عن هذا المصدر المعطاء فى كتب التراجم ، فوجدت فيه عالما فحلا ومفسرا من طراز الرواد المنهجيين ، ثم شاءت ارادة الله عز وجل أن يكون موضوع هذا البحث •

خامسا : وكان مما حفزنى على هذه الدراسة : ثراء نتاج الواحدى فى التفسير — فضلا عن قيمته المنهجية — فقلما يذكر اسم الواحدى فى مصدر متحدث عنه الا ويقترن به ثلاثة تفاسير من تصنيفه ، وهى (البسيط) و (الوسيط) و (الوجيز) وكثيرا ما يشيد بها العلماء وينوهون بقيمتها العلمية ، ومع ذلك لم يحظ هذا النتاج بالدراسة فضلا عن أن البحث قد أسفر عما يزيد عن ضعف هذا العدد من مصنفات الواحدى فى التفسير ، ولم

(1) ظهر خلال فترة اعداد هذا البحث دراسة لأحد أعلام مفسرى القرن الخامس . وهو مكى ابن ابى طالب . فأولية هذه الدراسة — حسب علم المؤلف — منوطة بوقت اختيار موضوعها .

يظفر منها بالطبع الا (الوجيز) الذى هو فى حجم تفسير (الجلالين) • وتبقى آلاف الصفحات مخطوطة مصفدة فى خزائن الكتب شأنها شأن الكنوز المطمورة فى الصخور •

وكان الكتاب الأوحد الذى حظى بالتحقيق العلمى والدراسة — من مصنفات الواحدى فى مجال الدراسات القرآنية هو كتاب (أسباب نزول القرآن) الذى حققه الأستاذ السيد صقر • ثم فى خارج اطار التفسير وعلوم القرآن ، نشر للواحدى كتاب (شرح ديوان المتنبى) فى برلين بعناية أحد المستشرقين •

وأما الجانب الأعظم من تراث الواحدى ، وهو تراثه التفسيرى فقد ظل بثرائه خارج نطاق البحث والدراسة والتحقيق • حتى جاء دور هذا البحث ليضطلع بمهمة كشف قيمة هذا التراث التفسيرى وتقويم منهجيته • فيفتح الباب على مصراعيه لتوليه بالتحقيق والنشر •

ثم كان من وراء هذه الدوافع والأسباب ، ومن فوقها جميعا : مشيئة خالق القوى والقدر فهى التى شرحت صدرى لهذا العمل ، وحببته الى نفسى ، وذللت لى الصعاب فى معالجته ، ويعلم الله مدى المعاناة التى يستوجبها مثل هذا البحث الذى جل مادته العلمية مخطوطة وبعضها كان بمثابة الطلاسم التى تحتاج الى خبير فى قراءتها ، وكم استفرغ تحقيق بعض النصوص التى تطلبها البحث من جهد ومشقة، ولكنها مهمة طالب العلم الذى ينقب عن الكنوز ويغوص فى أعماق البحار ويجوب الصحارى والقفار ليعود فى النهاية بكنز ثمين ، ومخبأ علمى دفين •

كذلك كان من مضاعفات الجهد والمشقة فى هذا البحث : تشعب جوانبه العلمية التى فرضها منهج الواحدى فى التفسير ، مما يستلزم وفرة الأداة العلمية والقدرة على متابعته فى شتى الدروب التى سلكها والفجاج التى طرقها والجوانب التى ارتادها من لغة ونحو وبلاغة وأدب وفقه وكلام وقراءات وحديث الى غير ذلك • فلم يكن الواحدى ضيفا على مآدب تلك العلوم وانما هو المتبحر فى كل هاتيك الجوانب حتى يخاله الدارس فى كل منها كأنه لم يخلق الا لها ، وكان ذلك يستحدث خطى الباحث لمتابعة خطى الواحدى وتحديد مساره العلمى ، ولم يكن هذا بالأمر السهل • لا سيما وقد صرح الواحدى فى مقدمة تفسيره (البسيط) بأنه لم يصنفه للمبتدئين وانما للمنتهين المتأهلين ، فيقول عن تفسيره (•• لا يدع لمن تأمله حارة فى صدره حتى يخرجه من ظلمة الريب والتخمين الى نور العلم وثلج اليقين) •

هذا : بعد أن يكون المتأمل مرتاضا فى صنعة الأدب والنحو ، مهتديا بطرق الحجاج ، قارحا فى سلوك المنهاج • فأما الجذع المزجى من المقتبسين ، والريض الكز من المبتدئين ، فانه مع هذا الكتاب كمزاول غلقا ضاع منه المفتاح ، ومتخبط فى ظلماء ليل خانه المصباح ••)[1] •

وهذه دعوة صريحة من الواحدى الى الارتقاء العلمى لفهم تفسيره الذى ارتقى به الى صدارة مفسرى عصره ، فكان الجهد فى دراسة تفسيره — بحق — مضنيا ، ومتطلبا قدرا وفيرا من الدربة والمراس والمعايشة المستغرقة فى العالم الخاص بهذا العالم • هذا وقد تكشفت لى من خلال الدراسة الأولية لمادة البحث : هذه الخطة المنهجية التى توخيتها فى دراستى للواحدى ومنهجه فى التفسير :

---

(١) الواحدى : تفسير البسيط ١/٩

فقد قسم هذا البحث الى مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة .

أما الباب الأول : فقد عقدته لدراسة : (عصر الواحدى وحياته) ويتضمن ثلاثة فصول :

الفصل الأول : (عصر الواحدى) ، وفيه أتناول الصورة السياسية للعصر ولحكم الدول التى عاش الواحدى فى ظلها ، ثم ألقى الضوء على الحالة الدينية وصلتها بالحياة السياسية وانعكاسها على الحياة العلمية ، ثم أتناول — بشىء من التفصيل مسار الحركة العلمية وارتباطها بالجانبين السياسى والدينى ، ثم اسلط الضوء على أبرز من تخرج من العلماء فى هذا العصر فى شتى الجوانب العلمية ، ثم أفرد الحركة العلمية للتفسير وعلوم القرآن بمبحث يتناول أبرز علماء التفسير وعلوم التنزيل ويلقى الضوء على جانب من نتاجهم العلمى . ومن خلال تناول هذه الجوانب . أبين مدى تأثر الواحدى بعصره فى كل منها .

الفصل الثانى : (حياة الواحدى) ، ويتناول البحث فى هذا الفصل : بيئة الواحدى، واسمه ، ونسبه ، وأسرته ، ومولده ووفاته ، ثم يتناول نشأته العلمية ورحلاته فى طلب العلم كما يتناول بالتفصيل : شيوخه وأساتذته ثم تلاميذه مع الترجمة العلمية لكل من هؤلاء وأولئك ، ثم يتناول أخيرا : مكانة الواحدى العلمية ، ويلقى الضوء عليه اماما فى اللغة والنحو ، ومحدثا وفقيها ومتكلما وأديبا وناقدا ثم شاعرا .

الفصل الثالث : (مصنفات الواحدى) ، وفى هذا الفصل أعرف بتراث الواحدى بصفة عامة ثم أضف مؤلفاته وأقدم ثبتا بيلوجرافيا بما هو موجود منها وما وقفت على مكان وجوده فى المكتبات العالمية . وسنقف فى هذا المبحث على ثروة طائلة من مصنفات الواحدى فى علم التفسير خاصة . وبذا ينتهى الباب الأول .

الباب الثانى : مدخل الى دراسة المنهج ، ويتناول : (مصادر تفسير الواحدى) : وقد قسمته حسب طبيعة منهجه ونوعية مادته العلمية الى فصلين :

الفصل الأول (مصادره فى التفسير بالمأثور) ، وفيه أعرض لمصادره من القرآن الكريم والحديث الشريف ، والصحابة والتابعين — مع تصنيف مصادره من التابعين حسب المدارس التفسيرية التى ينتمون اليها — ثم أبين مصادره من أتباع التابعين ومن المفسرين بالمأثور . ثم أتناول مصادره فى القراءات وفى الحديث الشريف .

الفصل الثانى : (مصادره فى التفسير بالرأى) ، وفيه أعرض لمصادره من علماء اللغة والنحو ، مع تركيز ضوء البحث على مصادره من أصحاب المعانى فأعرف بهم وبأهم مصنفاتهم ، ثم أتناول مصادره فى الفقه وعلم الكلام .. وبذا ينتهى الباب الثانى .

الباب الثالث : (منهج الواحدى فى تفسير القرآن الكريم) ويتضمن هذا الباب أحد عشر فصلا .

الفصل الأول : موقف الواحدى من التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى .

الفصل الثانى : الاتجاه اللغوى فى تفسير الواحدى .

الفصل الثالث : الجانب النحوى فى تفسير الواحدى .

الفصل الرابع : النزعة الأدبية فى تفسير الواحدى واستشهاده بالشعر •

الفصل الخامس : الصور البلاغية فى تفسير الواحدى •

الفصل السادس : منهج الواحدى فى عرض القراءات والاحتجاج لها فى تفسيره •

الفصل السابع : منهج الواحدى فى رواية الأحاديث الشريفة واتجاهات الاستشهاد بها فى تفسيره •

الفصل الثامن : موقف الواحدى من الاسرائيليات فى تفسيره •

الفصل التاسع : منهج الواحدى فى عرض الأحكام الفقهية •

الفصل العاشر : المواقف الكلامية فى تفسير الواحدى •

الفصل الحادى عشر : آراء للواحدى فى علوم القرآن الكريم •

وبه ينتهى الباب الثالث من البحث •

الباب الرابع : (منزلة الواحدى فى التفسير وأثره فى المفسرين) •

وقد قسمته الى فصلين :

الفصل الأول : (منزلة الواحدى فى التفسير) وفيه أسلط ضوء البحث على مكانة الواحدى وتقويمه كمفسر ، وذلك من زوايا ثلاث :

الأولى : من خلال نظرة أقرانه ومعاصريه اليه وأقوالهم فيه •

الثانية : من خلال أنظار العلماء والمفسرين وأصحاب التراجم والطبقات •

الثالثة : من خلال رؤيتى له ومعايشتى لتفسيره فى هذا البحث •

الفصل الثانى : (أثر الواحدى فى المفسرين) ، وفيه : نتعرف على مدى اضافة الواحدى فى ميدان التفسير وأبين أثره فى جملة من أساطين وأعلام المفسرين ، كالامام الفخر الرازى والامام القرطبى ثم فى أبى حيان والخطيب الشربينى والألوسى والجلالين والجمل وغيرهم من رجالات التفسير •• وبه ينتهى الباب الرابع والأخير من البحث •

ثم تأتى الخاتمة — أحسبنها الله تعالى — وفيها أودع خلاصة اجمالية لهذه الدراسة وأبين ما تحقق منها من نتائج وثمار •

وانى لأسأل الله تعالى — من قبل ومن بعد — وهو أكرم مسئول : أن يكتب لهذا العمل توفيقا من عنده ، وأن يعلمنى من لدنه علما أتعرف به وجه الحق فأتبعه والباطل فأجتنبه وأن أحتسب بهذا البحث من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته ،كماأسأله جلت أسماؤه وصفاته أن يجبر ما قد يطرأ لهذا البحث من نقص واعواز وأن يستر مافيه من هفوات ، فيرتفع الى شأو الصلاحية والنفع به والمثوبة عليه فى الدنيا والآخرة •• وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب •

وصلى الله تعالى على أشرف رسله المرتضى وأكرم خلقه المجتبى وأحب العالمين اليه المصطفى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم •

الباب الأول

عصر الواحدى وحياته

تقتضينا منهجية البحث فى حياة علم من طراز الواحدى ، والتعرف على أثره العلمى ومنهجه فى التفسير ، أن نلقى الضوء على ملامح الفترة التى عاش فيها ، وأن نجوب آفاق عصره بحثا عن الجوانب المؤثرة التى احتوت فى اطارها حياته وأثرت فى شخصيته وفى نتاجه العلمى بشكل ما ، من حيث ان الانسان ابن بيئته وعصره ، ولا يتسنى فهم الشخصية العلمية — بصفة خاصة — بمنأى عن مؤثرات العصر وانطباعاته •

ومن ثم سأعرض — بايجاز — لأبرز ملامح الجوانب السياسية والدينية والاجتماعية ثم للحياة العلمية فى عصره ، كمنطلق لدراسة حياته ، وأثره ، ثم منهجه التفسيرى بعد •

الفصل الأول
عصر الواحدى

أولا : الصورة السياسية للعصر :

عاش الواحدى فى العصر الثانى للدولة العباسية ، حيث كانت حياته فى القرن الخامس الهجرى منذ بدايته — أو قبلها بقليل — وحتى أوائل الثلث الأخير منه وفى هذه الحقبة كانت الدولة الاسلامية تعانى من ويلات التفكك والانقسام ، وتئن من الصراعات السياسية المتفاقمة فى أرجاء عديدة من خريطة العالم الاسلامى لا سيما فى الجزء الشرقى منه حيث كان يعيش الواحدى .

وكانت بغداد — عاصمة الخلافة العباسية — مسرحا للعديد من الفتن والاضطرابات السياسية الناجمة عن ضعف الخلفاء ، وعن وضع النظام الخلافى نفسه ، الذى قد بدأ يأخذ مساره — فعليا — نحو الأفول منذ عصر الخليفة المتوكل ، وظلت الدولة العباسية فى تهاو مطرد حتى سقطت نهائيا على أيدى التتار سنة ٦٥٦ هـ .

وكان من أقوى مسببات ذلك الفشل الذى منى به النظام الخلافى فى تلك الحقبة اعتماد الخلفاء العباسيين فى حكمهم على الأتراك ، وكان المعتصم هو أول خليفة أدخل الأتراك الديوان واستكثر منهم حتى كان له من مماليك الترك عشرين ألفا[1] وسرعان ما تغلغل نفوذهم فى سياسة الدولة حتى تفاقم خطرهم فى عهد المتوكل فسيطروا تماما على مركز الخلافة وأصبحوا قوة مرهوبة يخشى بأسها .

وانتقلت السلطة الى أيديهم فتحكموا فى رقاب الخلفاء وفى توليتهم وعزلهم فعجزت يد الخلافة من ثم عن أن تمسك بزمام الأمور فى رقعة الدولة الاسلامية المترامية الاطراف .

فأخذ العالم الاسلامى — منذ أوائل القرن الثالث الهجرى — يشهد قيام العديد من الحركات الاستقلالية ، وظهرت على مسرح التاريخ دويلات جديدة تحمل قوميتها الخاصة ولا تذعن بشىء من التبعية لمركز الخلافة سوى مجرد الاعتراف الاسمى بما يحمله الخليفة من صبغة دينية فحسب .

بل أن أمر الخلافة نفسه قد خضع للانقسام والتعدد حتى أصبح العالم الاسلامى فى القرن الرابع الهجرى تتقاسمه ثلاث خلافات هى الخلافة العباسية ببغداد والفاطمية بمصر والأموية بالأندلس وفى كل منها أمير للمؤمنين[2] !

وقد كان المشرق الاسلامى — الذى يقل بيئة الواحدى — مواجا بتلك الصراعات السياسية والحركات الانفصالية التى تنشب

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ٢٦٦/١٠ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء /٣٦١

(٢) د. حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسى ٢٤٧/٣

من وقت لأخر معلنة قيام دولة جديدة فقد كانت نيسابور : عاصمة للدولة الطاهرية ــ التي اسسها طاهر بن الحسين فى عهد المأمون سنة ٢٠٥ هـ الى أن انتزعتها الدولة الصفارية سنة ٢٥٩ هـ ثم انتقلت الى ايدى السامانيين وظلت تحت حكمهم من سنة ٢٦١ الى سنة ٣٨٩ هـ حيث استولى عليها محمود الغزنوى .

وفى القرن الرابع الهجرى قامت بفارس دولة البويهيين الذين استولوا على بغداد سنة ٣٣٤ هـ ثم قامت على أثرها دولة السلاجقة الذين دخلوا عاصمة الخلافة العباسية سنة ٤٤٧ هـ . وقد عاش الواحدى فى العصر البويهى حوالى نصف قرن من الزمان كانت بيئته (نيسابور) تابعة للدولة الغزنوية منذ سنة ٣٨٩ حتى انتقلت الى حكم السلاجقة سنة ٤١٩ هـ حيث امضى الواحدى بقية حياته فى ظل الدولة السلجوقية .

وقد عاصر الواحدى من الخلفاء العباسيين ثلاثة هم : القادر بالله . الذى حكم احدى وأربعين سنة (٣٨١ ــ ٤٢٢هـ) ثم القائم بأمر الله . ومدة خلافته خمس وأربعون سنة (٤٢٢ ــ ٤٦٧هـ) ثم المقتدى بأمر الله . الذى امتدت خلافته حتى سنة ٤٨٧[1] هـ .

ولم يكن هؤلاء الخلفاء الا اداة طيعة فى ايدى الحكام الفعليين من ملوك وسلاطين بنى بويه السلاجقة الذين انفردوا بالسلطة وأذاقوا الخلفاء كؤوس الذل والهوان فكانت الدولة لهم والسياسة تدار من فوق عروشهم . من ثم يلزمنا القاء الضوء على سياسة أولئك الملوك والسلاطين للتعرف على آثارها فى بيئة الواحدى وفى الحركة العلمية المعاصرة له .

عصر البويهيين (٣٣٤ ــ ٤٤٧ هـ) :

ظهر البويهيون فى أفق التاريخ أوائل القرن الرابع الهجرى كقوة جديدة سرعان ما عظم شأنها حتى صار لها دولة فى الاسلام وتسمى باسمها عصر من عصور الخلافة العباسية وقد اسس هذه الدولة ثلاثة من أبناء بويه بن فناخسرو الديلمى وهم :

١ ــ عماد الدولة أبو الحسن على وهو أكبرهم والمؤسس الأول لدولتهم .

٢ ــ ركن الدولة الحسن : الذى صار صاحب أصبهان والرى وهمذان وجميع عراق العجم .

٣ ــ معز الدولة أحمد : الأخ الأصغر وهو الذى فتح بغداد وحكم العراق .

وقد بدأ الثلاثة حياتهم مع أبيهم على الاحتطاب والصيد ثم التحقوا بجيش ما كان ابن كالى أحد قواد الديلم فبرزوا فيه حتى وصلوا الى رتبة الأمراء . ثم انتقلوا لجيش مرداويج بن زيار ــ وهو قائد ديلمى آخر تغلب على (ماكان) ــ فلقد ولى كلا منهم ناحية من نواحى الجبل وولى عليا على بلاد الكرج . لكنه حاول ردهم عن مناصبهم خشية منهم على نفوذه الا أن عليا تمكن من الوصول الى الكرج واستمال أهلها وتقوى بهم ثم قصد اصفهان واستولى عليها ثم دخل شيراز ٣٢٢ هـ بعد أن هزم والى الخليفة (المظفر بن ياقوت) ثم دعم ملكه بشيراز وأرسل الى الخليفة الراضى بالله يطلب اعترافه به سلطانا على فارس . وتم له ما أراد[2] .

---

(١) الامام السيوطى : تاريخ الخلفاء ص : ٤٤٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٧

(٢) ابن الاثير : الكامل : ٨/٩٥ ، حسن ابراهيم تاريخ الاسلام : ٣ : ٤٣ ، ١٠٣

وتوالت انتصارات على البويهى حتى دانت له (فارس) بالطاعة والولاء ، وتمكن أخوه أحمد من ضم (كرمان) و (الاهواز) كما استولى ثالثهم الحسن على اصبهان والرى وهمذان وبقية العراق العجمى[1] وامتد نفوذ البويهيين من بلاد الكرج الى الاهواز وصارت الفرصة مهيأة لهم لدخول بغداد التى كانت تعانى من تحكم الاتراك واستبدادهم ومن فشل نظام امرة الامراء . فكاتب قواد بغداد احمد البويهى فى المسير اليهم ودخل عاصمة الخلافة العباسية فى جمادى الأولى سنة ٣٣٤ هـ وكان فى استقباله الخليفة المستكفي بالله فاحتفى به وخلع عليه ولقبه (معز الدولة) كما لقب اخويه (عماد الدولة) ، (ركن الدولة) وأمر بأن تضرب القابهم على الدراهم والدنانير .

ولم يمض عام الا وقد استحوذ معز الدولة على السلطة وخلع المستكفى وسمل عينيه ، وولى مكانه الخليفة المطيع وأصبح أمر الخلافة ألعوبة فى ايدى البويهيين الذين صاروا الحكام الفعليين وتوارث ابناء البيت البويهى الملك . فخلف عماد الدولة — على فارس — ابن أخيه عضد الدولة كما خلف معز الدولة — على بغداد — ابنه (بختيار) وبعد موت ركن الدولة أراد عضد الدولة الانفراد بالملك فحارب بختيار وقتله ليتوحد له الملك البويهى ولم يملك الخليفة الطائع ازاء قوة شوكة البويهيين وضعفه الا أن يخلع على عضد الدولة ويفوضه أمور الرعية[2] واحقاقا للحق: يعتبر عضد الدولة — فى ميزان التاريخ — أعظم ملوك بنى بويه على الاطلاق ان لم يكن أعظم حاكم فى زمانه فقد اتسعت فتوحاته حتى شمل سلطانه بغداد وبلاد العراق وفارس وكرمان والاهواز وعمان وخورستان والموصل وديار بكر وحران ومنبج[3] .

وقد لقيت الدولة من الاصلاحات الداخلية وأزدهار الحركة العلمية فى عهد عضد الدولة ما أجهد أقلام المؤرخين ثناء ومدحا ، ولم تنل دولة البويهيين من بعده يوما من أيامه ، اذ آل أمرها الى امراء متكالبين على السلطة متقاسمين أجزاء الدولة يتربص بعضهم بالبعض ليهوى عليه بسيفه ويسلب منه ما بيده وتحت قدميه ، فقد ظل التطاحن مستمرا بين بنى عضد الدولة (صمصام الدولة ومشرف الدولة وبهاء الدولة) اثنتى عشرة سنة أنفرد بعدها بالملك واستبد بالخليفة الطائع وخلعه وبايع القادر الذى قلده ما وراء بابه[4] .

وخلف بهاء الدولة بعد وفاته سنه ٤٠٣ هـ بنوه الثلاثة (سلطان الدولة ، مشرف الدولة ، جلال الدولة) فبددوا أمن الدولة واستقرارها بتطاحنهم وتنافسهم على الملك وطلعت على البيت البويهى شمس القرن الخامس الهجرى وهو يتأرجح بين صراعات السلطة ويتهاوى تحت وطأة الاثرة الجامحة وتوحد الملك البويهى لجلال الدولة سنة ٤١٦ هـ بموت أخيه فى الوقت الذى صارت الدولة فيه أشلاء ممزقة يعصف بها الاتراك من الداخل وتتحرش بها القوى الكبرى من الخارج .

ولم يسلم جلال الدولة من عسف الاتراك الذين انقضوا على داره ونهبوها وحاصروه فيها حتى شرب ماء البئر وأكل ثمرة بستانه فاستنجد بالخليفة استنجاد الغريق بالغريق[5]

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ١٧٦/١
(٢) الامام السيوطى : تاريخ الخلفاء : ٤٣٨ — ٤٤٠ هـ

(٣) دائرة المعارف الاسلامية : مادة بويه مجلد ٤٦٤/٨
(٤) ابن كثير : البداية والنهاية : ٣٠٨/١٠
(٥) ابن الاثير : الكامل : ١٢٩/٩ ، د. حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسى ٥٨/٣

ومات جلال الدولة سنة ٤٣٥ هـ بعد أن زحف السلاجقة وانقضوا على نيسابور متأهبين لانتزاع بغداد وحاول خلفه أبو كاليجار مهادنة السلاجقة بالمصاهرة فتأجل الاستيلاء على بغداد الى سنة ٤٤٧ هـ فى عهد آخر بنى بويه الملقب بالملك الرحيم حيث أفلت شمس العصر البويهى بعد مائة وثلاثة عشر عاما عاصر الواحدى خلالها أحداث نصف قرن من الزمان فى ظل الدولتين الغزنوية والسلجوقية .

دولة الغزنويين :

قامت هذه الدولة على أنقاض الدولة السامانية بعد أن تغلب محمود بن سبكتكين على عبد الملك بن نوح السامانى واستولى على أعمال خراسان سنة ٣٨٩هـ[١] فعين أخاه نصرا على جيوشها واتخذ (نيسابور) مركزا وخطب للخليفة القادر بالله الذى اعترف به ولقبه (يمين الدولة[٢]) .

وأخذت قوة السلطان محمود الغزنوى تفرض سلطانها محرزة أروع الانتصارات ومحققة العديد من الفتوحات فى أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس الهجرى ، فقد استولى على سجستان من يد خلف بن أحمد سنة ٣٩٣[٣] وحارب الغور[٤] وأخضعهم لسلطانه سنة ٤٠١ كما استولى على خوارزم سنة ٤٠٧ هـ وأزال سلطان البويهيين من الرى وبلاد الجبل ، وقبض على مجد الدولة البويهى سنة ٤٢٠ هـ ثم ملك قزوين وقلاعها حتى دانت له تلك الجهات بالطاعة والولاء[٥] .

اما اهم الاعمال التى خلدت اسم محمود الغزنوى — فوق ذلك — ودوى صداها فى أرجاء العالم الاسلامى : فقد كانت حملاته الدينية وغزواته لبلاد الهند تلك الغزوات التى حملت طابع الجهاد فى سبيل الله لنشر الاسلام

فقد استطاع محمود الغزنوى — فيما بين سنتى ٣٩٢ ، ٤١٨ أن يحقق نجاحا عظيما فى غزو الهند ونشر الاسلام فى مواقع عديدة منها مستغلا قرب (غزنه) من بلاد الهند الشمالية ويذكر المؤرخون ان الغزنوى قد آلى على نفسه أن يغزو الهند كل عام ليكون ذلك كفارة له عما سبق من قتال المسلمين[٦] فولى غزواته لها سنة تلو أخرى على مدى اثنتى عشرة سنة محرزا نصرا تلو نصر حتى توجت انتصاراته بغزو (استرداد ناردين) وتحطيم صنمها الكبير (سومنات) الذى كان الهنود يعتبرونه ملاذهم وحاميهم من غزوات الغزنويين[٧] .

واتسعت دولة الغزنويين بجهود السلطان محمود حتى ضمت الهند الشمالية شرقا والعراق العجمى غربا وخراسان وطخارستان وقاعدتها بلخ ، وقسما مما وراء النهر شمالا، وسجستان جنوبا[٨] وبلغت الدولة الغزنوية — فى عهد

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٢٠٠/٤

(٢) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسى ٨٨/٣

(٣) ابو الفدا : المختصر فى اخبار البشر ٢/ ١٣٥

(٤) الغور : جماعة من الكفرة قطاع السبيل كانوا يقطنون الجبال بين هراة وغزنة (حسن ابراهيم ٨٨٨) .

(٥) احمد الشريف : العالم الاسلامى فى العصر العباسى / ٤٧٥

(٦) ابن خلكان : وفيات الاعيان ٨٥/٢ ط. سنة ١٣١٠ هـ.

(٧) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ٩٣/٣ سنة ١٣١٠ هـ .

(٨) د. عبد المنعم حسنين : سلاجقة ايران والعراق س ١٠

الدولة — أوج القوة حتى اضحت فى مطلع القرن الخامس الهجرى اعظم قوة فى العالم الاسلامى حيث كانت دولة البويهيين فى طريقها الى الافول بينما لم تبلغ قوة السلاجقة أشدها بعد .

فدرج الواحدى تحت سماء نيسابور فى ظل تلك الدولة القوية ، وفى عهد السلطان محمود الفاتح المغوار ، وفى جو عقائدى سنى غيور ، وفى أعطاف نظام سياسى داخلى كفيل بالأمن والاستقرار رغم تخبط السياسة للدولة الاسلامية وضياع سلطة الخلافة تحت وطأة جموح وتكالب بنى بويه على الملك على نحو ما أسلفنا الا أن شخصية محمود الغزنوى بما حملته من زعامة دينية وغيرة على الاسلام قد حجبت تلك العواصف عن سماءدولته مما هيأ لواحدينا نشأة طيبة على أرض نيسابور لم تكدرها عواصف الاضطرابات السياسية ولا براكين الحروب الداخلية . ولا يخفى ما للاستقرار السياسى والأمن الداخلى من ظل وارف على النشاط العلمى فلم يشغل الواحدى باله بغير العلم .

وظلت دولة الغزنوى مرهوبة الجانب من أعدائها وجاراتها طيلة عهد السلطان محمود . حتى أن قوة السلاجقة حينما اخذت فى الظهور فى المنطقة ملوحة بعصا التهديد : تمكن محمود الغزنوى — بواسع حيلته — من كسر تلك العصا فحين استشعر خطر السلاجقة بادر فى مراسلتهم مبديا رغبته فى صداقتهم وعرض عليهم اللقاء مع زعيمهم اسرائيل قرب جيحون . وما أن ذهب اسرائيل للقائه — فى كبار خاصته حتى قبض عليهم وأودعوا غياهب السجن باحدى قلاع الهند حيث ظل اسرائيل الى أن مات بمعتقله سنة ٤٢٢ هـ[١] .

وظل محمود الغزنوى منتصرا على السلاجقة ومطاردا لهم الى أن وافته منيته سنة ٤٢١هـ وخلفه ابنه مسعود الذى لم يستطع ملء فراغ أبيه فى خراسان والهند ازاء تزايد قوا تالسلاجقة ووحدة صفوفهم . فتمكنوا من الاستيلاء على خراسان ، وأخذت دولة الغزنويين تنقسم وتنفصل تدريجيا فى ايدى الخانيين والسلاجقة حتى تمكن الغوريون فى افغانستان — آخر الأمر — من القضاء نهائيا على هذه الدولة العظمى سنة ٥٨٢ هـ[٢] .

عصر السلاجقة[٣] :

منذ أوائل القرن الخامس الهجرى : أخذت تلوح فى الأفق ارهاصات دولة السلجوقيين الذين استقروا بما وراء النهر وأخذت قوتهم فى التصاعد مشكلة خطرا محققا على جيرانهم الأمر الذى حدا بالسلطان محمود الغزنوى الى التحايل للاطاحة بقائدهم — على نحو ما أسلفنا — بيد أن تصرف الغزنوى لم يكن — فى الواقع — الا تفجيرا لغضب السلاجقة وفرصة لتنفيذ مخططهم التوسعى فى خراسان — فجمعوا صفوفهم بقيادة ميكائيل أخى اسرائيل . وبدا لميكائيل أن يتحايل بدوره على السلطان محمود فاستأذنه فى المرور من بلاده للاقامة بخراسان بين نسا وأبيورد — وكان سماحه لهم بذلك فرصة للاعداد العسكرى

---

(١) نفس المرجع : ص ٢٤

(٢) المرجع السابق / ١٠

(٣) اصل السلاجقة مجموعة من قبائل الترك المعروفين بالغز . وكانوا يقطنون صحارى بخارى بأقصى تركستان وقد بدات هجرتهم خلال القرون الثانى والثالث والرابع ليستقر مقامهم فى اقليمى ما وراء النهر وخراسان حيث جاوروا السامانيين والخانيين والغزنويين . وينسب السلاجقة الى احد رؤسائهم (سلجوق بن تقاق) وقد اعتنقوا الاسلام وتمذهبوا بالمذهب السنى ووالوا الخليفة العباسى . (انظر المرجع السابق ص ١٨ — ٢١) .

حتى شـكا أهل المنطقة للغزنوى فأمر والى طوس باجلائهم ، واشتبكوا مع الوالى فى أول معركة وأظهروا كفاءتهم الحربية مما اضطر الغزنوى للحضور بنفسه فأعاد الكرة عليهم .

وأعاد السلاجقة تنظيم صـفوفهم بقيادة (طغرلبك) و (داود) ابنى (ميـكائيل) وواتتهم الفرصة بموت السـلطان محمـود للاسـتيلاء على معظم خراسان ، وجاء دور (نيسـابور) قاعـدة الغـزنويين ، فطلب السلاجقة من واليها السـماح لهم بالاقامة بجوارها ، فرفض واندلعت نير المعركة وحضر السلطان مسعود الغزنوى ليلقى هزيمته من السلاجقة سنة ٤٢٦ هـ واضطر للتصالح معهم لانشغاله فى الهند ، لكن خطر السلاجقة تزايد حتى هدد (غزنة) نفسها ، فحضر مسعود وهاجمهم قرب (سرخس) سنة ٤٢٩ هـ وانتصر السـلاجقة عليه انتصارا سـاحقا ، ودخل طغرلبك (نيسـابور) وجلس على عـرش الغزنويين معلنا قيام دولة السـلاجقة ، وخطب له على منابرها ملقبـا بالسـلطان الأعظم[1] .

وجن جنون مسعود الغزنوى فحزم أمره على آخر أمل له فى هزيمة السلاجقة ، وكانت موقعة (دانقان) الفاصلة التى تأكد فيهـا نصر السلاجقة ، ولم يلبث ان قتل مسعود وانتهى أمره وأخذ طغرلبك فى تشييد بناء دولة السلاجقة وتوحدت كلمة أسرته بقيادته وعين كلا منهم على احدى الولايات وأتاح لكل فتح ما يمكنه لحسابه ، ثم كتبوا الى الخليفة القائم بأمر الله سنة ٤٣٢ هـ معلنين ولاءهم له وطالبين

(١) ابن الاثير : ١٧٠/٥ ، ١٧١ ، ١٧٩
حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام : ٤/٤

اعترافه بدولتهم ، فسر الخليفة برسالتهم ودعا طغرلبك لتشريف دار الخلافة بحضوره[2] .

وبدأ طغرلبك فى توسيع دولته فاستولى على جرجان وطبرستان سـنة ٤٣٣هـ وعلى خوارزم سـنة ٤٣٤ ثم دخل الرى واتخذها عاصمة دولته ومقر حكومته ، كما بسط نفوذه على قزوين وأبهر وزنجان وهمذان وأذربيجان ووجه عسـكره لفتح كرمان وبعث أخاه لأمه ابراهيم اينال لهمذان سنة ٤٣٧ هـ فبدأ له أن يتمرد لكن طغرلبك اجبره على الاستسلام ، ثم فتح أصفهان سنة ٤٤٢هـ ودخل تبريز سنة ٤٤٦ ، ثم أخذ يعد العدة بعد بسط نفوذه على ايران ــ لدخول بغداد ، وكانت حال كل من الخلافة العباسـية والملك البويهى فى غـاية الضعف ــ كما مر بنا ــ كما أن قائد الترك : ابا الحارث البسـاسيرى كان شيعيا يتصـل بالفاطميين ويتحين الفرصة لاسقاط الخـلافة العباسية .

فاجمع طغرلبك أمره وأعلن أنه يريد الحج والذهاب الى مصر والشام بينما كانت جيوشه على قدم الاستعداد فتقدم بقواته ودخل بغداد سـنة ٤٤٧ هـ واستقبل بهـا اروع استقبال واعترف به الخليفة سلطانا على جميع ما بيده من البلاد[3] .

ثم أمر طغرلبك بالقبض على آخر ملوك البويهيين (الملك الرحيم) ليسدل الستار على الدولة البويهية الى الابد ولتدخل بغداد عهدها السلجوقى ولتجدد قوة الاسلام وتتوحد قوته السياسية وقد توثقت أواصر الود بين السلاجقة والخليفة العبـاسى برباط المصـاهرة فتزوج

(٢) د. احمد الشريف : العالم الاسـلامى فى العصر العباسى /٥٦١
(٣) ابن الاثـير : الكامـل : ٢٢٨/٧ ، عبد المنعم حسنين ص ٣٩

الخليفة القائم من ابنة جغرى بك أخي طغرلبك سنة ٤٤٨ هـ[1] .

كما ازدادت تلك العلاقة توثقا بهذا الدور الخطير الذى لعبه طغرلبك ازاء أكبر فتنة سياسية دوى صداها فى العالم الاسلامى فى منتصف القرن الخامس الهجرى وهى فتنة القائد التركى أبى الحارث البساسيرى الذى كان يعمل ضد الخليفة العباسى لحساب الفاطميين بمصر . فخطب بالموصل للخليفة الفاطمى . واستنجد الخليفة القائم بطغرلبك وعينه واليا على الموصل وبلاد الجزيرة لقمع فتنة البساسيرى ونجح طغرلبك فى بسط نفوذه على ديار بكر غير ان اشتغاله بتمرد اخيه ابراهيم فى همذان اتاح الفرصة للبساسيرى فهاجم بغداد سنة ٤٥٠ هـ وأسر الخليفة العباسى وخطب ببغداد للخليفة المستنصر واستولى على واسط والبصرة وما أن فرغ طغرلبك من أمر اخيه واقتحم بغداد واعاد الخليفة العباسى لدار الخلافة وأرسل جيشه فى أثر البساسيرى ليعود برأسه للخليفة العباسى ببغداد التى خطب فيها للفاطميين أكثر من عام[2] ومن ثم خلع الخليفة القائم على طغرلبك لقب (ركن الدين) .

ثم جاء بعد طغرلبك ابن اخيه (الب ارسلان) الذى اعتلى العرش سنة (٤٥٦ — ٤٦٥ هـ) بمساعدة وزيره نظام الملك فأخذ فى تأمين حدود دولته . ثم كان دوره الهام فى غزو البلاد المسيحية ونشر الاسلام فى ربوعها ففتح بلاد الأرمن وجورجيا وعديدا من البلدان مما اثار حفيظة (رومانوس) امبراطور الروم فكانت موقعة (ملاذكرد) الشهيرة سنة ٤٦٣هـ والتى احرز السلاجقة فيها نصرا ساحقا على الروم وأسر فيها امبراطور الروم وصارت قوة السلاجقة يعمل لها — فى العالم المسيحى — ألف حساب[3] .

ثم خلف (ملكشاه) أباه (الب ارسلان) سنة ٤٦٥ وكان نظام الملك أيضا من وراء جهوده فى فتوح الشام وتأسيس دولة (سلاجقة الشام) بدمشق والاستيلاء على قونيه وآق وفتح انطاكية وتأسيس دولة (سلاجقة الروم) ثم الاستيلاء على بلاد النهر ليشمل ملك (ملكشاه) من كاشغر وهى أقصى مدائن الترك الى بيت المقدس طولا ومن قرب قسطنطينية الى بحر الهند عرضا[4] .

وتتفق كلمة المؤرخين على ان الوزير العظيم (نظام الملك : الحسن بن على الطوسى ٤٠٨ — ٤٨٥ هـ) كان وراء امجاد الدولة السلجوقية على مدى ثلاثين عاما كان هو صاحب السياسة والتخطيط حتى قال عنه السبكى « ولم تكن وزارته وزارة بل فوق السلطنة » ثم يقول « ومع ذلك لم يكن لملكشاه مع نظام الملك غير الاسم والابهة والتنوع فى اللذات ، وكان مشغولا بالصيد واللذة ونظام الملك هو الأمجد المتصرف لا يجرى جليل ولا حقير الا بأمره مستبدا بذلك[5] » وقد كان نظام الملك هو النافذة التى اطل منها الواحدى على بساط الحكام حيث فتح هذا الوزير قلبه وعقله وخزانته للعلماء وذلك — فيما أرى — هو سر نجاحه المنقطع النظير فى شتى الميادين التى حقق فيها أمجادا لدولته. اذ لا مجد الا والعلم

---

(١) ابن الاثير : الكامل ، حوادث سنة ٥٥٠ ، د. الشريف : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ٥٦٨

(٢) د. عبد المنعم حسنين : سلاجقة ايران والعراق / ٣٩

(٣) نفس المرجع / ٥٧

(٤) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ٣١٧/٤ ، د. الشريف : العالم الاسلامى فى العصر العباسى / ٦٠١

(٥) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ٣١٧/٤

أساسه وقاعدته ولقد كان للواحدى عند نظام الملك منزلة عظمى اذ يقول صاحب معجم البلدان فى ترجمته للواحدى : (وعاش سنين ملحوظا من النظام وأخيه[١] بعين الاعزاز والاكرام[٢])

ومن ثم نستطيع أخيرا ان نقول ان الحالة السياسية التى عاصرها الواحدى فى الدولتين الغزنوية والسلجوقية قد حفلت بالقوة والامجاد والفتوحات فاتاحت له ولعلماء عصره وبيئته حياة علمية حافلة بالازدهار والعطاء .

ثانيا : الحالة الدينية

حفل العصر العباسى الثانى — الذى يضم عصر الواحدى — بالعديد من الصراعات الدينية والخلافات المذهبية التى تقاسمت — بدورها — أجزاء الدولة الاسلامية وأججت فى معظمها نيران الفتن والقلاقل . وكان ثمة ارتباط وثيق بين تلك الاحداث الدينية وبين التيارات السياسية التى اكتنفت هذا العصر .

فالبويهيون — وقد عاصرهم الواحدى قرابة نصف قرن — كانوا شيعة متعصبة ، فلم يدينوا بشرعية الخلافة العباسية السنية . وقد فكر معز الدولة البويهى فى بادىء الأمر أن يطيح بالخلافة العباسية لتحل محلها الخلافة الفاطمية الشيعية . الا أنه وجد فى الابقاء عليها — بوضعها الصورى المهلهل — فرصة لاكتساب شرعية سلطانه على الكثرة السنية[٣] من ثم كانت العلاقة بين البويهيين والخلافة منوطة — الى حد كبير — بأمر العقيدة الدينية[٤] .

ولقد كان النزاع بين الشيعة والسنية على أشده لا سيما فى المناطق ذات الحساسية الطائفية ، وبقية البلاد تنتمى الى أحد المعسكرين . فبينما كان الخلفاء العباسيون واتباعهم سنيين ملتزمين نجد الفاطميين بمصر والشام والمغرب ، والحمدانيين فى ديار ربيعة ومضر ، وبنى بويه فى العراق وما وراء النهر كانوا شيعة متعصبين . وقد كانت الكوفة التى تضم قبر سيدنا على كرم الله وجهه من أكبر معاقل الشيعة حتى قال بعضهم (من أراد الشهادة فليدخل دار البطيخ بالكوفة وليقل رحم الله عثمان[٥]) !! .

وكانت بغداد مسرحا للعديد من الفتن والنزاعات التى تنشب من يوم لآخر بجزيرة أن رافضيا سب سنيا ، أو لجهر سنى بما يخالف معتقد الشيعة ، ففى سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة وقعت فتنة بين أهل السنة والشيعة ببغداد وسببها أن الشيعة أخرجوا مصحفا يخالف المصاحف كلها وقالوا انه مصحف ابن مسعود فثار أهل السنة وضجت المدينة وعقد العلماء والقضاة مجلسا حضره الامام ابوحامد الاسفراييني ومعه كبار الفقهاء فقضوا بحرق المصحف . وثارت ثائرة الشيعة حتى قصدوا دار أبى حامد ليؤذوه وانتقل منها حتى سكن الخليفة الفتنة .

وفى سنة ثمان وأربعمائة : اندلعت — ببغداد — نيران فتنة عظيمة بين أهل السنة

---

(١) هو أبوالقاسم عبد الله على بن اسحق (٤١٤ — ٤٩٠ هـ) وترجمته بطبقات الشافعية (٥ / ٧٠) .
(٢) ياقوت الحموى : معجم الادباء : ٩٨/٥
(٣) د. حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسى ٢٤٨/٣

(٤) دائرة المعارف الاسلامية مجلد ٤٦٤/٤
(٥) احمد امين : ظهر الاسلام ٥/٢

والشيعة وقتل فيها الكثير من الفريقين حتى عجز جنود الخليفة عن اخمادها • فاضطر القادر بالله أن يحزم أمره ويبذل أقصى ما فى وسعه للقضاء على تلك الفتن الضارية • وهم باستتابة غلاة الرافضة والمعتزلة الذين كانوا يستندون الى القوة السياسية للحكم البويهى• وبعث الخليفة القادر بالله الى السلطان محمود ابن سبكتكين الغزنوى الذى كان فى أوج قوته يأمره بالقضاء على فرق المبتدعة وكانت خطوة موفقة • فامتثل السلطان الغزنوى أمره وعمل جاهدا على تطهير خراسان من الانحـرافات المذهبية • وأخذ فى قتل المعتزلة والرافضة والاسماعيلية والقرامطة والجهمية والمشبهة وصلبهم ونفاهم وأمر بلعنهم على المنابر وشردهم من ديارهم[١]) وقد كان لهذا الحدث أثره فى انحسار المد الشيعى عن خراسان ــ الى حد ما ــ والحد من اضطهاد الشيعة للسنيين ــ ولو لفترة محدودة ــ حيث تسنى للواحدى وهو فى دور النشأة والتكوين العلمى أن يشق طريقه فى اتجاهه السنى دون خوف من بطش الشيعة المغالية•فكان وجود السلطان محمود الغزنوى فى هذه الفترة من رحمة الله تعالى بالعباد فى تلك البلاد •

على أن جهود الغزنوى ــ رغم ماحققته من نجاح عظيم فى مجال الاصلاح الدينى ــ لم تستطع أن تقضى على التشيع وغيره من الانحرافات المذهبية لأن جهد الغزنوى كان فى حاجة الى مؤازرة جهود مماثلة فى كل بلد تسربت اليه البدع والانحرافات • لذلك لم تخمد جذوة الفتن فوقعت واقعة بين أهل السنة والشيعة سنة ٤١٥ هـ بسبب منع الرافضة من النوح فى عاشوراء وعيد الغدير[٢] وتكرر النزاع لنفس السبب سنة ٤٢١ هـ •

وعلى الرغم من قيـام دولة السلاجقة السنية سنة ٤٢٩ هـ الا أن نيران الفتن لم تخمد بل توالى اندلاعها فى عديد من البلاد واختصت نيسابور ــ موطن الواحدى ــ بالحظ الأوفر من تلك الحوادث المروعة حتى كانت سنة ٤٤٢ فوقع صلح بين أهل السنة والرافضة ، وأذن بالبصرة د (حى على خير العمل) كما قرىء فى الكرخ فضائل الصحابة • غير أنه لم تمض سنة واحـدة الا وعادت الفتنة من جـديد ببغداد • فكتب أهل الكرخ على برج البـاب (محمد وعلى خير البشر فمن رضى فقد شكر ومن أبى فقد كفر) وثارت الفتنة بينهم حتى عجز كل من الخليفة والسلطان عن اخمادها ولجأ الخليفة الى أحـد العيارين فاستتابه وسلطه على أهل الكرخ فأعمل سيفه فيهم وقتل منهم عددا وفيرا[٣] • وفى مدينة (نيسابور) اندلعت نيران أكبر فتنة مذهبية دوى صداها فى العالم الاسلامى • وتلك التى أشعل نيرانها أبو نصر الكندرى وزير السلطان طغرلبك فى سـنة ٤٤٥ هـ • فقد كان هـذا الوزير خبيث العقيدة ، يجمع بين التشيع والاعتزال والتشبيه فى مغالاة مستعرة • فدبر مؤامرة خسيسة لأهل السنة ــ وظاهره على ذلك ثلة ممن أشربوا فى قلوبهم مذهب القدرية وتستروا بالمذهب الحنفى ، ونسب هؤلاء الأفاكون الى الامام أبى الحسن الأشـعرى رضى الله عنه بعض الأقوال والآراء التى يبرأ منها الامام ومذهبه• ونجح الكندرى فى التأثير على السلطان طغرلبك واستصدر منه أمرا بلعن الأشعرية على المنابر ضمن المبتدعة[٤] •

---

(١) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسى ٨٩/٣

(٢) ابن تغرى بردى ٤١٥/٤

(٣) نفس المرجع : النجوم الزاهرة ٤٩/٥ ــ

(٤) المرجع السابق ٥٤/٥

فارتجت نيسابور بالفتنة ، واستطار شررها فى أرجاء خراسان وامتد الى العراق والحجاز وبلاد الشام وهب علماء نيسابور من كبار أهل السنة كالامام القشيرى وامام الحرمين والبيهقى وغيرهم ينافحون عن امام السنة الاشعرى • وفى خضم الفتنة اعتقل الامامان القشيرى والفراتى ، واندفع أحد كبار الأشاعرة وهو الامام أبو سهل الموفق — فى جمع من أعوانه — وأصروا على القتال واقتحام محبس القهندز الذى حبس فيه الامامان وكتب الله النصر لأهل السنة فقهروا معارضيهم وجرح أمير البلد وكاد أن يقع اسيرا وأطلق سراح العالمين الجليلين • بعد ذلك ارتحل كثير من العلماء — بعيدا عن دياجى الفتن — الى البيت الحرام والشام وغيرها •

ولم يرد فى المصادر التاريخية ذكر الواحدى فى أحداث هذه الفتنة المدوية • ومن المرجح أن الواحدى قد خلد — خلال تلك المحنة — الى قرطاسه وقلمه وآثر نصرة مذهبه السنى فى مصنفاته ومناصرة مذهب الامام الأشعرى فى هدوء وبالمنطق والحجة حتى تتاح له فرصة التعبير — فى جو من الأمن والطمأنينة وبعيدا عن المؤامرات السياسية — فيجلس للعامة والخاصة ويدوى صوته فى أرجاء نيسابور • وهذا لا يعنى اطلاقا أنه آثر السلبية فى ظروف هذه الفتنة المستعرة أو مثيلاتها من الفتن المذهبية فلقد تحدث بالقلم ونافح بسهام الحجج التى تخرس أصوات البدع وترك لنا فى مصنفاته ومناصرة مذهب الامام الأشعرى نص اضاء بيانه للناس وجه الحق وأزهق روح الباطل • ومما يجدر ذكره من أمر فتنة (نيسابور) سالفة الذكر أن علماء أهل السنة أخرجوا من أقليم خراسان بنواحيها من نيسابور ومرو وغيرها الى الحجاز والعراق هتى اجتمع فى الحج تلك السنة اربعمائة قاض من قضاة المسلمين وتحير أمرهم بعد الحج فى الرجوع أو البقاء فاجمعوا على أن يعلو المنبر الامام القشيرى ويتكلم عليهم • فصعد وشخص فى السماء طويلا ثم أطرق وقبض على لحيته وقال يا أهل خراسان : بلادكم بلادكم •• ان الكندرى غريمكم قطع اربا اربا وفرقت اعضاؤه وهأنا أشاهده الساعة وقد تجلت كرامة الامام الصوفى القشيرى فضبط الحاضرون تاريخ تلك الساعة بعينها فثبت فيها أن السلطان قد أمر بأن يقطع الكندرى اربا اربا وأن يرسل كل عضو منه الى مكانه)[1] •

وذهب الكندرى الى غير رجعة ليسفر صبح الزمان عن نصير السنة وهازم البدعة الوزير نظام الملك • وكما فشا التشيع فى بيئته خراسان — فى عصر الواحدى — فشا الاعتزال كذلك بقوة سلطان البويهيين الذين كان من وزرائهم — فيما قبل — الصاحب بن عباد الذى حرم مناصب الدولة فى عهده على غير المعتزلة ، بيد أن حركة الاصلاح الدينى التى قام بها محمود الغزنوى والتى أشرنا اليها قبل — كسرت شوكة المعتزلة الى حد كبير • أضف الى ذلك أن قيام الدولة السلجوقية قد رجح كفة الأشاعرة وخاصة على يد نظام الملك الذى أسس أكاديمية النظامية السنية واحتضن أقطاب هذا المذهب وغمر أبا الحسن الواحدى بصيب عطفه واعزازه وتكريمه كما شارف نجم أهل السنة عنان السماء بظهور حجة الاسلام الغزالى (٤٥٠ — ٥٠٥) الذى كان ظهوره رضى الله عنه كسبا للاسلام بحق • وكان من سمات الحالة الدينية فى هذا العصر أيضا وجود التعصب بين أصحاب المذاهب الفقهية فتارة يتعصب الأحناف ضد الشافعية وطورا يحتدم الخلاف بين الحنابلة والشافعية كما حدث سنة

---

(١) السبكى : طبقات الشافعية ٣/٣٩٤

٤٤٧ هـ حينما قال الحنابلة بمنع الجهر بالبسملة والترجيع فى الأذان ، والقنـوت مما أغضب الشافعية وكادت تنشب بينهما معركة لولا أن رجعت الحنابلة عن رأيهم وهدأت الحال[١] • كذلك كان من أبرز مظاهر الحياة الدينية فى القرن الخامس الهجـرى ازدهار التصـوف الاسلامى بجانبيه النظرى والعملى • حيث أفاد القـرن الخامس من محصـلات القرون الأربعة الأولى فى علوم هذه الطائفة وأحوالهم ومقاماتهم ومذاقاتهم الروحية • وصار فى كل اقليم رجاله من أئمة التصوف المحققين وشيوخه العارفين •

التصوف فى عصر الواحدى :

كما كـان للاضـطرابات السـياسية والانحرافات المذهبية والفكرية التى عج بها المجتمع الاسلامى أثر بارز فى خلود الكثرة الى محاريب العبادة والزهد والتبتل بعيدا عن الصراعات الدامية التى تحركها شهوات الحكم والنزعات السياسية والشخصية ، فهرع الناس الى رحاب التصوف ينشدون طمأنينة النفس والقلب والتفوا حول أقطاب الصوفية الذين كانوا فى الوقت نفسه على قسط وافر من التبحر فى علوم الشريعة • وقد تجلى فى هذا العصر دور بارز لائمة الصـوفية فى اجلاء حقيقـة التصوف فى اطارها الصحيح مشيدة على منهاج الكتاب والسنة تحققا وتخلقا وتعلقا • فنجد الامام القشـيرى يصنف سـفره القيـم :

(الرسالة القشـيرية) ليصـحح به مفاهيم التصوف وينفى عنه الدخيـل من انحرافات المدعين من خلال ذكر سلوك السلف الصالح واجلاء عقائدهم وآدابهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وما أشاروا اليه من مواجيدهم وكيفية ترقيهم من بدايتهم الى نهايتهم لتكون لمريدى هـذه الطريقة قوة[٢] •

كذلك صـنف أبو الحسن الهجويرى — بالفارسية — كتاب (كشف المحجوب) يؤرخ فيه للتصوف وينظم أصول النظرية والعملية • وصنف الامام الحافظ أبو نعيم (حلية الاولياء) وهو من أعظم ما ألف فى كتب القوم • وقد ذكر الذهبى : ان كتاب الحلية حمل فى حياة أبى نعيم الى نيسابور فاشتروه بأربعمائةدينار[٣]

ثم كان فى النصف الثـانى من القـرن الخـامس حجة الاسـلام الامام أبو حامد الغزالى • الذى يعزى اليه الفضل فى تثبيت دعائم المذهب الأشعرى ودحض انحرافات الفلاسفة بكتابه (تهافت الفلاسفة) ثم أجلى بسفره الثمين (احياء علوم الدين) منهـاج التصوف بصورته المثلى المشرقة بهدى الكتاب والسنة • وقد ذخر العصر بالكثير من أعلام الصوفية خلاف هؤلاء • فكان منهم : الامام أبو على الفارمدى (٤٠٧ — ٤٧٧ هـ) وهـو شيخ حجة الاسلام فى التصـوف وأحد أئمة الطريقة النقشبندية • والامام أبو سعيد فضل الله بن أبى الخير الميهنى (٤٤٠ هـ) والامام أبو عبد الرحمن السلمى (ت : ٤١٢ هـ) وهو صاحب (حقائق التفسير) الذى كان للواحدى منه موقف خطير سنتعرض له فى موضعه •

وقد انتشرت فى هذا العصر — نتيجة لازدهار التصوف — الربط والخانقاهات التى أقامها الحكام للزهاد والمتبتلين • وليس أدل — أخيرا — على ازدهار التصوف وشموخ مكانته فى هذا العصر من اجلال الحكام لشيوخه وتزلفهم اليهم

---

(١) ابن الاثير : الكامل : حوادث ٤٤٧ هـ

(٢) ابو القاسم القشـيرى : الرسـالة القشيرية ٢٢/١

(٣) الذهبى : تذكرة الحفاظ ١٠٩٤/٣

حتى أن الوزير نظام الملك من شدة محبته وتقديره للتصوف وأهله قد أعلن أنه صوفى[1].

ثالثا : الحالة الاجتماعية

مما لا شك فيه أن الحالة الاجتماعية ظل للحالة السياسية ومرآة تجتلى فيها مظاهر النجاح والاخفاق ، والتقدم والتأخر .

من ثم لا يعزب عنا ونحن نتعرف على حالة المجتمع الاسلامى فى عصر الواحدى : اهتزاز صورة الخلافة العباسية وتحكم العنصر التركى فى الخلفاء ونشوب الثورات الاستقلالية فى أجزاء عديدة من رقعة الدولة الاسلامية من وقت لآخر كالبراكين التى تندلع منها ألسنة اللهب ثم المعارك الداخلية بين أمراء وسلاطين الدويلات وتمزيق أوصالها بالصراعات المستمرة تكالبا على العرش واستئثارا بالسلطة أضف الى ذلك : دور الفتن الدينية والصراعات المذهبية التى كانت تقف وراءها القوى السياسية فتحدث انشقاقا فى المجتمع يتعدى حدود الرأى الحر الى معارك دموية تزهق فيها الأرواح ويتلقفها العيارون فرصة للنهب والسلب ويقف الخليفة فى حيرة مع السلطان . وكل ذلك بالطبع كان على حساب أمن المجتمع واستقراره بيد أنه على الرغم من ذلك : استطاعت بعض القيادات السياسية أن تحقق لدولها قدرا كبيرا من الأمن والازدهار وأن تحرز نجاحا ملموسا فى الجانب السياسى وكذا الجانب الاجتماعى فى الداخل وذلك على نحو ما رأينا فى سياسة الدولة الغزنوية واصلاحاتها وكما تحقق أيضا للدولة السلجوقية فى فجر عهدها وضحاه لا سيما فى فترة وزارة (نظام الملك) بعد أن أرسى دعائمها طغرلبك بجهوده ومقدرته .

وكان من يمن طالع الواحدى أن يواكب فى مستهل حياته وفى كهولته وشيخوخته تلك الفترات الخصبة التى كانت تتطلع الى مثلها عيون رعايا الدويلات الأخرى فى المجتمع الاسلامى .

فى هذا الخضم الحافل بمختلف التيارات كان المجتمع الاسلامى يتألف من عدة طبقات : —

الأولى : الطبقة الخاصة (الأرستقراطية) ويمثلها الخليفة وحاشيته ووزراؤه وكبار رجال الدولة الذين كانوا يدخلون على الخليفة من باب خاص أطلق عليه (باب الخاصة[2]) وكان الخليفة — قبل أن تختل الموازين بتدخل العناصر الأجنبية فى الحكم — يمثل هو وذووه وحدهم طبقة عليا لا تدانيها طبقة أخرى فى الشرف والجاه . بيد أنه بظهور السلاطين الأقوياء وتملكهم مقاليد الحكم وهيمنتهم على الخلفاء صعدوا الى طبقتهم وصاهروهم فتزوج طغرلبك من ابنة الخليفة القائم سنة ٤٥٤ هـ ولم يتسن ذلك الأمر لأحد من ملوك البويهيين من قبل رغم قهرهم للخلفاء[3] . فصار السلاطين والملوك فى الطبقة الأولى التى تنعم بكل شىء فى الدولة وانغمس الجميع فى الترف وسكنوا القصور الشامخة المحاطة بالحدائق الغناء واستكثروا من الجوارى والرقيق وولع الخلفاء بالتسرى وجلب الجاريات الحسناوات من الهند والسند والحجاز والنوبة والحبشة والترك والديلم والأرمن والعراق وشاع استخدام

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ٢٧/١

(٢) الامام السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٤٥١

(٣) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسى ٦٢٥/٤

الخصيان فى العراق حماية للحريم فراجت تجارتهم[1] كما انتشر الغناء فى الدولة السلجوقية بكثرة الجوارى المغنيات فى قصور السلاطين الذين ولع الكثير منهم بالشراب والسماع[2] هذا الى جانب الأطعمة الشهية التى تفننوا فى تنويعها على موائدهم الفخمة ثم بالاضافة الى الفرش الثمينة والأوانى الفاخرة وغيرها .

وأما الطبقة الثانية : (المتوسطة) فكانت طبقة العلماء والتجار ورجال الجيش والموظفين الذين استكثر السلاجقة منهم خاصة لغلبة البداوة على سلاطينهم الأول وافتقادهم الى الادارة المدعمة بالثقافة والخبرة فكان من أبرز طبقة الموظفين الوزراء والحجاب والكتاب وقد استطاع بعض هؤلاء أن يسيطروا — فى بعض الأحيان — على سلاطين السلاجقة ويوجهوهم لمصالحهم[3] .

وكان للعلماء منزلة خاصة سامقة عند كل من الخلفاء والملوك والسلاطين فكانوا يحضرون بيعة الخلفاء وكان ذلك تشريفا للخليفة ومأثرة يسجلها المؤرخون . فقد حضر بيعة الخليفة المقتدى بأمر الله سنة ٤٦٧ هـ الامام أبو اسحق الشيرازى وابن الصباغ والدامغانى[4] . كما كان ملوك البويهيين ووزراؤهم — خاصة عضد الدولة والصاحب بن عباد — يتقربون الى العلماء والأدباء وكذا السلطان محمود الغزنوى ثم سلاطين السلاجقة وخاصة نظام الملك — وكانت هذه الطبقة تحظى بنوعياتها برصيد وافر من اهتمام الحكام وتنال حظا وافرا من رغد العيش ومن التقدير الأدبى والاجتماعى . وكان الصوفية — فى عهد السلاجقة خاصة — يحظون بالاجلال والتقدير وسمو المنزلة فى أعين الحكام وعلية طبقات المجتمع وأفراده ، لما عرفوا به من الزهد فى الدنيا وتعلق القلب بالله تعالى والمزاوجة بين العلم والعمل وظهور أثر ذلك فى أحوالهم وسلوكهم واشاراتهم وقد مر بنا أن نظام الملك قد بلغ من اجلاله للصوفية وتعلقه بهم أن أعلن أنه صوفى وكان لذلك أثره فى نفوس العامة والخاصة على السواء .

وأما الطبقة الثالثة : فهى طبقة العامة ويمثلها السواد الاعظم من المجتمع وكانت تنتظم العمال والفلاحين وصغار التجار والحرفيين والجند والخدم والرقيق ويطلق على هذه الطبقة أيضا الدهماء والغوغاء وكانت لهم مرافق خاصة بهم كباب العامة — الذى يقابل باب الخاصة — ومطبخ العامة وغير ذلك[5] فكانت هذه الطبقة بمنأى عن امتيازات الطبقتين السالفتين . فعاشت فى حضيض الجهل والفقر وافتقدت رعاية الحكام الذين انشغلوا بأنفسهم وبالسياسة العليا للدولة . الأمر الذى حدا ببعض هذه الطبقة الى تشكيل طبقة العيارين الذين كانوا يقطعون السبيل ويحترفون النهب والسلب وكان الخليفة يضطر أحيانا الى الاستعانة ببعضهم — اذا أعيته الحيل — لتسكين بعض الفتن الداخلية[6] .

---

(١) حسن ابراهيم تاريخ الاسلام السياسى ٦٢٧/٤

(٢) د. عبد المنعم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ١٨٣

(٣) د. عبدالمنعم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ١٨٠

(٤) السيوطى : تاريخ الخلفاء ٤٥٤

(٥) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسى ٦٢٥/٤

(٦) نفس المرجع .

وأما الرقيق — الذين يدخلون فى زمرة هذه الطبقة — فيعدهم البعض طبقة مستقلة جديرة بالذكر لانتشارهم فى هذا العصر — لا سيما فى عهد السلاجقة — وقد تمكنوا من تكوين الدول والدويلات حيث أسس أبناء (انوستكين) الدولة الخوارزمية كما أسس (ايلدكز) دولة الأتابكة فى أذربيجان[1] وقد مر بناء أن الخلفاء قد ولعوا باقتناء الاماء والرقيق • وكانت (سمرقند) مركزا عالميا لتجارة الرقيق لا سيما المجلب مما وراء النهر[2] •

وأما الطبقة الأخيرة : فقد كانت طبقة أهل الذمة من نصارى ويهود ثم المجوس المنتشرين فى العراق وجنوب فارس وكانت علاقة المسلمين بهم كما حددتها تعاليم الاسلام قائمة على التسامح فيما لا يخل بحق من حقوق الاسلام• وكانوا يقيمون شعائرهم فى حرية تامة بل ويزورهم بعض المسلمين فى مناسباتهم[3] وقد ضم المجتمع الاسلامى فى هذا العصر عديدا من الأجناس الى جانب العرب كالأكراد والفراعنة والاتراك (والسلاجقة) والديالم والروم والأرمن الى جانب المصريين الذين كان يطلق عليهم المغاربة[4] •

رابعا : الحركة العلمية والثقافية

رأينا — من الناحية السياسية — كيف أصبح العالم الاسلامى فى العصر العباسى الثانى منقسما الى دويلات مستقلة تعمل كل منها لحسابها الخاص دون اذعان لسلطة الخليفة العباسى الذى صار ألعوبة فى أيدى جبابرة الأتراك وأصبحت الدولة الاسلامية منفرطة العقد مفككة الأجزاء تئن من ويلات الضعف والانقسام • ومن العجيب أن يذهب بعض الباحثين المعاصرين الى أن هذا الانقسام كان فى مصلحة الأقطار المستقلة بزعم أن بعض هذه الأقطار استطاع أن يبلغ من القوة والتقدم والرقى العلمى والحضارى ما لم يبلغه وهو فى اطار وحدة المملكة الاسلامية[5] •

وهذا — فى اعتقادى — تصور خاطىء اذ أن هذا الانقسام — وان أسفر عن تقدم فردى لبعض الدويلات — الا أنه فى الوقت نفسه قد جر هذه الدويلات الى حروب وصراعات داخلية استنفدت طاقاتها حتى لم تعد قادرة على حماية نفسها أمام العدو الخارجي ووصلت بانقسامها وتفرقها الى ما صوره الباحث نفسه بقوله (وسودت صحف التاريخ بالقتال المستمر بين هذه الدول وشغلوا بقتال أنفسهم عن قتال عدوهم ، ومن أجل هذا طمع فيهم الروم يغزونهم كل حين ، ويستولون على بلادهم شيئا فشيئا ، حتى الزنج والحبشة كانوا يغيرون على الدولة الفينة بعد الفينة فينهبون ويسلبون ولم تعد المملكة الاسلامية مرهوبة الجانب كما كانت أيام وحدتها[6]) !

فليت شعرى اذن ، كيف كان انقسام الأمة الاسلامية خيرا ؟ وهل هوت هذه الأمة من عليائها الا بالانقسام والتفرق ؟؟ بعد هذا

---

(١) عبد المنعم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ١٨٢
(٢) نفس المرجع والصحيفة .
(٣) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسى ٦٢٧/٤
(٤) نفس المرجع والصحيفة .

(٥) انظر : احمد امين ظهر الاسلام ١ : ٩٢ —٩٣
(٦) انظر : احمد امين ظهر الاسلام ١ : ٩٠

نتساءل : هل كانت الحالة العلمية فى عصر الواحدى ــ فى القرن الخامس ــ بهذه المثابة من الضعف الذى منيت به الحالة السياسية للدولة الاسلامية ؟؟ فى حقيقة الأمر : أن الحالة العلمية قد ارتقت فى هذا العصر الى أوج الازدهار ، وبلغت مبلغا عظيما من الثراء والعطاء • وقد كان ازدهار الحركة العلمية مرتبطا بقوة النظام السياسى الداخلى للدويلات المستقلة أن تترابط وتكون جبهة اسلامية واحدة الاسلامى وصار بعضها يهيمن على مركز الخلافة كما أسلفنا ولو أتيح لتلك القوى المستقلة أن تترابط وتكون جبهة اسلامية واحدة لتحقق على أيديها للعالم الاسلامى ما لا يخطر ببال • ومن ثم فلست مع الرأى القائل بأن العلم والسياسة قد لايتمشيان جنبا الى جنب[1] بحجة أن العالم الاسلامى ــ فى العصر العباسى الثانى ــ كان ضعيفا من الناحية السياسية قويا من الناحية العلمية،فالحكم بضعف النظام السياسى فى هذا العصر هو حكم شمولى على المملكة الاسلامية ككل فى حين لا يعزب عنا أن بعض دول المملكة الاسلامية قد نهضت سياستها الى الذروة وتسنمت قمة الرقى العلمى والحضارى كما حدث فى العصر الذهبى لكل من الدولة البويهية والسلجوقية • حيث تسمى باسم كليهما أحد أعصار الخلافة العباسية • وفى اطار هذا التقدم الفردى وفى ظل السياسة القوية فى الداخل والخارج بلغت الحركة العلمية قمة ازدهارها وما كان ذلك ليحدث فى ظل سياسة فاشلة لدولة مغلوبة على أمرها تطحنها الحروب الداخلية أو تطؤها أقدام الغزاة • بدليل انطفاء شعلة العلم وانحسار المد الثقافى فى بعض فترات الضعف السياسى الذى تعرضت له الدولتان المذكورتان فى أواخر عهديهما • الأمر الذى يقطع باحالة نهضة علمية فى جو سياسى حالك القتام تبدد رعوده كل أمن واستقرار ومن ثم كان من بعد الرؤية وعمق النظر أن نؤكد أن نشاط الحركة العلمية منوط بقوة النظام السياسى وانطلاقا من هذه الحقيقة : فقد شهد العصر العباسى الثانى نتيجة ظهور بعض الدول القوية على مسرح التاريخ حركة علمية وحضارية مزدهرة آتت أكلها فى شتى الميادين • فانطلقت عجلة التقدم العلمى والثقافى الى الأمام • وكان من بواعث النهضة العلمية حرص بعض الدويلات على منافسة جاراتها وانددادها فى حلبة العلم وفى الميادين الثقافية والأدبية لتتبوأ مكانة مرموقة فى العالم الاسلامى • ولست فى حاجة لأكرر انه كان من المؤكد تضاعف هذا القدر من الرقى العلمى والثقافى فيما لو تحققت وحدة تلك الدويلات والأقطار فى ظل حكم خلافى قوى يحقق للأمة الاسلامية أوفر حظ من الأمن والاستقرار ويطرد من ساحتها كل دخيل ويجنبها ويلات الحروب الداخلية المدمرة التى استنفدت جزءا هائلا من طاقتها • ولو قدر لهذا الجهد الذى أريق فى ميادين القتال استماتة على عروش الملك والسلطنة أو طمعا من دولة فى أملاك دولة أخرى : أن يكرس للاصلاحات الداخلية ودفع عجلة التقدم العلمى والثقافى فى شتى أجزاء الدولة الاسلامية على السواء لو قدر ذلك لطاولت قلاع العلم أبراج السماء !!

ومع ذلك : وازاء ما ظفر به المجتمع الاسلامى فى هذا العصر من فترات حكم قوى وزعامات سياسية ناهضة • فقد قام للعلم دولة وللثقافة والأدب سلطان !! حيث أقبل الملوك والأمراء والسلاطين والوزراء على أساطين العلم والفلسفة والأدب والشعر وتنافسوا فى ضمهم

(١) انظر : أحمد أمين ظهر الاسلام ٢/٢

اليهم واجتذابهم الى بلاطهم وأبهاء قصورهم وأغدقوا عليهم العطايا تشجيعا لهم على الانتاج والابداع معتبرين ذلك مجدا ثانيا لا يقل عن المجد السياسى ، ومظهـرا راقيا من مظاهر السلطان ، فازدهرت الحياة العلمية وبسقت فروعها وأورقت أغصانها ، وآتت أكلهـا فى العديد من مدن المملكة الاسلامية ، ولم تعـد بغداد وحدها مركز الاشعاع العلمى والثقافى بل تجاوبت أصداء الحركة العلمية فى أرجـاء كل من نيسابور ومرو وهراة وبوشنج وطوس وبلخ وبست والرى وهمذان وجرجان وأصبهان وغزنة وبخـارى وحلب والقـاهرة وقرطبـة وغيرهـا .

وبلغت الحركة العلمية أوج انتعاشها فى ظل حكم بنى بويه الذين عاش الواحدى فى أواخر عصرهم وتأثر بثقافة هذا العصر كما بلغت الحركة العلمية والثقافية ذروتها أيضا فى ظل الحكم الغزنوى وفى العهد السلجوقى الذى سجل فى صفحات التاريخ مجدا علميا لا ينسى. أما فى عهد بنى بويه : فقد شغف الملوك والوزراء بالعلم والأدب شغفا عظيما حتى كان منهـم العلماء والأدباء والشعراء الى حد أن الثعالبى قصر بابا من أبواب : (اليتيمة) على أخبـار ملوك بنى بويه الذين شعروا ورويت أشعارهم. وقال فى صدر أخبار عضد الدولة (كان على ما مكن له فى الأرض ، وجعل اليه من أزمـة القبض والبسط ، وخص به من رفعة الشأن وأوتى من سـعة السـلطان ــ يتفرغ للأدب ويتشاغل بالكتب ويؤثر مجالسة الأدباء على منادمة الأمراء ويقول شعرا كثيرا[1]) .. وكان عضد الدولة ــ لشغفه بالعلم ــ يتزلف لعلماء عصره ليقتبس من علمهم حتى بلغ من تقديره لأبى على الفارسى العالم النحوى أن قال يوما : (أنا غلام أبى على فى النحو[2]) وكانت له به وشيجة وثقى . وقد صنف أبو على كتاب الايضـاح . وأهـداه لعضـد الدولة فاسـتزاده ، فألف له التكملة وأطلق عليهـا كتاب (العضدى[3]) كما قصد عضد الدولة فحول شعراء عصره وعلى رأسهم المتنبى الذى قلده من غرر مدائحه .

كذلك حظيت الدولة البويهية بوزيرين أسهما فى اثراء حظهـا من العلم والأدب ، وهمـا : ابن العميد والصاحب بن عياد . أما أبو الفضل ابن العميد (ت : ٣٦٠ هـ) فقد كان وزيرا لركن الدولة البويهى،وكان عالما أديبا ،تبحر فى علوم اللغة والأدب والفلسفة وصار أوحد عصره فى الكتابة والانشاء حتى أطلق عليه الجاحظ الثانى وقيل فيه : بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد[4]) .

وكان قبلة العلماء والشعراء فى عصره وقد ورد عليه المتنبى بعد صدوره من حضرة كافور الأخشـيدى ومدحه بشعره[5] كما قصـده ابن‌نباتة السعدى وغيره من الشعراء بمدائحهم. وقـد أنشـأ مكتبـة عظيمـة وعين العـلامة ابن مسكويه قيما عليها[6] .

وأما الصاحب اسماعيل بن عباد (ت : ٣٨٥ هـ) فقد وزر لمؤيد الدولة بن ركن الدولة

---

(١) الثعالبى : يتيمة الدهر ٢/٢١٦

(٢) ابن تغرى بردى : النجـوم الزاهرة ١٥١/٤

(٣) القفطى : انباه الرواة ٢ : ٣٨٧ ، د. بدوى طبانه : الصاحب بن عباد/٣٣

(٤) ابن تغرى بردى : النجـوم الزاهرة ٤/٦٠ ، أحمد الزيات : تاريخ الأدب العـربى ٢٢٧ ــ ٢٢٨

(٥) د. بدوى طبانه : الصاحب بن عباد/ ٤٣

(٦) احمد امين : ظهر الاسلام ٢٥٣/١

ثم لأخيه فخر الدولة . وكان الصاحب طلعة نهما في تحصيل العلم ومجالسة العلماء وقد جمل من بلاطه بالري كعبة يؤمها أساطين العلماء والشعراء كأبي بكر الخوارزمي والقاضي الجرجاني وأبي الحسين السلامي وغيرهم[1] وكانت له مكتبة في الري تعد من عجائب الدنيا. وقد تمنى ملوك وسلاطين العصر أن تحظى دولهم بمثل الصاحب ذي الكفايتين في السياسة والعلم . فبعث اليه منصور بن نوح الساماني - الذي كان ملكا على خراسان - يرتجيه وزيرا ، فأرسل اليه الصاحب معتذرا ، وكان مما اعتذر به أن كتبه تحتاج في نقلها الى أربعمائة جمل[2] .

ثم كان من وزراء البويهيين كذلك المسهمين في الحركة العلمية والأدبية : الوزير : أبو محمد الحسن المهلبي ، وكان وزيرا لمعز الدولة البويهي . وكان أديبا شاعرا تعقد له المجالس وتروى فيها عيون الأدب وكان من جلاسه أبو الفرج الاصفهاني والقاضي التنوخي[3] .

كذلك كان ابن سعدان وزير صمصام الدولة - يجتمع في مجلسه ابن مسكويه ، وابن زرعة الفيلسوف ، وأبو حيان التوحيدي ، وكان سابور بن أردشير - وزير بهاء الدولة البويهي - أديبا شاعرا وقد أنشأ مكتبة ببغداد قال عنها ياقوت (لم يكن في الدنيا أحسن كتبا منها[4]) وابتاع دارا بالكرخ وعمرها وسماها (دار العلم) ووقفها على العلماء ووقف بها كتبا كثيرة[5] وهكذا كان حكام البويهيين طاقات متفجرة تدفع عجلة الحركة العلمية - في ثورية وانطلاق الى الأمام وتثرى المكتبة الاسلامية برصيد زاخر من نتاج قرائح العلماء والأدباء والمفكرين واذا كان الواحدى قد عاصر دولة البويهيين . وهي في الطريق الى الافول وبعد أن انقضت فترات ازدهارها العلمي في عهود حكامها الأقوياء والعلماء كعضد الدولة والصاحب وابن العميد فلا جرم أن أثر الحركة العلمية البويهية قد امتد الى الواحدى . لأن هذه الحقبة المزدهرة كانت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى الذى ولد الواحدى في آخره . ثم ان النتاج العلمي الذي خلفته تلك الحركة كان بين يدى الواحدى في خزائن الكتب بنيسابور والبلاد التى ارتحل اليها الواحدى لطلب العلم .

واذا كانت الفترة التى عاصرها الواحدى في الحكم البويهي قد جفت فيها ينابيع العلم والثقافة داخل الدولة البويهية لما اعتراها من تخبط السياسة وانقلاب بلاط الحكام الذى كان زاخرا بالعلم والعلماء الى حلبة لثيران السياسة ومعتركا لاراقة الدماء : فان الواحدى قد حظى بفترة ازدهار علمي هائل في ظل الحكم الغزنوى الذى كانت نيسابور تابعة له منذ سنة ٣٨٩ هـ مع سائر أعمال خراسان .

الصورة العلمية في العهد الغزنوى

ويعتبر عهد السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوى (٣٨٨ - ٤٢١ هـ) عهد الفتوحات والأمجاد السياسية والعلمية ، وله في سجل التاريخ الاسلامي مكانة سامقة لما أحرزه

---

(١) الثعالبي : يتيمة الدهر : ١٩٣/٣
(٢) القفطي : انباه الرواه : ٢٠٢/١
(٣) احمد أمين : ظهر الاسلام ٢٥٦/١
(٤) انشئت هذه المكتبة سنة ٣٨١ وكانت تضم أكثر من عشرة آلاف مجلد أكثرها بخط مؤلفيها أو من مقتنيات المشاهير وظلت بها الى سنة ٤٥٠ - المرجع السابق والكامل ٣٢٤/٧

(٥) السيوطي : تاريخ الخلفاء ٤٤٣

هذا السلطان من نجاح منقطع النظير فى الداخل والخارج حتى قال عنه الذهبى فى تاريخه : انه رأس الملوك فى عصره[1] وقد جعل السلطان محمود من قصره فى (غزنة) مركزا حافلا بالنشاط العلمى والأدبى وموئلا لأساطين العلم والأدب لا نظير له .

وقد ورث هذا القصر الغزنوى أمجاد أربعة قصور كانت مراكز اشعاع علمى وثقافى فى العالم الاسلامى قبل عهد الغزنوى . وهى : ـ

١ ـ قصر الصاحب بن عباد ـ فى أصفهان والرى ـ الذى كان أعجوبة الدنيا قبل موت الصاحب سنة ٣٨٥ هـ .

٢ ـ قصر السامانيين فى بخارى التى كانت فى عهد الدولة السامانية ـ كما يقول الثعالبى ـ (مثابة المجد وكعبة الملك ، ومجمع أفراد الزمان ، ومطالع نجوم أدباء الأرض[2]) وكان بها مكتبة نوح بن نصر التى قال عنها ابن خلكان (عديمة المثل ، فيها من كل فن من الكتب المشهورة بأيدى الناس وغيرها مما لا يوجد فى سواها ولا سمع باسمه فضلا عن معرفته[3]).

٣ ـ قصر قابوس بن وشمكير فى طبرستان بالقرب من بحر قزوين وكان حافلا بالعلم والعلماء .

٤ ـ قصر خوارزم شاه فى خيوة الذى كان لمأمون الثانى ابن مأمون الأول وقد آلت بلاده الى حكم السلطان محمود الغزنوى سنة ٤٠٨ هـ .

واستطاع الغزنوى بعد وفاة الصاحب وسقوط الدولة السامانية ومقتل السلطان قابوس بن وشمكير ومأمون الثانى أن يضم لبلاطه أساطين العلم والأدب الذين كانوا مشاعل العلم والثقافة وفى هذه القصور ليصبح بلاطه فى غزنة هو مركز الاشعاع العلمى فى عصره[4] وحقا كان كذلك . فقد كان يجتمع فى بلاط السلطان محمود بغزنة أربعمائة من رجال الأدب وكان منهم : شعراء الفرس من أمثال الفردوسى والعنصرى والاسدى وغيرهم وكانوا ينظمون مدائحهم للسلطان محمود ويسكبون نتاج قرائحهم فى الدواوين العديدة. وقد احتلت الملحمة الشعر (شاهنامة) التى نظمها الفردوسى مكانة عالمية كنموذج للشعر الملحمى الفارسى[5] .

كذلك أقبل شعراء خراسان وما وراء النهر على السلطان محمود بمدائحهم وروائع أشعارهم وكان منهم بديع الزمان الهمذانى وأبو منصور الثعالبى وقد استوزر الغزنوى من رجال الأدب أبا القاسم أحمد بن حسن الميمندى وعين الشاعر أبا الفتح البستى كاتبا له ، ولكل منهما مكانة أدبية مرموقة ، ومما يجدر ذكره أن الوزير الميمندى كان عظيم الأثر على لغة الضاد فى وزارته حيث أمر كتابه أن يلتزموا اللغة العربية فى كتاباتهم ، وكانوا من قبله ـ لقلة حظ من سبقه فى الوزارة من معرفة اللغة ـ يتخاطبون بالفارسية فحظر الميمندى من ذلك الا لجهل من يكتب اليه بالعربية

---

(١) الامام السيوطى : تاريخ الخلفاء ٤٤٨
(٢) الثعالبى : يتيمة الدهر ٤/٩٥
(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ١/١٥٢ ـ ١٥٣

(٤) د. حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ٣/٣٣٣ ـ ٣٣٦ ، د. اسعاد قنديل : مقدمة كشف المحجوب ٢١
(٥) د. اسعاد قنديل : مقدمة كشف المحجوب للهجويرى ٢٢ ، أحمد أمين : ظهر الاسلام ١/٢٩٠

فحسب[1] وقد أضفى هذا الوزير بروعة أسلوبه الكتابى على العمل الوزارى خلعا من الحسن والبهاء • كما سجل الشاعر أبو الفتح البستى برقة شاعريته سحر لغة الضاد وروعة بيانها •

وكان فى بلاط السلطان محمود : مؤرخ الدولة الغزنوية : أبو النصر محمد العتبى وقد صنف كتابه (اليمينى) نسبة الى يمين الدولة (لقرب محمود الغزنوى) ويعد هذا الكتاب المصدر الرئيسى لتاريخ الدولة الغزنوية[2] •

وكان السلطان محمود يتحين الفرص لتعزيز قصره بأساطين العلماء والمفكرين حتى انه حين علم أن بمجلس مأمون الثانى فى خوارزم — قبل أن تؤول بلاده اليه — نخبة من العلماء والمفكرين — كابن سينا والبيرونى وابن الخمار وأبى سهل الميسى وأبى نصر العراق — : بعث اليه أن أرسلهم ليشرفوا بمجلسى ونستفيد من علمهم فجمعهم مأمون وقرأ عليهم كتاب الغزنوى • فقبل البيرونى وابن الخمار والعراق وأبى ابن سينا وفر الى بلاط قابوس بن وشمكير كما هرب أبو سهل الميسى[3] وكان انضمام أبى الريحان البيرونى للسلطان محمود فتحا علميا فى الدولة الغزنوية فى علوم الفلسفة والالهيات والرياضة والفلك وقد ساهم بجهده العلمى الرائع فى فتوح الغزنوى للهند وصنف القانون المسعودى للسلطان محمود ويعد من أعظم المصادر فى الرياضة والفلك وفلسفة الهند[4] كذلك كان من مظاهر اهتمام السلطان محمود بالعلم والعلماء تأسيسه لدار العلم الملحقة بجامع غزنة وانشاء مكتبة بها حوت نفائس المصنفات ونوادر المؤلفات[5] •

كما شيد الأمير نصر بن سبكتكين — أخو السلطان محمود — المدرسة السعدية بنيسابور وذلك ابان ولايته عليها من قبل أخيه السلطان ، وهى من أوائل ما بنى من المدارس فى الاسلام قبل أن تنشأ مدارس نظام الملك[6] ومن ثم فقد سبق الغزنويون السلاجقة الى بناء المدارس العلمية • وكانت هذه المدرسة احدى أربع مدارس بنيسابور — موطن الواحدى — هى أول ما بنى من المدارس فى الاسلام[7] فكان من حسن حظ الواحدى أن يشب فى حاضرة علمية سجلت أسبقيتها ووفرة معاهدها العلمية التى جعلت منها بيئة ثرية بالمناهل الثقافية المعطاة •

ثم كان الفضل الأكبر الذى أسدته الدولة الغزنوية للحركة العلمية المعاصرة للواحدى — فوق ما تقدم — هو الحركة الاصلاحية الدينية العلمية الكبرى التى قام بها السلطان محمود الغزنوى فى أوائل القرن الخامس الهجرى — والتى أشرنا اليها خلال الحديث عن الحالة الدينية — وقد جاءت هذه الحركة الاصلاحية فى وقت سقطت فيه حرية الكلمة وحرية العقيدة وحرية البحث العلمى تحت وطأة التعصب الشيعى الاعتزالى الذى اعتصم بالسلطان السياسى لدولة البويهيين •

فلم يجد الخليفة بدا ازاء الفتن المذهبية

---

(1) احمد امين : ظهر الاسلام ٢٨١/١
(2) احمد امين : ظهر الاسلام ٢٨١/١
(3) د. حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام : ٣٣٥/٣ ، احمد امين : ظهر الاسلام ٢٨٦/١
(4) احمد امين : ظهر الاسلام : ٢٩٠/١
(5) د. اسعاد تنديل : مقدمة كشف المحجوب للهجويرى ص ٢٣
(6) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ٣١٤/٤
(7) نفس المرجع والصحيفة .

الدامية من اللجوء الى السلطان محمود الغزنوى ، ونهض يمين الدولة بولاته ورجاله ـ فى أنحاء خراسان وغيرها يطهرونها من رؤوس البدع وانحرافات المذاهب الهدامة • وأصدر السلطان أمره لعماله بسائر البلاد بقتل شرار الروافض والمعتزلة والقرامطة والجهمية والاسماعيلية والمشبهة • وصلبهم ونفاهم وأمر بلعنهم على المنابر وشردهم من ديارهم[1] وكانت ثورة اصلاحية لم تجد أمامها الا السيف حيث لم تجد الكلمة ولم تنفع الموعظة الحسنة •

ثم عمد السلطان محمود الى مصنفات هؤلاء المبتدعة المنبثة فى خزائن الكتب فأحرقها• وكان منها قدر كبير بمكتبة الصاحب بن عباد الذى كان يعتنق التشيع والاعتزال ويشترطهما فيمن يوليه أهم المناصب فى الدولة • فورد السلطان محمود الى (بيت الكتب) بالرى وكانت فهرست الكتب به تقع فى عشر مجلدات• وما أن أخبر بما يحتويه من كتب الروافض وأهل البدع حتى استخرج كل ما كان فى علم الكلام وأمر بحرقه[2] •

وهكذا قضى السلطان الغزنوى على أوكار البدع وحطم رؤوس دعاتها الذين نبتوا فى الحقل العلمى كالأعشاب السامة التى يجب أن تجتث من فوق الأرض ولا يبقى لها من قرار •

ومن ثم كانت هذه الحركة الاصلاحية يدا بيضاء للدولة الغزنوية على الحركة العلمية التى عاصرها الواحدى بل وعلى الواحدى نفسه كأحد العلماء الذين انقشعت عنهم

(1) د. حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ٨٩/٣

(2) ياقوت الحموى : معجم الادباء ٣١٥/٢

ظلمات الفتن وتبددت دياجى المحن لينعموا بجو علمى هادىء تسوده الطمأنينة وتعلو فيه كلمة السنة والجماعة • وكان من حسن حظ حركة التطهير التى قادها الغزنوى أن تباشر هذه المهمة فى وقت انكسرت فيه شوكة البويهيين الذين ناصروا التشيع والاعتزال وآلت فيه شمسهم الى المغيب فلم تبق الا زفرات المكدود وأنات المريض فى نهاية مطاف هذه الدولة •

الحالة العلمية فى عهد السلاجقة :

ثم ما أن توارت شمس البويهيين حتى سطعت فى الأفق شمس السلاجقة وكانت خيرا وبركة على العلم •

فلقد حظيت دولة السلاجقة بل حظى العالم الاسلامى وحظى العلم والحضارة الانسانية بشخصية الوزير العظيم العالم العادل الحسن ابن على الطوسى الملقب بنظام الملك (٤٠٨ ــ ٤٨٥ هـ) كان هذا الوزير آية من آيات الله فى حب العلم وخدمته وفى ادارة دفة السياسة وقيادتها وكان نعمة من نعم الله على العالم الاسلامى • نشأ فقيها وشب عالما ثم برع فى الرياضة وآلات الديوان حتى ذكر انه لم يوجد فى زمانه أكفأ منه فى صناعة الحساب وصناعة الانشاء[3] وتمرس فى العمل بدواوين السلاطين بخراسان وغزنة ثم اختص بأبى على بن شاذان وزير السلطان ألب أرسلان السلجوقى حتى أوصى به أن يخلفه فى الوزارة بعد وفاته • وتقلد الوزارة بعده ثلاثين عاما[4] وقيل أربعين[5] حقق فيها ما لم يسمع بمثله لوزير فى تاريخ الاسلام فما أن ولى الوزارة حتى

(3) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ٣١٣/٤

(4) السبكى طبقات الشافعية الكبرى ٣١٦/٤

(5) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٣٦/٥ ــ ١٣٧

شرع فى بناء المساجد والمدارس والرباطات • وكان عهد هذا الوزير فتحا ونصرا للمذهب السنى الأشعرى على كل المذاهب المبتدعة التى راجت سوقها فى عهد البويهيين من التشيع والاعتزال وغير ذلك • فنهض هذا الوزير ليشفى جراح علماء المسلمين من فتنة الوزير الكندرى الذى حاك المؤامرة الكبرى ضد الأشعرية فى عهد طغرلبك • وكانت الحركة العلمية الكبرى على يد نظام الملك ممثلة فى انشاء (المدارس النظامية) المنسوبة اليه • وكانت هذه المدارس مراكز اشعاع علمى تنشر المذهب الأشعرى وتعلى كلمة أهل السنة ضد نشاط الفاطميين فى مصر والمغرب • وقد كان المذهب الفقهى السائد بها هو مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه • وحرص نظام الملك على أن ينشر مدارسه النظامية فى كل بلد • فبدأ بالمدرسة النظامية ببغداد سنة ٤٥٩هـ حيث تم بناؤها وعهد بالتدريس بها الى الشيخ الامام أبى اسحق الشيرازى • ثم بنى مدرسة نظامية أخرى بنيسابور ودرس بها امام الحرمين الجوينى • ثم توسع فى انشاء المدارس النظامية فبنى مدرسة بكل من : بلخ ، هراة ، وأصبهان والبصرة ومرو وآمل طبرستان والموصل وغيرها • حتى قال السبكى فى طبقاته: (ويقال : ان له فى كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة ، وله بيمارستان بنيسابور ورباط بغداد[1] ، وبلغت العناية بنظام الملك أنه كلما وجد فى بلدة من عرف بالعلم وتبحر فيه بنى له مدرسة ووقف عليها وقفا وجعل فيها دار كتب[2] •

وهكذا فجر نظام الملك ينابيع العلم والمعرفة بجامعته النظامية الكبرى التى امتدت فروعها فى كل بلد أمكن أن تمتد اليه •

وقد حقق صاحب (طبقات الشافعية) انتفاء أولية المدارس النظامية فى تاريخ المدارس العلمية فى الاسلام ردا على الحافظ الذهبى الذى زعم ذلك فى تاريخه • فقال : (وشيخنا الذهبى زعم أنه — أى نظام الملك — أول من بنى المدارس ، وليس كذلك ، فقد كانت المدرسة البيهقية بنيسابور قبل أن يولد نظام الملك ، والمدرسة السعدية بنيسابور أيضا بناها الأمير نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود لما كان واليا بنيسابور ، ومدرسة ثالثة بنيسابور بناها أبو سعد اسماعيل بن على ابن المثنى الاسترابادى الواعظ الصوفى شيخ الخطيب ، ومدرسة رابعة بنيسابور أيضا بنيت للاستاذ أبى اسحاق الأسفراييني وقد قال الحاكم فى ترجمة الأستاذ « لم يبن بنيسابور قبلها — يعنى مدرسة الأستاذ — مثلها » وهذا صريح فى أنه بنى قبلها غيرها[3]) •

ومن ثم نجد أن مدينة (نيسابور) تحتفظ بالأسبقية على مدن العالم الاسلامى فى انشاء أول مدرسة بها فى تاريخ الاسلام ، حيث حظيت بالمدارس الأربعة الأولى فى التاريخ الاسلامى كما يذكر السبكى • بل كان هناك مدارس أخرى لم يذكرها السبكى معها كمدرسة الامام ابن فورك (٤٠٦ هـ) بنيسابور[4] • وما من شك فى أن لذلك أثره العلمى فى شخصية عالمنا « الواحدى » ، حيث أن تعدد الموارد العلمية يتيح للدارس فرصة الاختيار بينها لما يحقق له أكبر وأنفع قدر من العلم ، وأيضا يتيح له — فى الوقت نفسه — التعرف

---

(١) السبكى : طبقات الشافعية ٣١٤/٤
(٢) د. أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية /١١٨

(٣) السبكى : طبقات الشافعية ٣١٤/٤
(٥) السبكى : طبقات الشافعية ١٢٨/٤

على نوعيات متعددة من المذاهب والشخصيات العلمية ، والتعرف على المناهج المختلفة والمقارنة بينها بغية الوصول الى أنسبها — لاستعداد الدارس .

وقد أختير لهذه المدارس أساتذة من خيرة علماء العصر وجهابذة الفكر قدموا لطلابها ذخائر محصلاتهم وخوب أفكارهم .

ففى نظامية بغداد كان يدرس : الامام أبو اسحق الشيرازى (٤٧٥ هـ) وأبو نصر الصباغ (٤٧٧ هـ) وأبو القاسم العلوى الدبوسى (٤٨٢ هـ) وأبو عبد الله الطبرى (٤٩٥ هـ) وعبدالرحمن بن مأمون (٤٩٨ هـ) وأبو محمد عبد الوهاب الشيرازى (٥٠٠ هـ) والخطيب التبريزى (٥٠٢ هـ) والكيا الهراسى (٥٠٤) والامام أبو حامد الغزالى (٥٠٥ هـ) وغيرهم من الأساطين[١] .

وفى نظامية نيسابور : كان يدرس : امام الحرمين الجوينى (٤٧٨ هـ) وقد بنيت له هذه المدرسة وظل يدرس بها قريبا من ثلاثين سنة، وكان يحضر درسه كل يوم نحو ثلاثمائة من أئمة العلم وطلابه[٢] ومن أشهر أساتذة نظامية نيسابور الامام أبو حامد الغزالى الذى تتلمذ بها على امام الحرمين ثم خلفه فى الأستاذية بها . وقد سبق أنه درس بنظامية بغداد وكان من أساتذة نظامية نيسابور أيضا أبو المعالى الخواف (٥٠٦ هـ) والشهاب الطوسى (٥١٥ هـ) وقطب الدين الطريثيثى الفقيه (٥٧٨ هـ) وغيرهم[٣] .

وكان من أساتذة (نظامية هراة) : أبو بكر الشاشى (٤٨٥ هـ) ومحمد بن على ابن حامد (٤٩٥ هـ) ومن أساتذة (نظامية أصبهان) أبو بكر الخوجندى (٤٨٣ هـ) ومحمد بن ثابت الشافعى (٤٨٣ هـ) ومن أساتذة (نظامية مرو) : أحمد الميهنى (٥٢٧ هـ) وأبو الفتح الميهنى (٥٢٣ هـ)[٤] وهذه مجرد أمثلة فقط تعكس مبلغ الثراء العلمى الذى حققته المدارس النظامية .

ثم كانت اليد البيضاء التى أسداها نظام الملك على العلم والعلماء والتى لم يسبق اليها — على ما ذكره السبكى فى طبقاته[٥] — هى أنه كان أول من قدر المعاليم للطلبة وكانت خدمة كبرى للعلم ولطلابه . حيث أتاح لطالب العلم أن يتفرغ لعلمه ولا يشتت جهده بين الاكتساب وطلب العلم .

وقد أغدق نظام الملك على العلم ورجاله فأوقف على النظامية الضياع والأملاك للانفاق على الفقهاء والمدرسين بها للاجراء على الطلبة[٦] وقد بلغ ما ينفقه فى السنة على التعليم ستمائة

---

(١) ذكر السبكى فى طبقاته (١٢٨/٤) ان الامام ابن فورك توجه من الرى الى نيسابور وبنيت له الدار والمدرسة من خانقاه ابى الحسن البوشنجى واحيا الله به فى نيسابور انواعا من العلوم . كما ذكر (٢٩٠/٤) انه كان بنيسابور مدرسة اخرى لشيخ الاسلام الصابونى (ت : ٤٤٩ هـ) ومدرسة اخرى لابى بكر الصبغى تسمى : (دار السنة) (١٥٩/٤) ومدرسة احمد البستى (السبكى ٤/ ٨٠) . وعلى مستوى العصر انتشرت المدارس فكان بدمشق المدرسة الضيائية المحمدية والمدرسة الناصرية انظر السبكى (٦٨/٤) وبجوارها كانت مدرسة النسوى طبقات: السبكى ١٧٥/٤) وبمرو مدرسة اصحاب الشافعى (السبكى ٤٣٣/٥) وببغداد خلاف النظامية طبقات المدرسة التاجية (السبكى ٧/٥) .

(٢) السبكى : طبقات الشافعية ١٧١/٥
(٣) نفس المرجع : ٢٩٦/٧ ، ١٦٨ ، ٢٩٧
(٤) أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ٢٤٩ — ٢٥٠ ، والمرجع السابق ٤٣/٧
(٥) السبكى : طبقات الشافعية ٣١٤/٤
(٦) ابن جبير : رحلة ابن جبير ٢٢٩

ألف دينار[1] وكان الريع المخصص لنظامية بغداد من أوقافها وحدها خمسة عشر ألف دينار فى العام[2] .

وقد سعى الوشاة بنظام الملك الى السلطان ملكشاة من جراء انفاقه على العلم هذه الأموال الطائلة . زاعمين لدى السلطان بأن هذه الأموال التى ينفقها على المدارس تقيم جيشا يركز رايته فى سوق القسطنطينية . فواجه نظام الملك السلطان بقوله (.. انى أقمت لك جيشا يسمى جيش الله . اذا نامت جيوشك ليلا : قامت جيوش الليل على أقدامها صفوفا بين يدى ربها ، فأرسلوا دموعهم وأطلقوا ألسنتهم ، ومدوا الى الله أكفهم بالدعاء لك ولجيوشك فأنت وجيوشك فى حضانتهم تعيشون وبدعائهم تتقبلون ، وببركاتهم تمطرون و ترزقون[4] .

والى جوار مدارس العلم كانت المساجد فى هذا العصر أيضا مراكز اشعاع علمى تضم العامة الى جانب الخاصة فى حلقات الدرس حيث كان يدرس بها التفسير والحديث والفقه الى جانب دروس الوعظ . وكان يقوم بالخطابة والتدريس والاملاء فى تلك المساجد أئمة علماء العصر فاذا نظرنا الى نيسابور مثلا كموطن للواحدى نجد الجامع المنيعى[4] الذى كان خطيبه امام الحرمين الجوينى وقبله شيخ الاسلام أبو عثمان الصابونى[5] .

(١) ناجى معروف : المدرسة المستنصرية/٨
(٢) محمد عبده : الاسلام والنصرانية/٩٨
(٣) د. زكى مبارك : الاخلاق عند الغزالى ١٦ ، د. بسيونى القشيرى ٢ ، سراج الملوك ٢٩٧
(٤) ينسب هذا الجامع الى واقفه الشيخ أبى على المنيعى (٤٦٣ هـ) وقد أسس جامعا منيعيا آخر بمرو الروز .انظر طبقات الشافعية للسبكى ٢٩٩/٤ — ٣٠٢
(٥) السبكى : طبقات الشافعية ٢٩٩/٤

وقد تقلد امامة هذا الجامع أحد تلاميذ الواحدى وهو الفقيه عبد الجبار الخوارى (ت : ٥٥٣ هـ)[6] وبنيسابور أيضا : كان يوجد مسجد عقيل وكان يدرس به الأستاذ الامام أبو اسحق الاسفراييني (ت ٤١٧ هـ) وقد عقد أول مجلس املاء له بهذا المسجد سنة ٤١١ هـ[7] كذلك كان ببغداد العديد من المساجد العلمية ومن بينها جامع المنصور وكان به مجلس املاء الحديث للحافظ أبى بكر الخطيب (٤٦٣[8] هـ) .

وقد انتشرت مجالس للاملاء فى هذا العصر انتشارا كبيرا ، فكان الائمة يجيزون من يتخرج عليهم فى العلم بالاملاء ، فنجد أبا اسحاق الاسفراييني يجيز ابا منصور البغدادى (ت : ٤٢٩ هـ) بالاملاء بعد ان تخرج على يديه بنيسابور ، فأملى بها سنتين ثم رحل عنها[9] كذلك كان أبو بكر الحيرى (٤٢١ هـ) يملى الحديث بدار السنة وكان الواحدى يستملى منه[10] .

كذلك حفل عصر الواحدى بثراء هائل فى خزائن الكتب نتيجة لازدهار الحركة العلمية بالاضافة الى خزائن كتب الخلفاء والحكام التى كانت تعد من مكملات مظاهر الملك والسلطان . بل والتى كانت لبعضهم من العلماء ضرورة لا يستغنى عنها على نحو ما أسلفناه عن عضد الدولة وابن العميد والصاحب فى البويهيين والسلطان محمود الغزنوى فى الدولة

(٦) السبكى : طبقات الشافعية ١٤٥٤/٧
(٧) السبكى : طبقات الشافعية ٢٥٨/٤ — ٢٥٩
(٨) السبكى : طبقات الشافعية ٣٥/٤
(٩) ابن هداية الله : طبقات الشافعية ص ١٤٠
(١٠) الواحدى : اسباب النزول ٣٠٦

الغزنوية ثم ناهيك بنظام الملك الذى نهضت به دولة العلم فى ظل حكم السلاجقة فقد الحق بالمدارس النظامية خزائن الكتب المشتملة على آلاف المصنفات وكانت المدرسة النظامية ببغداد تلحق بها مكتبة كبيرة تحتوى على ستة آلاف مجلد[1] وكانت خزانة (دار العلم) التى أسسها : سابور بن أردشير البويهى سنة ٣٨٣ هـ تشتمل على عشرة آلاف وأربعمائة مجلد من أصناف العلوم منها مائة مصحف بخطوط بنى مقلة[2] كما مر بنا أن (بيت الكتب) الذى كان فى بلاط الصاحب بن عباد بالرى كان به من الكتب ما يحتاج فى نقله الى أربعمائة جمل !! وكانت فهرست هذه الكتب تقع فى عشر مجلدات[3] .

وقد ورث عصر الواحدى كنوز هذه المكتبة ونظائرها المنبثة فى أرجاء العالم الاسلامى ومن بينها مكتبة نوح بن نصر السامانى التى قال عنها ابن خلكان : (عديمة المثل : فيها من كل فن من الكتب المشهورة بأيدى الناس وغيرها مما لا يوجد فى سواها ، ولا سمع باسمه فضلا عن معرفته[4]) .

وقد نقل السلطان محمود الغزنوى الكثير من الكتب الى مكتبة (غزنة) التى اسسها لدار العلم الملحقة بجامع غزنة[5] .

هذا بالاضافة الى خزائن الكتب العامة والخاصة التى اسست فى دور الخلافة والملك والوزارة ، والى ما يمتلكه العلماء والادباء والفلاسفة والشعراء مما يتعذر استقصاؤه ولا يسع المقام استيفاؤه .

وقد عظم الاقبال على العلم واقتناء مصنفاته فى هذا العصر العلمى مما نتج عنه رواج اسواق الوراقين وحوانيت الكتب وتنافس الناس على اقتناء كل ما هو ثمين فارتفعت أسعار الكتب النفيسة حتى ان كتاب (حلية الاولياء) للحافظ أبى نعيم الاصبهانى (ت : ٤٣٠ هـ) قد حمل الى (نيسابور) فى حياة مصنفه فابتاعه الناس بأربعمائة دينار[6]

وبلغ الازدهار العلمى شأوا سامقا فى شتى ميادين العلم والثقافة فى هذا العصر ، فشملت الحركة العلمية المزدهرة جوانب العلوم النقلية الشرعية كالتفسير والقراءات والحديث والفقه وعلم الكلام .

كما شملت العلوم اللسانية من لغة ونحو وصرف ومعان وبيان وأدب .

وشمل الازدهار كذلك العلوم العقلية والحكمية: كالفلسفة والتصوف والطب والهندسة والكيمياء والفلك والجغرافيا والتاريخ والرياضيات وغير ذلك .

وقد ظهر فى عصر الواحدى فى شتى هذه الجوانب العلمية أعلام ومفكرون وأثبات ومحققون أثروا المكتبة الاسلامية بفيض منهم من تصانيفهم وأبحاثهم التى تشهد بعمق وأصالة التراث الاسلامى وريادته للفكر الانسانى .

ففى علم الحديث نجد القرن الخامس الهجرى قد زخر بكثير من أئمة الحفاظ والمحدثين

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ١٣ / ١٦٦ ، د. احمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية/١٥٣
(٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان٢/٣٤٢، د. احمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية / ١٨٨
(٣) ياقوت الحموى : معجم الادباء ٢/٣١٥
(٤) ابن خلكان : وفيات الاعيان ١ / ١٥٢ — ١٥٣ ط بولاق ١٢٨٣ هـ
(٥) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام٤/٤٣١، د. اسعاد قنديل : مقدمة كشف المحجوب / ٢٣
(٦) الذهبى : تذكرة الحفاظ ٣/١٠٤٣

الذين كانوا أوعية هذا العلم الشريف ، وتبحروا فى دراسته متنا ومصطلحا ورجالا ، وأخرجوا لنا العديد من المصنفات فى شتى فروع هذا العلم • وسأقتصر على ذكر بعض من عاصر الواحدى فى هذا القرن من أعلام الحفاظ والمحدثين فمن بينهم :

١ — الامام الحافظ أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الحاكم النيسابورى (٣٢١ — ٤٠٥ هـ) صاحب (المستدرك على الصحيحين) قال عنه الحافظ عبد الغافر الفارسى : (هو امام أهل الحديث فى عصره العارف به حق معرفته[١]) وعن تصانيفه قال الذهبى (واتفق له من التصانيف ما لعله يبلغ قريبا من ألف جزء من تخريج الصحيحين : والعلل ، والتراجم ، والابواب ، والشيوخ ، ثم المجموعات مثل « معرفة علوم الحديث » ، و (مستدرك الصحيحين) و (تاريخ نيسابور) و (كتاب مزكى الاخبار) و (المدخل الى علم الصحيح) و (كتاب الاكليل) و (فضائل الشافعى) وغير ذلك[٢] •

٢ — الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهانى (٣٢٣ — ٤١٠ هـ) •

كان اماما ثقة ثبتا روى عن أبى سهل القطان وميمون بن اسحق وروى عنه الحافظ ابن منده وخلق كثير • صنف (المستخرج على صحيح البخارى) وقال عنه الذهبى : (وكان قيما بمعرفة هذا الشأن ، بصيرا بالرجال ، طويل الباع ، مليح التصانيف[٣]) •

٣ — الحافظ ابو الفضل محمد بن احمد الجارودى (ت : ٤١٣ هـ) •

أخذ عن الطبرانى ، واسماعيل بن نجيد وغيرهما من الأئمة • وكان شيخ الاسلام الحافظ عبد الله الانصارى يروى عنه قائلا :

أخبرنا امام أهل المشرق أبو الفضل الجارودى •••

وقد ذكر الذهبى عن بعض أهل العلم : ان الجارودى أول من سن بهراة تخريج الفوائد وشرح حال الرجال والتصحيح[٤] •

٤ — الحافظ ابو بكر أحمد بن محمد البرقانى (٣٣٦ — ٤٢٥ هـ)

شيخ المحدثين والفقهاء ببغداد • قال عنه الخطيب : (كان ثقة ، ورعا ، ثبتا • لم نر فى شيوخنا أثبت منه ، عارفا بالفقه ، له حظ من علم العربية كثير ، صنف مسندا ضمنه ما اشتمل عليه صحيح البخارى وصحيح مسلم • وصنف حديث الثورى ، وشعبة وعبيد الله بن عمر ، وعبد الملك بن عمير ، وبيان بن بشر ، ومطر بن الوراق ، ولم يقطع التصنيف حتى مات[٥]) •

٥ — الحافظ الكبير محدث العصر : أبو نعيم احمد بن عبد الله الاصبهانى (٣٣٦ — ٤٣٠ هـ) قال عنه أحمد بن مردويه (كان أبو نعيم فى وقته مرحولا اليه ، لم يكن فى أفق من الآفاق أحد احفظ منه ولا أسند منه[٦]) وقال الذهبى فى ترجمته (وأجاز له مشايخ الدنيا سنة نيف وأربعين وثلاثمائة وله ست سنين !! فأجاز له من واسط : المعمر عبد الله ابن عمر بن شوذب ومن نيسابور شيخها : أبو العباس الاصم ، ومن الشام : شيخها خثيمة بن سليمان الطرابلسى ، ومن بغداد :

(١، ٢) الذهبى : تذكرة الحفاظ ١٠٤٣/٣
(٣) نفس المرجع : ١٠٥١/٣

(٤) نفس المرجع : ١٠٧٤/٣
(٥) نفس المرجع : ١٠٧٤/٣
(٦) نفس المرجع : ١٠٩٤/٣

جعفر الخلدى وأبو سهل بن زياد ، وطائفة تفرد فى الدنيا باجازتهم ، كما تفرد بالسماع من خلق ورحلت الحفاظ الى بابه لعلمه وحفظه وعلو أسانيده)[1] •

ومن تصانيفه : (المستخرج على البخارى) و (المستخرج على مسلم) و (دلائل النبوة)، (حلية الأولياء) وغير ذلك • وقد أخذ الواحدى الحديث عن الحافظ أبى نعيم وأذن له فى الرواية عنه[2] •

٦ ــ حافظ المغرب : الامام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبى (٣٦٨ ــ ٤٦٣ ﻫ) قال عنه الباجى : لم يكن بالأندلس مثل أبى عمر فى الحديث[3] وله العديد من المصنفات الفريدة منها : التمهيد ــ الذى قال عنه ابن حزم : لا أعلم فى الكلام على فقه الحديث مثله أصلا ــ والاستذكار ــ وهو اختصار التمهيد ــ والكافى على مذهب الامام مالك فى خمسة عشر مجلدا ، والاستيعاب ، والتقصى لحديث الموطأ وغير ذلك[4] •

٧ ــ الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى (٣٨٤ ــ ٤٥٨ ﻫ) شيخ خراسان فى الحديث والفقه والأصول ومن كبار أصحاب الحاكم ، قال عنه الذهبى : (وعمل كتبا لم يسبق الى تحريرها مثل : الأسماء والصفات وهو مجلدان ، والسنن الكبير فى عشر مجلدات والسنن والآثار : أربع مجلدات : وشعب الايمان : مجلدان ، ودلائل النبوة : ثلاث مجلدات ••)[5] وقال فيه امام الحرمين : (ما من أحد الا وللشافعى عليه منة الا أبا بكر البيهقى ، فان له المنة على الشافعى لنصرة مذهبه)[6] •

٨ ــ ومن مشاهير حفاظ هذا العصر أيضا : أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى (٣٩٢ ــ ٤٦٣ ﻫ) الامام المحدث المؤرخ • قال عنه ابن ماكولا : (كان أبو بكر الخطيب آخر الأعيان ممن شاهدناه معرفة ، وحفظا ، واتقانا ، وضبطا لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتفننا فى علله وأسانيده ، وعلما بصحيحه ، وغريبه ، وفرده، ومنكره ، ومطروحه •• ثم قال : ولم يكن للبغداديين بعد الدار قطنى مثله[7] وقد عد السمعانى له ستة وخمسين مصنفا منها : تاريخ بغداد ، الجامع ، الكفاية ، تمييز متصل الأسانيد[8] •

٩ ــ الحافظ أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن النيسابورى (٣٨٨ ــ ٤٧٠ ﻫ) محدث وقته بخراسان ، وكان شيخا على المدرسة البيهقية بنيسابور ، أخذ عن كبار الأئمة كالحاكم وأبى الحسن العلوى ، وكتب عن الخطيب وكتب الخطيب عنه ووثقه • وقال عنه زاهد الشحامى (خرج أبو صالح ألف حديث عن ألف شيخ له)[9] •

وقال محدث نيسابور : محمد بن المزكى: (ما يقدر أحد أن يكذب فى الحديث ها هنا وأبو صالح حى)[10] •

---

(١) نفس المرجع : ١٠٩٢/٣
(٢) الواحدى : أسباب النزول ص ٨٠ ، ١٥٩
(٣و٤) الذهبى : تذكرة الحفاظ : ١١٢٩/٣

(٥و٦) الذهبى: تذكرة الحفاظ : ١١٣٢/٣ــ ١١٣٣
(٧) الذهبى : تذكرة الحفاظ ١١٣٧/٤
(٨) الذهبى : تذكرة الحفاظ ١١٣٩/٣
(٩) الذهبى : تذكرة الحفاظ ١١٦٢/٣ ــ ١١٦٣
(١٠) الذهبى : تذكرة الحفاظ ١١٦٢/٣ ــ ١١٦٣

١٠ ـ الحافظ عبد الغافر بن اسماعيل الفارسى النيسابورى (٤٥١ ـ ٥٢٩ هـ) ذكره الذهبى قائلا (كان من أعيان المحدثين ، بصيرا باللغات ، فصيحا ، بليغا ، عذب العبارة) أجازه أبو سعيد الكنجروذى ، وسمع جده لأمه أبا القاسم القشيرى وتفقه على امام الحرمين ، وروى عنه بالاجازة : الحافظ بن عساكر ، له (المفهم لشرح مسلم) و (مجمع الغرائب)[١] ومن أشهر مؤلفاته : السياق فى تاريخ نيسابور • اختصره من تاريخ نيسابور للحاكم وأضاف اليه[٢] وقد ولى الخطابة بنيسابور • وكانت له صلة وثيقة بالواحدى فقال فى السياق فى ترجمة الواحدى وقد أجاز لى بجميع مسموعاته ومصنفاته)[٣] •

والى جانب هؤلاء الاعلام من أئمة حفاظ العصر : توجد كثرة هائلة من علماء الحديث وحفاظه لا يتسع المقام لمجرد سرد أسمائهم فضلا عن التعريف بهم •

وقد كان للواحدى شيوخ كثيرون من مشاهير المحدثين فى هذا العصر من أمثال أبى طاهر محمد بن محمش الزيادى ومسند نيسابور محمد بن ابراهيم المزكى وأبى حسان محمد بن أحمد المزكى وأبى بكر الحيرى وعبد الرحمن بن حمدان النصروى وغيرهم •

وقد أرجأت الحديث عن هؤلاء الى موضعه فى الحديث عن شيوخه •

واذا انتقلنا الى علم الفقه وأساطين مذاهبه فى هذا العصر : رأينا ـ بحق ـ أطوادا شامخة حملت رواسى هذا العلم ، وصنفت فيه نفائس الأسفار ، ونفرت اليهم طوائف المتفقهة تقتات من علمهم الغزير • وكان من أشهر أعلام المذهب الشافعى فى القرن الخامس :

١ ـ الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد الاسفراييني (٣٤٤ ـ ٤٠٦ هـ) امام الشافعية فى زمانه ، ذكره السبكى قائلا (شيخ طريقة العراق ، وحافظ المذهب ، وأمامه ، جبل من جبال العلم منيع ، وحبر من احبار الأمة رفيع) ، كان يحضر مجلسه ثلاثمائة ـ وقيل سبعمائة ـ متفقه ، وكان الناس يقولون : لو رآه الشافعى لفرح به • وعليه تأول جماعة من العلماء حديث[٤] (يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها) وله عدة مصنفات • منها فى المذهب (التعليقة الكبرى) ومختصر (الرونق) و (البستان) وغير ذلك[٥] •

٢ ـ الامام قاضى القضاة أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى (٣٦٤ ـ ٤٥٠ هـ) أحد أكابر فقهاء الشافعية تفقه على أبى القاسم القشيرى والصيمرى ثم ارتحل الى أبى حامد الاسفراييني ببغداد ، وقد

---

(١) الذهبى : تذكرة الحفاظ ٣/١٢٧٥ ـ ١٢٧٦

(٢) اختصر ابراهيم بن محمد بن الازهر الصريفينى كتاب السياق فى كتاب اسماه (المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور) ويوجد منه نسخة مصورة على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات بالقاهرة .

(٣) منتخب السياق للصريفينى وانظر ياقوت : معجم الادباء ١٢/٢٥٧ ـ ٢٥٨ ط بتحقيق فريد الرفاعى .

(٤) رواه ابو داود فى الملاحم ، والحاكم فى باب الفتن وصححه . وانظر الاقوال فى تخريجه : المجددون فى الاسلام للصعيدى/٨

(٥) السبكى : طبقات الشافعية : ٤/٦١ ، طبقات ابن هداية الله ص ١٢٧ بهوامشها ، وأبو الفدا : المختصر ٢/١٤٥ .

أخذ عنه الخطيب ووثقه • له العديد من المصنفات منها : الحاوى فى الفقه — ويقع فى نيف وعشرين جزءا ، والاقناع — فى الفقه أيضا — ودلائل النبوة ، وأدب الدنيا والدين، وغير ذلك[1] •

٣ — الامام أبو اسحق ابراهيم بن على ابن يوسف الشيرازى (٣٩٣ — ٤٧٦ هـ) ترجم له السبكى قائلا (هو الشيخ الامام شيخ الاسلام ، صاحب التصانيف التى سارت كمسير الشمس ودارت الدنيا فما جحد فضلها الا الذى يتخبطه الشيطان من المس) ! وقال : (•• وكانت الطلبة ترحل من المشرق والمغرب اليه ، والفتاوى تحمل من البر والبحر بين يديه) وأورد من تصانيفه : التنبيه ، والمذهب، واللمع وشرحه فى الأصول[2] •

٤ — امام الحرمين أبو المعالى عبد الملك ابن عبد الله الجوينى (٤١٩ — ٤٧٨ هـ) من كبار أئمة المذهب وأعيانه • قال الحافظ عبد الغافر ، والسبكى فى ترجمته (•• امام الأئمة على الاطلاق) وخاطبه أبو اسحق الشيرازى يوما بقوله (يا مفيد أهل المشرق والمغرب ، لقد استفاد من علمك الأولون والآخرون) ، وبحق : كان اماما فى الفقه وأصوله وفى علم الكلام أخذ عن أبيه وأبى القاسم الاسفراييني ، وتتلمذ له الامام الغزالى والكيا الهراسى • ومن تصانيفه (نهاية الطلب فى دراية المذهب) قال فيه السبكى : لم يصنف فى المذهب مثلها فيما أجزم به !!

---

(١) السبكى : طبقات الشافعية ٢٦٧/٥ — ٢٦٩ ، ابن هداية الله : طبقات الشافعية /١٥١

(٢) السبكى : طبقات الشافعية ٢١٥/٤ — ٢١٦

وله (الشامل) و (البرهان) و (الارشاد) فى أصول الدين ، و (تلخيص التقريب) فى الأصول[3] ثم نجد من أعيان فقهاء المذهب الحنفى فى هذا العصر :

١ — الامام أبو الحسين أحمد بن محمد القدورى البغدادى (٣٦٢ — ٤٢٨ هـ) انتهت اليه بالعراق رئاسة أصحاب أبى حنيفة ، وقد صرح بذلك الخطيب البغدادى ونقله عنه صاحب (النجوم الزاهرة)[4] وذكر من تآليفه (شرح مختصر الكرخى) و (التقريب الأول) و (التقريب الثانى) فى عدة مجلدات و (مختصر القدورى) وغير ذلك •

٢ — أبو عبد الله محمد بن على الدامغانى (٣٩٨ — ٤٧٨ هـ) تفقه ببغداد على الصيمرى والقدورى ، وبرع فى الفقه حتى انتهت اليه رياسة المذهب فى زمانه ، وولى قضاء القضاة ببغداد[5] •

٣ — أبو نصر أحمد بن صاعد النيسابورى (ت : ٤٨٣ هـ) ذكر صاحب (النجوم الزاهرة) أنه كان رئيس نيسابور وعالمها وقاضيها ، وانتهت اليه رئاسة السادة الحنفية فى زمانه[6] •

ومن كبار فقهاء المالكية فى هذا العصر :

١ — أبو الفضل محمد بن عبيد الله بن عمروس (ت : ٤٥٣ هـ) •

---

(٣) السبكى : طبقات الشافعية ١٦٥/٥ ، ابن هداية الله : طبقات الشافعية ١٧٤

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٢٤/٥ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٢٣٣/٣

(٥) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٢١/٥ — ١٢٢

(٦) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٢٩/٥

من أئمة المالكية ببغداد الذين انعقدت لهم الرئاسة وكان من كبار القراء[1] .

٢ — أبو عبد الله محمد بن عتاب القرطبي (ت : ٤٦٣ هـ) .

عالم قرطبة ومفتيها وكان على رأس المالكية بها في عصره[2] .

٣ — الشيخ أبو عمران موسى بن عيسى الفاسي المغربي (ت : ٤٣٠ هـ) كان شيخ المالكية بالقيروان . أخذ عن أبي الحسن القابسي وعبد الوارث بن سفيان ثم قدم بغداد وأخذ عن الامام الباقلاني علم الكلام . قال في ترجمته ابن العماد (وكان اماما في القراءات بصيرا بالحديث رأسا في الفقه تخرج به خلق في المذاهب)[3] .

ونجد من اعلام فقهاء الحنابلة في القرن الخامس :

١ — القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين الحنبلي البغدادي (٣٨٠ — ٤٥٨ هـ) شيخ الحنابلة في زمانه . وكان — كما يذكره صاحب الشذرات — صاحب التصانيف ، وفقيه العصر واماما لا يدرك قراره ولا يشق غباره . وكانت تعقد له مجالس الاملاء والفتوى والقضاء[4] .

٢ — أبو الوفا على بن عقيل البغدادي (٤٣١ — ٥١٣ هـ) شيخ حنابلة عصره وصاحب التصانيف الغزيرة . قال فيه السلفي : (مارأيت مثله ، وما كان أحد يقدر أن يتكلم معه لغزارة علمه وبلاغة كلامه وقوة حجته . له كتاب الفنون الذي يزيد على أربعمائة مجلد !! وقال بعضهم هو ثمانمائة مجلد . حتى قال الذهبي (لم يصنف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب)[5] .

ومن كبار أعلام هذا العصر في المذهب الظاهري خاصة وفي علوم الاسلام عامة :

الامام أبو محمد على بن أحمد بن سعيد ابن حزم القرطبي الظاهري (ت : ٤٥٦ هـ) قال ابن خلكان في ترجمته : (كان حافظا عالما بعلوم الحديث مستنبطا للاحكام من الكتاب والسنة بعد أن كان شافعي المذهب فانتقل الى مذهب أهل الظاهر ..) وذكر الذهبي في العبر أن تصانيفه بلغت أربعمائة مجلد . ومن أشهرها في الفقه الظاهري كتاب المحلى[6] ومن كبار فقهاء الشيعة في هذا العصر : أبو عبد الله النعمان (٤١٤ هـ) شيخ الرافضة وفقيه الشيعة وأستاذ الرضي والمرتضى[7] وأبو جعفر محمد ابن الحسن الطوسي (ت : ٤٦٠ هـ) فقيه الامامية وعالمهم ومفسرهم وكان لسان غلاة الشيعة في وقته[8] .

واذا ما انتقلنا الى علم الكلام ورجاله في هذا العصر : وجدنا خضما زاخرا بالتيارات المذهبية المختلفة التي تسورت محراب العقيدة وأخذت تتجاذب أطراف الصراع وتحمى وطيس

(١، ٢) ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ٦٨/٥

(٣) ابن العماد : شذرات الذهب ٢٤٧/٣ — ٢٤٨

(٤) ابن العماد : شذرات الذهب ٣٠٦/٣ وانظر ابن تغرى بردى والنجوم الزاهرة ٧٨/٥

(٥) ابن العماد شذرات الذهب ٣٧/٤ — ٣٨ وانظر ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ٢١٩/٥

(٦) ابن العماد : شذرات الذهب ٢٩٩/٣،

(٧) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٢٥٨/٤

(٨) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره ٨٢/٥

الجدل والمناظرات فى شتى زوايا البحث العقائدى • واندفع علماء الفرق المختلفة من أهل السنة والمعتزلة والشيعة والقدرية والخوارج والمرجئة وغيرها فى أتون الخلاف ينافحون بألسنتهم وأقلامهم بل وبسيوفهم أحيانا • عن آرائهم واتجاهاتهم وكان الخلاف على أشده بين الاشاعرة والمعتزلة • وكان المعتزلة والشيعة — فى عهد البويهيين — يحظون بتأييد سياسى قوى عظمت به شوكتهم وانتشرت آراؤهم فى أرجاء خراسان وخاصة (نيسابور) موئل الواحدى • ثم دار الفلك واخذ نجم أهل السنة فى العلو بعد حركة الاصلاح التى قامبها السلطانمحمود الغزنوى فى أوائل القرن الخامس وبلغ المذهب الأشعرى السنىأوج ازدهاره فىعهد السلاجقة وخاصة بجهود نظام الملك فى انشاء أكاديمية النظامية بفروعها المنبثة فى مدن وقرى دولة السلاجقة ، فقام أساطين الاشاعرة على منابرها برفع لواء أهل السنة والجماعة وخلفوا أعظم الآثار فى نصرة هذا المذهب • ومن هنا نقف على حقيقة هامة وهى : أن الخلاف المذهبى برغم ما أحدث من فتن واضطرابات فانه قدح شرارة البحث العلمى العميق فى شتى جوانب العقيدة وأبرز عبقرية مفكرى الاسلام وملكتهم العقلية الجبارة التى آتت أكلها فى حلقات دروسهم ومناظراتهم ثم فى مصنفاتهم • وقد انعكس أثر ذلك كله بصفة خاصة فى (ميدان التفسير) فصرنا نجد تفاسير مفسرى كل مذهب تسرى فيها روح المذهب الذى ينتمى اليه المفسر • فهناك تفاسير أهل السنة والمعتزلة والشيعة وغيرهم مرايا تعكس مذاهب أصحابها ، وبالطبع كانت تفاسير (الواحدى) كذلك تنعكس فيها وجهته الأشعرية السنية المدعمة بالحجج والبراهين فكان للحركة العلمية الكلامية آثار بعيدة المدى فى مختلف فروع العلم •

ومن ثم نقف على جملة من أساطين المتكلمين فى هذا العصر • من أبرزهم :

١ — الامام أبو بكر محمد بن الحسن ابن فورك الأصبهانى (ت : ٤٠٦ هـ) • كان أوحد وقته فى القرن الرابع وأوائل القرن الخامس • قال فيه الحافظ عبد الغافر : (بلغت تصانيفه فى أصول الدين ، وأصول الفقه ، ومعانى القرآن قريبا من المائة) • وبنيت له مدرسة بنيسابور تخرج منها الأئمة • وروى عنه الحافظ البيهقى والامام القشيرى وغيرهما[1] •

٢ — القاضى عبد الجبار بن أحمد الهمذانى (٤١٥ هـ) امام المعتزلة فى هذا العصر وكان قاضى الرى وأعمالها وقد لقبه المعتزلة بقاضى القضاة وكان شافعيا فى الفروع شديد التعصب لاعتزاله • صنف (دلائل النبوة) و (متشابه القرآن) وغير ذلك[2] •

٣ — الامام أبو اسحق ابراهيم بن محمد الاسفراييني (٤١٨ هـ) • كان شيخ خراسان فى زمانه ، قال عنه السبكى : (أحد أئمة الدين كلاما ، وأصولا ، وفروعا جمع اشتات العلوم ، واتفقت الأئمة على تبجيله وتعظيمه وجمعه شروط الامامة) من مصنفاته : (الجامع فى أصول الدين والرد على الملحدين) : خمس مجلدات • و (مسائل الدور) ، و (تعليقه) فى أصول الفقه وغير ذلك[3] •

---

(١) السبكى : طبقات الشافعية ١٢٨/٤ — ١٢٩

(٢) السبكى : طبقات الشافعية ٩٧/٥ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٢٥٢/٣ — ٢٥٣

(٣) السبكى : طبقات الشافعية ٢٥٦/٤ — ٢٦٢ و : ابن العماد : شذرات الذهب ٢٠٩/٣ — ٢١٠

ومن روائع المناظرات الكلامية لهذا الامام : مناظرته للقاضى عبد الجبار المعتزلى، تلك التى قال عبد الجبار فى مستهلها : (سبحان من تنزه عن الفحشاء) فقال أبو اسحق (سبحان من لا يقع فى ملكه الا ما يشاء) قال القاضى : (أفيشاء ربنا ان يعصى ؟) فقال الامام (أفيعصى ربنا قهرا) ؟ فقال القاضى (أفرأيت ان منعنى الهدى وقضى على بالردى أحسن الى أم أسا ؟) فقال الامام : (ان كان منعك ما هو لك فقد أسا ، وان كان منعك ما هو له فيختص برحمته من يشا) ! فانقطع عبد الجبار[1] وهكذا كان أبو اسحق شهابا لأهل السنة رصدا للمبتدعة !

ومما يجدر ذكره : أن هذا الامام كان شيخا للواحدى فى علم الكلام وقد أصدر الواحدى عنه فى تفسيره (البسيط) فى بعض القضايا الكلامية[2] .

٤ ـ شيخ الاسلام عبد الله الأنصارى الهروى (٣٩٦ ـ ٤٨١ هـ) .

الامام الحافظ الصوفى الحنبلى . ذكر ابن العماد فى ترجمته : انه كان شيخ خراسان فى زمانه غير مدافع . وانه (كان قذى فى أعين المبتدعة ، وسيفا على الجهمية وقد امتحن مرات)[3] .

وقال الذهبى فى التذكرة (وكان سيفا مسلولا على المخالفين وجذعا فى أعين المتكلمين، وطودا فى السنة لا يتزلزل ، وقد امتحن مرات) من تصانيفه : (كتاب الفاروق فى الصفات) و (كتاب القدرية) و (تكفير الجهمية) و (مناقب أحمد بن حنبل) و (منازل السائرين) وغير ذلك[4] .

وفى ميدان العلوم الفلسفية والحكمية نجد القرن الخامس مزدهرا بأعلام الفلسفة والمنطق والطب بل وسائر العلوم الرياضية والتجريبية التى يتعذر استقصاء أعلامها فى هذا المقام فنجد من أشهر فلاسفة هذا العصر :

١ ـ الرئيس أبو على الحسين بن عبد الله بن سينا (٣٧٠ ـ ٤٢٨ هـ) .

قال ابن تغرى بردى فى ترجمته (كان امام عصره فى الحكمة وعلوم الأوائل ، بل كان اماما فى سائر العلوم ، وتصانيفه كثيرة فى فنون العلم حتى قيل عنه أنه ليس فى الاسلام من هو فى رتبته) ولعل قائل ذلك قد قارنه بفلاسفة عصره ، ومن زاوية احيائه لفلسفة أرسطو وأفلاطون ، وتعميقه فى علوم الحكمة والطب ، والا فأين ابن سينا من حجة الاسلام الغزالى الذى أنزل الفلسفة من عليائها وأهوى نجومها وكان له مع معتنقى آراء فلاسفة اليونان جولات وجولات ، وهذا لا يمنع من القول بأن ابن سينا أحد أعلام فلاسفة الاسلام أيا كان موقع آرائهم من الخطأ والصواب.من تصانيف الشيخ الرئيس : (الشفا) و (الاشارات) و (القانون فى الطب) ونحو مائة مصنف[5] .

---

(١) السبكى : نفس المرجع السابق .
(٢) الواحدى : تفسير البسيط ١٥٨/٧
(٣) ابن العماد : شذرات الذهب ٣٦٥/٣ ـ ٣٦٦

(٤) الذهبى : تذكرة الحفاظ ١١٨٣/٣ ـ ١١٩١ ود. محمد سعيد الافغانى : شيخ الاسلام عبد الله الانصارى /٩٩ ـ ١٠٥
(٥) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٢٥/٥ ، د . حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ٣٨٥/٣

٢ ــ أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى (٣٦٢ ــ ٤٤٠ هـ) •

من أعلام هذا العصر فى الفلسفة والرياضيات ويعده المستشرق (سخاو) ــ ناشر مصنفاته ــ أكبر عقلية علمية ظهرت • وأكد ذلك محمد بن محمود النيسابورى بقوله عنه (له فى الرياضيات السبق الذى لم يشق المحضرون غباره ، ولم يلحق المضمرون المجيدون مضماره)[١] من مصنفاته : (الآثار الباقية عن القرون الخالية) و (القانون المسعودى) وغير ذلك • وكانت له مراسلة مع ابن سينا[٢] •

٣ ــ أبو على أحمد بن يعقوب بن مسكويه (ت : ٤٢١ هـ) •

الفيلسوف الطبيب اللغوى المؤرخ • قال فيه المستشرق (ديبور) : (وقد خلف ابن مسكويه فيما خلف : مذهبا فلسفيا فى الأخلاق لا يزال له شأن فى الشرق الى يومنا هذا • وهو مزيج من آراء أفلاطون وأرسطو وجالينوس ، ومن أحكام الشريعة الاسلامية • غير أن نزعة أرسطو غالبة عليه)[٣] من تصانيفه (تجارب الأمم وتعاقب الهمم) و (تهذيب الأخلاق) وكتاب فى (الأدوية المفردة) فى الطب وغير ذلك[٤] •

٤ ــ حجة الاسلام الامام أبو حامد محمد بن محمد الغزالى (٤٥٠ ــ ٥٠٥ هـ) •

(١) احمد امين : ظهر الاسلام ٢٨٧/١ ــ ٢٩٠

(٢) ديبور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ٢٦٩

(٣) نفس المرجع ص ٢٣٩

(٤) دكتور عبد الرحمن بدوى : مقدمة الحكمة الخالدة/٢٢

أمام هذا العصر دون منازع ومجدد القرن الخامس بالاتفاق[٥] الجامع بين المنقول والمعقول وصفه شيخه امام الحرمين بأنه (بحر مغرق)[٦] وقال عنه المستشرق (ديبور): (ولا ريب أن الغزالى أعجب شخصية فى تاريخ الاسلام ، ومذهبه صورة لشخصيته)[٧] تضلع حجة الاسلام فى علوم الدين ثم اتجه الى الفلسفة فسبر أغوارها ووقف على أفكار أساطينها ثم شرع قلمه لنقدها فهدم قلاعها المشيدة من الرمال وصنف (تهافت الفلسفة) فجاء بالعجب العجاب ثم توجه الى قبلة المعرفة فى رحاب التصوف فانكشفت له الأسرار وارتفعت الأستار وصنف أروع ما يعتز به التراث الاسلامى مثل (احياء علوم الدين) و (الأربعين) و (مشكاة الأنوار) وغير ذلك •

ومما يجدر بالذكر أن حجة الاسلام قد تأثر بالواحدى فى تسمية كتبه فأطلق على تصانيفه الثلاثة فى الفقه (البسيط) و (الوسيط) و (الوجيز) أخذا من أسماء تفاسير الواحدى الثلاثة[٨] كذلك برز فى هذا العصر ــ فى مجال العلوم الطبيعية والرياضيات والفلك والهندسة أعلام كثيرون وكان من أشهرهم فى هذا الصدد : الحسن بن الهيثم البصرى (٤٣٠ هـ) •

(٥) قال الامام السيوطى فى ارجوزته المسماة تحفة المجتهدين بأخبار المجددين :
والخامس الحبر هو الغزالى
وعده ما فيه من جدال
(انظر : المجددون فى الاسلام : عبد المتعال الصعيدى ص ١٧٩) •

(٦) السبكى : طبقات الشافعية ٢٠٢/٦

(٧) ديبور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ٣٥٥ •

(٨) انظر : ابن العماد شذرات الذهب ٣٣٠/٣ ، ابن هداية الله : طبقات الشافعية / ١٦٩ •

فقد وصفه (ديبور) بأنه (من اعظم الرياضيين والطبيعيين فى العصور الوسطى[1]) له فى الهندسيات وحدها ثمانية وخمسون تصنيفا • وكان يطلق عليه فى الفلك (بطليموس الثانى) وصنف فى الطب (تقويم الصناعات الطبية) ، و (رسالة فى تشريح العين وكيفية الابصار) الى جانب العديد من المصنفات فى الفلسفة والمنطق والفلك[2]) • وكان من علماء الرياضة والفلك أيضا : الشاعر الفلكى عمر الخيام الذى اشترك فى وضع (التقويم الجلالى) للسلطان ملكشاة السلجوقى[3] •

وننتقل الى علوم اللغة والنحو والادب فنجد عصر الواحدى قد ذخر بالاساطين والاعلام المتبحرين فى لغة الضاد وعلومها وآدابها • فكان من ابرز هؤلاء الاعلام :

١ ــ أبو الحسن على بن فضال المجاشعى (٤٧٩ هـ) اللغوى النحوى الاديب •

قال فيه القفطى (كان ــ رحمه الله ــ اماما فى النحو واللغة والتصريف والتفسير) وقال عبد الغافر (ورد ابن فضال بنيسابور فاجتمعت به فوجدته بحرا فى علمه ، ما عهدت فى البلديين ولا فى الغرباء مثله) • من تصانيفه الغزيرة : (أكسير الذهب فى صناعة الأدب) فى عدة مجلدات ، و (المقدمة) فى النحو (شرح عنوان الاعراب) و (شرح معانى الحروف) و (العوامل والهوامل) ومصنفات عظيمة فى التفسير[4] •

٢ ــ أبو الحسن على بن عيسى الربعى النحوى (ت : ٤٢٠ هـ) •

درس الأدب ببغداد على أبى سعيد السيرافى ثم لازم أبا على الفارسى بشيراز عشرين سنة يأخذ عنه النحو حتى قال له أبو على : (ما بقى شىء تحتاج اليه ، ولو سرت من المشرق الى المغرب لم تجد أعرف منك بالنحو) وقال ياقوت فى ترجمته : أحد ائمة النحويين وحذاقهم الجيدى النظر الدقيقى الفهم والقياس وذكر من تصانيفه : (شرح الايضاح لأبى على) و (شرح سيبويه) و (التنبيه على خطأ ابن جنى فى فسر شعر المتنبى) و (شرح البلغة) فى النحو و (البديع) فى النحو وغير ذلك[5] •

٣ ــ الامام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى (ت : ٤٧١ هـ) امام النحو والبلاغة • أخذ عن أبى الحسين محمد ابن الحسن بن عبد الوارث الفارسى ابن أخت أبى على الفارسى وصنف تصانيف كثيرة تدل على مكانته فى العربية منها (كتاب المغنى فى شرح الايضاح) ويقع فى ثلاثين مجلدا ، وشرح كتاب (العوامل) المسمى بالجمل وكتاب (أسرار البلاغة) و (اعجاز القرآن) المعروف بدلائل الاعجاز وفيه قال القفطى (وله « اعجاز القرآن » دل على معرفته بأصول البلاغات ومجاز الايجاز) وغير ذلك من المصنفات[6] •

٤ ــ ومن كبار علماء اللغة والأدب فى هذا العصر أيضا : أبو زكريا يحيى بن على الشيبانى المعروف بالخطيب التبريزى (ت : ٥٠٢ هـ)

---

(١) ديبور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام/٣٠٩
(٢) احمد سعيد الدمرداش : الحسن بن الهيثم (سلسلة اعلام العرب) ص ٢٥ ــ ٢٩ .
(٣) د. عبد النعيم حسنين / سلاجقة ايران والعراق ص ٨١ ــ ٨٢ .
(٤) انظر القفطى : انباه الرواة : ٢/٣٠٠ ، ياقوت : معجم الادباء : ٥ / ٢٩٠ ، السيوطى : بغية الوعاة : ٢ / ١٨٣ .
(٥) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ٥/٢٨٣ ــ٢٨٧ ، القفطى : انباه الرواه ٢/٢٩٧ .
(٦) القفطى : انباه الرواه : ٢/١٨٨ .

قال الأنبارى فى ترجمته (•• كان أحد أئمة اللغة والنحو) وقال القفطى : (كانت ليحيى ابن على هذا معرفة تامة بالأدب والنحو واللغة قرأ على أبى العلاء احمد بن عبد الله بن سليمان المعرى وغيره من الشاميين) ثم قال (وصنف التصانيف المفيدة مثل كتاب (شرح الحماسة الكبير) ، (شرح الحماسة الأوسط) ، (شرح الحماسة الصغير) ، (شرح المفضليات) (تهذيب غريب الحديث) و (تهذيب اصلاح المنطق) ، (مقدمة فى النحو) عزيزة الوجود حسنة المقصد فيها أسرار الصنعة ، (العروض والقوافى) ، (كتاب اعراب القرآن[١]) •

٥ ـ أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى (ت : ٤٢٩ هـ) •

أديب العصر ، اللغوى الشاعر • مصنف عيون الأدب وفرائد اللغة أخذ عن أبى بكر الخوارزمى ومن تصانيفه : (يتيمة الدهر) و (فقه اللغة) و (سحر البلاغة) و (سر الادب) و (فرائد القلائد) وغير ذلك[٢] •

٦ ـ أبو الحسن على بن اسماعيل المرسى المعروف بابن سيده (ت : ٤٥٨ هـ) •

نادرة عصره فى اللغة وكان ضريرا قال القفطى فى ترجمته (امام فى اللغة والعربية ، جمع فى اللغة كتاب المحكم يقارب عشرين مجلدا لم ير مثله فى فنه ، ولا يعرف قدره الا من وقف عليه) وله من التصانيف أيضا (المخصص) فى اللغة و (الأنيق) فى شرح الحماسة فى ست مجلدات وغير ذلك[٣] •

---

(١) نفس المرجع السابق : ٢٢/٤

(٢) الانبارى : نزهة الألباء / ٣٦٥ ، ابن العماد شذرات الذهب : ٢٤٧/٣ .

(٣) القفطى : انباه الرواة : ٢٢٥/٢ـ٢٢٧، ابن العماد : شذرات الذهب ٣٠٥/٣ .

٧ ـ الشريف أبو المعمر يحيى بن طباطبا العلوى (ت : ٤٧٨ هـ) •

أخذ عن أبى الحسن الربعى وأبى القاسم الثمانينى وعنه ابن الشجرى العلوى • وكان عالما بالشعر ونقده وصنف (نقد الشعر) وكان شاعرا مجيدا[٤] •

وذكر ياقوت فى ترجمته انه (كان نحويا أديبا فاضلا) وأورد طائفة من شعره[٥] •

٨ـ أبو محمد : القاسم بن على الحريرى (٤٤٦ ـ ٥١٦ هـ) •

صاحب كتاب (المقامات) الذى يعد من عيون الأدب • قال القفطى فى ترجمته (أحد أئمة أهل الأدب واللغة ومن لم يكن له فى فنه نظير فى عصره • فاق أهل زمانه بالذكاء والفصاحة ، وتنميق العبارة وتحسينها) وقال فى (مقاماته) : (ومن تأملها علم أن صاحبها ومنشئها كان بحرا فى علم النحو واللغة) • ومن تصانيفه : (درة الغواص فيما يلحن فيه الخواص) و (الرسائل) و (ملحمة الاعراب) و (شرحها[٦]) •

٩ ـ أبو الفضل أحمد بن محمد العروضى السهلكى الصفار (ت : بعد سنة ٤١٦ هـ) •

ترجمه القفطى قائلا (شيخ أهل الادب فى عصره ولد سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ، وتخرج به جماعة من الائمة منهم الامام ابو الحسن على بن أحمد الواحدى وغيره[٧])

---

(٤) الانبارى : نزهة الالباء ـ ٢٧٠

(٥) ياقوت : معجم الأدباء : ٢٩٠/٧ .

(٦) الانبارى : نزهة الألباء / ٣٧٩ ، القفطى : انباء الرواه : ٢٣/٣ ـ ٢٥ .

(٧) القفطى : انباه الرواه ١١٩/١ .

فكان هذا الامام شيخ الواحدى فى اللغة والادب وقد ترجمه الواحدى فى مقدمة تفسيره (البسيط) .

١٠ — أبو الحسن على بن الحسن الباخرزى (ت : ٤٦٧ هـ) .

صاحب (دمية القصر وعصرة أهل العصر) الذى ألفه ذيلا على (يتيمة الدهر للثعلبى) فلما طالعه العماد الكاتب : صنف ذيلا له هو (خريدة القصر فى شعراء العصر) وترجم العماد للباخرزى قائلا (وكان واحد دهره فى فنه وساحر زمانه فى قريحته وذهنه . صاحب الشعر البديع والمعنى الرفيع[١]) وقال عنه ابن العماد فى الشذرات (كان رأسا فى الكتابة والانشاء والشعر والفضل والحائز القصب فى نظمه ونثره[٢]) وكان الباخرزى صديقا للواحدى . وقد ترجم له فى (الدمية) وذكر ان الواحدى كان ينشده من شعره فى صباه[٣] .

١١ — أبو الفضل أحمد بن محمد الميدانى النيسابورى (ت : ٥١٨ هـ) .

تلميذ الواحدى فى التفسير والنحو . قال القفطى فى ترجمته (امام أهل الادب فى عصره وقد اشتهر بأدبه وعرف فى البلدان بتصانيفه الحسان) وذكر من تصانيفه (السامى فى الاسامى) و (الامثال) و (الهادى فى الحروف والأدوات) ، وذكر له الأنبارى (نزهة الطرف فى علم الصرف[٤]) ثم نجد فى هذا العصر العديد من كبار الشعراء المرموقين الذين لا تزال قوافيهم تجسد روعة الضاد الى يومنا وتنفث سحر لغة القرآن . من ابرز هؤلاء الشعراء .

١ — أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرى (٣٦٣ — ٤٤٩ هـ) .

الشاعر اللغوى الاديب الفيلسوف قال عنه الانبارى (كان غزير الفضل وافر الادب عالما باللغة حسن الشعر ، جزل الكلام ، وكان ضريرا اعمى) صنف العديد من الكتب والرسائل ودواوين الشعر منها (الفصول والغايات) و (ديوان لزوم ما لا يلزم) و (ديوان سقط الزند) و (شرحه) وذكر ابن العماد أن من مصنفاته (كتاب الهمزة والردف) أكثر من مائة مجلد وغير ذلك[٥] .

٢ ، ٣ — الشريفان : أبو الحسن محمد ابن الحسين الرضى (ت : ٤٠٦ هـ) وأبو طالب على بن الحسين المرتضى (ت : ٤٣٦ هـ) ذكر القفطى أن الرضى كان من أهل الفضل والادب والعلم والذكاء وقال (قال جماعة من أهل الادب : الرضى أشعر قريش) من تصانيفه : (المجازات النبوية) و (التعليق على ايضاح أبى على) وهو جامع (نهج البلاغة) للامام على كرم الله وجهه . وأما المرتضى : فكان نقيب الطالبيين وكان متكلما شيعيا كأخيه وكان شاعرا مشتهرا وله ديوان كبير . ومن تصانيفه الغزيرة (الغرر والدرر) فى اللغة والنحو والادب ويسمى بامالى المرتضى وغير ذلك[٦] .

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء : ١٢١/٥ .
(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ٣٢٧/٣ .
(٣) الباخرزى : دمية القصر ٢٥٦/٢ بتحقيق د. سامى العانى ط : بغداد .
(٤) القفطى : انباه الرواه ١٢١/١ ، الأنبارى : نزهة الألباء /٣٩٠ .
(٥) الأنبارى : نزهة الألباء : ٣٥٣ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٢٨٠/٣ .
(٦) القفطى : انباه الرواه ١١٤/٣ — ١١٥

٤ ـ الشاعر أبو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمي (ت : ٤١٨ هـ) •

كان مجوسيا وأسلم على يد أستاذه في الادب الشريف الرضي • قال ابن العماد (وكان شاعرا مجيدا مقدما على شعراء عصره ، وديوانه في ثلاث مجلدات[١]) •

٥ ـ الشاعر أبو الحسن على بن محمد التهامي (ت : ٤١٦ هـ)

قال فيه ابن تغرى بردى (كان من الشعراء المجيدين ، وشعره في غاية الحسن) وله ديوان مشهور[٢] •

٦ ـ شاعر الأندلس : أبو عمر أحمد ابن محمد بن دراج الكاتب الأديب الشاعر (ت : ٤٢١ هـ) •

قال عنه ابن حزم (لو لم يكن لنا من فحول الشعراء الا أحمد بن دراج لما تأخر عن شأو حبيب والمتنبى[٣]) وله ديوان في مجلدين •

ثم نجد من شعراء الفرس في عصر الواحدى نخبة ممتازة نبت بعضها في موطن الواحدى (نيسابور) كأبى الفتح عمر بن ابراهيم الخيام النيسابورى (٤٣٣ ـ ٥١٧ هـ) صاحب رباعيات الخيام المشهورة وكان الى جانب شاعريته ـ كما يذكر القفطى في تاريخ الحكماء (عديم القرين في علمى النجوم والحكمة[٤]) •

(١) ابن العماد : شذرات الذهب ٢٤٢/٣ .
(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٢٦٣/٤ .
(٣) ابن العماد : شذرات الذهب : ٢١٧/٣
(٤) أحمد رامى : مقدمة رباعيات الخيام ص ٧ ، ١١ .

كذلك كان في هذا العصر من شعراء الغزنويين (الفرس) : الفردوسى أشهر شعراء الفرس والعنصرى شاعر بلاط محمود الغزنوى ، والأسدى صاحب القصائد الجدلية ، والشاعر العسجدى والميمنى ناظم تاريخ السلطان محمود بالشعر الفارسى • ثم الشاعر الصوفى الكبير أبو سعيد بن أبى الخير[٥] •

الحركة العلمية في التفسير

تلقف القرن الخامس الهجرى نتاج القرون الأربعة الأولى في التفسير باتجاهاته ومناهجه المختلفة ليضيف اليها رصيدا جديدا زاخرا يحمل الطابع العلمى والثقافى لهذا العصر • وكان من الطبيعى أن تفيد حركة التفسير التى كان الواحدى أحد اعلامها وسار في مقدمة ركبها من الوثبة العلمية الكبرى التى تقدمت عصره وشملت العلوم العقلية واللغوية وأضافت الى التفسير النقلى ثمار هذه الدراسات التى قام بها اللغويون والنحاة والأدباء والمتكلمون بمذاهبهم المختلفة ومدارسهم المتباينة • وتدفقت حصيلة هذه الدراسات في خضم حركة التفسير التى عاصرها الواحدى وظهرت آثارها في انتاج اعلام المفسرين • فنجد في القرن الخامس ثراء عظيما في ميدان التفسير وعلوم القرآن • ووفرة هائلة في عدد المفسرين من شتى المدارس التفسيرية والاتجاهات المذهبية وكان من ابرز هؤلاء المفسرين :

١ ـ الحسن بن محمد بن حبيب النيسابورى (ت : ٤٠٦ هـ) •

قال الامام السيوطى في ترجمته نقلا عن صاحب السياق (امام عصره في معانى القرآن

(٥) د/ حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ٣٦٨ ـ ٣٦٩ .

وعلومه ، مصنف التفسير المشهور ، وكان أديبا نحويا عارفا بالمغزى والقصص والسير ، انتشر عنه بنيسابور العلم الكثير ، وسارت تصانيفه الحسان فى الآفاق ، وكان أستاذا لجماعة . حدث عن الأصم وأبى زكريا العنبرى ، وذكره فى كتاب « سر السرور » وقال : هو اشهر مفسرى خراسان وأقفاهم لحق الاحسان ، وكان أبو القاسم الثعلبى من خواص تلاميذه) وذكر السيوطى أنه كان رأس المفسرين فى عهد الخليفة القادر ، صنف ابن حبيب فى التفسير والقراءات والاداب وهو صاحب عقلاء المجانين[1] .

٢ ـ أبو القاسم هبة الله بن سلامة البغدادى الضرير (ت : ٤١٠ هـ) .

قال عنه ياقوت : (كان من احفظ الناس لتفسير القرآن والنحو والعربية ، وكانت له حلقة بجامع المنصور) من تصانيفه : (الناسخ والمنسوخ) ، (المسائل المنثورة فى النحو والتفسير[2]) وذكر ابن الجزرى أن هبة الله روى خمسة وتسعين تفسيرا من حفظه[3] .

٣ ـ أبو اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى النيسابورى (٤٢٧ هـ) .

قال الامام السيوطى عنه فى طبقات المفسرين (كان اوحد زمانه فى علم القرآن عالما بارعا فى العربية ، حافظا موثقا ..) له (تفسير الكشف والبيان) و (العرائس) و (ربيع المذكرين[4]) وهو شيخ الواحدى فى التفسير وسيأتى مزيد من التعريف به .

٤ ـ أبو عبد الرحمن اسماعيل بن أحمد الحيرى النيسابورى الضرير المفسر المقرىء (٣٦١ ـ ٤٣٠ هـ) .

كان أحد ائمة المسلمين والعلماء العاملين ، وصنف تصانيف عديدة مشهورة فى التفسير والقراءات والحديث والوعظ . أخذ عن زاهر السرخسى وطبقته وأخذ عنه أبو بكر الخطيب وقال عنه (وقدم علينا حاجا ونعم الشيخ كان علما وأمانه وصدقا وخلقا .. وكان معه صحيح البخارى فقرأت جميعه عليه فى ثلاثة مجالس[5] .

٥ ـ أبو الحسن على بن ابراهيم الحوفى النحوى المصرى (ت : ٤٣٠ هـ) .

كان اماما فى العربية والنحو والادب . له من المصنفات (البرهان فى تفسير القرآن) و (اعراب القرآن) فى عشر مجلدات ، و (علوم القرآن) ومصنفات أخرى[6] .

٦ ـ مكى بن أبى طالب حموش القيسى النحوى المقرىء (٤٣٧ هـ) .

قال عنه صاحب (البغية) : (وكان من أهل التبحر فى علوم القرآن والعربية) وقال الداودى فى ترجمته (كان فقيها مقرئا أديبا ،

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ٤٤٨ ، طبقات المفسرين ١١ ، بغية الوعاة ٥١٩/١ ، الداودى : طبقات المفسرين ١٤١/١ .
(٢) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ٢٤٣/٧ ، السيوطى : طبقات المفسرين ٣٢ ، الداودى ٣٤٧/٢ ، ابن الجزرى : طبقات القراء ٣٥١/٢ .
(٣) انظر : نفس المصدر الأخير .
(٤) السيوطى : طبقات المفسرين /٥ ، الداودى : طبقات المفسرين ٦٥/١ .
(٥) السيوطى : طبقات المفسرين /٧ ، الداودى : طبقات المفسرين ١٠٤/١ ، ابن العماد: شذرات الذهب ٢٤٥/٣ .
(٦) السيوطى : طبقات المفسرين ٢٥ ، بغية الوعاة : ١٤٠ ، ٣٨١/١ .

وله رواية ، وغلب عليه علم القرآن ، وكان من الراسخين فيه . أخذ بالقيروان عن أبى محمد بن أبى زيد وأبى الحسن القابسى) ثم قال : (وصنف تصانيف كثيرة فى علوم القرآن منها : (اعراب القرآن) وسماه (الايجاز) و (اللمع) و (الموجز فى القراءات) و (التبصرة) فيها و (الهداية فى التفسير) و (الوقف على كلا) ، وكتاب (المأثور عن مالك فى أحكام لقرآن) وتفسيره فى عشرة أجزاء وغير ذلك . وذكر ابن العماد فى تصانيفه : (الهداية الى بلوغ النهاية فى معانى القرآن الكريم وتفسيره وأنواع علومه) وهو سبعون جزءا و (مشكل المعانى والتفسير) وهو خمسة عشر جزءا[1] .

٧ — أبو محمد عبد الله بن يوسف الجوينى (٤٣٨ هـ) .

كان يلقب بركن الاسلام وهو والد امام الحرمين . قال الداودى فى طبقاته عنه (.. أوحد زمانه علما وزهدا وتقشفا زائدا وتحريا فى العبادات . كان يلقب ركن الاسلام له المعرفة التامة بالفقه والأصول والتفسير والنحو والادب[2]) ورغم موسوعية هذا الامام فان له قدما فى التفسير عجيبا . فيذكر الداودى أن له الى جانب تصانيفه العديدة فى الفقه والأصول مثل : «الفروق» و «التبصرة» و « التذكرة » : له (تفسير) كبير يشتمل على عشرة أنواع من العلوم فى كل آية[3] .

٨ — شيخ الاسلام أبو عثمان اسماعيل ابن عبد الرحمن الصابونى النيسابورى (٣٧٣ — ٤٤٩ هـ)

الواعظ المفسر المحدث . قال الذهبى : (كان شيخ خراسان فى زمانه[4]) وقد لقبه أهل السنة فى خراسان بشيخ الاسلام فلا يعنون عند اطلاقهم هذه اللفظة غيره ، وكان الحافظ البيهقى يقول فيه (انه امام المسلمين حقا وشيخ الاسلام صدقا[5]) ترجم له الامام السيوطى والحافظ الداودى فى : (طبقات المفسرين) وذكرا أنه (أوحد وقته ، شهدت له اعيان الرجال بالكمال فى الحفظ والتفسير) وأنه (أقام شهرا فى تفسير آية[6] .

٩ — أبوالحسن على بن عبدالله بن أحمد ابن أبى الطيب النيسابورى (ت : ٤٥٨ هـ) .

قال عنه ياقوت (وكانت له معرفة تامة بالقرآن وبتفسيره[7]) وذكره الامام السيوطى فى طبقات المفسرين قائلا : (كان رأسا فى تفسير القرآن ، له التفسير الكبير فى ثلاثين مجلدا والأوسط فى عشر مجلدات والصغير ثلاثة مجلدات ، وكان من حفاظ العالم[8]) .

وذكر ياقوت أنه كان يملى هذه التفاسير الثلاثة من حفظه[9] .

١٠ — أبو الحسن على بن فضال المجاشعى (ت : ٤٧٩ هـ) قال فيه ياقوت

---

(١) السيوطى : بغية الوعاة : ٢٩٨/٢ ، طبقات الداودى ٣٣١/٢ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٢٦٠/٣ .
(٢) الداودى : طبقات المفسرين ٢٥٣/١ .
(٣) الداودى : طبقات المفسرين ٢٥٤/١ .

(٤) ابن العماد : شذرات الذهب ٢٨٢/٣.
(٥) السبكى : طبقات الشافعية ٢٧١/٤ ، ٢٨٣ .
(٦) السيوطى : طبقات المفسرين /٧ ، الداودى : طبقات المفسرين ١٠٨/١ .
(٧) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ٢٣١/٥.
(٨) السيوطى : طبقات المفسرين /٢٣ .
(٩) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ٢٣١/٥.

(وكان اماما فى النحو واللغـة والتصريف والتفسير والسير[1]) وكان حنبلى المذهب من تصانيفه (البرهان العميدى) فى التفسير عشرون مجلدا ، (الاكسير فى علم التفسير) خمسة وثلاثون مجلدا) (النكت فى القرآن) وكتابا كبيرا فى شرح (بسم الله الرحمن الرحيم[2]) فكان بحق من أوعية العلم .

١١ — أبو القاسم الحسين بن محمد بن مفضل الراغب الاصبهانى (ت : ٥٠٢ هـ) كان اماما فى العربية والتفسير ، من تصانيفه (تحقيق البيان فى تأويل القرآن) و (تفسير القرآن) و (درة التأويل فى متشابه التنزيل) و (مفردات الفاظ القرآن) و (رسالة فى فوائد القرآن) و (تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين) و (محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء وغير ذلك[3]) .

ترجم الامام السيوطى له فى (البغية) باسم المفضل بن محمد الاصبهانى الراغب : وذكر أنه كان فى أوائل المائة الخامسة ، وقد وقف على ثلاثة من مصنفاته هى (مفردات القرآن) و (أفانين البلاغة) ، (والمحاضرات) وفند شبهة اعتزال الراغب بما نص عليه الفخر الرازى من أنه كان من أئمة السنة[4] .

١٢ — مفسرنا الامام أبو الحسن على ابن أحمد الواحدى : الذى أضاف لعصره ثراء علميا طائلا فى اللغة والنحو والادب ، ثم تربع على قمة المفسرين فنال رتبة (أستاذ عصره فى التفسير) كما ذكر معاصره الحافظ المؤرخ : عبد الغافر الفارسى فى (السياق) وطابقه مؤرخا التفسير الحافظ السيوطى وتلميذه الحافظ الداودى فى (طبقات المفسرين[5])

كان هؤلاء الاعلام رواة حركة التفسير وسدنة كعبته وفرسان حلبته المنافحين عن حمى المذهب السنى فى القرن الخامس ، والذين حفظوا للنص القرآنى حرمته من تأويلات المبتدعة .

على أن حركة التفسير فى هذا القرن لم تعدم الافادة من جهود أهل الفرق الأخرى خارج الاطار السنى ، بل لقد برز مفسرون من هذه الفرق أضافوا جهودا لا يمكن اغفالها أو تجاهلها عند رصد وتقويم الحركة التفسيرية فقد وجد فى القرن الخامس من مفسرى المعتزلة اعلام وكان من أبرزهم :

١ — قاضى القضاه عبد الجبار بن أحمد الهمذانى (٤١٥ هـ) شيخ المعتزلة وعالمهم ، له فى تفسير القرآن وعلومه : (تنزيه القرآن عن المطاعن)، (متشابه القرآن) ، (المحيط) فى التفسير يسمى بالتفسير الكبير ، قيل أنه يقع فى مائة مجلد[6] .

٢ — أبو يوسف عبد السلام بن محمد ابن يوسف القزوينى (٤٨٣ هـ) كان شيخ المعتزلة بعد أستاذه القاضى عبد الجبار نقل

---

(١) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ٥/ ٢٩٠ .

(٢) ياقوت الحموى :معجم الادباء ٥/٢٩٠، السيوطى : طبقات المفسرين /٢٤ ، طبقات الداودى ١/٤٢٢ .

(٣) اسماعيل البغدادى : هدية العارفين ١/٣١١ .

(٤) السيوطى : بغية الوعاة ـ٢/٢٩٧ .

(٥) السيوطى طبقات المفسرين ١٦ ، ابن تيمية : مقدمة أصول التفسير ٣٧ ، عدنان زرزور الحاكم الجشمى /١٤١ .

(٦) انظر معجم الأدباء لياقوت : ٥/ وطبقات المفسرين للسيوطى وطبقات الداودى .

السيوطى عن السمعانى أن أبا يوسف القزوينى جمع (التفسير الكبير الذى لم ير فى التفسير أكبر منه ولا أجمع للفوائد لولا أنه مزجه بكلام المعتزلة ، وبحث فيه معتقده ، وهو فى ثلاثة مائة مجلد ، منها سبعة مجلدات فى الفاتحة !) كما نقل عن ابن النجار انه قال فى أبى يوسف (كان طويل اللسان ولم يكن محققا الا فى التفسير ، فانه لم يسمع فى التفاسير حتى جمع كتابا بلغ خمسمائة مجلد ، حشا فيه العجائب ، حتى رأيت منه مجلدا فى أية واحدة ، وهى قوله تعالى : (واتبعوا ما تتلوا الشياطين[1]) الآية[2] .

٣ ــ الحاكم أبو سعد المحسن بن محمد ابن كرامة الجشمى البيهقى (٤١٣ ــ ٤٩٤ هـ)

كان من أبرز وأشهر رجال المدرسة الجبائية فى الاعتزال بعد القاضى عبد الجبار ، وقد بلغت تصانيفه نيفا وأربعين كتابا ، منها : (التهذيب) فى التفسير ، قال عنه صاحب (كشف الظنون[3]) .

وهو فى مجلدات ، فسره بالقول ، ذكر القراءة أولا ، ثم اللغة ، ثم الاعراب ، ثم المعنى ، ثم الاحكام ، وتوجد منه نسخة فى الجامع الكبير بصنعاء اليمن فى بضعة عشر مجلدا وقد اثبت بعض الباحثين المعاصرين بالدليل أن تفسير الحاكم هو أصل تفسير الكشاف للزمخشرى[4] .

(١) السيوطى : طبقات المفسرين /١٩ ، الداودى المفسرين ٣٠١/١ ــ ٣٠٢ .
(٢) سورة البقرة /١٠٢ .
(٣) حاجى خليفة : كشف الظنون ٥١٧/١ .
(٤) الدكتور عدنان زرزور الحاكم الجشمى ومنهجه فى تفسير القرآن /٩٣ ــ ٩٤ ، ٤٥٩ ــ ٤٦٠ .

٤ ــ أبو مسلم محمد بن على الاصبهانى (٤٥٩ هـ) ترجم له الامام السيوطى فى (طبقات المفسرين) ووصفه بقوله : (.. الاديب المفسر النحوى المعتزلى ، كان عارفا بالتفسير والنحو والادب غاليا فى مذهب الاعتزال ، صنف التفسير فى عشرين مجلدا وهو آخر من حدث فى اصبهان عن أبى بكر بن المقرىء وآخر من حدث عنه : اسماعيل بن على الحمامى الاصبهانى[5] والى جانب مفسرى أهل السنة والمعتزلة كان للشيعة اسهام فى حركة التفسير فى القرن الخامس حيث وجد علماؤهم فى تأويل القرآن وفق اتجاههم المذهبى ضالتهم المنشودة فكان من مفسرى الشيعة فى هذا القرن :

١ ــ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى المتوفى سنة ٤٦١ هـ وكان فقيه الشيعة الامامية ومصنفهم ، وكان مع تشيعه ينتمى الى مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه[6] وله عدة تصانيف منها : (التفسير الكبير) وهو عشرون مجلدا كان فيه غلى الرفض قوى التشيع[7] .

٢ ــ أبو على الفضل بن الحسن الطبرسى المتوفى سنة ٥٤٨ هـ[8] عاش فى القرنين الخامس والسادس وكان من علماء الشيعة الامامية ويعد من تحارير علماء التفسير الشيعى ، له التصانيف العديدة التى منها (مجمع البيان لعلوم القرآن) ، (الوسيط فى

(٥) السيوطى : طبقات المفسرين / ٣٢ .
(٦) السبكى : طبقات الشافعية ١٢٦/٤ .
(٧) السيوطى : طبقات المفسرين /٢٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٨٢/٥ .
(٨) ترجمة القفطى فى أنباه الرواة : ٦/٣ ــ ٧ وورد بحاشيته نقلا عن روضات الجنات ــ ان وفاته كانت فى سنة ٥٤٨ أو سنة ٥٠٢ وعلى اى الرايين . وحيث لم نقف على تاريخ مولده فمن المرجح انه عاش فى القرنين الخامس والسادس الهجريين .

التفسير) أربع مجلدات ، (الوجيز) فى مجلد ، ويعتبر الطبرسى معتدلا فى تشيعه غير مغال فيه ولا متعصب الا لأصول مذهبه وعقائد أصحابه فضلا عن أنه يجمع بين حسن الترتيب وجمال التهذيب ودقة التعليل وقوة الحجة . وكما تمثل الاتجاه الشيعى فى التفسير لدى الطوسى والطبرسى فاننا نجد فى القرن الخامس أيضا الاتجاه الصوفى الاشارى للتفسير ، وهو اتجاه يرمى الى تأويل النصوص القرآنية على غير ما يظهر منها ، وذلك بمقتضى اشارات خفية تظهر لارباب السلوك الصوفى مع امكانية الجمع بينها وبين الظواهر المرادة .

وقد وجد فى القرن الخامس قطبان لهذا الاتجاه التفسيرى .

أما أولهما فهو الشيخ الامام أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين الأزدى السلمى النيسابورى (٣٣٠ - ٤١٢ هـ) . كان شيخ الصوفية وعالمهم بخراسان ، ترجم له الحافظ عبد الغافر فى السياق قائلا (شيخ الطريقة فى وقته ، المدقق فى جميع علوم الحقائق ومعرفة طريق التصوف وصاحب التصانيف المشهورة العجيبة فى علم القوم ، وقد ورث التصوف عن أبيه وجده وجمع من الكتب ما لم يسبق الى ترتيبه حتى بلغ فهرست تصانيفه المائة وأكثر[١]) .

وقد صنف أبو عبد الرحمن السلمى فى التفسير مصنفه الشهير (حقائق التفسير) الذى أقام الدنيا وأقعدها حتى كان لمفسرنا الواحدى فيه رأى خطير نعرض له بالتفصيل عند تناول موقف الواحدى من التفسير الصوفى فى موضعه من البحث ان شاء الله تعالى .

وأما ثانيهما فهو الامام زين الاسلام أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيرى النيسابورى (ت : ٤٦٥ هـ) .

قال فيه الحافظ عبد الغافر : (الامام مطلقا ، الفقيه المتكلم ، الأصولى ، المفسر ، الاديب النحوى ، الكاتب الشاعر ، لسان عصره وسيد وقته وسر الله بين خلقه[٢]) .

وقال فيه السبكى : (أجمع أهل عصره على أنه سيد زمانه وقدوة وقته ، وبركة المسلمين فى هذا العصر) .

وللامام القشيرى مصنفات عديدة فى علوم الشريعة والحقيقة منها (الرسالة القشيرية) و (المعراج) و (ناسخ الحديث ومنسوخه) و (الفصول) فى الأصول .

وأما فى ميدان التفسير : فقد سلك الامام القشيرى مسلك أهل الظاهر فى تفسيره الكبير (التيسير فى التفسير) وقد قال عنه السبكى (وهو من أجود التفاسير وأوضحها[٣]) وأطلق عليه (التفسير الكبير) وهو يسير فيه على النمط التقليدى مع غزارة فى المادة وجودة فى الأسلوب ويمكن به عده من كبار مفسرى أهل

---

(١) السبكى طبقات الشافعية ١٤٣/٤ - ١٤٤ الداودى طبقات المفسرين ١٣٧/٢ .

(٢) نفس المرجع : ١٥٤/٥ .
(٣) نفس المرجع : ١٥٩/٥ .

السنة • وكذلك فعل صاحب (مفتاح السعادة[1]) وغيره •

وأما التفسير الصوفى للامام القشيرى فهو (لطائف الاشارات) وهو كما يتضح من تسمته يعتمد فى منهجه على الاشارة لا العبارة: وعلى استنباط خفايا الألفاظ دون التوقف عند حدود ظواهرها المألوفة ومعانيها القاموسية[2] ونجد الامام القشيرى فى هذا التفسير حريصا كل الحرص على ألا تخرج اشاراته عن دائرة مدلول النص القرآنى بلا شطط أو اعتساف • كما نجد من لطائفه أنه يفسر البسملة فى مفتتح كل سورة تفسيرا جديدا بكرا غير مكرر ولامعاد كما انه تتبع فى تفسيره كل الآيات الانذرا يسيرا ــ فكان بحق اضافة جديدة ثرية حافلة بالكشف الذوقى لخفايا معانى التنزيل • وقد انتهى مصنفه من تأليفه سنة ٤٣٤ هـ ونشر حديثا فى ست مجلدات[3] •

ثم نجد فى القرن الخامس أنواعا أخرى من الدراسات التفسيرية للقرآن الكريم ، فمنها : تفاسير الاحكام ، وقد صنف فيها فى هذا العصر :

١ ــ الحافظ أبو بكر احمد بن الحسين البيهقى الشافعى (ت : ٤٥٨ هـ) ، له كتاب (أحكام القرآن للشافعى) ، ذكره السبكى وصاحب (كشف الظنون[4]) ، وقد ذكر فيه نصوص الامام الشافعى رضى الله عنه مفسرا بها آيات الاحكام على مذهبه •

٢ ــأبو الحسن على بن محمد الطبرى المعروف بالكيا الهراسى (٤٥٠ ــ ٥٠٤ هـ) أحد فحول العلماء والائمة فى القرن الخامس قال السبكى فى ترجمته (وتفقه على امام الحرمين وهو أجل تلامذته بعد الغزالى[5] ومن تصانيفه : (أحكام القرآن) وهو على المذهب الشافعى أيضا •

٣ ــ أبو محمد مكى بن أبى طالب القيسى المالكى (٤٣٧ هـ) وقد أسلفت فى ترجمته أن من بين تصانيفه فى التفسير (المأثور عن مالك فى أحكام القرآن وتفسيره) ويقع فى عشرة أجزاء • وقد أورد له صاحب (كشف الظنون) كتابا آخر بعنوان (مختصر أحكام القرآن[6]) وهو على المذهب المالكى •

حركة التصنيف فى علوم القرآن :

واذا ما أنتقلنا الى ميدان الدراسات القرآنية والمؤلفات المتعلقة بعلوم القرآن فى عصر الواحدى ــ القرن الخامس ــ ألفينا العديد من العلماء يولون هذا الجانب اهتماما كبيرا ، ويخلفون بدائع المصنفات التى تناولت علوم التنزيل من زواياه المتعددة •

ففى علم (اعجاز القرآن) برزت شخصية الامام عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى (ت : ٤٧١ هـ) الذى تناول فكرة الاعجاز البلاغى وأقام لها (نظرية النظم) التى احتلت فى ميدان البحث البلاغى القرآنى مكانة سامقة • وقد صنف عبد القاهر فى الاعجاز :

---

(١) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ١٠٧/٢ .

(٢) د. ابراهيم بسيونى : مقدمة تفسير (لطائف الاشارات) للقشيرى ٣٤/١ .

(٣) نشر كتاب (لطائف الاشارات) بتحقيق ودراسة د. ابراهيم بسيونى (١٣٩٠ هـ ١٩٧١ م) الهيئة المصرية .

(٤) السبكى : طبقات الشافعية ٩/٤ ، حاجى خليفة : كشف الظنون ٢٠/١ .

(٥) السبكى : طبقات الشافعية ٢٣١/٧ .

(٦) حاجى خليفة : كشف الظنون ٢٠/١ .

شرحين على كتاب (اعجاز القـرآن) لأبى عبد الله محمد بن زيد الواسطى المتوفى سنة ٣٠٦ هـ وسمى أكبرهما (المعتضـد) والآخر شرح الاعجاز الصغير[١] ، وصنف (دلائل الاعجاز) الذى أثبت فيه فكرته عن الاعجاز بالنظم • وقد ورد هذا المصنف فى كتب التراجم باسم (اعجاز القرآن[٢]) وقد ذكره القفطى فى ترجمة عبد القـاهر قائلا : (وله « اعجاز القرآن » دل على معرفته بأصـول البلاغات ومجاز الايجاز[٣]) ومن تصانيفه فى الاعجاز أيضا (الرسالة الشافية[٤]) •

وممن أفرد الاعجاز بالتصنيف فى هذا العصر أيضا : أبو المعالى عزيزى بن عبد الملك المعروف بشيذلة المتوفى سنة ٤٩٤هـ له كتاب (البرهان فى مشكلات القرآن) وقد نص عليه الزركشى فى بابه[٥] • وفى علم غريب القرآن : نجد فى هذا العصر واحدا من أحسن مصنفات هذا الفن وهو كتاب (المفردات) فى غريب القرآن : للراغب الاصفهانى (ت: ٥٠٢هـ) ذكره الزركشى من بين أترابه فى معرفة غريب القرآن قائلا (ومن أحسنها كتاب المفردات للراغب[٦])

وفى علم أسباب النزول : يتربع مصنف الواحدى (أسباب نزول القرآن) على القمة فى بابه •

وفى علم (معرفة ناسخ القرآن ومنسوخه) صنف هبة الله بن سلامه البغدادى (ت : ٤١٠هـ) كتاب (الناسخ والمنسوخ[٧]) وممن صنف فيه أيضا فى هذا العصر : الامام الفقيه الأصولى المتكلم : أبو منصـور عبد القاهر بن طاهر البغدادى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ صاحب كتاب (الفرق بين الفرق) و (تفسير القرآن) ، والمصنفات العديدة • وقد صنف فى النسـخ كتاب : (ناسخ القرآن ومنسوخه[٨]) ولمـكى ابن أبى طالب مصنفان فى النسخ : (الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه) ثلاث مجلدات • و (الايجاز فى ناسخ القرآن ومنسوخه[٩]) ، ومن المجالات التى تطرق اليها البحث القرآنى فى عصر الواحدى أيضا : دراسة علم المتشابه فكان من فرسان هذا الميدان :

١ ـ أبو عبد الله محمـد بن عبد الله الخطيب الاسكافى (ت : ٤٣١ هـ) صنف كتاب (درة التنزيل وغرة التأويل[١٠]) وقد ذكر بمقدمته أنه صنف كتابا عن الحروف المقطعة التى فى أوائل السور ، أجاب فيه على أكثر من مائة سؤال حول هذه الحروف[١١] •

٢ ـ الراغب الاصفهانى (٥٠٢ هـ) صنف كتاب (درة التأويل فى متشابه التنزيل) ويبدو أنه أفاد فيه من مصنف الخطيب الاسكافى

---

(١) حاجى خليفة : كشف الظنون ١/ ١٢٠ ، اسماعيل البغدادى : هدية العارفين ١/ ٦٠٦ .

(٢) يرجح الدكتور احمد بدوى فى كتـابه (عبد القـاهر الجرجانى) ص ٦٥ ان كتـابه (دلائل الاعجاز) هو المسمى (اعجاز القرآن) .

(٣) القفطى : انباه الرواه : ٢/ ١٨٨ ـ ١٨٩

(٤) نشرت (الرسالة الشافية) حديثا عن دار المعارف مع رسالتين فى الاعجـاز للرمانى والخطـابى بتحقيق محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام .

(٥) الزركشى : البرهان فى علوم القرآن ٢/ ٩٠ ، حاجى خليفة : كشف الظنون ١/ ٢٤١ .

(٦) الزركشى : البرهان فى علوم القرآن ١/ ٢٩١ .

(٧) طبـع كتـاب الناسخ والمنسـوخ) لهبة الله بن سلامة : بمصر بمطبعة هندية سـنة ١٣١٥ هـ .

(٨) السبكى : طبقات الشافعية : ٥/ ١٣٦، اسماعيل البغدادى : هدية العارفين ١/ ٦٠٦ .

(٩) الزركشى : البرهان ٢/ ٢٩ .

(١٠) طبـع (درة التنزيل وغرة التـأويل) للاسكافى بمصر ونشره الخانجى (عام ١٣٢٧ هـ ١٩٠٩م) .

(١١) الخطيب الاسكافى درة التنزيل (ص٤) .

السابق[1] وقد أفاد من المصنفين معا الامام فخر الدين الرازى (ت : ٦٠٦ هـ) فصنف كتابه الموسوم (درة التنزيل وغرة التأويل) وهو غير مصنف الاسكافى وان اشتركا فى التسمية[2] .

٣ ــ أبو القاسم محمود بن حمزة الكرمانى المتوفى بعد سنة ٥٠٠ هـ وكان يعرف بتاج القراء صنف (البرهان فى توجيه متشابه القرآن بما فيه من الحجة والبيان) ذكر فيه الآيات المتشابهات التى تكررت فيه وسببها وفائدتها وحكمتها وقد نص عليه الزركشى فى البرهان[3] وفى (معرفة الوجوه والنظائر) صنف أبو عبدالله محمد بن على الدمغانى (ت : ٤٧٨ هـ) وأبو على الحسن بن البناء المقرى الحنبلى المتوفى سنة ٤٧١ هـ وقد نص الزركشى على الدمغانى ونص صاحب كشف الظنون على الاثنين معا[4] وفى بيان شرف علوم القرآن : صنف أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابورى (٤٠٦ هـ) كتاب (التنبيه على فضل علوم القرآن) نقل عنه الزركشى فى البرهان[5] وفى مضمار الدراسات البلاغية للقرآن الكريم نجد فى هذا القرن أيضا : تصنيف الاديب عبد الله ــ وقيل عبد الباقى ــ بن محمد بن ناقيا البغدادى المتوفى سنة ٤٨٥ هـ فى تشبيهات القرآن الكريم وهو كتاب (الجمان فى تشبيهات القرآن[6]) ومن المصنفات التى أفاد منها الواحدى فى علوم القرآن واشتهرت فى عصره كتاب (الكامل) فى علم القرآن لاستاذه فى التفسير أبى اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم (ت : ٤٢٧ هـ[7]) .

حركة التصنيف فى القراءات :

وفى ميدان علم القراءات فى القرن الخامس أيضا : علماء مبرزين ومصنفين محققين ، وكان من أبرز قراء هذا العصر :

١ ــ أبو الحسن على بن أحمد الحمامى المتوفى سنة ٤١٧ هـ أخذ عن أبى بكر النقاش وغيره وأخذ عنه البيهقى والخطيب وقال عنه الخطيب (كان صدوقا دينا فاضلا تفرد بأسانيد القرآن وعلوها[8]) عده الذهبى رأس قراء العصر[9] .

٢ ــ أبو عمر أحمد بن محمد الطلمنكى المعافرى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ : صنف كتاب (الروضة) فى القراءات وكان أول من أدخل علم القراءات الى الأندلس[10] .

٣ ــ أبو الحسن على بن محمد القهندزى النيسابورى ، من أصحاب الحاكم وامام فى النحو والقراءات ، صنف شرح كتاب (الغاية) لابن مهران فى القراءات وقرأه الواحدى عليه وذكر ذلك فى ترجمته له بمقدمة تفسيره قائلا (وخصنى بكتابه الكبير فى علل القراءات المرتبة

---

(١) انظر كشف الظنون ١/٧٣٩ .
(٢) نفس المرجع والصحيفة .
(٣) نفس المرجع ١/٢٤١ ، الزركشى البرهان ١/١١٢ (نشر كتاب البرهان حديثا بعنوان أسرار التكرار فى القرآن بتحقيق عبد القادر عطا عن دار الاعتصام) .
(٤) نفس المرجع ٢/٢٠٠١ ، الزركشى البرهان ١/١٠٢ .
(٥) الزركشى البرهان ١/١٩٢ .
(٦) الداودى :طبقات المفسرين ١/٣٣٠ ــ ٣٣١ .
(٧) الواحدى : مخطوط تفسير البسيط ١/٨ .
(٨) ابن الجزرى : طبقات القراء ١/٥٢١ ــ ٥٢٢ .
(٩) الذهبى تذكرة الحفاظ ٣/١٠٧٣ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء /٤٤٨ .
(١٠) طبقات ابن الجزرى ١/١٢٠

فى كتاب الغاية لابن مهران رحمه اله[1]) .

٤ ــ أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى المتوفى سنة ٤٤٤ هـ . كان كما ذكره ابن الجزرى (أستاذ الأستاذين ، وشيخ مشايخ المقرئين[٢]) من تصانيفه فى القراءات (جامع البيان) فيما رواه فى القراءات السبع ، و (التيسير) و (ايجاد البيان) فى قراءة ورش والمحتوى) فى القراءات الشواذ : و (طبقات القراء) فى أربعة أسفار و (مذاهب القراء فى الهمزتين) مجلد و (التمهيد) لاختلاف قراءات نافع ، وغير ذلك من المصنفات الفريدة[٣] .

٥ ــ أبو القاسم يوسف بن على بن جباره الهذلى المتوفى سنة ٤٦٥ هـ كان اماما كبيرا فى هذا العلم قال ابن الجزرى فى ترجمته (وطاف البلاد فى طلب القراءات فلا أعلم أحدا فى هذه الأمة رحل فى القراءات رحلته ولاقى من لقى من الشيوخ ، قال فى كتابه الكامل ، فجملة من لقيت فى هذا العلم ثلاثمائة وخمسة وستون شيخا : وصنف الهذلى كتابه الأشهر (الكامل) فى القراءات الذى يعد من المصادر الرئيسية فى القراءات ، اذ يشتمل على خمسين قراءة جمعها عن الأئمة من ألف وأربعمائة وتسعة وخمسين رواية وطريقا[٤] ومما هو جدير بالذكر أن أبا القاسم الهذلى قد أخذ القراءة عن مفسرنا أبى الحسن الواحدى كما نص على

(١) الواحدى : مخطوط تفسير البسيط ١/٧ ، وانظر تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين ص ١٦٦ .
(٢) ابن الجزرى : طبقات القراء ١/٥٠٣ .
(٣) ابن الجزرى : طبقات القراء ١/٥٠٥ .
(٤) ابن الجزرى طبقات القراء ٣/٣٩٨ ، وانظر كشف الظنون ٢/١٢٨١ .

ذلك ابن الجزرى حيث قال فى ترجمة الواحدى (روى القراءة عن على بن أحمد البستى ، وأحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى روى القراءة عنه أبى القاسم الهذلى[٥] .

تأثر الواحدى بالحركة العلمية فى عصره :

من المؤكد والبديهى أن الواحدى لم يبدأ حياته العلمية من فراغ ، ولم ينفصل عن عصره بل عاش عصره العلمى مستغرقا فى خضمه ، متأثرا به ، ومؤثرا فيه .

فقد تسلم الواحدى مفاتيح علمه من شيوخه الذين كانوا من وراء الحركة العلمية فى عصره ، واستوعب مناهجهم العلمية التى تخير منها ــ أو فى ضوئها ، منهجه العلمى المنفرد به ، كذلك انعكست آثار عصره العلمية فى انتاجه عامة ، وفى التفسير بوجه خاص .

فنجد آثار الازدهار اللغوى والنحوى الذى امتاز به عصره : يمثل طابعا مميزا فى انتاجه الأدبى (مثل شرحه لديوان المتنبى) وفى انتاجه التفسيرى وخاصة (تفسير البسيط) وقد كان هذا الطابع شائعا فى عصره لدى المفسرين من أمثال (مكى بن أبى طالب) صاحب اعراب القرآن ، و (أبى الحسن الحوفى) صاحب (اعراب القرآن) أيضا كما تأثر بثراء عصره بالقراء ومصنفات علم القراءات فنجده يعنى فى تفسيره بالاحتجاج لأوجه القراءات مستعينا بثقافته النحوية الغزيرة على نحو ما سنراه فى تطبيق منهجه ، كذلك تأثر بازدهار علم الكلام فى عصره الذى حفل بالعديد من أساطين الفرق المختلفة والتى صنف فيها أحد شيوخه وهو أبو منصور

(٥) ابن الجزرى طبقات القراء ١/٥٢٣ .

البغدادى كتاب (الفرق بين الفرق) فنجد الواحدى يتصدى فى تفاسيره لرؤوس أهل البدع من المعتزلة وغيرهم فيعمل معاوله الجدلية فى آرائهم الفاسدة وينازلهم فى حدة وتعصب لمذهبه السنى وقد يتساءل الكثيرون عن دوافع هذا التعصب وتلك الحدة فى مناقشته لمعارضيه من أهل الفرق المختلفة ، ولا يتسنى الجواب الا بالتعرف على نوعية الصراع المذهبى فى عصره واضطراب الحالة الدينية فى بيئته التى حظى فيها المعتزلة والشيعة بمؤازرة سلطان الحكم البويهى وتمكينه السياسى لهم فى أرجاء المنطقة ، وقد مرت بنا فتنة (نيسابور) التى عانى منها أهل السنة وهاجر الكثير منهم الى مكة وغيرها، فلم يبق للواحدى الا القلم ليدافع به عن عقيدته ومذهبه ليرد سهام المبتدعة الى نحورهم ، فكان فى منهجه الكلامى فى تصانيفه متأثرا بالحركة العقلية والدينية فى عصره .

ثم نلمح أثر غزارة الانتاج العلمى فى عصره فى تنويعه فى تصانيفه فى التفسير فلم يكتف بمصنف واحد بل تعددت وتنوعت تصانيفه لتلائم روح العصر ومستوياته العلمية .

كذلك كان ثراء عصر الواحدى بالمحدثين والمسندين والحفاظ حافزا له على الارتحال للتلقى منهم والرواية عنهم مما أدى الى ثراء محصلته فى الحديث الشريف واتساع دائرة شيوخه من حفاظ العصر ومحدثيه الأمر الذى مكنه من التصنيف فى علم (أسباب النزول) الذى روى فيه عن أكثر من مائة وخمسين شيخا من كبار المحدثين كالحافظ أبى نعيم وأبى طاهر الزيادى وأبى حسان المزكى وغيرهم .

وورث الواحدى عن شيوخه الدأب والتحرى فى البحث فى غير ملالة فنجده يسبر أغوار المسائل التى يسبرها فى مسائل اللغة ومشكلات النحو بعمق بالغ حتى يخاله القراء قد تجاوز أطراف الموضوع وغاص فى أعماقه ، وذلك من أثر طول الصحبة لشيوخه الذين كان يقضى فى ملازمة أحدهم سحابة نهاره كاملة فى معالجة أدق المشكلات والمسائل كما ورد فى ترجمته لنفسه ولشيوخه كما نجد أثر تفاعل الواحدى مع الحركة الأدبية فى عصره جليا فى أسلوبه القوى الجزل الرصين وفى حسن أداء عبارته فى تفسيره للمعنى الذى يعتمل فىذهنه، فاكتسب فى ثقافته الأدبية اشراق العبارة وجمال التعبير وعذوبة البيان كما اكتسب من اتساع أفقه العلمى وعمق نظرته الموضوعية قوة الحجة واصابة المرمى وتدقيق العبارة فجرى ماء الأدب فى أسلوبه العلمى وتدفق سيل معرفته فى أسلوبه الأدبى . أما أثر الواحدى فى الحركة العلمية فى عصره فيتمثل فى تلاميذه الذين سنتحدث عنهم بعد ، وفى مصنفاته التى سنذكرها وفى منهجه العلمى فى التفسير الذى سنعرض له بالتفصيل ان شاء الله .

الفصل الثانى
حياة الواحدى

أولا : بيئتـه التى نبت منهـا :

لمؤثرات البيئة دور خطير فى حياة العلماء تنطبع آثاره فى شخصياتهم ، وتنعكس الى حد ما على سلوكهم واتجاهاتهم العلمية وفقـا لمدى قابلية الشخصية العلمية للتفاعل مـع البيئة واستجابتها للظروف البيئية التى تدخـل فى مكونات النشأة والسلوك • ثم تمتد جذورها فى الأعماق النفسية لتدخل فى بناء الشـخصية واتجاهاتها السـلوكية والعمليـة • وعالمنـا (الواحدى) قد نبت فى أرض المشرق الاسلامى (باقليم خراسان) حيث أجمعت المصـادر المترجمة له على أن أصله من (ساوة) ومولده ووفاته بـ (نيسابور)[1] فما هى صـورة وخصائص تلك البيئة التى أنجبت الواحدى ، ورأى النور الأول مرة تحت سمائها ، ودرج أولى خطاه على بساطها ومهادها ، ونشـأ فى جنباتها وبين ربوعها ، وتفتحت موهبته العلمية فى أحضانها ، وقضى حياته فى أرجائها ، ثم كان مثواه الأخير فى ثراها ؟؟ لنبدأ بالتعرف على الاطار الواسع لهذه البيئة : (خراسان) ثم نعرج على منبت أصله ومحتده (ساوه) ثم على بلده وموطنه (نيسابور) •

خراســان :

تعنى كلمة (خراسان) فى اللغة الفارسية القديمة : (البلاد الشرقية)[2] • وقد أطلق هذا الاسم على البلاد الاسلامية الواقعـة شرق المفازة الكبرى حتى جبال الهند • وفى وصف حدود هذه المنطقة يقول ياقــوت : « أول حدودها مما يلى العراق : أزاذوار ، قصبة جوين ، وبيهق ، وآخر حدودها مما يلى الهند : طخارستان ، وغزنة ، وسجستان ، وكرمان • وليس ذلك منها انما هو أطـراف حدودها »[3] وقد دخل اقليم خراسان ضمن المملكة الاسلامية فى عهد أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه على يد الأحنف ابن قيس سنة ثمانى عشرة • ثم انقضت هذه البلاد وأعيد فتحها فى عهد سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه[4] •

وكان اقليم (خراسان) ينقســم الى أربعة أرباع ، ينسب كل ربع منها الى احــدى مدنه الكبرى التى تتاوبت عاصــمية الاقليم كله فى أوقات مختلفة • وهذه العواصم الأربع هى (نيسابور) و (مرو) و (هراة) و (بلخ)•

---

(١) انظر معجم الأدباء لياقوت ٩٧/٥،سير اعلام النبلاء للذهبى : مخطوط بدار الكتب مجلد ١٥ رقم ١٢١٩٥ ج •

(٢) كى لسترونج : بلدان الخلافة الشرقية: ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ص ٤٢٣ •

(٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان (٧٧) نشر فستنفلد فى ست مجلدات ط : ليبزج ٤٠٩/٢•

(٤) نفس المرجع ٤١١/٢ •

وقد ضم الاقليم العديد من المدن الشهيرة مثل طوس وبست ، وسرخس ، ونسا ، وأبيورد ، وبوشنج ، وسجستان وغيرها .

وكان المقدسى يطلق على اقليم خراسان وبلاد ما وراء النهر : (اقليم المشرق) وقد ارتحل الى هذا الاقليم فى عهد الدولة السامانية (٢٦١ — ٣٨٩ هـ) ووصفه وصفا دقيقا يكشف عن كثير من خصائص هذه المنطقة ، ويصور حالتها التى كانت عليها فى عصره . يقول المقدسى فى وصف هذا الاقليم :

« انه أجل الأقاليم ، وأكثرها أجلة وعلماء ، وهو معدن الخير ، مستقر العلم ، وركن الاسلام المحكم ، وحصنه الأعظم ، ملكه خير الملوك ، وجنده خير الجنود ، فيه يبلغ الفقهاء درجة الملوك وقد قال (سيدنا) محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم)[1] لدعاته : عليكم بخراسان فان هناك العدد الكثير ، والجلد الظاهر ، وهناك صدور سليمة، وقلوب فارغة لم تتقسمها الأهواء ، ولم تتوزعها النحل ، ولم يقدح فيها فساد ، وهم جند لهم أبدان وأجسام ، ومناكب وكواهل ، وهامات ولحى وشوارب ، وأصوات هائلة ، ولغات فخمة « وأهل خراسان أشد الناس تفقها ، وبالحق تمسكا ، وهم بالخير والشر أعلم ، والى اقليم العرب ورسومهم أقرب ، واقليمهم أكثر أجلة وعقلاء مع العلم الكثير والحفظ العجيب ، والمال المديد ، والرأى الرشيد ، به مرو : التى قامت بها الدنيا ، وبلخ : واليها المنتهى ، ونيسابور : فلا تنسى . وهو أكثر الأقاليم علما وفقها ، وبه يهود كثيرة ، ونصارى قليلة ، وأولاد على رضى الله عنه فيه على غاية الرفعة، ولا ترى به هاشميا الا غريبا ، ومذاهبهم مستقيمة غير أن الخوارج بسجستان ونواحى هراة كثيرة .

وللمعتزلة بنيسابور ظهور بلا غلبة ، وللشيعة والكرامية بها جلبة والغلبة فى الاقليم لأصحاب أبى حنيفة الا فى كورة الشاش وطوس ونسا وابيورد فانهم شافعية ، ولهم جلبة بهراة وسجستان وبسرخس ، ورسومهم تخالف رسوم أقاليم العرب فى أكثر الأشياء : فللمؤذنين سرير قدام المنبر يؤذنون عليه بتطريب وألحان ، ويذكرون بلا دفاتر .

وبنيسابور رسوم حسنة . منها مجالس المظالم فى كل يوم أحد وأربعاء بحضرة صاحب الجيش أو وزيره ، فكل من رفع قضية قدم اليه فأنصفه ، وحوله القاضى والرئيس ، والعلماء والاشراف ، ومجلس الحكم كل اثنين وخميس فى مسجد (رجاء) لا ترى فى الاسلام مثله . وألسنتهم مختلفة أما لسان (نيسابور) : ففصيح مفهوم غير أنهم يكسرون أوائل الكلم، وفيه رخاوة ، وأهل (طوس) و (نسا) أحسن لسانا ، وفى كلام (سجستان) : تحامل وخصومة ، يخرجونه من صدورهم ويجهرون فيه ، ولسان (بست) أحسن ، ولسان (هراة) حسن ، تراهم يتكلفون ويتحاملون ولسان (بلخ) أحسن الألسن الا أن لهم فيه كلمات تستقبح ..

وبهذا الاقليم عصبيات بين الشيعة والكرامية ، وبين الشافعية والحنفية ، وقد يهراق فى هذه العصبيات الدماء ويدخل بينهم السلطان .. » أهـ[2] .

---

(١) لم يذكر المقدسى لفظ السيادة،ولم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم مع ذكر اسمه الشريف فأضفت ذلك بين الاقوال وفاء بحق ذكر اسمه الشريف .

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم : ٢٨٤ — ٢٨٥ .

لقد أعطى المقدسى صورة دقيقة واضحة الملامح عن اقليم خراسان تستوضح من خلالها غناء هذه المنطقة بالعلم والعلماء وازدهارها بالأساطين الاجلاء من الفقهاء والحكماء والأدباء كما تستوضح من خلال هذا التصوير ان أهل هذا الاقليم هم أقرب الناس الى العرب فى طباعهم وصفاتهم الا من بعض العادات والتقاليد الشكلية التى ذكر المقدسى طرفا منها والتى لا تناقض قوله انهم (الى اقليم العرب ورسومهم أقرب) •

كما نتبين شيوع التشيع والاعتزال فى هذا الاقليم فى العهد السامانى ، وقيام العصبيات المذهبية بين الشيعة والكرامية وبين الشافعية والحنفية وانقسام الاقليم جغرافيا الى مناطق مذهبية يتعصب أهل كل منطقة لمذهبهم وتشتعل الخصومات والمنازعات التى تستدعى تدخل السلطان • هذه رؤية عامة للاقليم ككل نقترب منها لرؤية البيئة الخاصة للواحدى التى نتعرف من خلالها — ما أمكننا على خاصة نفسه بعد اطلالة عابرة على موئل أصوله •

ساوة :

استهل ياقوت ترجمته للواحدى فى (معجم الأدباء) بعد اسمه مباشرة بقوله : « أصلهم من ساوة ، وهم أولاد التجار »[1] وتبعه السبكى أيضا فى مفتتح ترجمة الواحدى بطبقاته قائلا : (•• الامام الكبير أبو الحسن: من أولاد التجار • أصله من ساوة)[2] كذلك حذا صاحب النجوم الزاهرة حذو ياقوت والسبكى فقال فى ترجمة الواحدى (كان من أولاد التجار من ساوة)[3] فماذا عن ساوة التى أنجبت أصل الواحدى ؟

يقول ياقوت فى وصف هذه البلدة :

(مدينة حسنة بين الرى وهمذان فى وسط بينها وبين كل واحد من همذان والرى ثلاثون فرسخا ، وبقربها مدينة يقال لها آوة •فساوة: سنية شافعية ، وآوة : شيعية امامية وبينهما نحو فرسخين ، ولا يزال يقع بينهما عصبية ، وما زالتا معمورتين الى سنة ٦١٧ هـ فجاءها التتر ، الكفار فخبرت بأنهم خربوها وقتلوا كل من فيها ، ولم يتركوا أحدا البتة ، وكان بها دار كتب لم يكن فى الدنيا أعظم منها ، بلغنى أنهم حرقوها)[4] •

ونقف أمام وصف ياقوت لمدينة ساوة لنجد روابط دقيقة ، وأواصر وطيدة تشد الواحدى الى بيئته • بل الى بيئة أصوله ولنضع أيدينا على المؤثرات التى أشرت اليها خلال الحديث عن دور البيئة وأثرها :

مدينتان متجاورتان فى اقليم واحد وبينهما فرسخان احداهما سنية شافعية والثانية شيعية امامية وبينهما صراع مذهبى ودائم • ينتمى أصل الواحدى الى المدينة السنية الشافعية فيأتى الواحدى سنيا شافعيا شديد التعصب لسنيته وشافعيته • أليست هذه آية على أثر البيئة فى توجيه مسار الشخصية العلمية وتأثيرها فى اتجاهها الفكرى والعقائدى؟

لقد اعتنقت أسرة الواحدى (آباؤه) الذين كانوا يعملون بالتجارة المذهب السائد

---

(١) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ٩٧/٥ .
(٢) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى : ٢٤٠/٥ .
(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٠٤/٥ .
(٤) ياقوت الحموى: معجم البلدان ٢١/٥ .

فى موطنهم السنى الشافعى فسلك الواحدى نفس الاتجاه وكان من كبار أنصار المذهب الاشعرى وواحدا من فرسان حلبته .

ثم لا نغفل عن أثر هذا الثراء العلمى الذى حظيت به (ساوة) فى تنشئة الواحدى عالما . لقد كانت تقل دار كتب وصفت بأنها لم يكن فى الدنيا أعظم منها ، كيف يرى والد الواحدى هذه المكتبة بناظريه فى غدوه ورواحه ولا تحدثه نفسه فى اصرار أن يكون له ولد فقيه عالم ينهم من معينها الزاخر ويحمل شرف الانتساب لطائفة العلم الذى لا يعادله شرف ؟ وكيف يرى والد الواحدى طوائف العلماء المنتسبين الى ساوه تلمع اسماؤهم فى سماء المجد ولا ينتمى أن يكون من بينهم واحدا من صلبه ؟

لقد ذكر ياقوت فى معجمه طائفة من مشاهير العلماء المنتسبين الى ساوة . فكان منهم أبو يعقوب : يوسف بن اسماعيل الساوى المتوفى سنة ٣٤٦ هـ .. أخذ عنه ابو عبد الله الحاكم ومنهم أبو طاهر عبد الرحمن بن أحمد ابن علك الساوى الحافظ المتوفى سنة ٤٨٤ هـ وذكر صاحب الشذرات انه كان امام أهل الحديث بسمرقند فى زمانه[١] وذكر ياقوت أنه كان أحد أئمة الشافعية ومنهم عبد الله بن محمد بن عبد الجليل الساوجى الملقب بشيخ الشيوخ . قال عنه ابن الصلاح : (كان خيرا كثير المعروف ، يعرف بشيخ الشيوخ[٢]) .

ومن العلماء المنتسبين الى ساوة الذين ترجم لهم السبكى فى طبقاته : ابو على الحسن ابن محمد الساوى المتوفى سنة ٤٨٨ هـ كان فقيها متكلما على المذهب الاشعرى . روى عنه نصر المقدسى وهو من أقرانه[٣] ومدينة (ساوة) قبل ذلك لها تاريخ عريق وذكر شهير فيها كانت تقع بحيرة (ساوة) الشهيرة التى غاض ماؤها يوم ولادة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حيث كان حواليها بيع وكنائس وفى ذلك يقول الامام البوصيرى رضى الله عنه :

وساء ساوة أن غاضت بحيرتها
ورد واردها بالغيظ حين ظمى[٤]

وقد ذكر (ساوة) أبو عبد الله محمد بن خليفة السبنسى شاعر سيف الدولة ابن مزيد فقال :

ألا يا حمام الدوح دوح بخارة
أفق عن أذى النجوى فقد هجت لى ذكرا

علام يبديك الحنين ولم تضع
فراخا ولم تفقد على بعد وكرا

ودوحك ميال الفروع كأنما
يقل على اعواده خيما خضرا

ولم تدر ما اعلام مرو وساوة
ولم تمس فى جيحون تلتمس العبرا[٥]

وكان أهل ساوة يجلون العلماء ايما اجلال ويحتفون بهم اعظم احتفاء . فقد وصف السبكى فى طبقاته صورة استقبال أهل ساوة لشيخ الاسلام ابى اسحق الشيرازى حين مر

---

(١) ابن العماد : شذرات الذهب ٣٧٢/٣ وانظر ترجمته بطبقات الشافعية للسبكى ١٠١/٥ .
(٢) السبكى : طبقات الشافعية ١٩/٥ ، ٢٠ وتعليق المحقق بالهامش .
(٣) السبكى : طبقات الشافعية ٣٣٢/٤ .
(٤) الامام البوصيرى : بردة المديح وحاشيتها للامام ابراهيم الباجورى ص ٤٢ ط مصطفى الحلبى سنة ١٣٧٠ .
(٥) ياقوت الحموى : معجم البلدان ٢١/٥ ، ٢٢ .

بها فى طريقه الى الخليفة المقتدى بالله الذى دعاه ليشكو اليه من العميد ابى الفتح بن أبى الليث • وكان مع شيخ الاسلام فى هذه الرحلة فخر الاسلام الشاشى والحسين بن على الطبرى وأبو الحسن الآمدى وغيرهم من أجلة العلماء• قال السبكى (وخرج اليه صوفيات البلد وما فيهن الا من معها سبحة وألقين الجميع الى المحفة ، وكان قصدهن أن يلمسها فتحصل لهن البركة ، فجعل يمرها على يديه وجسده ويتبرك بهن ، ويقصد فى حقهن ما قصدن فى حقه ، وكان هذا الحال بساوة من بلاد العجم[1])•

نيسابور[2] :

وأما نيسابور (موطن الواحدى) فانها تعد اهم مدن خراسان ، ومن أشهرمدن الاسلام على الاطلاق احتفاء بالعلم وتخريجا للعلماء •

قال ياقوت فى وصفها « وهى مدينة عظيمة ، ذات فضائل جسيمة ، معدن الفضلاء، ومنبت العلماء » ثم قال : (لم أر فيما طوفت من البلاد مدينة مثلها[3]) !! دخلت الاسلام كما سبق — فى عهد سيدنا عمر ثم انتفضت — وفتحت فى عهد سيدنا عثمان ، وقد وصف صاحب[4] (بلدان الخلافة الشرقية) مدينة (نيسابور) فقال : (كانت نيسابور فى المائة الرابعة (العاشرة[5]) مدينة عامرة جليلة مفترشة البناء نحو فرسخ فى مثله ، ولها مدينة ، وقهندز ، وربض ، ومسجدها الجامع فى الربض : وهو من بناء عمرو الصغار — مقابل ميدان يعرف بالمعسكر — وبقربه دار الامارة وتفضى الى ميدان آخر يقال له : ميدان الحسينين ، والحبس لا يبعد كثيرا عن دار الامارة • وبين بناء وبناء من هذه الابنية نحو من ربع فرسخ ، وللقهندز بابان ، وللمدينة أربعة أبواب احدها يعرف بباب القنطرة والثانى بباب سكة معقل ، والثالث بباب القهندز (أى باب القلعة) والرابع : بباب قنطرة يكن ، وأرباضها خارج قهندزها ومدينتها وتحف بهماء وأسواقها فى أبياضها ولها أبواب كثيرة ••) ثم يذكر — نقلا عن المقدسى — أن فى نيسابور اثنتين وأربعين محلة • منها ما يكون مثل نصف شيزار ، وأن دروبها المؤدية الى الباب زهاء الخمسين[6] ويحدد ياقوت المسافات التى بين نيسابور وبين أشهر المدن المجاورة لها فيذكر أن (من الرى الى نيسابور : مائة وستون فرسخا ، ومنها الى سرخس : أربعون فرسخا ومن سرخس الى مرو الشاهجان ثلاثون

---

(١) السبكى : طبقات الشافعية ٢١٩/٤ — ٢٢١ .

(٢) ذكر صاحب معجم البلدان : انها يطلق عليها عند العامة (نشاؤور) اما صاحب (بلدان الخلافة الشرقية) فيذكر انهايطلق عليهافى الفارسية الحديثة (نيشابور) وهذا الاسم مشتق من (نيو شاهبور) ومعناه فى الفارسية القديمة (شىء أو موضع سابور الطيب) وقد سميت المدينة بهذا الاسم نسبة الى سابور الثانى الساسانى الذى جدد بناءها فى المائة الرابعة للميلاد . اما مؤسسها : فهو سابور الأول بن أردشير بن بابكان . ويذكر ياقوت أن لفظ (نيسابور) أصله (نيست بور) ومعناها (ليس سابور) وقد أطلقت عليها حينما افتقد سابور وخرج أصحابه يطلبونه فسألوا عنه عندها فلم يجدوه قالوا (نيست سابور) كما ذكر من الاسماء التى أطلقت عليها (أبرشهر) و (ايرانشهر) اى مدينة ايران وهو لقب شرف لأهم مدن ايران .

(٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان مجلد ٨ ص ٣٥٦ الطبعةالأولى ١٣٢٣ هـ نشرالخانجى.

(٤) كى لسترونج — مؤلف كتاب (فلسطين فى عهد الاسلام) و (بغداد فى عهد الخلافة العباسية) ترجمة وتعليق : بشير فرنسيس و : كوركيس عواد . ط : الرابطة ببغداد سنة ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م .

(٥) يقصد القرن الرابع الهجرى والعاشر الميلادى .

(٦) نفس المرجع السابق ص ٤٢٦ .

فرسخا) ثم يصف شرب أهل المدينة فيقول . وأكثر شرب أهل نيسابور من قنى تحت الأرض ينزل اليها فى سراديب مهيأة لذلك فيوجد الماء تحت الأرض — وليس بصادق الحلاوة)

ويصف فواكه نيسابور قائلا : (وعهدى بها كثيرة الفواكه والخيرات ، وبها « ريباس » ليس فى الدنيا مثله ، تكون الواحدة منه منا وأكثر وقد وزنوا واحدة فكانت خمسة أرطال بالعراقى ، وهى بيضاء صادقة البياض كأنها الطلع[1]) .

وأما عن هواء نيسابور وعمرانها : فيقول صاحب (بلدان الخلافة الشرقية) : (وليس فى كل خراسان — على ما ذكره ابن حوقل — مدينة اصح هواءً وأفسح فضاء ، واشد عمارة من نيسابور[2]) ولا يخفى ما لطيب المناخ وجودة الهواء من أثر فى صفاء قرائح العلماء — ثم يضيف عن التجارة فى (نيسابور) : (وتجارها أهل ثراء ، وتؤمها السابلة والقوافل فى كل يوم ، ويرتفع منها من اصناف ثياب القطن والابريسم ما ينقل الى سائر البلدان[3]) وعن أسواق التجارة يقول (وأعظم أسواقها سوقان : أحدهما يعرف بالمربعة الكبيرة والآخر : بالمربعة الصغيرة . وكان سوق المربعة الكبيرة قرب المسجد الجامع — وقد تقدم ذكره — وسوق المربعة الصغيرة على بعد قليل من السوق الآخر .. وهى أسواق طويلة مكتظة بالدكاكين تمتد من مربعة الى المربعة الأخرى وتقطعها متعامدة معها أسواق أخرى .. » .

واما عن مساجد نيسابور : فمن اشهرها المسجد الجامع فى المربض . ويعد هذا المسجد آية فى فن العمارة الاسلامى . وقد وصفه مؤلف (بلدان الخلافة الاسلامية) بقوله (ومسجدها الجامع أربع رحبات ، بناه عمرو الصفار — على ما قد بينا — ويقوم سقفه على أساطين الآجر ، يدور على صحنه ثلاثة أروقة ، وأهم بناء فيه قد روقت حيطانه بالقرميد المذهب ، وللجامع احد عشر بابا بها اعمدة رخام ، وحيطانه وسقفه مجملة مزوقة[4]) ومن أشهر مساجد نيسابور وجوامعها أيضا : الجامع المنيعى الذى وقفه أبو على المنيعى وكان يتولى الخطابة والامامة به شيخ الاسلام أبو عثمان الصابونى ثم من بعده امام الحرمين[5] وكان من أشهر مساجدها أيضا (مسجد عقيل) وبه كان يدرس الامام أبو اسحق الاسفراييني ويعقد مجالس الاملاء[6] .

واما عن المدارس العلمية فى نيسابور — وقد سبق طرف من الحديث عنها فى الحركة العلمية — فان مدينة (نيسابور) قد تبوأت الصدارة على مدن العالم الاسلامى قاطبة فى انشاء المدارس العلمية حيث حظيت بالأسبقية المطلقة فى انشاء هذه المدارس . وقد استدرك السبكى على شيخه الذهبى فى زعمه أن نظام الملك هو أول من بنى المدارس فى الاسلام قائلا ، وشيخنا الذهبى زعم انه أى نظام الملك — أول من بنى المدارس وليس كذلك ، فقد كانت المدرسة البيهقية بنيسابور قبل أن يولد نظام الملك ، والمدرسة السعيدية بنيسابور أيضا : بناها الأمير نصر بن سبكتكين اخو السلطان محمود لما كان واليا عليها بنيسابور

---

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان ٣٥٦/٨ وما بعدها .
(٢) كى لسترونج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٢٥ — ٤٢٦ .
(٣) نفس المرجع .
(٤) كى لسترونج : بلدان الخلافة الشرقية ٤٢٦
(٥) السبكى : طبقات الشافعية ٢٩٩/٤ .
(٦) نفس المرجع : ٢٥٨/٤ — ٢٥٩ .

ومدرسة ثالثة بنيسابور : بناها ابو سعد اسماعيل بن على بن المثنى الاستراباذى الواعظ الصوفى شيخ الخطيب ، ومدرسة رابعة بنيسابور أيضا بنيت للاستاذ أبى اسحق الاسفرييني[١] ..) .

ومن ثم احتفظت (نيسابور) بالاسبقية على مدن العالم الاسلامى فى انشاء أول مدرسة مخصصة لدراسة العلم فى الاسلام . يؤكد هذا قول المقريزى — الذى أورده صاحب ضحى الاسلام — (ان المدارس مما حدث فى الاسلام ولم تكن تعرف فى زمن الصحابة ولا التابعين ، وانما حدث عملها بعد الأربعمائة من سنى الهجرة ، وأول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة فى الاسلام : أهل نيسابور ، فبنيت بها البيهقية[٢]) .

وبالاضافة للمدارس الاربع التى ذكرها السبكى فى استدراكه على الذهبى فقد كانت هناك بنيسابور مدارس أخرى منها : مدرسة الامام أبى بكر بن فورك (ت : ٤٠٦ هـ[٣]) ومدرسة أخرى لشيخ الاسلام أبى عثمان الصابونى (ت : ٤٤٩ هـ[٤]) ، ومدرسة أخرى تسمى (دار السنة) لأبى بكر الصبغى وقد درس الواحدى بها على شيخه أبى بكر الحيرى سنة ٤١٠ هـ[٥] وكانت توجد أيضا : مدرسة لأبىبكر أحمد بن محمد البستى (ت٤٢٩هـ[٦]) والمدرسة المشطبية التى كان يدرس بها أبو الحسين الواسطى الفقيه[٧] .

هذا الى جانب المدرسة النظامية العظيمة بنيسابور التى بناها نظام الملك لامام الحرمين وظل امام الحرمين استاذها قرابة ثلاثين عاما ، وتتلمذ عليه بها حجة الاسلام الغزالى ثم خلفه فى التدريس بها .

وهكذا نجد فى موطن الواحدى (نيسابور) أعرق المدارس العلمية وأثراها بالعلمومعاهده. وقد تخرج من (نيسابور) من العلماء من لا يحصون عددا عبر تاريخها العلمى الطويل الحافل وحسبنا ان نتصفح كتب الطبقات والرجال فاننا سنجد لقب (النيسابورى) يتكرر بكثرة تنم عن ثراء هذا البلد بالعلماء وعطائه للعلم والمعرفة .

فمن بين من تخرجوا من (نيسابور) من العلماء نذكر — على سبيل المثال فقط : —

الامام مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى (٢٠٤ — ٢٦١ هـ) صاحب الصحيح وهو غنى عن التعريف . ومنهم الحافظ أبو عبدالله محمد بنيحيى الذهلى النيسابورى (ت : ٢٥٨ هـ) كان الامام أحمد يقف له اجلالا عند قدومه ، وكان يلقب بـ (أمير المؤمنين فى الحديث[٨]) .

ومنهم الحافظ ابو الفضل احمد بن النضر النيسابورى (ت ٢٩٠ هـ) : نقل الذهبى عن الحاكم فى ترجمته أن البخارى كان ينزل (بنيسابور) عليه وعلى أخيه محمد بن النضر وحدث عنهما فى الصحيح[٩] ومنهم : الحافظ الفقيه : أبو بكر محمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابورى (ت ٣١٦ هـ) شيخ الحرم وصاحب الكتب التى لم يصنف مثلها فى الحديث

---

(١) السبكى : طبقات الشافعية ٣١٤/٤ .
(٢) احمد أمين : ضحى الاسلام ٤٩/٢ — ٥٠ ولم يسم مصدر النص الذى نقل عنه للمقريزى واثبت بالهامش ٣٦٢/٢ .
(٣) السبكى : طبقات الشافعية ١٢٨/٤ .
(٤) طبقات الشافعية للسبكى ٢٩٠/٤ .
(٥) السبكى : طبقات الشافعية ١٥٩/٤ . والواحدى : أسباب النزول ص ٣٠٦.
(٦) السبكى : طبقات الشافعية ٨٠/٤ .
(٧) السبكى : طبقات الشافعية ٣١١/٥ .
(٨) الذهبى : تذكرة الحفاظ ٥٣٠/٢—٥٣١
(٩) الذهبى : تذكرة الحفاظ ٩٧٦/٣—٩٧٧

والفقه • قال عنه الذهبى (وكان غاية فى معرفة الاختلاف والدليل وكان لا يقلد أحدا[١]) وذكر السبكى أنه ممن بلغوا درجة الاجتهاد المطلق ولم يخرجهم ذلك عن كونهم من أصحاب الشافعى المخرجين على أصوله المتمذهبين بمذهبه[٢] •

ومنهم الحافظ أبو العباس محمد بن اسحق السراج الثقفى النيسابورى (ت ٣١٣ هـ) محدث خراسان ومسندها • روى عنه البخارى ومسلم وأبو حاتم الرازى وابن أبى الدنيا وهم من شيوخه[٣] •

ومنهم الامام أبو بكر محمد بن اسحق ابن خزيمة النيسابورى (ت ٣١١ هـ) وصفه السبكى بالاجتهاد المطلق وأنه (امام الائمة) روى عنه خلق من الكبار منهم البخارى ومسلم وغيرهما[٤] •

ومنهم محدث خراسان الحافظ أبو احمد محمد بن محمد الكرابيسى النيسابورى الملقب بالحاكم الكبير (ت ٣٧٨ هـ) قال عنه الحاكم (هو امام عصره فى هذه الصنعة «علم الحديث» كثير التصنيف ، مقدم فى معرفة شروط الصحيح والأسلمى والكنى[٥]) •

ومنهم أبوبكر احمد بن الحسين بن مهران الاصبهانى ثم النيسابورى (ت ٣٨١ هـ) صاحب كتاب (الغاية فى القراءات) نقل الذهبى عن الحاكم أنه قال عنه (كان امام عصره فى القراءات وأعبد من رأينا من القراء[٦]) •

(١) الذهبى : تذكرة الحفاظ ٧٨٢/٣ .
(٢) السبكى : طبقات الشافعية ١٠٢/٣ .
(٣) السبكى : طبقات الشافعية ١٠٨/٣ .
(٤) السبكى : طبقات الشافعية ١١٠/٣ .
(٥) الذهبى : تذكرة الحفاظ ٩٧٦/٣ .
(٦) الذهبى : العبر ١٦/٣ .

وتقدم — فى الحركة العلمية — من مفسرى نيسابور : الحسن بن محمد بن حبيب ، واسماعيل الحيرى وهبة الله بن سلامة ، وأبو اسحق الثعلبى — شيخ الواحدى — وأبو عثمان الصابونى والامام القشيرى وأبو الحسن على بن عبدالله النيسابورى • وغيرهم كثير وكثير •

ثانيا — اسمه ونسبه وأسرته :

هو الامام ابو الحسن : على بن احمد ابن محمد بن على بن متوية الواحدى النيسابورى الشافعى • ويلقب بالمتوى أيضا نسبة الى جده « متوية[٧] » •

وقد اخطأ من لقبه بالمتوى — كابن خلكان[٨] وأبى الفدا[٩] — لعدم استقامة هذه النسبة فى العربية •

اما كنيته : فيكنى بأبى الحسن • وقد أخطأ القفطى اذ كناه فى ترجمته بأبى الحسين، وقد أفصح فى ثنايا ترجمته عن أساس هذا الخطأ فقال (وقد ذكره الباخرزى وسجع له فقال : الشيخ أبو الحسين على بن أحمد الواحدى[١٠]) ومن الغريب أن الباخرزى قد ذكره فى ترجمته : (الشيخ أبو الحسن[١١]) فكان الخطأ فى النقل من القفطى • واما عن اسم الواحدى (على) فلم يكن محل خلاف • ولأبى على الفارسى (ت ٣٧٧ هـ)فى اشتقاق

(٧) ابن الأثير : اللباب فى تهذيب الانساب ٩٦/٣ .
(٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤٦٤/٢ .
(٩) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ١٩٢/٢ .
(١٠) القفطى : انباه الرواه ٢٢٣/٢ .
(١١) الباخرزى : دمية القصر وعصرة أهل العصر بتحقيق د. سامى النعمان ط. النعمان بالنجف الاشرف سنة ١٣٩١ هـ .

التسمية بعلى بيان وجيه اذ يقول (فأما تسميتهم بعلى : فيجوز أن يكون فعيلا عن علا على الأمر اذا غلبه واضطلع عليه ، ويجوز ان يكون فعيلا من قوله « وكانا امرأين كل شأنهما يعلو » .

ويجوز أن يكون فعيلا من على فى المكارم يعلى فهو على ، مثل علم يعلم فهو عليم[1] وقد اتفقت المصادر على اسم أبى الواحدى ما عدا ابن كثير الذى اورد اسم الواحدى فى ترجمته: (على بن حسن[2]) ولعله خطأ فى النسخ أو الطبع ، لاجماع جمهرة المؤرخين لا سيما من عاصر الواحدى كالحافظ عبد الغافر[3] . على أن اسم أبى الواحدى (احمد) وقد اقتصر بعض المترجمين للواحدى على ذكر اسمه واسم ابيه . من النص على احد من اجداده كما فعل كل من ابن العماد[4] واليافعى[5] والباخرزى[6] فاكتفوا بذكر اللقب بعد الكنية والاسم واسم الاب .

وأما الذين تعرضوا لذكر اجداده : فقد أخطأ بعضهم فى اسم الجد الأول للواحدى فذكر أبو الفدا : أن جده الأول (متوية[7]) موافقا فى ذلك صاحب (اللباب[8]) كما نجد ان ابن كثير قد جره الخطأ فى اسم والد الواحدى الى الخطأ فى اسم جده الأول فذكر أنه (أحمد[9]) وأغلب الظن أن مبدأ الخلط عند ابن كثير هو خطؤه فى الكنية ، حيث أخذ من (أبى الحسن) اسم حسن ووضعه موضع اسم أبى الواحدى ، كما أخذ اسم ابيه : (أحمد) ووضعه موضع اسم الجد الأول الذى هو (محمد) وقد ورد اسم هذا الجد (محمد) فى معجم الأدباء نقلا عن السياق[10] كذلك انسحب خطأ ابن كثير على اسم الجد الثانى حيث ذكر أنه (بويه[11]) وأغلب ظنى أنه محرف — فى النسخ أو الطبع — عن (متوية) ولعله فى ذلك تابع لابن الاثير الذى اورد اسم الجد الثانى : (متوية[12]) .

بينما ورد اسم هذا الجد (على) صحيحا فى طبقات الشافعية[13] والنجوم الزاهرة[14] ووفيات الأعيان وغيرهم[15] .

واما الجد الثالث (متوية) فقد ذكره الذهبى فى المشتبه[16] وتبعه ابن خلكان[17] والداودى[18] والى هذا الجد (متوية) ينسب الواحدى أحيانا لما ورد فى ترجمته فى (وفيات الاعيان) وفى (اللباب) و (المختصر فى اخبار البشر) على نحو ما مر بنا .

وقد اثار اسم هذا الجد (متوية) الذى ينسب اليه الواحدى شبهة خطيرة لدى بعض

---

(1) أبو على الفارسى : المسائل الشيرازيات ورقة ٣٢ . نقلا عن كتاب أبى على الفارسى د. عبد الفتاح شلبى .
(2) ابن كثير : البداية والنهاية ١٢/١١٤ .
(3) انظر المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور : الطبقة الثالثة من علماء نيسابور (ميكروفيلم) .
(4) ابن العماد : شذرات الذهب ٣/٣٣٠ .
(5) اليافعى : مرآة الجنان ٣/٩٦ — ٩٧ .
(6) الباخرزى : دمية القصر ٢/٢٥٥ .
(7) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٢/١٩٢ .
(8) ابن الأثير : اللباب ٣/٩٦ .

(9) ابن كثير : البداية والنهاية ١٢/١١٤ .
(10) ياقوت الحموى : ارشاد الأريب الى معرفة الأديب ٥/٩٧ .
(11) ابن كثير : البداية والنهاية ١٢/١١٤
(12) ابن الأثير : الكامل ١٠/٣٥ .
(13) السبكى : طبقات الشافعية ٥—٢٤٠
(14) ابن تغرى بردى ٥/١٠٤ .
(15) ابن خلكان : الوفيات ١/٤١٩ .
(16) الذهبى : المشتبه : مادة (متون) ٢/٥٦٩ .
(17) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١/٤١٩ .
(18) الداودى : طبقات المفسرين ٢/٣٨٧ .

المستشرقين الذين يتلقفون الفرص للنيل من الاسلام ومن رجاله • فاذا بأحدهم وهو (كارل بروكلمان) الذى ترجم للواحدى فى (تاريخ الاداب العربية) يتوقف عند اسم (متوية) فى نسب الواحدى ثم يعلق عليه قائلا (من ماتاى MATTAI) (انظر : نولدكه ٤٠٧/١ دراسات فارسية) فهو اذن من أسرة مسيحية أصلا آرامية أو ايرانية[1]) اهـ •

ويبدو أن كلا من (بروكلمان) و (نولدكة) قد نشد ضالته الاستشراقية المغرضة فى المادة اللغوية للفظ (متوية) فجذبها الى مادة (متى) وزعم أنها مشتقة منها وادعى ان هذه من تلك•

والحق أن كليهما قد غفل أو تغافل عن حقيقة نسب الواحدى التى تضمنتها المصادر العربية وهو ما سنعرض له :

ومن حسن الحظ ان صاحبنا ابا الحسن قد اشتهر تلقيبه بالواحدى وغلبت شهرته بهذا اللقب على شهرته بلقب (المتوى) حتى اننى لم أعثر على ترجمته بهذا اللقب (المتوى) أو (المتويى) الا ومعه لقب (الواحدى[2]) •

ثم نجد أن لقب (الواحدى) يرد فى الذكر ــ كما أورده ابن الاثير فى اللباب[3] ــ بعد لقب (المتويى) كما نجد فى المصادر التى صرحت بذكر جده (متوية) تتبعه بذكر لقب الواحدى[4] مما يقطع بنسبة (متوية) الى المنسوب اليه فى لقب الواحدى وبالتالى فمتى تحققت عربية المنسوب اليه فى (الواحدى) وانه من أصل عربى قح ومن قبيلة مسلمة فقد فسد زعم نولدكه وبروكلمان •

وقبل ان ننتقل الى النسبة فى (الواحدى): يجدر بالذكر أن أبا الحسن الواحدى لم ينفرد ــ فى العلماء ــ بالنسبة الى متوية ، فقد ذكر ابن الاثير فى (اللباب) مادة (متوية) والنسبة اليها وقال (هذه النسبة الى متوية وهو جد المنتسب اليه) وذكر فيمن نسب الى متوية :

الامام أبو جعفر احمد بن متوية المرو الروذى (من أهل مرو الروذ) المتوفى بعد سنة ٤٦٤ هـ والامام : ابراهيم بن محمد بن الحسن بن أبى الحسن المتويى الاصبهانى • المعروف بابن متوية ت : سنة ٣٠٢ هـ •

ثم تعقب ابن الاثير : السمعانى فى (الانساب) فى فواته لذكر نسبة الواحدى الى متوية • فقال : (وفاته نسبة الواحدى أبى الحسن على بن أحمد بن متوية المتويى الواحدى المفسر المشهور[5]) اهـ

كذلك ذكر الذهبى من نسب الى (متوية) من مشاهير العلماء : فقال : (متوية) : ابراهيم ابن محمد بن متوية الاصبهانى شيخ لابن المقرئى وولده مفتى اصبهان •

وامام الجامع محمد بن ابراهيم : شيخ لابن مردويه •

وعلى بن محمد بن حسين بن متوية عن ابراهيم بن سعدون •

---

(١) كارل بروكلمان : تاريخ الآداب العربية ٥٢٤/١ ط الثانية : لندن ١٩٤٣ م

(٢) انظر (اللباب) لابن الاثير ٩٦/٣ ، (المختصر) لأبى الفدا ١٩٢/٢ ، (وفيات الأعيان) ٤١٩/١ •

(٣) نفس المرجع السابق (اللباب) .

(٤) انظر (المختصر فى أخبار البشر) ١٩٢/٢ ، (وفيات الاعيان) ٤١٩/١ ، (اللباب) ٩٦/٣ .

(٥) ابن الأثير : اللباب فى تهذيب الانساب ٩٦/٣ .

وأبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن على بن متوية النيسابورى الواحدى المفسر وأخوه عبد الرحمن[1]) •

ثم ننتقل الى بيان المنسوب اليه فى لقب : (الواحدى) •

فنجـد ابا الفدا يقـول فى المختصر : (والواحدى ــ نسبه الى الواحد بن ميسرة[2]) وفى كلامه تحريف : حيث أن (ميسرة) محرف عن (مهرة) بدليل ما ورد فى المصادر الأخرى ، اذ نجد ابن خلكان يقـول : (والواحدى ــ بفتح الواو ، وبعد الألف حاء مهملة مكسورة ، وبعدها دال مهملة ــ لم أعرف هذه النسبة الى أى شىء هى ولا ذكرها السمعانى • ثم وجدت هذه النسبة الى الواحد بن الديل بن مهرة • ذكره أبو أحمد العسكرى[3]) •

وقد اخطأ ابن كثير فى النقل عن ابن خلكان حيث قال (قال ابن خلكان ، ولا أدرى هذه النسبة الى ماذا[4]) وتوقف دون أن يكمـل النقل عن ابن خلكان فيما نقله عن العسكرى • كما نجد اليافعى (ت : سنة ٧٧٨ هـ) المتأخر عن ابن خلكان (ت : ٦٨٧ هـ) يتابعه قائلا : (والواحدى نسبة قيل الى الواحد بن مهرة على ما حكاه العسكرى[5]) •

ثم نرجع الى أبى أحمد الحسن بن عبدالله ابن سعيد العسكرى (٢٩٣ ــ ٣٨٣ هـ) فنجده يقـول فى (شرح ما يقـع فيـه التصحيف والتحريف) : « وبنو الواحد : بطن فى مهرة وهو الواحد بن الدثن بن مهرة[6]» • ونجد قول العسكرى هو المصدر الأساسى ــ فيما وقع بين أيدينـا ــ والذى يصـل بالواحدى الى نسبه العريق فى مهرة •

غير أنه قد وقع تحريف ــ لعله من النسخ أو الطبع ــ فى (الديل) وهو الحلقة التى تصل الواحد بمهرة • فورد فى النسخة المطبوعة من كتاب العسكرى السابق ذكره محرفا الى (الدثن) ولا وجود لهذا اللفظ فى أى من المصادر التى تحدثت عن مهرة وما تفرع منها • على حين ورد (الديل) مصـححا ومضبوطا فى المصادر الناقلة عن العسكرى لا سيما فيما صرح فيـه بالنقل عن العسكـرى كوفيـات الاعيان[7] •

وتنطق المصادر بأن الديل هو ابن مهرة • و (مهرة) اسم قبيلة كبيرة مشهورة تنحدر من قضاعة وينسب اليها كثير من أهل العلم • يقول صاحب (اللباب) بصدد النسبة الى هذه القبيلة : (•• هذه النسبة الى مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضـاعة •• قبيلة كبيرة ، ينسب اليها أبو الحجاج : رشيد ابن سعد المهرى من أهل مصر[8] ••) •

كما وجـدت ــ فيمن نسب الى مهـرة أيضا ــ من المحدثين : أبو حميد خالد بن حميد المهرى المصرى الاسكندرانى • ذكره الامام السيوطى فى مشاهير أتباع التابعين الذين خرج لهم أصحاب كتب السنة من أهل مصر[9] •

---

(١) الذهبى : المشتبه : ٢/٥٦٩ ــ ٥٧٠ .
(٢) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر : ٢/١٩٢ .
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان : ٢/٤٦٤ط بتحقيق محمد محيى الدين .
(٤) ابن كثير ١٢/١١٤ .
(٥) اليافعى : مرآة الجنان ٣/٩٦ ــ ٩٧ .
(٦) أبو احمد العسكرى : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ٥٠٦ .
(٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢/٤٦٤ .
(٨) ابن الأثير : اللباب فى تهذيب الانساب ٣/١٩٤ .
(٩) الامام السيوطى : حسن المحاضرة : ١/٢٧٩ .

كذلك ذكر صاحب (جمهرة انساب العرب) « مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة » وعد قبيلة (مهرة) من قبائل قضاعة[١] كما ذكر — منفروعها — بنى الديل بنعمرو[٢] ومن أصولها : بنى حيدان بن عمرو[٣] •

وقد تعرض الواحدى لذكر قبيلة (مهرة) فى (شرح ديوان المتنبى) وذلك بصدد شرح هذا البيت :

سـل البيد أين الجن منـا بجوزها
وعن ذى المهارى أين منها النقانق[٤]

فقـال : « جوز كل شىء : وسـطه ، والمهـارى : جمع مهـرية ، وهى فى الابل : المنسوبة الى قبيلة من اليمن يقال لها : مهرة ابن حيدان[٥] » ••

وبانتماء الواحدى الى بنى الواحد بن الديلى • ثم الى قبيلة مهرة الشهيرة ثم الى قبيلة قضاعة العريقة التى تحتل فى القبائل العربية مكانة مرموقة : نستطيع اذا أن نؤكد اصالة ارومة الواحدى وعراقة منبته ، وتفرعه من أصل عربى قح تنبض كل عروقه بالاسلام ومن ثم نرد سهم من فوق الى أصل الواحدى وطعن فى اسلامية محتده ليعود النصل الى نحر مصوبية • وليس بغريب على الافاكين الذين غربت شمسهم فاستشرقوا : أن ينالوا من رجال الاسلام • فالشىء من معدنه يستغرب !

(١) ابن حزم : جمهرة انسـاب العـرب ص ٤٨٥ .
(٢) نفس المرجع ٢٩٨ .
(٣) نفس المرجع /٤٤٠ .
(٤) النقـانق : جمع نقنق . وهو : ذكر النعام والمعنى : سل البيد تخبرك اين يقع الجن منا بهذه المغازه اى : كنا أسرع فيها من الجن . وعن أبلنا المهـارى : اين تقع منها الظلمان فى السرعة
(٥) الواحدى : شرح ديوان المتنبى ص ١٢٣

وأما عن أسرة الواحدى :

فان المصادر قد ضنت بالتعرض لأسرة الواحدى • ولم نقف الا على نذر يسير لايروى ظمأ التعرف على الجو المحيط بالواحدى •

والحقيقة الأولى التى نقف عليها فيما يتعلق بأسرة الواحدى أنه كان من أبناء التجار يقول ياقوت فى مستهلترجمة الواحدى (أصلهم من ساوة وهم من أولاد التجار[٦]) وكذلك يقول الذهبى (•• من أولاد التجار وأصله من ساوة[٧]) كما نص على كونه من أبنـاء التجار كل من ابن العماد[٨] والسبكى[٩] وابن تغرى بردى[١٠] وابن قاضى شهبه[١١] •

وقد احترف آبا الواحدى التجارة بمدينة ساوة التى نبت فيها أصله • وكان لتوسط هذه المدينة بين الرى وهمذان أثر كبير فى رواج التجارة بهـا وازدهار معيشـتها على نحو ما أسلفناه عنها • ولا شك أن لاشـتغال آل الواحدى بالتجارة ويسر حاله قد مكن للواحدى أن يفرغ جهده فى تحصيل العلم والتفرغ له •

ومع اشـتغال أسرة الواحدى بالتجارة فانها قد شغفت بالعلم • وقد كان لرخائهـا المـالى أثره فى تفرغ بعض افرادها للدرس والتحصيل •

ولم تكشف لنـا المصـادر شـيئا عن شخصية والد الواحدى سوى عمله بالتجارة •

(٦) ياقـوت الحمـوى : معجـم الأدباء ٩٧/٥ .
(٧) الذهبى : سير أعلام النبلاء ..
(٨) ابن العماد : شذرات الذهب ٣٣٠/٣
(٩) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ٥ / ٢٤٠ .
(١٠) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٥ / ١٠٤ .
(١١) ابن قاضى شهبة : طبقـات النجاة ١٣٥/٢ .

وظاهر عبارة المؤرخين يعطى أنه لم ينفرد بالعمل بالتجـارة وانما كان آباء الواحدى وعشيرته يعيشون على التجارة .

وأما عن أفراد هذه الأسرة : فان المصادر تحدثنا بأن الواحدى كان أحد أخوة ثلاثة :

الاخ الأكبر وهو الشيخ المحدث الفقيه : أبو القاسم عبد الرحمن بن احمـد الواحدى (٣٩٧ ــ ٤٨٧ هـ) ذكره الذهبى فى (سـير اعلام النبلاء) فى آخر ترجمة أخيه أبى الحسن قائلا : (اخوه : الشيخ ابو القاسم عبدالرحمن ابن أحمد الواحدى : سمع أبا طاهر بن محمش ويحيى بن ابراهيم المزكى ، وابا بكر الحيرى .

حدث عنه اسماعيل بن محمد التميمى الحافظ ، وعبد الله بن الفراوى وعبد الخالق ابن زاهر الشحات وآخرون . وأملى مجالس . وكان ثقة صادقا معمرا . مات سـنة سبع وثمانين وأربعمائة وهو من أبناء التسـعين يقع لى من حديثه فى شيخه زاهر . واما اخوه المفسر فما وقع لى حديثه بعد[1]) .

خرجت أسرة الواحدى اذا علمين احدهما فى التفسير والآخر فى الحديث . ومن ترجمة الذهبى لأبى القاسم الواحدى يتضح أنه شارك أخاه أبا الحسن فى الأخذ عن اساطين العـلم المعاصرين كأبى طاهر الزيادى ويحيى المزكى وأبى بكر الحيرى . كما يتضح أن أبا القاسم قد بلغ مرتبة فى الحديث اهلته لعقد المجالس والاملاء والرواية عنه حتى أخذ عنه المشاهير من الحفاظ كالحافظ التميمى والفراوى وغيرهما. وحسبه أن يقول الذهبى عنه بعد تبيان منزلته فى الاخذ والتلقى ثم فى التحديث والرواية (وأملى مجالس ، وكان ثقة صدوقا) .

كذلك ذكر ياقوت أبا القاسم الواحدى مع أخيه أبى الحسن وهو يترجم له ناقلا عن عبد الغافر الفارسى من (السياق) فقال :

« وكانا اخوين : على هذا وعبد الرحمن ، وكل قدروى العلم وحدث ، ذكرهما عبد الغافر ابن اسماعيل فى السياق ، قال : مات أبوالحسن على الواحدى سنة ثمان وسـتين وأربعمائة ومات أخوه عبد الرحمن سنة سبع وثمانين وأربعمائة . كلاهما بنيسابور[2] » وكان أبو القاسم أيضا من الفقهاء الشافعية . وقد ذكره السبكى فى طبقاته مع أخيه قائلا : (وله أخ اسمه عبد الرحمن قد تفقه وحدث أيضا[3]) .

واما الاخ الثانى للواحدى فهو : أبو بكر سعد بن احمد الواحدى . كان يشتغل بالتجارة ويغشى مجالس العلمـاء ويكثر السـماع عن أصحاب أبى العباس الاصم . وكان مع احترافه السمسرة أمينا نزيها ذا عفة وديانة[4] .

ثم لا نكاد نجد بعد ذكر اخوى الواحدى شيئا عن أسرته . ولولا ان لكليهما قدما فى العلم لمـا عرفنا عنهما شيئا البتة . وقد اختط القدر لكل من أفراد هذه الأسرة دوره ليؤديه ثم دارت عجلة التاريخ وأصبح اسم أبى الحسن الواحدى فى التاريخ العلمى يحتل مكانة سامقة وصار يؤرخ له بأعماله وآثاره دون أن يعرف عن أمر عشيرته وخاصته شيئا .

---

(١) الذهبى : سير اعلام النبلاء . المجلد الحادى عشر /٢٢٤ ــ ٢٢٥ .

(٢) ياقوت الحموى : أرشاد الأريب الى معرفة الأديب ٩٧/٥ .

(٣) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ٢٤٠/٥ .

(٤) السيد احمد صقر : مقدمة اسباب نزول القرآن للواحدى ص ٥ .

ثالثا ــ مولده ووفاته :

توفرت عناية المؤرخين على تحديد تاريخ وفاة الواحدى فى حين أنها لم تصرح بتاريخ مولده • ويبدو أن احجام المصادر عن تحديد تاريخ مولده راجع الى اعواز الدقة فى تحديد ذلك التاريخ وقد يعلل لذلك بأن مستقبل حياة الاعلام ــ ابان مولدهم ــ كان مغيبا فى لوح القدر ولا يدرى عنه شىء يستأهل توفر العناية على تسجيل هذا التاريخ والاحتفاظ به •

وعلى العكس من ذلك أمر الوفاة الذى ينال من اهتمام المؤرخين على قدر ما قدمته هذه الشخصية فى حياتها من عطاء وما خلفته من أثر •

وصاحبنا (الواحدى) قد قدم للعلم وأهله عطاء غدقا وترك آثارا فى حافظة التاريخ لا تنسى • فحق على التاريخ أن يحتفى به ويقدر له عطاءه ، ويفرد له صحيفة ناصعة فى سجله • وقد اجمعت المصادر التى ترجمت للواحدى على أن وفاته كانت فى شهر جمادى الآخرة سنة ثمان وستين وأربعمائة هجرية[١] بموطنه (نيسابور) التى دفن بها •

وقد صرحت بعض التراجم بأن الواحدى مرض قبل موته مرضة وصفها بعضهم بأنها كانت طويلة • فقال صاحب (المنتخب من كتاب السياق) فى ترجمته (وتوفى عن مرض طويل بنيسابور فى شهر جمادى الآخرة سنة ثمان وستين وأربعمائة) وهذا النص لعبد الغافر الفارسى معاصر الواحدى ، لأنه قال عقب ذلك مباشرة (وقد اجاز لى بجميع مسموعاته ومصنفاته[٢]) وقال ابن العماد فى (الشذرات) (ومات بها ــ أى بنيسابور ــ بعد مرض طويل فى جمادى الآخرة سنة ثمان وستين[٣]) اه هـ

اما القفطى : فقد ذكر ان المرض لم يطل بالواحدى فقال فى ترجمته : (ومرض مرضة غير طويلة ومات بنيسابور فى سنة ثمان وستين وأربعمائة[٤]) •

وتوقف صاحب (البداية والنهاية) عند قوله (وقد مرض مدة[٥]) فلم يتعرض لوصفها بالطول أو القصر •

والذى ارجحه أن وفاة الواحدى كانت أثر مرض طويل كما نص صاحب (المنتخب من كتاب السياق) لعبد الغافر الفارسى الذى عاصر الواحدى وعاش بعده •

كما ارجح ان مرض الواحدى كان بين سنة ٤٦٢ هـ وسنة ٤٦٨ هـ حيث ان الواحدى قد فرغ من تصنيف شرحه على ديوان المتنبى فى اليوم السادس عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٤٦٢ هـ كما نقله صاحب (كشف الظنون) من احدى نسخ شرح المتنبى[٦] •

وقد استدرك صاحب (النجوم الزاهرة) على نفسه فى تاريخ وفاة الواحدى • اذ ترجم للواحدى ضمن المتوفين سنة ٤٦٩ هـ ثم عاد فرجح وفاته سنة ٤٦٨ هـ فقال فى احداث سنة ٤٦٩ (وفيها ــ والصحيح فى التى قبلها ــ على

---

(١) انظر : : (معجم الادباء) لياقوت ــ وفيه نص (السياق) لعبد الغافر ــ ٩٧/٥ وانظر منتخب السياق للصريفينى : ترجمة الواحدى ضمن الطبقة الثالثة من علماء نيسابور (ميكروفيلم بمعهد المخطوطات) وانظر (الكامل) لابن الأثير ٣٥/١٠ انباه الرواه) للقفطى ٢٢٣/٢ .

(٢) انظر (المنتخب من كتاب السياق ، للصريفينى .
(٣) ابن العماد : شذرات الذهب ٣٣٠/٣ .
(٤) القفطى : انباه الرواه ٢٢٤/٢ .
(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ١١٤/١٢ .
(٦) حاجى خليفة : كشف الظنون ٨١١/١.

ابن احمد بن محمد بن على ابو الحسن الواحدى) وظل تاريخ وفاة الواحدى محل اجماع المؤرخين ومصرحا به فى جل المصادر التى ترجمت له . ومن ثم قدمته فى الحديث لوضوحه وتحديده .

وأما عن تاريخ مولد الواحدى : فانه لم يرد تصريحا – فى أى من المصادر التى ترجمت له غير أنى وقفت فى ترجمة الذهبى له فى (العبر) على ما يشير الى تحديده .

فقد قال الذهبى (توفى فى جمادى الآخرة ، وكان من أبناء السبعين[1]) .

كذلك وجدت ابن قاضى شهبة فى (طبقات النحاة) ينحو منحى الذهبى فيذكر فى خاتمة ترجمته للواحدى نفس عبارة الذهبى وكان من أبناء السبعين[2] .

ومفاد ذلك ان الواحدى قد ولد سنة ٣٩٨ هـ وهو ما جرى عليه مصنف مخطوطات دار الكتب الظاهرية الذى اثبت تاريخى المولد والوفاة معا فوضع تحت اسم الواحدى – بصدد ذكر ما له ثمة من مخطوطات – عبارة (مفسر ، علامة ، أديب ٣٩٨ – ٤٦٨ هـ[3]) .

واذا .. فقد عاش الواحدى خاتمة القرن الرابع الهجرى وتفتحت زهرة طفولته وصباه مع مشرق القرن الخامس الذى صب ثلثيه فى كأس عمره .

وقد صرحت المصادر بأن كلا من مولد الواحدى ووفاته كان بمدينة (نيسابور) وقد نص ابن العماد على ذلك بقوله (ولد بنيسابور ومات بها[4] ..) .

وقد افاد التعرف على تاريخ مولد الواحدى فى أمور كثيرة منها بعد – تحديد سنى عمره – معرفة سنه ابان معاصرة الاحداث التى عاشها ولا سيما وقت تلقيه على شيوخه فى سن مبكرة ومعرفة من ادركهم من العلماء .

رابعا : نشأته ورحلاته العلمية :

على الرغم مما حققته شخصية الواحدى من مجد علمى باذخ ، وما قدمته من عطاء أدبى وافر فان التاريخ لم يحفظ لنا عن حياته الخاصة شيئا يذكر ، ولم نعثر فى تراجمه العديدة الا على كلمات قليلة تناقلتها المصادر دون أن تضيف اليها جديدا فظلت حياته الخاصة فى منطقة الظل لا يتجاوز المتناقل عنها: ان أصله من (ساوة) وأنه من اولاد التجار، وانه ثالث أخويه عبد الرحمن الفقيه المحدث وسعد السمسار المتفقة ، وأنه نيسابورى المولد والنشأة والوفاة . أما عن والديه وبقية أسرته، وعن طفولته ونشأته ، وعن زواجه وعقبه أو عزوبته : فلم تنطق المصادر باشارة من علم[5] وتركت حشدا من التساؤلات والاستفهامات عن الرجل الذى قدم للعلم حياته وترك وراءه آثارا تشيد بفضله وأسفارا تنبىء عن علو منزلته . ولا يسعنا – ازاء ضرورة التعرف – الا أن نستخبر الظروف التى أحاطت بحياته ، ونستكنه الأحداث والملابسات ونجيل النظر فى انعكاسات أثر البيئة على هذه الشخصية . فنظفر بصورة تقريبية تتلاقى فيها المعالم وتتضح الملامح .

---

(١) الذهبى : العبر ٢٦٧/٣ .
(٢) ابن قاضى شهبة : طبقات النحاة ١٣٨/٢ .
(٣) انظر فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (المنتخب من مخطوطات الحديث) ص ٤٣٢ وضع ناصر الدين الألبانى .
(٤) ابن العماد : شذرات الذهب ٣٣٠/٣ .
(٥) لم يرد فى المصادر شىء عن نشأته سوى تعلمه فى كتاب أبى عمر بن الموفق بنيسابور كما سيرد بعد واستقينا الباقى من كلام الواحدى .

ولد الواحدى فى حاضرة (نيسابور) ودرج أولى خطواته على أرضها ونشأ فى أحضانها وبين ربوعها ومغانيها متأثرا بطبيعتها الساحرة وجوها الربيعى الذى تمتاز به على كل مدن خراسان • وقد رسم القدر لأبى الحسن وأخيه أبى القاسم عبد الرحمن أن يكونا فى زمرة العلماء ، وتهيأت لهذين الأخوين الأسباب لكى يمضيا الى غايتهما المنشودة • فكان لاشتغال والدهما بالتجارة أثر واضح فى يسر العيش والتفرغ للعلم فى طمأنينة لاسيما وأن أمر التجارة – كما تقدم – كان مقترنا بالربح الوفير ، وهذا أمر يفسره – فيما بعد – عكوف الواحدى عند بعض شيوخه طيلة النهار فى طلب العلم دون ما اشتغال أو قلق على أمر الرزق •

وكان الواحديان : على وعبد الرحمن أخوى علم وزميلى دراسة ، فقد ورد فى ترجمة عبد الرحمن أنه أخذ عن نفس شيوخ على[1] • ولا نعلم – على وجه اليقين – هل كان والدهما هو الذى يتولى أمرهما ابان فترة النشأة أم أنه قد توفى وترك لهما ما يقوم بأمرهما ؟ والذى يترجح لدينا أن والدهما قد انتقل بأمهما من موطن أصله (ساوة) الى موطنه الجديد (نيسابور) حيث ولد الواحدى •

وقد التحق على بالكتاب لتعلم الخط وحفظ القرآن الكريم فى مسقط رأسه نيسابور وندب لتنشئته خيرة العلماء والمربين • فدخل كتاب الشيخ القاضى أبى عمر سعيد بن هبة الله بن الموفق البسطامى النيسابورى • وكان الشيخ أبو عمر – الشيخ الأول للواحدى – من بيت علم عريق ورث المجد كابرا عن كابر ، فقد نقل السبكى فى ترجمته عن الحافظ عبد الغافر أنه قال فيه (•• من سلالة الامامة، والذى انتهى اليه أمر الزعامة لأصحاب الشافعى ، ربى فى حجر الرئاسة ، وغذى بلبان الامامة)[2] •

وقد ورث القاضى أبو عمر هذا المجد عن أبيه الشيخ أبى محمد هبة الله الموفق (ت : ٤٤٠ هـ) الذى كان رئيس الشافعية بنيسابور وكبير أهل الحديث بها كما ذكر السبكى فى ترجمته[3] وكان له (كتاب) كبير بنيسابور تتلمذ عليه به الكثير من أئمة الفقه والحديث والأدب : وقد ذكر الباخرزى فى (الدمية) أنه تعلم فى كتابه هو والشيخ أبو نصر سعيد بن الشاه الأديب الشاعر[4] •

ومن المحتمل أن يكون (كتاب) القاضى أبى عمر هو نفسه (كتاب) أبيه هبة الله الموفق التى تتلمذ فيه الباخرزى خاصة وأن أبا الحسن الباخرزى كان من أصدقاء الواحدى المقربين • فلا يبعد أن يكون أبو عمر أستاذا ومربيا بكتاب أبيه الموفق •

وهنا أبدى ملحوظة هامة : وهى أن مفهوم (الكتاب) فى عصر الواحدى غير مفهومه اليوم • فلم يكن نشاطه قاصرا على تعليم الخط وتحفيظ القرآن الكريم فحسب ، وانما كان معهدا علميا يعنى الى جانب ذلك بتثقيف النشء وتربيتهم واستكشاف مواهبهم وتوجيههم • وكان معلم الكتاب على مستوى الامامة كأبى محمد الموفق الذى كان رئيس الشافعية بنيسابور •

---

(١) انظر ترجمة ابى القاسم عبد الرحمن الواحدى فى (سير أعلام النبلاء) للذهبى مع ترجمة أخيه أبى الحسن بالمجلد الخامس عشر. مخطوط رقم ١٢٩٥ ج بدار الكتب المصرية .

(٢) السبكى : طبقات الشافعية ٩٣/٢ .

(٣) السبكى : طبقات الشافعية ٣٥٥/٥ .

(٤) الباخرزى : دمية القصر ٢٥٧/٢ – ٢٥٨ .

وقد تفتحت موهبة الواحدى الأدبية مبكرا وهو لا يزال فى كتاب القاضى أبى عمر ، فجرت يده بما سال من قريحته ، وبدأ نبوغه مع نعومة أظفاره ، فكان يقرض الشعر ويعرضه على أقرانه فى الكتاب وقد ذكر أبو الحسن الباخرزى فى (الدمية) بعض ما صاغه الواحدى — صديق طفولته — من الشعر قائلا:

فمما أنشدنى لنفسه وقد دخل على الشيخ أبى عمر سعيد بن هبة الله الموفق وهو فى كتابه يتعلم الخط ويكتب :

ان الربيع بحسنه وبهائه
يحكيهما خط الرئيس أبى عمر
فكأنه فى الدرج يرقم كاتبا
أولى لطاف بنانه فتق الزهر[1]
خط غدا ملء العيون ملاحة
متنزها للحظ قيدا للبصر
أخزت نقوش الصين بدعة صنعه
فتعطلت ورقوم موشى الحبر[2]

لقد جرى ماء القريض فى شرايين أبى الحسن وهو فى عمر الزهور الغضة التى تبدأ فى التفتح مع أنسام الربيع ، وقد بدأ الواحدى فى باكورة شعره منفعلا بالربيع فتجسدت صورة أستاذه — وهو يعلم تلاميذه الخط — فى مخيلته الشاعرة بصورة من يفتق زهر الربيع ببنانه !!

ثم أتى الواحدى فى كتاب أبى عمر ابن الموفق ثقافته الأولية مع حفظ كتاب الله تعالى • وانتقل الى معاهد العلم الأخرى • فدرس بنيسابور فى (دار السنة) وهى مدرسة الحديث التى أنشأها الامام أبو بكر بن اسحق الصبغى النيسابورى (ت : ٣٤٢ هـ)[3] ثم أوصى بها الى أبى عبد الله الحاكم النيسابورى وفوض اليه أمرها[4] فكانت مدرسة متخصصة فى علوم السنة يضطلع بالتدريس فيها أئمة الحفاظ والمحدثين •

وقد درس الواحدى (بدار السنة) على أجل علمائها وأخذ الحديث عنهم سماعا واملاء ، وهو فى حوالى الثانية عشرة من عمره • وقد حدد وقت تلقيه على أحد شيوخها — وهو الامام القاضى أبو بكر الحيرى — فى كتابه (أسباب النزول) فقال :

« حدثنا القاضى أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى ، املاء فى (دار السنة) يوم الجمعة بعد الصلاة فى شهور سنة عشر وأربعمائة قال : ••• »[5] •

وكان أبو بكر الحيرى — كما يذكر السبكى — (كبير خراسان رياسة وسؤددا وثروة وعلما وعلو اسناد ومعرفة بمذهب الشافعى)[6] وسيأتى مزيد عنه فى تراجم شيوخ الواحدى • واما عن رحلات الواحدى العلمية خارج نيسابور فانها بلغت من الكثرة حدا جعل الواحدى نفسه — وهو يترجم لشيوخه فى مقدمة تفسيره (البسيط) يضرب عن تفصيلها أو الخوض فيها مخافة أن يمل القارىء ، يقول الواحدى :

---

(١) الضمير فى (كأنه) راجع الى الرئيس ، والدرج (بالفتح) : ما يكتب فيه ، و (كاتبا) حال من الضمير السابق .
(٢) الباخرزى : دمية القصر (بتحقيق د. سامى مكى العانى) ٢٥٦/٢ وانظر انباه الرواة : ٢٢٤/٢ .

(٣) انظر ترجمته بطبقات الشافعية للسبكى ٩/٣ — ١٢ .
(٤) السبكى : طبقات الشافعية : ١٥٩/٤.
(٥) الواحدى : أسباب النزول:ص ٣٠٦ .
(٦) السبكى : طبقات الشافعية ٧/٤ .

« ولو أثبت المشايخ الذين أدركتهم واقتبست عنهم هذا العلم من مشايخ نيسابور وسائر البلاد التى وطئتها لطال الخطب ومل الناظر[1] » .

وقد أثبت الواحدى فى ثنايا مصنفاته بعض البلاد التى ارتحل اليها وبعض الشيوخ الذين أخذ عنهم .

فمثلا يذكر فى تفسير (الوسيط) أنه قرأ على أبى عثمان الحيرى فى داره بالحيرة فيقول: (أخبرنا الأستاذ أبو عثمان سعيد بن محمد المقرى قراءة عليه فى داره بالحيرة سنة خمس وعشرين وأربعمائة ..)[2] .

كما يذكر أنه تلقى بجرجان عن جملة من المشايخ مثل : المفضل بن اسماعيل الاسماعيلى[3] والحافظ أبو الحارث محمد ابن عبد الرحيم[4] وعقيل بن محمد الجرجانى[5] كذلك تلقى باصبهان على الحافظ أبى نعيم الأصبهانى وببغداد على أبى منصور البغدادى[6] .

خامسا — شيوخه :

نهل الواحدى من أثرى مناهل العلم الفياضة فى عصره ، وتضلع من محصلات الأساطين فى مختلف فروع العلم والأدب ، فطاف على شوامخ أعلام الأمة ممن أنس فيهم رشده العلمى وألفى عندهم بغيته ، فضرب أطنابه فى رحاب أئمة الفقه والحديث واللغة والنحو والأدب ثم تخصص بصحبة أئمة علوم التنزيل وجهابذة التفسير والقراءات ، فلازم هؤلاء وأولئك وتجرد للأخذ عنهم ، فخصه كل منهم — كما صرح بنفسه — بمكنون ما عنده وأودعه خلاصة تجربته ، لما وجد فيه من أصالة الموهبة وتوفر الاستعداد مع صدق الهمة وتوقد القريحة . فكان يلازم بعض شيوخه من شروق الشمس الى غروبها ، وتستمر الملازمة الى غروب حياة شيخه فيمضى الى آخر وآخرين فى سائر البلاد ومختلف الجهات ، ويصل الليل بالنهار فى محيط لا يدرك له قرار ، حتى اكتملت ذاتيته العلمية وصار نسيج وحده واستحق فى نظر عدول الأئمة من معاصريه — لقب أستاذ عصره .

ولقد تعددت موارد الواحدى العلمية وبلغ شيوخه من الكثرة ما جعله — نفسه — يحجم عن استقصائهم فى ترجمته لنفسه خشية الاملال فاقتصر على جملة من أشهرهم ثم ذكر فى خلال تصانيفه ومروياته — خاصة فى أسباب النزول — ما يتعذر استقصاؤه . من ثم سأكتفى هنا بذكر طائفة من شيوخه الذين اشتهر أخذه عنهم :

١ — الشيخ القاضى أبو عمر جمال الاسلام : سعيد بن هبة الله بن محمد بن الحسين البسطامى : وقد سبقت الاشارة اليه فى الحديث عن نشأة الواحدى — ترجم له السبكى فى طبقاته ، ونقل عن عبد الغافر الفارسى أنه قال فيه (من سلالة الامام الذى انتهى اليه أمر الزعامة لأصحاب الشافعى ، ربى فى حجر الرئاسة ، وغذى بلبان الامامة ، وسمع من الكنجروذى وغيره . وتوفى سنة

---

(١) انظر : مقدمة تفسير (البسيط) للواحدى .
(٢) الواحدى : تفسير (الوسيط) عند تفسير قوله تعالى (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) من سورة النساء .
(٣) الواحدى : تفسير (الوسيط) لوحة / ٣٤ مخطوطة أحمد الثالث بتركيا (ميكروفيلم) بمعهد المخطوطات .
(٤) الواحدى (أسباب النزول) ص ٤٢٥ .
(٥) الواحدى (أسباب النزول) ص ٤٢٤ .
(٦) انظر أسباب النزول ص : ٨٠ ، ١٥٩ وانظر الوسيط فى تفسير أول (مريم) ص ١٥٩ نسخة حسن جلال بالمكتبة الأزهرية .

اثنتين وخمسمائة يوم عرفه »[1] واذا صح ما نقله السبكى عن عبد الغافر فان أبا عمر قد عمر فوق المائة ، لأنه كان شيخ الواحدى فى الكتاب وأستاذه الأول ، وقد قال الواحدى فيه شعرا وهو يتعلم الخط فى كتابه أوردناه فى موضعه •

٢ ــ الامام أبو طاهر محمد بن محمد ابن محمش الزيادى الفقيه الشافعى ، عالم نيسابور ومسندها (٣١٧ ــ ٤١٠ هـ) ترجم له السبكى قائلا (•• امام المحدثين والفقهاء بنيسابور فى زمانه ، وكان شيخا أديبا ، عارفا بالعربية) سلمت اليه الفتيا بمدينة نيسابور)[2] من شيوخه : أبو حامد بن بلال ، ومحمد بن الحسين القطان ، وأبو العباس الأصم وأبو عبد الله الصفار • روى عنه جماعة من الأئمة منهم الحاكم النيسابورى والحافظ البيهقى والامام القشيرى • وقد روى الواحدى عن أبى طاهر كثيرا فى تفاسيره، وذكر فى مقدمة تفسيره الوجيز أنه قرأ عليه فى شهور سنة ٤٠٩[3] حيث كانت سن الواحدى احدى عشرة سنة فكان الامام أبو طاهر الزيادى أستاذ الواحدى فى الحديث والفقه والأدب والعربية كما وضح من النقل عنه وقد تتلمذ الواحدى لأبى طاهر فى ريعان صباه وأخذ عنه الحديث والفقه ونص فى بعض كتبه على زمن تلقيه عنه •• فقد ذكر فى مقدمة (تفسير الوجيز)[4] أنه قرأ عليه فى شهور سنة تسع وأربعمائة الحديث المروى بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال (ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ••) الحديث[5] فكانت سن الواحدى آنذاك لا تجاوز الحادية عشرة وقد توفى الزيادى فى السنة التالية •

٣ ــ القاضى أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى (٣٢٥ ــ ٤٢١ هـ) ترجم له صاحب (طبقات الشافعية) وذكر أنه (كان كبير خراسان رياسة ، وسؤددا ، وثروة ، وعلما ، وعلو اسناد ، ومعرفة بمذهب الشافعى • ولى قضاء نيسابور)[6] كما ذكر أنه تفقه على أبى الوليد النيسابورى ودرس الكلام والأصول على أصحاب الشيخ أبى الحسن الأشعرى وسمع أبا على محمد بن أحمد الميدانى وحاجب ابن أحمد وأبا العباس الأصم •• وغيرهم • وروى عنه أبو عبد الله الحاكم ــ وهو أكبر منه ــ والامامان أبو بكر الخطيب والبيهقى وغيرهم •

وقد أخبر بتلقى الواحدى عنه كل من الذهبى[7] والسبكى[8] وابن العماد[9] والسيوطى[10] كما نص الواحدى على أخذه عن أبى بكر الحيرى محددا زمان ومكان تلقيه عنه • فقد قال فى أسباب النزول[11] عند ذكر سبب نزول قوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم)[12] (حدثنا القاضى أبوبكر أحمد بن الحسن الحيرى املاء فى (دار السنة)

---

(١) السبكى : طبقات الشافعية ٩٣/٧ .
(٢) السبكى : طبقات الشافعية ١٩٩/٤ ــ ٢٠٠ .
(٣) الواحدى تفسير الوجيز ٢/١
(٤) الواحدى : الوجيز فى تفسير القرآن العزيز ٢/١ .

(٥) رواه واخرجه فى مقدمة تفسيره الوجيز
(٦) السبكى : طبقات الشافعية ٦/٣ــ٧
(٧) الذهبى : العبر ٢٦٧/٣ ، سير النبلاء ٢٢٥/١١ .
(٨) السبكى : طبقات الشافعية ٢٤٠/٥ .
(٩) ابن العماد : شذرات الذهب حوادث سنة ٤٦٨ .
(١٠) السيوطى : طبقات المفسرين ٢٣/ .
(١١) الواحدى : أسباب النزول ٣٠٦/
(١٢) سورة الكهف الآية (٢٨) .

يوم الجمعة بعد الصلاة فى شهور سنة عشر وأربعمائة قال ..) .

ويتضح بهذا التحديد الدقيق أن الواحدى أخذ عن الحيرى وهو فى الثانية عشرة من عمره وأنه روى عنه الحديث فى سبب النزول فى هذه السن المبكرة .

٤ — ومن شيوخه فى علوم اللغة والأدب: أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله العروضى الصفار (٣٣٤ — ٤١٦) وهو شيخ أهل الأدب فى عصره[١] وقد خنق التسعين فى دراسته وخدمته ، وتلقى عن العديد من الأئمة كأبى العباس الأصم وأبى منصور الأزهرى وغيرهم حتى صار حجة عصره فى اللغة والشعر والأدب وقد نصب الى علم العروض لأنه كان المرجع فيه[٢] وقد لازمه الواحدى عدة سنين ملازمة كاملة يسمع ويقرأ ويعلق ويحفظ ويدارس تلاميذه فلما رآه العروضى قد أتى على دواوين الشعر وكتب اللغة حتى صار حجة فيها نصحه بالتفرغ لدراسة التفسير على الامام الثعلبى فأخبره الواحدى بأنه يتأهل بدراسة اللغة والأدب للنيل من علم التفسير عن كثب . ولم يفارق الواحدى شيخه العروضى الا بعد أن حال بينهما الموت[٣] وقد انتقلت خزانة اللغة والأدب الى الواحدى .

٥ — ومن شيوخه فى النحو والتصريف والمعانى : أبو الحسن على بن محمد القهندزى[٤] الضرير النيسابورى ترجم له صاحب (معجم الأدباء) وذكر نقلا عن السياق أنه من أصحاب أبى عبد الله — الحاكم النيسابورى ، وسمع الحديث من أبى العباس المحاملى وغيره، وسمع عنه الناس وقرأ عليه الأئمة وتخرجوا به وقد وعده الواحدى فى أعيان مشايخه[٥] ولم أقف فى تراجمه على تاريخ ميلاده أو وفاته .

٦ — ومن شيوخه فى علل النحو ومعرفة الاعراب : أبو الحسن عمران بن موسى المغربى المالكى الشريف (٣٦٥ — ٤٣٠)[٦] .

ترجم له فى (بغية الوعاة) نقلا عن السياق فقال (شيخ فاضل نحوى كبير كثير الحفظ قدم نيسابور وأفاد واستفاد وطاف البلاد ولقى الكبار وله النظم الفائق وكان من أفاضل العصر مات قريبا من الخمسمائة)[٧] .

٧ — ومن شيوخه فى القراءات : أبو القاسم على بن أحمد البستى . أحد الأئمة فى هذا العلم وقد نص ابن الجزرى فى طبقاته — فى ترجمة (أبى بكر بن مهران — على أن من تلاميذ ابن مهران والآخذين عنه : على بن أحمد البستى شيخ الواحدى[٨] .

٨ — ومنهم أبو عثمان سعيد بن محمد الحيرى المقرى الزعفرانى (ت : ٤٢٧ هـ) ذكره

---

(١) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ٨٧/٢٠ ط : ص جليوث .

(٢) القفطى : انباه الرواه وهوامشها ١١٩/١ ، ١٢٤ والمرجع السابق .

(٣) الواحدى : مقدمة تفسير البسيط ٧/١

(٤) نسبة الى قهندز نيسابور . والقهندز الحصن أو القلعة فى وسط المدينة (انظر أنباء الرواه وهوامشها ٣١٠/٢) .

(٥) ياقوت : معجم الأدباء ٤١٠/٥ ط مرجلوث .

(٦) ذكر الأستاذ السيد صقر فى مقدمة (اسباب النزول) أن وفاة أبى الحسن المالكى سنة ٤٣٠ وانه توفى عن خمس وستين سنة كما ذكر انه فقيه أصولى نحوى رحل الى بغداد سنة ٣٩٩ واخذ عن الباقلانى وقد ورد أبو الحسن فيما نقله ياقوت عن السياق باسم أبى عمران المالكى متفقا مع ما ذكره السيد صقر . واورد صاحب النجوم الزاهرة وفاته سنة ٤٥٨ هـ ٧٧/٥ واوردها ايضا فى سنة ٤٣٠ هـ ٣٠/٥ .

(٧) الامام السيوطى : بغية الوعاه ٢٣٣/٢

(٨) شمس الدين بن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء ٤٩/١ ط السعادة ١٩٣٣

الذهبى فى (المشتبه) فيمن نسب الى حيرة نيسابور وذكر أنه أخذ عن ابن مطر وعنه أخذ الواحدى[1] وكان أبو عثمان الحيرى — كما ذكر الواحدى — ممن انتهت اليهم الرئاسة فى علم القراءات وممن يشار اليهم بالبنان فى غزارة العلوم وارتفاع الأسانيد ورؤية المشايخ وكثرة التلاميذ[2] . وقد نص الواحدى فى تفسيره الوسيط على أخذه عنه فى داره بالحيرة محددا زمان ومكان قراءته عليه فقال عنه تفسير قوله تعالى (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) الآية : (أخبرنا الأستاذ أبو عثمان سعيد بن محمد المقرى قراءة عليه فى داره بالحيرة سنة خمس وعشرين وأربعمائة ..)[3] .

٩ — ومن شيوخه فى القراءات أيضا أبو الحسن على بن محمد الفارسى (ت : ٤٣٠هـ) وكان نظير ابى عثمان الحيرى فى اتقان هذا العلم وارتفاع أسانيده ووفرة شيوخه وتلاميذه وقد ترجم له ابن الجزرى قائلا : (.. امام مقرىء حاذق اخذ القراءات عرضا وسماعا عن أبى بكر أحمد بن الحسين بن مهران ، روى القراءات عنه عرضا وسماعا أحمد بن أبى عمر صاحب كتاب الايضاح)[4] .

١٠ — ومن أشهر شيوخه وأبرزهم تأثيرا فيه كمفسر : الامام العلامة أبو اسحق احمد ابن محمد بن ابراهيم الثعلبى المتوفى سنة ٤٢٧ هـ .

كان أوحد عصره فى التفسير وفرد زمانه فى علوم التنزيل . ترجم له القفطى قائلا (.. الثعلبى المقرىء المفسر الواعظ الأديب الثقة الحافظ ، صاحب التصانيف الجليلة ، العالم بوجوه الاعراب والقراءات)[5] .

وذكره السبكى فى طبقاته قائلا : (كان أوحد زمانه فى علم القرآن ، وله كتاب العرائس فى قصص الأنبياء عليهم السلام قال ابن السمعانى : يقال له الثعلبى والثعالبى وهو لقب لا نسب له ، روى عن أبى طاهر محمد ابن الفضل بن خزيمة ، وأبى محمد المخلدى ، وأبى بكر بن هانى وأبى بكر بن مهران المقرىء وجماعة . وعنه أخذ أبوالحسن الواحدى)[6] وذكره الذهبى قائلا (.. الامام الحافظ العلامة شيخ التفسير أبو اسحق أحمد بن محمد ابن ابراهيم النيسابورى . كان أحد أوعية العلم . له كتاب التفسير الكبير وكتاب العرائس فى قصص الأنبياء)[7] وهكذا نجد الاثبات من العلماء والنقاد يعرفون لهذا الامام قدره على حين نجد الفكرة السائدة فى أذهان الكثرة من المتأخرين أن الثعلبى غير ثقة ولا يعرفون عن تفسيره الا أنه يضم حشدا من الاسرائيليات فحسب ويعزفون عن دراسته أو نشر تراثه بعد تجريده من الدخيل فيه أو عليه . وهل سلم الزمخشرى — مثلا — وهو يعد قمة التفسير العقلى من الاسرائيليات؟ ان تراثنا أغنى تراث عرفته البشرية ولكنه فى الوقت نفسه يعانى أفدح ظلم من أعدائه وذويه على السواء . ان اماما كالثعلبى الذى قرأ الواحدى عليه من مصنفاته أكثر من خمسمائة جزء لا يعرف عنه طلاب الأزهر سوى كتاب (العرائس) الذى يبرأ الثعلبى ممادسته فيه أيدى خصوم الاسلام . أما تراثه الحقيقى ففى ذمة التاريخ !

---

(١) الذهبى : المشتبه ١/١٨٥ — ١٨٦ .
(٢) الواحدى : مقدمة البسيط ١/٧ .
(٣) الواحدى : الوسيط — مخطوط بالمكتبة الأزهرية ط ١ ص ٣٠ .
(٤) ابن الجزرى : طبقات القراء ١/٥٧٢ وتكررت ترجمته بطبقات القراء ١/٥٧٩ .
(٥) القفطى : أنباء الرواه : ١/١١٩ .
(٦) السبكى : طبقات الشافعية ٤/٥٨ .
(٧) الذهبى : سير اعلام النبلاء مجلد ١١/ ١٨٨ .

١١ — ومن شيوخ الواحدى أيضا من المحدثين : عبد الرحمن بن حمدان النصروى (ت : سنة ٤٣٢) ترجم له الذهبى فى (العبر)[١] وقال عنه (مسند وقته ، وراوى مسند اسحق ابن راهويه عن السمذى • روى عن ابن نجيد وأبى بكر القطيعى وهذه الطبقة • توفى فى صفر وهو منسوب الى جده نصروية)[٢] •

وذكر ابن الأثير فى (اللباب) فقال (أبو سعد عبد الرحمن بن حمدان النصرويى النيسابورى رحل الى العراق فى طلب الحديث، وسمع الكثير • روى عن عبد الله بن العباس الشطوى البغدادى وأبى بكر المفيد الجرجرائى وغيرهما ، روى عنه أبو بكر الخطيب وأبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى وغيرهما)[٣] وقد نص الذهبى على أخذ الواحدى عنه فى سير النبلاء • وتبعه السبكى فى طبقاته[٤] وروى الواحدى عنه فى أسباب النزول[٥] كما نص صاحب عمدة القوى والضعيف)[٦] على أنه من شيوخ الواحدى •

١٢ — ومن شيوخه أيضا : أبو حسان محمد بن أحمد بن جعفر المزكى المتوفى سنة ٤٣٢هـ ذكره الذهبى فى العبر وقال عنه (•• شيخ التزكية والحشمة بنيسابور ، وكان فقيها ثقة صالحا خيرا ، حدث عن محمد بن اسحق الضبعى وابن نجيد وطبقتهما)[٧] •

(١) ذكره الذهبى تحت اسم أبو سعيد النصروى والأصح ما ذكره صاحب اللباب والسبكى وغيرهما من ان كنيته أبو سعد ولقبه النصرويى.
(٢) الذهبى : العبر ١٤١/٣ .
(٣) ابن الأثير : اللباب ٢٢٦/٣ .
(٤) السبكى : طبقات الشافعية ٢٤١/٥.
(٥) الواحدى : أسباب النزول ص ١٤ ، ٢٢٧ .
(٦) اسماعيل الخضرمى : عمدة القوى والضعيف الكاشف لما وقع فى وسيط الواحدى من التبديل والتحريف مخطوط بدار الكتب رقم١٥٩ تفسير لوحه /٦ .
(٧) الذهبى : العبر ١٧٦/٣ وما بعدها .

كما ذكره فى تذكرة الحفاظ فيمن توفى سنة ٤٣٢ هـ قائلا (•• ومسند نيسابور أبو حسان محمد بن أحمد بن جعفر المزكى)[٨] ونص الذهبى فى ترجمة الواحدى بسير النبلاء على أبى حسان المزكى فى جملة شيوخه كما نص صاحب المنتخب من السياق أيضا على ذلك[٩] وقد روى الواحدى عن أبى حسان المزكى عددا من الأحاديث — عن طريقه — فى أسباب النزول[١٠] •

١٣ — ومن شيوخه كذلك : أبو حفص عمر بن أحمد بن عمر بن مسرور النيسابورى (٣٣٨ — ٤٤٨ هـ) روى عن ابن نجيد وبشر الاسفراييني وأبى سهل الصعلوكى وكان زاهدا فقيها عابدا[١١] ذكره صاحب المنتخب من السياق فيمن أكثر الواحدى الأخذ عنهم[١٢] •

١٤ — ومنهم أبو سعد : محمد بن عبد الرحمن الكنجروذى النيسابورى (ت : ٤٥٣ هـ) ذكره صاحب اللباب وقال عنه (كان أديبا فاضلا صدوقا • سمع أبا عمر محمد بن أحمد بن حمدان الحيرى وأبا سعد الادريسى وغيرهما وروى عنه الامام أبو بكر البيهقى وأبو عبد الله بن محمد الفراوى وأبو المظفر ابن أبى القاسم القشيرى وزاهر بن طاهر السمامى وغيرهم ••)[١٣] وقد عده صاحب المنتخب من السياق فيمن أخذ عنهم الواحدى[١٤]

(٨) الذهبى : تذكرة الحفاظ ١١٠٣/٣ .
(٩) الذهبى : سير النبلاء . ترجمة الواحدى .
(١٠) انظر الواحدى : أسباب النزول صفحات ٢٣ ، ٣٨ ، ٥٦ ، ٧٦ .
(١١) الذهبى : العبر ٢١٦/٣ .
(١٢) ابراهيم الصريفينى : المنتخب من السياق ميكروفيلم .
(١٣) ابن الأثير : اللباب ٥٣/٣ .
(١٤) ابراهيم الصريفينى : المنتخب من السياق ميكروفيلم .

١٥ ـ ومنهم شيخ الاسلام أبو عثمان اسماعيل بن عبدالرحمن الصابونى النيسابورى (٣٧٢ ـ ٤٤٩ هـ) ترجم له الذهبى فى العبر ونعته بقوله (.. الواعظ المفسر المصنف ، أحد الاعلام • روى عن زاهر السرخسى وطبقته • توفى فى صفر وله سبع وسبعون سنة وأول ماجلس للوعظ وهو ابن عشرسنين • وكان شيخ خراسان فى زمانه)[1] ذكره الصريفينى فى المنتخب من السياق ضمن شيوخ الواحدى مع ابن مسرور والكنجروذى •

١٦ ـ ومن شيوخ الواحدى كذلك الذين ذكرهم عبد الغافر فى السياق ـ كما ورد فى المنتخب ـ أبو الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسى[2] المتوفى سنة ٤٤٨ • ذكره الذهبى فى العبر وقال عنه (... راوى صحيح مسلم عن ابن عمرويه وغريب الخطابى عن المؤلف • كمل تسعين سنة ومات فى خامس شوال ، وكان عدلا جليل القدر)[3] وقد روى الواحدى عن عبد الغافر فى أسباب النزول[4] هؤلاء هم أبرز شيوخ الواحدى الذين سنح لى التعرف عليهم وصرحت المصادر بذكرهم •

وللواحدى خلاف هؤلاء شيوخ وشيوخ بلغوا من الكثرة مايند عن الحصر • ولقد تتبعت من روى عنهم فى كتابه (أسباب النزول) فقط • فاصحيت له مائة وبضعة عشرة • كذلك ورد فى ثنايا تفاسيره ومصنفاته من الشيوخ ما يتعذر استقصاؤهم •

ولقد تحدث الواحدى عن شيوخه وأساتذته فى مقدمة تفسيره (البسيط) حديثا شيقا جذلا يصور رؤيته الشخصية لشيوخه وتجربته الذاتية معهم وهو يحكم أصول علم التفسير على أيديهم ويقتبس كل علم من مظانه • فجسد لنا مشاعره التواقة لاستيعاب كل صغيرة وكبيرة وصور مبلغ شيوخه من العلم ـ كل فى تخصصه ـ ومؤهلاتهم التى رفعتهم الى القمة وأغرته بملازمتهم فأتاح لنا بهذا الحديث رؤية شيوخه عن قرب وبمنظاره هو ، كما اتاح لنا رؤية بعض الدقائق والملامح التى لم نقف عليها فى المصادر التى ترجمت لهم • كذلك أضاف لنا مزية الوقوف على الترتيب الزمنى لتلقيه عنهم وتدرجه العلمى الذى انتهى به الى التفسير • ومن ثم حق لنا ـ بل علينا ـ اثبات هذا الجزء من المقدمة رغم سبق تناولنا لاهم شيوخه وأساتذته ، لما فيه من جديد الفائدة ومزيدها •

يقول الواحدى :

(واظننى لم آل جهدا فى احكام أصول هذا العلم على حسب ما يليق بزماننا هذا ، وتسعة سنو عمرى ـ على قلة اعدادها ـ فقد وفق الله تعالى ـ وله الحمد ـ حتى اقتبست كل ما احتجت اليه فى هذا الباب من مظانه وأخذته من معادنه •

أما اللغة : فقد درستها على الشيخ أبى الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضى ـ رحمه الله ـ وكان قد خنق التسعين فى خدمة الادب ، وأدرك المشايخ الكبار وقرأ عليهم ، وروى عنهم : كأبى منصور الازهرى ـ روى عنه كتاب التهذيب ، وغيره من الكتب ـ وأدرك أبا العباس العامرى وأبا القاسم الاسدى ، وابا نصر : طاهر بن محمد الوزيرى ، وأبا الحسن الرخجى وهؤلاء كانوا فرسان البلاغة وائمة اللغة ، وسمع أبا العباس الاصم وروى عنه •

---

(١) الذهبى : العبر ٢١٩/٣ .
(٢) هو غير ابى الحسن عبد الغافر بن اسماعيل النيسابورى صاحب (السياق المتوفى سنة ٥٢٩) .
(٣) العبر : الذهبى ٢١٦/٣ .
(٤) انظر اسباب النزول ص ٤٩٨ .

واستخلفه الاستاذ أبو بكر الخوارزمى على درسه عند غيبته وله المصنفات الكبار والاستدراكات على الفحول من علماء اللغة والنحو •

وكنت قد لازمته سنين • ادخل عليه عند طلوع الشمس ، وأخرج لغروبها اسمع واقرأ واعلق واحفظ وابحث ، واذكر أصحابه ما بين طرفى النهار • وقرأت عليه الكثير من الدواوين وكتب اللغة حتى عاتبنى شيخى — رحمه الله — يوما من الأيام ، وقال انك لم تبق ديوانا من الشعر الا قضيت حقه !! اما آن لك أن تتفرغ لتفسير كتاب الله العزيز تقرؤه على هذا الرجل الذى يأتيه البعداء من أقاصى البلاد وتتركه انت على قرب ما بيننا من الجوار ؟ — يعنى الاستاذ الامام أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى رحمه الله — فقلت يا أبت ، انما اتدرج بهذا الى ذلك الذى تريد ، واذا لم أحكم الادب بجد وتعب لم أرم فى غرض التفسير عن كثب • ثم لم أغب زيارته يوما من الايام الى أن حال بيننا قدر الحمام[1] •

واما (النحو) : فانى لما كنت فى ميعة صباى وشرخ شبيبتى وقعت الى الشيخ « أبى الحسن على بن محمد الضرير » رحمه الله • وكان من أبرع أهل زمانه فى لطائف النحو وغوامضه • وأعلمهم بمضايق طرق العربية ودقائقها ولعله تفرس فى توسم أثر الخير لدى ، فتجرد لتخرجى وصرف وكده الى تأديبى ، ولم يدخر عنى شيئا من مكنون ماعنده حتى استأثرنى بافلاذه ، وسعدت به أفضل ما سعد تلميذ باستاذه ، وقرأت عليه جوامع النحو والتصريف والمعانى وعلقت عنه قريبا من مائة جزء فى المسائل المشكلة ! وسمعت منه أكثر مصنفاته فى النحو والعروض والعلل ، وخصنى بكتابه الكبير فى علل القراءات المرتبة فى كتاب الغاية لابن مهران رحمه الله •

ثم ورد علينا الشيخ الامام (أبو الحسن عمران بن موسى المغربى المالكى) وكان واحد عصره وباقعة دهره فى علل النحو • لم يلحق أحد ممن سمعنا شأوه فى معرفة الاعراب • ولقد صحبته مدة اقامته عندنا حتى استنزفت غرر ما عنده •

واما (القرآن وقراءات الامصار واختيارات الائمة) فانى اختلفت أولا الى الاستاذ أبى القاسم على بن أحمد البستى رحمه الله • وقرأت عليه ختمات كثيرة لا تحصى حتى قرأت عليه أكثر طريقة الاستاذ أبى بكر أحمد بن الحسين ابن مهران رحمه الله •

ثم ذهبت الى (الامامين : أبى عثمان سعيد ابن محمد الحيرى) ، (ابى الحسن على بن محمد الفارسى) رحمهما الله • وكانا قد انتهت اليهما الرياسة فى هذا العلم وأشير اليهما بالاصابع فى علو السن ورؤية المشايخ وكثرة التلاميذ وغزارة العلوم وارتفاع الاسانيد ، والوثوق فيها ، فقرأت عليهما وأخذت من كل واحد منهما حظا وافرا بعون الله وحسن توفيقه •

وقرأت على الاستاذ « سعيد » مصنفات « ابن مهران » وروى لنا كتب « أبى على الفسوى » عنه • وقرأت عليه بلفظى كتاب « الزجاج » فى المعانى رواية عن «ابن مقسم» عنه وسمع بقراءتى الخلق الكثير •

---

(١) ذكر ابن قاضى شهبة — فى طبقات النحاة ٢٤١/٢ — أن أبا الفضل العروضى ولد سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة وتوفى سنة ستة عشر وأربعمائة . بيد انه نقل عن الثعالبى انه خنق التسعين فى خدمة الكتب مما يرجح وفاته بعد سنة ٤١٦ اى حوالى سنة ٤٢٤ هـ تقريبا .

ثم فرغت للاستاذ الامام : « أبى اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى » رحمه الله • وكان حبر العلماء بل بحرهم ، ونجم الفضلاء بل بدرهم ، وزين الأمة بل فخرهم • وواحد الأمة بل صدرهم • وله التفسير الملقب (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) الذى رفعت به المطايا فى السهل والاوعار ، وسارت به الفلك فى البحار وهب هبوب الريح فى الاقطار •

فسار مسير الشمس فى كل بلدة
وهب هبوب الريح فى البر والبحر

واصفقت عليه كافة الأمة على اختلاف نحلهم ، وأقروا له بالفضل فى تصنيفه ما لم يسبق الى مثله • فمن أدركه وصحبه علم أنه كان منقطع القرين • ومن لم يدركه فلينظر فى مصنفاته ليستدل بها على أنه كان بحرا لا ينزف وغمرا لا يسبر •

وقرأت عليه من مصنفاته أكثر من خمسمائة جزء !! وتفسيره الكبير • وكتابه المعنون بالكامل فى علم القرآن • وغيرهما »
ثم يختم الواحدى حديثه عن شيوخه مصورا كثرتهم وتعذر استقصائهم بقوله : ولو أثبت المشايخ الذين أدركتهم وأقتبست عنهم هذا العلم من مشايخ نيسابور وسائر البلاد التى وطئتها لطال الخطب ومل الناظر أ هـ [1]

لقد رسم لنا الواحدى ملامح الصورة المشرقة لاساتذته وشيوخه وعمق صلته بهم وتقديره لهم الأمر الذى مكن له فى قلوبهم فاستودعوه مكنوناتهم وذخائرهم التى ارتفع بها الى قمتهم ليضيف الى رصيد العلم جديدا يحفظه له التاريخ •

(١) انظر مقدمة تفسير البسيط ١/٧ــ٩ •

سادسا : تلاميذه

آتت شخصية الواحدى العلمية أكلها ، واضفت ثراءها المتمثل فيما خلفته من آثار فى جانبى التأليف والتعليم • وقد تحدثت المصادر المترجمة للواحدى عن كلا الجانبين وأشارت باسهام علمى ضخم يعكس شموخ الواحدى وفحولته العلمية •

فقد ذكر صاحب السياق أن الواحدى (قعد للتدريس والافادة سنين ، وتخرج به طائفة من الائمة) [2] •

كما ذكر الذهبى أنه (••• تصدر للتدريس مدة وعظم شأنه) [3] •

كذلك يذكر القفطى فى (انباء الرواة) فى ترجمته للواحدى انه (سار الناس الى علمه واستفادوا من فوائده) [4] •

وأغلب الظن أن الواحدى قد درس بالمدرسة النظامية بنيسابور ، لأن الوزير نظام الملك • ومن بعده أخاه الوزير أبا القاسم ــ كلاهما كان يجل الواحدى ويكرمه ويقدر له مكانته العلمية ــ مما يستبعد معه الا يفيد طلاب النظامية من علم الواحدى الذى طبقت شهرته الافاق • لا سيما وقد وردت علاقته النظام وأخيه الوطيدة بالواحدى فى كثير من المصادر فى سياق قيامه بالتدريس والافادة • فيقول صاحب (معجم الادباء) فى ترجمته للواحدى (وقعد للافادة والتدريس سنين ، وتخرج به طائفة من الائمة سمعوا منه وقرءوا عليه وبلغوا محل الافادة ، وعاش سنين ملحوظا من النظام وأخيه بعين الاعزاز ، والاكرام [5] •

(٢) انظر (بغية الوعاه) للامام السيوطى ١٤٥/٢ •
(٣) الذهبى : سير اعلام النبلاء ١١/٢٢٤ ــ ٢٢٥ •
(٤) القفطى : انباء الرواه ٢/٢٢٣ •
(٥) ياقوت : معجم الأدباء ط القدسى (فريد الرفاعى) ١٢/٢٥٧ ــ ٢٥٨ •

ولقد برز العديد من تلاميذ الواحدى فى مختلف فروع العلم نذكر منهم — على سبيل المثال لا الحصر —

١ — الامام الفقيه عبد الجبار بن محمد ابن أحمد الخـــوارى[1] (٤٤٥ — ٥٥٣ هـ) ترجم له السبكى فى طبقاته وذكر انه تفقه على امام الحرمين وعلق المذهب عليه وبرع فيه ، كما ذكر أنه تقلد أمامة الجـــامع المنيعى فى نيسابور[2] .

وذكره السمعانى قائلا (كان اماما فاضلا مفتيا متواضعا . سمع أبا بكر أحمد بن الحسين البيهقى وأبا الحسن على بن أحمد الواحدى وأبا القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى وغيرهم . كتبت عنه الكثير بنيسابور وقرأت عليه الكتب)[3] . ويعد الخوارى هذا فى مقدمة من أخذ عن الواحدى حتى يكاد يذكر معه فى كل مصدر نص على تلامذة الواحدى بل لقد نص الذهبى فى ترجمته للواحـــدى على أن الخوارى أكبر من أخذ عنه ، فقال : (.... حدث عنه أحمد بن عمر الارغيانى وعبد الجبار ابن محمد الخـــوارى ، وطـــائفة أكبـــرهم الخوارى)[4] وقـــد روى عبد الجبـــار عن الواحدى (تفسير الوسيط) وتسلسلت الرواية عنه كما هو ثابت فى مقـــدمة بعض نســـخ الوسيط[5] .

(١) نسبة الى خوار وهى احدى قرى بيهق .
(٢) السبكى : طبقات الشافعية ١٤٤/٧ .
(٣) السمعانى : الانساب ٢١٥/٥ .
(٤) الذهبى : سير النبلاء ١١ ، ٢٢٤ — ٢٢٥ (ولم أجد ترجمة لأحمد بن عمر الارغيانى فلعل الذهبى قصد به عمر بن عبد الله الارغيانى المترجم بعد .
(٥) ذكره فى مقدمة الجزء الثانى من الوسيط (نسخة المكتبة الأزهرية المخطوطة سنة ٧٨٠ هـ رقم ١٢٥٥) انه رواية الشيخ الامام عبد الجبار ابن محمد الخـــوارى البيهقى عن المصـــنف ، وللخوارى تراجم اخرى فى العبر ٩٩/٤ ، شذرات الذهب ١١٣/٤ ، معجم البلدان ٤٧٩/٢ .

٢ — أبو نصر محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمـــد بن عبد الله الارغيـــانى[6] (٤٥٤ — ٥٢٨ هـ) ذكره الامام السبكى فى طبقاته وقال عنه (... وكان مفتى أصحابنا فى وقته ، سمع أبا الحسن الواحدى وأبا بكر أحمد بن على بن خلف الشيرازى وأبا على بن نبهان الكاتب وخلقا روى عنه جماعة منهم أبو سعد بن السمعانى بالاجازة)[7] .

كما ذكره ابن خلكان وقال (واشتغل على امام الحرمين أبى المعالى الجوينى وبرع فى الفقه وكان اماما مفتيا ورعا كثير العبادة . وسمع الحـــديث من أبى الحسن الواحـــدى صاحب التفاسير . وروى عنه فى تفسير قوله تعالى (انى لأجد ريح يوسف) ان ريح الصبا استأذنت ربها عز وجل أن تأتى يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير بالقميص فاذن لها فأتته بذلك ... فلذلك يستروح كل محزون بريح الصبا — وهى من ناحية المشرق — اذا هبت على الابدان نعمتهـــا ولينتهـــا وهيجت الاشواق الى الاوطان والاحباب) وقد حقق ابن خلكان نسبة كتاب الفتاوى المستخرجة من كتاب نهاية المطلب لأبى نصر الأرغيانى .وقد كان يظنها — قبل التحقيق — لابى ســـهل الارغيانى[8] .

٣ — عمر بن عبد الله بن أحمد بن محمد ابن عبد الله الخطيب الارغيانى . شقيق أبى نصر الســـابق ويلقب هذا بالاحـــدث وذاك بالاكبر[9] ذكره الامام السبكى قائلا (وكان

(٦) نسبة الى ارغيان وهى ناحية من نواحى نيسابور (السمعانى : الانساب ١/ ١٦٧) .
(٧) الامام الســـبكى : طبقات الشافعية ١٠٨/٦ .
(٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥٨٨/١ — ٥٨٩ ط بولاق .
(٩) الامام الســـبكى : طبقات الشافعية ٢٤٧/٧ .

فقيها صالحا سديدا كثير الخير • ورد نيسابور وتفقه على امام الحرمين وسمع الاستاذ أبا القاسم القشيرى وأبا الحسن الواحدى وأبا حامد أحمد بن الحسن الازهرى وأبا بكر محمد بن القاسم الصفار • ت سنة ٥٣٤ هـ • وقد روى عمر الارغيانى عن الواحدى كتاب أسباب النزول وهى الرواية التى اعتمد عليها فى تحقيق الكتاب[1] •

٤ ـ أبو الحسن على بن سهل بن العباس النيسابورى المفسر (ت : سنة ٤٩١ هـ) ذكر صاحب المنتخب من السياق قائلا (على بن سهل بن العباس الامام أبو الحسن المفسر العالم العابد الزاهد • نشأ فى طلب العلم وتبحر فى العربية ، وكان من تلامذة الواحدى وكان صحيح الحفظ سمعنا بقراءته بعض صحيح البخارى برواية الحفصى مناوبة بينه وبين أبى سعيد الحيرى فى الجمع العظيم بالمدرسة النظامية سنة خمس وستين وأربعمائة •• »[2] كما ترجم له الامام السبكى فى طبقاته وذكر من كتبه : (كتابا فى التفسير) و (زاد الحاضر والبادى) و (مكارم الأخلاق)[3] •

٥ ـ أبو القاسم يوسف بن على بن جباره الهذلى المغربى (ت : سنة ٤٦٥ هـ) ذكره الذهبى فى العبر ونعته بقوله (•• المقرىء المتكلم النحوى • صاحب كتاب « الكامل » فى القراءات وكان كثير الترحال حتى وصل الى بلاد الترك فى طلب القراءات المشهورة والشاذة)[4] وكان الهذلى تلميذا للواحدى فى علم القراءات • وقد نص ابن الجزرى فى طبقاته على روايته القراءة عنه فى ترجمته للواحدى مثال (•• وروى القراءة عنه (ك) أبو القاسم الهذلى)[5] •

٦ ـ أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد ابن ابراهيم الميدانى (ت : ٥١٨ هـ) ذكره القفطى قائلا (أمام أهل الأدب فى عصره) ثم قال (قرأ الأصول وأحكمها ثم أخذ فى التصنيف فأحسن كل الاحسان فيما جمعه وصنفه ، وأربى على من تقدم بالترتيب والتحقيق واستدرك على بعض من زل قبله من المصنفين وأصلح مواضع الغلط) ثم أوضح اطار ونوعية تلمذته للواحدى فقال : (وتخصص بصحبته الامام على بن أحمد الواحدى والأخذ عنه وسماع التفسير منه وقراءة النحو عليه)[6] •

من ثم نستوضح أن تلمذة الميدانى للواحدى كانت تلمذة تخصص ـ ولهذه الكلمة وزنها فى كفة العلم ـ ثم نجد أن الميدانى قد نهل من الواحدى علم التفسير وعلم النحو• وقد ذكر ياقوت فى المعجم عديدا من المصنفات التى صنفها الميدانى منها جامع الأمثال ، السامى فى الاسامى ، الأنموذج فى النحو ، الهادى للشادى ، النحو الميدانى ، نزهة الطرف فى علم الصرف ، شرح المفضليات •• الخ[7] كما نص صاحب (نزهة الألباء) على تلمذة الميدانى للواحدى ولم يذكر له شيخا غيره[8] •

(١) انظر مقدمة أسباب النزول صفحة ٣٤.
(٢) ابراهيم بن محمد بن الازهر الصريفينى: المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور (ميكروفيلم بمعهد المخطوطات) .
(٣) الامام السبكى : طبقات الشافعية ٢٥٨/٥
(٤) الذهبى : العبر ٢٦٠/٣
(٥) شمس الدين محمد بن محمد الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء ٥٢٣/١
(٦) القفطى : انباه الرواه : ١٢١/١ ـ ١٢٣
(٧) ياقوت : معجم الادباء ١٠٨/٢ ط مرجليوث .
(٨) ابن الانبارى : نزهة الالباء فى طبقات الادباء ص ٣٩٠

٧ ــ أبو الفضل محمد بن أحمد الماهيانى[١] (ت : سنة ٥٢٥ هـ) ترجم له السبكى فى الطبقات الوسطى ونقل عن ابن السمعانى أنه امام فاضل ورع ، كانت له معرفة تامة بالفقه وتغرب مدة بنيسابور عند امام الحرمين يتفقه عليه بعد أن تفقه بمرو على أبى الفضل التميمى كما ذكر انه سمع بنيسابور الحافظ أبا صالح المؤذن وأبا المعالى الجوينى وأبا بكر بن خلف الشيرازى وأبا الحسن الواحدى المفسر وغيرهم[٢] .

كما ذكره ابن الأثير فى (اللباب) قائلا فقال : (وأبو الفضل محمد بن أحمد بن محمد ابن حنفى الماهيانى الفقيه الشافعى الامام الفاضل مبرز عارف بالمذهب تفقه على أبى الفضل التميمى وأبى المعالى الجوينى وأبى سعد المتولى وسمع الحديث منهم ومن أبى الحسن الواحدى)[٣] .

٨ ــ اسماعيل بن أبى صالح المؤذن (٤٥١ ــ ٥٣٢ هـ) الفقيه الشافعى . نقل السبكى فى ترجمته له بطبقاته عن ابن عساكر أنه كان اماما فى الأصول والفقه وقد قرأ (الارشاد) على مصنفه امام الحرمين . وقد تتلمذ على أبيه الحافظ أبى صالح المؤذن وعلى الامام القشيرى . كما ذكر فى الطبقات الوسطى أنه تتلمذ على أبى اسحق الشيرازى أيضا . وقد ذكر ابن قاضى شهبه فى (طبقات النجاة) ان اسماعيل بن أبى صالح قد حدث عن الواحدى وعن غيره[٤] والى جانب هؤلاء وغيرهم كثير من العلماء الذين أخذوا عن الواحدى وتتلمذوا على يديه وأجازهم بمصنفاته وسمعوا عنه مؤلفاته وكان من بينهم أعلام وحفاظ ــ رووا عنه مصنفاته كالحافظ البيهقى والحافظ عبد الغافر الفارسى .

ففى مكتبة الظاهرية بدمشق نسخة قديمة من (الوسيط) للواحدى ذكر بها أنها منقوله من نسخة الحافظ ابن عساكر محدث الشام وكان سمعه على البيهقى وسماع البيهقى على المصنف الواحدى[٥] كذلك نجد صاحب (معجم الادباء) ينقل عن عبد الغافر الفارسى فى ترجمة الواحدى ويذكر فى خاتمتها ان عبد الغافر قال ــ والحديث عن الواحدى ــ (واجاز لى جميع مسموعاته[٦]) اما تلاميذ كتب الواحدى فهم لا يحصون كثرة لأنه ترك آثارا تبلى الملوين بجدتها واصالتها ، وكلما تعاقب الجديدان ازداد طلابها وروادها لأن التاريخ لا يطوى صفحات العلماء فى سجله بموتهم بل يؤرخ لهم حياة جديدة متعاقبة ويسجل لهم امتدادا بآثارهم وطلابهم .

سابعا ــ علمه وثقافته :

يتعذر على الباحث فى نتاج فحول العلماء ــ من أمثال الامام الواحدى ــ أن يحيط بشتى الجوانب العلمية التى اتسعت لها مداركهم ، وحفلت بها موسوعيتهم الفذة ، اللهم الا رؤية شمولية للاطار العلمى ككل ، ومن خلالها يقترب الباحث رويدا رويدا من زاوية

---

(١) نسبة الى ماهيان وهى قرية من قرى مرو

(٢) الامام السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ٦٩/٦ (وقد نقل بها مشها النص المشار اليه من الطبقات الوسطى) .

(٣) ابن الاثير : اللباب فى تهذيب الانساب ٩١/٣

(٤) الامام السبكى : طبقات الشافعية ٤٤/٧ ــ ٤٥

(٥) أنظر فهرس الكتب الظاهرية قسم (علوم القرآن) ص ٣٢٠

(٦) ياقوت الحموى : معجم الادباء ٩٨/٥ ط مرجليوث .

خاصة • فيتناولها بالدرس والتحليل ، ويستوضح بالرؤية الفاحصة الدقيقة مدى توفر الاصالة العلمية والمنهجية التى ترتفع بالعالم الى أوج النضج والاكتمال •

من هذا المنطلق : نتعرف على ابرز معالم البناء العلمى عند الواحدى ، فنجده قد بدأ مساره التكوينى بتأسيس قاعدة علمية عريضة تتمثل فيها ابرز مكونات الشخصية العلمية التى تؤهله للتبحر فى شتى العلوم • ثم ترتفع قاعدة الهرم العلمى آخذة طريقها للشموخ والتخصص والتفرد حتى تصل الى الذروة • وهناك نلتقى بالواحدى المفسر ، فلقد صبت كل الروافد العلمية للواحدى فى محيط تفسيره وانعكست ثقافته وأدبه فى أسلوبه ــ التفسيرى وان امتدت ابعادها الى مصنفاته الأخرى لا سيما فى الحقل اللغوى والادبى •

وسنمر سريعا بلمحات خاطفة عن ابرز الجوانب العلمية عند الواحدى ريثما نقف على أثرها التطبيقى فى تناول منهجه فى التفسير :

١ ــ تبحره فى علوم اللغة والنحو :

ايقن الواحدى ــ فى بواكير نشأته العلمية ــ أن أهم ركائز تكوينه العلمى تتمثل فى تضلعه من معين اللغة والنحو والتبحر فى علوم العربية ، فتخصص بصحبة الاساطين فى هذا المضمار • وقد مر بنا ــ فى مسيرته الذاتية العلمية التى اودعها مقدمة تفسيره البسيط ــ تصويره لملازمة اقطاب اللغة والنحو ، كشيخه العروضى الذى تحدث عن مكانته فى اللغة والنحو واخذه عنه • اذ يقول (وله المصنفات الكبار ، والاستدراكات على الفحول من علماء النحو ، وكنت قد لازمته سنين أدخل عليه عند طلوع الشمس واخرج لغروبها اسمع وأقرأ ، وأعلق واحفظ واذاكر اصحابه ما بين طرفى النهار وقرأت عليه الكثير من الدواوين وكتب اللغة[١]) •

وكان أبو الفضل العروضى تلميذ ابى منصور الازهرى اللغوى الكبير وكان كتابه (التهذيب) من بين ما درسه الواحدى على العروض من أمهات كتب العربية ، وقد أوغل الواحدى فى علوم الضاد حتى صار من اساطينها وانعكس ذلك فى مصنفاته عامة وفى التفسير خاصة • حتى رأينا (القفطى) يقول عن تفسيره البسيط : (ومن رآه علم مقدار ما عنده من علم العربية[٢]) وقال الذهبى فى مكانة الواحدى (وكان رأسا فى اللغة العربية[٣]) •

وفى ميدان النحو أيضا : تحدث الواحدى عن فترة تكوينه فى هذا الفن قائلا : (واما النحو : فانى كما كنت فى ميعة صباى وشرخ شبيبتى وقعت الى الشيخ أبى الحسن على بن محمد بن ابراهيم الضرير رحمه الله ، وكان من أبرع أهل زمانه فى لطائف النحو وغوامضه وأعلمهم بمضايق طرق العربية ودقائقها ، ولعله تفرس فى وتوسم أثر الخير لدى ، فتجرد لتخريجى ، وصرف وكده الى تأديبى ، ولم يدخر عنى شيئا من مكنون ما عنده حتى استأثرنى بافلاذه ، وسعدت به أفضل ما سعد تلميذ بأستاذه ، وقرأت عليه جوامع النحو والتصريف والمعانى ، وعلقت عنه قريبا من مائة جزء فى المسائل المشكلة ، وسمعت منه أكثر مصنفاته فى النحو والعروض والعلل ، وخصنى بكتابه الكبير فى علل القراءات المرتبة فى كتاب الغاية لابن مهران[٤]) •

---

(١) الواحدى البسيط ٧/١
(٢) القفطى : انباه الرواه : ٢٢٣/٢
(٣) الذهبى : العبر فى خبر عن عبر ٢٦٧/٣
(٤) الواحدى : تفسير البسيط ٧/١

ان من يطالع هـذا النص أو سـابقه للواحدى يحسب دون شك ـ أنه خلق ليكون لغويا أو نحويا فحسب • ومع ذلك لم يكن العروضى أو الضرير الا احد من نزف الواحدى غرر ما عندهم ، وقد جمع الواحدى بين السماع والحفظ والمذاكرة والتعليق حتى بلغ ما علقه عن الضرير وحده مائة جزء فى مشكلات النحو ! ترى ماذا يكون الأمر فى باقى جوانب علوم العربية ومع عشرات الشيوخ والجهابذة ؟

لقد تربع الواحدى فى علم النحو فوق القمة ونال عند العلماء رتبة الامامة ، فيقـول اليافعى عنه فى (مرآة الجنان) : (والامام المفسر ابو الحسن على بن احمـد الواحدى النيسـابورى : اسـتاذ عصره فى النحـو والتفسير[1]) •

ويقـول ابن هداية الله الحسـينى فى طبقاته ـ مترجما للواحدى ـ (كان اماما فى النحو واللغة وغيرهما[2]) •

وللواحدى مصنف فى عـلم النحو هو كتاب (الاغراب فى الاعراب) ذكره الذهبى وابن العماد والسيوطى وحاجى خليفة • كما ذكر ابن قاضى شهبة له مصنفا آخر فى النحو نقل عنه ابن عمرون ـ فى (الارتشاف[3]) وسنعرض للمصنفين عند الحديث عن مصنفاته• وقـد استوعب الواحدى فى تفسيره• البسيط امهات مسائل النحو واوجه الاعراب حتى عده قوم من طائفة المفسرين بالنحو فحسب لمـا بلغه الواحدى من تبحر فى هذا الفن ، فنجد الامام السيوطى يقول فى حديثه عن طبقات المفسرين : (ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا فى علوم ، فكان كل منهم يقتصر فى تفسيره على الفن الذى يغلب عليه ، فالنحوى تراه ليس له هم الا الاعراب وتكثير الاوجه المحتملة فيـه ونقل قواعد النحو ومسـائله وفروعه وخلافياته كالزجاج والواحدى فى البسيط[4])•

٢ ـ فى الحديث والفقه والكلام :

ألفى الواحدى نفسـه ـ ابان نشـأته العلمية ـ بين اسـاطين المحدثين والفقهـاء والمتكلمين بمختلف اتجاهاتهم ومدارسهم فزج بنفسه فى هذا الغمار وأخذ ينهل من تلك الموارد العذبة الدفاقة • حتى صار فى عداد الائمة •

وفيما يتعلق بمكانته فى الحديث : نجد العلماء وأصحاب التراجم يحتفون بالواحدى ويذكرون له منقبة لها وزنها العلمى فى هذا المضمار ، الا وهى علو سـنده فى الحـديث وتلقيه عن جهابذة هذا العلم الشريف • فنجد صـاحب (المنتخب من السـياق) يقول فى ترجمة الواحدى :

(قرأ الكثير على المشايخ وأدرى الاسناد العالى من الأستاذ الامام أبى طاهر الزيادى وأقرانه وأكثر عن أصحاب الاصم ، ثم عن مشايخ الطبقة الثانية : كأبى سعد النصروى وأبى حسان المزكى ، وأبى عبد الله بن اسحق النصراباذى • والزعفرانى ومن بعدهم من أبى حفص بن مسرور ، والكنجروذى ، وأبى الحسين عبد الغافر ، وشيخ الاسلام الصابونى والسادة العلوية وغيرهم[5]) •

---

(١) اليافعى : مرآة الجنان ٩٦/٣

(٢) ابن هداية الله : طبقـات الشافعية / ١٦٨

(٣) انظر الذهبى : سير اعـلام النبلاء : ترجمة الواحدى بالمجلد الخامس عشر ، وطبقات النحاه لابن قاضى شـهبه ١٣٧/٢ ، شـذرات الذهب : ٣٣٠/٣ بغية الوعاة ١٤٥/٢ ، كشف الظنون ١٢٥/١

(٤) السيوطى : الاتقان ٢١٢/٤

(٥) ابراهيم الصريفينى : المنتخب من كتاب السـياق لتـاريخ نيسـابور : ميكروفيلم بمعهد المخطوطات

وأيضا يقول ياقوت فى ترجمة الواحدى (وأدرك الرمادى[1] وأكثر عن أصحاب الاصم[2]) كذلك يقول القفطى فى ترجمته (•• قرأ الحديث على المشايخ وأدرك الاسناد العالى • وسار الناس الى علمه ، واستفادوا من فوائده[3]) •

وقال فيه ابن تغرى بردى (•• كان اماما بارعا محدثا[4]) •

ولا شك ان تلك الاراء التى ادلى بها العلماء والمؤرخون وغيرها انما تنم عن مكانة عالم محدث ، ولا غرو فالواحدى هو صاحب (أسباب النزول) الذى يعد من أعظم ما صنف فى بابه • وكل احاديثه مسنده بسند الواحدى المتصل ، وله مروياته التى اعتمد عليها كبار المفسرين من بعده • ولنا لقاء مع دور الحديث فى تفسير الواحدى فى اطار دراسة منهجه فى التفسير ، وقبل ان نترك هذه القبسة عن مكانته فى الحديث لا نترك عبارة ابن مكتوم الذى وصف الواحدى بأنه (استاذ عصره فى الحديث على المشايخ وادرك الاسناد العالى[5])

واما عن الواحدى الفقيه :

فان ترجمته تحتل مكانة بارزة فى كتب (طبقات الشافعية) للسبكى ، وابن قاضى شهبة ، وابن هداية الله وغيرها • ونجد ابن قاضى شهبه يقول فيه (على بن احمد بن محمد ابو الحسن الواحدى : كان فقيها ، اماما فى النحو واللغة وغيرها[6]) كما ذكر فى خاتمة ترجمته أنه (•• نقل عنه فى الروضة[7] فى مواضع من كتاب السير فى الكلام على الاسلام[8]) •

اما ابن هداية الله : فيذكر فى ترجمة الواحدى أنه (كان اماما فى النحو واللغة وغيرها ، واستاذ الفقه والتفسير فى عصره[9])

وقد افرغ الواحدى خلاصة محصوله الفقهى فى تفاسيره عند تفسير آيات الاحكام التى يوليها عناية فائقة ويبرز مكنون ما عنده فاذا به امام يعرض فى المسألة الواحدة مذاهب فقهية عديدة ولا يكتفى ببيان مذهبه ، بل ويرجح بعض الاراء على بعض بنظرة علمية ثاقبة ورؤية فقهية بعيدة المدى وسنقف على مبلغه من الفقه فى موضعه من البحث •

واما عن الواحدى المتكلم :

فاننا نجده فى مواقفه الكلامية المنبثة فى تفاسيره : أشعريا من الطراز الأول ، ذائدا عن حمى أهل السنة والجماعة ، شهابا رصدا لأهل البدع والضلالة ، فله مع القدرية مواقف ومواقف ومجادلات ومنازلات • ومع سائر الفرق المبتدعة من المشبهة والمجسمة وغيرهم

---

(١) خطأ من الناسخ وصحته (الزيادى) لأن الحافظ احمد بن منصور الرمادى — وهو المعنى بالرمادى فى تراجم الحفاظ والمحدثين — قد توفى سنة ٢٦٥ هـ كما ذكره الذهبى فى ترجمته وقرينة التصحيح ما ورد فى نص المنتخب من السياق من ذكر الزيادى ويليه أصحاب ابى العباس الاصم المتوفى ٣٤٦ فى صدارة شيوخ الواحدى .

(٢) ياقوت الحموى : معجم الادباء ٩٧/٥ بتحقيق مرجليوث .

(٣) القفطى : انباه الرواه ٢٢٣/٢

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٠٤/٥

(٥) احمد بن عبد القادر بن مكتوم : تلخيص اخبار النحويين واللغويين لوحة ١٢٥ .

(٦) ابن قاضى شهبة : طبقات الشافعية مخطوط بدار الكتب رقم ١٥٦٨ تاريخ : الورقة ٢٦

(٧) من المرجح أنه يعني بالروضة : مصنف الامام النووى فى فقه الشافعية . وكتاب السير : فى باب الجهاد .

(٨) المرجع السابق وانظر شذرات الذهب لابن العماد ٣٣٠/٣

(٩) ابن هداية الله : طبقات الشافعية ١٦٩

صولات وجولات ولهذه المنزلة التى تمتع بها الواحدى بين أساطين عصره من حماة المذهب الاشعرى : وجدنا الوزير السنى المقيض لرفع الواء هـذا المذهب (نظـام الملك) يحتفى بالواحدى ويكرمه ويعظمه وكذا اخوه من بعده وكان حقيقا بهذا الاحترام والاعظام[١] ، ولما قام به من جهد فى نصرة مذهب أهل السـنة والجماعة فى وقت تظاهر فيه أهل البدع باللسان والسنان والسـلطان واسـتطار شرار الفتن الدامية التى عرضنا لهـا فى تصوير الحالة الدينية فى عصره • فلم يقف الواحدى مكتوف الايدى ، كما أنه لم يندفع فى أتون الفتنة بل خلد الى قلمه ومحبرته وقرطاسه واطلق سهامه النارية بقلمه فى صدور الملاحدة ودعاة الفرقة المذهبية •

وسنرى الى أى مدى كان أثر الواحدى فى نصرة عقيدته عند تناول آرائه الكلامية فى اطار المنهج التفسيرى •

ومن عـرض هاتين النبذتين عن مكانة الواحدى فى الفقه وعلم الكلام : نتبين صورة واضحة لعقيدته السـنية الأشعرية ومذهبه الفقهى الشافعى لتتكامل امامنا ملامح الصورة العلمية شيئا فشيئا عند ابى الحسن •

٣ ــ فى الادب والنقـد :

من أهم المكونات العلمية التى يرتقى بها العالم الى أوج النضج والشموخ : أن يكون أديبا ، ذواقة للغة ، حفيا بالقيم الادبية فى مأثور القول شعره ونثره • وقد شغف صاحبنا ابو الحسن الواحدى بالادب ، وازداد شغفه عمقا بتبحره فى دراسة علوم اللغة ، اذ حرص على تمثل الجانب التطبيقى لدراسته اللغوية فى ديوان الادب ، وفى رياض الشعر خاصـة فكان يروض قريحته ويصقل موهبته فى دواوين فحول الشعراء مزودا بثقافته اللغوية الواسعة التى مكنته من اقتناص مجانى الادب وتحصيل اروع ما تعتز به الضاد من تراث العرب •

لذا نجد صديقه ابا الحسن الباخرزى يصفه فى (دمية القصر) قائلا :

(مشتغل بما يعنيه وان كان استهدافه للمختلفة يعنيه ، وقد خبط ما عند ائمة الادب من أصول كلام العرب خبط عصا الراعى فنون الغرب ، وألقى الدلاء فى بحارهم حتى نزفها ومد البنان الى ثمارهم الى أن قطفها ، وله فى علم القرآن، وشرح غوامض الاشعار تصنيفات بيده لاعنتها تصريفات[٢] ••) •

وكان من أروع نتاج الواحدى فى ميدان الادب : شرحه لديوان أبى الطيب المتنبى الذى يعد ــ عند ائمة الادب ــ اعظم شرح لهذا الديوان ، وقد اورده صاحب (كشف الظنون) فى مقدمة شروح ديوان المتنبى التى فاقت الأربعين شرحا لجهابذة الادب ، وتحدث عنه قائلا : (•• فأجلها نفعا ، وأكثرها فائدة : شرح الامام أبى الحسـن على بن احمـد الواحدى المتوفى سـنة ٤٦٨ هـ ثمان وستين وأربعمـائة ، وليس فى شروحه مع كثرتهـا مثله[٣]) •

وقد سبقه الى هذا التقدير : ابن خلكان حيث قال فى ترجمة الواحدى (وشرح ديوان أبى الطيب المتنبى شرحا مستوفى ، وليس

---

(١) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ٩٨/٥

(٢) الباخرزى : دمية القصر بتحقيق الدكتور سامى مكى العانى ٢٥٥/٢

(٣) حاجى خليفة : كشف الظنون ٨٠٩/١

فى شروحه مع كثرتها مثله ، وذكر فيه أشياء غريبة منها انه فى شرح هذا البيت :

واذا المكارم والصوارم والقنا
وبنات أعوج كل شىء يجمع

تكلم على هذا البيت ثم قال فى أعوج[1] :

انه فحل كريم لبنى هلال بن عامر ، وأنه قيل لصاحبه : ما رأيت من شدة عدوه ؟ فقال ضللت فى بادية وأنا راكبه ، فرأيت سرب قطا يقصد الماء فتبعته وأنا اغض من لجامه حتى توافينا على الماء دفعة واحدة !! وهذا اغرب شىء يكون ، فان القطا شديد الطيران ، واذا قصد الماء اشتد طيرانه أكثر من قصد غير الماء ثم ما كفى حتى قال : كنت أغض من لجامه ولولا ذلك كان يسبق القطا . وهذه مبالغة عظيمة .

وانما قيل له أعوج ، لأنه كان صغيرا ، وقد جاءتهم غارة فهربوا منها وطرحوه فى خرج وحملوه لعدم قدرته على متابعتهم لصغره فاعوج ظهره من ذلك فقيل له أعوج وهذا البيت من جملة القصيدة التى رثا بها فاتكا المجنون[2]) .

---

(١) روى صاحب (الوفيات) شرح الواحدى لهذا البيت بالمعنى أما لفظ الواحدى فهو (واعوج فحل معروف من فحول العرب اليه تنسب الخيل الاعوجية ، وانما سمى اعوج ، لأن ليلا وقعت فيه غارة على اصحاب هذا الفحل وكان مهرا . ولضنهم به حملوه فى وعاء على الابل حتى هربوا من الغارة فاعوج ظهره وبقى فيه العوج فلقب بالاعوج . وقال الاصمعى : سئل ابن الهلالية — فارس اعوج — عن اعوج فقال : ضللت فى بعض مغاوز تميم فرايت قطاة تطير فقلت فى نفسى والله ما تريد الا الماء فاتبعتها ولم أزل اغض من عنان اعوج حتى وردت والقطاة) أ هـ انظر شرح ديوان المتنبى / ٧١٢

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ٢/٢٦٤

ومن أمثلة ما استوقفنى فى شرح الواحدى لديوان المتنبى مما يدل على تبحر أبى الحسن فى الادب وسعة محصوله وغزارة مادته فى الشعر والتنظير للمعنى الواحد بعديد من الأمثلة والشواهد : ما ذكره عند شرح قول المتنبى :

وأحلى الهوى ما شك فى الوصل ربه
وفى الهجر فهو الدهر يرجو ويتقى

يقول الواحدى (يعنى : يرجو الوصل ويتقى الهجر بمراعاة أسباب الوصال ، وانما جعل أحلى الهوى ما كان مشكوك الوصل : لأن العاشق اذا كان فى حيز الشك : كان للوصل أشد اغتناما ، واذا تيقن الوصل لم يلتذ به عند وجوده ، واذا كان فى يأس من الوصل : لم يكن له لذة الرجاء فالهوى عليه بلاء كله . كما قال الاخر :

تعب يطول مع الرجاء لذى الهوى
خير له من راحة مع يأس

والشعراء قد ذكروا هذه الحالة التى ذكرها ابو الطيب . فمنهم زهير حيث يقول هذه الابيات :

وقد كنت من سلمى سنين ثمانيا
على صبر أمر ما يمر وما يحلو

ثم الحلاج فى قوله :

مددت حبل غرور غير مويسة
فوت الاكف ولا جود ولا بخل

والصرم أروح من غيث يطمعنا
فيه مخايل ما يلفى بها بلل

فجعل حالة الصرم أروح ، وابن الرقيات : لم يصرح باختيار احدى الحالتين فى قوله :

تركتنى واقفا على الشك لم
أصدر بيأس منكم ولم أرد

وكذلك ابن ابى زرعة الدمشـــقى حيث قـــال :

فكأنى بين الوصـــال وبين الــ
هجـــر ممن مقـــامه الاعـــراف
فى محـــل بين الجنـــان وبين الــ
ـــنار أرجو طورا وطورا أخـــاف

وقال الخليع :

وجدت ألذ العيش فيما بلوته
ترقب مشتاق زيارة عاشق

وأحسن ابو حفص الشطرنجى فى قوله :

وأحسن أيام الهـــوى يومك الذى
تهـــدد بالتحريش فيـــه وبالعتب
اذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضا
فأين حلاوات الرسائل والكتب[1]»

وهـــكذا يتدفق معين الواحـــدى برحيق الادب وسلسال القريض • وتذكرنا هذه الوفرة الهائلة فى محصوله الشعرى والتنظير للمعنى بالعديد من الشواهد بقول شيخه فى اللغـــة والادب أبى الفضل العروضى له فيما حكاه الواحدى (فى ترجمته الذاتية « انك لم تبق ديوانا من الشعر الا قضيت حقه[2]) لقـــد اثمر هذا التطواف فى أفانين الادب وبساتين الشعر سعة الافق الادبى عند الواحدى وتمثل المعانى فى مخيلته وتدفق المـــادة الشعرية من سـحاب ذاكرته كلما مثلت أمامه الصـــورة المعنوية •

اما عن الجانب النقدى فى الادب والشعر عند الواحدى فقد بلغ قمة شـــاهقة تطامنت دونها جباه عالية وانحنت تحتها رؤوس كبيرة •

ونلمس ذلك بوضوح فى تقديمه لشرح ديوان المتنبى وبيان موقف جهابذة الادباء والنقـــاد منه ، فيقول عن مكانة ابى الطيب :

على أنه كان صاحب معان مخترعة بديعة ولطائف أبكار منها لم يسبق اليها دقيقة ، ولقد صدق من قـــال :

ما رأى النـــاس ثـــانى المتنبى
أى ثـــان يرى لبـــكر الزمـــان
هـــو فى شـــعره نبى ولـــكن
ظهـــرت معجزاته فى المعانى[3]

ولهذا : خفيت معانيه على أكثر من روى شعره من أكابر الفضلاء والإئمة العلماء حتى الفحول منهم والنجباء كالقاضى أبى الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى صاحب كتـــاب الوساطة ، وأبى الفتح عثمان بن جنى النحوى وأبى العـــلاء المعرى وأبى على بن فورجة البروجردى رحمهم الله تعالى ، وهؤلاء كانوا من فحول العلماء ، وتكلموا فى معانى شعره مما اخترعه ، وانفرد بالاغراب فيه وأبدعه ، واصابوا فى كثير من ذلك ، وخفى عليهم بعضه فلم يبن لهم غرضـــه المقصـــود لبعد مرماه ، وامتداد مداه •

اما القاضى ابو الحســـن : فانه ادعى التوســـط بين صـــاغية المتنبى ومحبيه ، وبين المناصبين له ممن يعاديه فذكر ان قوما مالوا اليه حتى فضلوه فى الشعر على جميع أهل زمانه ، وقضوا له بالتبريز حتى على اقرانه ، وقوما لم يعدوه من الشعراء وأزروا بشـــعره غاية الأزراء حتى قالوا انه لا ينطق الا بالهراء ولا يتكلم الا بالكلمة العوراء ، ومعانيه كلهـــا

(١) الواحدى • شرح ديوان المتنبى/٣٩٨
(٢) الواحدى : البسيط ٧/١

(٣) لعل المراد بقوله نبى : المعنى اللغوى (المنبىء) وكذا بالمعجزات أيضا وليس المعنى الشرعى قطعا .

مسروقة أو عور ، والفاظه ظلمات وديجور . فتوسط بين الخصمين وذكر الحق بين القولين .

واما ابن جنى : فانه من الكبار فى صنعة الاعراب والتصريف ، والمحسنين فى كل واحد منهما بالتصنيف ، غير أنه اذا تكلم فى المعانى : تبلد حماره ، ولج به عثاره . ولقد استهدف فى كتاب الفسر غرضا للمطاعن ونهزة للغامز والطاعن ، اذ حشاه بالشواهد الكثيرة التى لا حاجة له اليها فى ذلك الكتاب ، والمسائل الدقيقة المستغنى عنها فى صنعة الاعراب ، ومن حق المصنف أن يكون كلامه مقصورا على المقصود بكتابه وما يتعلق به من أسبابه غير عادل الى ما لا يحتاج اليه ولا يعرج عليه ، ثم اذا انتهى به الكلام الى بيان المعانى عاد طويل كلامه قصيرا واتى بالمحال هراء وتقصيرا .

واما ابن فورجة : فانه كتب مجلدين لطيفين على شرح معانى هذا الديوان سمى احدهما التجنى على ابن جنى ، والاخر : الفتح على أبى الفتح ، أفاد بالكثير منهما غائصا على الدرر وفائزا بالغرر ثم لم يخل من ضعف البنية البشرية والسهو الذى قلما يخلو عنه أحد من البرية . ولقد تصفحت كتابيه واعلمت على مواضع الزلل[1]) .

وقد تعقب الواحدى فى شرحه لشعر المتنبى شراحه السابقين — كابن جنى وابن فورجة — فى كثير من المواضع وبين قصورهم عن ادراك مرامى أبى الطيب . من ذلك ما قاله عند شرح قوله :

ودارت النيرات فى فلك
تسجد أقماره لأبهاها

قال (لم يأت ابن جنى ولا ابن فورجة فى هذا البيت بشىء يفهم أو يتحصل ، والمعنى أنه يريد بالنيرات والأقمار : ملوك الدنيا اذا عادوا واجتمعوا فى زمان واحد كما ذكر فيما قبل ، واراد بابهاها : عضد الدولة ، ومعنى سجود الأقمار : خضوع الملوك له فحينئذ يبدى هممه[2]) .

وقد انعكست النزعة الادبية عند الواحدى فى تفسيره على ما سنفرغ له فى موضعه . وانعكست أيضا ثقافته فى علم القريض فى معالجاته اللغوية فى تفسيره . من ذلك مثلا ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون[3]) قال :

(وأصل الرجز فى اللغة : تتابع الحركات ، ومن ذلك قولهم ناقة رجزا : اذا كانت قوايمها ترتعد عند قيامها ، ومن هذا رجز الشعر ، لأنه اقصر ابيات الشعر ، للانتقال من بيت الى بيت سريع ، أو لأن الرجز فى الشعر متحرك وساكن ثم متحرك وساكن فى كل اجزائه ، فهو كالرعدة فى رجل الناقة تتحرك ثم تسكن ، ويستمر على ذلك ، فحقيقة معنى الرجز : أنه العذاب المقلقل لشدته قلقلة شديدة متتابعة[4]) .

٤ — الواحدى الشاعر :

ليس بغريب على الواحدى وهو نديم العربية الوله بحبها والسادن لكعبتها ان يلهج بالقوافى ويجرى ماء القريض فى عروقه ، لقد وهب فطرة شاعرة ، فرأيناه وهو لا يزال يتعلم الخط فى كتاب شيخه ابن الموفق يترنم بهذه الابيات التى صاغها ولما يحسن كتابتها بعد ، يقول عنه صديق عمره أبو الحسن الباخرزى :

---

(١) الواحدى : شرح ديوان المتنبى/٢—٣

(٢) نفس المرجع / ٧٩٣
(٣) سورة البقرة / ٥٩
(٤) الواحدى : البسيط ١/١٨٦

(فمما انشدنى لنفسه ــ وقد دخل على الشيخ أبى عمر سعيد بن هبة الله بن الموفق وهو فى كتابه يتعلم الخط ويكتب :

ان الربيــع بحســـنه وبهـــائه
يحكيهما خط الرئيس ابى عمـــر

فكأنه فى الــدرج يرقم كاتبــــا
أولى لطــاف بنانه فتق الزهـــر

خط غدا ملء العيــون ملاحـــة
متنزهــا للخــط قيــدا للبصـــر

أخذت نقوش الصين بدعة صــنعه
فتعطلت ورقوم موشى الحبــر[1]

وقد اغرت هذه الابيات التى امتدح بها الواحدى خط استاذه : احد اصدقائه وهو عبدالكريم الجيلى الخطاط بنيسابور (ت : سنة ٤٨٦ هـ [2]) ان يسأله ابياتا أصف فيها خطه فقال الواحدى :

لعبــد الــكريم خطـــوط أنيقــة
يحــبرهن بحــذق ونيقـــة[3]

يطــرز بالخـــط قرطاســـــه
كما طــرز الســحب لمع العقيقــة

ســـطورا اذا ما تأملتهـــــا
تخيلت فيهـــا غصــونا وريقة[4]

وغارســـها مرهف ناجــــل
يمــج عليهـــا بســـنه وريقــه

ونلمح فى هذا القريض الممزوج بماء رقة الواحدى فى مرحلة صباه تأثره بسحر الطبيعة وفتنتها فتنعكس فى مرآة شعره صورة الربيع بحسنه وبهائه وتفتح الازهار، والسحاب المطرز بلمع العقيقة ، وهى البرقة التى تستطيل فى عرض السحاب ، والغصون الوريقة تنســدل من طراوتها التى تشبه طراوة ابى الحسن فى صباه وهو يغرد بهذه الابيات •

ثم نجد ينبوع القريض يتدفق من شاعرية الواحدى مع استواء عودة ونضج قريحتـــه وتوثب همته للتحصيل والغوص فى محيط الادب واللغة فاذا به يسبح فى بحور الشعر، ويستخرج لآلىء المعانى ويعلقها على صدور القوافى • ولكنه قلما كان يعرض اشعاره على الرواة فلم يظهر من شعره فى اسفار الادب الا ما أنشده لخاصته وصفوة اصدقائه من ذلك مانقله ياقوت عن الحسن بن المظفر النيسابورى ــ وكان من المقربين الى الواحدى فقال : (ومن غرر شعره :

أيا قادما من طوس أهلا ومرحبــا
بقيت على الأيام ما هبت الصـــبا

لعمرى لئن أحيا قدومك مد نفــا
بحبك صــبا فى هـــواك معــذبا

يظل أســير الوجــد نهب صــبابة
ويمشى على جمر الغضــا متقلبـــ

فكم زفــرة قـــد هجتها لو زفرتها
على ســد ذى القرنين أمسى مذوبا

وكم لوعــة قاســيت يوم تركتنى
ألاحظ منــك البــدر حين تغيبــا

وعاد النهـــار الطلق أسود مظلمــا
وعاد ســنا الاصباح بعدك غيهبا

وأصبح حسن الصــبر عنى ظاعنا
وحدد نحوى البين نابا ومخلبـــا

---

(١) الباخرزى : دمية القصر بتحقيــق د. سامى مكى العانى ٢٥٦/٢
(٢) وردت ترجمـــة الجيــلى بالمنتخب من السياق لعبد الفاخر ، وقد ســمع منه الفقيــه صالح المؤذن ترغيب ابن شـاهين .
(٣) النيقة : التجويد .
(٤) الباخرزى : دمية القصر ٢٥٦/٢

فأقسم لو أبصرت طـرفى باكيـا
لشـاهدك دمعـا بالدماء مخضـبا

مسالك لهو سـدها الوجد والجوى
وروض سرور عاد بعـدك مجدبا

فداؤك روحى يا ابن أكـرم والد
ويا من فؤادى غير حبيه قد أبى

وما أنشده ابن المظفر من شعر الواحدى أيضا :

تشـوهت الدنيـا وأبدت عوارها
وضاقت على الأرض بالرحب والسعة

وأظـلم فى عينى ضـياء نهارها
لتوديع من قد بان عنى بأربعـة

فـؤادى وعيشى المسرة والكرى
فان عاد عاد الكل والانس والدعة[1]

---

(1) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ٩٨/٥ ـ ٩٩

ومما رواه الباخرزى من شعره (الطريف) عندما اهدى اليه نوع من الخوخ بنيسابور يقال له (مزورة) قال :

الخـوخ أرسـل رائـداً متقـدما
ما مثـله فى طيبـه باكـوره

هـو زائـر فى كل عـام مـرة
عند المصيف فـلم يقال مزورة[2] ؟

لقد أضاف الواحدى فى سجل علمه وثقافته شاعريته أيضا لتكتمل فيه الى جانب العلـم والثقافة صفة الابداع الفنى الماثلة فى مرآة القصـيد .

---

(2) الباخرزى : دمية القصر بتحقيـق د. سامى مكى ٢٥٦/٢

الفصل الثالث

مصنفات الواحدى

على امتداد التاريخ العلمى نجد فى كل عصر قلة قليلة وهبت نفسها للعلم ، وكرست له حياتها كاملة تقتات من زاده ، وترتوى من معينــه الذى لا ينضب فلا تزداد على كثــرة الاقتيات والارتواء الا نهما وتعطشا الى مزيد من قوت الروح وغذاء العقل •

وقد كان الواحدى ـ بيقين ـ أحد أفذاذ عصره الذين وهبوا للعلم أرواحهم وأنفاسهم فلم يخلد الا الى العلم متبتــلا فى محــرابه ومتحنثا فى غاره ، صارفا اليه وكده ، وملقيا اليه أزمة همته ، فأفنى جذوة شبابه وزهرة عمره فى الطلب والتحصيل والبحث والتدقيق حتى تفجرت عيون معارفه ، وتدفقت محصلته العلمية بصــنوف من التصنيفات وبدائع من المؤلفات ، أضافت لعصره مددا جديدا ورصيدا زاخرا ملأ فى المكتبــة الاســلامية ركنا كان يفتقده ، وجانبا كان ينشده •

وقد تنوعت مصنفات الواحدى فى أكثر من ميدان • بيد أنه خص ميدان تفسير القرآن الكريم وعلومه بجل همته ووفرة تاليفه • ثم طرق ميادين أخرى كالنحو والأدب والمغازى وغيرهــا فبرز وتفرد وأجــاد وأفاد ، وظلت تصانيفه الى اليوم مرجع المتبحــر ونجعة القاصد المشمر • وأجمع أهل العلم على حسنها وتفردها فى أبوابها كمــا نطقت بذلك تراجم الواحدى ، حيث يقول ابن خلكان فى ترجمته (ورزق السعادة فى تصانيفه ، وأجمع الناس على حسنها ، وذكرها المدرسون فى دروسهم[١] ويقول الباخرزى ـ معاصر الواحدى ـ فى ترجمته : (وله فى علوم القرآن وشرح غوامض الأشعار تصنيفات بيديه لأعنتها تصريفات[٢])

كما بلغ من اشتهار فضل تصانيف الواحدى : أن الامام أبا حــامد الغــزالى أخذ أســماء مصنفات الواحدى فى التفسير (البسيط ، والوسيط ، والوجيز) وأطلقها على كتبه فى الفقه • يقول ابن خلكان ـ معلقا على مؤلفات الواحدى فى ترجمته (ومنه أخذ أبو حــامد الغزالى أسماء كتبه الثلاثة[٣]) •

ولم يقف تقدير الامام الغزالى للواحدى عند حد اقتباس أسماء كتبه بل كان له موقف اعجاب وتقــدير لمكانة الواحــدى (المفسر) سنعرض له عند الحديث عن تقويم الواحدى وبيان منزلته عند العلماء والمفسرين •

على اننى أذكر ـ بادىء ذى بدء ـ أن ما وقفت عليه من تصانيف الواحدى لا يمثل كل انتاجه العلمى بل لقد وقفت ـ من خــلال

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ٢ / ٤٦٤ بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .

(٢) الباخرزى : دمية القصر بتحقيق د. سامى مكى العانى ٢/٢٥٥

(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ٢ / ٤٦٤ وانظر ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ٥ / ١٠٤

كلام الواحدى نفسه — على أن كثيرا من مؤلفاته قد أصبحت — بكل أسف — فى ذمة التاريخ وضل عنها المؤرخون ، فلم يشيروا اليها فى ترجمة ورغم ذلك فقد تبقى لنا من تراث هـذا الامام ثروة علمية تحتـل فى المكتبـة الاسلاميه مكانة سامقة وتحظى فى نفـوس العلماء بحظ وافر من الاعزاز والتقدير •

أولا : فى التفسير :

١ — البسيط فى تفسير القرآن الكريم[١]

هو أكبر تفاسيره التى بين أيدينا وأقدمهـا تأليفـا كما صرح بذلك فى مقدمتى تفسـيرية (الوسيط[٢]) و (الوجيز) وقد وصفه القفطى بـ : (التفسير الكبير) فقال (وصنف التفسير الكبير وسماه (البسيط[٣]) وذكر ابن العماد فى (الشذرات) أن تفسير البسيط يقع فى نحو ستة عشر مجلدا[٤] كما ذكر (بروكلمان) انه تفسـير مطول ويقـع فى سـبعة عشر مجلدا[٥] •

وتوجد بمصر نسـخة مخطـوطة (بدار الكتب) من تفسير (البسيط) وهى نسـخة غير كاملة ولكنها تشتمل على تفسـير أكثر القرآن الكريم وتقع فى ست مجلدات ضخمة وقد نسخت سنة ١٢٧٠ هـ ويبتدىء الجزء الأول منها بأول الكتاب وتنتهى بآخر سورة البقرة ويقع فى ثلاثمائة وتسع ورقات (حجم الورقة ٢٢ × ٣٢١ سم) ويبدأ الجزء الثانى من النسخة نفسها — بأول سورة (آل عمران) وينتهى بقوله تعالى (وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) من سورة النساء ويقع فى مئة وسبع وثلاثين ورقة •

ثم لايوجد الجزء الثالث • ويوجد الجزء الرابع من نفس النسخة ويبتدىء بتفسير أول سورة (يونس) وينتهى باخر سورة (النحل) ويقع فىمائتين واحدىوثمانين ورقة • ثم يبدأ الجزء الخامس — من النسخة نفسها — بتفسير أول سورة (الاسراء) وينتهى بآخر سـورة (الأنبياء) ويقع فى مائتين وسبع وأربعين ورقة •

ويبتدىء الجزء السادس — من النسـخه نفسها — بتفسير أول سورة (الحج) وينتهى بآخر سورة (السـجدة) ويقع فى مائتين وأربعين ورقة •

ثم يبـدأ الجـزء السـابع — من نفس النسخة — بتفسير أول سورة (الأحزاب) وينتهى بآخر سورة (الشورى) ويقع فى مائة وتسع وخمسين ورقة •

وبهذا الجـزء تنتهى هذه النسـخة التى تحتوى على تفسير أكثر القرآن الكريم[٦] وقد

---

(١) ذكره ياقوت : معجم الأدباء ٩٧/٥ ، وابو الفدا : المختصر ١٩٢/٢ ، الذهبى : سير النبلاء بالمجلد ١٥ ، وكارل بروكلمان : تـاريخ الأداب العربية الجزء الأول من الطبعة الثانية ليدن سنة ١٩٤٣ ص ٥٣٤ ونص عليه أيضا : ابن الاثير فى (الكامل) ٣٥/١٠ ، والقفطى فى انباه الرواه : ٢٢٣/٢ وابن خلكان فى (وفيات الاعيان ٢٦٤/٢) •

(٢) قال الواحدى فى مقدمة (الوسـيط) (وقديما كنت اطالب باملاء كتاب فى تفسير وسيط ينحط عن درجة البسيط الذى تنجـر فيه اذيال الاقوال ويرتفع عن مرتبة الوجيز الذى اقتصـر فيه على الاقلال) . ثم ذكر بمقـدمة تفسـيره (الوجيز) انه شرع فيه قبل اتمام تفسيره الكبير • انظر (الوجيز) بهامش (مراح لبيد) ص ٢

(٣) القفطى : انباه الرواه /٢٢٣/٢

(٤) ابن العماد شذرات الذهب ٣٣٠/٣

(٥) كارل بروكلمان : تاريخ الآداب العربية الجزء الأول من الطبعة الثانية ص ٥٢٤

(٦) انظر فهرست المخطوطات بدار الكتب المصرية رقم/٥٣ تفسير •

صورت هذه الأجزاء الستة بمعهد المخطوطات بالقاهرة • وقد اعتمدنا على هذه النسخة فى بحثنا هذا ، لما تمتاز به من الضبط والتكامل وجودة النسخ ووضوح الخط •

كما توجد بمعهد المخطوطات صورتان للجزء الأول من البسيط من نسختين أخريين توجد احداهما بمتحف الأوقاف باستامبول وتحتوى على تفسير الآيات الكريمات من أول القرآن الكريم الى قوله تعالى (بديع السموات والأرض واذا قضى أمرا ••) الآية الكريمة من سورة البقرة وتقع فى مائتين وثمان وأربعين ورقة من القطع المتوسط •

أما النسخة الأخرى من الجزء الأول — المصور بمعهد المخطوطات أيضا — فتوجد بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية[1] وهى أقدم النسخ الموجودة بمصر عهدا ، اذ يرجع تاريخ نسخها الى سنة ٥٦٥ هـ وتقع فى ثلاثمائة وست وثلاثين صحيفة • وقد اطلعت عليها فوجد بها اضطرابا فى النسخ ، ففى أولها ذكر بعض الكتب والتفاسير التى يعتمد عليها باسناده الى مصنفيها من مفسرى السلف وغيرهم كتفسير (وكيع) وتفسير (زيد ابن أسلم) وتفسير (هشيم بن بشير) وغيرهم ثم يبدأ فى الصحيفة الرابعة بذكر أبواب من علوم القرآن تتناول فضل القرآن وأهله وتلاوته ومعنى التفسير والتأويل والفرق بينهما • ثم يبدأ بتفسير الفاتحة الى صحيفة ٢٦ ثم يعود لذكر مصنفات العصر • ونظرا للاضطراب الواقع بها لم أعتمد عليها فى البحث •

وفيما يتعلق بمخطوطات (البسيط) أيضا : عثرت بعثة معهد المخطوطات بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء على الجزء الثانى والجزء الخامس من تفسير البسيط[2] ويبدأ الجزء الثانى بتفسير قوله تعالى (واذكروا الله فى أيام معدودات) من سورة (البقرة) وينتهى بتفسير قوله تعالى (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم ••••) الآية الكريمة من سورة النساء • وهى نسخة بقلم نفيس من خطوط القرن السابع تقديرا وتقع فى مائتين وخمس عشر ورقة تحتوى الصحيفة منها على ثلاثة وعشرين سطرا ومقياس الصحيفة (١٧ × ٢٥ سم) والصحيفة الأولى من النسخة محلاة بالذهب • ويبدأ الجزء الخامس — من النسخة نفسها — بتفسير أول سورة (براءة) وينتهى بآخر سورة (يوسف) ويقع فى مائتين وخمسين ورقة • والصحيفة الأولى منه محلاة بالذهب أيضا •

وقد ذكر كارل بروكلمان فى (تاريخ الآداب العربية) تفسيره البسيط للواحدى يوجد بمكتبة (باتنة) بالهند (٢٤٢/١[3]) وبمكتبة (كايتانى) بروما ايطاليا (٣٨ ، ٣٩[4]) •

٢ — الوسيط فى تفسير القرآن الكريم وهو التفسير الوسط — للواحدى — بين البسيط

---

(١) انظر فهرس الخزانة التيمورية بدار الكتب . الجزء الأول (التفسير) ص ١٣ المخطوط رقم ٢٨٢

(٢) يوجد الجزء الثانى من البسيط بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء رقم ٥١ تفسير وقد صور بمعهد المخطوطات بالقاهرة (فيلم ٤ كتاب ٢٢) والجزء الخامس من (البسيط) بالمكتبة المذكورة رقم ٥٤ تفسير وهو مصور بمعهد المخطوطات (فيلم ٣ كتاب ١٩)

(٣) بروكلمان : تاريخ الآداب العربية ويطلق عليه فى الترجمة العربية تاريخ الأدب العربى ٥٢٤/١ ط ليدن .

(٤) بروكلمان : ملحق تاريخ الآداب العربية ٧٣٠/١ — ٧٣١ ليدن ١٩٣٧ .

والوجيز ويسمى هذا التفسير (الوسيط بين المقبوض والبسيط) كما ورد فى ثبت مؤلفات الواحدى فى تاريخ الآداب العربية[١] وفهرس الكتب الظاهرية[٢] وقد ذكره الحضرمى فى الواقع بين المقبوض والبسيط) بينما تكتفى سائر المراجع التى ترجمت للواحدى بذكره باسم (الوسيط) فى التفسير .

وقد ذكر ابن قاضى شهبه فى (طبقات النحاة) وابن العماد فى (الشذرات) أن تفسير الوسيط يقع فى أربع مجلدات[٤] وتختلف تجزئة (الوسيط) من نسخة لأخرى فبعض نسخه يقع فى أربع مجلدات — كما ذكر ابن قاضى شهبه وابن العماد . وبعضها يقع فى ثلاثة أجزاء وبعضها فى جزئين وبعضها فى مجلد واحد ضخم .

ويوجد — من مخطوطات الوسيط — بدار الكتب ستة أجزاء من نسخ مختلفة ولكنها تشتمل على تفسير القرآن الكريم كله[٥] .

ويوجد الجزء الثانى من نسخة من تفسير (الوسيط) بالمكتبة الظاهرية بدمشق ، ويشتمل على نصف الكتاب فيبدأ بتفسير أول سورة (مريم) وينتهى بآخر القرآن الكريم ، وهذه النسخة قديمة ومنقولة من نسخة الحافظ ابن عساكر وكان قد سمع هذا التفسير على البيهقى وسماع البيهقى على المصنف الواحدى وتاريخ نسخها سنة ٥٨١ هـ بخط محمد ابن عبد الله بن عرفة الأنصارى ويقع هذا الجزء فى ثلاثمائة وخمس وستين ورقة[٦] .

ويوجد بمعهد المخطوطات بالقاهرة نسخة مصورة للوسيط من مكتبة أحمد الثالث بتركيا وهى تشتمل على تفسير القرآن الكريم كله وتقع فى مجلد واحد فى ثلاثمائة وتسعين ورقة وقد نسخت سنة ٧٤٠ هـ بخط دقيق جدا وعلى هامشها تعليقات . كما ذكر بروكلمان أماكن أخرى لوجود (الوسيط) بالمكتبات العالمية[٧] .

وقد حظى تفسير الوسيط للواحدى بشهرة فائقة وعناية كبيرة من أهل العلم فتناولوه بالدرس والتحليل وذكروه بالثناء والتقدير فقال عنه القفطى : انه غاية فى بابه[٨] بل وكان من العلماء من يحفظ تفسير (الوسيط) عن ظهر قلب ، فيذكر السبكى فى طبقاته عن الامام الجليل أبو النجيب السهروردى الصوفى الفقيه (ت : سنة ٥٦٣ هـ) انه قال (وحفظت وسيط الواحدى فى التفسير[٩]) .

وقد صنف الشيخ اسماعيل بن محمد

---

(١) بروكلمان تاريخ الآداب العربية ٥٢٤/١ ط الثانية ليدن والملحق له ٧٣٠/١ — ٧٣١ السابق ذكره

(٢) فهرس الكتب الظاهرية (علوم القرآن) ص ٣٢٠

(٣) اسماعيل بن محمد الحضرمى : عمدة القوى والضعيف مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٩ تفسير .

(٤) ابن قاضى شهبه : طبقات النحاة ١٣٥/٢ ، ابن العواد : شذرات الذهب ٣ / ٣٣٠

(٥) فهرس المخطوطات بدار الكتب المصرية (التفسير) ارقام ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٨٠ ، ٦٣٥ ، ١٣١ .

(٦) فهرس الكتب الظاهرية (علوم القرآن الكريم) رقم ٧٨١٨ ص ٣٢٠

(٧) ذكر بروكلمان وجود الوسيط ببرلين ٩/٧٤٠ ، ليدن ١٦٦١ ، الجزائر ٣١٥ ، ايا صوفيا ١/٢٩٠ و : ينى باستامبول ٩٩ (انظر تاريخ الآداب العربية ٥٢٤/١ ط ليدن الثانية) .

(٨) القفطى : أنبا الرواه ٢٢٣/٢

(٩) السبكى : طبقات الشافعية ١٧٥/٧

الحضرمى المتوفى سنة ٦٧٧ هـ[١] كتابا على تفسير (الوسيط) للواحدى يشرح فيه غريبه ويبين مبهماته ويصحح ماوقع فيه من تحريف • وأطلق على مصنفه (عمدة القوى والضعيف الكاشف لما وقع فى وسيط الواحدى من التبديل والتحريف[٢]) وقال فى مقدمته : (أما بعد : فقد أشار بعض الأصحاب رحمه الله تعالى رحمة الأبرار ووقاه عذاب النار الى جمع ما وقع فى تفسير الامام أبى الحسن على ابن أحمد الواحدى رحمه الله ، الملقب بالوسيط الواقع بين المقبوض والبسيط ، من الألفاظ العربية الغريبةوأسماء الرواة المشكلة العجيبة والأسماء الأعجمية الغريبة التى يكثر فيها التصحيف ويقع فيها التبديل والتحريف فاستخرت الله تعالى فى ذلك مرارا ، وسألته العون سرا وجهارا • فقدر لى أن أوضعت هذه الألفاظ مستخرجا لها من كتب الأئمة الحفاظ ، وقيدت منه ما بلغ اليه فهمى وأحاط به علمى ••••) الخ •

وقد أدى الشيخ اسماعيل الحضرمى بهذا الكتاب خدمة جليلة لتفسير الامام الواحدى (الوسيط) فكشف عن معان كثيرة من المبهمات وعرف بكثير من الاعلام الوارد ذكرهم فى (الوسيط) فمثلا عند قول الواحدى (قال أهل المعانى •••) يتعرض لبيان أهل المعانى من نحاة الكوفة والبصرة ومناهجهم فى تناول التفسير والفرق بينهم وبين عامة المفسرين • كما يتعرض فيه لتصحيح سند بعض الأحاديث التى وقع الخطأ فى سندها كحديث فضل الفاتحة الذى أورده الواحدى[٣] •

ويعد هذا الكتاب مرجعا لا غنى عنه فى تحقيق كتاب الوسيط وضبط أعلامه وشرح غريبه لكنه لا يزال ــ مثل الوسيط ــ قيد الخط لم ينشر للانتفاع به •

وقد أخطأ (بروكلمان) فى فهم محتوى (عمدة القوى والضعيف •••) من عنوانه فذكر أنه كتاب معارض للوسيط[٤] •

٣ ــ الوجيز فى تفسير القرآن العزيز[٥] وهو التفسير الوحيد المطبوع للواحدى[٦] وقد تحدث الواحدى فى مقدمته عن ظروف وبواعث تأليفه فقال (•••• فانى كنت قد ابتدأت بايداع كتاب فى التفسير لم أسبق الى مثله وطال على الأمر فى ذلك لشرائط تقلدتها ، ومواجب لحق النصيحة لكتاب الله تحملتها • ثم استعجلنى قبل اتمامه ، والتفصى عما ألزمنى من عهدة أحكامه نفر متقاصرو الرغبات منخفضو الدرجات أولوا البضاعة المزجاة : الى ايجاز كتاب فى التفسير يقرب على من يتناوله ويسهل على من يتأمله من أوجز ما عمل فى بابه ، وأعظم عائدة على متحفظيه وأصحابه • وهذا كتاب أنا نازل فيه الى درجة زماننا تعجيلا لمنفعتهم وتحصيلا للمثوبة فى افادتهم بما تمنوه طويلا ، فلم يغن عنهم أحد فتيلا ، وتارك

---

(١) ترجمته فى طبقات الشافعية للسبكى ١٣٠/٨

(٢) مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٩ تفسير •

(٣) انظر : عمدة القوى والضعيف ص ٢

(٤) أنظر ملحق تاريخ الآداب العربية لبروكلمان ٧٣٠/١ ــ ٧٣١ ط ليدن سنة ١٩٣٧

(٥) ذكره (مع البسيط والوسيط) كل من ياقوت : معجم الأدباء ٩٧/٥ والقفطى : انباه الرواه ٢٢٣/٢ ابن خلكان الوفيات : ٦٢٤/٢ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء مخطوط بدار الكتب مجلد ١٥ ، حاجى خليفة : كشف الظنون ٤٦٠/١ وغيرهم •

(٦) طبع تفسير (الوجيز) بمصر سنة ١٣٠٥ على هامش كتاب التفسير المنير لمعالم التنزيل ط عيسى الحلبى •

ما سوى قول واحد معتمد لابن عباس رحمة الله عليه أو من هو فى مثل درجته ، كما يترجم عن اللفظ الغويص بأسهل منه . وهذا حين افتتحه فأقول ....) .

وقد اشتهر تفسير الوجيز للواحدى شهرة لا تقل عن البسيط والوسيط ربما لأن الوجيز أوسع دائرة فى النفع لكونه فى متناول افهام كافة المستويات . ولذا نجد نسخه المخطوطة منتشرة فى سائر المكتبات[1] .

هذه المصنفات الثلاثة (البسيط والوسيط والوجيز) هى أشهر ما خلف الواحدى فى التفسير ولم يذكر فى تراجمه سواها من كتب التفسير . حيث اقتصر على ذكرها صاحب (معجم الأدباء) الذى نجده أقدم من تعرض لذكر مصنفات الواحدى . لأن كتاب السياق لعبد الغافر أصبح مفقوداً ، ولم يتعرض ذيل السياق (المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور) لشىء من مصنفات الواحدى .كذلك لم يذكر الباخرزى صاحب (دمية القصر) — وهو معاصر الواحدى — شيئا من مصنفاته فى ترجمته . فكان ياقوت الرومى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ أقدم المصادر التى وقفنا عليها فى تراجمه فنجده يقول فى ترجمة الواحدى (وأخذ فى التصنيف فجمع كتاب الوجيز وكتاب الوسيط وكتاب البسيط كل فى تفسير القرآن المجيد[2] ثم يمضى الى مصنفاته الأخرى .
كذلك اقتصر ابن الاثير فى (الكامل) على ذكر البسيط والوجيز فى التفسير ولم يذكر سواها[3] .

وأيضا لم يذكر القفطى فى (أنباء الرواه) من مؤلفات الواحدى ، سوى البسيط والوسيط والوجيز فى التفسير ومعها ديوان المتنبى فى الأدب[4] وتبعه ابن خلكان تماما فى الوفيات[5] .

وأما ما ذكره ياقوت والذهبى فى ثبت تآليف الواحدى تحت عنوان (تفسير النبى صلى الله عليه وسلم[6] فقد صحح ابن قاضى شهبة عنوانه فى طبقات النحاة وذكره باسم (تفسير أسماء النبى صلى الله عليه وسلم[7] وتبعه فى ذلك ابن العماد فى (شذرات الذهب[8]) فليس اذا كتابا فى التفسير .

بيد اننى وقفت على تآليف أخرى للواحدى فى التفسير أضمها الى سابقتها فى ثبت مؤلفات الواحدى فى التفسير وهى :

---

(١) توجد بدار الكتب المصرية ست نسخ من تفسير الوجيز تحمل ارقام ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ (وهو جزء ثان يبدأ بتفسير سورة النحل وينتهى بآخر القرآن الكريم) ثم رقم ٧٦١ وهى نسخة بخط مغربى ثم رقم ١٢٩ ورقم ١٣٠ (تفسير) وتوجد نسخة أخرى بمكتبة طلعت بدار الكتب رقم ٣٣٦ تفسير وبالمكتبة التيمورية بالدار نسخة أخرى رقم ١٨٣ تفسير وذكر بروكلمان أنه يوجد فى برلين : ٩/٧٤٠ بمكتبة ليدن بهولندا ١٦٦١ وبالجزائر ٣١٥ وبمكتبة صوفيا ٢٩٠ / ١ وبمكتبة يينى باستامبول / ٩٩ كما اشار بملحق تاريخ الآداب العربية الى وجوده بميونيخ/٧٩ وبالأسكوريال ١٢٦٦/٢

(٢) ياقوت الرومى : معجم الأدباء ٩٧/٥ وما بعدها .
(٣) ابن الاثير : الكامل ٣٥/١٠.
(٤) القفطى : انباء الرواه ٢٢٣/٢
(٥) ابن خلكان : وفيات الاعيان ٢٦٤/٢
(٦) انظر معجم الأدباء لياقوت ٩٧/٥ — ٩٨ وسير اعلام النبلاء (مخطوط) للذهبى مجلد١٥
(٧) ابن قاضى شهبة : طبقات النحاه ١٣٥/٢ مخطوط بدار الكتب .
(٨) ابن العماد : شذرات الذهب ٣٣٠/٣

٤ — الحاوى لجميع المعانى فى التفسير :
ذكره صاحب (كشف الظنون) تحت عنوان (تفسير الواحدى) — فقال (تفسير الواحدى— ثلاثة : البسيط والوسيط والوجيز • وتسمى هذه الثلاث « الحاوى لجميع المعانى » يأتى كل منها[1] ومفاد هذا النص أمران — أولهما : أن للواحدى مصنفا فى التفسير يسمى (الحاوى لجميع المعانى) والثانى : أن هذه التسمية تطلق على تصانيفه الثلاثة (البسيط والوسيط والوجيز) •

وأول الأمرين صحيح وأما ثانيهما فغير صحيح لأن هذه التسمية تقع على مصنف جامع يشمل فى محيطه المصنفات الثلاثة مجتمعة غير منفصلة • واذا فليس تفسير (الحاوى لجميع المعانى) هو نفس المصنفات الثلاثة وقد جاءت العبارة التى وردت فى فهرس المكتبة الظاهرية أدق من عبارة (كشف الظنون) فقد جاء بها فى التعريف بكتاب (الوسيط بين المقبوض والبسيط) ما نصه (وهو تفسير القرآن المعروف (بالتفسير الوسيط) للواحدى، وهو وسط بين كتابيه (البسيط) و (الوجيز) فى التفسير أيضا وجمعهما كتابه (الحاوى لجميع المعانى) فى التفسير[2]) •

وقد نص (بروكلمان) على كتاب (الحاوى) وذكره فى ثبت مؤلفات الواحدى باسم (الحاوى لجميع المعانى)، وعلق على هذا المصنف بقوله ، ومما يشهد بالتقدير العظيم لأعماله القرآنية (أى الواحدى) ما يحكى من أن الغزالى قد رفض أن يكتب فى التفسير بعده • (أنظر اليافعى : مرآة الجنان ٢ — ٢٠٨ ، ٨) •

وقد ذكر (بروكلمان) أن كتاب (الحاوى لجامع المعانى) موجود بالمكتبة الاصفية بحيدر أباد بالهند (أنظر عنه فهرس المكتبة الآصفية بالجزء الأول ص ٥٤٦ رقم ١٢٤[3]) •

ولقد نوه الواحدى فى خاتمة تقديمه لكتاب (البسيط) باعتزامه تصنيف كتاب آخر — أبسط منه وأنضج — فى علم التفسير (يترجح عندى أنه كتاب الحاوى المذكور) يقول :

(ثم ان هذا الكتاب عجالة الوقت،وقبسة العجلان ، وتذكرة يستصحبها المرء حيثما حل وارتحل • وأن أنسىء الأجل ، وارخى الطول، وأنظرنى الليل والنهار حتى يتلفع بالمشيب العذار أردفته بكتاب أنضجه بنار الروية ، وأردده على راووق الفكرة ، وأضمنه عجايب ما كتبته ، ولطايف ما جمعته • وعلى الله المعول فى تيسير ما رمت وله الحمد كلما قعدت أو قمت[4]) •

لا شك أن هذه الأفكار التى دارت بخلد الواحدى وعبر عنها — بتبيان رائع — فى مقدمة تفسيره البسيط وتضمنت طابع الانضاج والتروى والترديد على راووق الفكرة وتضمين عجايب المعارف ولطائف الفوائد : لا يتسع لها غير (الحاوى لجميع المعانى) لا سيما وأن هذا الاسم ينطبق على ذلك المسمى •

ثم نجد للواحدى مصنفات أخرى فى التفسير نص عليها فى كتبه ولكنها لم تصل الى أيدينا

---

(١) حاجى خليفة : كشف الظنون : ١/٢٤٥
(٢) فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية (علوم القرآن) .
(٣) بروكلمان : ملحق تاريخ الآداب العربية ١/٧٣٠ — ٧٣١ ط ليدن سنة ١٩٣٧
(٤) الواحدى : تفسير البسيط ١/٩

بل ولم ينص عليها من ترجموا للواحدى وهذه المصنفات هى :

٥ ــ معانى التفسير : ولم تتعرض التراجم للادلاء عنه بأية معلومات •

٦ ــ مسند التفسير : ولا نعلم عنه الا الاسم والنسبة للواحدى •

٧ ــ مختصر التفسير : وقد رجح الأستاذ السيد صقر ــ فى مقدمة كتاب أسباب النزول ــ أنه غير تفسير الوجيز •

وهذه المصنفات الثلاثة نص عليها الواحدى فى مقدمة تفسيره (الوسيط) وصرح بأنه قد سبق تصنيفها فقال (وقد سبق لى قبل هذا الكتاب بتوفيق الله وحسن تيسيره مجموعات ثلاث فى هذا العلم : (معانى التفسير) و (مسند التفسير) و (مختصر التفسير[1])•

وذكر (بروكلمان) أن للواحدى مصنفا آخر فى التفسير وهو :

٨ ــ جامع البيان فى تفسير القرآن •
وذكر انه يوجد بمكتبة داماد زاده باستامبول (تركيا) برقم ١٩١[2] •

ويعتبر (بروكلمان) المصدر الوحيد الذى نص على هذا الكتاب ولم يدل عنه بشىء خلاف اسمه وموضعه •

هذه هى المصنفات التى وقفت عليها للواحدى فى علم التفسير هى ــ ولا شك ــ ثروة علمية هائلة لم تلق الحفاظ عليها والانتفاع بها كما يجب • ومما يؤسف له حقا أن تغفل عين المؤرخين والعلماء عنها فلم تظفر منها الا بمصنفات ثلاثة (البسيط والوسيط والوجيز) وتبقى مصنفات (الحاوى لجميع المعانى) و (معانى التفسير) و (مسند التفسير) و (مختصر التفسير) ثم (جامع البيان) بمنأى عن أيدى الدارسين سواء كانت فى أيدى غير أهل القرآن أو فى ذمة التاريخ • أما عن الترتيب الزمنى لما وقع بين أيدينا من تفاسير الواحدى : ــ

فانه بدأ بتفسير البسيط أولا ثم طلب اليه (أولوا البضاعة المزجاة) من أهل عصره ــ قبل اتمام البسيط ــ أن يصنف تفسير (الوجيز) فكان التالى للبسيط •

ثم طالبه أهل عصره بتفسير (الوسيط) الذى قال فى مقدمته (وقديما كنت أطالب باملاء كتاب تفسير وسيط ينحط عن درجة البسيط الذى تجر فيه أذيال الأقوال ويرتفع عن مرتبة الوجيز الذى اقتصر فيه على الاقلام والأيام تدفع فى صدر المطلوب بصروفها على اختلاف صنوفها • وسآخذ نفسى على فتورها • وقريحتى على قصورها ، لما أرى من جفاء الزمان وخمول العلم وأهله ، وعلو أمر الجاهل على جهله : بتصنيف تفسير أعفيه من التطويل والاكثار وأسلمه من خلل الوجازة والاختصار[3]) الخ •

ثم يأتى بعد (البسيط) و (الوجيز) و (الوسيط) تفسير : (الحاوى لجميع

---

(١) الواحدى : تفسير الوسيط ١/١
(٢) بروكلمان : ملحق تاريخ الآداب العربية ١/٧٣٠ ــ ٧٣١ ط : ليدن سنة ١٩٣٧

(٣) الواحدى : تفسير الوسيط (مقدمة الكتاب) ص ١

المعانى) ، لما انه يشمل الثلاثة فى خضمه ويحـويها ٠

أما بقية تصانيفه فى التفسير فلا نعلم عن ترتيبها شيئا سوى أن تصانيفه الثلاثة : (معانى التفسير) و (مسند التفسير) و (مختصر التفسير) قد سبقت تفسيره (الوسيط) كما صرح بذلك فى مقدمته ٠ ويبقى (جامع البيان) الذى ذكره (بروكلمان) مجهولا بمكتبة (داماد زاده) باستامبول لم تتعرض له أى دراسة بل ولا تحقيق نسبة الى مصنفه ٠ ثم لا ريب ــ بعد ذلك ــ أن ثمانية مصنفات فى التفسير المفسر واحد لتعد تراثا علميا فى المكتبة القرآنية يشهد لصاحبه بالشموخ والرسوخ لا سيما حين يتضح تفرده فى منهجه وانفراده بطريقته واستيفاؤه لمقومات التصدى لهذا الميدان الذى لا يلجه الا الفرسان ٠

ثم ننتقل الى ميدان مكمل لميدان التفسير يخدم ساحته ويزود رواده بمؤهلات البحث فيه ٠

ثانيا : فى علوم القرآن الكريم :

أسهم الواحدى فى ميدان (علوم القرآن الكريم) بجهد وفير وانتاج غزير لم يحفظ لنا التاريخ منه الا القليل وهو ــ مع ذلك ــ قليل كثير ، لما فيه من عظيم الفائدة وجليل الأثر فى حقل الدراسات القرآنية ٠

ولقد أشار الواحدى ــ فى مقدمة كتاب (أسباب النزول) ــ الى تصنيفاته الغزيرة فى هذا المضمار ، والتى تشتمل على أكثر علوم القرآن الكريم فقال :

(وبعد : فان علوم القرآن غزيرة ، وضروبها جمة كثيرة ، يقصر عنها القول وان كان بالغا ٠ ويتقلص عنها ذيله وان كان سابغا ٠ وقد سبقت لى ــ ولله الحمد ــ مجموعات تشتمل على أكثرها ، وتنطوى على غررها ، وفيها لمن رام الوقوف عليها مقنع وبلاغ ، وعما عداها من المصنفات غنية وفراغ ، لاشتمالها على عظمها متحققا وتأديته الى متأمله متسقا[1]) ٠ ومن خلال هذا النص نتبين أن الواحدى قد طرق أكثر مباحث علوم القرآن بالدراسة ، واستوعب معظم موضوعاتها بالبحث والتصنيف ٠ ولكن أين هذه المجموعات وتلك الأبحاث ؟ ٠ لقد ذهبت أدراج الرياح !! وتلك محنة التراث الاسلامى كله : الاندثار والضياع ٠ ورغم ذهاب معظم آثار الواحدى فى علوم القرآن الكريم فقد بقى لنا منها ما يقف شاهد عدل على علو كعب الرجل ومكانته العلمية فى هذا الميدان ٠

ولقد وقفت ــ من خلال البحث ــ على هذه المصنفات التى وردت بالمصادر المترجمة له ولتراثه :

١ ــ أسباب نزول القرآن[2] :

هو من أعظم ما صنف فى هذا العلم ان لم يكن أعظم تصانيفه على الاطلاق ، ذكره

---

(١) الواحدى : اسباب نزول القران بتحقيق الاستاذ السيد أحمد صقر ص ٤

(٢) ذكره كل من : ياقوت : معجم الادباء ٩٧/٥ ، الذهبى : سير اعلام النبلاء (مخطوط) بالمجلد ١٥ اليافعى : مرآة الجنان ٩٦/٣ ــ ٩٧، ابن قاضى شهبة : طبقات النحاة ١٣٥/٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٠٤/٥ ، السبكى ٢٣٠/٥ ، السيوطى : طبقات المفسرين ٢٣ وابن العماد شذرات الذهب ٣٣٠/٣ كما أشار (بروكلمان) الى وجوده بمكتبات برلين ٦٤/٤ ، ليدن ١٦٦٠ ، أيا صوفيا ٦٥ ، راغب باشا باستامبول ١٩/ ، يينى باستامبول ١١/ (تاريخ الآداب العربية ٥٢٤/١ ط ١/) وبالملحق اماكن اخرى لوجوده .

الزركشى فى (البرهان) فى النوع الأول : معرفة أسباب النزول فقال (... وأفردوا فيه تصانيف : منهم على بن المدينى شيخ البخارى ومن أشهرها تصنيف الواحدى فى ذلك[1] وقد طبع بمصر سنة ١٣١٥ هـ وعلى هامشه كتاب الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة (ت : ٤١٠ هـ[2]) ثم قام الأستاذ السيد أحمد صقر بتحقيق الكتاب والتقديم له بدراسة ضافية ، والتعليق عليه . ووضع فهارسه . فخرج الكتاب على الصورة التى تليق به حقا . وكان اخراجه — على هذا الوجه — خدمة جليلة للمكتبة القرآنية[3] .

٢ — نفى التحريف عن القرآن الشريف :

ذكره ياقوت ، والذهبى ، وابن قاضى شهبة ، والسيوطى ، وابن العماد ، والبغدادى[4] ولم أقف على مكان وجوده : حيث لم يرد بفهارس دور الكتب ولم يعترض (بروكلمان) لذكره .

٣ — مقاتل القرآن :

وهو من الكتب التى اندثرت للواحدى

(١) الزركشى : البرهان فى علوم القرآن : ٢٢/١

(٢) توجد نسخة من الطبعة الهندية لكتاب (اسباب النزول) المطبوع بمصر سنة ١٣١٥ هـ بمكتبة طلعت بدار الكتب المصرية رقم ١١٠ تفسير وتقع فى ٣٤٨ صفحة .

(٣) صدر كتاب (اسباب نزول القرآن) بتحقيق الاستاذ السيد صقر عن دار الجديد (لجنة احياء التراث الاسلامى) سنة ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م

(٤) أنظر (معجم الأدباء) ٩٧/٥ (سير النبلاء) للذهبى مخطوط بدار الكتب رقم ١٢١٩٥ ح مجلد/١٥ (طبقات النحاة) لابن قاضى شهبة ١٣٥/٢ (طبقات المفسرين) للسيوطى / ٢٣ ، (شذرات الذهب) لابن العماد : ٣٣٠/٣ (ايضاح المكنون) لاسماعيل البغدادى ٦٧٣/٢ — ٦٧٤

ولم يذكرها مترجموه ، وانما ورد ذكرها فى كتب أخرى فقد ذكر الأستاذ السيد صقر أن هذا الكتاب كان موجودا حتى نهاية القرن الثامن ، وقد نقل عنه ابن رجب الحنبلى (٧٣٦ — ٧٩٥ هـ) فى كتابه (لطائف المعارف) فقال فى صحيفة ٣٥٨ ما نصه : —

(روى الواحدى فى كتاب مقاتل القرآن باسناد له : أن رجلا من أشراف أهل البصرة كان منحدرا اليها فى سفينة ، ومعه جارية له فشرب يوما وغنته جاريةبعود لها وكان معهم فى السفينة فقير صالح فقال له : يا فتى تحسن مثل هذا ؟ قال : أحسن ما هو أحسن منه . وكان الفقير حسن الصوت . فاستفتح وقرأ (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا . أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة) فرمى الرجل ما بيده من الشراب والماء وقال : أشهد أن هذا أحسن مما سمعت ، فهل غير هذا ؟ قال نعم فتلا عليه (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها) الآية . فوقعت من قلبه موقعا ، ورمى بالشراب فى الماء وكسر العود ، ثم قال : يا فتى ، هل ههنا فرج ؟ قال نعم : (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) فصاح صيحة عظيمة ، فنظروا اليه فاذا هو قد مات ، رحمه الله[5] .

٤ — مختصر فى علم فضائل القرآن :

ذكره صاحب (كشف الظنون) وذكر أن شمس الدين محمد بن طولون الدمشقى أخذ

(٥) انظر مقدمة (اسباب نزول القرآن) للاستاذ صقر / ٢١

منه أربعين حديثا[1] وهذا يدل على أن هذا المختصر يشتمل على الأحاديث الواردة فى فضائل القرآن الكريم • وقد عقد الزركشى لهذا العلم : النوع السادس والعشرين من البرهان • وذكر ممن صنف فيه : أبا بكر بن أبى شيبة وأبا عبيد القاسم بن سلام والنسائى[2] •

٥ ـ رسالة فى شرف علم التفسير :

وهى مخطوطة بدار الكتب المصرية[3] وذكر الواحدى فيها الأحاديث والآثار الواردة فى فضل الاشتغال بعلم التفسير ومنزلة علمائه ومتعلميه • وموضوع هذه الرسالة داخل فى علم فضائل القرآن السابق ذكره كما يتضح من تعريف الزركشى به فى البرهان •

ثالثا : فى النحو :

١ ـ الأغراب فى الاعراب :

ذكره صاحب (معجم الأدباء) والذهبى فى (السير) وابن قاضى شهبة فى (طبقات النحاة) وابن العماد فى (الشذرات) كما ذكره الامام السيوطى فى (البغية) باسم (الاغراب فى علم الاعراب) وفى (طبقات المفسرين) بعنوان : (الاعراب فى الاعراب) وذكره صاحب (كشف الظنون) باسم (الاعراب فى علم الاعراب) وكذا ذكره السبكى فى طبقاته (كتاب الاعراب فى علم الاعراب[4]) •

(١) حاجى خليفة : كشف الظنون: ١٢٧٧/٢
(٢) الزركشى : البرهان ٤٣٢/١
(٣) انظر فهرس التفسير بدار الكتب المصرية رقم (٢٢٠ مجاميع) .
(٤) انظر ياقوت فى معجم الأدباء : ٩٨/٥ وسير اعلام النبلاء مجلد ١٥ وطبقات النحاة لابن قاضى شهبة ١٣٧/٢ ،شذرات الذهب: ٣٣٠/٣، بغية الوعاة : ١٤٥/٢ ، طبقات المفسرين ٢٣ ، كشف الظنون : ١٢٥/١ وطبقات الشافعية : ٢٤١/٥

وكل ما بقى من هذا الكتاب هو الخبر بعد العيان • فلم أقف على ذكره فى فهارس المكتبات •

٢ ـ كتاب فى النحو لم أقف على اسمه :

ذكره ابن قاضى شهبة فى (طبقات النحاة) ضمن مؤلفات الواحدى ولم ينص على اسمه بل قال (•••• وكتاب فى النحو ، نقل عنه ابن عمرون • قال فى الارتشاف وأجاز الجزولى والواحدى ـ فى كتابه فى النحو ـ تأخير الحرف فى الظرف والمجرور على ضعف • قاله ابن عمرون أ هـ[5] •

ومما يرجح أن هذا الكتاب غير مصنفه السابق ـ الأغراب فى الاعراب ـ ان ابن قاضى شهبة ذكرهما معا فى مؤلفات الواحدى كما أن الأول خاص بالاعراب كما يتضح من عنوانه وهذا عام فى أبواب النحو كما يوحى اسمه •

رابعا : فى الأدب والعلوم الأخرى :

١ ـ (شرح ديوان المتنبى) :

ذكره القفطى فى ترجمته للواحدى قائلا (وصف شرح ديوان المتنبى) وهو غاية فى بابه[6]) كما ذكره ابن خلكان بقوله (وشرح ديوان أبى الطيب المتنبى شرحا مستوفى ، وليس فى شروحه مع كثرتها مثله[7] كذلك قال

(٥) ابن قاضى شهبة : طبقات النحاة : ١٣٧/٢ مخطوط بدار الكتب (٢١٤٦) تاريخ تيمور .
(٦) القفطى : انباه الرواة ٢٢٣/٢
(٧) ابن خلكان : وفيات الاعيان : ٢٦٤/٢

أبو الفدا فى المختصر : (وليس فى الشروح مثله جودة[1]) •

كما ذكره صاحب (كشف الظنون) فى مقدمة شروح ديوان أبى الطيب التى زادت على الأربعين شرحا فقال : (وسنذكر ما وجدنا عليه من الشروح : فأجلها نفعا وأكثرها فائدة : شرح الامام أبى الحسن على بن أحمد الواحدى المتوفى سنة ٤٦٨ ثمان وستين وأربعمائة : ليس فى شروحه مع كثرتها مثله[2]) من ثم نجد أن شرح الواحدى لديوان أبى الطيب المتنبى قد تسنم الذروة وفاق سائر الشروح عليه وهذا يعكس — بالطبع — منزلة الواحدى فى علوم اللغة والأدب وهى حرية بأبحاث عديدة تكشف عن تضلع هذا الامام فى علوم العربية وتذوقه لأسرارها وسبره لأغوار أساليبها والمامه بتراثها ثم عن : مواقفه النقدية من أساطين علمائها •

وقد طبع (شرح ديوان المتنبى) للواحدى فى برلين سنة ١٢٧٦ هـ — سنة ١٨٦٠ م بتحقيق فريد رخ ديترصى المعلم بالمدرسة الكلية البرلينية • ولم يظفر هذا السفر الثمين بعناية المحققين والناشرين من أهله فقدر له أن يظهر مطبوعا — لأول مرة — بألمانيا على الرغم من المكانة العلمية التى نوهت بها التراجم •

٢ — (التحبير فى شرح أسماء الله الحسنى)

ذكره الذهبى فى (سير النبلاء) بعنوان (التحبير فى الأسماء الحسنى) وذكره صاحب (مرآة الجنان) بعنوان (أسماء الله الحسنى) وابن كثير فى (البداية والنهاية) بعنوان (التحبير فى شرح الأسماء الحسنى) وابن تغرى بردى باسم (شرح أسماء الله الحسنى) والامام السيوطى فى : (طبقات المفسرين) باسم (شرح الأسماء الحسنى) وأورده الداودى فى طبقاته فقال (وشرح الأسماء الحسنى) وسماه التحبير ، وأورده صاحب (كشف الظنون) باسم (التحبير) فقط[3] • وقد اندثر هذا الكتاب فلم أقف له على وجود ولم يرد فى فهارس الكتب التى طالعتها •

٣ — (تفسير أسماء النبى صلى الله عليه وسلم)

أورده ابن قاضى شهبة فى (طبقات النحاة) وابن العماد فى (شذرات الذهب[4]) وقد ورد فى (معجم الأدباء) و (سير أعلام النبلاء) و (طبقات الداودى) باسم (تفسير النبى صلى الله عليه وسلم) وهو خطأ فى النقل أو النسخ • حيث لم يرد فى ثبت تفاسير الواحدى هذا الاسم ولم تنوه به التراجم فى سياق انتاجه التفسيرى • ولم يذكره ياقوت مع البسيط والوسيط والوجيز • بل ذكره بعد كتاب (الاغراب فى الاعراب فى النحو) وقبل كتاب (نفى التحريف عن القرآن الشريف) ونفس الشيء فعله الذهبى فى (السير) وذكره الداودى آخر كتب الواحدى • ثم انه لم يرد

---

(١) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر : ١٩٢/٢

(٢) حاجى خليفة : كشف الظنون ٨٠٩/١

(٣) انظر (سير اعلام النبلاء) للذهبى مخطوط بدار الكتب مجلد ١٥ و (مرآة الجنان) لليافعى ٩٦/٣ — ٩٧) و (البداية والنهاية) لابن كثير ١١٤/١٢ ،و (النجوم الزاهرة) ١٠٤/٥، طبقات المفسرين للسيوطى /٢٣ وللداودى : ٣١٧/١ — ٣٨٨ وكشف الظنون ٣٥٥/١

(٤) ابن قاضى شهبة : (طبقات النحاة) ١٣٥/٢ و : ابن العماد : شذرات الذهب ٣٣٠/٣

بالاسمين (الصحيح والخطأ) فى مصدر واحد • فترجح عندى أن لفظ (أسـماء) سـقط من التسـمية التى أوردهـا ياقـوت والذهبى والداودى[1] •

وقد ورد فى مفتاح السعادة ــ كتاب بنفس الاسم لابن فارس صاحب المجمل فى اللغـة هو (تفسير أسماء النبى صـلى الله عليـه وسلم[2]) وحيث توارد على نفس العنـوان ابن فارس والواحدى فأغلب ظنى أن الكتاب ــ تبعا لاتجـاه المؤلفين ــ يدخـل فى زمرة الشروح اللغوية والأدبية • ولم ينص بفهارس الكتب على وجود هذا الكتاب للواحدى فذهب المسمى وبقى الاسم •

٤ ــ (كتاب المغازى)

أورده ياقوت والذهبى وابن قاضى شـهبة والسيوطى وابن العماد[3] كما أورده صاحب كشف الظنون مرتين : أولاهما : بعنوان (كتاب المغازى) والأخرى بعنوان : (مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم) فى علم المغـازى والسير[4] وهو من الكتب التى أصبحت فى ذمة التاريخ •

٥ ــ (كتاب الدعوات والمحصول)

ذكره ياقوت بهذا الاسم وأورده ابن قاضى شهبة باسم (الدعوات والفصول[5]) وأورده الذهبى ــ فى السـير ــ باسم (الدعوات) وكذا السبكى فى طبقاته والداودى فى طبقـاته وابن العماد فى شذراته[6] •

---

(١) انظر معجم الأدباء ليـاقوت ٩٧/٥ (سير النبلاء) للذهبى مجلد ١٥ مخطوط بدار الكتب و (طبقات المفسرين) للداودى ٣٨٧/١ ــ ٣٨٨

(٢) طاش كبرى زاده : مفتـاح السعادة ١١٠/١

(٣) انظر معجم الأدباء و (سير النبلاء) و (طبقات النحاة) و (شذرات الذهب) فى نفس المواضع الموجودة بالصحيفة (هامش رقم ١ ، ٢) وطبقات المفسرين ص ٢٣

(٤) حاجى خليفة :كشف الظنون ١٤٦٠/٢، ١٧٤٦

(٥) انظر معجم الأدباء ٩٧/٥ وطبقـات النحاة ١٣٥/٢

(٦) انظر (سـير النبـلاء) و (طبقـات الشافعية) ٢٤١/٥ ، وطبقات الداودى ٣٨٧/١ وشذرات الذهب ٣٣٠/٣

الباب الثانى

مدخل الى دراسة المنهج

مصادر تفسير الواحدى

مما لا شك فيه أن التعرف على مصادر المفسر يمثل الركيزة الأساسية ، والمنطلق الحقيقى لدراسة منهجه فى التفسير ، اذ لا يمكن استكشاف جهد المفسر واضافته الحقيقية فى التفسير دون الوقوف على المنابع التى استمد منها ، اذ لابد من امتداد جسر المعرفة بين ما أخذ وما أعطى ، فذلك مطلب رئيسى لوضوح الرؤية فى انتاج المفسر وتقويمه •

ثم ان للمصادر دورا رئيسيا فى تشكيل منهج المفسر وتكوينه على نحو ما • وقد تمثل هذا المضمون — بجلاء — فى تلك العبارة التى أدلى بها الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله (ان المناهج فى التفسير تختلف باختلاف ما يستعين به المفسر من مصادر التفسير[1]) ففى هذا المضمار : يتماثل نتاج المفسر وجنى النحل الذى يتمايز فى المذاق والرائحة بتمايز ما يطعمه النحل نفسه من غذاء •

ويأتى دور المفسر الحقيقى فى الافادة بما يستعين به من مصادر ، فيتوقف ذلك على توفر ملكته الفطرية ، واستكمال أدواته لاستيعاب معطيات ما يتناوله من المصادر ثم لاضافة عطائه هو للتفسير •

من هنا اقتضتنا الضرورة المنهجية أن يكون منطلقنا الأساسى لدراسة منهج الواحدى فى التفسير : هو دراسة مصادره التى اعتمد عليها، وأفاد منها ، ودخلت فى تكوين بنائه التفسيرى•

وقد وجدت — وأنا أخوض غمار هذا البحث — أن مصادر الواحدى قد بلغت من الشمول والسعة ، والتشعب ، والكثرة حدا بعيدا ، ويرجع ذلك الى المنهج الذى ارتضاه الواحدى لنفسه ، والذى يقوم على الجمع بين المأثور والرأى فى تفسيره ، فتضمنت تفاسيره قدرا وفيرا من النقول المأثورة عن السنة النبوية الشريفة ، وعن الصحابة والتابعين ، كما ضمت — الى جانب ذلك — رصيدا زاخرا من نقول علماء اللغة وأقوال أصحاب المدارس التفسيرية المختلفة التى تغلب لديها طابع الدراسة على منهج الأثر والرواية ، فحشدت فيها الآراء الكلامية والمباحث الفقهية وغيرها الأمر الذى اقتضى أن يفرد لهذه المصادر باب يتسع لتفصيلها وتصنيفها وايراد النماذج التى تصور مدى الاستعانة بها ، توطئة ومدخلا للتعرف على مدى افادة الواحدى منها فى منهجه التفسيرى •

---

(١) الشيخ محمد ابو زهرة : المعجزة الكبرى (القرآن الكريم) ص ٥٨٦

الفصل الأول

مصادره فى التفسير بالمأثور

أولا : القرآن الكريم :

لا ريب أن أعظم مايفسر به القرآن الكريم هو القرآن نفسه ، فقد أجمع العلماء على اعتباره المصدر الأول للتفسير . يقول الامام السيوطى — رحمه الله تعالى : — (قال العلماء : من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولا من القرآن ، فما أجمل منه فى مكان فقد فسر فى موضع آخر ، وما اختصر فى مكان : فقد بسط فى موضع آخر منه . وقد ألف ابن الجوزى كتابا فيما أجمل فى القرآن فى موضع وفسر فى موضع آخر منه) . وأشرت الى أمثلة منه فى نوع المجمل)[1] .

ولقد تضمنت تفاسير الواحدى قدرا كبيرا من هذا النوع من التفسير . من ذلك ما ذكره فى تفسيريه : (البسيط)[2] و (الوجيز)[3] عند تفسير قوله تعالى (صراط الذين أنعمت عليهم) من سورة الفاتحة . اذ يقول فى بيان المنعم عليهم (وقيل : هم الذين ذكرهم الله فى قوله سبحانه « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا»[4]

كذلك نجد الواحدى عند تفسير قوله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات)[5] يقول مبينا معنى التلقى والمراد بالكلمات (ومعنى التلقى للكلمات : هو أن الله تعالى ألهم آدم حتى اعترف بذنبه وقال (ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)[6] فهذه الآية هى المعنية بالكلمات) أ هـ[7] .

ومن ذلك أيضا ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (ولقد جاءكم موسى بالبينات)[8] قال :

---

(١) الامام السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن بتحقيق محمد ابىالفضل ابراهيم ١٧٤/٤ البرهان ١٧٥/٢

(٢) الواحدى : تفسير (البسيط) ٣٨/١

(٣) الواحدى : تفسير (الوجيز) ٣/١

(٤) سورة النساء الآية ٦٩

(٥) سورة البقرة الآية ٣٧

(٦) سورة الأعراف الآية ٢٣

(٧) الواحدى : البسيط ١٤٠/١

(٨) سورة البقرة الآية ٩٢

(والمراد بالبينات فى هذه الآية : ما ذكره فى قوله (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات[1] وهى : العصا ، واليد ، وفلق البحر ، والجراد ، والقمل ، والضفادع والدم ، ورفع الطور ، واحياء الميت ببعض البقرة)[2] •

فى هذا النص نجد الواحدى يرجع الى آية الاسراء فى تحديد عدد الآيات • ثم يرجع الى ما تفرق فى التنزيل الحكيم من آيات فى شأن سيدنا موسى — على نبينا وعليه السلام — مع قومه فيأتى منها بالآيات التسع • ونظائر هذا فى تفاسير الواحدى كثير وكثير •

ثانيا : الحديث الشريف :

لقد صرح القرآن الكريم بمنزلة السنة النبوية منه ، وبمصدرية الحديث الشريف لتفسيره وبيانه اذ يقول سبحانه (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون)[3] فكان الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه هو المرجع للصحابة رضوان الله عليهم فى فهم ما خفى عليهم من معانى القرآن الكريم وفى تبيان ما أبهم ، وتفصيل ما أجمل • من ثم كانوا أقدر الناس على فهم كتاب الله وأرسخهم فى علومه قدما •

ولقد أفردت أمهات كتب السنة — كالصحيحين وغيرهما — بابا من أبوابها لذكر المأثور من التفسير عن النبى صلى الله عليه وسلم وتوسعت باقى المصادر فى رواية الأحاديث فى التفسير فتسرب اليها الدخيل وفشا الوضع فيما يتعلق بجانب التفسير خاصة •

ولقد وجدت الواحدى — وهو ذو قدم فى الرواية وعلو السند — يصدر عن السنة بكثرة فى تفاسيره ويورد كثيرا من الأحاديث بسنده المتصل • وخاصة أحاديث أسباب النزول وفضائل السور كما أنه يورد كثيرا من الأحاديث مع اسقاط السند فيسنده الى الصحابى الذى رواه ، أو يرويه عن النبى صلى الله عليه وسلم مباشرة ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم) فنجده يقول : (وأما تفسير الصراط المستقيم) فروى على وابن مسعود رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : الصراط المستقيم — كتاب الله عز وجل[4] •

وعند تفسير قوله تعالى (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) من سورة الفاتحة يقول (فأما التفسير فروى عدى بن حاتم عن النبى صلى الله عليه وسلم فى تفسير (المغضوب عليهم) : قال اليهود (ولا الضالين) قال : النصارى[5] وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بوادى القرى على فرسه

---

(١) سورة الاسراء الآية ١٠١
(٢) الواحدى : تفسير البسيط ٢٥٥/١
(٣) سورة النحل الآية ٤٤

(٤) الواحدى : تفسير البسيط ٣٤/١ ،وقد روى الطبرى الحديث فى تفسيره من طرق مختلفة ٧٤/١ ط الحلبى •
(٥) الواحدى : تفسير البسيط ٤٢/١ وقد روى الطبرى الحديث فى تفسيره من طرق مختلفة ٧٩/١ ، ٨٣ وقد أخرج الترمذى ذلك فى حديث عدى فى جامعه ٢٠٢/٥ — ٢٠٣

لسأله رجل من بلقين[1] فقال يا رسول الله : من هؤلاء الذين يقاتلونك ؟ قال : المغضوب عليهم ، وأشار الى اليهود فقال من هؤلاء الطائفة الأخرى ؟ قال الضالون • وأشار الى النصارى)[2] وسنفصل الكلام فى روايته للحديث الشريف واستشهاده به فى موضعه •

ثالثا : مصادره من الصحابة :

تضمنت تفاسير الواحدى ثروة حافلة من النقول المأثورة عن كبار المفسرين من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الذين عاصروا الوحى وشاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل • فكانوا ائمة الأمة فى فقه هذا الكتاب المعجز والوقوف على معانيه من تفسير النبى صلى الله عليه وسلم لهم ، وبما أوتوه من سليقة عربية أصيلة وحاسة فطرية نقية تنفذ الى خوافى المعانى وتكشف مبهمات أسرار الضاد • ومن ثم نهل الواحدى من هذا المعين الذى لا ينضب وكان أهم مصادره من مفسرى الصحابة :

١ — الامام عبد الله بن عباس رضى الله عنه (٦٨ هـ) •

هو أشهر من أن يعرف به وبمنزلته فى بيت النبوة ، وكفى علما بمنزلته فى علم القرآن الكريم وتفسيره أن النبى صلى الله عليه وسلم قلده بلقب (ترجمان القرآن) ؟ اذ روى عنه مجاهد أنه قال (دعا لى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال لى : نعم ترجمان القرآن أنت)[3] •

كما روى عكرمة عنه أنه قال (ضمنى النبى صلى الله عليه وسلم الى صدره وقال (اللهم علمه الحكمة))[4] وقد نقل الواحدى عنه فى تفسير الحكمة فى قوله تعالى (يؤتى الحكمة من يشاء)[5] انها علم القرآن والفهم فيه والفقه فى الدين[6] •

وقد التزم الواحدى فى مقدمة تفسيره البسيط بالنقل عن الامام ابن عباس فى كل موضع يجد عنه نصا فيه،ايمانا بأولوية ما أثر عن هذا الامام بالتقديم يقول الواحدى (وابتدىء فى كل آية عند التفسير بقول ابن عباس ما وجدت له نصا)[7] من ثم حفلت تفاسير الواحدى برصيد زاخر من مأثور التفسير عن هذا الامام حتى نكاد نجد اسمه يتردد فى كل صحيفة مرة ومرات ولكنه مع ذلك لم يلتزم بذكر السند الى ابن عباس أو ببيان طريق النقل عنه فى كل موضع • ربما خشية الاطالة والاملال • فنجده فى مواضع كثيرة يقول : قال ابن عباس •••• أو : روى عن ابن عباس أنه قال ••••) وذلك كقوله فى تفسير قوله تعالى (ذلك الكتاب)[8] (وروى عن ابن عباس أنه قال : معناه : ذلك الكتاب الذى أخبرتك أنى أوحيه اليك)[9] •

ثم نجد الواحدى فى مواضع أخرى كثيرة يصدر فى تفسيره عن الامام ابن عباس مع بيان طريق الأخذ أو صاحب الرواية عنه • من هذه الطرق التى أخذ منها الواحدى عن حبر الأمة :

---

(١) فى رواية الطبرى — بتفسيره (وسأله رجل من بنى بلقين) ٨٣/١
(٢) ذكره الطبرى فى تفسيره : ٨٣/١ مسندا الى عبد الله بن شقيق بطرق مختلفة •
(٣) اخرجه الحافظ أبو نعيم فى (حلية الأولياء) ٣١٦/١

(٤) رواه البخارى فى صحيحه ٢٠٤/٢ ط محمد عبد اللطيف سنة ١٣٥٢ — ١٩٣٣
(٥) سورة البقرة الآية ٢٦٩
(٦) الواحدى : تفسير البسيط ٥٦٦/١
(٧) الواحدى : تفسير البسيط ٩/١
(٨) سورة البقرة الآية ٢
(٩) الواحدى : تفسير البسيط ٥٠/١

(أ) طريق عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه وهى من الطرق الحسنة الجيدة ، يقول السيوطى فى الاتقان (ومن جيد الطرق عن ابن عباس طريق قيس عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عنه • وهذه الطريق صحيحة على شرط الشيخين)[1] •

وقد روى الواحدى بسنده عن جرير عن عطاء عن سعيد عن ابن عباس سبب النزول عند تفسير قوله تعالى (ويسألونك عن اليتامى)[2] فى (أسباب النزول) قائلا (أخبرنا سعيد بن محمد الزاهد ، أخبرنا أبو على الفقيه ، أخبرنا عبد الله بن محمد البقرى ، حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : •••)[3] لكنه حذف السند اختصارا فى تفسيره (البسيط) فقال (وقال قتادة والربيع وابن عباس فى رواية سعيد بن جبير والوالبى : •••)[4] •

(ب) طريق محمد بن اسحق بن يسار (صاحب السيرة) عن محمد بن أبى محمد عن عكرمة عن ابن عباس • وهى طريق جيدة حسنة الاسناد • وقد أخرج منها ابن جرير وابن أبى حاتم كثيرا كما أخرج منها الطبرانى فى معجمه الكبير[5] • وقد روى الواحدى — بهذا الطريق — عن الامام ابن عباس سبب نزول قوله تعالى (وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة)[6] فقال : (أخبرنا اسماعيل بن أبى القاسم الصوف ، أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن حامد العطار ، أخبرنا أحمد ابن الحسن بن عبد الجبار ، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن سعد الزهرى، حدثنا أبى وعمى قالا : حدثنا أبى عن اسحق ، حدثنا محمد بن أبى محمد عن عكرمة عن ابن عباس قال : ••••)[7] واكتفى فى (البسيط) بقوله : قال ابن عباس •••)[8] •

(جـ) طريق الضحاك بن مزاحم الهلالى عن ابن عباس •

وقد روى الواحدى عن الضحاك بروايتين : احداهما : رواية أبى روق (عطية ابن الحارث) وهو لا بأس به • وذلك — مثلا — عند تفسير قوله تعالى (فلما رأينه أكبرنه)[9] فى البسيط[10] كما أورده سنده المتصل الى الضحاك عند ذكر سبب نزول قوله تعالى (وما كان لنبى أن يغل)[11] عن طريق سلمة • وله رواية أخرى عن الضحاك بطريق جبير بن سعيد وهو رواه ضعيف وقد روى عن طريقه سبب نزول قوله تعالى (والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم) من سورة البقرة[12] •

(د) طريق محمد بن السائب الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس •

وهى من أوهى الطرق وتعد الرواية عنها من المآخذ التى أخذت على الواحدى وشيخه الثعلبى • قال الامام السيوطى : (وأوهى

---

(١) السيوطى : الاتقان ٢٠٨/٤
(٢) سورة البقرة الآية ٢٢٠
(٣) الواحدى : أسباب النزول /٦٥
(٤) الواحدى : البسيط ٤٧٩/١
(٥) السيوطى : الاتقان ٢٠٩/٤
(٦) سورة البقرة الآية ٨٠
(٧) الواحدى : اسباب النزول /٢٤
(٨) الواحدى : البسيط ٢٣٢/١
(٩) سورة يوسف الآية ٣١
(١٠) الواحدى : البسيط ٢٣٢/٤
(١١) سورة آل عمران /١٦١ وانظر اسباب النزول ص ١٢٢
(١٢) سورة البقرة الآية/١٦٣

طرقه – أى ابن عباس – طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس فان انضم الى ذلك رواية محمد بن مروان السدى فهى سلسلة الكذب . وكثيرا ما يخرج منها الثعلبى والواحدى) ثم أضاف السيوطى استدراكا يخفف التبعة عن الواحدى فقال (لكن قال ابن عدى فى الكامل : للكلبى أحاديث صالحة ، وخاصة عن أبى صالح.وهو معروف بالتفسير، وليس لأحد تفسير أطول منه ولا أشبع)[1] .

وقد نص الواحدى على روايته عن ابن عباس بطريق الكلبى عن أبى صالح فى مواطن كثيرة من تفاسيره منها فى تفسيره (البسيط) عند تفسير قوله تعالى (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه)[2] قال الواحدى : (... قال الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله (الا من سفه نفسه) : قال : خسر نفسه)[3] .

كذلك نجد الواحدى يصدر فى تفسيره عن ابن عباس بطريقين (فى موضع واحد) هما طريقة الكلبى عن أبى صالح عنه ثم طريق عطاء عنه فيقول فى تفسيره (البسيط) عند تفسير قوله تعالى (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات ....) الآية[4] (... وقوله تعالى « بكلمات » : الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال : الكلمات التى ابتلى الله عز وجل ابراهيم بها عشرة خصال من السنة . خمس فى الرأس وخمس فى الجسد . فاللاتى فى الرأس : المضمضة والاستنشاق والفرق والسواك وقص الشارب . والتى فى الجسد : قص الأظافر وحلق العانة والختان ، والاستنجاء ، ونتف الرفغين)[5] ويعلق الواحدى على تفسير تلك الرواية قائلا (وهذا اصح ما قيل فى تفسير الكلمات ، وعلى هذا أكثر أهل العلم) ثم يسوق الرواية الثانية عن ابن عباس بعد هذا التعليق مباشرة فيقول (وقال ابن عباس فى رواية عطاء : أوحى الله الى ابراهيم ياخليلى ، تطهر فتمضمض ، فأوحى الله اليه أن تطهر فاستنشق ، فأوحى الله اليه أن تطهر فاستاك ، فأوحى اليه أن تطهر . فأخذ من شاربه . فأوحى اليه أن تطهر ففرق شعره . فأوحى اليه أن تطهر فاستنجى ، فأوحى اليه أن تطهر فحلق عانته فأوحى اليه أن تطهر فنتف ابطيه ، فأوحى اليه أن تطهر فقلم أظفاره ، فأوحى اليه أن تطهر فأقبل بوجهه على جسده ينظر ماذا يصنع فاختتن بعد عشرين ومائة سنة) أ هـ[6] ثم نجد الواحدى ينقل عن ابن عباس فى موضع واحد من ثلاث طرق ، فيروى عنه عند تفسير قوله تعالى (فأتوهن من حيث أمركم الله)[7] برواية الوالبى ثم برواية عطاء ثم برواية العوفى[8] .

وهكذا نجد الواحدى يسلك أكثر من طريق فى الاصدار عن الامام ابن عباس فى تفسيره ، ويعتمد عليه اعتمادا رئيسيا كمصدر أساسى للتفسير بالمأثور وسنتبين مدى افادته منه عند الحديث عن موقفه من التفسير بالمأثور بعْد .

---

(١) السيوطي : الاتقان ٢٠٩/٤
(٢) سورة البقرة الآية ١٣٠
(٣) الواحدى : البسيط /٣١٢/١
(٤) سورة البقرية الآية ١٢٤

(٥) الرفغان مثنى رفغ بضم الراء وسكون الفاء وهو الابط . انظر القاموس المحيط ١١٠/٣
(٦) الواحدى : البسيط ٢٩٧/١ – ٢٩٨
(٧) سورة البقرة الآية ٢٢٢
(٨) الواحدى : تفسير البسيط ٤٧٦/١

٢ ـ الامام عبدالله بن مسعود رضي الله عنه (ت : ٣٢ هـ)

أحد أجلاء الصحابة السابقين الأولين الى الاسلام ، روى أبو نعيم بسنده اليه أنه قال (قد رأيتني سادس ستة ما على ظهر الارض مسلم غيرنا)[١] وكان من أعلم الصحابة بكتاب الله عز وجل وبتفسيره فقد روى عنه أنه كان يقول (والذى لا اله غيره ما نزلت آية من كتاب الله الا وأنا أعلم فيم نزلت وأين نزلت ، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله منى تناله المطايا لأتيته)[٢] ويعد ابن مسعود أكثر من روى عنه من الصحابة فى التفسير بعد الامام ابن عباس ، يقول صاحب الاتقان (وأما ابن مسعود فروى عنه أكثر مما روى عن على)[٣] وقد حمل علمه أهل الكوفة كمسروق وعلقمة والاسود بن يزيد وغيرهم حيث تتلمذوا عليه بالكوفة ورووا عنه .

وقد أصدر الواحدى فى تفاسيره كثيرا من النقول المروية عن هذا الامام من عدة طرق أثبتها بسنده فى (أسباب النزول) وحذفها فى التفاسير اختصارا . حيث اتصل سنده بالامام ابن مسعود عن طريق مجاهد عن أبى معمر عنه[٤] وهى من الطرق الصحيحة التى اعتمد عليها البخارى فى صحيحه . وكذلك عن طريق الأعمش عن أبى وائل[٥] ويخرج منها البخارى أيضا .

ومن الطرق التى يروى عنه منها أيضا طريق السدى عن مرة الهمذانى عنه . ومن هذه الطريق يخرج الحاكم فى مستدركه ويصحح ما يخرجه منها .

ومن أمثلة ما أصدره الواحدى فى تفسيره عن ابن مسعود (ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته)[٦] قائلا (قال ابن مسعود : يحلون حلاله ويحرمون حرامه ويقرأونه كما أنزل ولا يحرفونه عن مواضعه) .

ومنها عند تفسير قوله تعالى (... أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)[٧]، قال فى البسيط (وقال ابن مسعود : ماتلا عن اثنان من المسلمين الا رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى الذين كتموا أمر محمد عليه السلام وصفته)[٨] كما يروى الواحدى عنه مع سيدنا على كرم الله وجهه عند تفسير قوله تعالى (وأتموا الحج والعمرة لله)[٩] فيقول الواحدى فى تفسيره (البسيط) :

(وقال ابن مسعود وعلى رضى الله عنهما : اتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك

(١) أبو نعيم : حلية الأولياء ١/١٢٦
(٢) السيوطى : الاتقان ٤/٢٠٤
(٣) السيوطى : الاتقان ٤/٢٠٤
(٤) الواحدى : اسباب النزول : عند ذكر سبب نزول قوله تعالى (وماكنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم) الآية ٣٩٣ من سورة (فصلت) قال الواحدى : أخبرنا الأستاذ ابو منصور البغدادى قال أخبرنا اسماعيل ابن نجيد قال حدثنا محمد بن ابراهيم بن سعيد قال حدثنا أمية بن بسطام قال حدثنا يزيد بن ذريع قال حدثنا روح عن القاسم عن منصور عن مجاهد عن أبى معمر عن ابن مسعود) .

(٥) الواحدى : اسباب النزول ص ١٠٦
(٦) الآية ١٢١ من سورة البقرة .
(٧) سورة البقرة الآية ١٥٩
(٨) الواحدى : البسيط ١/٣٥١
(٩) سورة البقرة الآية ١٩٦

مؤتنفين)[1] كذلك أورد الواحدى فى البسيط رأيا للامام ابن مسعود عند تفسير قوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان ..) الآية ٩٠ من سورة النحل قال : (قال ابن مسعود : انأجمع آية فى القرآن لخير وشر هى هذه الآية) البسيط ٣٤/٤ .

٣ ـ سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه :

أخو الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم وابن عمه البار وصهره على بضعته الزهراء رضى الله عنها ورابع خلفائه الكرام عليهم الرضوان . كان فى العلم بحرا لا يدرك له قرار . ولولا انشغاله بمهام الخلافة وولاية أمور المسلمين لملأ علمه ما بين الخافقين . لا سيما فى علوم التنزيل ، ويكفى اشارة الى علمه بتفسير القرآن الكريم ما أخرجه أبو نعيم بسنده الى عبد الله بن مسعود قال (ان القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرف الا له ظهر وبطن وان على بن أبى طالب عنده علم الظاهر والباطن)[2] فهو بلا شك مقدم فى التفسير على الامامين ابن عباس وابن مسعود وانما كثرت الرواية عنهما فانتشر علمهما بينما انشغل بأمور الخلافة عن التفرغ للرواية .

وقد اتصل سند الواحدى بسيدنا على من عدة طرق أثبتها فى كتاب (أسباب النزول) منها ما رواه فى فضل نزول فاتحة الكتاب قائلا (أخبرنا أبو اسحق أحمد بن محمد المفسر ، اخبرنا الحسين بن جعفر المفسر قال اخبرنا أبو الحسن بن محمد بن محمود المروزى حدثنا عبد الله بن محمود السعدى ، حدثنا أبو يحيى القصوى حدثنا مروان بن معاوية عن العلاء

(١) الواحدى : البسيط ٤١٧/١

(٢) أبو نعيم : حلية الأولياء/٦٥

ابن المسيب عن الفضيل بنعمروعن على بن أبى طالب قال : نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش)[3] كما ساق روايات أخرى عن طريق الضحاك عن النزال بن سبرة عنه[4] وعن طريق الاعمش عن سعد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن السلمى عنه[5] .

وفى تفاسير الواحدى نجد نقولا وآراء مأثورة عن سيدنا على لها وزنها العلمى. من ذلك مثلا عند تفسير قوله تعالى (... ولأتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون)[6] يقول الواحدى فى البسيط (... وقال على رضى الله عنه : تمام النعمة : الموت على الاسلام . وعنه أيضا : النعم ست : الاسلام والقرآن ومحمد عليه السلام والستر ، والعافية والغنى عما فى أيدى الناس)[7] .

كما ينقل الواحدى فى تفسيره (البسيط) عن سيدنا على رضى الله عنه فى تفسير قوله تعالى (... ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين ...) الآية[8] فيقول (والخير فى هذه الآية : حمل على المال الكثير ، فقد روى عن على رضى الله عنه انه دخل على مريض يعوده فقال : انى أريد أن أوصى . فقال على : ان الله عز وجل يقول : (أن ترك خيرا) وانما تدع شيئا يسيرا فدعه لعيالك فانه أفضل)[9] .

كما أصدر الواحدى عن سيدنا على سبب نزول قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم .. الآية[10] فقال فى

(٣) الواحدى اسباب النزول /١٧

(٤) الواحدى : اسباب النزول /٣٧٢

(٥) الواحدى : اسباب النزول / ٤٨٧

(٦) سورة البقرة الآية ١٥٠

(٧) الواحدى : البسيط ٣٤٠/١

(٨) سورة البقرة الآية ١٨٠

(٩) الواحدى : البسيط ٣٨٧/١

(١٠) سورة البقرة الآية ٢٦٧

(البسيط) : (وقال على بن أبى طالب والحسن ومجاهد : كانوا يتصدقون بشراء ثمارهم ورزالة أموالهم فأنزل الله هذه الآية)[1] .

ثم بالاضافة الى النقول المروية فى التفسير عن سيدنا على والتى ذكرها الواحدى فى تفسيره نجد أن الواحدى ينقل عن الامام على أيضا كثيرا من الآراء الفقهية فى آيات الأحكام سنعرض لها عند تناول مصادره الفقهية .

٤ ـ سيدنا أبى بن كعب بن قيس الأنصارى رضى الله عنه :

أحد أئمة قراء الصحابة وأعلمهم بكتاب الله عز وجل وأحد الأربعة الذين أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يؤخذ منهم القرآن فقال صلى الله عليه وسلم (خذوا القرآن من أربعة : من عبد الله بن مسعود ـ فبدأ به ـ وسالم مولى أبى حذيفة ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب)[2] وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول (أبى سيد المسلمين)[3] وقد توفى سيدنا أبى رضى الله عنه سنة اثنتين وثلاثين فى خلافة سيدنا عثمان عليه رضوان الله . وقد روى التفسير عن سيدنا أبى من عدة طرق منها : طريق أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عنه وهو اسناد صحيح روى به ابن جرير وأبى حاتم كثيرا كما أخرج الحاكم بهذه الرواية فى مستدركه والامام أحمد فى مسنده[4] ومنها طريق وكيع عن سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل عن أبى . وهى على شرط الحسن ويروى منها الامام أحمد فى مسنده .

وقد روى الواحدى ـ بسنده ـ عن الطريق الأول الى أبى فى سبب نزول سورة الاخلاص فقال (أخبرنا أبو نصر أحمد بن ابراهيم المهرجانى ، أخبرنا عبيد الله بن محمد الزاهر حدثنا أبو القاسم بن بنت منيع ، حدثنا جدى أحمد بن منيع ، حدثنا أبو سعد الصغانى ، حدثنا أبو جعفر الرازى عن الربيع ابن أنس ، عن أبى العالية ، عن أبى بن كعب: أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أنسب لنا ربك . فأنزل الله تعالى « قل هو الله أحد ، الله الصمد »[5] .

ونجد الواحدى يروى فى تفسيره (البسيط) عن أبى ـ مع حذف السند ـ فى مواضع كثيرة . من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة)[6] قال : (.. وقال أبى بن كعب : معناه : أقروا لآدم أنه خير وأكرم على منكم واخضعوا له وكونوا تحت أمره)[7] وعند تفسير قوله تعالى (كان الناس أمة واحدة)[8] يقول الواحدى (وقال ابن زيد : لم يكونوا أمة واحدة الا يوما من الدهر، يذهب الى اليوم الذى أخرجهم الله فيه من صلب آدم فى صورة الذرحين قال لهم تعالى (ألست بربكم ؟ قالوا بلى) . وهذا القول مروى عن أبى بن كعب)[9] .

---

(١) الواحدى : البسيط ٥٦٣/١
(٢) رواه البخارى فى صحيحه فى باب المناقب ٢٠/٨ ٢٠٩ ـ ٢١٠ ط محمد عبد اللطيف ـــ ١٣٥٢هـ ١٩٣٣م
(٣) ابن الاثير : اسد الغابة ٦١/١
(٤) السيوطى الاتقان ٢٠٩/٤ ـ ٢١٠

(٥) الواحدى : اسباب النزول : ٥١٠ ـ ٥١١ والوجيز للواحدى بهامش (مراح لبيد) ٤٧٢/٢
(٦) سورة البقرة الآية ـ ٣٠
(٧) الواحدى : البسيط ١٢٩/١
(٨) سورة البقرة الآية ٢١٣
(٩) الواحدى : البسيط ٤٤٩/١

وبالاضافة الى ما أصدره الواحدى فى تفسيره عن هؤلاء الأربعة من كبار مفسرى الصحابة نجد له مرويات أخرى فى التفسير بالمأثور عن مصادر صحابية أخرى ، فنجده مثلا يصدر عن سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه عند تفسير قوله تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا)[1] فيقول فى تفسير البسيط (وقال أبو بكر رضى الله عنه استقاموا: أى لم يلتفتوا الى غيره)[2] ويصدر عن سيدنا معاذ بن جبل رضى الله عنه عند تفسير قوله تعالى (وابتغوا ما كتب الله لكم)[3] قائلا (وقال معاذ بن جبل وابن عباس — فى رواية أبى الجوزاء : يعنى ليلة القدر) ويروى عن الامام ابن عمر فى سبب نزول قوله تعالى (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) فيقول فى (البسيط) وقال ابن عمر نزلت فى صلاة المسافر يصلى حيثما توجهت به راحلته تطوعا)[6] .

كذلك يصدر الواحدى — فى تفسيره — عن صحابيين جليلين هما : أبو أيوب الأنصارى والبراء بن عازب عند تفسير قوله تعالى (وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة)[7] فيقول (وقال ابو ايوب الانصارى أنها نزلت فينا معشر الأنصار لما أعز الله دينه ونصر رسولنا قلنا : لو أقمنا فى اموالنا فأصلحنا ما ضاع منها ؟ فأنزل الله هذه الآية) ويعقب الواحدى قائلا (فعلى هذا التهلكة : الاقامة فى الأهل والمال وترك الجهاد والمعنى لا تتركوا الجهاد فتهلكوا فسمى ترك الجهاد تهلكة ، لأنه يؤدى الى الهلاك فى الدنيا بقوة العدو ، وفى الآخرة بالعصيان) ثم يضيف الواحدى (وفى الآية قول ثالث : وهو ما روى عن البراء بن عازب انه قيل له فى هذه الآية : أهو الرجل يحمل على الكتيبة وهم ألف بالسيف؟ قال لا . ولكنه الرجل يصيب الذنب فيلقى بيده وتقول لا توبة لى)[8] ونحو هذه النقول عن الصحابة كثير فى تفسير الواحدى ، وفى كتابه (أسباب النزول) بأسانيد متصلة له عن الصحابة .

ثم نتساءل عن القيمة العلمية لهذا التفسير المروى عن الصحابة ؟ فنجد الحاكم قد نص فىمستدركه على ان تفسير الصحابى حكمهحكم الحديث المرفوع . وهو بهذه المثابة لا يجوز رده او تخطئته . بيد انه — أى الحاكم — فى (علوم الحديث) نجده قد خصص حكم الرفع بما ذكره الصحابى على أنه سبب نزول للآيةفحسب. أما تفسيره للمعنىوماهو خارج عن اطار سبب النزول فقد ذكر أن حكمه حكم الموقوف وظاهره فى هذا التقييد ابن الصلاح النووى وغيرهما . ومن ثم كان للعلماء وجهتان فى هذا الموقوف . فبعضهم لا يرى وجوب الأخذ به باعتباره محل اجتهاد وقابل للخطأ والصواب . وفريق يرى وجوب الأخذ به لمظنة سماعهم له من الرسول صلى الله عليه وسلم من جهة ، ولأنهم أدرى الناس بكتاب الله تعالى ولديهم مؤهلات الفهم فيه بما لا يدانيهم فيه من بعدهم وأنا أرجح هذا الرأى فى حالة اتفاق الصحابة واجماعهم على رأى . أما اذا تعددت الآراء فثمة مجال للترجيح والتخيير بينها .

---

(١) سورة فصلت الآية ٣٠
(٢) الواحدى : البسيط ٢٨٤/٧
(٣) سورة البقرة الآية ١٨٧
(٤) الواحدى : البسيط ٤٠٧/١
(٥) سورة البقرة الآية ١١٥
(٦) الواحدى : البسيط ٢٨٦/١
(٧) سورة البقرة الآية ١٩٥
(٨) الواحدى : البسيط ٤١٦/١ — ٤١٧

رابعا : مصادره من التابعين :

تلقى التابعون عن أساطين التفسير من الصحابة رضى الله عنهم علم القرآن وتفسيره وتخصص بكل علم من مفسرى الصحابة تلامذة من التابعين يحملون علمه ، وينهلون من فيضه حتى جاء عصر التابعين وتفرقوا فى المدن والأمصار مع انتشار الاسلام ، فكونوا مدارس تفسيرية تحمل كل منها طابع رائدها الصحابى وعلمه • فكان بمكة : مدرسة الامام عبد الله ابن عباس رضى الله عنه وبالمدينة المنورة : مدرسة الامام أبى بن كعب رضى الله عنه ، وبالعراق مدرسة الامام عبد الله بن مسعود عليه الرضوان • وانتشر من خلال تلك المدارس علم الصحابة وتفاسيرهم المروية عنتلاميذهم يقول ابن تيمية فى مقدمته : (وأما التفسير : فان أعلم الناس به أهل مكة ، لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء بن أبى رباح ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وغيرهم من أصحاب ابن عباس كطاووس وأبى الشعثاء وسعيد ابن جبير وامثالهم ، وكذلك أهل الكوفة من أصحاب بن مسعود ، ومن ذلك ما تميزوا به عن غيرهم ، وعلماء أهل المدينة فى التفسير : مثل زيد بن أسلم الذى أخذ عنه مالك التفسير وأخذ عنه أيضا ابنه عبد الرحمن وأخذه عن عبد الرحمن : عبد الله بن وهب)[1] •

وقد حفل تفسير الواحدى — كما نجد فى تفسيرى (البسيط) و (الوسيط) — بثروة هائلة من التفسير الأثرى المروى عن التابعين بمدارسهم المختلفة فكان من أبرز مصادره :

---

(١) ابن تيمية : مقدمة فى اصول التفسير ٢٣ — ٢٤

(أ) من مدرسة التفسير بمكة :

١ — مجاهد بن جبر المكى (٢١ — ١٠٤ هـ)

من أبرز أئمة التابعين فى التفسير ان لم يكن أبرزهم على الاطلاق فقد كان من أشدهم ملازمة للامام ابن عباس ، يروى السيوطى أن الفضل بن ميمون سمع مجاهدا يقول (عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة) وعنه أيضا قال : (عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية منه ، وأسأله فيم نزلت ، وكيف كانت)[2] وقالقتادة (أعلم من بقى بالتفسير جاهدا)[3] وقد وثق الأئمة مجاهدا فقال الامام الثورى (اذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك) واعتمد على تفسيره الامام الشافعى والبخارى وغيرهما من اهل العلم[4] •

وقد روى الواحدى فى تفسيره عن مجاهد كثيرا منفردا تارة ومع غيره من التابعين تارة أخرى • من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (•• وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله ••) الآية[5] يقول الواحدى : (وقال مجاهد : كل حجر تفجر منه الماء • أو تشقق عن ماء ، أو تردى من رأس جبل ، فهو من خشية الله • نزل به القرآن)[6] •

ونجد الواحدى عند تفسير قوله تعالى

---

(٢) السيوطى : الاتقان ٢١٠/٤
(٣) ابن الجزرى : طبقات القراء ٤٢/٢
(٤) ابن تيمية : مقدمة فى اصول التفسير — ٧ — والاتقان للسيوطى ٢١٠ — ٢١١
(٥) سورة البقرة /٧٤
(٦) الواحدى : البسيط ٢٢٥/١ — ٢٢٦

(يؤتى الحكمة من يشاء) الآية[١] يذكر عن مجاهد تفسيرين مختلفين فى معنى الحكمة فى تفسيريه (البسيط) و (الوسيط) فيقول فى البسيط : (وقال مجاهد — فى رواية ابن أبى نجيح — وهى الاصابة فى القول والفعل) وفى الوسيط يقول (قال مجاهد : تفسر بالنبوة ولكنه القرآن والعلم والفقه)[٢] .

٢ — عطاء بن أبى رباح القرشى المكى (١١٤ هـ)

من أئمة التابعين وأعلامهم فى الفقه والتفسير ، روى عن عدة من الصحابة رضى الله عنهم ، وسمع من ابن عباس وابن عمر ، وابن الزبير ، وعبد الله بن عمرو وأبى هريرة وغيرهم[٣] وذكر أبو نعيم أن احمد بن محمد الشافعى كان يقول كانت الحلقة فى الفتيا بمكة فى المسجد الحرام لابن عباس وبعد ابن عباس لعطاء بن ابى رباح[٤] وكان الامام ابن عباس يقول لأهل مكة اذا جلسوا اليه : تجتمعون الى يا أهل مكة وعندهم عطاء ،)[٥]

والواحدى يروى فى تفسيره عن عطاء كثيرا . وأكثر تقوله عن الامام ابن عباس انما هى برواية عطاء غير أن ثمة عطاء آخر يروى عن الامام ابن عباس وهو عطاء بن ميسرة الخرسانى (ت : عام ١٣٥ هـ) وهو لم يسمع عن الامام ابن عباس وانما سمع عن أبى بريدة والتابعين[٦] ويروى عنه الواحدى فى (اسباب النزول) مع التنبيه عليه بلقبه فيقول مثلا عند سبب نزول (واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى)[٧] وقال الحسن وعطاء الخرسانى ..)[٨] أما عطاء بن أبى رباح فأكثر روايات الواحدى عن ابن عباس عن طريقه — كما مر بنا .

ونجد الواحدى يصدر عن عطاء ويروى بعض اقواله فى التفسير فى مواضع كثيرة منها عند تفسير قوله تعالى : (الذين يؤمنون بالغيب)[٩] قال فى البسيط (وقال عطاء : من آمن بالله آمن بالغيب)[١٠] .

وعند تفسير قوله تعالى (اذ قال له ربه أسلم)[١١] يقول فى البسيط (وقال عطاء : أسلم نفسك الى الله وفوض أمورك اليه[١٢]

وينقل عنه فى تفسير الجنف فى قوله تعالى (فمن خاف من موص جنفا ..) الآية[١٣] فيقول : (قال عطاء : هو أن يعطى عند حضور أجله بعض ورثته دون بعض)[١٤] .

٣ — سعيد بن جبير بن هشام الأسدى الوالبى (ت : ٩٥ هـ)

من أجلاء أصحاب حبر الأمة وأحد أقطاب مفسرى التابعين . بل يرى بعضهم . أنه أعلمهم

---

(١) سورة البقرة/٢٦٩
(٢) الواحدى : الوسيط لوحة/٤٨ من المخطوط .
(٣) ابو نعيم : حلية الاولياء ٣١٦/٣
(٤) ابو نعيم : حلية الأولياء ٣١١/٣ .
(٥) انظر الذهبى : تذكرة الحفاظ ٩٨/١
(٦) ابن العماد : شذرات الذهب ١٩٢/١ — ١٩٣ الداودى : طبقات المفسرين ٣٧٩/١ — ٣٨٠ .
(٧) البقرة /٢٦٠ .
(٨) الواحدى : اسباب النزول /٧٩ .
(٩) سورة البقرة /٣
(١٠) الواحدى : البسيط ٥٩/١ .
(١١) البقرة /١٣١
(١٢) الواحدى : البسيط ٣١٣/١
(١٣) سورة البقرة ١٨٢
(١٤) السيوطى : الاتقان ٢١١/٤ .

بالتفسير فيروى عن قتادة : انهقال (كان اعلم التابعين أربعة : كان عطاء بن أبى رباح أعلمهم بالمناسك وكان سعيد بن جبير اعلمهم بالتفسير ، وكان عكرمة أعلمهم بالسير ، وكان الحسن أعلمهم بالحلال والحرام)[1] وكان الامام الثورى يقول (خذوا التفسير عن أربعة : عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك)[2] .

وقد أصدر الواحدى عن (سعيد بن جبير فى مواطن عديدة من تفسيره من ذلك ما ذكره عنه فى معانى الحروف المقطعة التى فى أوائل السور ، فقال عند تفسير (ألم) البقرة : (الوجه الثانى : أن هذه الحروف وان كانت متفرقة فى النزول فاذا ألفت ضربا من التأليف كانت اسما لله وان كنا لا نقف على تأويلها ، فألف لام راء وحم ، ونون (اسم الرحمن) الا انا لا نقف على كيفية نظمها . قال سعيد ابن جبير : لو أحسن الناس تأليفها لعلموا اسم الله الاعظم)[3] ومن ذلك ما اصدره عنه عند تفسير قوله تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت) الآية [4] فذكر رأيه مع قتادة قائلا : (وقال سعيد بن جبير وقتادة : يمحو الله ما يشاء من الشرائع فينسخه ويثبت ما يشاء فلا ينسخه)[5] كما نجد الواحدى يذكر للامام ابن جبير تعقيبا له على رأى ذكره للامام ابن عباس وقتادة فى بيان : من عنده علم الكتاب فى قوله تعالى (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب)[6] فيقول فى (البسيط) وقال ابن عباس وقتادة (ومن عنده علم الكتاب) يعنى الذين آمنوا من اليهود والنصارى . منهم عبد الله بن سلام وسلمان الفارسى وتميم الدارى . وأنكر سعيد بن جبير أن يكون عبد الله بن سلام من هذه الجملة ، لأن السورة مكية . واسلامه كان بعد هذه السورة)[7] .

٤ ـ عكرمة مولى الامام ابن عباس رضى الله عنهما (ت : ١٠٧ هـ)

عاش فى حصن العلم ونهل من معين حبر الأمة وتربى على يديه فكان يقول (كان ابن عباس يجعل فى رجلى الكبل ويعلمنى القرآن والسنن)[8] وكان يقول (كل شيء احدثكم فى القرآن فهو عن ابن عباس)[9] ولقد أتى على تفسير القرآن كله حتى سمعه سماك بن حرب يقول (فقد فسرت ما بين اللوحتين)[10] وذكر الذهبى انه قيل لسعيد بن جبير : أتعلم أحدا أعلم منك ؟ قال : نعم ، عكرمة[11] كما ذكر عن الشعبى أنه قال (ما بقى أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة)[12] .

ولقد أورد الواحدى فى تفسيره الكثير من النقول والآراء المروية عن عكرمة من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (صراط الذين أنعمت عليهم) من سور الفاتحة : قال فى البسيط (وقال عكرمة : أنعمت عليهم بالثبات على الايمان والاستقامة)[13] . ومن ذلك ما ذكره من تفسير للحطة فى قوله تعالى

---

(١) السيوطى : الاتقان ٢١١/٤ .
(٢) نفس المرجع .
(٣) الواحدى : البسيط ٤٥/١ .
(٤) سورة الرعد /٣٩
(٥) الواحدى : البسيط ٣٨٠/٤
(٦) سورة الرعد /٤٣

(٧) الواحدى : البسيط ٣٧٤/٤
(٨) السيوطى : الاتقان ٢١١/٤
(٩) نفس المرجع .
(١٠) نفس المرجع .
(١١) الذهبى : تذكرة الحفاظ ٩٥/١ ـ ٩٦
(١٢) نفس المرجع السابق .
(١٣) الواحدى : البسيط ٣٨/١ .

(وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم ..)[1] قال فى البسيط (وقال عكرمة : « وقولوا حطة » أى كلمة يحط بها عنكم خطاياكم وهى لا اله الا الله ، لأنها تحط الذنوب)[2] .

ويتردد اسم عكرمة كثيرا فى تفسير الواحدى مع أسماء السلف من المفسرين . من أمثلة ذلك ما ذكره الواحدى عند تفسير قوله تعالى (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ..)[3] قال (الحفدة : الأعوان ، وهذا قول مجاهد والحسن والسدى وعكرمة . قالوا : هم الأنصار والأعوان والخدم ، غير أن السدى وعكرمة قالا : هم ولده الذين يعينونه)[4] ونظائر هذه النقول عن عكرمة كثيرة . وقد نص الواحدى على سنده المتصل الى عكرمة كثيرا من عدة طرق فى كتابه (أسباب النزول)[5] .

(ب) أهم مصادره من مدرسة التفسير بالمدينة المنورة :

١ ـ أبو العالية رفيع بن مهران الرياحى البصرى (ت : ٩٣ هـ)

كان من أعيان مفسرى التابعين ، قال الذهبى فى ترجمته (.. رأى أبا بكر وقرأ القرآن على أبى وغيره وسمع من عمر وابن مسعود وعلى وعائشة رضى الله عنهم وطائفة، وعنه قتادة وخالد الحذاء ..)[6] وكان أبو العالية يقول (كان ابن عباس يرفعنى على سريره وقريش أسفل منه ويقول : هكذا العلم يزيد الشريف شرفا ويجلس الملوك على الأسرة)[7] وكان ابو بكر بن أبى داود يقول (ليس أحد أعلم بالقرآن بعد الصحابة من أبى العالية ثم سعيد بن جبير)[8] وقد وثقه أبو زرعة وأبو حاتم وغيرهما . وقد أصدر الواحدى فى تفسيره عن أبى العالية كثيرا من النقول والآراء . منها ما ذكره عنه فى معانى الحروف المقطعة التى فى أوائل السور فقال عند تفسير (ألم) البقرة (وقال أبو العالية ليس منها حرف الا وهو مفتاح اسم من أسماء الله عز وجل . وليس منها حرف الا وهو من آلائه وبلائه ، وليس منها حرف الا وهو فى مدة قوم وآجال آخرين)[9] ، كما نقل تفسيره لقوله تعالى (الذين يؤمنون بالغيب)[10] فقال (قال أبو العالية : فى قوله (يؤمنون بالغيب) قال : يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه وبالبعث بعد الموت)[11] ومن هذه النماذج كثير .

٢ ـ محمد بن كعب القرظى الكوفى المدنى (ت : ١٠٨ هـ)

ولد فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وقيل رآه[12] وروى عن كبار الصحابةكسيدنا على والامام ابن عباس وابن مسعود وغيرهم وروى عن أبى بن كعب بالواسطة قال عنه

---

(١) البقرة/٥٨
(٢) الواحدى : البسيط ١/١٨٣ ـ ١٨٤
(٣) سورة النحل /٧٢
(٤) الواحدى : تفسير البسيط ٤/٥٢٠ .
(٥) أنظر (أسباب النزول) ١٩ ـ ٨١ .
(٦) الذهبى : تذكرة الحفاظ ١/٦١ .
(٧،٨) الذهبى : تذكرة الحفاظ١/٦٢
(٩) الواحدى : البسيط ١/٤٨ .
(١٠) سورة البقرة/٣
(١١) الواحدى البسيط ١/٥٩ .
(١٢) ابن الجزرى : طبقات القراء ٢/٢٣٣

عون بن عبد الله : (ما رأيت أحدا أعلم بتأويل القرآن من القرظى)[1] وقد وثقه الذهبى وغيره وشهدوا له بالعلم والتقوى[2] ومن أمثلة ما رواه الواحدى فى تفسيره عن القرظى ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين)[3] قال (وروى عن مجاهد والقرظى فى قوله ادعوا شهداءكم : أى ناسا يشهدون لكم على ما قلتم بما تأتون به من معارضة القرآن)[4] •

وروايات الواحدى عن القرظى فى التفسير قليلة لكنه يروى عنه فى كتاب (أسباب النزول) كثيرا ويسوق فى بعض المواضع منه سنده المتصل اليه[5]

(جـ) ومن أهم مصادره من مدرسة التفسير بالعراق :

١ ـ الامام الحسن بن الحسن البصرى رضى الله عنه (٢٢ ـ ١١٠ هـ)

من كبار سادة التابعين علما وعملا ، نشأ بالمدينة وحفظ القرآن الكريم فى خلافة سيدنا عثمان رضى الله عنه وقرأ على حطان الرقاشى عن أبى موسى الأشعرى وعلى ابى العالية عن أبى وزيد وعمر[6] وروى عن جمع كبير من الصحابة كسيدنا على وابن عباس وابن عمر وغيرهم كما روى عنه جمهرة من التابعين كقتادة وابن عون وغيرهم • وكان بحرا فى العلم والتفسير ، وقدوة فى الزهد والتذكير • وذكر مرة أمام أبى جعفر محمد الباقر رضى الله عنه فقال عنه (ذاك الذى يشبه كلامه كلام الانبياء[7] روى التفسير عنه جماعة وقد روى الواحدى كثيرا من اقواله ومروياته فى التفسير •

من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (يخادعون الله والذين آمنوا ••) الآية[8] قال فى البسيط : (وقال الحسن : « يخادعون الله » أى نبيه ، لأن الله بعث نبيه بدينه ، فمن أطاعه فقد اطاع الله كما قال (من يطع الرسول فقد اطاع الله[9] وقال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله[10]) فعلى هذا من خادعه فقد خادع الله كقوله (ان الذين يؤذون الله[11] ••) أى اولياءه) وعند تفسير قوله تعالى (ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم[12] يقول الواحدى (وقال الحسن : « ومن تطوع خيرا » يعنى به الدين كله : أى فعل المفترض عليه من طواف وصلاة وزكاة ونوع من أنواع الطاعات[13]) كما روى الواحدى عن الحسن فى البسيط[14] سبب النزول قوله تعالى (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب[15]) •

٢ ـ قتادة بن دعامة الدوسى (١١٨ هـ) :

كان رأس الطبقة الرابعة من التابعين ، روى عن أنس بن مالك وأبى الطفيل وعبدالله

---

(١) ابن الجزرى : ٢٣٣/٢ .
(٢) ابن العماد شذرات الذهب ١٣٦/١
(٣) البقرة/٢٣
(٤) الواحدى : البسيط ١٠٠/١
(٥) أنظر أسباب النزول ص ٢١٨،٢٦٣
(٦) الذهبى : تذكرة الحفاظ ٧١/١ ، طبقات ابن الجزرى ٢٣٥/١ .
(٧) ابو نعيم : حلية الاولياء ١٤٧/٢
(٨) البقرة /٩
(٩) النساء /٨٠
(١٠) سورة الفتح /١٠
(١١) سورة الاحزاب /٥٧
(١٢) البقرة /١٥٨
(١٣) الواحدى : البسيط ٧٥/١
(١٤) الواحدى : البسيط ٣٥٠/١
(١٦) سورة البقرة/١٨٦

ابن سرجس من الصحابة وعن ثلة من التابعين كابن المسيب وعكرمة وخلق وكان اماما فى التفسير ومن أحفظ أهل زمانه حتى روى عنه أنه قال (ما قلت لمحدث قط أعد على ، وما سمعت أذناى قط شيئا الا وعاه قلبى[1]) أجل : كان أعجوبة الدنيا حتى قال فيه الامام الثورى (أو كان فى الدنيا مثل قتادة ؟[2]) وقال الذهبى فى ترجمته (ومع حفظ قتادة وعلمه بالحديث كان رأسا فى العربية واللغة) وأيام العرب .

وقد نقل الواحدى فى تفسيره كثيرا عن قتادة ، من ذلك مثلا : عند تفسير قوله تعالى (قال انى أعلم ما لا تعلمون[3]) قال فى (البسيط) : وقال قتادة : أعلم مالا تعلمون أنه يكون فى أولاد آدم من هو من أهل الطاعة[4]) كذلك نقل عنه عند تفسير قوله تعالى : (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس[5]) قال (فقال : قتادة ، ان آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا ، وذلك علم لأكلة الربا يعرفهم به أهل الموقف يعلم أنهم أكلة الربا فى الدنيا يبعثون وبهم خبل من الشيطان[6] وكذلك عند تفسير قوله تعالى (للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله[7]) يقول فى البسيط (فقال قتادة: حبسوا أنفسهم فى سبيل الله أى فى طاعته للغزو فلا يتفرغون الى طلب المعاش[8]) ونحو هذا نقول كثيرة .

---

(1) الذهبى : تذكرة الحفاظ ١٢٣/١
(2) نفس المرجع .
(3) البقرة /٣٠
(4) الواحدى : البسيط ١٢١/١
(5) البقرة /٢٧٥
(6) الواحدى البسيط : ٥٧٩/١
(7) الواحدى البسيط : ٥٧٣/١ — ٥٧٤
(8) الذهبى تذكرة الحفاظ ٤٩/١ — ٥٠
ابن الجزرى : طبقات القراء ٢٩٤/٢

٣ ـ مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الكوفى (٦٣ هـ)

من أكابر أئمة التابعين . روى عن سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه وصلى خلفه ، وأخذ عن السادة عمر وعلى ومعاذ وأبى وأخذ القراءة عن الامام ابن مسعود ولزمه ، حتى قال ابن المدينى : ما أقدم على مسروق أحدا من أصحاب عبدالله وقد نهل من علم ابن مسعود حتى صار اماما فى التفسير وحجة فى التنزيل . وقد أخرج له الستة ، وقال فيه ابن معين (ثقة لا يسأل عن مثله[9]) وقد اصدر الواحدى فى تفسيره كثيرا عن مسروق . من ذلك : ما ذكره فى تفسيره (الوسيط) عند تفسير قوله تعالى (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ..) الآية[10] قال :(وقال مسروق : لما نزل قوله تعالى « من يعمل سوءا يجز به[11] قال اهل الكتاب للمسلمين : نحن وأنتم سواء ، فنزل « ومن يعمل من الصالحات » وما بعده من قوله « ومن أحسن دينا .. الآية[12] » كما نقل عنه فى التفسير وأسباب النزول بسنده اليه[13] .

٤ ـ عامر بن شراحيل الشعبى الكوفى (ت : ١٠٥ هـ)

لقبه الذهبى بـ (علامة التابعين) وذكر عنه أنه قال (أدركت خمسمائة من اصحاب

---

(9) الشيخ عبد العظيم الزرقانى : مناهل العرفان ٤٨٩/١ .
(10) سورة النساء /١٢٤
(11) النساء ١٢٣
(12) النساء /١٢٥
(13) الواحدى : تفسير الوسيط لوحة ٨٦ ميكروفيلم .

النبى صلى الله عليه وسلم)[1] وروى عن سيدنا على — بارسال — وعن الامام ابن عباس وابن عمر وأبى هريرة وغيرهم وكان الامام سفيان بن عيينة يقول (العلماء ثلاثة : ابن عباس فى زمانه ، والشعبى فى زمانه ، والثورى فى زمانه[2] وقد وثقه الائمة ومنهم ابن حبان، وهو عند أصحاب الكتب الستة[3] •

وقد روى الواحدى فى تفسيره عن الشعبى كثيرا ، من ذلك — مثلا — عند تفسير قوله تعالى (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاة مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم[4] ••) قال فى البسيط : وقال الشعبى والكلبى : يعنى تصديقا من أنفسهم ، يعلمون أن ما أخرجوه خير لهم تركوا •

كما عرض الواحدى لرأى الشعبى المتفق مع الامام ابن عباس — فى بعض الروايات — وعكرمة فى معنى قوله تعالى (وان تبدو ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله[5]) •• فقال (•• نزلت فى كتمان الشهادة ، واقامتها ، يعنى : وان تبدو ما فى أنفسكم أيها الشهود من كتمان الشهادة (أو تخفوه) : الكتمان (يحاسبكم به الله) وهذا قول الشعبى وعكرمة[6] كذلك روى الواحدى باسناده المتصل عن الشعبى فى (أسباب النزول) ولم يقتصر الواحدى فى تفسيره على الرواية عن هؤلاء الذين عرضنا لهم من مفسرى التابعين ، وانما ضمت مصنفاته فى التفسير وعلم أسباب النزول العديد من المصادر الأخرى من التابعين لم نشأ ان نطيل عنان الحديث بذكرها فدون استقصائها ملء صفحات وصفحات • ولنكتف مما وراء ما ذكرنا من مصادره التابعية ببعض الأمثلة :

منها ما أ صدره عن الضحاك عند تفسير قوله تعالى (ان الذين كفروا سواء عليهم[8] قال فى (البسيط) و (أسباب النزول) (قال الضحاك : نزلت فى ابى جهل وخمسة من اهل بيته[9]) ويقول عند تفسير قوله تعالى (•• فاذا افضتم من عرفات[10]) (واختلفوا لم سميت تلك البقعة عرفات ، فقال الضحاك ان آدم عليه السلام لما أهبط وقع بالهند وحواء بجدة ، فجعل آدم يطلب حواء وهى تطلبه ، فاجتمعا بعرفات يوم عرفة وتفارقا ، فسمى اليوم عرفة والموضع عرفات[11])كذلك يروى فى البسيط عن علقمة بن قيس الكوفى (ت : ٦١هـ) قولا له — مع الحسن — فى بيان المخاطب بـ (يا أيها الناس[12])فيقول (ويروى عن الحسن وعلقمة : أن يا أيها الناس خطاب أهل مكة ، و (يا أيها الذين آمنوا) خطاب اهل المدينة[13]) ويصدر عن سيدنا سعيد بن ابن المسيب عند تفسير قوله تعالى (للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله[14]) فيقول (وقال سعيد بن المسيب :

---

(١) الذهبى تذكرة الحفاظ ٨١/١
(٢) انظر المزيد من ترجمته فى التذكرة .
(٣) لواحدى : البسيط ٥٦٠/١ .
(٤) لبقرة / ٢٦٥ .
(٥) البقرة / ٢٨٤
(٦) الواحدى : البسيط ٤٩٧/١ — ٥٩٨
(٧) انظر (اسباب النزول) ص ١٥٤،٥٠

(٨) البقرة/٦
(٩) الواحدى : البسيط ٦٨/١ اسباب النزول ١٩
(١٠) البقرة / الاية / ١٩٨
(١١) الواحدى البسيط ٤٣٠/١
(١٢) عند تفسير (ياأيها الناس اعبدواربكم) البقرة / ٢١
(١٣) الواحدى البسيط : ٩٣/١
(١٤) البقرة /٢٧٣

هؤلاء قوم أصابتهم جراحات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاروا زمنى فأحصرهم المرض والزمانة عن الضرب فى الأرض[1]) •

وهكذا نجد الواحدى ينهل من نتاج التابعين فى التفسير ويضمن تفاسيره المأثور عن هؤلاء الاعلام الذين تلقوا عن صحابة النبى صلى الله عليه وسلم وأضافوا لتفسيرهم ما توفر لديهم من ثقافة ودراية فاعلموا رأيهم فيما فيه للرأى مجال فى ضوء ما حفظوه من نص وما وعوه من أثر •

ويأتى دور تقويم هذا التفسير المروى عن هؤلاء التابعين • فنتساءل : هل يؤخذ بقول التابعى فى التفسير أم لا ؟

للعلماء رأيان فى ذلك يقول الزركشى : (وفى الرجوع الى قول التابعى روايتان عن أحمد ، واختار[2] ابن عقيل[3] المنع، وحكوه عن شعبة ، لكن عمل المفسرين على خلافه ، وقد حكوا فى كتبهم أقوالهم كالضحاك بن مزاحم وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وقتادة ، وابى العالية الريحانى والحسن البصرى[3]) •

واذا كان جمهرة المفسرين قد اخذوا بقول التابعين فى التفسير فما التعليل لاختلاف الروايات عن الامام احمد ؟ يقول الزركشى (فهذه تفاسير القدماء المشهورين وغالب أقوالهم تلقوها عن الصحابة ، ولعل اختلاف الرواية عن احمد انما هو فيما كان من أقوالهم وآرائهم[4]) فمما يرجع الأخذ عنهم أن غالب أقوالهم مستمد من أقوال الصحابة ، فهذا مجاهد مثلا : يروى الطبرى باسناده عن أبى مليكة فى شأنه ، قال (رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ، ومعه الواحه ، فيقول له ابن عباس : أكتب ، قال : حتى سأله عن التفسير كله[4]) فاذا اجتمعت اقوال التابعين على رأى فلا شك فى لزوم الأخذ به ، لأنه حينئذ محصلة أخذهم عن الصحابة • أما اذا تعددت الآراء واختلفت فان أمكن الجمع بينها أخذ بجميعها وان لم يمكن الجمع فلا يحتج بقول بعضهم على بعض الا اذا ظاهره مرجع أعلى منه من قرآن أو سنة صحيحة أو قول أو قواعد اللغة •

وبديهى أن مناط البحث والترجيح انما هو فيما فيه مجال للرأى حيث تتسرب الى التفسير الآراء المذهبية ومرويات أهل الكتاب التى يجب التحفظ حيالها • أما ما لا مجال فيه للرأى من تفسير التابعين فيجب الأخذ به •

خامسا ــ مصادره فى التفسير بالمأثور : من أتباع التابعين وغيرهم •

لم يقتصر الواحدى ــ كمفسر نقلى ــ على الاصدار عن الصحابة والتابعين من المفسرين فى تفاسيره . وانما كانت له مصادر أخرى فى التفسير بالمأثور من أتباع التابعين وبعدهم ممن نقلوا تفسير الصحابة وتابعيهم • وانما دخل تفسير هؤلاء فى عداد المأثور : من زاوية نقلهم عمن فسروا بالمأثور ؛ لأن دائرة

---

(١) الواحدى : تفسير البسيط ٥٧٤/١

(٢) هو عبد الله بن محمد بن عقيل من رجال الطبقة الرابعة من أهل المدينة كما ذكره ابن سعد فى طبقاته .

(٣) الزركشى : البرهان ١٥٨/٢ ، انظر الاتقان للسيوطى ١٨١/٤ ــ ١٨٢

(٤) الطبرى : جامع البيان ٤٠/١

التفسير بالمأثور قصر على الصحابة والتابعين بعد النص القرآني والبيان النبوي .

فنجد الواحدي يصدر في تفسيره كثيرا عن الكلبي ، ومقاتل بن سليمان ، وسفيان بن عيينة والطبري وغيرهم من نقلة المأثور . وقد كان لهؤلاء باع طويل وقدم راسخة في التفسير .

أما الكلبي : فهو ابو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي الكوفي (ت : سنة ١٤٦هـ)

كان اماما في التفسير والأنساب ، وقد اختلف في توثيقه وروى عنه الثوري وابن اسحق وأخرج له أبو داود في المراسيل والترمذي وابن ماجة في التفسير وذكر البخاري انه تركه القطان وابن مهدي[1] وقد نقل صاحب البرهان عن ابن عدي ما ذكره عن الكلبي مقارنا بينه وبين مقاتل قائلا (للكلبي أحاديث صالحة ، وخاصة عن أبي صالح ، وهو معروف بالتفسير ، وليس لأحد تفسير أطول منه ولا اشبع فيه ، وبعده مقاتل بن سليمان ، الا أن الكلبي يفضل على مقاتل لما في مقاتل من المذاهب الرديئة[2]) فالكلبي اذا مختلف في توثيقه بين العلماء مقبول عند البعض ومتهم مردود عند الآخرين وقد نقل الواحدي في بعض المواضع من تفسيره عن الكلبي — في جملة الوجوه التفسيرية — من ذلك ما ذكره عند عرض آراء المفسرين في قوله تعالى (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله[3]) قال في البسيط : (فأما معنى الآية : فان جماعة من المفسرين قالوا في هذا ما دل على أن قوله « وضربت عليهم الذلة والمسكنة » اخبار عمن كانوا في عصر موسى ، وبعضهم قال ما يدل على أن ضرب الذلة حصل على من كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم . قال كثير من المفسرين : ضربت عليهم يومئذ الذلة والمسكنة ، وهو أثر البؤس وزي الفقر ، وذلك لعلم الله فيهم أنهم سيقتلون النبيين ويفعلون ما يفعلون ، ثم أعقابهم يتوارثون ذلك الذل والمسكنة ، وهذا قول الكلبي[4] في كتاب الله ..) كذلك أصدر عن الكلبي عند تفسير قوله تعالى (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض[5]) .

فقال في البسيط (.. وقال الكلبي : كان النبي صلى الله عليه وسلم يواخي بين الرجلين فاذا مات احدهما ورثه الباقي منهما دون عصبته وأهله ، حتى نزلت هذه الآية فصارت المواريث للادنى من القرابات[6]) .

وعند تفسير قوله تعالى (.. يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا[7] يقول في البسيط : (.. وقال الكلبي : يسألون عن خبر المؤمنين ساعة بعد ساعة فزعا وفرقا من القتال ، وعلى هذا القول : يسألون ابتداء كلام وخبر عنهم ، والمعنى أنهم بجبنهم أبدا يسألون عن أخبار المؤمنين : هل قصدهم عدو ، واظلتهم حرب ؟ وذلك انهم يحتاجون أن يشاهدوا معهم القتال وان كرهوا ذلك . فلذلك يكثر سؤالهم عن حالهم حتى ان لم يقصدهم عدو ، ولم يعرض لهم حرب فرحوا هذا معنى

---

(١) طاش كبرى زادة : مفتاح السعادة ٦٥/٢ ، وأنظر طبقات المفسرين للداودي ١٤٤/٢
(٢) الزركشي : البرهان : ١٥٨/٢ — ١٥٩
(٣) البقرة /٦١
(٤) الواحدي : البسيط ١٩٣/١
(٥) سورة الاحزاب /٦
(٦) الواحدي : البسيط ٦/٧
(٧) الاحزاب /٢٠

ما ذكره الكلبى[١] ونظائر هذه النقـول عن الكلبى فى تفسير البسيط كثير سواء صرح فيه بالنقل عن الامام ابن عباس بطريق ابى صالح أم كان تفسيرا للكلبى استقلالا أم مشتركا فى الوجه التفسيرى مع غيره من أهل النقل كمقاتل والضحاك ومجاهد وغيرهم •

وأما مقاتل بن سليمان البلخى (ت : ١٥٠هـ) فقد اكثر الواحدى من النقل عنه ايضا • ومقاتل عند أكثر العلماء يعد من أئمة التفسير وان كان متروك الحديث ، فقد قال فيه الذهبى : (فأما مقاتل بن سليمان المفسر فكان فى هذا الوقت[٢]، وهو متروك الحديث وقد لطخ بالتجسيم مع أنه كان من أوعية العلم بحرا فى التفسير) ويحسب مقاتل — كمفسر — أن يقول عنه الامام الشافعى رضى الله عنه تلك القولة المأثورة (الناس كلهم عيال على ثلاثة : مقاتل ابن سليمان فى التفسير ، وعلى زهير بن أبى سلمى فى الشعر ، وعلى أبى حنيفة فى الكلام[٣]) •

ومن النقول الكثيرة التى أوردها الواحدى فى تفسيره عن مقاتل : (ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلون[٤]) قال فى البسيط : (قال مقاتل : ان اليهود أقروا ببعض صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكتموا بعضا ليصدقوا فى ذلك ، فقال الله عز وجل : « ولا تلبسوا الحق » الذى تقرون به وتبينونه بالباطل يعنى تكتمونه • فالحق : بيانهم والباطل كتمانهم[٥]) •

ومن ذلك أيضا ما ذكره الواحدى عند تفسير قوله تعالى (لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون[٦] قال ابسيط : (قال مقاتل : وجب العذاب على أكثر أهل مكة ، قال : ويعنى بالقول قوله لا بليس (لأملأن جهنم منك وممن تبعك[٧])[٨] وفى هذا انموذج نجد مقاتلا يفسر القرآن بالقرآن •

ومن نماذج اصدار الواحدى عن مقاتل أيضا : عند تفسير قوله تعالى (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون[٩] قال فى البسيط :

(قال مقاتل : لما عاد أبو جهل الى أصحابه ولم يصل الى ما قصد من النبى صلى الله عليه وسلم وسقط الحجر من يده أخذ الحجر رجل آخر من بنى مخزوم وقال أنا أقتله بهذا الحجر، فلما دنا من النبى صلى الله عليه وسلم : طمس الله على بصره فلم ير النبى صلى الله عليه وسلم ورجع الى أصحابه فلم يبصرهم حتى نادوه ، فذلك قوله « وجعلنا من بين ايديهم سدا » حين لم ير أصحابه[١٠]) ونحو هذه النقول عن مقاتل فى تفسير الواحدى نجد الكثير •

وممن أصدر عنهم الواحدى من المفسرين بالمأثور بعد التابعين أيضا : الامام الحافظ

---

(١) الواحدى : البسيط ٢٠/٧
(٢) اى كان معاصرا لمقاتل بن حيان الذى ورد قول الذهبى المذكور فى نهاية ترجمته التذكرة ١٧٤/١ .
(٣) الداودى : طبقات المفسرين : ٣٣١/٢
(٤) البقرة /٤٢ .

(٥) الواحدى : البسيط ١٥٠/١
(٦) سورة (يس) /٧
(٧) سورة (ص) /٨٥ والواحدى فى البسيط ١٠٩/٧
(٨) الواحدى : البسيط ١٠٩/٧
(٩) سورة (يس) / ٩
(١٠) الواحدى : البسيط ١١٠/٧

سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالى الكوفى (١٠٧ ــ ١٩٨ هـ) •

كان كما شهد له الذهبى ــ اماما حجة حافظا واسع العلم كبير القدر • أخذ عنه الائمة واتفقوا على الاحتجاج به لحفظه وأمانته • فكان ممن أخذوا عنه الأعمش وابن جريج وشعبة وغيرهم من شيوخه ، وابن المبارك وابن مهدى والامامان الجليلان الشافعى وأحمد وقال فيه ابن مهدى : عند سفيان بن عيينة من المعرفة بالقرآن وتفسير الحديث ما لم يكن عند الثورى ، وقال فيه ابن وهب : (لا أعلم أحدا أعلم بالتفسير منه[1]) •

وقد ذكرصاحب البرهانتفسير ابنعيينة فى صدارة تفاسير اتباع التابعين التى جمعت فيها اقوال الصحابة والتابعين فقال ــ بعد تناول طبقة مفسرى التابعين : (•• ثم بعد هذه الطبقة : ألفت تفاسير تجمع أقوال الصحابة والتابعين كتفسير سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح وشعبة بن الحجاج[2]) •• ومن أمثلة ما أصدره الواحدى فى تفسيره عن الامام ابن عيينة : ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله[3]) فقال فى تفسيره البسيط (•• وقال سفيان بن عيينة : أدرجوه فى الحرير والديباج ، وحلوه بالذهب والفضة ، ولميحلوا احلاله ولم يحرموا حرامه فذلك النبذ[4]) •

وقال عند تفسير قوله تعالى (شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن[5]) (وقال سفيان بن عيينة : « أنزل فيه القرآن » معناه أنزل فى فضله القرآن ، وهذا اختيار الحسين ابن الفضل، قال ومثله: ان تقول : أنزل فى الصديق كذا آية : تريد فى فضله[6]) •

ومن ذلك أيضا ما ذكره الواحدى عند تفسير قوله تعالى (•• وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين[7] فقال : (واستدل سفيان ابن عيينة على أن الصدقة كانت حلا للانبياء قبل نبينا محمد عليه السلام بهذه الآية • وعلى قول سفيان : سألوه أن يتصدق عليهم بشىء زيادة على مايستحقونه ببضاعتهم المزجاة[8]) وقد اثبتت نقول الواحدى عن ابن عيينة فى مواطن عديدة من تفسيره •

ومن أبرز من أصدر الواحدى عنهم من المفسرين بالمأثور : الامام الجليل ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى (٢٢٤ ــ ٣١٠ هـ) •

هو ــ بالاتفاق ــ امام المفسرين من بعده على الاطلاق ، يقول صاحب (البرهان) (ثم ان محمد بن جرير الطبرى جمع على الناس أشتات التفسير وقرب البعيد[9]) وقالصاحب (الاتقان) : (•• وبعدهم ابن جرير الطبرى ، وكتابه أجل التفاسير وأعظمها[10]) ومن أمثلة مانقله الواحدى عن ابن جرير فى تفسيره : ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (ذلك الكتاب لاريب فيه[11] فقال فى البسيط :

---

(١) الذهبى: تذكرةالحفاظ : ١/٢٦٢/٢٦٤ وانظر طبقات الداودى ١/ ١٩٠
(٢) الزركشى : البرهان ٢/١٥٩
(٣) سورة البقرة /١٠١
(٤) الواحدى : البسيط ١/٢٦٣
(٥) سورة البقرة /١٨٥
(٦) الواحدى : البسيط ١/٣٩٧
(٧) سورة يوسف /٨٨
(٨) الواحدى : البسيط ٤/٢٩٦
(٩) الزركشى : البرهان ٢/١٥٩
(١٠) السيوطى : الاتقان ٤/٢١٢
(١١) البقرة /٢

(وقال محمد بن جرير : أشار بقوله (ذلك) الى ما تقدم ومضى من قبله (الم) ، لأن كل ما تقضى وقرب تقضيه من الأخبار فهو فى حكم الحاضر ، كالرجل يحدث الرجل الحديث فيقول السامع : ان ذلك لكما قلت ، وهذا والله كما قلت ، فنخبر مرة عنه بمعنى الغايب اذ كان قد تقضى ، ومرة بالحاضر لقرب جوابه من كلامه كأنه غير منقض • فكذلك اما ذكر الله سبحانه (الم) التى ذكرنا تصرفها فى وجوهها من المعانى : قال يا محمد ، وهذا الذى ذكرته وبينته لك : الكتاب ، فحسن وضع ذلك فى موضع هذا[1]) •

ولعلنا نلاحظ فى هذا النص الذى نقله الواحدى عن الطبرى أثر الثقافة اللغوية والبلاغية المتجلية فى أوج نضجها • الأمر الذى نقطع به بأن التفسير بالمأثور لا يعنى التجرد من الاداة اللازمة لفهم المأثور • فقد ذكر الطبرى فى تفسير (ألم) وجوها من المأثور ثم جعلها مشارا اليها فاكتسب المبتدأ (ذلك) ببيان مرجع الاشارة كل ما ذكره المشار اليه من مدلول استدل عليه بالأثر •

ومن أمثلة ما يصدره الواحدى عن الطبرى فى التفسير برواية المأثور ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (•• ثم أقررتم وأنتم تشهدون[2]) قال فى البسيط :

(حكى محمد بن جرير عن ابن عباس : أن هذا خطاب لليهود الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، ومعناه : وأنتم تشهدون اليوم على اقرار أوائلكم بأخذ الميثاق عليهم بما فى الآية فالآية وان كانت خطابا فالمراد به أوائلكم[3]) •

وقد لاحظت فى بعض المواضع أن الواحدى ينقل بعض الوجوه التفسيرية عن الطبرى دون تصريح بالمصدر ، من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (•• ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة[4]) • فقال فى البسيط :

(وقال بعضهم : انما أيس الله اليهود بهذه الآية ، لأنهم كانوا يزعمون أن آباءهم من الانبياء يشفعون لهم[5]) •

وقد أحال الطبرى فى تفسير هذه الآية على نظيرتها السابقة فى سورة البقرة[6] وفى تفسيرها قال : (وقيل ان الله عز وجل خاطب أهل هذه الآية بما خاطبهم به فيها ، لأنهم كانوا من يهود بنى اسرائيل وكانوا يقولون : نحن ابناء الله وأحباؤه وأولاد أنبيائه وسيشفع لنا عنده آباؤنا ، فأخبرهم الله عز وجل ، أن نفسا لا تجزى عن نفس شيئا فى القيامة ولا يقبل منها شفاعة أحد فيها حتى يستوفى لكل ذى حق منها حقه[7]) •

وقد صرح الواحدى بالنقل عن الطبرى فى تفسيره كثيرا كما صرح بالنقل عن غيره من أعلام المفسرين بالمأثور وقد اقتصرت على ذكر أشهرهم وأكثرهم تأثيرا فى الواحدى •

---

(١) الواحدى : البسيط ٥٠/١
(٢) البقرة /٨٤
(٣) الواحدى : البسيط ٢٣٩/١
(٤) البقرة /١٢٣
(٥) الواحدى : البسيط ٢٩٧/١
(٦) الاية السابقة هى قوله تعالى (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ....) البقرة /٤٨
(٧) الطبرى : جامع البيان ٢٦٧/١

وثمة ملحظ هام أنوه به فى خاتمة الحديث عن مصادر للواحدى من المفسرين بالمأثور وهو أنه كثيرا ما يصدر فى تفاسيره عنهم اجمالا فيقول (قال المفسرون) أو : (قال أهل التأويل) من ذلك مثلا : قوله عند تفسير قوله تعالى (الشهر الحرام بالشهر الحرام[1]) (قال المفسرون ان النبى صلى الله عليه وسلم صد عام الحديبية سنة ست ثم عاد سنة سبع ، ودخل مكة وقضى العمرة فى ذى القعدة فانزل الله هذه الآية[2]) وقد وجدته يبين مراده بالمفسرين من خلال تفصيله لآرائهم عند تفسير قوله تعالى (ليس البر ان تولوا وجوهكم[3] فيقول : (واختلف المفسرون فى هذه الآية على وجهين : فقال قتادة والربيع ومقاتل : عنى الله بهذه الآية : اليهود والنصارى ، وذلك أن اليهود كانت تصلى قبل المغرب الى بيت المقدس ، والنصارى قبل المشرق وزعم كل طائفة أن البر فى ذلك ، فأخبر الله تعالى : أن البر غير دينهم وعملهم ولكنه ما بينه فى هذه الآية . وقال ابن عباس ومجاهد والضحاك وعطاء : المراد به المؤمنون، وقد كان الرجل قبل الفرايض اذا شهد الشهادتين وصلى الى أى جهة كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الفرايض وحدت الحدود وصرفت القبلة الى الكعبة أنزل الله هذه الآية فقال ليس البر كله أن تصلوا ولا تعملوا غير ذلك ولكن البر ما ذكر فى هذه الآية[4]) .

ونجد الواحدى كثيرا ما يصدر عن أهل التأويل اجمالا كقوله عندتفسير قوله تعالى (ثم افيضوا من حيث افاض الناس[5]) : (قال عامة أهل التأويل : كان الحمس[6] لا يخرجون من الحرم الى عرفات انما يقفون بالمزدلفة ويقولون : نحن أهل الله وقطان حرمه فلا نخرج من الحرم ، ولسنا كسائر الناس ، فأمرهم الله تعالى أن يقفوا بعرفات كما تقف سائر الناس حتى تكون الافاضة معهم منها ، فالناس فى هذه الآية هم العرب كلها غير الحمس ، وانما اتى الله تعالى بالجمع المبهم ، لانكشاف معناه عند المخاطبين . هذا قول جمهور المفسرين[7]) .

ونكتشف فى خاتمة هذا النص السابق أن مراد الواحدى بأهل التأويل هم جمهور المفسرين ومن ثم يتضح وحدة التفسير والتأويل فى المدلول عند الواحدى .

وقد أكد الواحدى ذلك مرة ثانية عندما بين مراده بأهل التأويل فى تفسير قوله تعالى (فمن اضطر غير باغ ولا عاد[8] فقال فى البسيط :

(ولأهل التأويل فى قوله « غير باغ ولا عاد » طريقان : أحدهما : وهو قول ابن عباس فى رواية عطاء : غير باغ على المسلمين ولاجامح عليهم وهذا قول مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والكلبى ..

والثانى : أن هذا البغى والعدوان يرجعان الى الأكل ، ومعناه : غير آكلها تلذذا من غير

---

(١) سورة البقرة /١٩٤ .
(٢) الواحدى : البسيط ٤١٤/١
(٣) البقرة /١٧٧
(٤) الواحدى : البسيط ٣٧٤/١ — ٣٧٥

(٥) البقرة /١٩٩
(٦) فسر الواحدى (الحمس) فى اسباب النزول فقال : قال سفيان : والاحمس : الشديد الشحيح على دينه (ص٥٧)
(٧) الواحدى : البسيط ٤٣١/١
(٨) البقرة /١٧٣

اضطرار ، ولا عاد ولا مجاوز ما يدفع به عن نفسه الجوع • وهذا قول السدى • وقال الحسن وقتادة والربيع وابن زيد : غير باغ بأكله من غير اضطرار ولا عاد بتعدى الحلال الى الحرام[1]) •

وهكذا نجد الواحدى ثرى المصادر فى تفسيره بالمأثور ، جامعا لأقوال أئمة التأويل وجهابذة التفسير من الصحابة والتابعين واتباع التابعين • وانما ذكرت من النماذج والأمثلة قدرا يسيرا يفى بصدق الدعوى واقامة البرهان على نقله وافادته من هذه المنابع الثرة المعطاءة ووراء هذه الشواهد اليسيرة بحر « زاخر » من النقول عن أئمة المأثور •

سادسا : مصادره فى القراءات :

لا يتسنى للمفسر أن يخوض فى محيط التفسير دون أن يكون عارفا بالقراءات ، ملما بهذا العلم الذى يتوقف عليه معرفة كيفية النطق بالتنزيل الحكيم ، ويترجح به بعض الوجوه المحتملة على بعض واذا كان المعول عليه فى هذا العلم ــ كما يقرر الاثبات ــ هو التلقى والرواية ، فان مصادر الواحدى فى القراءات تدخل فى دائرة مصادره فى التفسير بالمأثور •

وتنقسم مصادر الواحدى فى هذا الميدان الى مصادر مباشرة وأخرى غير مباشرة • فالمصادر المباشرة تتمثل فى شيوخه وأساتذته فى هذا العلم الذين أتقن عليهم أصوله ومخربهم عبابه • وقد تحدث عن هذه المصادر فى ترجمته الذاتية العلمية التى أوردناها فى الحديث عن شيوخه ، بيد أن سبق ورودها لا يعفينا من اثباتها ههنا استيفاء لحق المقام • لنتمثل تلك المصادر من كلام الواحدى نفسه• يقول فى مقدمة (البسيط) :

(وأما القرآن ، وقراءات أهل الامصار ، واختيارات الائمة : فانى اختلفت أولا الى الأستاذ أبى القاسم على بن أحمد البستى رحمه الله ، وقرأت عليه القرآن ختمات كثيرة لاتحصى حتى قرأت عليه أكثر طريقة الأستاذ أبى بكر أحمد بن الحسين بن مهران[2] رحمه الله ، ثم ذهبت الى الامامين : أبى عثمان سعيد بن محمد الحيرى ، وأبى الحسن على بن محمد الفارسى رحمهما الله ، وكانا قد انتهت اليهما الرياسة فى هذا العلم ، وأشير اليهما بالأصابع فى علو السن ورؤية المشايخ وكثرة التلامذة وغزارة العلوم وارتفاع الأسانيد ، والوثوق فيها ، فقرأت عليهما ، وأخذت من كل واحد منهما حظا وافرا بعون الله وحسن توفيقه ، وقرأت على الأستاذ سعيد مصنفات ابن مهران ، وروى لنا كتب أبى على الفسوى عنه[3]) •

ثم يتحدث الواحدى عن شيخه أبى اسحق الثعلبى معرفا بقدره ومبلغه من العلم ويذكر أنه قرأ عليه مصنفاته فى التفسير وعلوم القرآن حيث يقول (•• وقرأت عليه من مصنفاته أكثر

---

(١) الواحدى : البسيط ١/٣٧٠.

(٢) نقل الذهبى فى العبر (١٦/٣) عن الحاكم النيسابورى أن ابا بكر بن مهران (كان امام عصره فى القراءات) وذكر ابن الجزرى فى (طبقات القراء : ١/٥٠) فيمن اخذ القراء عن ابن مهران : على بن احمد البستى شيخ الواحدى وسعيد بن محمد الحيرى وعلى بن محمد الفارسى وهما من شيوخ الواحدى فى القراءات كما ذكره فى مقدمة (البسيط) وقد توفى ابن مهران سنة ٣٨١ هـ

(٣) الواحدى : البسيط ١/٨

من خمسمائة جزء ، وتفسيره الكبير ، وكتابه المعنون بالكامل فى علم القرآن وغيرهما[1]).

وقد نص ابن الجزرى — فى ترجمة الثعلبى — على رواية الواحدى القراءة عنه فقال : (روى عنه القراءة أبو الحسن على بن أحمد بن محمد الواحدى[2]) كما ترجم ابن الجزرى للواحدى فى طبقات القراء وقال فيه (.. امام كبير علامة روى القراءة عن على بن احمد البستى واحمد بن محمد بن ابراهيم الثعالبى ، وروى القراءة عنه ابو القاسم الهذلى[3]) .

ومن المصادر المباشرة للواحدى فى ميدان القراءات أيضا نجد الامام أبا الحسن على بن محمد بن ابراهيم القهندزى الضرير ، الذى قال عنه الواحدى (وكان من أبرع أهل زمانه فى لطائف النحو وغوامضه وأعلمهم بمضايق طرق العربية ودقائقها[4]) ثم قال بعد أن عرف بمكانة شيخه (.. وخصنى بكتابه الكبير فى علل القراءة المرتبة فى كتاب الغاية لابن مهران[5]) .

وكتاب أبى الحسن القهندزى يعد من أشهر الشروح التى وضعت لكتاب (الغاية فى القراءات العشر) لأبى بكر بن مهران ، وقد ذكره صاحب (تاريخ التراث العربى) عند الحديث عن تراث ابن مهران فى علم القراءات فقال (ولهذا الكتاب — أى الغاية — شروح هى :

(أ) شرح لأبى الحسن على بن محمد ابن ابراهيم القهندزى (كتابه قبل سنة ٤١٣ هـ) وذكر أن النصف الأول من هذا الشرح يوجد بمكتبة تيمور بدار الكتب المصرية ، والنصف الآخر موجود بمكتبة البارودى ببيروت[6]) .

وقد صرح الواحدى فى تفسيره بالاصدار عن شيخه القهندزى فى مجال الاحتجاج للقراءات فى مواضع متعددة منها ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : (ان تبدوا الصدقات فنعما هى[7] ..) محتجا لقراءة أبى عمرو فى (نعما) بكسر النون وجزم العين مع تشديد الميم فقال: (وسمعت أبا الحسن القهندزى رحمه الله يحتج لقراءة أبى عمرو ، ويقول : انه لم يبال الجمع بين ساكنين ، لقوة العين وخفة سكون الميم عند الادغام ، اذ اللسان ينبوعن الحرف المدغم بنبوة واحدة ، ولا يظهر سكون المدغم[8]) .

وأما عن المصادر غير المباشرة للواحدى فى القراءات : فاننا نجده فى مقدمة تفسيره البسيط ينص على أهم هذه المصادر فيقول : (وذكرت وجوه القراءات السبع التى اجتمع عليها أهل الأمصار دون تسمية القراء ، واعتمدت فى أكثرها على كتاب أبى على : الحسن بن محمد الفارسى الذى رواه لنا سعيد بن محمد الحيرى عنه[9]) .

ونجد الواحدى فى تفسيره ينص على أبى على الفارسى كمصدر له فى القراءات

---

(١) نفس المرجع
(٢) ابن الجزرى : طبقات القراء ١/١٠٠
(٣) نفس المرجع ١/٥٢٣
(٤) الواحدى : مقدمة البسيط ١/٧
(٥) نفس المصدر .

(٦) فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربى ١/١٦٦
(٧) سورة البقرة /٢٧١
(٨) الواحدى : البسيط ١/٥٦٧ — ٥٦٨
(٩) الواحدى : البسيط ١/٩

والاحتجاج لها فى مواضع كثيرة وكثيرا ما ينص أيضا على كتاب (الحجة) له فى اصداره عنه •

من ذلك — مثلا — ما ذكره فى (البسيط) عند ذكر القراءات فى قوله تعالى (أهدنا الصراط المستقيم[1]) قال (•• وقال صاحب الحجة : الحجة من قرأ بالصاد : آن السين مضارعة لما أجمعوا على رفضه من كلامهم •
ألا ترى أنهم تركوا امالة واقد ونحوه كراهة أن يصعدوا بالمستعلى بعد التسفل بالامالة فكذلك يكره[2] أن يتسفل بالسين ثم يتصعدوا بالطاء فى سراط[3] ••) وقال فى البسيط أيضا مصدرا عن صاحب الحجة فى الاحتجاج لقراءة (غير المغضوب عليهم[4]) بخفض (غير) قال صاحب الحجة : أما الخفض فى (غير) : فعلى البدلية والصفة ، والفرق بين البدل والصفة — فى قول سيبويه — أن البدل فى تقدير تكرير العامل بدلالة تكرير حرف الجر فى قوله سبحانه : (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم[5]) ، فهو يفارق الصفة من هذا الوجه[6]) •

وقد لاحظت بعض التصرف فيما ينقله الواحدى عن صاحب الحجة ، وهو تصرف يسير لا يغير من جوهر المعنى • وقد اشتهر اعتماد الواحدى على كتاب الحجة فى القراءات حتى عده ابن قاضى شهبة فى مصادره الرئيسية[7]

وبالاضافة الى اصدار الواحدى عن أبى على الفارسى فى ميدان القراءات فان له مصادر أخرى ينص عليها فى تفسيره كثيرا :

من ذلك أنه يذكر المصاحف فى بعض المواضع كمصادر للقراءة ، كقوله فى البسيط — عند تفسير قوله تعالى (وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه[8]) •

(وفى مصاحف الشام : قالوا بغير واو ، لأن هذه الآية ملابسة بما قبلها من قوله « ومن اظلم ممن منع مساجد الله[9] » •

ويستدل الواحدى أيضا على صحة ما روى عن مجاهد فى تفسير قوله تعالى (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم[10]) من قوله : هو أبو المؤمن أى كالأب للمؤمنين فى وجوب طاعته بما ورد فى مصحف أبى ، فيقول: (ويؤكد هذا التفسير : أن فى مصحف أبى : النبى عليه السلام أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وهو أب لهم[11]) •

ونجد الواحدى أيضا يصدر فى القراءات عن الرواة من الصحابة رضى الله عنهم كسيدنا على وابن مسعود وأبى وغيرهم فينسب القراءة الى الصحابى كقوله عند تفسير قوله تعالى (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى[12]) (أراد : أن يا بنى ، فحذف أن ، كأنه قال :

---

(1) سورة الفاتحة /٦
(2) فى الاصل : فكذلك يكره على هذا ان يتسفل ثم يتصعد انظر الحجة ٣٨/١
(3) الواحدى : البسيط ٣٣/١
(4) الفاتحة /٧
(5) الاعراف /٧٥
(6) الواحدى : البسيط ٣٩/١ وانظر الحجة لأبى على : ١٠٨/١
(7) ابن قاضى شهبة : طبقات النحاة ١٣٥/٢ — ١٣٦

(8) سورة البقرة /١١٦
(9) الواحدى : البسيط ٢٨٨/١
(10) الاحزاب /٦
(11) الواحدى : البسيط ٤/٧ وقد وردت الرواية عن مصحف أبى بدون جملة (عليه السلام) فى تفسير الالوسى ١٥٢/٢١ وانظر تفسير ابن كثير ٣٨٢/٦
(12) سورة البقرة /١٣٢

وصاهم أن يابنى وكذلك هو فى قراءة (أبى) و (ابن مسعود) باثبات أن)[1] .

سابعا : مصادره فى الحديث الشريف :

ولج أبو الحسن الواحدى ميدان التفسير بالمأثور بثروة حديثية هائلة جمعها من كبار المحدثين والحفاظ وحصلها من أمهات كتب الحديث ، فتدفقت فى تفاسيره ومصنفاته القرآنية ، وتنوعت مناحى الاستشهاد بها ، كما تعددت مصادر رواياتها وطرق تخريجها .

وقد نص الواحدى فى كثير من مواضع استشهاده بالحديث ـ فى تفسيره الوسيط خاصة ـ على طرقه وأسانيده ومصادره . فكان أبرز هذه المصادر :

١ ـ صحيح الامام أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى (ت : ٢٥٦ هـ)

وقد خرج الواحدى عنه كثيرا ، من ذلك عند تفسير قوله تعالى (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى)[2] قال فى (الوسيط) :

(.. أخبرنا أحمد بن الحسن القاضى[3] قال حدثنا حاجب بن أحمد الطوسى قال حدثنا عبد الرحيم بن منيب المروزى قال حدثنا يزيد بن هارون قال حدثنا حميد عن أنس قال: قال عمر : وافقنى ربى فى ثلاث : قلت يا رسول الله : لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى ، فأنزل الله (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى)، وقلت يا رسول الله : انه يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب ، فأنزل الله تعالى آية الحجاب ، قال : وبلغنى بعض ما آذين به رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يعنى أزواجه ـ قال فدخلت عليهن فجعلت استقر بهن واحدة واحدة ، قلت : والله لتنتهين أو ليبدلنه الله أزواجا خيرا منكن حتى أتيت على زينب فقالت : يا عمر ، أما كان فى رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظهن ؟ فأنزل الله عز وجل (عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن) الآية[4] رواه البخارى فى تفسير هذه الآية عن مسدد عن يحيى عن حميد)[5] .

ونجد الواحدى يجمع فى هذا الحديث الشريف بين سنده المتصل وتخريجه من صحيح البخارى .

٢ ـ صحيح الامام أبى الحسين مسلم ابن الحجاج النيسابورى (ت : ٢٦١ هـ)

وهو من المصادر الرئيسية للواحدى فى تخريج الأحاديث الشريفة وقد خرج عنه فى أسباب النزول وفى تفسير الوسيط كثيرا . من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة)[6] قال فى (الوسيط) : (.. أخبرنا أبو عبد الله محمد بن ابراهيم المزكى قال أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن معاوية الطلحى قال حدثنا الحسين بن مطين بن راشد الأسدى المروزى

---

(١) الواحدى : البسيط ٣١٤/١ ـ ٣١٥
(٢) سورة البقرة / الاية ١٢٥/
(٣) هو شيخ الواحدى فى الحديث والفقه **الامام القاضى أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى وقد مرت ترجمته .**

(٤) سورة التحريم /٥
(٥) الواحدى : تفسير (الوسيط) ٤٣ـ٤٤ وانظر أسباب النزول ٣٧٩ وصحيح البخارى ٦٧/١
(٦) سورة البقرة/٣٠.

قال : حدثنا هدبة بن خالد قال حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

لما خلق الله آدم جعل ابليس يطيف به فلما نظر اليه أجوف قال : ظفرت به خلقا لا يتماسك) رواه مسلم فى الصحيح عن أبى بكر بن أبى شيبة عن يونس بن محمد عن حماد ..)[1] .

ونجد الواحدى فى بعض المواضع يخرج الحديث عن البخارى ومسلم معا . كما فعل عند تفسير قوله تعالى (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن ..)[2] فقال فى الوسيط :

(أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر الخشاب، قال : أخبرنا أبو عمرو بن محمد بن أحمد الحيرى قال أخبرنا الحسن بن سفيان قال حدثنا قتيبة بن سعيد ، قال : حدثنا المغيرة بن عبد الرحمن عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اختتن ابراهيم بالقدوم وهو ابن ثمانين سنة » رواه البخارى ومسلم عن قتيبة »[3] .

٣ ـ المستدرك على الصحيحين للحافظ أبى عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى (ت : سنة ٤٠٥ هـ)

وقد نص الواحدى على تخريجه عن الحاكم فى مواضع كثيرة فى(أسباب النزول)[4]،

(١) الواحدى البسيط/١٧
(٢) سورة البقرة /١٢٤ .
(٣) الواحدى : الوسيط /٤٣
(٤) انظر (أسباب النزول) ص : ١٣ ، ص ١٢٤ ، ص ١٣٥ ، ص ٢٣١ ، ص ٣٢٢

ومن بين ما خرجه عن الحاكم فى كتاب (أسباب النزول) : أحاديث أوردها بسنده المتصل فى تفسيره الوسيط ولم ينص على تخريجها .

من ذلك ما رواه عند تفسير قوله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ..) الآية[5] : (أخبرنا محمد بن ابراهيم بن محمد بن يحيى ، أخبرنا اسماعيل ابن أحمد الخلالى ، أخبرنا عبد الله بن زيد ابن البجلى ، حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبد الله بن ادريس ، عن محمد بن اسحاق ، عن اسماعيل بن أبى أمية ، عن أبى الزبير ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أصيب اخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم ، قالوا : من يبلغ اخواننا عنا أنا فى الجنة نرزق ، لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا فى الحرب ؟ فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم،فأنزل الله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون)[6] وقد أتبع الواحدى هذا الحديث بنفس اللفظ والسند فى (أسباب النزول) بتخريجه قائلا : رواه الحاكم أبو عبد الله فى صحيحه من طريق عثمان بن أبى شيبة[7] . وبالاضافة الى ما تقدم نجد أن للواحدى اسناده العالى المتصل فى رواية الأحاديث وطرقه الخاصة كما سنذكر فى موضعه .

(٥) سورة آل عمران الآية/ ١٦٩
(٦) الواحدى تفسيرالوسيط : ١٢٦ـ١٢٧
(٧) الواحدى : اسبابالنزول/١٢٣ـ١٢٤

الفصل الثانى

مصادره فى التفسير بالرأى

ارتاد الواحدى ميدان التفسير بالرأى بعدته وعتاده ، فمع أصالة موهبته ، ورسوخ قدمه فى البحث والتحصيل ابان نشأته العلمية واصطحابه لفطاحل علماء عصره توفرت لديه الرؤية الذاتية والنظرة النقدية الفاحصة . والقدرة على الاستنباط ، واستخبار خصائص الكلمة وسبر أغوار المعنى ، واستكناه أسرار التعبير القرآنى ، وادراكه مرامى عبارات السلف فى تفاسيرهم ولم يتأت للواحدى ولوج ميدان التفسير بالرأى بمحض الموهبة المجردة ، العزلاء من مادتها العلمية الخصبة ، وانما توفر لديه ثراء المحصلة وتدفقها بفيض زاخر محصلات العلماء وأقاويلهم وتصانيفهم فاقتحم لجة التفسير بالرأى بزاد لا ينضب من مصادر البحث بشتى صنوفها • فكانت له مصادره اللغوية ومصادره النحوية والأدبية ومصادره الكلامية والفقهية وغيرها بالاضافة الى رصيده الزاخر فى ميدان الأثر فى مجالات علوم القرآن والحديث وأسباب النزول وأقوال أهل الأثر من الصحابة وتابعيهم فى معانى التنزيل •

وسوف أعرض لأهم تلك المصادر التى استمد منها الواحدى فى تفسيره بالرأى :

أولا : مصادره من علماء اللغة والنحو

أفاد الواحدى من علماء اللغة والنحو الكثير ليس فقط فى اطار الكلمة ومدلولها ومشتقاتها وتركيب الجملة وبيان الموقع الاعرابى للمفردات والجمل • وانما أفاد من جهد اللغويين والنحاة المباشر فى التفسير والكشف عن المعنى القرآنى بمنظارهم ومن خلال رؤيتهم للنص القرآنى بما أوتوه من علم ودراية فى ميادين علوم اللغة بفروعها المتعددة•

ومن ثم نجد أن الواحدى أفاد من هؤلاء وأولئك فى مضمارين : فى المحيط الخاص باللغوى والنحوى من جهة معالجة الألفاظ والجمل فى اطار تخصص كل منهما بمعنى أنه ينقل البحث اللغوى من محيط اللغة الى التفسير وكذا فى الجانب النحوى • ثم نجده يفيد ثانيا من النتاج التفسيرى للغويين والنحاة فينقل التفسير اللغوى والنحوى للقرآن الكريم المبنى على محصلات علماء اللغة والنحو • وبذا نجد للواحدى اصدارا مزدوجا عن هؤلاء وأولئك فيصدر عن اللغوى ، اللغةوالتفسير كما يصدر عن النحوى كذلك المعالجة النحوية والتفسير أيضا •

على ضوء هذا التقسيم وتبيان الازدواج فى الاصدار أعرج على بيان تلك المصادر :

(أ) أصحاب المعانى :

ويطلق عليهم الواحدى أحيانا (أهل المعانى) ، وهم من ألفوا فى معانى القرآن الكريم من أهل اللغة والنحو ، وقد اصطلح على تسميتهم بأهل المعانى أو أصحاب المعانى

وقد نقل صاحب (البرهان) عن ابن الصلاح ، والواحدى فى التعريف بهم فقال :

(قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح : وحيث رأيت فى كتب التفسير « قال أهل المعانى » : فالمراد به : مصنفو الكتب فى معانى القرآن كالزجاج ومن قبله .. وفى بعض كلام الواحدى (أكثر أهل المعانى : الفراء ، والزجاج ، وابن الانبارى قالوا كذا) انتهى[1] كما تناول الحضرمى فى (عمدة القوى والضعيف) التعريف بأهل المعانى الذين يصدر عنهم الواحدى فى تفسيره معلقا على هذا الاصطلاح الذى يرد كثيرا فى تفسير الوسيط للواحدى فقال :

قلت : قوله أهل المعانى : يريد النحويين من أهل الكوفة ، وأهل البصرة ، وهم : المتكلمون على المعانى ، ومن قبلهم من المتقدمين هم المفسرون ، لأنهم رووا التفسير المنقول عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم عن أصحابه والتابعين ، وتابعيهم . وغيرهم والنحويون انما يتكلمون على المعانى من جهة اللغة والنحو، وأكثرهم من النحويين من أهل الكوفة ، مثل الفراء ، والأحمر ، وهشام ، والضرير ، ومعاذ الهراء ، وغيرهم ، وذلك أن الغالب عليهم اتباع المعنى من غير نظر الى صحةالرواية وكثرتها، وأنهم اذا سمعوا بيتا من العرب : بنوا عليه بابا من النحو ، وليس كذلك النحاة من أهل البصرة ، فان الغالب عليهم تصحيح الرواية وقلة الأخذ بالشواذ ، وأنهم مجتهدون فى المحافظة لكل حرف على معناه ما داموا يجدون له وجها . هذا هو الأكثر .

وقد يسمى جماعة من نحاة أهل البصرة بأهل المعانى ، مثل : الزجاج ، وغيره ، اذا ذكروا معنى الآية من غير تفسير . والله أعلم[2] .

وفى هذا النص نجد أن الحضرمى — وهو يعرف بمصدر من أهم مصادر الواحدى فى تفسيره الوسيط — يتجه فى التعليل لتسميتهم بأهل المعانى متجهين : أولها : لأنهم تكلموا على معانى القرآن فى تصانيفهم التى حملت نفس الاسم (معانى القرآن) وثانيهما : لأن هذه التسمية تشير الى منهجهم العلمى الذى يعنى بالتعويل على المعنى دون الاهتمام بنفس الدرجة — بالبحث فى صحة الرواية . ولايختص هذا الاطلاق بالكوفيين أو البصريين . بل ينطبق على من يلتزم بهذا المنهج . واذا كان الكوفيون يغلب عليهم تطبيقه فان هذا لم يمنع من دخول بعض البصريين — كالزجاج فى زمرة أهل المعانى بل وفى صدارتهم .

وقد تتبعت من صنف فى (معانى القرآن) من علماء اللغة والنحو ، فوجدت صاحب (كشف الظنون) يذكر خمسة عشر علما من فرسان هذا الميدان — ما بين كوفى ، وبصرى . ومخلط بين المذهبين وخارج عنهما — لكل منهم مصنف باسم (معانى القرآن) .

فذكر من الكوفيين : من علماء اللغة : أبا عبيد القاسم بن سلام (ت : سنة ٢٢٤ هـ) وهو من الطبقة الثالثة ، وأحمد بن يحيى (ثعلب) : (ت : سنة ٢٩١ هـ) وهو من رجال

---

(١) الزركشى : البرهان ٢٩١/١ ، وانظر مفتاح السعادة ٤١١/٢

(٢) اسماعيل بن محمد الحضرمى [illegible] القوى والضعيف . الكاشف لما وقع فى وسيط الواحدى من التبديل والتحريف . ص٤ مخطوط بدار الكتب رقم ١٥٦ تفسير .

الطبقة الرابعة كما أنه معدود أيضا فى الطبقة الخامسة من النحويين .

ومن نحاة الكوفة أيضا — المصنفين فى المعانى — محمد بن الحسن الرؤاسى وهو من رجال الطبقة الأولى ، وعلى بن حمزة الكسائى (ت : ١٨٩ هـ) وهو من الطبقة الثانية ويحيى ابن زياد الفراء (ت : ٢٠٧ هـ) وهو من الطبقة الثالثة ، وسلمة بن عاصم (ت : ٣١٠ هـ) من رجال الطبقة الرابعة ، من أصحاب الفراء ، ومحمد بن كيسان (٢٩٩ هـ) من علماء الطبقة السادسة .

وذكر صاحب (كشف الظنون) — فى قائمة مصنفى « معانى القرآن » — من البصريين : أبا عبيدة معمر بن المثنى (ت : ٢١٠ هـ) وهو من رجال الطبقة الرابعة من اللغويين . ومن النحاة : سعيد بن مسعده الأخفش (ت : ٢٢١ هـ) : من الطبقة السادسة، ومحمد بن المستنير (قطرب) (٢٠٦ هـ) : من الطبقة السابعة ، وابن دستوريه (ت : ٣٤٧ هـ) من الطبقة التاسعة ، والزجاج (ت : ٣١١ هـ) من الطبقة التاسعة أيضا .

ومن أصحاب المعانى — المخلطين بين المذهبين — أبو عبد الله الخياط النحوى (ت : ٣٢٠ هـ) . وأبو الحسن عبد الله بن محمد النحوى (ت : ٣٢٥ هـ) .

ومن أصحاب المعانى — المذكورين فى كشف الظنون — من النحويين واللغويين المصريين : أبو جعفر النحاس (٣٣٨ هـ) .

ولم يستوعب صاحب (الكشف)[1] بمن نص عليهم فى قائمة مصنفى (معانى القرآن) كل أصحاب المعانى ، فقد وجدت فى (طبقات المفسرين) للداودى نيفا وعشرين من أهل المعانى ، منهم — خلاف من تضمنتهم قائمة (كشف الظنون) :

ابان بن تغلب (ت : ١٤١ هـ) وهو كوفى صدوق ، روى له مسلم والأربعة[2] . ومنهم اسماعيل بن اسحق الجهضمى البصرى (ت : ٢٠٢ هـ) : له (معانى القرآن واعرابه) فى خمسين وعشرين جزءا[3] ومنهم عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (ت : ٢٦٧ هـ)[4] .

ومنهم : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت : ٢٨٥ هـ) شيخ النحاة وامام العربية ببغداد فى زمانه وهو من رجال الطبقة الثامنة من النحاة البصريين[5] .

ومنهم أيضا : يونس بن حبيب البصرى (ت : ١٨٢ هـ)[6] وهو من اعلام الطبقة الخامسة من نحاة البصرة . ومع هذا العدد الوفير من صفوة اللغويين والنحاة فاننا لم نستقص كل أصحاب المعانى . ويبدو أن تناول معانى القرآن الكريم بالبحث اللغوى والنحوى كان ديدن جل علماء اللغة والنحو ، ولا غرو فالقرآن العزيز هو كتاب العربية الأكبر ، والمنهل العذب لقرائح فرسان البيان وسدنة اللغة .

---

(١) انظر (كشف الظنون) لحاجى خليفة ١٧٣٠/٢

(٢) الداودى : طبقات المفسرين ١/١

(٣) نفس المصدر : ١٠٦/١ — ١٠٧

(٤) الداودى : طبقات المفسرين ٢٤٥/١ وانظر بغية الوعاة للسيوطى ٦٣/٢

(٥) الزبيدى : طبقات النحويين واللغويين / ١٠١

(٦) الداودى : طبقات المفسرين ٣٨٥/٢ — ٣٨٦ والمرجع السابق .

ومن ثم لم يكن بالغريب على أبى الحسن الواحدى وهو رأس فى اللغة وعلم العربية أن يثرى نتاجه التفسيرى بجهد هؤلاء الأساطين فى خدمة التنزيل •

فنجده يصدر فى تفسيريه (البسيط) و (الوسيط) بكثرة هائلة عن (أهل المعانى) اجمالا فيبين قولهم فى مجموعهم قائلا : (قال أهل المعانى) أو (قال أصحاب المعانى)، وكثيرا ما يصدر عن بعض أصحاب المعانى كالزجاج أو الفراء أو ابن قتيبة قولا منفردا فمن الأمثلة العديدة التى أصدر فيها الواحدى عن أصحاب المعانى جملة :

قوله فى بيان معنى (الصراط المستقيم) ـ فى سورة الفاتحة ـ (قال أهل المعانى ، انما وصف الدين والحق بأنه الصراط المستقيم: لأنه يؤدى الى الغرض المطلوب من رضا الله تعالى والخلود فى النعيم المقيم كما أن الصراط المستقيم يؤديك الى مقصودك)[1] وقد وضح من هذا النص المعنى الذى أستعير له لفظ الصراط فى الآية الكريمة عند أهل المعانى ، وهو : الدين أو الحق • كما تبين الجامع بين المعنى الحقيقى والمعنى الجارى •

ومن ذلك أيضا ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم)[2] قال (•• قال أهل المعانى : وحقيقة الشاكر فى اللغة : هو المظهر للانعام عليه ، والله تعالى لا تلحقه المنافع والمضار • فالشاكر فى وصفه مجاز ، ومعناه : المجازى على الطاعة بالثواب • الا أن اللفظ خرج مخرج التلطف للعباد ومظاهرة فى الاحسان اليهم • كما قال (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) وهو تعالى لا يستقرض من عوز ، ولكنه تلطف فى الاستدعاء ، كأنه قيل : من ذا الذى يعمل عمل المقرض بأن يقدم فيأخذ أضعاف ما قدم فى وقت فقره وحاجته)[3] •

ويصدر كذلك عن أهل المعانى فى بيان معنى (أو) فى قوله تعالى (أو كصيب من السماء ••)[4] فيقول : (أو : دخلت ههنا للاباحة لا للشك ، ومعناه : أن التمثيل مباح لكم ، ان مثلتموهم بالذى استوقد نارا : فهو مثلهم ، أو بأصحاب الصيب فهو مثلهم ، أو بهما جميعا : فهما مثالهم ، كما تقول : جالس الحسن أو ابن سيرين • ان جالست أحدهما فأنت مطيع ، وان جمعتهما فأنت مطيع • ومثله قوله : «فهى كالحجارة أو أشد قسوة» وهذا قول جميع أصحاب المعانى »[5] •

ومن الملاحظ أنه هنا ينص على أن هذا رأى (جميع) أصحاب المعانى ، بيد أنه فى مواضع أخرى ينص فى اصداره عن أهل المعانى على أن ما ينقله هو رأى بعضهم أو قول قوم منهم • مثال ذلك عند تفسير قوله تعالى (•• كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ••)[6] نجده يقول فى نظم الآية الكريمة : (وقال بعض أهل المعانى : فى الآية تقديم وتأخير فى المعنى، أى : وأتوا به متشابها قالوا هذا الذى رزقنا من قبل)[7] •

كذلك نجد الواحدى يصدر عن بعض أهل المعانى عند تفسير قوله تعالى (بلى من أسلم

---

(1) الواحدى : البسيط ١/٣٤
(2) البقرة / ١٥٨
(3) الواحدى : تفسير البسيط ١/٣٥٠
(4) سورة البقرة /١٩
(5) الواحدى : البسيط ١/٨٩
(6) سورة البقرة/٢٥
(7) الواحدى : البسيط ١/١٠٥

وجهه لله)[1] فيقول : (وقال قوم من أهل المعانى : « أسلم وجهه » : أى أسلم نفسه ، وجميع جوارحه وبدنه لأمر الله ، والعرب تستعمل الوجه وهم يريدون نفس الشىء لا أنهم يذكرونه باللفظ الأشرف كما قال (كل شىء هالك الا وجهه)[2] وقال جماعة : الوجه قد يقع صلة فى الكلام • فقوله : (أسلم وجهه لله) انقاد هو لله•ومثله : «فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله[3]» : اى انقدت الله بلسانى وعقدى ، قال زيد بن عمرو بن نفيل •

وأسلمت وجهى لمن أسلمت
له المزن تحمل عذبا ذلالا[4]

وهنا نلاحظ : أن الواحدى ينقل اجماع أهل المعانى فيما اجتمعوا عليه ، ويفرق القول ويفصله فيما افترقوا فيه ، كما نلاحظ من النصوص التى يصدرها عن أهل المعانى انهم يعتمدون فى منهجهم اللغوى على لغة القرآن أساسا ، أعنى النظائر القرآنية بما ينم عنه السياق من معنى وتوجيه • ثم يعتمدون كذلك على مأثور الشعر فى التنظير وتقرير المعنى المراد •

ومن أبرز تلك الأمثلة التى تصور مدى افادة الواحدى من أهل المعانى فى تفسيره ، وطريقة عرضه لآرائهم مع تفصيلها وعزو كل رأى الى صاحبه : ما ذكره فى (البسيط) عند تفسير قوله تعالى : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ••)

(١) سورة البقرة/١١٢
(٢) سورة القصص /٨٨
(٣) سورة آل عمران /٢٠
(٤) الواحدى : البسيط ٢٨٤/١

الآية[5] قال : (وفى قوله « كحب الله » طريقان لأهل المعانى ، أحدهما :

أن المعنى فيه : كحب المؤمنين الله ، أى: يحبون الأصنام كما يحب المؤمنون ربهم فأضيف المصدر الى المحبوب ، كقول القائل : (أكلت طعامى كأكل طعامك) و (بعت جاريتى كبيع جاريتك) ، وهو يريد : كبيعك جاريتك وأكلك طعامك ، فيحذف الفاعل ، ويضيف المصدر الى المفعول كقول الشاعر :

ولست مسلما ما دمت حيا
على زيد كتسليم الأمير[6]

أراد : كتسليمى على الأمير • هذا قول الفراء ، ويوافقه تفسير ابن عباس ؛ فانه قال : يريد كحب الذين آمنوا لله ، فكثير من العلماء على هذه الطريقة فلم يثبتوا للكفار حب الله ، وجعلوا حب الله للمؤمنين ، وشبهوا حب الكفار للأصنام بحب المؤمنين لله •

الطريق الثانى : أن المعنى فيه : يحبونهم كحب الله • أى : يسوون بين هذه الأصنام وبين الله عز وجل فى الحب • فيكون تقدير الآية : يحبونهم كحبهم الله • فيضاف الحب الى الله عز وجل ، والمشركون هم المحبون • وعلى المشركين فى تسويتهم بين الله عز وجل ، والأصنام أعظم الحجج وأوكدها ، اذ أحبوا وعبدوا ما لا ينفع ولا يضر ، ولا يحيى ولا يميت • وقد بين الله — عز اسمه — مايدل على هذا المعنى فىقوله « والذين اتخذوا

(٥) سورة البقرة /١٦٥
(٦) البيت فى تفسير الطبرى ٦٧/١ وقد ورد به غير منسوب الى قائله ايضا واورده هكذا
فلست مسلما مادمت حيا
على زيد بتسليم الامير
ولم اقف على صاحبه .

من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله »[1] وهذا القول : اختيار الزجاج وابن كيسان) أه[2] •

كذلك نجد الواحدى يصدر عن أهل المعانى فى بيان المعنى المجازى للسؤال فى قوله تعالى (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون)[3] فيقول :

قال أهل المعانى : وهذا السؤال سؤال توبيخ وتقريع ، يسألون يوم القيامة فيقال لهم : لم عصيتم القرآن ؟ وما حجتكم فى ذلك ؟ فيظهر خزيهم وفضيحتهم عند تعذر جواب يصح)[4] ثم يضيف الواحدى تعقيبا على قول أهل المعانى يربطه بالمأثور عن الامام ابن عباس رضى الله عنه فيقول : (وهذا معنى قول ابن عباس — فيما روى عنه الوالبى — فى الجمع بين هذه الآية وبين قوله « فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان »[5] قال :

لا يسألون سؤال استفهام ، لأنه علم ما عملوا ، ولكن يسألون سؤال تقريع ، فيقال لهم : لم عملتم كذا وكذا ؟ فقوله (لا يسأل عن ذنبه) : أى سؤال استعلام واستخبار وقوله (لنسألنهم) : أى سؤال تقريع وتوبيخ) ثم يؤكد تطابق أهل المعانى مع أهل الأثر فيعلق على قول الامام ابن عباس رضى الله عنه قائلا : (وهذا قول قطرب[6] ويتضح من قول أهل المعانى : نكتة الحمل على المجاز فى تفسير السؤال فى (فوربك لنسألنهم) ويتعاضد التفسير بالرأى مع التفسير بالأثر فى ازالة موهم الاختلاف والتناقض بين الآيتين الكريمتين •

ويتضح من خلال تلك النماذج التى عرضناها — فى شىء من التطويل — لاصدار الواحدى عن أهل المعانى : أن الواحدى قد تأثر بهم من زوايا متعددة وجوانب مختلفة يعوزها استقصاؤها الى صفحات وصفحات للحصر والتصنيف • ولكن فيما ذكرت ايماء وتنويه بما اكتفيت عنه •

تبقى اشارة الى ملحظ أساسى سبق أن نوهت به وهو أن اصدار الواحدى عن أهل المعانى : يتمثل فى اتجاهين رئيسيين :

أحدهما : يدخل — مباشرة — فى اطار التفسير ، وفق المنهج العام لأصحاب المعانى المتضمن للاتجاه الخاص لكل شخصية منهم على حدة •

والثانى : يتمثل فى الآراء والاتجاهات العلمية لأهل المعانى فى اللغة والنحو والبيان التى يستخدمها المفسر كأدوات ومقومات للتفسير بالرأى لا غناء له عنها ، فهى الوسائل الأولية لتناول التفسير والأخذ منه بسبب • وقد لمسنا ذلك — الى حد ما — فيما مر بنا من نماذج • ويأتى دور التعرف على تلك المصادر اللغوية والنحوية التى تدخل فى دائرة أصحاب المعانى والتى أصدر عنها الواحدى فى الاتجاهين السابقين ، أعنى فى نطاق التفسير ثم فى نطاق اللغة والنحو وغيرهما من الوسائل التى يستخدمها الواحدى فى مجال التفسير بالرأى وتدخل فى مكونات تفسيره •

---

(١) سورة الزمر /٣
(٢) الواحدى : البسيط ١/٣٥٧ — ٣٥٨
(٣) سورة الحجر : الايتان ٩٢ ، ٩٣
(٤) الواحدى : تفسير البسيط ٤/٤٦٥
(٥) سورة الرحمن /٣٩
(٦) الواحدى : التفسير البسيط ٤/٤٦٥

وسأعرض فيما يلى لأهم الشخصيات اللغوية والنحوية من أصحاب المعانى التى أصدر عنها الواحدى فى تفسيره •

١ ــ أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت : سنة ٢٠٧ هـ)

كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد أستاذه الكسائى ، فقد أخذ عنه كما تتلمذ على يونس، وأبى جعفر الرؤاسى[١] • قال فيه أبو العباس ثعلب : (لولا الفراء ما كانت عربية ، لأنه خلصها وضبطها ، ولولا الفراء لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد)[٢] وكان ثعلب يرجح منهج الفراء على منهج سيبويه فيقول : (وانما صح قول الفراء ، لأنه عمل العربية والنحو على كلام العرب فقال : كل مسألة وافق اعرابها معناها ، ومعناها اعرابها فهو الصحيح • وانما لحق سيبويه الغلط لأنه عمل كلام العرب على المعانى وخلى عن الألفاظ)[٣] صنف الفراء العديد من المصنفات • كان من أجلها فى المحيط القرآنى كتابه : (معانى القرآن) الذى نقل فيه صاحب (الفهرست) عن ثعلب قوله (لم يعمل أحد قبله مثله ، ولا أحسب أن أحدا يزيد عليه)[٤] وقد أصدر الواحدى فى تفاسيره عن الفراء كثيرا • وكان من المحاسن التى تذكر للواحدى أنه ساق اصداره عنه بسنده المتصل • من أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (ثم استوى الى السماء)[٥] قال فى البسيط (أخبرنى أبو سعيد بن أبى عمر النيسابورى رحمه الله: حدثنا محمد بن يعقوب المعقلى ، حدثنا محمد ابن الجهم عن الفراء قال : الاستواء فى كلام العرب على جهتين ، احدهما : أن يستوى الرجل ، وينتهى شبابه وقوته ، ويستوى من اعوجاج • وهذان وجهان ووجه ثالث : أن يقول : كان فلان مقبلا على فلان ثم استوى على والى يكلمنى : على معنى أقبل على والى • فهذا معنى قوله (ثم استوى الى السماء)[٦]•

ونجد الواحدى كثيرا ما يصدر عن الفراء ــ مع اسقاط سنده اليه ــ فنقل عنه فى معنى الغريب من مفردات القرآن وفى توجيه المعانى فى ضوء اللغة ، وفى توجيه الاعراب ، وفى بعض الأسرار البلاغية •

من ذلك ما ذكره فى التعليل لترك العطف عند تفسير قوله تعالى (•• قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين)[٧] قال فى البسيط : (وكان حقه أن يقول : فقال أعوذ بالله ، لأنه عطف على ما قبله قال الفراء: وهذا فى القرآن كثير بغير الفاء ، وذلك أنه جواب يستغنى أوله عن آخره بالوقفة عليه ، فكان حسن السكوت يجوز به طرح الفاء • وأنت تراه فى رؤوس الآيات ، لأنها فصول حسناء • من ذلك قوله (قال فما خطبكم أيها المرسلون)[٨] والفاء حسنة مثل قوله (فقال الملأ الذين كفروا)[٩] ولو كان على كلمة واحدة لم تسقط العرب منه الفاء • من ذلك قمت

---

(١) القفطى : انباه الرواه : ٤/١٠٦ ، طاس كبرى زاده : مفتاح السعادة ١/١٧٩
(٢) الزبيدى : طبقات النحويين واللغويين / ١٣٢ .
(٣) نفس المرجع /ص١٣١
(٤) ابن النديم : الفهرست ٩٩ طالتجارية ١٣٤٨

(٥) سورة البقرة /١٢٩
(٦) الواحدى : البسيط ١/١١٢
(٧) سورة البقرة ٦٧
(٨) سورة الذاريات/٣١
(٩) سورة المؤمنون /٢٤

فعلت . لا يقولون قمت فعلت ..) الخ . ونجد الواحدى كذلك ينقل عن الفراء من كتابه (المصادر) فيقول عند تفسير قوله تعالى (واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ..)[1] (المثابة والمثاب مصدران لقولهم ثاب يثوب مثابا ومثابة وثوبا وثوبانا . ذكر ذلك الفراء فى كتابه المصادر)[2] .

٢ ـ أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصرى (١١٠ ـ ٢٠٩ هـ)

كان من أعلم الناس باللغة وأخبار العرب وأنسابها وكان بعضهم يقدمه فى ذلك على الأصمعى ، أخذ عن يونس وأبى عمرو ، وأخذ عنه أبو عبيد بن سلام ، وأبو حاتم والمازنى ، وقال فيه الجاحظ (لم يكن فى الأرض خارجي ولا اجماعى أعلم بجميع العلوم من أبى عبيدة ، صنف قريبا من مائتى كتاب منها (غريب القرآن) و (مجاز القرآن) و (معانى القرآن) و (غريب الحديث) و (نقائص جرير والفرزدق وغير ذلك)[3] وقد أصدر الواحدى عن أبى عبيدة بكثرة فى تفسيره . من ذلك ما أصدره بسنده المتصل اليه عند تفسير قوله تعالى (.. وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون ..)[4] قال فى البسيط :

(أخبرنا أبو الحسين بن أبى عبد الله الفسوى قال حدثنا محمد بن محمد الفقيه ، قال : أخبرني أبو رجاء الغنوى قال : حدثنا عمر بن شيبة قال : سمعت أبا عبيدة ـ وسأله رجل عن رجل أوصى لآل فلان : لفلان نفسه المسمى من هذا شىء ؟ قال : نعم ، قال الله تعالى (.. أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)[5] ففرعون أولهم ، وأنشد :

ولا تبك ميتا بعد ميت أحبة
على وعباس وآل أبى بكر

يريد أبا بكر نفسه[6] .

ومن ذلك ما ذكره الواحدى عند تفسير قوله تعالى (.. يا أهل يثرب لا مقام لكم)[7] قال فى البسيط : (قال أبو عبيدة : يثرب : اسم أرض المدينة ، ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فى ناحية منها وأنشد لحسان مما قاله فى الجاهلية :

سأهدى لها فى كل عام قصيدة
وأقعد مكفيا بيثرب مكرما[8]

٣ ـ أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط المجاشعى (ت : سنة ٢١٥ هـ)

قال الأنبارى فى ترجمته (وهو من أكابر أئمة النحويين البصريين ، وكان أعلم من أخذ عن سيبويه وكان أبو الحسن قد أخذ عمن أخذ عنه سيبويه ، فانه كان أسن منه ، ثم أخذ عن سيبويه أيضا وهو الطريق الى كتاب

---

(١) سورة البقرة /١٢٥
(٢) الواحدى : البسيط ١ ، ٣٠٠
(٣) انظر ترجمة أبى عبيدة : نزهة الالباء / ١٠٤ ، الفهرست ٧٩ ، بغية الوعاة : ٢٩٤/٢ طبقات الداودى ٣٢٦/٢
(٤) سورة البقرة /٤٨
(٥) سورة غافر /٤٦
(٦) الواحدى : تفسير البسيط ٥٢٩/١ وانظر تفسير الوسيط /٨٥ .
(٧) سورة الأحزاب/١٣
(٨) الواحدى : البسيط ١٣/٧

سيبويه)[1] وكان أبو العباس ثعلب يفضل الأخفش على سيبويه ويقول فيه (هو أوسع الناس علما)[2] وقد التقى الأخفش بالكسائى وخطأه فى مائة مسألة فطلب اليه الكسائى أن يؤدب ولده وسأله أن يؤلف كتابا فى معانى القرآن فصنف الأخفش كتاب المعانى فجعله الكسائى امامه وعمل عليه كتابه فى (معانى القرآن) ثم عمل الفراء كتابه فى المعانى عليهما[3] وقد أصدر الواحدى كثيرا من النقول عن الأخفش فى تفسيره • من ذلك عند تفسيره لقوله تعالى (•• قل بل ملة ابراهيم حنيفا)[4] قال البسيط :

(وقال الأخفش : الحنيف : المسلم ، وكان فى الجاهلية يقال لمن اختتن وحج البيت : حنيف ؟ لأن العرب لم تتمسك فى الجاهلية بشىء من دين ابراهيم غير الختان ، وحج البيت ، فلما جاء الاسلام عادت الحنيفية ، فالحنيف المسلم)[5] •

ومن ذلك أيضا عند تفسيره لقوله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ••)[6] قال فى البسيط : (قال الأخفش : انما هو : ما جعل الله لرجل قلبين فى جوفه ، وجاءت (من) توكيدا ، كما تقول رأيت زيدا نفسه ، فأدخل (من) توكيدا[7] •

---

(١) كمال الدين الانبارى : نزهة الالباء / ١٣٣

(٢) المرجع السابق /١٣٤ ، القفطى : انباه الرواه : ٤٠/٢

(٣) القفطى : انباه الرواه : ٣٧/٢ •

(٤) سورة البقرة : الاية /١٣٥

(٥) الواحدى : البسيط ٣١٨/١
وانظر تفسير الوسيط : /٤٧

(٦) سورة الاحزاب /٤

(٧) الواحدى : تفسير البسيط : ٢/٧

٤ ـ أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب (ت : سنة ٢٩١ هـ) :

كان امام الكوفيين فى اللغة والنحو فى زمانه ، أخذ عن محمد بن زياد الاعرابى ومسلمة بن عاصم ، ومحمد بن سلام الجمحى ، وعنه أخذ على بن سليمان الأخفش ، وابن عرفة المعروف بنفطويه ، وأبو بكر بن الأنبارى وغيرهم • وكان المبرد يقول فيه : (أعلم الكوفيين ثعلب) فذكر له الفراء فقال : (لا يعشره) أى : لا يبلغ من علمه واحدا من عشرة •• !![8] صنف (معانى القرآن) و (غريب القرآن) و (المصون) فى النحو وغير ذلك وذكر القفطى فى ترجمته : أن أبا عبد الله الأعرابى ـ وهو أستاذ ثعلب ـ كان يشك فى الشىء فيقول له : ما عندك يا أبا العباس فى هذا ؟ ثقة بغزارة حفظه[9] وقد نقل الواحدى فى تفسيره كثيرا عن ثعلب ، وأصدر عنه فى بعض المواضع بسنده المتصل اليه • من ذلك عند تفسير قوله تعالى : (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ••)[10] قال فى البسيط : (وقرأت على أبى الحسين الفسوى ، فقلت : أخبركم أحمد بن محمد الفقيه ، قال : أخبرنى أبو عمر ، قال : حضرنا مجلس أبى العباس أحمد بن يحيى ، فأقبل علينا فقال : كيف الفصل من الويل ؟ فلج القوم ، ولم يكن عند واحد منهم جواب ، وفى المجلس ابن كيسان وغيره ، فأنشدنا :

تويل أن ملأت يدى وكانت
يمينى لا تعلل بالقليل[11])[12]

---

(٨) الانبارى : نزهة الالباء : ٢٢٨ ـ ٢٣٠
وانظر انباه الرواه للقفطى : ١٤٢/١

(٩) القفطى : انباه الرواه : ١٣٩/١

(١٠) سورة البقرة /٧٩

(١١) ذكر ابن منظور هذا البيت فى لسان العرب (١٤ / ٢٦٦) ولم ينسبه لقائله وذكر فيه : (مددت) بدل (ملأت)

(١٢) الواحدى : البسيط ٢٣١/١

وقال فى (البسيط) أيضا عند تفسير قوله تعالى (وان يأتوكم أسارى تفادوهم)[1]: (أخبرنى العروضى عن الأزهرى عن المنذرى عن ثعلب قال : المفاداة : أن تدفع رجلا وتأخذ رجلا ، والفداء : أن تشتريه بمال فداء)[2] .

٥ ـ أبو اسحق ابراهيم بن محمد[3] بن السرى الزجاج (ت : ٣١١ هـ)

أحد أئمة أهل العربية الأساطين ، وأقدم أصحاب المبرد قراءة عليه ، فكان من يريد أن يقرأ عن المبرد يعرض عليه أولا ما يريد أن يقرأه[4] ويذكر الأنبارى أنه كان صاحب اختيار فى النحو والعروض[5] صنف الزجاج العديد من المصنفات الفريدة فى علوم العربية منها : (معانى القرآن) و (الأمالى) ، و (الاشتقاق) وغير ذلك .

ويعتبر الزجاج من المصادر الرئيسية للواحدى فى ميدان التفسير بالرأى ، فهو يصدر كثيرا عنه من كتاب (معانى القرآن) وقد نص ابن قاضى شهبة على ذلك فى ترجمة الواحدى بطبقات النجاة ، اذ قال فى وصف تفسير (البسيط) : (اعتمد فيه على معانى الزجاج وأكثر النقل عنه فيه ، ويعبر عنه بأبى اسحق[6]) .

ونجد الواحدى يكثر فى تفسيره (البسيط) من النقل عن الزجاج حقا ، وفى بعض المواضع يصدر عنه بسنده المتصل اليه . من أمثلة ذلك عند تفسير قوله تعالى (فان احصرتم فما استيسر من الهدى[7]) . قال ـ مبينا معنى الحصر والاحصار فى اللغة : (وأقرأنى سعيد ابن أبى بكر الزاهد عن أبى على الحسن بن أحمد الفارسى عن أبى اسحق الزجاج قال : الرواية عن أهل اللغة : للذى يمنعه الخوف والمرض : أحصر ، وللمحبوس : حصر[8]) .

ونجد الواحدى يذكر الزجاج كثيرا ـ حين يصدر عنه ـ بكنيته : أبى اسحق وفى بعض المواضع يقول قال الزجاج وهذه الكنية توقع فى اللبس أحيانا بينه وبين أبى اسحق الثعلبى شيخ الواحدى لولا أن تقوم القرائن بتعيين المراد . ومن أمثلة ما نقله الواحدى ـ فى تفسيره البسيط ـ عن الزجاج ما ذكره عند تفسيره قوله تعالى (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله[9]) اذ يقول (قال أبو اسحق : فى هذه الآيات : وصف الله تعالى حال المنافقين فى حرب الكافرين ، وحال المؤمنين ، وصف المنافقين بالفشل والجبن والروغان والمسارعة الى الفتنة ، ووصف المؤمنين بالثبوت عند الخوف ، والتصديق بما وعد الله ورسوله من النصر عند شدة الأمر وذلك أنهم لما زلزلوا زلزالا

---

(١) سورة البقرة /٨٥ .
(٢) الواحدى : البسيط ٢٤٢/١
(٣) ورد اسم ابيه (محمد) فى الفهرست ص ٩٠ ، وشذرات الذهب ٢٥٩/٢ ، ومفتاح السعادة ١٩٣/١ بينما سقط اسم ابيه وورد اسم ابراهيم بن السرى ... فى كل من طبقات الزبيدى ص ١١١ ، نزهة الالباء ص ٢٤٤ والانباه ١٥٩/١ .
(٤) ابن النديم : الفهرست /٩٠
(٥) كمال الدين الانبارى : نزهة الالباء /٢٤٤
(٦) ابن قاضى شهبة : طبقات النحاة مخطوط بدار الكتب (تاريختيمور٢١٤٦) ١٣٥/٢
(٧) البقرة /١٩٦
(٨) الواحدى : البسيط ٤١٨/١
(٩) الأحزاب/٢٢

شديدا أعلموا أن النصر وجب له ، لأن الله كان قد أنزل عليهم فى الآية التى وصف ما أصاب أصحاب الأنبياء قبلهم من الشدة قوله : (ألا ان نصر الله قريب)[1] هذا معنى ما ذكره وبعض لفظه[2] وتبرز فى هذا التعليق الأخير للواحدى أمانته فى النقل عن الزجاج .

٦ ــ أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الانبارى (ت : ٣٢٨ هـ)

قال صاحب (نزهة الالباء) فى ترجمته (كان من أعلم الناس ، وأفضلهم فى نحو الكوفيين ، وأكثرهم حفظا للغة ، وكان زاهدا متواضعا ، اخذ عن أبى العباس ثعلب ، وكان ثقة صدوقا من أهل السنة ، حسن الطريقة وألف كتبا كثيرة فى علوم القرآن ، والحديث واللغة والنحو[3]) ولقد كان هذا الامام ــ بحق ــ آية من آيات الله فى العلم والحفظ ، ومما يدل على غزارة علمه وقوة حفظه للغة والشعر ، ولتفسير القرآن الكريم بصفة خاصة : ما ذكره صاحب (معجم الأدباء) فى ترجمته قائلا : (وقال أبو على اسماعيل بن القاسم القالى : كان أبو بكر بن الأنبارى يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهدا فى القرآن ، وكان يحفظ مائة وعشرين تفسيرا بأسانيدها[4]) !! وذكر ياقوت من تصانيفه : (غريب الحديث) ويقع ــ كما قيل ــ فى خمس وأربعين ألف ورقة ، أملاه من حفظه ، وكتاب (الهاءات) نحو ألف ورقة ، و (شرح الكافى) نحو ألف ورقة ، وكتاب (المشكل فى معانى القرآن) بلغ فيه الى (طه) ، وأملاه سنين كثيرة ولم يتمه . ومصنفات أخرى كثيرة[5] .

وقد نقل الواحدى فى تفسيره كثيرا عن ابن الأنبارى ، ونص عليه ــ فيما نقله عنه الزركشى ــ كواحد من أكبر أهل المعانى ، فقال فى البرهان (وفى بعض كلام الواحدى : أكثر أهل المعانى : الفراء ، والزجاج ، وابن الأنبارى قالوا كذا ...) أهـ[6] .

ومن أمثلة ما نقله الواحدى فى تفسيره عن ابن الأنبارى : ماذكره فى (البسيط) عند تفسير قوله تعالى : (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت)[7] قال : (قال أبو بكر بن الأنبارى : السبت : القطع ، وسمى السبت من الأيام سبتا ، لان الله ابتدأ الخلق غيه ، وقطع فيه بعض الخلق، وخلق الأرض، ويقال: أمر فيه بنو اسرائيل بقطع الاعما لوتركها ، قال ــ وأخطأ من قال : سمى السبت لان الله أمر فيه بنى اسرائيل بالاستراحة وخلق هو ــ عز وجل ــ السماوات والأرض فى ستة أيام آخرها يوم الجمعة ثم استراح يوم السبت ، ــ قال ــ وهذا خطأ ، لانه لا يعلم فى كلام العرب سبت بمعنى استراح ، وانما معنى سبت قطع ، ولا يوصف الله تعالى بالاستراحة لانه لا يتعب ، قال : واتفق أهل العلم على أن الله ابتدأ الخلق يوم السبت ولم يخلق يوم الجمعة سماء ولا أرضا[8]) ومن ذلك أيضا ما ذكره فى (البسيط) عند تفسير قوله تعالى (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه ...[9]) قال

---

(١) البقرة/٢٢
(٢) الواحدى البسيط ٢١/٧
(٣) كمال الدين الانبارى / نزهة الالباء / ٣٦٤ .
(٤) ياقوت الحموى : معجم الادباء ٧٣/٧
(٥) نفس المرجع ٧٦/٧ .
(٦) الزركشى : البرهان : ٢٩١/١
(٧) سورة البقرة /٦٥
(٨) الواحدى : البسيط ٢٠٤/١
(٩) البقرة /٢١٣ .

الواحدى (فان قيل : ما معنى الهداية الى ما اختلفوا فيه ؟ فالجواب : ما قال ابن الأنبارى : ان هذا من باب حذف المضاف ، أى : فهدى الله الذين آمنوا لمعرفة ما اختلفوا فيه[1]) • هؤلاء هم أهم مصادر الواحدى من أهل المعانى • وله نقول كثيرة عن غيرهم من أصحاب المعانى كأبن قتيبة والكسائى والمبرد ، سيرد بعضها فى دراسة منهجه •

(ب)أقطاب اللغة والنحو من غير أصحاب المعانى •

لم يقتصر الواحدى ـ فى اصداره ـ على أهل المعانى فى اللغة والنحو فى تفسيره ، وانما كانت له مصادر أخرى فى هذا المحيط الخضم من أساطين اللغويين والنحاة • وقد بلغت هذه المصادر الأخرى من الكثرة والوفرة مالا يمكن استيعابه هنا ، والا لطال بنا الكلام ، وترامت اطرافه بعيدا من المحور المنهجى •

ومن ثم سأعرض لأهم تلك المصادر وأقواها اثرا فى تفسير الواحدى :

١ ـ الخليل بن أحمد الفراهيدى (ت:١٧٠هـ):

قال الأنبارى فى ترجمته (سيد أهل الأدب قاطبة فى علمه وزهده ، والغاية فى تصحيح القياس ، واستخراج مسائل النحو وتعليله ، وكان من تلاميذ أبى عمرو بن العلاء ، وأخذ عن سيبويه ، وعامة الحكاية فى كتاب سيبويه عن الخليل فكلما قال : سألته[2] وقال: أو قال : (قال) من غير أن يذكر قائله : فهو الخليل بن أحمد) وقال : (وهو أول من استخرج علم العروض وضبط اللغة ، وأملى كتاب العين على الليث بن المظفر[3]) •

وقد أصدر الواحدى ـ فى تفسيره ـ كثيرا عن الخليل ، ومن ذلك ماذكره فى تفسير أو لسورة : (الفاتحة) عند تناول الألف واللام فى (الحمد) قال : (ولا بد من ذكر طرف من مذهب النحويين فى الالف واللام اللتين للتعريف ، وحكمهما ، ومذهب الخليل فى هذا : أن (أل) حرف التعريف بمنزلة (قد) فى الافعال ، فان الهمزة واللام جميعا للتعريف ، وحكى عنه أنه كان يسميهما : (أل) كقولنا (قد) وانه لم يكن يقول الالف واللام لما لا يقول فى (قد) : القاف والدال واحتج لهذا البيت بفضلين ، أحدهما : أن العرب قد قطعت (أل) فى أنصاف الابيات نحو قول عبيد :

يا خليلى اربعا واستخبرا الـ
منزل الدارس من أهل الحلال
مثل سحق البرد وفى بعدك الـ
قطر معناه وتأويب الشمال

قال : فلو كانت اللام وحدها حرف التعريف : لما جاز فصلها من الكلمة التى عرفتها لا سيما واللام ساكنة • والساكن لا ينوى به الانفصال ، فصار قطعهم وهم يريدون الاسم بعدها كقطع النابغة قد فى قوله :

أفد الترحل غير أن ركابنا
لما تزل برحالها وكأن قد

(١) الواحدى : البسيط : ١/٤٥٠ـ٤٥١

(٢)،(٣) الانبارى : نزهة الالباء /٤٥ـ٤٦، وانظر : انباه الرواه : ١/٣٤١ ـ ٣٤٧ •

ألا ترى أن التقدير : وكأن قد زالت ؟ ..
والفضل الثانى : أنهم قد أثبتوا هذه الهمزة بحيث تحذف همزات الوصل نحو قوله (قل آلله أذن لكم[1]) و (قل آلذكرين[2]) .. (ولم تر همزة وصل تثبت فى نحو هذا[3]) .

٢ ــ ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه (ت : ١٨٠ هـ) :

أشهر أساطين النحو ، وامام البصريين ــ كما يترجمه صاحب البغية[4]) ــ أخذ عن الخليل ، ويونس وغيرهما ، وصنف فى النحو (كتابه) الذى لم يسبقه أحد الى مثله ولا لحقه أحد من بعده[5] وكان أبو عثمان المازنى يقول (من أراد أن يعمل كتابا كبيرا فى النحو بعد كتاب « سيبويه » فليستح[6]) وقد شغف الواحدى بعلم سيبويه فى النحو والعربية كثيرا فأورد فى تفسيره الكثير من النقول عنه فى اللغة والنحو من ذلك عند بيانه معنى (لعل) فى قوله تعالي (لعلكم تتقون[7]) قال فى البسيط :

(وقال سيبويه : لعل كلمة ترجية ، وتطمع للمخاطبين ، أى : كونوا على رجاء مطمع أن تتقوا بعبادتكم عقوبة الله أن تحل بكم ، كما قال فى قصة فرعون (لعله يتذكر أو يخشى[8]) كأنه قال : اذهبا انتما على رجائكما وطمعكما ، والله عز وجل من وراء ذلك وعالم بما يؤول اليه الأمر[9]) ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة[10]) قال فى البسيط : (واما الملائكة : فقال سيبويه : واحدها ملك ، وأصله ملاك : مهموز حذف همزه لكثرة الاستعمال ، وأنشد :

فلست لانسى ولكن لملاك
تتنزل من جو السماء يصوب[11]

وتابعته على هذا القول أكثر أهل العلم[12]

وقال عند تفسيره قوله تعالى (قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا[13]) (وقال سيبويه : سبحت الله تسبيحا وسبحانا بمعنى واحد ، فالمصدر تسبيح ، وسبحان : اسم يقوم مقام المصدر . قال : وقال أبو الخطاب الكبير سبحان الله : كقولك : براءة الله من السوء ، ومنه قول الاعشى :

سبحان من علقمة الفاخر ــ أى براءة منه[14]) .

٣ ــ أبو سعيد عبدالملك بن قريب الاصمعى (ت : ٢١٣ هـ) .

قال عنه الداودى : (أحد أئمة اللغة والغريب والاخبار والملح والنوادر وروى عن

(١) سورة يونس /٥٩
(٢) سورة الانعام ١٤٣
(٣) الواحدى : تفسير البسيط : ١٨/١
(٤) السيوطى : بغية الوعاة : ٢٢٩/٢
(٥) الانبارى : نزهة الالباء/٦١
(٦) نفس المرجع /٦٣ وقد نسبها القفطى فى (الانباه) للمدينى ٣٤٨/٢
(٧) سورة البقرة / الاية : ٢١
(٨) سورة طه /٤٤
(٩) الواحدى : البسيط ٩٤/١ .
(١٠) سورة البقرة / ٣٠
(١١) ذكر صاحب لسان العرب (٣٨٦/١٢) هذا البيت وذكر ان ابن السيرافى نسبه لابى وجزة يمدح به ابن الزبير .
(١٢) الواحدى : البسيط ١١٤/١ .
(١٣) البقرة /٣٢
(١٤) الواحدى البسيط : ١٢٥/١ ، والبيت المذكور مصراعه الثانى : أوله : أقول لما جاءنى فخره (لسان العرب) ٢٩٩/٣

أبى عمرو بن العلاء - وقرقبن خالدونافع بن أبى نعيم ، وشعبة ، وحماد بن سلمة وخلق)[١] وليس أدل على مكانته من قول الامام الشافعي رضى الله عنه - فيما رواه الانبارى - (ما عبر أحد عن العرب بأحسن من عبارة الاصمعى)[٢] • وأما علمه بالشعر فدونك البحر المحيط ، يقول صاحب (نزهة الالباء) •

(وقال عوز بن شبة : سمعت الاصمعى يقول: أحفظ عشرة آلاف ارجوزة ، ويقال كان الرشيد يسميه : شيطان الشعر ! (وقال الاخفش : ما رأينا احدا اعلم بالشعر من الاصمعى وخلف ، فقلت : أيهما كان أعلم ؟ فقال الاصمعى ، لانه كان نحويا)[٣] •

وقد روى الواحدى كثيرا عن الاصمعى فى تفسيره ، وأصدر عنه فى اللغة والنحو والشعر ووجدته فى بعض المواضع يروى عنه بسنده اليه ، من ذلك ما ذكره عند تفسيره قوله تعالى (حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الاسود من الفجر ...)[٤] قال :

(واختلفوا لم سميا خيطين : فقال الاكثرون : انما يسميان خيطين عند اختلاط الضوء بالظلام ، والتفاف احدهما بالآخر ، شبها بخيطين بريمين ، ومن هذا يقال : خيط الشيب رأسه ، اذا اختلط السواد بالبياض • ذكره أبو عبيد عن الاصمعى ، وانشد :

«حتى يخيط بالبياض قرونى .. البيت لبدر الهذلى وأوله : « ألاليت لا أنسى منيحة واحد » يعنى بالمنيحة : هجا مهاجيه • ثم يقول الواحدى :

وقرأت على أبى الحسين الفسوى : أخبركم حمد بن محمد قال : انشدنا الحسن بن خلاد ، قال انشدنى وريد ، قال انشدنا ابن أخى الاصمعى عن عمه ، لرجل يصف ليلا :

كأن بقايا الليل فى أخرياته
ملاء ينقى من طيالسة خضر
تخال بقاياه التى اسأر الدجى
تمد وشيما فوق أردية الفجر[٥]

فشبهها بالوشيع ، وهو فتايل الغزل ، لما يتراءى فى خلاله من خيوط سواد وبياض)[٦]

٤ - أبو عبد الله محمد بن زياد الاعرابى (ت : ٢٣١ هـ) •

كان كما يترجمه الانبارى - (من أكابر أئمة اللغة ، المشار اليهم فى معرفتها ، ويقال : لم يكن للكوفيين أشبه برواية البصريين من ابن الاعرابى ، وكان عالما ثقة ، وكان ربيبا للمفضل الضبى ، وسمع منه الدواوين وصححها ، وأخذ عن الكسائى كتاب (النوادر) وأخذ عن

---

(١) الداودى : طبقات المفسرين ١/٣٥٤
(٢) الانبارى : نزهة الالباء /١٢١
(٣) الانبارى : نزهة الالباء ١١٣
(٤) سورة البقرة /١٨٧

(٥) البيتان فى البسيط بتحريف وتصحيف شديدين من الناسخ ولم يعزهما الاصمعى الى قائلهما وقال طال تنقيرى عنهما فى بطون امهات كتب الادب حتى عثرت عليهما فى احشاء سفر الامالى لابى على القالى من رواية ابن مديد عن ابى حاتم وعبد الرحمن الاصمعى وهما ثم :
كأن شميط الصبح فى اخرياتها
ملاء ينقى من طيالسة خضر
تخال بقاياها التى اسار الدجى
تمد وشيعا فوق أردية الفجر
(الامالى ٢/٢٦٩ ط/ بولاق) .
(٦) الواحدى : البسيط ١/٤٠٩

أبى معاوية الضرير ، وأخذ عنه أبو العباس أحمد بن أحمد بن يحيى ثعلب ، وأبو عكرمة الضبى ، وابراهيم الحربى)[1] وقال فيه ثعلب (انتهى علم اللغة والحفظ الى ابن الأعرابى ، وقال لثعلب حين جاءه متعلما : (أمليت قبل أن تجيئنى يا أحمد حمل جمل)[2]

وقد أصدر الواحدى — فى تفسيره — كثيرا عن ابن الأعرابى ، فى بيان اللغة ومعرفة الغريب ، وفى بعض المواضع نجده يصدر عنه بسنده اليه ، من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (فأتوا بسورة من مثله)[3] قال — بعد أن نقل عن شيخه العروضى عن الأزهرى (... قال — أى الأزهرى — وأخبرنى المنذرى عن أبى العباس عن ابن الأعرابى قال :السورة الرفعة ، وبها سميت السورة من القرآن : أى رفعة وخير ، فأرى ابن الأعرابى وافق قوله قول أبى عبيدة)[4] .

ومما أصدره الواحدى عن ابن الأعرابى أيضا ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)[5] حيث قال : (... وسمى الموت اليقين ، لأنه موقن به جميع العقلاء ، فاليقين بمعنى الموقن به ، ولم يعرف الأصمعى فعيلا بمعنى مفعل حتى قرر له ذلك ابن الاعرابى ، واحتج عليه بقولهم : شيء متربص ومتربص ، وليل مبهم ، وبهيم ، وشراب منقع ونقيع)[6] .

(١ ، ٢) الانبارى : نزهة الالباء : ١٥٠— ١٥٩

(٣) سورة البقرة /٢٣

(٤) الواحدى البسيط ٩٨/١

(٥) سورة الحجر /٩٩

(٦) الواحدى : البسيط ٤/٤٦٧—٤٦٨

٥ — أبو يوسف يعقوب بن اسحق السكيت (ت : سنة ٢٤٤ هـ)

كان من أكابر أهل اللغة وكان مؤدب ولد جعفر المتوكل على الله ، أخذ عن الفراء ، وابن الأعرابى[7] ، قال عنه ثعلب : (كان يعقوب ابن السكيت متصرفا فى أنواع العلوم)[8]وهو صاب كتاب (اصلاح المنطق)[9] الذى قال عنه المبرد : ما رأيت للبغداديين كتابا خيرا من كتاب يعقوب بن السكيت فى المنطق • فكان ابن السكيت من علماء بغداد وأخذ عن الكوفيين حتى صار اماما فى نحو الكوفة وفى علم القرآن والشعر[10] .

وقد نقل الواحدى فى تفسيره كثيرا عن ابن السكيت فى شرح المفردات وبيان الغريب، وقد أصدر عنه فى بعض المواضع بسنده اليه ، من ذلك — مثلا — عند تفسير قوله تعالى (ان الذين كفروا سواء عليهم ...)[11] الآية قال فى البسيط :

(أقرأنى أحمد بن محمد بن عبد الله ابن يوسف العروضى رحمه الله ، قال : أخبرنى الأزهرى عن المنذرى عن الحرانى عن ابن السكيت قال :

اذا لبس الرجل فوق درعه ثوبا فهو كافر — أى لغة — وقد كفر فوق درعه ، وكل ما غطى شيئا فقد كفره ، ومنه قيل لليل كافر، لأنه ستر بظلمته وغطى ، وأنشد لثعلبة ابن صغير المازنى :

---

(٧) الانبارى نزهة الألباء /١٧٨

(٨ ، ٩ ، ١٠) القفطى : انباه الرواه :

(١١) سورة البقرة /٦

فتذكرا ثقلا رثيدا بعدما[1]

ألقت ذكاء يمينها في كافر

ومنه يسمى الكافر كافرا ، لأنه ستر نعم الله)[2] ونقول الواحدى عن ابن السكيت كثيرة فى أنحاء شتى من تفسير كتاب الله المجيد .

٦ ـ أبو على الجرجانى ، صاحب (نظم القرآن) :

وهو من أهم مصادر الواحدى ، وأبعدها فيه أثرا ـ كمفسر ـ وأقصاها ـ فى الوقت نفسه ـ عن دائرة الضوء فالجرجانى رغم ما يناله كتابه فى النظم من مكانة علمية سامقة ـ كما يشيد بذلك الواحدى فى تفسيره ـ الا أن شخصيته كانت ـ وماتزال ـ مكتنفة بالغموض والابهام حتى ان الأمام الفخر الرازى قد وهم فيها . وقد نبه الى ذلك ابن قاضى شهبة وهو يتناول مصادر تفسير الواحدى فى ترجمته فقال (... وكتاب (نظم القرآن) للجرجانى ، وليس هو عبد القاهر الجرجانى كما غلط فيه الأمام فخر الدين الرازى انما هذا اللفظ تأليف شخص ذكره حمزة السهمى فى تاريخ جرجان)[3] وليت ابن قاضى شهبة ذكر لنا اسم صاحب (النظم) ولكنه اكتفى بما قال لنقطع ـ فى تحديد هذا المصدر ـ شوطا طويلا ، فلم أجد اسم الجرجانى ولا مصنفه (نظم القرآن) فى كشف الظنون ولا ملحقاته ، فلجأت الى التعرف على كل ما يمت الى اسم أبى على الجرجانى أو عنوان مصنفه بصلة ، ثم عثرت فى قائمة مصنفات مكى بن أبى طالب فى ترجمته بانباه الرواه للقفطى على كتاب له عنوانه (انتخاب كتاب الجرجانى فى نظم القرآن واصلاح غلطه)[4] ولم يفصح القفطى عن اسم الجرجانى بعد . ثم وجدت فى (طبقات المفسرين) للداودى ـ فى ثبت المصنفات التى تحمل اسم نظم القرآن ـ كتاب نظم القرآن لأبى على الحسن بن على بن نصر بن منصور الطوسى المتوفى سنة ٣٠٨[5] فترجح لدى أنه أبو على الجرجانى لأن اللقب نسبه الى طوس، وكثير من العلماء ينسبون الى أكثر من بلد حسب المولد والاقامة وغير ذلك فربما ولد أبوعلى فى طوس وأقام أو توفى بجرجان مثلا ـ أو العكس . كذلك ترجمه الذهبى فى التذكرة بقوله : (.. الحافظ أبو على الحسن بن على ابن نصر الخراسانى[6] ومدينة طوس ينسب اليها الامام الغزالى كما ينسب الى قرية (غزالة) وهى تقرب من جرجان وتقع فى اقليم خراسان ، كذلك وجدت الواحدى يعقب على قول الفراء فى معنى (ألم) البقرة قائلا (وهذا القول اختيار الحسن بن محمد بن نصر الجرجانى ...)[7] وكنية الحسن أبو على فلم يقع اختلاف عما ذكره الداودى الا فى اسم أبيه فأورده عليا ، كما تطابق الاسمان فى الجد (نصر) ومن ثم يترجح عندى أن أبا على الجرجانى صاحب النظم هو الحسن ابن على بن نصر الطوسى الجرجانى المتوفى

---

(١) الثقل : بيض النعام المصون والرثيد : المنضدة بعضه فوق بعض أو الى جنب بعض ، وذكاء : اسم للشمس يصف الشاعر رواح الظليم والنعامة الى بيضهما عند غروب الشمس والبيت فى تفسير القرطبى ١٨٣/١

(٢) الواحدى : البسيط ٦٣/١

(٣) ابن قاضي شهبة : طبقات النحاة : ١٣٥/٢ ـ ١٣٦ مخطوط بالمكتبة التيمورية بدار الكتب .

(٤) القفطى : انباه الرواه : ٣١٦/٣

(٥) الداودى : طبقات المفسرين ١٣٨/١

(٦) الذهبى : تذكرة الحفاظ ٧٨٧/٣

(٧) الواحدى : البسيط ٤٦/١

سنة ٣٠٨ هـ وقد أصدر الواحدى عن أبى على الجرجانى فى تفسيره بكثرة هائلة تقتضينا أن نعتبره أحد مصادره الرئيسية فى التفسير بالرأى ، فكثيرا ما ينقل عنه فى بيان الأصل اللغوى للمفردات وكثيرا ما يذكر رأيه فى نظم الآية والمواقع الاعرابية للجمل والمفردات وأثر اختلاف الموقع الاعرابى فى نظم الآية،ثم يلقى بمعطيات أدوات الرأى أضواء كاشفة على التفسير والمعانى المتحصلة من النص القرآنى. وهذه بعض الأمثلة التى تصور جوانب اصدار الواحدى عنه :

من ذلك عند تفسير قوله تعالى (... فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ......)[١] يقول فى البسيط (وقال أبو على الجرجانى : معنى لا جناح عليه : أينما ذكر فى القرآن : لا ميل لأحد عليه بمطالبة شىء من الأشياء . هذا هو الأصل ثم صار معناه : لا حرج عليه ولا ذنب عليه)[٢] .

ونجد الواحدى عند تفسير قوله تعالى (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة ...)[٣] يقول فى البسيط (قد ذكرنا أن هذا استفهام معناه النفى بمعنى : ما تنتظرون ، ويكون هذا خبرا بمعنى النهى ، أى لا ينتظروا بعد تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم الا العذاب) .

ثم يضيف قائلا (وذكرنا عن صاحب النظم وجها آخر فى نظير هذه الآية فى سورة النحل ...)[٤] وننتقل الى سورة النحل فنجده يقول عند تفسير قوله (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى أمر ربك..)[٥] — بعد ذكر طائفة من الآراء — (... قال صاحب النظم : انهم لا ينتظرون ذلك على الحقيقة لانهم كانوا لا يؤمنون بالله كيف ينتظرون أمره ؟؟ ولكن : لما كان امتناعهم من الدخول فى الايمان موجبا عليهم اتيان أمر الله والملائكة بما قدر عليهم من العذاب ، وكانت عاقبة أمرهم الى ذلك : أضيف ذلك اليهم على المجاز والسعة ، وجعل مجىء ذلك انتظارا منهم له ، فكأنه — عز وجل — قال : هل يكون مدة اقامتهم على كفرهم الا مقدار ايقاعى بهم وانزالى العذاب عليهم ؟ وهذا كما قلنا فى لام العاقبة فى مواضع : لما كانت العاقبة تؤدى الى ذلك جعل سببا له وان لم يكن فى الحقيقة كذلك كقوله (فالتقطه آلفرعون ليكون لهم عدوا وحزنا)[٦] الآية ، وقد مر . وهذا الذى ذكره صاحب النظم وجه جيد فى هذه الآية لم يذكره فى نظيريها فى سورة البقرة والأنعام)[٧] ونكتفى بهذين النموذجين لاصدار الواحدى عن أبى على الجرجانى حتى لا يطول بنا الاستشهاد الى الاستطراد . كما نكتفى بمن ذكرنا من مصادر الواحدى من علماء اللغة والنحو كأهم من أصدر عنهم وان كانت مصادره فى هذا الصدد لا تقف عند هذا الحد ، ففى تفاسيره نقول بلغت من الكثرة ما يتعذر بسطه أو حصره عن سائر أئمة اللغة والنحو من أمثال المبرد وابن قتيبة والأزهرى وقطرب وغيرهم .

ثانيا : مصادره فى علم الكلام :

فى مرآة تفسير الواحدى انعكس اتجاهه العقيدى والمذهبى فبرز واحدا من حماة

---

(١) سورة البقرة الآية /١٥٨
(٢) الواحدى : البسيط ٣٤٩/١
(٣) سورة البقرة — الاية ٢١٠.
(٤) الواحدى : البسيط ٤٤٤/١

(٥) سورة النحل الآية : ٣٣
(٦) سورة القصص : ٨
(٧) الواحدى : البسيط ٤٨٨/٤

المذهب السنى الأشعرى ، ذائدا عن حصنه غيورا على شرف كلمته ، فقد تصدى فى تفسيره لأهل الأهواء والبدع فنازل القدرية والمشبهة وغيرهم وغيرهم ودحض آراءهم فى ضوء التنزيل بمقدرة فائقة تؤكد أنه قد أعد فى مرحلة تكوينه العلمى اعدادا عقيديا راسخا على أيدى جهابذة متكلمى عصره من الأشاعرة ، فأصدر عنهم فى شتى المسائل الكلامية فى تفسيره • بيد أنه لم يلتزم التصريح بمصدره الكلامى الا قليلا • فنجده فى الكثير الغالب يقول (قال أصحابنا ••) من ذلك مثلا : عند تفسير قوله تعالى (والهكم اله واحد••)[1] قال فى البسيط : (•• قال أصحابنا : حقيقة الواحد فى وصف البارى سبحانه أنه واحد لا قسيم له فى ذاته ، ولا بعض له فى وجوده)[2] الخ •

ومن ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى (قل الله خالق كل شىء ••)[3] : (قال أصحابنا : معناه أنه خالق كل شىء مما يصح أن يكون مخلوقا ••)[4] ، ومصطلح (أصحابنا) يقع على كل معتنق لمذهب أهل السنة والجماعة • فيشمل معاصرى الواحدى وأسلافهم •

وقد أصدر الواحدى عن هؤلاء السلف مصرحا فى بعض المواضع من تفسيره بمصدره، فنجده يصدر – مثلا – عن الامام الشافعى رضى الله عنه فى الرد على القدرية ، عند تفسير قوله تعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها ••)[5] ، اذ يقول الواحدى فى خاتمة رده لمذهب القدرية – القائلين بأن التكليف بالايمان الذى هو فى وسع العبد يمنع من القضاء عليه بالكفر (•• وهذا – أى ما ذكره الواحدى – معنى قول الشافعى رضى الله عنه : اذا سلمت لنا القدرية العلم خصموا ••)[6] والقضية مطروحة فى موضعها من البحث ان شاء الله • كذلك يصدر الواحدى عن الامام الشافعى عليه الرضوان عند بيان موقفه الكلامى فى تفسير آية (•• قل الله خالق كل شىء) السابقة • فقال : بعد أن قيد (الشىء) بما يصح أن يكون مخلوقا – (وقال الشافعى : فى هذا : انه من العموم الذى لم يدخله الخصوص ••)[7] •

وممن نص الواحدى عليهم من مصادره الكلامية المعاصرة له – الشيخ الامام أبو اسحق الاسفراييني (ت : ٤١٨ هـ) وكان يلقب بركن الدين ، وهو الذى قال السبكى فى ترجمته (•• أحد أئمة الدين كلاما ، وأصولا وفروعا)[8] وقد مرت ترجمته فى الحركة العلمية التى عاصرها الواحدى •

كان هذا الامام من شيوخ الواحدى ومصادره الكلامية ، وقد أصدر عنه فى تفسيره عند تفسير قوله تعالى (ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان)[9] قال فى البسيط : (وذهب بعض أهل المعانى : الى التخصيص بالوقت فقال : ولا ما الايمان قبل البلوغ وهذا المذهب هو اختيار شيخنا أبو اسحق الاسفراييني رحمه الله ، فقد حكى بعض

(١) سورة البقرة / الآية ١٦٣
(٢) الواحدى : البسيط ٣٥٢/١
(٣) سورة الرعد : الآية ١٦
(٤) الواحدى : البسيط ٣٤٤/١
(٥) سورة البقرة : الآية /١٨٦

(٦) الواحدى : تفسير البسيط ٦٠٤/١
(٧) الواحدى : تفسير البسيط ٣٤٤/٤
(٨) السبكى : طبقات الشافعية ٢٥٦/٤
(٩) سورة الشورى : الآية ٥٢ .

أصحابنا الكبار أنه سأل عن هذه الآية فقال : يعنى حين كان فى المهد)[1] .

ونجد الواحدى يصدر فى المسائل الكلامية عن الكثيرين من أئمة السلف من أعيان الصحابة والتابعين وتابعيهم ، فهو يصدر — مثلا — عن الامام ابن سيرين فى الاستدلال على مذهب أهل السنة فى حكم مرتكب الكبيرة وعدم خلوده فى النار ، وجواز قبول توبته — خلافا للمعتزلة — فيقول فى تفسيره (الوسيط) عند تفسير قوله تعالى (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ..)[2] .

ومذهب أهل السنة أن قاتل المؤمن عمدا له توبة ، أخبرنا محمد بن ابراهيم بن محمد ابن يحيى ، قال : أخبرنا أبو عمرو بن نجيد ، قال : أخبرنا أبو مسلم ابراهيم بن عبد الله ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى ، قال : حدثنا هشام بن حسان قال :

كنا عند محمد بن سيرين[3] فقال له رجل من القوم (ومن يقتل مؤمنا متعمدا ..) حتى ختم الآية فقال محمد : أين أنت عن هذه الآية (ان الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)[4] من ثم نجد الواحدى لا يقف بمصادره الكلامية عند علماء الكلام فحسب بل نجده يؤيد مذهبه الكلامى بأقوال السلف وأهل اللغة بل والقراء أيضا ، حتى أننا نجده يصدر فى الاحتجاج لمذهبه فى مسألة الوعد والوعيد — عن الامام أبى عمر بن العلاء فيروى بسنده — فى الوسيط — الى الأصمعى أنه قال : جاء عمرو بن عبيد الى أبى عمرو ابن العلاء ، قال : يا أبا عمرو ، يخلف الله وعده ؟ قال : أفرأيت من أوعده الله على عمل عقابا . أيخلف الله وعيده فيه ؟ فقال أبو عمرو ابن العلاء : من العجمة أوتيت يا أبا عثمان ، ان الوعد غير الوعيد ، ان العرب لا تعد عارا ولا خلفا أن تعد شرا ثم لا تفعله ، ترى ذلك فضلا وكرما وانما الخلف أن تعد خيرا ثم لا تفعله ..)[6] .

مصادره الفقهية

يظهر لنا — من خلال التعايش مع الجانب الفقهى عند الواحدى فى تفاسيره — أن لأبى الحسن قدما راسخة فى هذا العلم وأنه قد ألم بحظ وافر من محصلات أئمة الفقه من معاصريه والسابقين عليه من فقهاء السلف . فظهر فى تفسيره فقيها موسوعيا ، ملما بالمذاهب والآراء ، متبحرا فى مذهبه الشافعى ، وقد تمثل ذلك — بقدر كبير — فى كثرة مصادره ووفرة افادته منها ، وتنوعها فى عرض الآراء والمذاهب بالقدر الذى يستأهل افراد بحث لها ، بيد أننا سنقتصر هنا على عرض أهم تلك المصادر :

أولا : فقهاء الصحابة (رضوان الله عليهم) :

لقد عرض الواحدى فى كثير من المواضع لآراء الصحابة فى مختلف مسائل الفقه فى

---

(١) الواحدى : البسيط ٧/٣١٤
(٢) سورة النساء : الآية /٩٣
(٣) ترجمه الذهبى فى التذكرة (١/٧٧) ولقبه (الامام الربانى) كان مولى انس بن مالك، سمع ابا هريرة والامام بن عباس والامام ابن عمر رضى الله عنهما وطائفة ، وكان — كما يقول الذهبى — فقيها : اماما غزير العلم ، ثبتا ، علامة فى التعبير راسا فى الورع (ت : ١١٠هـ)
(٤) سورة النساء : الآية ١١٦ .
(٥) الواحدى : تفسير الوسيط/ ١٥٨

(٦) الواحدى : الوسيط : ٨٨ — ٨٩

صدارة عرضه للأقوال والمذاهب وعرفنا بأقوال نادرة لهؤلاء الأئمة الذين قلما نعثر لهم على رأى فقهى فى كثير من المصنفات المتخصصة .

فنجده يصدر فى بعض المواضع عن الصحابة على وجه الاجمال ، كما ذكر فى (البسيط) عند تفسير قوله تعالى (... ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام آخر)[1] قال : (وذهب قوم من الصحابة الى أن الافطار فى السفر واجب)[2] .

بينما نجده فى مواضع أخرى يصدر عن بعض فقهاء الصحابة على وجه التعيين ، فيقول مثلا عند تفسير قوله تعالى : (للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر)[3] : (وان حلف على أربعة أشهر : فقد اختلف الصحابة فيه ، فذهب الأكثرون الى أنه غير مؤل ، وذهب ابن عباس الى أنه مؤل ، ويحكى عن على رضى الله عنه أنه كان يقول : الايلاء يحين فى الغضب ، فاذا حلف فى حال الرضا فليس بايلاء ..)[4] ثم يقول فى نفس الموضع بعد ذلك :

(وان طلبت حقها : وقف الحاكم زوجها فاما أن يطلق واما أن يطأ ، فان أباهما جميعا طلق الحاكم عليه ، وله أن يراجعها .

وهذا قول عمر ، وعثمان ، وعلى ، وأبى الدرداء ، وابن عمر ، وعائشة)[5] ونحو هذه الأمثلة كثير مما أصدره الواحدى عن الصحابة :

(١) سورة البقرة /١٨٥
(٢) الواحدى : البسيط ١/٤٠١
(٣) سورة البقرة /٢٢٦
(٤) الواحدى : البسيط ١/٤٨٤
(٥) نفس المرجع السابق .

ثانيا : فقهاء التابعين (رضى الله عنهم) :

وقد ذكرهم الواحدى فى مصادره مع الصحابة فى بعض المواضع من تفسيره لآيات الأحكام بصدد عرض الآراء الفقهية كقوله عند تفسير قوله تعالى : (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين)[6] .

(.. وأن ما بعد الحولين من الرضاع لا يحرم ، وهو قول على وعبد الله ، وابن عباس ، وابن عمر ، وعلقمة والشعبى والزهرى ..)[7] .

ويصدر الواحدى فى مواضع أخرى عن فقهاء التابعين ممن حملوا فقه الصحابة رضوان الله عليهم ، كالفقهاء السبعة وغيرهم . من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : (.. ولا تقربوهن حتى يطهرن)[8] قال فى البسيط (.. فعلى القراءتين جميعا[9] لا يحل وطؤها ما لم تغتسل أو تتيمم عند عدم الماء وهو قول سالم بن عبد الله ، وسليمان بن يسار ، والقاسم بن محمد وابن شهاب والليث ..)[10] .

ونحو هذه الأمثلة كثير مما أصدره الواحدى عن فقهاء التابعين .

(٦) سورة البقرة /٢٣٣
(٧) الواحدى : البسيط ١/٤٩٩
(٨) سورة البقرة /٢٢٢
(٩) المراد قراءتا (يطهرن) بالتخفيف (ويطهرن) بالتشديد .
(١٠) الواحدى : البسيط ١/٤٧٠

ثالثا : أصحاب المذاهب الأربعة وغيرها من المذاهب المشـــهورة :

لم يقتصر الواحدى على اصداره — فى المباحث الفقهيـــة من تفاســيره عن امام مذهبه : الشافعى رضى الله عنه ، بل نجـده يصدر عن أئمة بقية المذاهب الأربعة الكبرى وعن أئمة آخرين من رؤوس المذاهب الفقهية الأخرى والتى لم يتبق لنا عنها الا أثارات من علم • وهذه نماذج تصور اصداره عن هــؤلاء الأئمـــة •

(أ) عن الامام الشافعى رضى الله عنه: نجده يقول فى (البسيط) عند تفســير قوله تعالى (ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبـــلغ الهدى محله)[1] : (قال الشافعى رحمــه الله : وكل ما وجب على المحرم فى ماله من بدنة وجزاء وهدى فلا يجزى الا فى الحــرم لمساكين أهله فى موضعين ••)[2] •

(ب) ويصدر عن فقهاء الشافعية فى كثير من المواضع بقوله (قال أصحابنا) ، من ذلك عند تفسير قوله تعالى (•• فمن تمتع بالعمــرة الى الحج فما استيسر من الهــدى ••)[3] فيقول : (قال أصحابنا : المتمتع الذى يجب عليه الدم : هو الذى يحرم فى أشهر الحج ويحل بعمرة فى أشهر الحج ، ويحرم بالحج من عامة ذلك من مكة ، ولا يرجع الى العقبات ويكون من غير أهل الحرم)[4] •

(ج) ومن النماذج التى تصور غزارة مصادره الفقهية ، واصداره عن أئمة المذاهب الكبرى وفقهاء السلف : ما ذكره عند تفســير قوله تعالى (•• وعلى الوارث مثل ذلك ••)[5] فقال فى البسيط :

(وأراد بالوارث : من كان من عصبته كائنا من كان من الرجال فى قول عمر بن الخطاب وابراهيم والحسن ومجاهد وعطاء وسفيان •

وقال بعضهم : هو وارث الصبى كائنــا من كان من الرجال والنساء • وهـــو قـــول قتادة ، والحسن بن صالح، وابن أبى ليلى ، ومذهب أحمد ، واسحق • قالوا : يجبر على نفقة الصبى كل وارث على قدر ميراثه ، عصبة كانوا وغيرهم •

وعند أبى حنيفة : يجبر على نفقة الصبى من ورثته من كان محرما ومن لم يكن محــرما مثل ابن العم والمولى ، فليسوا ممن عنـــاهم الله بقوله (وعلى الوارث مثل ذلك) عند أبى حنيفة وأصحابه •

وقال آخرون : أراد بالوارث : الصــبى نفسه الذى هو وارث أبيه المتوفى ، عليه أجر رضاعة فى ماله ان كان له مال ، وان لم يكن له مال أجبر أمه على رضاعه ، ولا يجبر على نفقة الصـــبى الا الوالدان •• وهو قـــول مالك والشافعى)[6] •

وهكذا يتمثل ثراء مصادر الواحـــــدى وتنوعها ونقله عن أئمة فقهاء السلف •

---

(١) سورة البقرة /١٩٦
(٢) الواحدى : البسيط ٤٢٠/١.
(٣) سورة البقرة /١٩٦
(٤) الواحدى : البسيط ٤٢٢/١ وانظر تفسيره (الوسيط) ٦٨

(٥) سورة البقرة الآية ٢٣٣
(٦) الواحدى : البسيط ٥٠١/١ — ٥٠٢

رابعا : شيوخه فى الفقه ومعاصروه من الفقهاء:

وقد أصدر الواحدى فى بعض الأحكام عن شيوخه ومعاصريه من أعيان المذهب الشافعى فى عصره فيحكى أقوالهم دون تعيين أسمائهم كما مر بنا أنه يقول فى مواضع من تفسيره (قال أصحابنا) ويعنى بهم فقهاء الشافعية من أسلافه ومعاصريه • ونجده يعين بعض مصادره المعاصرة له فى الفقه من شيوخه الشافعية كقوله فى تفسير قوله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى)[١] (وحكى الشيخ الامام أبو الطيب سهل بن محمد[٢] رحمه الله عن بعضهم أنها صلاة العشاء الآخرة)[٣] كما نجده يصدر عن شيوخه فى رواية أحاديث الأحكام فى المباحث الفقهية ، كقوله عند تفسير قوله تعالى : (•• فتيمموا صعيدا طيبا ••)[٤] فى تفسيره الوسيط (وأما ابتداء التيمم : فهو ما أخبرنا أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمى)[٥] وساق بسنده الحديث فى سبب نزول آية التيمم[٦] وهكذا نقف على أهم مصادر الواحدى فى ميدانى المأثور والرأى فى التفسير لننطلق فى ضوئها للتعرف على منهجه التفسيرى •

---

(١) سورة البقرة /٢٣٨

(٢) هو الامام ابو الطيب سهل بن محمد الصعلوكى الفقيه الأديب مفتى نيسابور وعالمها وقد توفى فى نيسابور موطن الواحدى ٤٠٤ هـ انظر (طبقات الشافعية) للسبكى ٣٩٣/٤

(٣) الواحدى : البسيط ٥١٦/١ وانظر تفسير الوسيط ٨٣

(٤) سورة المائدة /٦

(٥) هو الامام ابو منصور عبد القادر بن طاهر البغدادى الفقيه الاصولى المتكلم صاحب (الفرق بين الفرق) وغيره من المصنفات فى الكلام والفقه واصوله . توفى ٤٢٩ هـ وكان من شيوخ الواحدى ١٤٦ وقد روى عنه الواحدى كثيرا فى تفسيره . وترجمته فى (طبقات الشافعية) للسبكى ١٣٦/٥

(٦) الواحدى : تفسير الوسيط /١٤٦

الباب الثالث

منهج الواحدى فى تفسير القرآن الكريم

تمهيـــــد :

يقوم الجهد الحقيقى للمفسر بمدى توفر : الاصالة المنهجية فى تفسـيره ، ويحتسب فى زمرة المبرزين فى هذا الميدان من تفـرد فى منهجه وتميز عمن سواه من فرســان هــذه الحلبة ، وما أكثر هؤلاء الفرسان ، وما أقل الرواد منهم !

ومن ثم كانت الغاية القصوى التى يرنو اليها الباحثون فى نتاج المفسرين وتقويمــه علميا : هى اختيار المنهج الذى ارتضاه المفسر لنفسه ، والوقوف على مدى ما أحــرزه فى تطبيقه من نجاح •

وقد برقت لى ــ منذ الوهلة الأولى فى دراسة تفسير الواحدى ــ لوامع الاصـــالة ، ونطقت دلالات الريادة ، فقد أودع الواحدى فى مقدمة تفسيره البسيط نظريته فى التفسير وأفرغ فى تحليلها خلاصة تجربته العلميــة الطويلة الحافلة ، وقــد كانت بذور هــذه النظرية كامنة فى قرار ملكته العلمية واستعداده الفطرى التواق الى استكناه أسرار لغـــة القرآن والكشف عن غوامض معانيه • فحدثته نفسه ــ ابان نشأته العلمية واستشرافه لخدمة تفسير كتاب العربية الأكبر ــ أن يصنف تفسيرا يستجلى فيه خفايا مشكلات المعــانى فيسبر أغوارها ويكشف أستارها ويعرب عن مضامينها ، الا أن الأيام مطلته دهرا حتى أذنت الأقدار فتــوقد عزمه ودفعتــه الأسباب الى تحقيق أمنيته العزيزة ومطلبه الأسمى •

وكان من أبرز دواعى تصنيفه فى التفسير مانعاه على الكثرة من المشتغلين بالتفســير فى عصره ، من افتقاد المنهجيـــة فى التصنيف ، فولعوا بالكم وغفلوا عن الكيف ، فتضخمت أسفارهم بالتطويل دون كبير طائل ، وبالمحاكاة والنقل دون شق غبار الأوائل ، حتى مل أهل العلم من أعواز المنهج العلمى فى التصنيف ، فتطلعت العيون والآمال الى المتأهلين لحمـل لواء الريادة ممن توفرت لهم المقــدرة على المؤاخاة بين الاصالة والتجديد ، والجمع بينهما فى سياق فريد ، فكان محط الانظار لخــوض هذا الغمــار : صــاحبنا أبو الحســن على الواحدى •

وكان لها أبو الحسن ، فقد كان يزمــع تطبيق نظريته العلمية فى التفسير فى مصنف أو مصنفات ــ يحقق فيها منهجه القائم على دعائم ثلاث تسير فى اتجاه المأثور جنبا الى جنب وتتمثل فى رؤية النص القرآنى وفهمــه فى ضوء علوم اللغة والنحو والأدب ولعــله من الأجدى ــ هنا ــ نقل هذا النص الثمين الذى يضع فيه الواحدى أصول منهجه فى التفســير والذى يؤكد فيه ــ بحق ــ ريادته فى هــذا الميدان بما لم يسبق اليه ــ فيما أعلم •

يقول الواحدى فى مقدمة تفسيره البسيط:

(•• وبعد : فمنذ دهر تحدثنى نفسى بأن أعلق لمعانى اعراب القرآن وتفسيره فقرأ فى الكشف عن غوامض معانيه ، ونكتا فى الاشارة الى علل القراءات فيه ، فى ورقات يصغر حجمها • ويكثر غنمها ، والأيام تمطلنى بصروفها على اختلاف صنوفها ، الى أن شدد على خناق التقاضى قوم لهم فى العلم سابقة ، وفى التحقيق همم صادقة ، فسمحت قرونتى[1] بعد الاباء ، وذلت صعوبتى بعد النفر والارتثاء وذلك لتوفر دواعى أهل زماننا على الجهل ، وظهور رغباتهم عن العلم الذى فيه شرف الدين والدنيا وعز الآخرة والأولى ، فقل من ترى من المتحلين بعقوده وقلائده ، ومنتحلى غرره وفوائده الا متشبعا كلابس ثوبى زور[2] ، يرى وبروقه غير صادقة ، ويرعد وسماؤه غير وادقة ، اللهم الا نفرا يقل عددهم عند الاحصاء ، وتكثر فضائلهم على الحصر والاستقصاء ، غير انهم الأكثرون وان قلوا ، ومواضع الأنس حيث حلوا ، لأن العلم وان أصبح فى الناس وأظهروا عنه نفرة وبتوا ، فحرمته لا تضاع ، وسوامه لا تراع ، ولن يخبو الشىء فى جنسه من عزمه فى نفسه ، وان قل من يغتامه[3] ، وعز من يطلبه ويستامه •

هؤلاء شكوا الى غلظ حجم المصنفات فى التفسير ، وان الواحدة منها تستغرق العمر كتابتها ، ويستنزف الروح سماعها وقراءتها ، ثم صاحبها بعد أن أنفق العمر على تحصيلها ليس يحظى منها بطائل تعظم عائدته وتعود عليه فائدته •

فقلت : ان طريق معرفة تفسير كلام الله تعالى : تعلم النحو والأدب ، فانهما عمدتاه وأحكام أصولهما ، وتتبع مناهج لغات العرب فيما تحويه من الاستعارات الباهرة ، والأمثال النادرة ، والتشبيهات البديعة ، والملاحن الغريبة ، والدلالة باللفظ اليسير على المعنى الكثير مما لا يوجد مثله فى سائر اللغات)[4] •

ثم مضى الواحدى يدلل على صدق نظريته فى التفسير ، ويطنب فى اثبات أركانها استمدادا من مناهج السلف وأقوالهم فى ضرورة استكمال المفسر لأدواته قبل التصدى للتفسير ويعقب الواحدى على تلك الأمثلة والآراء بقوله :

(وانما ذكرت هذه الأمثلة لنعرف أن من تأمل مصنفات المفسرين ، ووقف على معانى أقوالهم : لم يقف على معانى كلام الله دون الوقوف على أصول اللغة والنحو)[5] ولقد أفاض الواحدى فى ترسيخ أسس منهجه فى التفسير الذى يقوم على ركائزه الثلاث : اللغة والنحو والأدب : اذ لا غنى لمن يتصدى للتفسير عن الاعتماد على تلك الركائز للتوصل الى معرفة ضروب خطاب هذا الكتاب المبين[6] •

---

(١) قال صاحب (لسان العرب : ١٧ / ٢١٧) (ويقال : اسمحت قرونه وقرينه ، وقرونته وقرينته : اى ذلت نفسه وتابعته على الامر) اه

(٢) مقتبسا من الحديث الشريف .(المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور) اخرجه البخارى ومسلم والنسائى كما اخرجه ابو داود فى سننه فى باب الادب ٤١٠/٤ .

(٣) المعنى : قل من يكثر من التردد اليه، قال صاحب اللسان (واغتم فلان الزيارة : اكثرها حتى يمل) ٣٢٩/١٥

---

(٤) الواحدى : البسيط ٢/١
(٥) الواحدى البسيط : ٦/١
(٦) الواحدى : البسيط ٣/١

بل ان الواحدى يرى أن هذه العلوم الثلاثة لا مندوح عنها للتبحر فى أى علم من العلوم ، اذ يقول :

(وقل من تقدم فى علم من العلوم الا بمعرفة الأدب ، ومقاييس العربية والنحو)[1] وسوف نبسط ما ساقه الواحدى من أدلة ونماذج تجسد ضرورة هذه الأصول الثلاثة للمفسر ، وذلك فى موضعها من فصول المنهج ، وسنستصحب أصول تلك النظرية فى دراسة تفاصيل هذا المنهج لنرى الى أى مدى طبق الواحدى نظريته — متكاملة — فى تفسيره • وكيف أفاد منها فى دراسة النص القرآنى ؟ وما هى الثمار التى نتجت عن تطبيقها ؟ وهل تأهل الواحدى بهذا المنهج للوقوف فى صف الرواد الذين أضافوا الى رصيد الدراسات القرآنية جديدا ؟ ؟ ذلك ما نبغى التعرف عليه والتوصل اليه •

وكان لابد لنا من هذه الوقفة بين يدى المنهج لنمهد أرض البحث بهذه الرؤية الأفقية الشاملة التى نتساءل من خلالها : الى أين نسير وفى أى طريق نسير ؟ ؟

وسنطرح التساؤلات التى يفرضها البحث من خلال تلك النظرة الأفقية الشاملة ! ! هل فرضت هذه النظرية على الواحدى أن يبحث — خارج اطار المأثور — عن أرض جديدة للبحث القرآنى ؟ أم ظل مع التزامه بمنهجه فى تعايش مع التفسير بالأثر ؟ ؟ وهل حقق فى اطار هذا المنهج جديدا يثبت له وجودا مستقلا أم ظل به راسفا فى قيود التقليد والمحاكاة لا سلافه أو معاصريه ؟

ثم اذا حقت له الأصالة والريادة بمنهجه التفسيرى فما هى أبعاد تلك الاصالة وما هو الأثر الذى تركه فى ميدان التفسير ؟ وما هى كلمة التاريخ فيه وفى نتاجه ؟

ذلك وغيره ما نبغى التعرف عليه والتوصل اليه فيما يلى من فصول :

---

(١) الواحدى : البسيط ١/٤

الفصل الأول
موقف الواحدى منه التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى فى تفسيره

من أهم الأسس التى ينبنى عليها سبر منهج المفسر وتقويمه : التعرف على موقفه من كل من التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى ، والوقوف على مدى التزامه فى تفسيره بالأخذ بأحدهما أو بهما معا . ولا يتسنى ذلك — بالقطع دون الوقوف — أولا — على التحديد العلمى لكل من التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى ، ثم التعرف — ثانيا — على موقف العلماء من التفسير بالرأى والأخذ به كمنطلق لدراسة موقف المفسر منه ومن ثم يتطرق بنا البحث ويتشعب الى عدة جوانب تفصيلية نطرقها فى المباحث الآتية :

المبحث الأول

حقيقة التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى

يطلق التفسير بالمأثور على كشف معانى التنزيل وبيان المراد من نصوص القرآن الكريم بما نقل عن الله تعالى — فى القرآن نفسه — أو عن النبى صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة أو التابعين رضى الله عنهم أجمعين[1] .

وقد مر بنا الحديث عن هذه المصادر الأربعة للتفسير بالمأثور ، وآراء العلماء فى الأخذ بها ، واصدار الواحدى منها فى تفسيره فى الحديث عن مصادره .

وأما التفسير بالرأى : فالمراد به — عند العلماء — تفسير القرآن الكريم بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لعلوم اللغة ووجوه دلالتها ووقوفه على الأدوات التى يحتاجها المفسر من العلوم النقلية والعقلية كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغير ذلك[2] ومن ثم نجد المفسر بالرأى لا يستغنى بحال عن الجانب النقلى بل يضيف اليه من نتاج الرأى والاجتهاد وما يزداد به اقترابا من كشف حقائق التنزيل وتبيان وجوه الأقاويل بيد أن هذا النوع من التفسير لاعتماده على النظر والاجتهاد — وهما مجال احتمال الخطأ والصواب قد استتبع اختلاف أنظار العلماء وآرائهم فى جوازه والأخذ به ، وهو ما سنعرض له فيما يلى :

---

(١) الزركشى :البرهان٢/١٤٩ ،السيوطى الاتقان ٤/١٦٨ ، د. محمد ابو شهبه الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسيرص٦٤

(٢) الشيخ محمد ابو زهرة : المعجزة الكبرى ص ٥٩٦

المبحث الثانى

التفسير بالرأى بين الجواز والمنع

اختلف العلماء فى ذلك وانشعبوا الى فريقين :

الفريق الأول : ويرى ـ فى تشدد أن التفسير بالرأى غير جائز وأن المفسر للقرآن برأيه آثم ومتوعد بالنار . واستدل على ذلك بما يلى :

(أ) احتج من القرآن الكريم بقوله تعالى (.. وان تقولوا على الله ما لا تعلمون)[1] حيث أنه معطوف على المحرمات المذكورة قبله فى الآية الكريمة (قل انما حرم ربى الفواحش) وقد صاغ المانعون دليلا منطقيا من هذا النص القرآنى يقطع بتحريم التفسير بالرأى ، فقالوا : أن التفسير بالرأى قول على الله بغير علم ، والقول على الله بغير علم منهى عنه .

فالتفسير بالرأى منهى عنه .

دليل الصغرى : أن المفسر بالرأى غير متيقن من أنه اصاب مراد الله تعالى من كلامه ، وقصارى أمره أن يقول بظنه ، والقول بالظن قول على الله بغير علم .

ودليل الكبرى : قوله تعالى (... وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) المعطوف على ما قبله من المحرمات .

كما استدل هذا الفريق على المنع بقوله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ...)[2] ، حيث اضاف سبحانه تبيين القرآن الكريم الى رسوله صلى الله عليه وسلم ومنه يعلم أنه ليس لغيره ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ شىء من التبيان لمعانى القرآن[3] .

(ب) كما استدل المانعون من التفسير بالرأى على وجهتهم من السنة النبوية بقوله صلى الله عليه وسلم (من تكلم فى القرآن برأيه فأصاب فقد اخطأ)[4] .

وبقوله صلى الله عليه وسلم (من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ، ومن قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار)[5].

(ج) واستدل المانعون ايضا بما ورد عن الصحابة والتابعين من احجامهم عن الكلام فى تفسير القرآن وتحرجهم من الخوض فيه بآرائهم .

من ذلك ما رواه ابن أبى مليكة فقال : سئل أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ عن تفسير حرف من القرآن فقال (أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى ، وأين اذهب وكيف اصنع اذا قلت فى حرف من كتاب الله بغير ما أراد الله ؟) وفى رواية ابن كثير عن أبى

---

(١) سورة الاعراف /٣٣

(٢) سورة النحل /٤٤

(٣) السيوطى : الاتقان ١٨٢/٤

(٤) اخرجه ابو داود والترمذى والنسائى ولفظ أبى داود (من قال فى كتاب الله عز وجل برأيه فأصاب فقد اخطأ) ٤٣٦/٣ ط السعادة سنة ١٣٦٩ بتحقيق محمد يحيى الدين عبد الحميد واخرجه الترمذى وقال : حديث غريب ٢٦٨/٤ط السلفى بالمدينة المنورة .

(٥) اخرجه الترمذى عن الامام ابن عباس وحسنه ٢٦٧/٤ ط السلفى بالمدينة المنورة .

معمر عن الصديق (... اذا قلت فى كتاب الله بما لا أعلم)[1] .

كما روى عن سعيد بن المسيب رضى الله عنه أنه كان اذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال : انا لا نقول فى القرآن شيئا)[2] .

كما روى الشعبى عن مسروق انه قال (اتقوا التفسير ، فانما هو الرواية عن الله عز وجل)[3] .

وما روى عن الشعبى من أنه كان يقول (ثلاث لا أقول فيهن حتى أموت : القرآن ، والروح والرؤى)[4] ونحو ذلك روايات عديدة عن السلف الصالح فى التحرج من التفسير بالرأى هذه أدلة المانعين من التفسير بالرأى والاخذ به .

وفى الجانب المقابل لذلك نجد الفريق الآخر الذى يرى أن التفسير بالرأى جائز متى استكمل شروطه ومقوماته ، ولا يمنع من جوازه ولا من الاخذ به ما ذكره المانعون من أدلة وقد ناقش هذا الفريق أدلة المانعين السالفة وفندها بما يلى :

(أ) أن التفسير بالرأى ليس قولا على الله بغير علم لانه — مع التسليم يكونه ظنا — فهو نوع من العلم ، لأن الظن ادراك للطرف الراجح . ومن ثم تبطل المقدمة الصغرى . وحتى على فرض تسليمها فاننا نمنع الكبرى — وهى : أن القول على الله بغير علم منهى عنه — بأن ذلك منوط بامكان الوصول الى العلم اليقينى بوجود نص شرعى قاطع . أما اذا

(١) انظر تفسير ابن كثير ١٦/١ ط الشعب وأنظر : الاسرائيليات والموضوعات للدكتور ابى شهبة ص ١١١ .

(٢ ، ٣) انظر تفسير ابن كثير ١٦/١ ط الشعب

(٤) الزرقانى : مناهل العرفان ٥٢٥/١

تعذر ذلك فلا ريب فى مشروعية الاكتفاء بالظن استنادا الى قوله تعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها)[5] والى قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه الى اليمن : فبم تحكم ؟ قال بكتاب الله ، قال : فان لم تجد ؟ قال بسنة رسول الله ، قال : فان لم تجد ؟ قال اجتهد رأيى . فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال (الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله)[6] .

كما يرد على الاستدلال بقوله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم)[7] على المنع من التفسير بالرأى بحجة اضافةالبيان اليه صلى الله عليهوسلم مما يفيد منع غيره من بيان معنى القرآن ، فيقول أنصار التفسير بالرأى ومجيزوه :

حقا ان النبى صلى الله عليه وسلم هو خير من يبين معانى التنزيل ، ولا جدال فى وجوب الالتزام بما بينه صلى الله عليه وسلم فى القرآن والاكتفاء بهديه عما سواه ، ولكنه صلى الله عليه وسلم قد لحق بربه ولم يصل من بيانه وتفسيره للتنزيل الى الخلق الا القليل[8] فماذا عن تفسير أكثر التنزيل ؟

(٥) سورة البقرة /٢٨٦ .

(٦) اخرجه ابو داود فى (السنن) ٤١٢/٣ واخرجه الترمذى وقال: هذا حديث لا نعرفه الا من هذا الوجه وليس اسناده عندى بمتصل / ا هـ

(٧) سورة النحل ٢٨٦

(٨) يرجح الباحث ان النبى صلى الله عليه وسلم قد بين لأصحابه كل معانى التنزيل قبل ان يلحق بالرفيق الاعلى وانما لم يصل الينا الاالقليل منه بدليل ان مجاهدا كان يسأل الامامابن عباس ويجيبه عن كل آية . لعلمه بمعانى التنزيل وكذلك لا يعقل ان يجهل صحابى شيئا من معانى القرآن ثم لا يسأل عنه النبى صلى الله عليه وسلم .

لا مناص اذا من الاستدلال بما فسره على مالم نقف له على تفسيره ، وهنا يدخل الرأى بادواته ووسائله ، وهو ما أشارت اليه خاتمة الآية الكريمة : (ولعلهم يتفكرون) من ثم حمل سند الاعتراض معه دليل الجواز .

(ب) كذلك رد المجيزون للتفسير بالرأى على مانعيه استدلالهم بالحديث الشريف : (من تكلم فى القرآن برأيه فأصاب فقد اخطأ): فقال البيهقى : (هذا ان صح فانما أراد — والله أعلم — الرأى الذى يغلب من غير دليل قام عليه ، واما الذى يسنده برهان فالقول به جائز[1] .

وقد نقل الامام السيوطى تعليقا آخر على هذا الحديث للبيهقى فى (المدخل) يقول فيه : (فى هذا الحديث نظر ، وان صح فانما اراد به — والله أعلم — فقد أخطأ الطريق ، فسبيله : ان يرجع فى تفسيره ألفاظه الى أهل اللغة ، وفى معرفة ناسخه ومنسوخه ، وسبب نزوله ، وما يحتاج فيه الى بيانه الى أخبار الصحابة الذين شاهدوا تنزيله ، وأدوا الينا من السنن ما يكون بيانا لكتاب الله تعالى .. ثم قال بعد ذلك : (وقد يكون المراد به من قال فيه برأيه من غير معرفة منه بأصول العلم وفروعه ، فيكون موافقته للصواب ... ان وافقه — من حيث لا يعرفه : غير محمودة)[2]

ولابن الانبارى تعليق آخر على هذا الحديث الشريف ، يقول فيه (حمله بعض أهل العلم على أن الرأى معنى به الهوى ، فمن قال فى القرآن قولا يوافق هواه ، فلم يأخذه على أئمة السلف واصاب : فقد اخطأ ، لحكمه على القرآن بمالا يعرف أصله . ولا يقف على مذاهب أهل الاثر والنقل فيه)[3] .

كذلك رد ابن الانبارى على استدلال المانعين من التفسير بالرأى استنادا الى الحديث الثانى وهو قوله صلى الله عليه وسلم (من قال فى القرآن بغير علم — وفى رواية : برأيه — فليتبوأ مقعده من النار) فقال فى هذا الحديث الشريف : (.. له معنيان : احدهما من قال فى مشكل القرآن بما لا يعرف من مذهب الاوائل من الصحابة والتابعين فهو متعرض لسخط الله تعالى .

والآخر : وهو الاصح — من قال فى القرآن قولا يعلم أن الحق غيره فليتبوأ مقعده من النار)[4] .

وقد اطنب الامامان الزركشى والسيوطى — رضوان الله عليهما — فى ايراد اقوال العلماء فى رد استدلال المانعين من التفسير بالرأى بالحديثين الشريفين المذكورين حتى ذكر صاحب (الاتقان) عن ابن النقيب محصلة تلك الآراء فى خمس وجوه :

أحدها : التفسير بدون تحصيل العلوم التى يحتاجها المفسر .

وثانيها : الخوض فى تفسير المتشابه الذى استأثر الله تعالى بعلمه .

وثالثها : التفسير المقرر للمذهب الفاسد ، بأن يحمل نصوص التنزيل — تعسفا — على مقتضى مذهبه .

---

(١) السيوطى : الاتقان ١٨٣/٤
(٢) السيوطى : الاتقان ١٨٤/٤
(٣) السيوطى : الاتقان ١٨٣/٤ والنص فى البرهان للزركشى ١٦٢/٢ .
(٤) السيوطى : ١٨٥/٤

ورابعها : التفسير الذى يقطع بأن مراد الله من النص هو كذا من غير دليل •

وخامسها : التفسير بالاستحسان والهوى[1] •

يتبقى توجيه موقف السلف المتحرجين من التفسير بالرأى — وهذا الموقف وثيق الصلة بما ورد من شواهد توهم المنع وتتوعد من أدلى فى القرآن بمحض رأيه ، حيث أن هذا الفريق من السلف قد حملته بعض الدوافع على الاحجام عن القول بالرأى فى التفسير ، فكان من أبرز تلك الدوافع التى استنتجها العلماء ما يلى :

الدافع الأول هو الورع والخشية من ألا يصيبوا برأيهم عين اليقين فيخطئوا ثم يقتدى بهم فى ذلك والثانى أنهم خشوا أن يسنوا لمن بعدهم ممن لم يستكمل أدوات الرأى طريق التأويل والتفسير فيقتدى بهم فى الخوض — دون التأهل له — فيكون هذا الصحابى أو التابعى حجة لمن بعده فى التأويل بالرأى[2] وثمة دافع آخر لم أجده فيما وقفت عليه من أقوال العلماء تعليلا لهذا الموقف وقد سبح اليه خاطرى دون كد ، لانه مستوحى من تصور الجو العلمى فى عصر الصحابة والتابعين ويتمثل هذا الدافع فى أن الصحابى أو التابعى الذى توقف عن التفسير برأيه قد توافرت له المعرفة بالقرآن وتفسيره من مشكاة النبوة — اما مباشرة أو بواسطة صحابى — وقد اغتنى بتلك المعرفة عن اعمال الرأى المحتمل للصواب والخطأ • لاسيما وان السليقة مواتية للصحابة وتابعيهم فى فهم النص القرآنى بدون تعمل أو اعواز الى أداة لصقل الملكة وتثقيفها •

وهل الرأى الا اجتهاد ونظر ؟؟ والقاعدة التى تواضع عليها العلماء أنه (لا اجتهاد مع النص) والبيان النبوى — دون شك هو النص الذى سد عوز هؤلاء الى الاجتهاد من ثم يبدو الموقف بالنسبة لهؤلاء المتنعين عن الادلاء بالرأى فى القران منطقيا • ولا اخال اقوى الموانع الا ذاك •

وهذا التعليل يظاهره التأمل فى نصوص هؤلاء السلف المتحرجين وفى ملابساتها،فالامام الصديق رضى الله عنه يقول (أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى اذا قلت فى القرآن برأيى أو بمالا أعلم ؟؟) فقد انصب الاستفهام الانكارى على القول فى القرآن بمحض الرأى أو بغير علم • ولكنه لم يدخل فى ذلك التفسير بالمأثور بدليل أنه له أقوالا عديدة فى التفسير سبقت نماذج منها فى هذا البحث •

كذلك الأمر بالنسبة للأمام سعيد ابن المسيب : فانه بجانب الرواية التى ساقها عنه الرواة واثبتها ابن كثير فى تفسيره وهى قوله (اننا لا نقول فى القرآن شيئا) نجد ابن كثير يثبت عقبها مباشرة رواية أخرى يقول فيها (••• عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يتكلم الا فى المعلوم من القرآن)[3] فالامر اذا فيه اطلاق وتقييد ، والمحور الاساسى هو حرص هؤلاء السلف الاكابر على منهج الاتباع والحذر من الابتداع •

---

(١) السيوطى : الاتقان ١٩١/٤

(٢) الزرقانى : مناهل العرفان ٥٢٥/١ ، وانظر الاتقان ١٨٣/٤

(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم١٧/١ ط الشعب .

بيد أن هذا الموقف لا يمكن حمله على المتأخرين الذين لم يشاهدوا الوحى ولم يشارفو البيان المحمدى ولم يتأهلوا لفهم مرامى لغة القرآن بمحض السليقة • هنا تنادى الضرورة بالوسيلة والاجتهاد فى ضوء العلوم اللازمة لمباشرة التفسير شريطة الالتزام بالضوابط التى اجمع عليها العلماء من سلامة الاعتقاد والتجرد من الاهواء والبدع الى غير ذلك من الضوابط •

ثم كان لهذا الفريق المجيز للتفسير بالرأى — بعد رد استدلال المانعين له وتفنيد شبههم — أدلة أخرى عديدة تثبت — بل وتحث على التفسير بالرأى بشروطه وضوابطه •

من تلك الادلة ما يلى :

أولا : اننا متعبدون بالنظر فى القرآن الكريم ، وباستنباط احكامه بمقتضى قول الله عز وجل (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها)[1] وقوله تبارك وتعالى (ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم •••)[2] فالقرآن نفسه يحثنا على النظر فيه وتدبر معانيه واستكناه دقائقه وخوافيه مما لا حرج على العقل من تقحم أسواره مع التحفظ تجاه ما استأثر الله تعالى بعلمه وأسراره[3] •

ثانيا : ان الرسول صلى الله عليه وسلم دعا للامام ابن عباس رضى الله عنه فقال (اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل)، فلو كان التأويل مقصورا على مجرد تلقى المأثور ونقله لما كان هناك فائدة لتخصيص حبر الامة بذلك• واذا فالتخصيص دليل على أن التأويل غير النقل ، وليس الا الاجتهاد والنظر والرأى •

ثالثا : لو لم يكن التفسير بالرأى جائزا لتعطل كثير من الاحكام وامتنع فهم أكثر التنزيل ، لانه لم يصلنا عن النبى صلى الله عليه وسلم فى التفسير — الا القليل وبقى أكثر القرآن الكريم بما يشتمل عليه من الاحكام متوقفا على أعمال النظر والتدبر من المتأهلين لذلك • من ثم تقضى الضرورة بالاجتهاد فى فهم نصوص القرآن وفقه احكامه ، والمجتهد حتى وان اخطأ — فهو مأجور متى بذل وسعه ، مستكملا أداته وأهليته للبحث والتأويل •

وأخيرا : اجدنى بعد التعرف على وجهتى المانعين للتفسير بالرأى والمجيزين له متفقا مع الشيخ الزرقانى — رحمه الله —[4] فى أن الخلاف يمكن أن يجعل لفظيا بأن يحمل كلام المجيزين على التفسير بالرأى المستوفى لشروطه ومقوماته التى اجمع عليها العلماء[5] ، وحينئذ يكون موافقا لكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاصول اللغة وقوانينها •

وبنفس المنظار يحمل كلام المانعين للرأى فى التفسير على ما افتقدت فيه ضوابط التفسير

---

(١) سورة (محمد) صلى الله عليه وسلم الآية / ٢٤

(٢) سورة النساء /٨٣

(٣) فحوى هذا الدليل نقله السيوطى عن الماوردى (فى الاتقان ١٨٣/٤) ثم اضاف اليه صاحبا (مناهل العرفان : ٥٢٦/١) و (التفسير والمفسرون ٢٦٢/١) •

(٤) الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى : مناهل العرفان ٥٢٦/١

(٥) يرجع الى تفصيل تلك الشروط فى كتب علوم القرآن الكريم . انظر (البرهان) للزركشى النوع الحادى والاربعون ١٤٦/٢ ، وانظر (الاتقان) للسيوطى : النوع الثامن والسبعون ١٧٤/٤ •

بالرأى وشروطه • والتشدد فى هذا الميدان له مبرراته ، فقد ولج هذا الباب — من جراء التساهل — دخلاء على حرم كتاب الله تعالى حرفوا الكلم عن مواضعه ، وضلوا واضلوا تحت شعار الاجتهاد والتجديد •

اذا فانه — فى ضوء ما تقدم — يتضح لنا ان لا حرج على التفسير بالرأى المستكمل لشروطه وضوابطه•بل أننا نستطيع أن نتجاوز مرحلة التوفيق بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى الى تقرير حقيقة موضوعية : وهى أن كلا النوعين مرتبط بالآخر ارتباطا وثيقا تدرج بعد عصر الصحابة حتى دخل بعد عصر التابعين فى مرحلة التداخل والامتزاج حين أعوز فهم المنقول واستيعابه الى وفرة مقومات الرأى وادواته ، وبرز تفسير الدراية العقلى الى جانب تفسير الرواية النقلى والتحم به حتى فى أمهات كتب التفسير بالمأثور كتفسير الطبرى وغيره • فقام التفسير بالرأى بالدور المساعد على فهم المأثور الى جانب قيامه بدور استقلالى فيما لم يرد فيه الاثر •

يقول الزركشى فى (البرهان) : (واعلم أن القرآن قسمان : احدهما ورد تفسيره بالنقل عمن يعتبر تفسيره ، وقسم لم يرد • والأول ثلاثة أنواع :

أما أن يرد عن النبى صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة أو عن رؤوس التابعين ••• الثانى : ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين — وهو قليل — وطريق التوصل الى فهمه : النظر الى مفردات الالفاظ من لغة العرب ، ومد لولاتها ، واستعمالها بحسب السياق •••)[1] •

ونجد ابن خلدون أيضا يعرض للصلة الوثيقة بين الرواية والدراية فى التفسير،فيقول فى مقدمته : (وهذا الصنف من التفسير — أى التفسير بالرأى — قل ان ينفرد عن الاول ، اذ الاول هو المقصود بالذات ، وانما جاء هذا بعد ان صار اللسان وعلومه صناعة • نعم قد يكون فى بعض التفاسير غالبا •••)[2] •

وهكذا يتآخى الاثر والرأى فى تفسير كتاب الله تعالى ليحفل البحث القرآنى بضروب من الثقافات والعلوم والمناهج التى تستهوى مختلف الافئدة والعقول ليحلوا على مأدبة الله •

ثم نأتى — بعد الفصل فى قضية الاثر والرأى فى التفسير — الى موقف أبى الحسن الواحدى تجاه كل من التفسير بالمأثوروالتفسير بالرأى فى تفسيره :

فنجد هذا الموقف يتشعب الى عدة جوانب نعرض لها فى المباحث التالية :

المبحث الثالث : الجمع بين المأثور والرأى فى تفسير الواحدى

التزم الواحدى فى تفسيره الجمع بين المأثور والرأى ، وأكد ضرورة الاعتماد عليهما معا والافادة منهما فى فهم معانى التنزيل ، واستنباط وجوه التأويل •

وقد بين فى مقدمات تفاسيره الثلاثة (البسيط ، والوسيط ، والوجيز) التزامه بالمأثور والبدء به عند تفسير الآية ثم اردافه بالرأى ، فقال فى مقدمة البسيط :

---

(١) الزركشى : البرهان : ١٧٢/٢

(٢) ابن خلدون : المقدمة /ص٤٠٥

(وابتدىء فى كل آية عند التفسير بقول ابن عباس ما وجدت له نصا ، ثم بقول من هو قدوة فى هذا العلم من الصحابة واتباعهم مع التوفيق بين قولهم ولفظ الآية)[1] .

ويقول فى الوسيط (ومن شرف هذا العلم — أى التفسير — وعزته فى نفسه : أنه لايجوز القول فيه بالعقل والتدبر ، والرأى والتفكر دون السماع والاخذ عمن شاهدوا التنزيل بالرواية والنقل ، فالنبى صلى الله عليه وسلم فمن بعده من الصحابة والتابعين قد شددوا فى هذا الامر حتى جعلوا المصيب فيه برأيه مخطئا ...)[2] ثم ساق بسنده الحديثين الواردين فيمن فسر القرآن برأيه أو بغير علم[3] ويقول فى مقدمة (الوجيز) وهذا كتاب أنا فيه نازل الى درجة أهل زماننا تعجيلا لنفعتهم وتحصيلا للمثوبة فى افادتهم بما تمنوه طويلا فلم يغن عنهم أحد فتيلا وتارك ماسوى قول واحد معتمد لابن عباس رحمة الله عليه أو من هو فى مثل درجته ...)[4] ونقف من جملة محصلات النصوص الثلاثة ان الواحدى ملتزم فى منهجه بالمأثور ومعتمد عليه اساسا ومقدم له على الرأى باعتبار أن له الاصالة فى التفسير والرأى تاليه موجه لنصوصه وموفق بينها .

وقد وفى الواحدى بما عقده على نفسه والتزمه لمنهجه التفسيرى ، اذ نجد تفاسيره قد ضمت المأثور والرأى فى عقد نضيد متسق . فتضمنت ثروة حافلة بالنقول المأثورة والروايات والاحاديث واقوال السلف من الصحابة والتابعين . والى جانب ذلك ومعه تضمنت أيضا آراء المفسرين وأهل التأويل من علماء اللغة والنحو والبلاغة وغيرهم فتضافر الاثر والرأى ، وانتظمت الدراية الى جانب الرواية فى بيان معانى التنزيل وهذه بعض الأمثلة والشواهد التى يتمثل وفيها جمعه بين المأثور والرأى فى تفسيره .

(أ) عند تفسير قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم[5] يقول الواحدى فى البسيط :

« واما تفسير الصراط المستقيم : فروى على وابن مسعود — رضى الله عنهما — عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الصراط المستقيم كتاب الله عز وجل » وقال جابر ومقاتل : هو الاسلام . وعن أبى العالية الرياحى قال هو طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه من بعده أبى بكر وعمر .
وقال بكر المزنى[6] : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فسألته عن الصراط المستقيم فقال : سنتى وسنة الخلفاء الراشدين .

قال أهل المعانى : انما وصف الدين والحق بأنه الصراط المستقيم : لانه يؤدى الى الغرض المطلوب من رضا الله تعالى ، والخلود فى النعيم المقيم ، كما أن الصراط المستقيم يؤديك الى مقصودك)[7] .

---

(1) الواحدى : البسيط ٩/١
(2) الواحدى : الوسيط ص ٣
(3) الحديثان الشريفان هما من قال فى القرآن برايه فأصاب فقد اخطأ) و (من قال فى القرآن بغير علم فليتبوا مقعده من النار) وقد مر تخريجهما والحديث عليهما .
(4) الواحدى : الموجز فى تفسير القرآن العزيز ٢/١ بهامش التفسير المنير للشيخ محمد نووى الجاوى ط : عيسى الحلبى .

(5) سورة الفاتحة /٦
(6) هو ابو عبد الله بكر بن عبد الله المزنى البصرى الفقيه . روى عن المغيرة بن شعبة وجماعة وتوفى سنة ١٠٦ هـ (انظر ترجمته بشذرات الذهب ١٣٥/١)
(7) الواحدى : البسيط ٣٤/١

فى هذا النص التفسيرى : نجد الواحدى يجمع فى تفسيره بالمأثور بين الحديث الشريف وتفسير سيدنا جابر — من الصحابة — وأبى العالية والمزنى — من التابعين — ثم جمع الى اقوال هؤلاء رأى أهل المعانى مبينا به سر التعبير عن الدين أو الحق بالصراط المستقيم .

(ب) كما يتجلى جمعه بين المأثور والرأى أيضا فى هذا النموذج التفسيرى ، حيث يقول عند تفسيره لقوله تعالى (الذين يؤمنون بالغيب ...)[١] .

(... والمراد بالغيب المذكور هنا : ما غاب علمه عن الحس والضرورة مما يدرك بالدليل ، ولذلك استوجبوا حسن الثناء بالايمان بالغيب ، لانه تصديق بما اخبروا به مما لا يعلم حسا وضرورة ويكون العلم به مكتسبا فيدخل فى جملة هذا : ما أخبر عنه الرسول عليه السلام من أمر الجنة والنار : والوعد وغير ذلك . قال أبو العالية : فى قوله (يؤمنون بالغيب) : قال : يؤمنون بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، وجنته وناره ، ولقائه وبالبعث بعد الموت . وكأن هذا اجمال ما فصل فى قوله (كل آمن بالله ..)[٢] .

وقال عطاء : من آمن بالله آمن بالغيب.

وكذلك روى أبو العباس[٣] عن ابن الاعرابى فى قوله (يؤمنون بالغيب ...) قال : يؤمنون بالله . قال : والغيب أيضا : ما غاب عن العيون وان كان محصلا فى القلوب

قال أبو اسحق[٤] : وكل ما غاب عنهم مما اخبرهم به النبى صلى الله عليه وسلم فهو غيب . هذا طريق المفسرين .

ولاهل المعانى فيه طريق آخر : وهو أن معنى قوله (يؤمنون بالغيب ...) أى يؤمنون اذا غابوا عنكم ولم يكونوا كالمنافقين الذين يقولون اذا خلوا الى شياطينهم (انا معكم انما نحن مستهزئون) ويقوى هذا الوجه : قوله (الذين يخشون ربهم بالغيب)[٥] .

وقوله (من خشى الرحمن بالغيب)[٦] والجار والمجرور ههنا : فى موضع الحال ، أى يؤمنون غائبين عن مراءاة الناس ، لا يردون بايمانهم تصنعا لاحد) أ هـ

فى هذا النص الذى يبين به الواحدى المراد بالغيب فى الآية الكريمة ، نجده — أولا — يدلى بالمراد بالغيب — ههنا — فى ضوء معطيات اللغة[٧] ثم استعرض — ثانيا — ما روى عن تفسير مأثور عن أبى العالية ، وعطاء من التابعين .

ومن خلال عرضه للتفسير المأثور عنهما نجده يوضح استقاء تفسيرهما من البيان القرآنى نفسه ؟ فيذكر أن ما وقع عليه الايمان

---

(١) سورة البقرة /٣
(٢) سورة البقرة /٢٨٠.
(٣) يريد ابا العباس ثعلب : احمد بن يحيى (ت : ٢٩١ هـ) وقد طبقت ترجمته فى مصادر الواحدى .

(٤) يقصد به الزجاج ، اذ انه ما يذكره بكنيته كما سبق فى الحديث عن مصادره .
(٥) سورة الانبياء /٤٩
(٦) سورة (ق) /٣٣ .
(٧) تناول الواحدى المدلول اللغوى للغيب فى الاية الكريمة قبل النص الذى اوردناه مباشرة مستعرضا اقوال ائمة اللغة بشواهدها المأثورة والشعرية ولكننا تركنا ما يتعلق باللغة وبيان الغريب لموضعه من البحث واقتصرنا على مايصور جمعه بين المأثور والرأى من اقوال فى التفسير والتأويل .

ههنا : مجمل قد فصله التنزيل فى موضع آخر فى نهاية نفس السورة •

ثم نجده — ثالثا — يعرض تفسير أهل اللغة — ابن الاعرابى وأبى اسحق — ويتضح اتفاقهما مع المفسرين بالمأثور ، ومن ثم نظمهما فى سلكهم فقال عقب ايراد قولهما (هذا طريق المفسرين) •

ثم يورد الواحدى — رابعا — طريقا آخر لاهل المعانى فى تفسير (يؤمنــون بالغيب) ويبين أن مستند تفسير أهل المعانى : هــو الرأى ، حيث ترتب هذا التفسير على جعل الجار والمجرور فى موضع الحال فكانت وجهتهم: النظر الى الغيب بمعنى الغيبة والخفاء لا بمعنى الغائب كما هى وجهة الفريق الاول حيث جعل الجار والمجرور صلة لا حالا[١] •

ثم نجد الواحدى — خامسا — لا يقف من تفسير أهل المعانى موقفا سلبيا ، وانمــا يوجهه ويقويه بالنظــير القــرآنى (الذين يخشون ربهم بالغيب) و (من خشى الرحمن بالغيب) حيث وضع الجار والمجرور فيهما — أيضا — موضــع الحال على نحو أظهر من وضعهما ههنا •

ومن ثم يوضح لنا الواحدى أن التفسير بالرأى — لاهل المعانى — لا يقف بمعزل عن المأثور وأنما له مستنده النقلى أيضا غير أنه يستعمل الاداة فى الايضاح بصورة بارزة •

(١) انظر للمقــارنة والتوضيح الكشاف للزمخشرى : ١/١٢٧ — ١٢٨ ط الحلبى ، المحرر الوجيز لابن عطيــه ١/١٤٥ ط المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .

(ج) ومن أمثلة جمعه بين المأثور والرأى أيضا : ما ذكره عنــد تفســير قوله تعالى : (•• والله يرزق من يشاء بغير حســاب[٢]) : قال فى تفسيره (البسيط) : (قال ابن عباس — فى رواية عطــاء : يريد أن اموال قريظــة والنضير تصير اليكم بغير حساب ولا قتال ، بأسهل شىء وأيسره) •

فيكون على هذا : والله يرزق من يشاء بغير تقدير من المرزوق للرزق ، فيصير اليــه مالم يكن يحتسبه ، ولم يؤمله ، ويكون ذلك من اهناء العطاء واحلاء الارزاق ، لذلك مدح الله نفسه بهذا •

وقال[٣] — فى رواية ابى صالح — يعنى كثيرا بغير فوت ولا مقدار ، لأن كل ما دخل عليه الحساب فهو قليل •

وقال الضحاك : يعنى من غير تبعة فى الدنيا ولا حساب فى الآخرة • دليــله قوله صلى الله عليه وسلم : « يدخل الجنة سبعون ألفا من أمتى بغير حساب »[٤] وقال مقاتل : يرزق من يشاء حيث بسط للكافرين فى الرزق وقتر على المؤمنين بغير حساب • يعنى : ليس فوقى من يحاسبنى ، لى الملك أعطى من شئت بغير حساب • وهذا معنى قول الحسن ، لانه قال : « والله يرزق من يشاء بغير حساب » : لا يسأل عما يفعل • هذه هى اقوال المفسرين•

(٢) سورة البقرة /٢١٢

(٣) ضمير الفاعل يعود على الامام ابن عباس رضى الله عنهما .

(٤) أخرجه البخارى عن ابن عبــاس فى صحيحه ١٣/٤ ط محمــــد عبد اللطيف سنة ١٣٥٢ هـ

ولاصحاب المعانى اقوال فى هذا : احدها أن ما يعطيه الله تعالى العبد على نوعين : منه ما يستحقه بعمله ، ومنه ما يعطيه من فضله، ابتداء من غير استحقاق بعمل كقوله تعالى (ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله)[1] فقوله (والله يرزق من يشاء بغير حساب) يعنى ما يتفضل به لا على حساب العمل .

والثانى : انه لا يخاف على نفاذ ما عنده فيحتاج الى حساب ما يخرج منه اذا كان الحساب من المعطى انما يكون ليعلم ما يعطى وما يبقى ، فلا يتجاوز فى عطائه الى ما يجحف به ، والله تعالى لا يحتاج الى الحساب ، لأنه عالم غنى لا تناهى لمقدوره ولا يخاف، نفاد ما عنده .

والثالث : أنه أراد بهذا رزق أهل الجنة ، ورزقهم بغير حساب لأنه دائم كقوله (فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب[2]) وذلك أن رزقهم لا يتناهى وما لا نهاية له لا حساب له .

وقال ابن الانبارى : هذا فى الدنيا ، يرزق عباده من غير محاسبة ولا استحقاق ، ولولا ذلك لخرج الكفار من الأرزاق ، فجعل فضله يشملهم ، ورزقه يعمهم بتفضل منه عليهم وفيهم من لا يستحق الرزق والاحسان ، فكان ذلك على غير حساب ، لأنه لا يحاسب بالرزق فى الدنيا على قدر العمل .

وهذا الوجه اختيار الزجاج[3] :

وهكذا تنصب روافد المأثور والرأى فى تفسير الواحدى فى غزارة وثراء ، فمن نقل

(١) سورة فاطر /٣٠
(٢) سورة غافر /٤٠
(٣) الواحدى : البسيط ٤٤٨/١ — ٤٤٩

عن ابن عباس — لرأيين مختلفين من روايتين — الى تفسير لمقاتل الى رواية عن الضحاك الى قول للحسن — مع توفيق بينه وبين رواية الضحاك —

ثم تتبعها ثلاثة أقوال لأهل المعانى ، ثم يتفق الزجاج مع ابن الانبارى فى خاتمة ما أورده الواحدى من آراء تستند الى الرأى المدعم بقوة الاستنباط مع الاستناد الى النقل فى بعضها مباشرة أو اعتمادا على النظر المستوحى من ترداد النظر فى النظائر القرآنية الأخرى .

(د) ومما يصور مزاوجة الواحدى بين المأثور والرأى أيضا : ما ذكره فى تفسيره (البسيط) عند تفسير قوله تعالى (كان الناس أمة واحدة[4]) فقال[5] : (قال ابن عباس : كان الناس على عهد ابراهيم — عليه السلام — أمة واحدة كفار كلهم ، وولد ابراهيم فى جاهلية فبعث الله اليهم ابراهيم وغيره من النبيين . وقال الحسن وعطاء : كان الناس من وقت وفاة آدم الى مبعث نوح أمة واحدة على ملة واحدة وهى الكفر ، كانوا كلهم كفارا أمثال البهائم ، فبعث الله عز وجل نوحا ، وابراهيم ، وغيرهما من النبيين .

قال ابن الانبارى : على هذا القول وان فيما بينهم من لم يكن بهذا الوصف نحو هابيل وادريس فان الغالب كان الكفر ، والحكم

(٤) سورة البقرة /٢١٣
(٥) وقع اختيار الباحث على هذا النص الذى يلى سابقه — مباشرة — فى نفس تفسير (البسيط) للواحدى لينتظم مع النص السابق عليه فى خيط واحد متسق يعطى صورة متكاملة عن اصالة منهج الواحدى فى الجمع بين المأثور والرأى .

للاغلب والاعم ، ولا يعتد بالقليل فى الكثير كما لا بالنبذ القليل من الشعير فى البر الكثير •

وقال الكلبى والواقدى : هم أهل سفينة نوح ، كانوا مؤمنين كلهم ، ثم اختلفوا بعد وفاة نوح فبعث الله النبيين •

وقال ابن زيد : لم يكونوا أمة واحدة الا يوما من الدهر ، يذهب الى اليوم الذى اخرجهم الله فيه من صلب آدم فى صورة الذرحين قال لهم « ألست بربكم » ؟ قالوا : بلى ! وهذا القول مروى عن أبى بن كعب •

وعلى هذين القولين : يحتاج فى الآية الى اضمار ، كأنه قال : كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله ••

وهكذا فى قراءة أبى ، وابن مسعود •

وحكى الزجاج عن بعض أهل اللغة قال : كان كل من بعث اليه الانبياء كفارا ، يريد : ان أمم الأنبياء الذين بعثوا اليهم كانوا كفارا كما كانت هذه الأمة قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم •

وقال محمد بن اسحق : ولدت حواء لآدم أربعين ولدا ذكرا وأنثى فى عشرين بطنا ، وكانوا أمة مسلمين فاختلفوا حين قتل أحد ابنى آدم آخاه[1]) •

فى هذا النص يمزج الواحدى المأثور عن الامام ابن عباس والحسن وعطاء والكلبى وابن اسحق وابن زيد بتفسير أهل الرأى من علماء اللغة والنحو كابن الانبارى والزجاج •

ونستوضح فى هذا النص ــ بجلاء ــ دور الرأى فى توجيه الاقوال ، كتوجيه ابن الانبارى لتفسير الحسن وعطاء وحمل قولهما بكفر من كان بين آدم ونوح ــ عليهما السلام ــ على الغالب والاعم • والاستناد فى هذا الحمل الى القياس على حكم فقهى هو عدم الاعتداد بالقليل من الشعير المنبوذ فى البر الكثير •

من ثم يؤدى التفسير بالرأى دوره التفسيرى والتحليلى للتفسير بالمأثور • ثم نستجلى دور الواحدى فى توجيه الأقوال : فى تعقيبه على تفسيرى : الكلبى والواقدى ، وابن زيد ، حيث يجد الواحدى اقتضاء هذين القولين اضمارا فى الآية الكريمة فيقدر المضمر (فاختلفوا) •

وقد استند الواحدى فى تقدير هذا المضمر الى أمور ثلاثة :

احدها : المأثور من قراءة ابى وابن مسعود •

وثانيها : مقتضى السياق ونظم الكلام وتسلسل المعنى فى ضوء التفسيرين المذكورين •

وثالثها : الواقع التاريخى الذى نطقت به المصادر التاريخية ــ فيما رواه ابن اسحق فكل من هذه الأمور الثلاثة يقتضى الاختلاف بعد الايمان وقبل البعثة •

(هـ) ومن أمثلة جمعه بين أقوال أهل الأثر وأهل الرأى أيضا : ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم

---

(١) الواحدى : البسيط ١/٤٤٩ــ ٤٥٠.

صدق عند ربهم[1]) • قال فى البسيط ــ بعد تقديم أقوال أهل اللغة فى بيان الغريب :

(فأما التفسير : فقال ابن عباس : اجرا حسنا بما قدموا من أعمالهم • وعلى هذا : المعنى ان لهم أجر قدم صدق اوتوا به ، على تقدير حذف مضاف • وقال مجاهد والحسن : يعنى الأعمال الصالحة • وعلى هذا لا حذف وقال الوالبى عن ابن عباس : سبقت لهم السعادة • وقال ابن زيد : محمد صلى الله عليه وسلم شفيع لهم • واختار ابن الانبارى أن يكون المراد بالقدم : العمل الصالح وانشد :

صل لذى العرش واتخذ قدما

تنجيك يوم العثار والذلل[2]

وأكثر أهل التفسير والمعانى على هذا ، وهو : مقاتل ، وسعيد بن جبير ، والشعبى ، وقطرب والقتيبى[3] وابن عبيدة[4] وذكرنا أيضا عن الحسن ومجاهد[5]) •

وفى هذا النص يتضح جمع الواحدى لأقوال أهل الأثر وأهل الرأى وبيانه لما اتفقوا فيه من الوجوه التفسيرية •

(و) كذلك يتضح اقتران المأثور بالرأى فى تفسير الواحدى عند تفسيره لقوله تعالى (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه[6]) يقول فى البسيط : قوله تعالى « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » :

قال مقاتل : يعنى أحسن ما فى القرآن من الطاعة •

وقال السدى : يتبعون القول أحسن ما يؤمرون فيعملون به • والقول على هذا التفسير القرآن •

وقال قتادة : احسنه طاعة الله • وعلى هذا : القول كل ما يقال ، فيتبعون ما فيه من طاعة الله •

قال ابن عباس والكلبى : هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث ، فيه مساوىء ومحاسن ، فيحدث بأحسن ما سمع منه ، ويكف عما سوى ذلك من القبيح فلا يحدث به •

وقال ابن زيد : نزلت هذه الآية فيمن آمن قبل بعث محمد ــ عليه السلام ــ وهم : زيد بن عمرو ، وسلمان ، وأبو ذر ، لم يأتهم نبى ولا كتاب ، ولكنهم سمعوا قول القائلين وكان أحسنه عندهم قول لا اله الا الله فاتبعوه

وقال ابن عباس فى رواية عطاء : ان أبا بكر رضى الله عنه آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وصدقه ، فجاء عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعيد بن زيد وسعد بن أبى وقاص فسألوه فأخبرهم بايمانه فنزلت فيهم (فبشر عباد الذين يستمعون القول) يريد من أبى بكر (فيتبعون احسنه) •

---

(١) سورة (يونس) /٢

(٢) البيت للوضاح كما نص عليه القرطبى فى تفسيره : ٣٠٧/٨

(٣) هو الامام عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (ت : سنة ٢٧٦هـ) وكان يلقب بالقتيبى انظر ترجمته بشذرات الذهب لابن العماد٢/١٦٩ ــ ١٧٠ .

(٤) به تحريف من الناسخ وصحته : وابو عبيدة . وهو معمر بن المثنى .

(٥) الواحدى : البسيط ٤/٤ .

(٦) سورة الزمر /١٨

وعلى هـذا الاحسن بمعنى الحسن ، والمعنى : فيتبعون حسنه وكله حسن • وذكر أبو اسحق فى هذه الآية وجهين :

احدهما : أن يكون : يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن •

قال : وجايز ان يكونوا يستمعون جميع ما أمر الله به فيتبعون أحسـن ذلك ، نحـو : القصاص والعفو ، فان من عفا وترك ما يجب له أعظم ثوابا ممن اقتص • قال : ومثله (ولمن انتصر بعد ظلمه[1]) الآية • الى أن قال : (ولمن صبر وغفران ذلك لمن عزم الأمور[2])[3]

وهكذا يسوق الواحدى من التفسـير بالمأثور فى هذا النص ــ كمجرد مثال ــ ما قل ان نجده بمثل هذه الوفرة والغزارة فى النقول عن السلف ــ فى أمهات كتب التفسير بالمأثور ولولا ضـيق المقام لعرضـنا للمقارنة بين الواحدى وغيره من أعلام المفسرين بالمأثور حتى نتحقق من علو كعب الواحدى فى ميدان التفسير النقلى • ثم تبرز ميزة الواحدى فى عدم الاقتصار على المنقول على السلف فى تفسير الآية الكريمة ، وتقفيته للمأثور بايراد ما نص عليه احد كبار اصحاب المعانى ــ ابو اسحق الزجاج ــ فى تفسير الآية • ونتساءل لمـاذا لم يقتصر الواحدى على التفسير بالمأثور فى تفسيره ؟؟

والجواب ــ من خلال ما مر بنـا من نماذج ــ أن المؤاخاة بين المأثور والرأى والمزج بينهما يسفران عن كشف أكبر قدر من المعانى ويتيحان رؤية النص القـرآنى من مختلف الزوايا بالسليقة والطبع ، وبالمراس والدربة ، فمن خلال رؤية أهل النقل ودربة أهل الرأى والعقل : نرى البعيد بعين القريب ومنظار البعيد معا فنقترب من فهم حقائق التنزيل •

المبحث الرابع : موقفه من التفسير بالمأثور :

حينما نقترب من جانب التفسير النقلى عند ابى الحسن الواحدى ، ونسلط ضـوء البحث ــ فى تركيز ــ صـوب هذا الجانب لنرى كيف كان ينظر اليه أو يتعامل معه ، ويفيد منه فى تفسير كتاب الله العزيز : فاننا نقف فى البدء على الحقيقة الأولى وهى التزامه المطلق بالتفسير بالمأثور ، وقد صرح الواحدى بهذه الحقيقة من خلال ما مر بنا من نصوص أودعها مقدمات تفاسيره ، كما تكشف لنـا أيضا من خلال تتبع مصادره والتعرف عليها ، وأيضا من خلال ما عرضناه من نماذج توضح جمعه بين المأثور والرأى وتقديمه للمأثور على الرأى فى الذكر والأهمية •

ثم نقف على الحقيقة الثانية : وهى ان التزام الواحدى بالتفسير بالمأثور لا يعنى ــ على الاطلاق ــ ان يقف منه أبو الحسن موقفا سلبيا مقتصرا على مجرد النقل وحشد الروايات واكتناز أقوال السلف واحاطة النص القرآنى بها فى تفسيره فحسب • وانما كان للواحدى دور ايجابى مع التفسير النقلى ، تتجلى فيه قدرته فى فهم النص واعمال الرأى فى توجيهه وترجيحه حسبما يقتضى المقام •

ومن ثم كان للرأى دوره مع الأثر عنـد الواحدى وهو دور يخدم الأثر فى المقام الأول فيجلى حقيقته ويعين على فهمه ، ويوضـح ابعاده ويزيل ما قد يكون فيه من تناقص أو تضارب • اما عن الابعاد الرئيسية الافقية لموقف الواحدى من التفسير بالمأثور فتتمثل فيما يلى :

---

(١) سورة الشورى /٤١
(٢) سورة الشورى /٤٣
(٣) الواحدى : تفسير البسيط ٧/٢٣٠ .

اولا : عنايته بتفسير القرآن بالقرآن والسنة :

أما فيما يتعلق بالتفسير القرآنى للقرآن الكريم ، فاننا نجد الواحدى ينظر الى النص القرآنى فى ضـوء نظائره القرآنية — ان وجدت — ويتفحص المعنى من خلالها فيتبين له من خلال ذلك بيان ما قد ابهم فى موضع موضحا فى موضع آخر وتفصيل ما قد اجمل فى موضع ، مفصلا فى آخر ، وتخصيص ما جاء عاما فى موضع ، فى نظير آخر وهكذا • وقد مرت بنا بعض الأمثلة لذلك فى الحديث عن القرآن كمصدر للواحدى فى تفسيره • كتفسير الكلمات فى قوله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات[1]) بما ورد مفصلا فى سورة الاعراف من قوله تعالى (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين[2]) •

ومن أبرز ما يجسد افادته من النص القرآنى فى تخصيص ما ورد عاما فى بعض المواضع وحمله العام على الخاص فى موضع آخر ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة[3]) ، فقال فى تفسيره البسيط : (قوله تعالى « ولا تنفعها شفاعة » ليس على ظاهره من العموم ، لأنه قال فى موضع آخر : « ولا تنفع الشـفاعة عنده الا لمن أذن له[4] » وقال (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا[5]) وهو من باب الخصوص : تأويله : ولا ينفعها شفاعة اذا وجب عليها العذاب ولم يستحقوا سواه[6]) •

ومن واقع هـذا المنهج الذى طبقـه الواحدى فى تفسيره يبرز جهده التأويلى فى ازالة موهم التضارب والتناقض بين النصوص القرآنية فى الوقت الذى يستعين فيه بالنص القرآنى لتخصيص ما جاء عاما فى موضـع آخر •

كذلك نجـد الواحدى يلجأ الى النص القرآنى لابقاء ما جاء — فى بعض المواضع — عاما على عمومه حين يستشكل فى هذا العموم وذلك كما ورد عند تفسيره قوله تعالى (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين[7]) فقـال فى البسيط : (ان قيل : كيف يلعنه النـاس اجمعون وأهل دينه لا يلعنونه ؟؟) •

قيل يلعنونه فى الآخرة ، لقوله (ويوم القيـامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا[8] [9]) ، ونجد الواحدى كذلك يستند الى النص القرآنى للاستدلال على صحة بعض وجوه التفسير وتوجيهها من أمثلة ذلك قوله عند تفسير قوله تعـالى (تلك آيات الـكتاب الحكيم[10]) •

(والحكيم : الحاكم ، فعيل بمعنى فاعل ، دليله قوله (وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم

---

(١) سورة البقرة /٣٧ .
(٢) سورة الاعراف /٢٣
(٣) سورة البقرة /١٢٣ .
(٤) سورة سبأ /٢٣
(٥) سورة مريم /٨٧

(٦) الواحدى : تفسير البسيط ٢٩٧/١
(٧) سورة البقرة/١٦١ .
(٨) سورة العنكبوت/٢٥
(٩) الواحدي : البسيط ٣٥١/١
(١٠) سورة يونس/١

بين الناس[1]) وقيل انه بمعنى المحكم ، قال مقاتل : المحكوم من الباطل ، لا كذب فيه ولا اختلاق ، وقد بينا قبل هذا : ان الاحكام معناه : المنع من الفساد • ويدل على أن الحكيم ههنا بمعنى المحكم : قوله : (كتاب احكمت آياته[2]) •• قال الازهرى : هذا سائغ فى اللغة والقرآن يبين بعضه بعضا[3]) •

ومن عجيب الاتفاق وبديع الاتساق أن يرد تفسير كلمة (الحكيم التى فى مطلع سورة « يونس » فى مستهل السورة التى تليها وهى سورة « هود » أليس ذلك من بديع حكمة التنزيل وأحكامه ؟ بل انه لكذلك وان تفطن الواحدى الى ذلك لمن دلائل قرآنيته فى التفسير •

وأما عن تفسيره بالمأثور من الحديث الشريف :

فاننا نجد فى تفاسير ابى الحسن الواحدى — وخاصة الوسيط — ثروة حديثية فى التفسير تحمل طابع الواحدى الخاص ، اذ يسوقها بأسانيده الخاصة المتصلة ، ويعرض لها أيضا وفق منهجه فى التفسير والترجيح والاستدلال•

ولعل أول ما يقفز الى الذهن — فى مجال استعانة الواحدى بالحديث الشريف فى تفسيره هو اسهامه الرائع فى علم اسباب النزول • ووضعه مصنفه الاشهر فى هذا العلم والذى أصبح — فيما بعد — معتمد جل المفسرين فى هذا الصدد •

ومما لا ارتياب فيه أن من أقوى ما يعين على تفسير الآية معرفة سبب نزولها

(١) سورة البقرة /٢١٣

(٢) سورة هود /١

(٣) الواحدى : البسيط ٢/٤ — ٢

كما يوضح الواحدى ذلك فى مقدمة كتابه (أسباب النزول[4]) •

ومن أمثلة ما ضمنه الواحدى فى تفسيره من أحاديث أسباب النزول : ماذكره عند تفسير قوله تعالى (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها[5]) قال : فى تفسيره الوسيط :

(أخبرنا أبو منصور المنصورى ، اخبرنا على بن عمر بن مهدى ، حدثنا عبد الوهاب ابن عيسى ، حدثنا أبو هشام الرفاعى ، حدثنا أبو بكر عن عياش ، حدثنا ابو اسحق عن البراء قال :

صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قدومه المدينة ستة عشر شهرا نحو بيت المقدس ، ثم علم الله — عز وجل — هوى نبيه — عليه السلام — فنزل (قد نرى تقلب وجهك فى السماء) الآية ، فأمره أن يولى الى الكعبة ، ومر علينا رجل ونحن نصلى الى بيت المقدس فقال : ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قد حول وجهه الى الكعبة ، وتوجهنا الى الكعبة وقد صلينا ركعتين • رواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة عن أبى الاحوص ، ورواه البخارى[6] عن أبى نعيم عن زهير كلاهما عن أبى اسحق[7]) •

ومن أمثلة اعتماده على الحديث الشريف فى التفسير : ما ذكره عند تفسير قوله تعالى

(٤) الواحدى : اسباب النزول بتحقيق الاستاذ السيد صقر /٥

(٥) سورة البقرة /١٤٤

(٦) اخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب التفسير ٦/٢٧

(٧) الواحدى : الوسيط /٥٠

(وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر[1]) فقال في تفسيره البسيط (روى في تفسير هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعدى بن حاتم (انما ذاك بياض النهار من سواد الليل[2][3])

وقال في تفسيره الوسيط :

(فسر النبي صلى الله عليه وسلم هذا بياض النهار وسواد الليل ، أخبرنا محمد بن ابراهيم بن يحيى ، أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر بن الهيثم الانبارى ، حدثنا محمد بن أبي العوام ، حدثنا الأسود بن عامر ، حدثنا شريك ، عن حصين ، عن عامر ، عن عدى بن حاتم قال :

قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : انى وضعت تحت رأسي خيطين فلم يتبين لى شيء قال : انك لعريض الوساد ، انما ذلك الليل من النهار والنهار من الليل .

رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة[4][5]

والواحدى – كما يبدو جليا في تفسيره – لا يجتهد مع النص من الكتاب أو السنة ، فحيثما فسر بالحديث الشريف يقف في خشوع امام البيان النبوى يجتلى روعته ويغتنم مدلوله فيصرف وجه التفسير اليه .

---

(١) سورة البقرة /١٨٧

(٢) اخرجه البخارى في صحيحه : انظر كتاب التفسير ٦/٣١ ط الشعب .

(٣) الواحدى : تفسير البسيط ١/٤٠٧

(٤) اخرجه البخارى في صحيحه كما سبق .

(٥) الواحدى : الوسيط /٦٥

ولقد أفاد الواحدى من الحديث الشريف في تفسيره من زوايا متعددة نرجو التوفيق في تناولها في موضعها من البحث ان شاء الله تعالى

ثانيا – موقفه من تفسير الصحابة رضى الله عنهم أجمعين :

يضع الواحدى تفسير الصحابة – رضوان الله عليهم – في المرتبة الأولى – بعد التنزيل الحكيم والحديث الشريف – ويرى أن صحابة النبي صلى الله عليه وسلم هم أقرب الناس الى البيان النبوى في تبيان المعنى القرآنى ، وأقدر الناس بعد الرسول الكريم – صلوات الله وسلامه عليه – على فهم مرامى التنزيل وكشف حقائق التأويل ، لأنهم شافهوا من نزل عليه الوحى . عليه أزكى الصلوات والتسليمات – وعرفوا منه مواقع الخطاب ووجوه البيان ، ولابسوا الأسباب فتبدت لهم خوافى المعانى ماثلة للعيان . وجمعوا الى ذلك خبرة بأصول لغة القرآن ودراية بفنون القول وضروب البيان .

حرص الواحدى – لذلك – على الاستمداد من عطاء الصحابة للتفسير وخاصة الحبر الجليل امام التأويل ابن عباس رضى الله عنهما ، فقد كان الواحدى مفتونا به شغوفا بنقل أقواله وتحليلها والافادة منها في تفسيره ثم يقفيها بنقل أقوال من يقف على تفسيرهم من أعلام الصحابة .

ولا بأس هنا من استعادة ما اشترطه الواحدى على نفسه من الاصدار عنهم لتمثل معطيات هذا النص في مقامه ، يقول الواحدى: (وأبتدىء في كل آية عند التفسير بقول ابن عباس ما وجدت له نصا ، ثم يقول من هو

قدوة فى هذا العلم من الصحابة وأتباعهم مع التوفيق بين قولهم ولفظ الآية[1]) •

أما عن نقول الواحدى عن الامام ابن عباس فانها لا تكاد تحصر وقلما تخلو منها آية فى تفسير البسيط والوسيط • وهى أيضا عماد تفسيره الوجيز كما تقدم غير أنه لا يصرح بنسبتها اليه اختصارا •

وموقف الواحدى من تفسير هذا الامام : هو الترجيح غالبا على كل ما عداه من التفاسير والنقول المأثورة عن السلف والخلف عامة • وقد صرح الواحدى بذلك غير مرة فى تفسيره من ذلك ما ذكره فى (البسيط) عند تفسير قوله تعالى : (وسع كرسيه السموات والأرض[2]) يقول :

« واختلف المفسرون فى معنى الكرسى فى هذه الآية • فأولى الأقاويل واصحها ما قال ابن عباس — فى رواية عطاء — وأبو موسى ، والسدى[3] : أنه الكرسى بعينه ، وهو لؤلؤ وما السموات السبع فى الكرسى الا كدراهم سبعة ألقيت فى ترس ، ومعناه : أن كرسيه مشتمل بعظمه على السموات والأرض •

قال عطاء : هو أعظم من السموات السبع والارضين السبع •

وروى عمار الدهنى عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال : الكرسى موضع القدمين ، وأما العرش فانه لا يقدر قدره •

وقال الأزهرى : وهذه رواية اتفق أهل العلم على صحتها ، وأراد ابن عباس بقوله (موضع القدمين) : أى موضع القدمين منا •

قال الزجاج : وهذا القول بين ، لأن الذى نعرفه من الكرسى فى اللغة : الشىء الذى يعتمد عليه ويجلس عليه ، فهذا يدل على أن الكرسى عظيم ، عليه السموات والأرضون وقال بعضهم : كرسيه سلطانه وملكه ، يقال كرسى الملك من مكانه كذا الى مكان كذا : أى ملكه ، فشبه بالكرسى المعروف لأن تركيب بعض تدبيره على بعض كتركيب بعض الكرسى على بعض ، ويجوز أن يكون لاحتوائه عليه كاحتوائه على كرسيه فلا يبعد أن يكنى عن الملك بالكرسى كما يكنى له بالعرش ، فيقال: ثل عرشه : اذا ذهب عزه وملكه ، وقال قوم : كرسيه ، قدرته التى بها يمسك السموات والأرض ، قالوا : وهذا كقولك : اجعل لهذا الحائط كرسيا : أى اجعل له ما يعمده ويمسكه • حكاه أبواسحق •

وقال ابن عباس : ومجاهد ، وسعيد بن جبير : كرسيه علمه •

قال أهل المعانى : يجوز أن يسمى العلم كرسيا من حيث أن الاعتماد فى الأشياء على العلم كالكرسى الذى يعتمد عليه ، ويقال للعلماء : الكراسى ، لأنهم المعتمد عليهم ، كما يقال لهم أوتاد الأرض وانشدوا :

تحف بهم بيض الوجوه وعصبه
كراسى بالأحداث حين تنوب[4]

---

(١) الواحدى : البسيط ٩/١
(٢) سورة البقرة/٢٥٥
(٣) فى الوسيط : (فقال ابن عباس فى رواية عطاء والسدى ....) ص ٨٧

(٤) ذكر الطبرى فى تفسيره (٢٧٧/٣) . هذا البيت ولم ينسبه ، وذكره الزمخشرى فى اساس البلاغة (٣٠٣/٢) وعزا انشاده الى قطرب ووضع (بها) موضع (بهم) ولم ينسبه، وذكره ابو حيان فى البحر (٢٨٠/٢) ولم ينسبه .

أى علما بحوادث الأمور • وأنشدوا أيضا :

نحن الكراسى لا تقد هوازن
أمثالنا فى النائبات ولا أسد[1]

قال ابن الأنبارى : الذى نذهب اليه ونختاره : القول الأول، لموافقته الآثار ومذاهب العرب ، والذى يحكى عن ابن عباس أنه علمه : انما يروى باسناد مطعون • والبيتان : يقال انهما من صنعة النحويين لا يعرف لهما قائل ، فلا يحتج بمثلهما فى تفسير كتاب الله عز وجل ، وقال الأزهرى : من روى عن ابن عباس فى الكرسى أنه العلم فقد أبطل وقال أبو اسحق الله عز وجل أعلم بحقيقة الكرسى الا أن جملته أنه أمر عظيم من أمره[2]) •

وفى هذا النص المطول : يظهر بوضوح ترجيح الواحدى لقول ابن عباس ترجيحا مطلقا منذ البداية وقد يقال : لماذا لم يكتف الواحدى بقوله ويقتصر عليه طالما هو المرجع عنده ؟

والجواب : أن الواحدى يعطى لهذا القول رجحانا مؤكدا من خلال عرض سائر الآراء ومناقشتها وتظاهر بعضها لتفسير ابن عباس والقاء مزيد من الضوء عليه •

وليؤكد الواحدى — من زاوية أخرى عدم تعصبه لما يرجحه بما يمنع من الافادة من غيره بل يترك للقارىء فرصة التعرف على الاراء واختيار ما يروق له • ثم نجد الواحدى — عند تعدد النقول عن ابن عباس — يسوق رأى العلماء بتضعيف الوجه الآخر المتعارض مع القول الراجح •

ومن أمثلة تفسير الواحدى بالمأثور عن الامام ابن عباس واكتفائه به وترجيحه على ما سواه ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار[3]) قال فى البسيط :

(قال ابن عباس — فى رواية عطاء — أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح على الموسم ، ثم بعث عليا رضى الله عنه بسورة التوبة ، وصلى ابو بكر بالناس فى الموسم ، وعرفهم مناسكهم ، فلما قضوا حجهم ومناسكهم ذكروا الله أشد من ذكرهم آباءهم فكان أول من قال (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) أبو بكر ، ثم اتبعه على والناس أجمعون •

قال ابن عباس : (فى الدنيا حسنة) يريد العمل بما يرضى الله وأكل الحلال والزوجة الصالحة ، وفى (الآخرة حسنة) : يريد الجنة ، والحور العين ، والنعيم المقيم • وروى مجاهد عن ابن عباس : قال : عند الركن اليمانى ملك قائم منذ خلق الله السموات والأرض يقول آمين • فقولوا : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار •

ولفظ حسنة فى الآية : مبهمة ، محتملة لكل حسنة من الحسنات على البدل • وأتمها : ما قال ابن عباس)[4] •

---

(١) البيت : ذكره أبو حيان فى تفسيره (٢٨٠/٢) ولم ينسبه لقائله .
(٢) الواحدى : ٥٣٨/١—٥٣٩ من البسيط
(٣) سورة البقرة / ٢٠٠
(٤) الواحدى : البسيط ٤٣٣/١—٤٣٤ .

ومن أمثلة ترجيح الواحدى لقول ابن عباس فى التفسير ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن)[1] قال فى البسيط :

(قال عكرمة وابراهيم[2] : يعنى الحيض ، وهو أن تكون المرأة فى العدة فاذا أراد أن يراجعها قالت : انى قد حضت الثالثة.

وقال ابن عباس : وقتاده ، ومقاتل : يعنى الحبل والولد .

وهذا القول أولى ، لان قوله (ما خلق الله فى أرحامهن : أدل على الولد منه على الحيض ، كقوله عز وجل (هو الذى يصوركم فى الأرحام)[3] ومعنى الآية : لا يحل لهن أن يكتمن الحمل ليبطلن حق الزوج من الرجعة والولد قال عطاء عن ابن عباس فى قوله (ولا يحل لهن ...) الآية : وذلك أن المرأة السوء تكتم الحبل شوقا منها الى الزوج ، وتستنظر العدة ، لأن عدة ذات الحمل أن تضع حملها ...)[4] .

وأما عن موقف الواحدى من تفسير الصحابة — رضى الله عنهم — بصفة عامة : فاننا نجده يعرض فى تفسيره لأقوالهم فى صدارة تناوله لمعنى الآية ، ويقف منها موقف الملتزم بها والموجه لمدلولها حيث لا اختلاف بينها ولا تعارض . بل انه يوفق بينها وبين مدلول اللغة كما يصرح بذلك فى مقدمة البسيط قائلا (...[5] ثم بقول من هو قدوة فى هذا العلم من الصحابة وأتباعهم مع التوفيق بين قولهم ولفظ الآية)[6] .

من أمثلة ترجيح الواحدى لتفسير الصحابة بموافقته لأصل اللغة ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ...)[7] قال فى البسيط :

(... وقيل : كان سجودا على الحقيقة، جعل آدم قبلة لهم ، والسجود لله عز وجل ، الا أن هذا ضعيف ، لأنه لو كان : لقيل اسجدوا الى آدم .

وقال أبى بن كعب : معناه : أقروا لآدم أنه خير وأكرم على منكم واخضعوا له وكونوا تحت أمره . وهذا المعنى موافق لأصل اللغة)[8] .

هنا ينفرد بهذا القول أبى بن كعب — وهو من أجلاء الصحابة — وكان الترجيح لقوله بمظاهرة مقتضى اللغة .

ولكن ما موقف الواحدى من تفسير الصحابة حينما تتعدد أقوالهم وطرائقهم فى تفسير النص القرآنى ؟ ؟

هنا يحدد الواحدى موقفه على أساس قابلية تلك الأقوال للجمع بينها أو عدم امكان ذلك الجمع فاذا أمكن قبولها جميعا — حيث

---

(١) سورة البقرة / ٢٢٨
(٢) يعنى به ابراهيم النخعى من كبار مفسرى التابعين وقد تقدم التعريف به فى مصادر الواحدى .
(٣) سورة آل عمران/٦
(٤) الواحدى : البسيط ٤٨٨/١ .

(٥) العطف هنا على ماسبق ذكره (وابتدىء فى كل اية عند التفسير بقول ابن‌عباس ما وجدت له نصا) .
(٦) الواحدى : البسيط ٩/١
(٧) سورة البقرة /٣٤ .
(٨) الواحدى : البسيط ١٢٩/١ .

لا تعارض ولا تضاد ـ كان موقف الواحدى منها غالبا عدم الترجيح أو التعليق ـ وربما أشعرت بعض الملابسات ميله الى بعضها •

مثال ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة •••)[1] فنجده يقول فى البسيط :

(اختلفوا فى هذه الزيادة ، فروى أنس ابن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال : (الحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر الى وجه الله الكريم)[2] ونحو ذلك روى أبى بن كعب •

وهذا قول أبى بكر الصديق وحذيفة ، وأبى موسى ، وصهيب ، وعبادة بن الصامت وابن عباس ، ـ فى رواية عطاء ، وأبى الجوزاء ـ وهو قول الضحاك والسدى ومقاتل• وقال آخرون : الزيادة : تضعيف الحسنات بواحدة عشرا الى سبعمائة • وهو قول ابن عباس ـ فى رواية العوفى والحسن ، وعلقمة•

وقال مجاهد : الزيادة مغفرة من الله تعالى ورضوان •

وروى الحكم عن على رضى الله عنه : الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب وقال ابن زيد : الزيادة ما أعطاهم الله فى الدنيا من النعيم لا يحاسبهم بها يوم القيامة) بخلاف أهل النار ، فان ما يعطيهم الله تعالى فى الدنيا من النعمة فى مقابلة ما يأتون من حسنة ولا ثواب لهم يوم القيامة على أعمالهم)[3] •

وهكذا يدلى الواحدى بأقوال الصحابه وتابعيهم ويسردها ولم يعقب عليها لأنه لا تعارض بينها ولا منافاة ، والجمع بينها ممكن • وان كان يؤخذ من تقديمه للرأى الأول المدعم بمرجحه من الحديث الشريف آية على أولويته بالقبول عند الواحدى •

أما اذا تعددت أوجه التفسير عند الصحابة ولم يمكن الجمع بينها فحينئذ يقوم الواحدى بتوجيهها والاستدلال لها وترجيح ما يراه منها أحرى بالقبول •

مثال ذلك ما ذكره فى تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم)[4] قال فى الوسيط :

(•••• ولا تدل الآية على جواز ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بأن يتأول فيقال : اذا حفظ المرء نفسه عن المعاصى ، وكان مهتديا لم يضره ضلال غيره من أهل دينه ولا يجب عليه الأمر بالمعروف •

وقد صرح أبو بكر الصديق رضى الله عنه بهذا فيما أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد الزعفرانى أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد ابن يعقوب المفيد ، حدثنا أحمد بن عبدالرحمن السقطى ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا اسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال :

---

(١) سورة يونس /٢٦
(٢) الحديث رواه الطبرى فى تفسيره من عدة طرق ١١/١٠٦ ـ ١٠٧ •
(٣) الواحدى : البسيط ٢٢/٤
(٤) سورة المائدة /١٠٥

يا أيها الناس : انكم تقرأون هذه الآية تضعونها على غير موضعها (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) ، وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه : أوشك أن يعمهم الله بعقاب) قال أبو عبيد : خاف الصديق أن يتأول الناس الآية غير متأولها فيدعوهم الى ترك الأمر بالمعروف ، فأراد أن يعلمهم أنها ليست كذلك ، وأنه لو كان وجهها ذلك جاء تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلافها ، والذى أذن الله فى الامساك عن تغييره من المنكر : الشرك الذى ينطق به المعاهدون من أجل أنهم أهل ملل يتدينون بها ، ثم قد صولحوا على أن شرط لهم ذلك • فأما الفسوق ، والعصيان ، والريب من أهل الاسلام : فلا يدخل فى هذه الآية •

والذى يدل على صحة هذه الجملة : ما أخبرنا محمد بن ابراهيم بن محمد بن يحيى الطلحى ، حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أسيد الأصبهانى ، حدثنا محمد بن عامر بن ابراهيم ، حدثنا أبى ، عن عمرو بن خليفة الانصارى ، عن كثير بن أبى كثير قال :

حدثنا ابن عباس — وهو يومئذ ضرير فى بصره، وذكر عتيق بن عثمان[1] — فقال[2]:

رحمه الله ، قعد على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم سمى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد[3] الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم مد يده فوضعها على المجلس الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس من منبره ثم قال :

سمعت الحبيب وهو جالس فى هذا المجلس اذ تأول (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) ففسرها •

وكان تفسيره لها : أن قال : نعم ، ليس من قوم عمل فيهم بمنكر ، وسن فيهم بقبيح فلم يغيروه ولم ينكروه الا وحق على الله أن يعمهم جميعا ثم لا يستجاب لهم • ثم أدخل اصبعيه فى أذنيه فقال : الا أكن سمعتها من الحبيب فصمتا •

ولابن مسعود رضى الله عنه فى هذه الآية طريقة أخرى : وهى ما أخبرنا أبو بكر الحارثى أخبرنا أبو الشيخ الحافظ حدثنا أبو يحيى الرازى ، حدثنا سهل بن عثمان ، حدثنا عبد الله ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية قال :

كانوا عند ابن مسعود ، فوقع بين رجلين ما يكون من الناس حتى قام كل واحد منهما الى صاحبه فقال بعضهم : ألا أقوم اليهما فآمرهما بالمعروف وانهاهما عن المنكر ؟ فقال بعضهم : عليك نفسك •

---

(١) ما بين الشرطين اعتراض بيانى .

(٢) ضمير الفاعل يعود على ابن عباس رضى الله عنهما ، ومقول القول : من اول رحمه الله الى قوله : خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . والمترحم عليه هو عتيق بن عثمان وكان كما يبدو مدعيا للخلافة ، وليست هذه رواية لابن عباس عنه ، وانما تذكر ابن عباس من جلوسه على الكرسى — مدعيا للخلافة — واقعة التفسير المذكورة بعد لأنها وقعت فى نفس المكان

(٣) ضمير الفاعل فى (فحمد) وما عطف عليه يعود عن ابن عباس رضى الله عنهما .

ان الله تعالى يقول (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) فسمعها ابن مسعود فقال : مه ، لم يجيء تأويل هذه الآية بعد ، ان القرآن حين نزل : كان منه آى مضى تأويلها من قبل أن تنزل ، ومنه آى مضى تأويلها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه آى وقع تأويلها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنين ،ومنه آى يقع تأويلها عند الساعة — ما ذكر من أمر الساعة — ومنه آى وقع يوم الحساب — ما ذكر من أمر الحساب والجنة والنار .

فما دامت قلوبكم واحدة ، ولم تلبسوا شيعا ، ولم يذق بعضكم بأس بعض : فمروا وانهوا ، فاذا اختلفت القلوب والأهواء ، ولبستم شيعا ، وذاق بعضكم بأس بعض : فامرؤ ونفسه[1] .

ويدل على صحة ما ذهب اليه ابن مسعود فى تأويل هذه الآية : ما أخبرنا أحمد بن الحسن القاضى ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد قال : أخبرنى محمد بن شعيب أخبرنى عتبة بن حكيم ، حدثنى عمرو بن حارثة ، عن أبى أمية قال : أتينا ابا ثعلبة الخشنى فقلنا : كيف نصنع بهذه الآية ؟ فقال : أية آية ؟ فقلنا : (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) فقال :

أما والله لقد سألتم عنها خبيرا ، سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (نعم بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيتم شحا مطاعا وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه ، ورأيت الأمر لا يدان لك به : فعليك نفسك ودع أمر العوام . وذكر الحديث)[2][3] .

فى هذا النص المطول الحافل بالأثر والرأى معا : يبدو لنا الواحدى فى صورته العلمية المكتملة ، فهو فيه رجل أثر يفسر بالمأثور عن امامين من أئمة الصحابة — سيدنا أبى بكر وعبد الله بن مسعود — ولكل منهما طريقة فى تفسير الآية الكريمة .

بيد أن الواحدى قد اختار لنفسه موقفا ورأيا منذ البداية ، حتى أنه قد بدأ بعرض وجهته التى يرجحها قبل عرض آراء الصحابة وتوجيهها ، فاستهل قائلا (ولا تدل الآية على جواز ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بأن يتناول فيقال ...) ثم شرع فى عرض وجهتى الصحابيين الجليلين ، ولم يكتف فى عرض تفسيريهما بمجرد ابداء قول كل منهما ، بل نجده — بعد أن ساق تفسير الصديق رضى الله عنه بسنده المتصل اليه — يذكر توجيه قوله مصدرا عن أبى عبيد القاسم بن سلام مؤولا ما اذن الله تعالى فى الامساك عن تفسيره بالشرك الذى يظهره الذميون .

ثم يرجح الواحدى هذا التفسير ويدلل على صحته بما رواه بسنده عن الامام ابن

---

(1) الرواية عن ابن مسعود ساقها الطبرى بسنده المتلاقى مع سند الواحدى فى أبى جعفر ، انظر تفسير الطبرى ٩٦/٧ ط الحلبى وتفسير ابن كثير ٢٥٨/٣ ط الشعب .

(2) بقية الحديث الشريف كما رواها ابن كثير عن الترمذى بسنده (... فان من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون كعملكم) قال عبد الله بن المبارك : وزاد غير عتبة (قيل يا رسول الله : أجر خمسين رجلا منهم أو منا ؟ قال بل أجر خمسين منكم) انظر تفسير ابن كثير ٢٠٨/٣

(3) الواحدى : تفسير الوسيط /١٩٩ — ٢٠٠

عباس — رضى الله عنهما — عن النبى صلى الله عليه وسلم فى تفسير هذه الآية الكريمة •

ثم يعرض الواحدى لطريقة الامام ابن مسعود رضى الله عنه فى تفسير الآية الكريمة ، فيروى بالسند المتصل عنه ما ذكر فى تأويلها• ولم يكتف الواحدى بذلك بل نجده أيضا يدلل على صحة هذا التفسير بما رواه بسنده عن أبى ثعلبة الخشنى ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تفسيرها بما يصحح الرأى الثانى •

واذا : فموقف الواحدى هنا من تفسير الصحابيين الجليلين سيدنا أبى بكر وابن مسعود رضى الله عنهما ، أنه : —

(أ) يعرض للرأيين المتقابلين فى أمانة علمية ويسوق بسنده المتصل روايتيه عنهما •

(ب) يدلل على صحة كل تفسير منهما بالمأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم وبسنده المتصل •

(ج) يوجه لما يسوقه من تفسير ولا يرسله مكتنفا باللبس والغموض •

(د) يرجح ما يراه راجحا مع التوجيه والتدليل بالحديث الشريف •

(هـ) لا يتعصب لما يراه بتخطئة مقابله ، بل نجده يدلل للرأى المقابل بنفس القوة التى يحتج بها لما يختاره مع بيانه لوجه اختياره •

ومن ثم يستكمل الواحدى مقومات الأصالة العلمية والجمع بين الرواية والدراية فى تفسيره •

ثالثا — موقفه من تفسير التابعين :

حمل التابعون عن الصحابة — رضوان الله عليهم — مأثور التفسير ، وأضافوا اليه ما فتح الله به عليهم من نتاج تفسيرى يمتزج فيه الأثر بالرأى الملتزم بالنقل ، فلا نستطيع أن نجرد الرأى فى تفسيرهم من الأثر لأنه مستند اليه ومعتمد عليه ، أيا كان مبلغ هذا الاعتماد من القوة أو الضعف • وقد وقف الواحدى أمام تفسير التابعين موقفا جديرا بالتأمل لأنه متعدد الزوايا ، مزود بالرؤية العلمية المنهجية •

والبادرة الأولى التى تتراءى لنا من موقف الواحدى ازاء تفاسير التابعين : أنه غالبا ما يسوق تفسيرهم مع تفسير الصحابة فى رواية واحدة وقول واحد ، كقوله عند تفسير قوله تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه)[1] : (المراد بالكتاب ههنا • القرآن فى قول ابن عباس ، والحسن ، وقتاده ، ومجاهد ، والضحاك ، ومقاتل[2]) وكقوله فى تفسير قوله تعالى (وعلى الوارث مثل ذلك[3]) (وأراد بالوارث: من كان من عصبته كائنا من كان من الرجال فى قول عمر بن الخطاب ، وابراهيم[4] ، والحسن ، ومجاهد وعطاء وسفيان[5]) •

والدلالة التى يحملها اقتران آراء التابعين باراء الصحابة فى التفسير هنا انما هى الانتماء أو الاتفاق ، بمعنى أن التابعى اما أن يكون فى تفسيره مصدرا عن الصحابى المذكور معه أو متفقا معه بما حمله عن صحابى غيره أو بما عن له من تفسير للآية •

---

(١) سورة البقرة/٢
(٢) الواحدى : البسيط ١/٥٠.
(٣) سورة البقرة/٢٢٣
(٤) يقصد به ابراهيم النخعى المفسر التابعى كما سبق بيانه .
(٥) الواحدى : البسيط ١/٥٠١

وفى بعض المواضع نجد الواحدى يذكر لبعض التابعين تفسيرا مختلفا عن تفسير بعض الصحابة وهنا لا يقف الواحدى بمعزل عن التوجيه والترجيح .

فنجده يقول عند تفسير قوله تعالى : (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها[١]) .

قوله « وأتوا به متشابها » أى بعضها يشبه بعضا فى اللون والصورة ، مختلفا فى الطعم وذلك أبلغ فى باب الاعجاب ، وأدل على الحكمة .

وهذا قول ابن عباس وابن مسعود ، وجماعة من الصحابة .

وقال الحسن وقتاده وابن جريج «متشابها» فى الفضل خيار كله ، لارذال[٢] فيه . كما يؤتى الرجل بأثواب ليختار منها فاذا قلبها قال : لا أدرى أيها آخذ ، لأن كلها حسن مختار كما قال الشاعر :

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم
مثل النجوم التى يسرى بها السارى

أى : هم متشابهون فى الفضل[٣]) .

ثم رجح الواحدى رأى ابن عباس والصحابة بما أصدره عن ابن الأنبارى قائلا : (قال ابن الأنبارى : وقول ابن عباس أدل على حكمة الله عز وجل ونفاذ قدرته ، لأنا اذا وجدنا رمانا يؤدى عن طعم الكمثرى ، والتفاح، والسفرجل : كان أبدع وأغرب من أن لا يؤدى الا عن طعمه المعروف له[٤]) .

وكما يرجح الواحدى فى أكثر المواضع قول الصحابة على قول التابعين : نجده فى بعض المواضع من تفسيره يستظهر تفسير بعض التابعين ويرجحه على ما توفر له من تفسير بعض الصحابة مثال ذلك :

قال فى البسيط عند تفسير قوله تعالى : (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية[٥]) : (قال ابن عباس : هم اليهود ، قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم لا نؤمن لك حتى يكلمنا الله انك رسوله ، أو حتى تأتينا بمثل الآيات التى أتت بها الرسل وقال مجاهد : هم النصارى .

وقال الحسن وقتادة : هم مشركوا العرب .

وهذا أظهر الأقوال ، لأنه يشاكل ما طلبوا حيث قالوا (لن نؤمن لك[٦]) الآيات الأربع ، ولأن أهل الكتاب أهل علم به والله تعالى يقول (وقال الذين لا يعلمون) ..

وهنا تظهر الملكة النقدية عند الواحدى فى سبر أغوار الآراء وتفحصها ورؤيتها تحت أضواء كاشفة من النصوص القرآنية وأعمال النظر فى المدلولات والملابسات مما يؤكد أنه يستند فى نقده وترجيحه الى قواعد وأسس سنستخلصها بعد من خلال تلك النماذج النقدية .

---

(١) سورة البقرة/٢٥
(٢) قال الراغب فى مفرداته ص ١٩٤ (الرذل والرذال ــ بضم الراء المشددة ــ المرغوب عنه لرداءته) أ هـ .
(٣) الواحدى : البسيط ١/١٠٥
(٤) نفس المصدر .
(٥) سورة البقرة /١١٨
(٦) سورة الاسراء : الآيات من ٩٠ حتى ٩٣

وكما يرجح الواحدى بعض أقوال الصحابة والتابعين على بعض فى تفسيره فى بعض المواضع ، فاننا نجده كثيرا ما يجمع بين هذه الأقوال ويوفق بينها فى مواضع أخرى ، فيقول — مثلا — عند تفسير قوله تعالى : (قل بل ملة ابراهيم حنيفا[1]) :

(فأما التفسير : فروى عن ابن عباس أنه قال : الحنيف : المائل عن الأديان كلها الى دين الاسلام .

وقال مجاهد : الحنيفية : اتباع الحق . وروى عنه أيضا : اتباع ابراهيم فيما أتى به من الشريعة التى صار بها اماما للناس بعده ، من الحج والختان وغير ذلك من شرائعه .

وقال الحسن : الحنيفية حج البيت ، وهو معنى قول ابن عباس وعطية . وقيل : الحنيفية اخلاص الدين لله وحده .

وهذه الأقوال : غير خارجة عما ذكره أهل اللغة ، لأنها تعود الى الاستقامة أو الميل الى ما أتى به ابراهيم عليه السلام من الشريعة[2])

لقد جمع أبو الحسن محصل الأقوال والتفاسير المأثورة عن الامام ابن عباس وغيره — من التابعين — فى اطار المدلول اللغوى — وبين بذلك امكانية الجمع بينها . كما أنه فى أثناء عرض تلك الأقوال يذكر تلاقى بعضها مع البعض فيعقب على تفسير الحسن بقوله :وهو معنى قول ابن عباس ، وعطية)[3] .

وهكذا نجد الواحدى يضع تفسير التابعين بازاء تفسير الصحابة فى تفسيره ، ويقف منها موقف المرجح أو الموفق بينهما حسبما يقتضيه المقام .

ثم نجده أيضا يرجح بعض أقوال التابعين على بعض فى تفسيره معتمدا على أسسه فى الترجيح .

من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم)[4] يقول فى تفسيره البسيط :

(وأما التفسير : فقال مجاهد : ومن تطوع خيرا بالطواف بهما . وهذا على قول من لا يرى الطواف بهما فرضا) .

وقال مقاتل والكلبى : ومن تطوع خيرا فزاد فى الطواف بعد الواجب .

ومنهم من حمل هذا النوع على العمرة ، وهو قول ابن زيد[5] ، وكان يرى العمرة غير واجبة . وقال الحسن : « ومن تطوع خيرا » يعنى به : الدين كله ، أى فعل غير المفترض عليه من طواف وصلاة وزكاة ونوع من أنواع الطاعات .

وهذه أحسن الأقاويل ، لأن قوله (ومن تطوع خيرا صيغته تدل على العموم)[6] .

---

(١) سورة البقرة/١٣٥
(٢) الواحدى : تفسير البسيط ٣١٨/١
(٣) هو عطية العوفى صاحب طريق للرواية عن الامام ابن عباس ، وقد روى الطبرى فى تفسيره باسناده عنه . انظر جامع البيان ٥٦٥/١ ط الحلبى .

(٤) سورة البقرة /١٥٨
(٥) هو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم العدوى المدنى مولاهم (ت : ١٨٢ هـ) أخذ عن ابيه زيد بن أسلم مولى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وكان أبوه من كبار مفسرى التابعين من مدرسة المدينة المنورة . انظر طبقات المفسرين للداودى ٢٦٥/١ — ٢٦٦ .
(٦) الواحدى : البسيط ٣٥٠/١

وكما يرجح الواحدى بين أقوال التابعين فى التفسير معتمدا على أسسه فى الترجيح فاننا نجده — فى بعض المواضع من تفسيره — يرد بعض أقوال التابعين اذا تعارضت مع ماتعطيه النصوص القطعية الأخرى •

من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونامن الظالمين)[1] فقال فى البسيط : (••• وكان سعيد بن المسيب يحلف بالله — ما يستثنى — ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ، ولكن حواء سقته الخمر حتى اذا سكر قادته اليها فأكل)[2] •

ورد هذا على سعيد بأن قيل : لو كان الأمر على ما وصف لم يكن عاصيا ، وانله تعالى أخبر عنه بالعصيان[3] • وفى الجملة كان ذلك الأكل معصية من آدم ، ولكنه كان قبل النبوة)[4] •

ان الواحدى هنا يدرك مرمى ابن المسيب من تأويله ، وهو تجنب القدح فى عصمة الانبياء وهو متفق معه فى هذا المبدأ ، بيد أن تأويل الامام ابن المسيب هنا قد بدا للواحدى مصادما للنص القرآنى القاطع بوقوع المعصية — ومن ثم رد تأويله — ثم وجد الواحدى التأويل الأنسب فى القول بأن الأكل من الشجرة كان قبل النبوة • ومن ثم لا يتطرق القدح الى عصمة سيدنا آدم عليه السلام • وهكذا يستند موقف الواحدى فى نقد التأويل الى قوة استنباط وبعد رؤية •

---

(١) سورة البقرة/٣٥

(٢) الرواية فى تفسير الطبرى بسنده : ١/ ٢٣٧ ط الحلبى •

(٣) اى فى قوله تعالى (وعصى آدم ربه فغوى) الآية /١٢١ من سورة طه .

(٤) الواحدى : تفسير البسيط : ١/١٣٤

ومن تلك النماذج التى تجسد الموقف النقدى للواحدى ازاء تفسير بعض التابعين ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ••)[5]، قال فى البسيط :

(قوله : لما خلقت بيدى) : قال الكلبى: بقدرتى •

وقال مجاهد : اليد ههنا بمعنى التأكيد والصلة •

وكلا القولين غير مرضى ، لأنه لو أريد باليد القدرة :لم يبن ، ولم يثبت أيضا لآدم تفضل ، لأن ابليس وكل شىء مخلوق بالقدرة وكذلك لا تخصيص لادم اذا جعل اليد صلة •

والصحيح الموافق للغة والأصول : أن تقول معنى اليدين ههنا تحقيق اضافة الخلق الى الله ، على معنى أنه تولاه ولم يأمر به ، ولا كان عن سبب أدى اليه كالولادة واجتماع الذكر والأنثى ، واشتمال الرحم عليه ، شرف الله آدم من بين ولده بهذه الحالة ، وكرمه بهذا اللفظ الذى ينبى عن تحقيق التولى والتنبيه أشد مبالغة ، وذلك أن الله تعالى خاطبنا فى القرآن على عادةالعرب فى تخاطبها، وعادة الناس فى تخاطبهم بينهم ليصح الابهام• والواحد منا اذا أراد أن ينسب شيئا الى نفسه بأنه تولاه من غير أن شورك فيه ، أو أمر به غيره قال : هذا مما توليته بنفسى وبيدى • فان ثنى اليد وقال : بيدى كان ذلك أوكد فى التخصيص • والله تعالى لما قال فى خلق آدم: خلقته بيدى : كان ذلك دالا على هذا المعنى ، وخوطبنا على ما نخاطب نحن فيما بيننا • فعلمنا بهذا اللفظ تفضيل آدم وتخصيصه كما

---

(٥) سورة (ص) /٧٥

أنا نعرف باضافة البيت الى الله فضل البيت، وباضافة الناقة اليه فضلها ، وبقولنا للخليفة (عبد الله) فضله ، وان كان كلنا عبادا لله ، وكل ناقة وبيت لله)[1] .

فى هذا الموقف النقدى تبرز أصالة الواحدى فى ميدان الرأى والاجتهاد فى غهم النص القرآنى فى ضوء خبرته باللغة وأصولها فيرد تفسير مجاهد والكلبى لعدم افادتهما بتخصيص سيدنا آدم وتفضيله على غيره فى حين أن التخصيص والتفضيل المستفادين من التعبير بقوله (بيدى) هما مناط افحام ابليس وتوبيخه على عدم سجوده لمن خصه الله تعالى بتلك المزية . فحق النص القرآنى هنا أن تبرز فى تفسيره تلك المزية وتظهر . ومن ثم لم يتوان الواحدى حين افتقد ظهورها فى تفسير مجاهد والكلبى فى أن يتعقب هذين التفسيرين ويقف فى ميدان التأويل برأيه وحجته .

وبينما نجده فى هذا الموضع يتعقب تفسير مجاهد ويرده بما توفر له من حجة وبرهان : نجد الواحدى فى مواضع أخرى يرجح رأى مجاهد ويؤثره بالقبول على قول أكثر المفسرين، من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (وعلى الله قصد السبيل)[2] قال فى البسيط :(واختلفوا فى معنى هذه الآية :

فأكثر المفسرين على أن المعنى : وعلى الله بيان قصد السبيل ، بالكتب والرسل ، والحجج ، وهو قول جابر ، وقتادة ، والسدى، وروى ذلك عن ابن عباس ، واختاره الفراء والزجاج .

وعلى هذا : الآية من باب حذف المضاف، لأن التقدير ، وعلى الله بيان قصد السبيل ، ثم قال : ومنها جائر ، أى مائل . ومعنى الجور فى اللغة : الميل عن الحق . والكناية فى (منها) يعود على السبيل وهى مؤنثة فى لغة الحجاز . يعنى : ومن السبيل ما هو جاير غير قاصد للحق . قال الكلبى : يعنى اليهودية والنصرانية والمجوسية ، وقال ابن المبارك : يعنى الأهواء والبدع .

روى عطاء عن ابن عباس فى هذه الآية ، قال : من أراد أن يهديه سهل له طريق الايمان، ومن أراد أن يضله وعر عليه طريق الايمان ، يعنى المنافق والكافر ، يشدد عليه الغسل من الجنابة ، والوضوء للصلاة ، ويثقل عليه صيام شهر رمضان من اثنى عشر شهرا .

ثم بين أن المشيئة اليه فقال : (ولو شاء لهداكم أجمعين) ، يريد : فلو شاء لأرشدكم أجمعين حتى لا يختلف عليك يا محمد أحد .

هذا كلامه . والذى ذكرنا فى هذه الآية هى طريقة المفسرين .

وفى الآية وجه آخر ، وهو أن المعنى : أن قصد السبيل الذى هو الحنيفية والاسلام على الله أن يؤدى الى رضا الله وثوابه وجزائه كقوله تعالى (قال هذا صراط على مستقيم)[3] أى أنه يؤدى الى جزائى وكرامتى . فهو طريق على . وهذا مذهب مجاهد ، قال : على الله طريق الحق . وبه قال عبد الله بن المبارك.

وهو أقوى القولين ، لأنه صح من غير اضمار)[4] .

---

(١) الواحدى : تفسير البسيط ٢١٩/٧
(٢) سورة النحل /٩
(٣) سورة الحجر /٤١
(٤) الواحدى : البسيط ٤٧٤/٤ — ٤٧٥

وهكذا وقف الامام الواحدى من التفسير المأثور عن الصحابة والتابعين موقف الفاحص المتأمل والناقد المرجح الذى استكمل أداته العلمية ، فخاض مجال التأويل بكفاءة وأهلية ولم يقف عند حدود النقل التقليدى والحشد للآراء دون بصر بما قد يعلق بها من تناقض أو غموض كما هى شنشنة كثير من المفسرين الذين لم يتجاوزوا صفة النقلة ، وكم من ناقل للتفسير وهو غير مفسر حتى ان موقفه فى هذا النقل يحتاج الى تفسير ، ! فعلى أى أرض يقف بازاء هذا المنقول ؟؟

ولكن الواحدى طرق هذا الميدان من منطلق علمى له أسسه ومكوناته ومؤهلاته ونجد بازاء موقف الواحدى من التفسير المأثور عن الصحابة والتابعين سؤال يطرح نفسه ويصل حلقة هذا المبحث بحلقة تقويم مصادره فى التفسير التى سبق الحديث عنها . وهذا السؤال هو : من أى منطلق كان هذا الموقف النقدى للواحدى من التفاسير المأثورة عن الصحابة والتابعين ؟ وعلى أى أساس كان قبوله ورده وترجيحه بين هذه التفاسير مع كونها تحمل صفة (المأثور) بما لذلك من دلالة علمية ؟؟

والجواب — من خلال ما تقدم — أن الواحدى لم يطرق باب الترجيح أو النقد فيما لا مجال فيه للرأى من تفاسير الصحابة والتابعين كأسباب النزول حيث يأخذ تفسير الصحابى حينئذ حكم المرفوع كذلك لم يتقحم الواحدى برأيه وترجيحه ما كان محل اجماع من الصحابة أو التابعين ، وانما تخير لنفسه من بين مختلف الآراء ما رجح فى ميزانه العلمى اعتقادا منه بأن هذا التخير وذلك الترجيح انما يهدفان الى خدمة النص القرآنى والاقتراب من فهمه من أقرب الزوايا وأرجح الآراء .

المبحث الخامس :

موقفه من التفسير بالرأى :

شيد الواحدى منهجه — كما اسلفنا — على المزاوجة بين المأثور والرأى ، والافادة منهما معا فى كشف معانى التنزيل ، محققا مبدأ التكامل بين الرواية والدراية فى تفسيره. اذ أنه من المؤكد علميا : أن الافادة الحقيقية من التفسير النقلى لا تتحقق من مجرد حشد الآثار والروايات والاقوال والاسانيد وضم بعضها الى بعض دون دراية بتوجيه ودلالة تلك الاثار والروايات وادراك ما بينها من تواصل أو تعارض .

من ثم لابد أن يدخل الرأى — بضوابطه المتعارف عليها بين العلماء — لتمييز تلك النقول والآثار ، وادراك وجهاتها وبيان مبهماتها وازالة العوائق أمام فهمها ، ثم الترجيح بينها فى ميزان النقد العلمى الصحيح وفق الضوابط العلمية السليمة حتى تجتنى ثمارها ويؤتى أكلها .

وقد رأينا — فى المبحث السابق — كيف وقف الواحدى من التفسير النقلى موقفا علميا منهجيا . فجمع بين ضروب المأثور فى تفسيره، ووقف أمامها — بميزانه العلمى وبرسوخه فى ميدان التأويل والرأى — موجها وشارحا ، ومرجحا وناقدا .

وهنا فى هذا المبحث نتعرف على موقفه من التفسير بالرأى ، كيف وقف من تفاسير أهل الاجتهاد والنظر من اصحاب المعانى وعلماء اللغة والنحو وغيرهم ؟ وكيف أفاد من جهودهم فى التأويل ؟ ثم ماذا أضاف الى نتاجهم من جهده هو ؟ ثم لنتعرف على الاسس المنهجية التى خاض بها الواحدى مجال التفسير بالرأى،

وقوم فى ضوئها نتاج أهل الاثر والرأى فى التفسير ؟ أما عن موقفه من تفاسير اصحاب المعانى وعلماء اللغة والنحو •

فاننا نجد الواحدى ينظر الى جهود هؤلاء فى التفسير وأدواته على أنها بمثابة ظهير للتفسير بالاثر ، تقرب أحداق الخلف لرؤية آثار السلف وتعوض القصوز الناتج عن افتقاد ما حظى به الاوائل من ملكات علمية استوعبت فقه التنزيل وعلومه دون اعواز الى تمرس اللسان على لغته ومعرفة وجوه خطابه — وسيأتى تفصيل نظرية الواحدى فى هذا الصدد مع بيان الاتجاه اللغوى فى تفسيره •

فالحقيقة الاساسية التى نستخلصها من موقف الواحدى من التفسير بالرأى فى تفسيره هى : أن التفسير بالرأى يهدف اساسا لخدمة التفسير بالمأثور ويسهم — فى المقام الاول — فى فهمه وتوجيهه • ومن أمثلة ما يؤكد هذه الحقيقة فى تفسير الواحدى : ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط ••••)[1] قال فى تفسيره البسيط :

(ذكر المفسرون وأصحاب المعانى فى هذه الآية قولين :

أحدهما : مجىء الرسول ، والقضاء بينهم فى الدنيا •

وهو قول ابن عباس — فى رواية عطاء — قال : فاذا كذبوا رسولهم قضى بينهم بالعدل • وقال عطية العوفى : يقول الله تعالى : أرسلت الى كل أمة رسولا • فاذا جاء رسولهم وبلغهم الكتاب ، وكذبوه : قضى بينهم وبين رسولهم فى الدنيا بالعدل ، فعذب المكذبين ونجا الرسل والمؤمنون •

القول الثانى : أن المراد بمجىء الرسل والقضاء : ما يكون فى القيامة •

وهو قول مجاهد ، ومقاتل ، وابن عباس — فى بعض الروايات — ، قال مجاهد : فاذا جاء رسولهم يوم القيامة • وقال مقاتل : فاذا جاء رسولهم فى الآخرة •

وقال ابن عباس : ان الله تعالى يقول لهم يوم القيامة : ألم يأتكم رسلى بكتابى ؟ فيقولون : ما أتانا لك رسول بكتاب • ثم يؤتى بالرسول فيقول : قد أبلغتهم كتابك فذلك قوله (فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط) •

قال أبو اسحق[2] : ودليل القول الاول قوله (وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا)[3]، وقوله (رسلا مبشرين ومنذرين •••)[4] الآية • أعلم أنه لا يعذب قوما الا بعد الاعذار والانذار •

ودليل القول الثانى : قوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطا •••) الى قوله (••ويكون الرسول عليكم شهيدا)[5] وقوله (وقال الرسول يارب قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا)[6] أعلم الله أن كل رسول شاهد على أمته بايمانهم وكفرهم •

---

(١) سورة يونس/٤٧

(٢) يعنى به الزجاج وأيا ما ذكرت هذه الكنية عند الاطلاق فالمراد بها الزجاج كما ذكرت فى مصادره .

(٣) سورة الاسراء /١٥

(٤) سورة النساء /١٦٥

(٥) سورة البقرة ١٤٣

(٦) سورة الفرقان /٣٠

وزاد ابن الانبارى بيانا ومعنى ، فقال فى القول الأول : (ولكل أمة رسول) يرسله الله اليهم سفيرا بينه وبينهم ، مبشرا ومنذرا، فاذا جاءهم الرسول فى الدنيا : قضى بينهم بالقسط ، أى : حكم عليهم عند اتباعه وعناده بالمعصية والطاعة ،والضلالة والهدى، والقضاء بالقسط على هذا : وقع فى الدنيا ، على القبول من الرسل ، والسعادة باتباعهم أو تكذيب الرسل والشقاوة بعصيانهم •

وهذا[1] معنى آخر سوى ما ذكرنا من قول المفسرين ، لانهم فسروا القضاء بالقسط — فى الدنيا — بعذاب الكافرين ونجاةالمؤمنين•

وقال فى القول الثانى : ولكل امة رسول يرسل اليهم مبينا الضلالة والهدى ، ومرغبا فى ثواب الله ، ومخوفا غضب الله ، فاذا جاء رسولهم فى الآخرة شاهدا عليهم بما كان منهم فى الدنيا : قضى بينهم هناك بدخول الجنة والنار •

يدل على صحة هذا : قوله (فكيف اذا جئنا •••)[2] الآية[3] •

نتبين من هذا النص : كيف يقوم التفسير بالرأى — فى تفسير الواحدى — بدوره فى توجيه التفسير بالمأثور ، وكيف يستند فى هذا التوجيه الى الاستدلال بالمأثور نفسه ، فيستطلع النظائر القرآنية ويستنبط المعنى من معطياتها •

(١) قوله (وهذا) وما بعده (الى قوله : ونجاة للمؤمنين) تعقيب للواحدى على قول ابن الانبارى .

(٢) الآية بتكملتها (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) سورة النساء ٤١

(٣) الواحدى : البسيط ٣٤/٤ — ٣٥

ونجد الواحدى يصرح بدور مصادره من أهل الرأى وأصحاب المعانى بازاء دور المفسرين فيذكر عند تفسير قوله تعالى (قالوا أو لم ننهك عن العالمين)[4] مهام هذه المصادر اذ يقول فى تفسير البسيط :

(قال الكلبى وأكثر المفسرين : المعنى : أولم ننهك أن تضيف أحدا من العالمين ؟ قال الزجاج معناه : أو لم ننهك عن ضيافة العالمين؟

وقال المفضل[5] : أو لم ننهك أن يدخل أحد بيتك لانا نريد منهم الفاحشة ؟

والتفسير ذكره الكلبى ، وتوجيه الكلام ذكره الزجاج ، والمعنى ذكره المفضل[6])

ولا يقتصر دور التفسير بالرأى — فى تفسير الواحدى — على مجرد الشرح أو التوجيه للتفسير بالمأثور ، بل اننا نجد الرأى يتعقب المأثور وينبه على ضعفه أو بطلانه اذا ما وهنت الرواية أو صادمت اصلا اعتقاديا أو تظاهر النقل على معارضتها •

من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا[7]) فقال فى البسيط :

(•••[8] وروى ابن أبى‌مليكة عن ابن عباس

(٤) سورة الحجر/٧٠

(٥) هو المفضل بن سلمة بن عاصم اللغوى النحوى الكوفى (ت ٣٠٠ هـ) أخذ عن أبيه وعن ابن السكيت وصنف العدد من الكتب منها (ضياء القلوب) فى معانى القرآن ويقع فى نيف وعشرين جزءا انظر طبقات الداودى ٣٢٨/٢

(٦) الواحدى : البسيط ٤٥٣/٤

(٧) سورة يوسف /١١٠

(٨) ذكر الواحدى قبل نقل هذه الرواية عن ابن عباس جملة من التفاسير النقلية الصحيحة .

أنه قرأ (وظنوا أنهم قد كذبوا) يذهب الى أن الرسل ضعفوا فظنوا أنهم قد خلفوا ! قال ابن عباس : وكانوا بشرا[١] ؛

قال ابن الأنبارى : وهذا غير معمول عليه من جهتين :

احداهما : ان التفسير فيه ليس عن ابن عباس ، لكنه من تأوله عليه .

والأخرى : أن فى قوله (جاءهم نصرنا) دلالة على أن الكفار لما ظنوا مالا يجوز ظن مثله ، واستضعفوا رسل الله : نصر الله الرسل . ولو كان الظن للرسل كان ذلك منهم خطأ عظيما لا يستحقون ظفرا ولا نصرا . وتنزيه الانبياء وتطهيرهم واجب علينا اذا وجدنا الى ذلك سبيلا .

وقال ابو الحسن ـ منكرا لهذا التفسير ـ وذلك بعيد فى صفة الرسل ، يروى عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يوعد بشىء يخلف فيه[٢] وعنها أيضا قالت : معاذ الله أن تظن الرسل ذلك بربها[٣] .

قال ابو على : وان ذهب ذاهب الى أن المعنى : ظن الرسل أن الذى وعد الله أممهم على لسانهم قد كذبوا فيه فقد افترى عظيما لا يجوز ان ينسب مثله الى الأنبياء لأن الله سبحانه لا يخلف الميعاد ولا مبدل لكلماته[٤])

وهكذا يتصدى المفسرون بالرأى الى الضعيف والمردود من التفسير النقلى استنادا الى الصحيح من المأثور مع اعمال الرأى فى توجيهه وترجيح الصحيح فى ضوئه على غيره . ومن ثم نجد الواحدى يفيد من جهد أهل الرأى فى مجال توجيه التفسير بالمأثور أولا . ثم فى نقده وتمييزه الصحيح من المردود منه ثانيا مستندا ـ فى ذلك ـ الى مأثور آخر آكد منه فى الثبوت والدلالة .

ثم نجد الواحدى ـ ثالثا ـ يقف بازاء التفسير بالرأى موفقا بينه وبين التفسير بالمأثور فى مواضع كثيرة من تفسيره ، فيصنف الاراء ويوجهها ويعقد المزاوجة بين أقوال أهل الأثر وآراء أهل الرأى ثم يذكر ما يراه من تلاق وتقارب بين وجهات الاقوال ويجمعها فى اطار القبول .

ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه[٥]) ، قال فى البسيط: (فأما التفسير : فقوله (ذلك) : يجوز أن يكون بمعنى هذا عند كثير من المفسرين وأهل المعانى ، قال الفراء : وانما يجوز ذلك بمعنى هـذا لما مضى وقرب وقت تقضيه أو تقضى ذكره . فأما الموجود الحاضر فلا يقال فيه ذلك . مثاله : أنك تقول قد قدم فلان فيقول السامع : قد بلغنا ذلك ، وقد بلغنا هذا الخبر ، فصلحت فيه هذا . لأنه قرب من جوابه فصار كالحاضر الذى تشير اليه ، وصلحت ذلك لانقضائه ، والمنقضى كالغائب ، وتقول : انفقت ثلاثة وثلاثة

(١) ساق الطبرى فى تفسيره هذه الرواية عن ابى مليكة عن ابن عباس ورد تأويل الآية على اساسها جـ ١٣/ص ٨٦) .

(٢) اخرج الطبرى هذه الرواية عن عروة عن السيدة عائشة قالت : ما وعد الله محمدا صلى الله عليه وسلم من شىء الا وقد علم انه سيكون حتى مات ...) الخ الرواية انظر تفسير الطبرى ١٣/٨٧

(٣) أخرج البخارى الحديث عن عروة وفى لفظه (قالت معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربهـا ...) انظر صحيح البخارى ٦/٩٧ ط الشعب .

(٤) الواحدى : البسيط ٤/٣١٥

(٥) سورة البقرة/٢

فذلك ستة ، وان شئت قلت : فهذا ستة • وقال الله عز وجل (فحشر فنادى)[1] ثم قال (ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى[2]) وقال : (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر[3]) ثم قال (ان فى هذا لبلاغا[4]) •

وقال (محمد بن جرير : أشار بقوله (ذلك) الى ما تقدم ومضى من قوله (ألم) لأن كل ما تقضى وقرب تقضيه من الاخبار فهو فى حكم الحاضر كالرجل يحدث الرجل الحديث فيقول السامع ان ذلك لكما قلت ، وهذا والله كما قلت : فيخبر مرة عنه بمعنى الغائب اذ كان قد تقضى ومرة بالحاضر لقرب جوابه من كلامه • كأنه غير متقض ، فكذلك لما ذكر الله سبحانه (ألم) التى ذكرنا تصرفها فى وجوهها من المعانى قال : يا محمد ، هذا الذى ذكرته وبينته لك : الكتاب فحسن ذلك فى موضع هذا[5] ، [6]) •

ثم شرع الواحدى فى ذكر الرأى المقابل فقال :

(وروى عن ابن عباس أنه قال : معناه ذلك الكتاب الذى أخبرتك أنى أوحيه اليك وقال يمان بن رباب[7] : ذلك الكتاب الذى ذكرته فى التوراة والانجيل) •

ثم أدلى الواحدى بنظرة التقريب بين القولين مفرعاعنهمااختيار رأى اثنين من كبار أصحاب المعانى بمالهما من توجيه فقال :

(وهذان القولان متقاربان ، والأول اختيار ابن الانبارى ، والثانى اختيار الزجاج أما ابن الانبارى فقال : انما قال : عز ذكره — (ذلك الكتاب) فأشار به الى غائب لأنه أراد : هذه الكلمات يا محمد ذلك الكتاب الذى وعدتك أن أوحيه اليك ، لأن الله تعالى لما أنزل على نبيه عليه السلام « انا سنلقى عليك قولا ثقيلا[8] » كان عليه السلام واثقا بوعد الله اياه ، فلما انزل عليه (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه) دله على الوعد المتقدم وقال الزجاج القرآن ذلك الكتاب الذى وعدوا به على لسان موسى وعيسى ، فجعل (الم) بمعنى القرآن ، لأنه من القرآن ، فهو قرآن • والمراد بالكتاب ههنا القرآن فى قول ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك ومقاتل[9]) •

هنا نلتمس تصنيف الواحدى للاراء وتفريعها وتوجيه كل رأى ثم التقريب بين وجهة الطبرى — المؤيدة بما ذكره الفراء ، والموجهة بما ذكره ابن الانبارى — وبين وجهة الامام ابن عباس — الذى يمثل جانب المأثور — ومعه يمان بن رباب ثم نجد الزجاج يختار هذه الوجهة ويفرع القول عليها • فنلمس ثراء فى الرأى يعانق أصالة فى الأثر •

كما نجد الواحدى كثيرا ما يصنف طرق التفسير عند أهل المعانى ويوجه المعنى على

---

(١) سورة النازعات/٢٣
(٢) النازعات/٢٦
(٣) سورة الانبياء/١٠٥
(٤) الانبياء/١٠٦
(٥) يلاحظ من هذا النص وسابقه : ان الطبرى متأثر بالفراء الى حد كبير فى صياغة التعليل والتوجيه والتمثيل . وربما عنى الواحدى بارداف نص الفراء بما ذكره الطبرى تبيان هذا التأثر .
(٦) الواحدى : البسيط ٤٩/١ — ٥٠
(٧) هو اليمان بن رباب البصرى ، ترجمه البغدادى فى (هدية العارفين ٥٤٨/٢) وذكر انه كان من رؤساء الخوارج ولم يؤرخ لوفاته وذكر من مصنفاته : اثبات امامة ابى بكر الصديق ، والرد على المرجئة والرد على المعتزلة فى القدر ، وكتاب التوحيد ، وغير ذلك .
(٨) سورة المزمل/٤
(٩) الواحدى : البسيط ٤٩/١ — ٥٠

كل طريق ويبين ما يتفق منهـا مع المفسرين بالمأثور ثم لا يعقب على هذه الطرق والآراء بنقد أو ترجيح مما يفيد رضاه عنها جميعاء

من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله[1]) قال فى (البسيط) :

(وفى قوله كحب الله)طريقان لأهل المعانى، احدهما : أن المعنى فيه : كحب المؤمنين الله أى يحبون الاصنام كما يحب المؤمنون ربهم • فأضيف المصدر الى المحبوب ، كقول القائل (أكلت طعامك كأكل طعامك) و (بعث جاريتى كبيع جاريتك)) وهو يريد : كبيعك جاريتك وأكلت طعامك • فيحذف الفاعل ويضيف المصدر الى المفعول كقول الشاعر :

ولست مسلما ما دمت حيـا
على زيد كتسـليم الأمير

أراد : كتسليمى على الأمير • هذا قول الفراء •

ويوافقه قول ابن عباس ، فانه قال : يريد كحب الذين آمنوا بالله • فكثيرمن العلماء على هذه الطريقة ، فلم يثبتوا للكفار حب الله ، وجعلوا حب الله للمؤمنين ، وشبهوا حب الكفار للاصنام بحب المؤمنين لله •

الطريق الثانى : أن المعنى فيه يحبونهم كحب الله ، أى : يسوون بين هذه الأصنام وبين الله عز وجل فى الحب ، فيكون تقدير الآية : يحبونهم كحبهم الله ، فيضـاف الحب الى الله عز وجل ، والمشركون هم المحبون • وعلى المشركين فى تسويتهم بين الله عز وجل والاصنام فى المحبة أعظم الحجج وأوكدها ، اذ احبوا وعبدوا ما لا ينفع ، ولا يضر ولا يحيى ، ولا يميت • وقد بين الله — عز اسمه — ما يدل على هذا المعنى فى قوله (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله[2])

وهذا القول : اختيـار الزجاج ، وابن كيسان[3] • وعلى هذا فقد اثبت للمشركين حبا لله وشبه حبهم الأصنام بحبهم الله تعالى •

وقال ابو روق[4] : معنى قوله (كحب الله) أى : يحبون الأصنام حبا لا يستحق مثل ذلك الحب الا الله ، ويحبونهم كما ينبغى لهم أن يحبوا الله • فالمعنى فيـه : كالحب المستحق لله[5]) •

ثم نجـد الواحدى فى مواضع أخـرى — بالغة الكثرة — من تفسيره ، يعدد تفاسير أهل الرأى ، من أصـحاب المعانى وغيرهم ويفاضل بينها ويرجح ، ويرد بعضها ويوجه ، مثبتا لنفسـه قدما راسخة فى ميدان الرأى والتأويل : ومدللا على سـبره لاغوار الآراء والمامه بمحصـلات الاقوال ، ومقارنة نتاج الخلف بمأثور السلف مع تقويم هذا وذاك فى ميزان نقدى علمى دقيق • وسأطرح لذلك بعض الأمثلة المطولة التى تمكننا من استعراض طريقة أبى الحسن فى عرض مختلف الآراء ونقدها والترجيح بينها •

---

(١) سورة البقرة/١٦٥

(٢) سورة الزمر/٣

(٣) هو أبو الحسن : محمد بن احمد بن كيسان النحوى (ت : ٢٩٩ هـ) ترجمته فى طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ١٥٣

(٤) هو أحمد بن محمـد بن بكر الهزانى نسبة الى هزان ، وهو بطن من العتيـك من ربيعة أنظر اللباب ٣/٢٩٠.

(٥) الواحدى البسيط ٣٥٨/١

من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الادعاء ونداء[1]) قال فى البسيط :

(وللعلماء من أهل التأويل فى هذه الآية طريقان :

احدهما : تصحيح المعنى باضمار فى الآية والثانى : اجراء الآية على ظاهرها من غير اضمار • فأما الذين أضمروا فقد اختلفوا ، فقال الاخفش ، والزجاج ، وابن قتيبة : تقدير الآية : ومثلك يا محمد ومثل الذين كفروا فى وعظهم ودعائهم الى الله عز وجل •• فحذف احد المثلين اكتفاء بالثانى ، كقوله (سرابيل تقيكم الحر[2]) وعلى هذا التقدير : شبه الكفار بالبهائم ، وشبه داعيهم بالذى يصيح بها وهى لا تعقل شيئا •

وقال الفراء فى هذه الآية قولين : احدهما ان تقدير الآية : ومثل واعظ الذين كفروا كمثل الذى ينعق بالغنم ، فحذف كما قال (واسأل القرية[3]) أى أهلها •

والقول الثانى : أن معنى الآية : ومثل الذين كفروا فى قلة عقلهم وفهمهم عن الله عز وجل وعن رسوله كمثل المنعوق به من البهائم التى لا تفقه من الأمر والنهى غير الصوت • فيكون المعنى للمنعوق به ، والكلام خارج على الناعق • وهو جائز عند العرب ، يقلبون الكلام لاتضاح المعنى عندهم فيقولون : اعرض الحوض على الناقة ، وانما هو : اعرض الناقة على الحوض ، وأنشد :

كانت فريضة ما تقول كما
كان الزناء فريضة الرجم[4]

أراد : كما كان الرجم فريضة الزنا ، وعلى هذا حمل قوله تعالى (ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة[5]) والمعنى : ان العصبة تنوء بالمفاتح •

واعترض ابن قتيبة على هذا القول ، بأن قال : لا يجوز لاحد أن يحكم بهذا على كتاب الله ، لأن الشاعر يقلب اللفظ ، ويزيل الكلام على الغلط ، وعلى طريق الضرورة • للقافية أو لاستقامة الوزن ، والله تعالى لا يغلط ولا يضطر • هذا كلامه •

ثم ينبرى الواحدى لنقد ابن قتيبه قائلا : وقول الفراء صحيح وان انكره ابن قتيبة ، موافق لمذاهب العرب فى فنون مخاطباتها ، فانهم يفعلون الشىء للضرورة ثم يصير وجها ومذهبا لهم فى الكلام حتى يجيزوه وان لم تدع اليه ضرورة • وعلى هذا الطريق ، أراد بما لايسمع الا دعاء ونداء ، البهائم التى لاتعقل ولاتفهم ما يقول الراعى ، انما تسمع صوتا ولا تدرى ما تحته لو قال لها كلى واشربى لم تقف على معنى قوله : فالذين كفروا يسمعون كلام النبى صلى الله عليه وسلم وهم كالغنم ، اذ كانوا لا يستعملون ما يأمرهم به ولا ينتهون عما نهاهم عنه •

وهذا قول عباس ، وعكرمة ، ومجاهد وقتاده وعطاء والربيع والسدى •

---

(١) سورة البقرة /١٧١
(٢) سورة النحل /٨١
(٣) سورة (يوسف) /٨٢

(٤) البيت للنابغة الجعدي ذكره ابن منظور فى لسان العرب ١٩/٧٩
(٥) سورة القصص /٧٦

والطريق الثانى فى الآية : هو أن معناها : ومثل الكفار فى قلة فهمهم وعقلهم كمثل الرعاء يكلمون البهم والبهم لا تعقل عنهم •

وعلى هذا التفسير لاتحتاج الآية الى اضمار ، وقال عبد الرحمن بن زيد : معنى الآية : ومثل الذين كفروا فى دعائهم الأصنام وعبادتهم الاوثان كمثل الرجل الذى يصيح فى جوف الجبال فيجيبه منها صوت يقال له الصدا ، يجيبه ولا ينفعه •

وتقدير الآية على هذا القول ، ومثلهم فى عبادتهم الأصنام كمثل الناعق بشىء لايسمع منه الناعق الا دعاه ونداه ، لأن الصـــدا هو هو صوته عاد اليه ، وذلك أنه اذا قال يا زيد سمع من الصدا : يا زيد ، وليس وراء القول شىء الا أنه يخيل اليه أن مجيبا يجيبه فيقول يا زيد ، وليس فيه فائدة ، فكذلك يخيل الى هؤلاء المشركين أن دعاءهم للاصنام مستجاب ، وليس كذلك حقيقة ولا فائدة فيه ، والسمع على هذا فى قوله لا يسمع ، منفى عن الناعق لا عن المنعوق به •

قال ابن الانبارى : ويجوز على هذا القول أيضا أن يكون السمع منفيا عن المنعوق بهفيكون المعنى : كمثل الذى ينعق بما لا يسمع البتة • والدعاء والنداء ينتصبان بينعق ، (والا) توكيد ههنا معناها السقوط كقول الفرزدق :

هم القوم الا حيث سلوا سيوفهم
وضحوا بلحم من محل ومحـــرم

معناه : هم القوم حيث سلوا سيوفهم• انتهى • ثم يعقب الواحدى على قـــول ابن الانبارى ناقدا ـــ والتقدير الأول فى هذا المعنى أولى مما ذكره أبو بكر ، لأن السمع اذا كان منفيا عن المنعوق به لم يكن للجبل اختصاص بالنعيق به لأن غير الجبل من القفار والرمال والأشجار لا يسمع البتة أيضا ، وفى نفى السمع عن الناعق للجبل اختصـــاص ، لأن الصدا انما يجيب من الجبل فلهذا كان نفى السمع عن الناعق فى هذا القول أولى من نفيه عن المنعوق به ولأنه ألغى (الا) وهو شاذ قليل فى الاستعمال • ومهما امكن استعمال حرف فى معنى أولى من الغائه ـــ ثم عقب الواحـــدى بالترجيح لمـــا يراه راجحا فقال :

وجمهور أهل التأويل على ما ذكرنا أولا ، لأن المشـــهور فى كلام العـــرب ، ان النعيق صوت الراعى بالغنم ، فان حمل على غيره من الأصوات لم يكن حقيقة فيه[1]) •

فى هذا النص الحافل : نجد الواحدى يجمع مختلف آراء علماء التأويل ويصنفها الى طريقتين رئيسيتين ، ثم يفرع الآراء داخل كل طـــريقة ، فيـــورد أولا : رأى الاخفش والزجاج وابن قتيبة : ثم يورد للفراء قولين ، يتفق فى احدهما مع الرأى الأول ، وينحـــو بالآخر منحى القلب فى التعبير • ثم يسوق الواحدى اعتراض ابن قتيبـــة على ادخـــال (القلب) فى التنزيل مع ما يعرف من دواعى استخدامه فى الشعر ـــ من الضرورة والحفاظ على الوزن ـــ مما ينبغى ان ينزه القرآن عنه •

وهنا يتدخل الواحدى للرد على ابن قتيبة: بجريان أسلوب التنزيل فى ذلك مجرى المتعارف عليه فى كلام العـــرب من التفنن فى طرائق التعبير واستخدام القلب كفن كلامى بغض النظر عما قـــد تدعو اليه الضرورة الشـــعرية أودعت اليه فى أصل استعمالة •

---

(١) الواحدى : تفسير البسيط ٣٦٨/١

وبعـد ان ثبت الواحدى اطنـاب تلك الاقوال ، ذكر موافقتها للمأثور عن الامام ابن عباس وغيره من السلف • فقدم لبيان المأثور بعرض وجهات الرأى •

ثم عرض للطريقة الثـانية التى تؤول المعنى بمنأى عن الحذف والتقدير فى العبارة • وفرع من هذه الطريقة رأى ابن زيد ونفذ من خلاله الى تفريع آخر لبيان من نفى عنه السمع فى الآية ، أهو الناعق أم المنعوق به ؟ وعرض لرأى ابن الانبارى فى ذلك ثم تعقبه بالنقـد ورجح عليهنفى السمع الناعق لظاهرة المعنى واللغـة •

وأخيرا : قرر الواحدى رجحان الرأى الأول الموافق لتفسير السـلف لتوافر آراء جمهرة المؤولين عليه من جهة ، ولايثار الحقيقة فيه ــ فى حمل النعيق على صـوت الراعى بالغنم ــ على المجاز •

يتبين لنـا اذا من خلال هذا النموذج رسوخ قدم الواحدى فى ميدان الرأى والتأويل والنقد والترجيح مستجمعا نفاذ الرؤية وعمق الفكر الى وفرة الاداة وثراء المحصول •

ومثال آخر نطل فيه على الجانب النقدى عند الواحدى وترجيحه بين الأقوال وتصنيف طرق أهل الرأى فى تفسيره :

يقول ــ فى البسيط ــ عند تفسير قوله تعالى (ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها[1]) (قال المفسرون[2] : المؤمنون والملائكة يسجدون لله تعالى طوعا ، والكافر يسجد كرها بالسيف وهذا معنى قول الحسن وقتادة وابن زيد •

ونحو هذا قال الفراء : الساجدُ طوعا من أهل السموات والأرض الملائكة ومن دخـل فى الاسلام رغبة فيه ، أو ولد عليه ، ومن أكره على الاسلام فهو يَسجد كرها • ثم يعقب الواحدى على هذا التفسير ناقدا فيقول :

وهذا القدر لا يفتح معنى الآية[3] ، لأن قوله (فى السموات والأرض) : يقـع على كل من فى الأرض من البشر ، وليس جميع الكفار يسجدون كرها ، واختلفوا فى توجيه هـذا ، فذهب بعضهم الى التخصيص ، حـكى ابن الانبارى عن بعض اهل العلم قال :

الملائكة وعباد الله الصالحون يسجدون لله طوعا ، والكافرون والمنافقون يسـجدون خوف القتل وقلوبهم تنطوى على الكفر ، فعلى هذا : يراد بقوله (كرها) : من يسـجد لله كرها من خوف السيف لا جميع الكفار • من العموم الذى دخله الخصوص • وعليـه دل كلام الفراء ، لأنه قال : ومن أكره على الاسلام فهو يسجد كرها •

ومن المفسرين من ذهب الى أن الـكره أيضا من صفة المؤمنين ، يسـجد لله طـوعا بسهولة ونشاط ، ومن المسلمين من يسجد لله كرها لصعوبة ذلك عليه ، واكراهه نفسه على أدائه وهو فى ذلك مسلم يحمل نفسـه على الطاعة ، ويجذبها الى الحق وهو يقبل عليها •

---

(١) سورة الرعد/١٥
(٢) انظـر تفسـير الطبـرى ١٣/١٣١ ط الحلبى •

(٣) لم يكتف الواحـدى بهذا القـدر من التفسير مع أن كثيرا من المفسرين اقتصروا عليه وعلى راسهم الطبرى ــ فى تفسيره ــ وهـذا يؤكد تفوق الواحدىوثراء حظه فى ميدانالتاويل.

وقال آخرون : يسجد المخلصون لله طوعا ، وبعض المسلمين كرها فى ابتداء أمره الى أن يألف الحق •

فعلى هذا : لا مدخل للكافرين فى الآية • هذا الذى ذكرنا : طريقة التخصيص اما بالمسلمين وبعض الكفار ، واما بالمسلمين فقط •

ومن المفسرين من أجراها على العموم فقال : المعنى على ما ذكره المفسرون أن السجود واجب لله تعالى • فالمؤمن يفعله طوعا ، والكافر يؤخذ بالسجود كرها أى : هكذا الحكم فى وجوب السجود لله جل وعز — فعلى هذا : قوله (يسجد) المراد به الأخبار عمن يسجد طوعا وأمر بالاكراه على السجود فى حكم الكافر ، كأنه قال : يؤخذون بالسجود كرها ويكرهون عليه — وعلق الواحدى على هذا القول بقوله[1] :مستبعد من حيث اللفظ :

ولأصحاب المعانى فى الآية طريقة أخرى، وهو[2] أنهم قالوا : سجود الكافر هو تذلله وانقياده لتصريف الله تعالى اياه فيما يريد من عافية الى مرض ، وغنى الى فقر ، وحياة الى موت ، ومعنى السجود : الخضوع والتذلل والانقياد ، والكافر لا يمتنع من هذا فهو حكم الساجد من هذا الوجه ، أى : المسخر ، المنقاد ، المذلل ، كما يقول فى سجود الجماد • ونظير هذه الآية : قوله تعالى (بل له ما فى السموات والأرض كل له قانتون)[3] وقوله : (•• وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها)[4] ومضى الكلام فى الآيتين[5]،[6] »

وهكذا نتبين مبلغ عناية الواحدى بعرض طرق التأويل وتصنيفها ونقدها حتى يصل بالبحث الى السوى من الآراء •

جوانب من اضافة الواحدى للتفسير بالرأى :

وبعد أن ثبتت لنا تلك الذاتية العلمية التى تجسدت فى مواقف الواحدى من التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى نتساءل : هل توقفت اضافة الواحدى للتفسير عند هذا الحد ؟ أعنى : هل اكتفى الواحدى بمجرد النقل والنقد والتوجيه والترجيح فى تفسيره ؟

كلا • وما كان للواحدى — وهو المتنسك فى محراب التفسير — أن يتوقف بجهده عند هذا الحد ؟ فلقد امتدت اضافة الواحدى للتفسير الى العديد من الجوانب ، يمكن رصد أبرزها فيما يلى :

أولا : اضافته وجوها وآراء جديدة فى التفسير:

فنجد الواحدى فى مواضع كثيرة من تفسيره ، بعد أن يورد المأثور فى تفسير النص القرآنى ويقفيه بآراء أهل التأويل والرأى

---

(١) جملة اعتراضية تفسيرية من قول الباحث ، وكلام الواحدى متصل .

(٢) عبر بضمير المذكر مع أن مرجعه مؤنث ، باعتبار معنى الطريقة على تأويلها بالوجه أو الطريق .

(٣) سورة البقرة/١١٦

(٤) سورة (آل عمران) /٨٣

(٥) ساق الواحدى عند تفسير الآية الأولى (بل له ما فى السموات والأرض كل له قانتون) جملة من الاقوال فى تفسيره البسيط (٢٨٩/١) منها قول الزجاج « كل ما خلق الله فى السموات والأرض منه أثر الصنعة فهو قانت لله ودليل على أنه مخلوق ، والمعنى : كل له قانت اما مقر بأنه خالقه ، لأن اكثر من يخالفليس يدفع أنهمخلوق. وما كان من الجمادات فأثر الخلق فيه بين ، فهو على العموم .

(٦) الواحدى : البسيط ٣٤١/٤ — ٣٤٢

يقف وقفة تأمل وكأنما ينقب عن ضالة منشودة وكنز ثمين • وسرعان ما يستل من أعماق فكره اضافة جديدة ورأيا بكرا يثبت به اصالته العلمية ، ويترك به بصمات لا تمحى من سجل التأويل ، وقد نجده فى بعض المواضع يطرح — بعد عرض التفاسير والآراء — سؤالا جديدا لم ترد اجابته فيما تقدم من أقوال ثم يدلى بالاجابة فيسد بها ثغرة علمية كانت قائمة ، وقد يطرح للسؤال الواحدى أكثر من اجابة ويورد للجواب أكثر من وجه وكلها فيها مقنع وبلاغ ، وبالمثال يتضح المقال •

من ذلك القبيل ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : (قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون [1]) قال فى تفسيره (البسيط) معقبا على ما أورده من أقوال فى تفسير الآية الكريمة :

(وقد يبقى فى هذه الآية سؤال لم يجد أحدا ممن تكلم فى تفسير القرآن ولا فى معانيه تعرض له ، وهومن مهام مايسأل عنه ، وذلك أن يقال :

من أين علمت الملائكة لما أخبرها آدم — عليه السلام — بتلك الأسماء صحة قوله ، ومطابقة الأسماء للمسميات وهى لم تكن عالمة بذلك من قبل ؟ اذ لو كانت عالمة لأخبرت بالأسماء ولم تعترف بفقد العلم • والكلام يقتضى أنهم لما أنبأهم آدم بالأسماء علموا صحتها ، ومطابقتها للمسميات ، ولولا ذلك لم يكن لقوله (ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض) معنى !

والجواب : أنه غير ممتنع أن تكون الملائكة — فى الأول — غير عارفين بتلك الأسماء ، فلما أنبأهم آدم — عليه السلام — بها : خلق الله تعالى لهم فى الحال العلم الضرورى بصحتها ومطابقتها للمسميات ، اما من طريق ، أو ابتداء بلا طريق ، فعلموا بذلك تمييزه واختصاصه •

ووجه آخر : وهو أنه لا يمتنع أن تكون للملائكة لغات مختلفة ، فكل قبيل منهم يعرف أسماء الأجناس فى لغته دون لغة غيرها • فلما أراد الله التنبيه على فضيلة آدم : علمه تلك الأسماء ، فلما أخبرهم بها : علم كل فريق منهم مطابقة ما أخبر به من الأسماء للغته : وعلم مطابقة ذلك لباقى اللغات بخبر كل فريق ، واذا أخبر كل فريق صاحبه علم بذلك من لغة غيره ما علمه من لغته • وهذا الجواب يقتضى أن يكون معنى قوله (أنبئونى بأسماء هؤلاء) أى ليخبرنى كل قبيل منكم بجميع الأسماء[2]•

وهكذا تطرق الواحدى الى نقطة فى التأويل لم يسبق اليها وأضاف فيها جديدا رصده المفسرون ودخل فى نتاجهم من بعده[3] •

وعلى حين نجده هنا يضيف جديده ابتداء فاننا نلقاه فى موضع آخر يدلى برأيه الخاص تعقيبا على أقوال سبقت ولكنه لم يقنع بها أضاف ما عنده من رأى ووجهه بما يراه •

من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (•• ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله ••)[4] قال فى البسيط :

---

(1) سورة البقرة/٣٣

(2) الواحدى : البسيط ١/١٢٧ — ١٢٨

(3) أورد الامام فخر الدين الرازى هذا السؤال الذى طرحه الواحدى وأجاب عنه ، وأثبت اجابته فى تفسيره الكبير (مفاتيح الغيب) ١/٢٥٩ ط : محمد عبد اللطيف .

(4) سورة البقرة/٢٨٢

(قوله تعالى « ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا » : أى : لا تملوا أن تكتبوا ما شهدتم عليه ، فقد أمروا بهذا ، فهذا مؤكد أن أمر الشهادة فى الابتداء واجب ، وأنه لا ينبغى أن تملوا ، والسآمة ، والملال والضجر ، يقال سئمت الشىء أسأمه سأما وسامة ، يقول: لا يمنعكم الضجر والملالة أن تكتبوا ما شهدتم عليه من الحق صغر أو كبر ، قل أو كثر ، و (أن) مع الفعل : مصدر فى محل النصب بوقوع السآمة عليه ، والهاء فى (تكتبوه) يعود على الحق ، وكذلك الهاء فى الأجل • هذا ما قيل فى تفسير هذه الآية •

وأظهر من هذا :

أن تجعل قوله (ولا تسأموا أن تكتبوه): خطابا لأولياء الحق ، يقول : لا تملوا أن تكتبوا حقوقكم التى دفعتموها الى الناس ، دقت أو جلت ، وتذكروا فى الكتاب أجلها ومحلها •

ويؤكد هذا الوجه : أن الآية من ابتدائها خطاب لا رباب الأموال والديون)[1] ان الواحدى لا يدلى برأيه الا ومعه الحجة والبينة ، وأعظم الحجج عندما يوحيه اليه التنزيل نفسه من معان ومعطيات تشير الى ما خفى من دلالات ، فآيات التنزيل بينات مبينات • والواحدى دائم الترداد فى جو السياق القرآنى وكثيرا ما يجد فيه خير عون على فهم النص وتوجيهه •

ثانيا ـ عنايته بالتحليل والتعليل والتمحيص :

للواحدى رؤيته الخاصة التى يقف بها تجاه النص القرآنى ، وازاء الأقوال والآراء المفسرة له ، وكثيرا ما رأينا ـ فيما مر بنا من أمثلة ـ كيف وقف الواحدى من المفسرين موقف الموجه لآرائهم والممحص لها والمرجح بينها •

ولكنه بعد ذلك له وقفات ومواقف أخرى يقف فيها موقف المتسائل والمجيب على طريقة : (فان قيل •• قيل) ومن خلال تلك المواقف تتجلى قدرة الواحدى على التحليل والاستنباط فتظهر فى تفسيره فوائد واشارات تنم عن عمق ودراية بالتأويل • من ذلك مثلا : عند تفسير قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم)[2] يقول فى البسيط : (ويقال : ما معنى سؤال المسلمين الهداية فى قولهم (اهدنا) وهم مهتدون ؟ والجواب عنه من وجوه :

احدهما : أنه قد تعرض للعارف شبه ينتقل بها الى الجهل ، فيحسن أن يسأل اللطيفة التى يتمسك معها بالمعرفة ، ولا ينتقل الى الجهالة •

والثانى : أنهم لما كانوا لا يعلمون ما يكون منهم فى المستأنف : حسن أن يسألوا الهداية على جهة التثبيت لما هم عليه من الحق •

وقد تستعمل الهداية لا من الضلالة كما قال الحطيئة لعمر رضى الله عنه :

فلا تعجلنى هداك المليك
فان لكل مقام مقالا

---

(١) الواحدى : البسيط ٥٩٤/١
(٢) سورة الفاتحة ٦/

لم يرد : من ضلالتك : لأنه لو أراد ذلك كان قد هجا ، ولكنه على معنى التوفيق أو التثبيت . وقال بعض أصحابنا : يجوز أن يحمل على سؤال الهداية ابتداء فيما يستقبل لأن الهداية عرض لا يبقى ، فهو يسأل أن يخلق له مثلها .

وقال بعضهم : هذا سؤال واستنجاز لما وعدوا به فى قوله (يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام)[1]،[2] .

ونجده أيضا عند تفسير قوله تعالى : (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى)[3] يقول فى البسيط : (فان قيل : ما معنى ضرب القتيل ببعض البقرة والله قادر على احيائه بغير ذلك ؟

والجواب : أن فى ذلك تأكيدا على أنه ليس على جهة المخرقة[4] والحيلة ، وعلى جهة الكهانة والسحر ، اذ جعل الأمر فى احيائه اليهم ، وجعل ذلك عند الضرب بموات لا أشكال فى أنه علامة لهم وآية للوقت الذى يحيى فيه عندما يكون منهم . فبان أنه من فعل الله عز وجل)[5] .

وقد يورد الواحدى التساؤل ويجيب عنه بأكثر من جواب ، ويبرز فى تعليله لسر التعبير المتساءل عنه أكثر من وجه ، وكلها نواطق .

(١) سورة المائدة/١٦

(٢) الواحدى : البسيط ٣٢/١

(٣) سورة البقرة ٧٣

(٤) يقول الراغب فى مفرداته (... ومن الخرق استعيرت المخرقة ، وهو اظهار الخرق توصلا الى حيلة ....) مادة (خرق) ص ١٤٦ ط : الحلبى سنة ١٣٨١ هـ .

(٥) الواحدى : البسيط ٢٢٢/١

من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ، ولبئسما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون)[6] قال فى البسيط :

(.. ان قيل : كيف نفى العلم عنهم ، وقد أثبت العلم لهم فى قوله (ولقد علموا) ؟ قيل : وصفهم بالعلم فى قوله (ولقد علموا) على المجاز لا على الحقيقة ، كأنه قال : علموا هذا علما ظاهرا ولم يعلموا كنه ما يصير اليه من يخسر الآخرة من العقاب ، لذلك قال (لو كانوا يعلمون) .

وقيل : ان الله تعالى وصفهم بالعلم ، ثم نفاه عنهم،لانهم لم يعملوا بما علموا،فكانوا بمنزلة من لم يعلم ، كما تقول : صليت ولم تصل ، وتكلمت ولم تتكلم ، أى : لم تجود كلامك فكنت بمنزلة من لم يتكلم .

وقيل : انما وصفهم بوصفين مختلفين ، لأنهم علموا أن الآخرة يخسرها من آثر السحر، ثم دخلوا فيه وآثروه طمعا فى عوض يصير اليهم من الدنيا فقال الله عز وجل : (ولبئسما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) : ان الذين قصدوه وآثروه لا يتم لهم من جهته ما يؤملون، لأن الدنيا تنقطع عنهم بالموت ، ثم يقدمون على الآخرة التى لاحظ لهم فيها)[7] .

ومن الملاحظ جليا أن المتساءل عنه بهذا الأسلوب فى تفسير الواحدى انما هى دقائق أسرار التعبير القرآنى ، ولطائف مدلولاته . ومن ثم فقد تضرب تلك التساؤلات بجذورها فى أعماق البحث اللغوى أو البلاغى أو النحوى

(٦) سورة البقرة/١٠٢

(٧) الواحدى : البسيط ٢٧٣/١

أو نحو ذلك • ثم تخرج الاجابة كاشفة عن غور بعيد وسر دقيق لم يكن من السهل ادراكه بمقتضى التفسير التقليدى • وما ذاك فى رأيى الا لأن هذه التساؤلات تأتى متحررة من النمط التقليدى ، فهى غير مقيدة بنسق يربطها سوى الربط الموضعى بأن تأتى عقب النص الذى هو محور التساؤل ثم هى بعد ذلك لها الاطلاق فى تناول هذا النص من أى الزوايا ومختلف الجوانب • وهذا الاطلاق يعطيها بدوره طابع المفاجأة •

والطابع الأغلب الأعم : فيها أن ترد استفسارا عن التعليلات ، وعن الدلالات غير المباشرة التى يوحى بها النص القرآنى ، والتى يكسب التعرف عليها جلاء فى المعنى وازالة لما قد يعلق بظاهر التعبير من لبس أو غموض • ولننظر الى الواحدى وهو يطرح السؤال وجوابه عند تفسير قوله تعالى (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط ••)[1] يقول فى البسيط :

(فان قيل : لم أفرد المؤمنين بالقسط دون غيرهم ، وهو يجزى الكافر أيضا بالقسط ؟ قال ابن الانبارى : لو جمع الله الصنفين بالقسط : لم يتبين ما يقع بالكافرين من العذاب الأليم ، ففصلهم من المؤمنين : ليبين ما يجزيهم به مما هو عدل غير جور ، فلهذا خص المؤمنين بالقسط، وأفرد الكافرين بخبر يرجع الى تأويله بزيادة فى الابانة والفائدة)[2] ، ونجد الواحدى فى بعض المواضع من تفسيره يطرح بعض الاجابات أو التعليلات ابتداء دون ايراد صيغة الاستفهام من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : (فأثابهم الله بما قالوا جنات)[3] قال فى تفسيره الوسيط •

(انما علق الثواب لمجرد القول : لأنه سبق من وصفهم ما يدل على اخلاصهم فيما قالوا ، وهو المعرفة فى قوله « مما عرفوا من الحق »[4] والبكاء المؤذن بحقيقة الاخلاص واستكانة القلب ومعرفته اذا اقترن به القول فهو الايمان الحقيقى الموعود عليه الثواب •

وقال ابن عباس فى قوله (بما قالوا).: يعنى بما سألوا من قولهم (فاكتبنا مع الشاهدين) وقولهم (ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين)[5] •

وهذا يدل على أن مسألتهم الجنة ، وعلى هذا التفسير : القول معناه المسألة[6] ، لقد أوضح الواحدى سر تعليق الاثابة بالقول حسبما يفيده ظاهر الآية ، فبين أن مناط الثواب لم يكن مجرد القول وان أشعر به ظاهر اللفظ ، وانما هو القول بانضمام ما سبق من وصفهم من معرفة الحق وبكائهم عند سماع ما أنزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم مما يؤذن بتحققهم بالاخلاص وخشوع القلب• فالقول اذا ليس مجردا وانما هو مقترن بمظاهر الايمان ودلائل تحققهم به • وفى هذا التوجيه نلمس تحليل الواحدى لحالتهم الملابسة للقول فى ضوء السياق ثم نجد الواحدى يسلك مسلكا آخر فى توجيه تعليق الاثابة بالقول ، وهو تأويل القول — بالمأثور عن الامام ابن عباس رضى الله عنهما — بما سألوه بعد ايمانهم من أن يكتبوا مع الشاهدين ، من منطلق أن

---

(١) سورة يونس/٤
(٢) الواحدى : البسيط ٤/٥
(٣) سورة المائدة/٨٥
(٤) سورة المائدة : ٨٣
(٥) سورة المائدة/٨٤
(٦) الواحدى : الوسيط /١٩٤

الدعاء المترتب على الايمان هو مخ العبادة الموجبة للثواب •

ثالثا : عنايته بذكر المناسبات بين الآيات :

وهذا مجال ثالث يتجلى فيه بصر الواحدى بالتنزيل ، واعماله الرأى فى استنباط مادق من خفيات الوشائج بين الآيات القرآنية لاظهار تآلفها وتلاؤم أجزائها ، وأخذ بعضها بحجز بعض •

ولا شك فى اعتبار هذا النوع من قبيل الرأى والاجتهاد فى فهم التنزيل ، لأن مبناه على اعمال العقل والبحث فى الاطار المعنوى الجامع بين الآيتين لاستخلاص ما يربطهما من مناسبة جلية ، أو خفية من ثم فقد نوه العلماء بشأن هذا العلم وأهميته واحتفوا بقدره ومنزلته ، وقد نص الامامان السيوطى والزركشى عليه كنوع من علوم القرآن الكريم• فقال الزركشى فى التعريف به :

(وأعلم أن المناسبة علم شريف تحرز به العقول ، ويعرف به قدر القائل فيما يقول)[١] وقال الامام السيوطى :

(وعلم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته ، وممن أكثر فيه : الامام فخر الدين وقال فى تفسيره : أكثر لطائف القرآن مودعة فى الترتيبات والروابط)[٢] •

وقد فتح الكشف عن المناسبات والروابط أمام المفسرين بابا من أبواب اعجاز القرآن الكريم يضاف الى ما وقف عليه العلماء من وجوه الاعجاز • وقد صرح الامام الرازى بذلك ــ فيما نقله عنه صاحب الاتقان ــ اذ قال فى تفسير سورة البقرة :

ومن تأمل فى لطائف نظم هذه السورة ، وفى بدائع ترتيبها : علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه ، وشرف معانيه ، فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته ، ولعل الذين قالوا أنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا لذلك ، الا أنى رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأسرار ، وليس الأمر فى هذا الباب الا كما قيل :

والنجم تستصغر الأبصار صورته
والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر[٣]

والواحدى يعد من أوائل من عنى بذكر المناسبات من المفسرين ، لأن صاحب (البرهان) ذكر أن أول من أظهر ببغداد علم المناسبة هو الشيخ الامام أبو بكر النيسابورى[٤] ونقل الزركشى عن أبى الحسن الشهرابانى قوله ــ وهو يعزو السبق فى علم المناسبة للنيسابورى ــ (ولم نكن سمعناه من غيره)[٥] وكان أبو بكر النيسابورى معدودا فى الفقهاء والحفاظ أكثر منه فى المفسرين وهو من رجال القرن الرابع ، فجاء الواحدى المفسر فى أوائل القرن الخامس وذكر المناسبات وعنى بها فى

---

(١) الزركشى : البرهان/١/٣٥
(٢) السيوطى : الاتقان/٣/٢٢٢

(٣) السيوطى : الاتقان ٣/٢٢٣
(٤) هو أبو بكر عبد الله محمد بن زياد بن واصل النيسابورى الفقيه الشافعى الحافظ رحل فى طلب العلم الى العراق والشام ومصر ، سمع الحديث من الذهلى وقرأ على المزنى ثم سكن بغداد وصار امام الشافعية بالعراق ، توفى سنة ٣٢٤ هـ انظر فى ترجمته : شذرات الذهب ٢/٣٠٢
(٥) الزركشى : البرهان ١/٣٦

مواضع كثيرة من تفسيره مبرزا قدرته على الغوص فى المعانى واقدامه على ما أجفل عنه جل المفسرين •

وقد عرض الواحدى فى تفسيره لأنواع شتى من المناسبات ، تتفاوت فى الظهور والخفاء • فنجده مثلا : يذكر المناسبة بين الآيتين الكريمتين : (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون • ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة)[1] فقال فى تفسيره البسيط — بعد أن ذكر تفسير الآية الأولى — رابطا بينهما : (ثم ذكر سبب تركهم الايمان فقال (ختم الله على قلوبهم ••) الآية[2] فصرح بأن المناسبة بين الآيتين : هى السببية ، حيث كان الختم على قلوبهم سببا فى عدم ايمانهم •

ونجده أيضا يذكر المناسبة بين الآيتين الكريمتين (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون • أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لايؤمنون)[3] فيقول عند تفسير الآية الثانية :

واتصال هذه الآية بما قبلها : من حيث أنهم كفروا بنقض العهد كما كفروا بالآيات)[4] فقد أظهر أن المناسبة هنا انما هى التنظير بين كفرهم بنقض العهد وكفرهم بالآيات• وتتجلى مقدرة الواحدى فى عرض المناسبة بين الآيات فى بعض المواضع فى ثنايا تفسيره دون أن ينص صراحة على ايراد العلاقة أو المناسبة فى ثوبها التقليدى كأن يقول (ومناسبة هذه الآية لما قبلها كذا ••) وانما نجده فى بعض الأحيان يشرب معنى الآية السابقة للآية اللاحقة وينسج على منوال فكره خيوط المعانى فيبدو الربط بينهما متسقا منتظما بمجرد عرض المعنى تلقائيا •

من هذا القبيل تجسيده للعلاقة بين الآيتين الكريمتين (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير • ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ••)[5] يقول فى تفسير الآية الثانية :

(ومعنى الآية : أنه يملك السموات والأرض ومن فيهن ، وهو أعلم بوجه الصلاح فيما يتعبدهم به من ناسخ ومنسوخ)[6] •

لقد أبرز فى هذا التعبير الوجيز البليغ سبكه للمعانى ، فبين تقديم الآية الثانية للدليل والبرهان على مدلول الآية الأولى ، فالنسخ والتبديل جائزان لمن يقدر على كل شىء ، لأنه يملك خلقه وهو أعلم بصلاح ما ملك •

ونجد الواحدى فى بعض المواضع يذكر أكثر من مناسبة بين الآية وما قبلها ، فيقول عند تفسير قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا ••)[7] الآية :

(قال أهل المعانى : التشبيه فى قوله : (وكذلك) يرجع الى ذكر الانبياء الذين أنعم الله عليهم ، وهم ابراهيم وأولاده ، فلما ذكرهم وذكر النعمة عليهم بالكتاب المنزل والحنيفية

---

(١) سورة البقرة / الآيتان : ٦ ، ٧
(٢) الواحدى : البسيط ١/٦٨ — ٦٩
(٣) سورة البقرة الآيتان : ٩٩ — ١٠٠
(٤) الواحدى : البسيط ١/٢٦٢ — ٢٦٣
(٥) سورة البقرة الآيتان : ١٠٦ — ١٠٧
(٦) الواحدى : البسيط ١/٢٧٩ — ٢٨٠
(٧) سورة البقرة/ ١٤٣

المستقيمة[1] ، قال (وكذلك) أى : وكما جعلناكم أمة وسطا •

اخترنا ابراهيم وذريته واصطفيناهم كذلك

وقيل : هذه الآية تتصل بما قبلها من قوله (يهدى من يشاء الى صراط مستقيم[2]) أى : هديناكم وخصصناكم دونهم بالصراط المستقيم، وتحويل قبلتكم الى قبلة ابراهيم ، وكذلك انعمت عليكم نعمة أخرى ، فقال : انا جعلناكم عدولا[3]) •

وهكذا يجسد الواحدى علاقة التنظير بين الآية وما قبلها فى صورتين وقف عليهما من خلال ابراز طرفى التشبيه فى الآية الكريمة وما سبقها •

كذلك يبرز الواحدى نوعا آخر من المناسبات وهو يربط بين قوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا[4]) الآ ية ، وبين الآية السابقة وهى قوله تعالى : (ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس[5]) الآية • فيقول فى تفسيره البسيط :

(لما ذكر الله تعالى الدلالة على وحدانيته : أعلم أن قوما بعد هذه الدلالة والبيان يتخذون الانداد مع علمهم أنهم لا يأتون بشىء مما ذكر[6]) •

(١) يشير الى ذكر ذلك فى قوله تعالى : (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط) الخ الآية رقم ١٣٦ من سورة البقرة .
(٢) الآية ١٤٢ من سورة البقرة .
(٣) الواحدى : البسيط ٣٢٤/١
(٤) سورة البقرة/١٦٥
(٥) سورة البقرة/١٦٤
(٦) الواحدى : البسيط ٣٥٧/١

فبين أن العلاقة بين الآيتين هى المضادة بين مسلك الكفار فى الضلال واتخاذ الأنداد وبين مقتضى الدلالة على الوحدانية كما نطقت بها الآية الأولى •

ونجد الواحدى يوجه — فى ذكر المناسبة — تعلق الآية اللاحقة بالآية السابقة ويفرع المناسبة عن هذا التوجيه ، فيقول عند تفسير الآية الكريمة (فى الدنيا والآخرة ويسألونك عن اليتامى[7]) رابطا بينها وبين سابقتها (يسألونك عن الخمر والميسر) الى قوله تعالى (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون[8]) • ه

قوله تعالى (فى الدنيا والاخرة) الآية : أول هذه الآية موصول بما قبلها فيجوز أن يكون من صلة التفكر ، قال أكثر المفسرين : معناه : هكذا يبين الله لكم الآيات فى أمر الدنيا والآخرة ، لعلكم تتفكرون فى زوال الدنيا وفنائها فتزهدوا فيها ، وفى اقبال الآخرة وبقائها فترغبوا فيها •

ويجوز ان يكون (فى الدنيا والآخرة) من صلة التبيين ، أى : يبين لكم الآيات فى أمر الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون)[9] •

ان تعلق الآية الثانية بالأولى هنا ظاهر الوضوح ، لأنها متممة لها ، بيد أن فن الربط يتمثل ههنا فى تحديد مبتدأ الخيط المعنوى الواصل بينهما وتوجيه المعنى على أساسه وهى مهمة المفسر وقد يقتضى الربط بين الآيتين واظهار المناسبة بينهما تقدير محذوف يبرز

(٧) سورة البقرة/ ٢٢٠
(٨) سورة البقرة/ ٢١٩
(٩) الواحدى : البسيط ٤٦٨/١

اتصالهما • وقد عرض الواحدى لهذا النوع من الربط فذكر المناسبة بين قوله تعالى (ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين[1]) وبين قوله تعالى (فهزموهم باذن الله[2]) الآية • قال فى البسيط عند تفسير الآية الثانية (هذه الآية تتصل بما قبلها بتقدير محذوف يتقدمها ويتصل بها ، كأنه قيل: فأنزل الله عليهم صبرا ونصرا فهزموهم باذن الله)[3]

ومن هذا القبيل ما ذكره من مناسبة بين قوله تعالى (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) وبين قوله تعالى — بعدها — (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين[4]) قال فى البسيط مفسرا للآية الثانية :

(قال ابن الانبارى : وجه اتصال هذه الآية بما قبلها : ان قريشا واليهود سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف واخوته — متعنتين — فشرحها شرحا شافيا وهو يؤمل أن يكون سببا لايمانهم ، فخالفوا ظنه ، وحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك ، فعزاه الله بقوله (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) ، أى : لا يدخل فى الايمان كل من يكشف له دلائل الحق وتقام عنده أعلام الصدق حتى يشاء الله ذلك[5])•

ثم يربط الواحدى بين هذه الآية (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وبين تاليتها (وما تسألهم عليه من أجر ان هو الا ذكر للعالمين) ويبين نوع المناسبة بينهما قائلا (وهذه الآية — أى الثانية — تأكيد للاولى ، لأنه لما ذكر فى الأولى أنه لا يؤمن الا من شاء الله وان حرص النبى على ذلك : ذكر فى هذه الثانية أنه ازاح العلة فى التكذيب برفع الاجر ، وانزل القرآن بذكره ووعظه ، غير أنه مع هذا كله لا يؤمن الا من يهديه الله وأراد ايمانه[6])•

وهكذا نقف على انماط ونماذج تصور لنا عناية الواحدى فى مجال ذكر المناسبات •

المبحث السادس : الأسس المنهجية لتفسيره بالرأى وترجيحه بين الآراء :

اعتمد الواحدى فى منهجه فى التأويل والترجيح — على جملة من الأسس والركائز ، كانت بمثابة قوانين علمية ، يحتكم اليها ، ويبنى عليها مواقفه فى تفسيره • ويتمثل أهمها فيما يلى :

أولا — التفرقة بين التفسير والتأويل والمعنى :

فنجد الواحدى يغاير بين مدلولات هذه المصطلحات ويفرق بينها فى تفسيره ، وعلى أساس ذلك نجده يفاضل بين الأقوال والآراء ، ويرد بعضها ، ويرجح بعضا على آخر فى ضوء تلك التفرقة • ولنوطىء لذلك ببيان الفرق بين التفسير والتأويل — أولا — عند الواحدى:

نقل صاحب (عمدة القوى والضعيف) عن الواحدى بحثا علميا مطولا فى بيان معنى التفسير والتأويل عرض فيه للجانب اللغوى

---

(١) الآية / ٢٥٠ من سورة البقرة .
(٢) الآية / ٢٥١ من سورة البقرة .
(٣) الواحدى : البسيط ٥٣٣/١ وانظر الوسيط ص : ٨٦ من مخطوطة أحمد الثالث .
(٤) سورة يوسف / ١٠٣
(٥) الواحدى : البسيط ٣٠٨/٤
(٦) الواحدى : البسيط ٣٠٩/٤

والاشتقاقى ثم الاصطلاحى ثم تناول الفرق بينهما قائلا :

(وأما الفرق بينهما من جهة المعنى ، فقالت العلماء : التفسير علم نزول الآية ، وشأنها ، وقصتها ، والاسباب التى نزلت فيها • فهذا وأشباهه محظور على الناس ، لا يصلح القول فيه الا بالسماع •

واما التأويل : فالأمر فيه أسهل ، لأنه صرف الآية الى معنى آخر يحتمله ، وليس بمحظور على العلماء استنباطه ، والقول فيه ، بعد ان يكون موافقا للكتاب والسنة • والله أعلم • هذا آخر كلامه)[1] •

واما المعنى : فهو ما يؤخذ من ظاهر اللفظ ولو على سبيل المجاز دون سبر لأغوار (الحقيقة اللغوية ، ودون ارتباط عضوى بسياق الآية ، والواحدى ينظر الى المدلول اللغوى • باعتباره الاطار الخارجى الذى تدور فى داخله انعطافات التأويل ، ومن ثم : فقد يتلاقى المعنى مع التفسير أو التأويل وقد ينفرد عنهما ، وفى هذه الحالة نجد الواحدى يقف فى صف القول الذى يمثل التفسير أو التأويل ويرجحه على ما يراه من قبيل المعنى ، وقد تعددت للواحدى مواقف من هذا القبيل فى أنحاء شتى من تفسيره •

من ذلك مثلا : ما ذكره — فى تفسيره البسيط — عند تفسير قوله تعالى (لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون[2]) قال :

(وقوله « ولهم ما يدعون » قال ابو عبيدة : ما يتمنون ، تقول العرب : ادع على ما شئت أى : تمن ، ونحو هذا قال ابن قتيبة ، والزجاج قال : هو مأخوذ من الدعاء ، المعنى : كل ما يدعونه أهل الجنة يأتيهم)[3] •

قال ابن عباس : يريد ما يتمنون ، وما يشتهون[4]) ، وهو قول مقاتل • قال الكلبى : يسألون من التحف — ثم يضيف الواحدى ناقدا ومرجحا —

والتمنى والسؤال : معنى وليس بتفسير • وحقيقة تفسيره : ما ذكره الزجاج ، أى : ما يدعونه أهل الجنة فهو لهم ، لأن الادعاء افتعال من الدعاء، فيدعون بمعنى يدعون)[5]،[6] ونجده كذلك عند تفسير قوله تعالى (واذكر عبدنا داود ذا الايد انه أواب)[7] يقول : (وقوله « أنه أواب » : قال ابن عباس : راجع عن كل ما يكره الله الى ما يحب • وقال

---

(١) الحضرمى : عمدة القوى والضعيف ص : ٢ مخطوطة بدار الكتب .
(٢) سورة يس/٥٧

(٣) يقف تفسير الزجاج هنا مع الحقيقة اللغوية للدعاء — ولذا يرجحه الواحدى فيما بعد — ويمتاز عن تفسير ابى عبيده بمطابقته للواقع، فالتمنى طلب الشىء البعيد ، وفى الجنة يجد أهلها كل ما يطلبونه قريبا لانها دار الكرامة . من ثم فهذا التفسير اقرب لافادة تكريم أهل الجنة .

(٤) لعل مراد الامام ابن عباس : ماكانوا يتمنونه فى الدنيا باعتبار الماضى والاشتهاء باعتبار الحاضر .

(٥) ظاهر ابو السعود فى تفسيره الواحدى فى ترجيح هذا الرأى فقال — بعد سرد جملة من الاقوال — (... وقال الزجاج : هو من الدعاء ، اى : ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم ، فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل ، والارتحال بمعنى الرحلة ، ويعضده القراءة بالتخفيف كما ذكره الكواشى) . انظر ارشاد العقل السليم لابى السعود ٢٥٨/٤
(٦) الواحدى : البسيط ١٣٧/٧ — ١٣٨
(٧) سورة ص /١٧

مجاهد : راجع عن الذنوب • وقال الكلبى : مقبل الى طاعة الله •

وقال قتاده ومقاتل : مطيع • وهذا معنى ، والتفسير ما قاله ابن عباس ، ومجاهد)[1] •

ان الواحدى — كما يبدو من موقفه فى المثالين السابقين — يرى أن التفسير هو ما يستصحب فيه كل معطيات اللغة ولا يكتفى فيه بأخذ بعض هذه المعطيات وتجاهل البعض الآخر ، فرجح فى المثال الأسبق تفسيرالزجاج لأخذه بحقائق اللغة ، وفى المثال الثانى نجده ، يرجح تفسير ابن عباس ويرى أنه التفسير ، لتصريحه بالطرفين : المرجوع عنه والمرجوع اليه ، بينما اكتفى كل من الكلبى وقتاده ومقاتل بالطرف الثانى : المرجوع اليه بالطاعة فقال الكلبى مقبل الى طاعة الله فى حين نجد تفسير ابن عباس قد استجمع المرجوع عنه والمرجوع اليه فقال : راجع عن كل ما يكره الله الى ما يحب •

وغنى عن الذكر أن المرجوع عنه انما هو من قبيل المفضول فى حقه ولا يعنى بذلك ملابسته لما يقدح فى عصمته كنبى •

ومن امثلة ما نستوضح فيه تفرقة الواحدى بين التفسير والمعنى ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم[2]) قال فى البسيط : (أى ما كنتم تستترون من ذلك ، لانكم ما كنتم تظنون ذلك ، فحذف (من) وهو توبيخ لهم • قال مجاهد : ما كنتم تتقون ذلك • وقال قتادة : ما كنتم تظنون •

وكلاهما معنى وليس بتفسير ، والتفسير ما ذكره السدى : وما كنتم تستخفون[3]) ان التفسير الذى رجحه الواحدى هنا هو ما يصيبه اللفظ — على الحقيقة — فى اللغة متمشيا مع السياق ، ويؤيده ما ذكره الراغب فى مفرداته عند تناول هذه المادة قائلا : (والاستتار الاختفاء ، قال (وما كنتم تستترون[4]) ومن بديع الاتفاق أن يتلاقى الراغب والواحدى فى نفس الآية • وهكذا يتضح لنا أثر التفرقة بين التفسير والمعنى فى ترجيح الواحدى لبعض الاقوال على بعض •

ثانيا : يقوم منهج الواحدى فى التأويل على أن للقرآن وجوها كثيرة ، وعلى المفسر أن يعرض لما يقف عليه من وجوه المعانى التى يحتملها النص القرآنى ، فذلك شاهد على فقهه بالتنزيل كما ورد فى الحديث المرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم (لا يكون الرجل فقيها كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة[5]) قال السيوطى معقبا على هذا الحديث (وقد فسره بعضهم بأن المراد : أن يرى اللفظ الواحد يحتمل معانى متعددة فيحمله عليها اذا كانت غير متضادة ولا يقتصر به على معن واحد[6])

من ثم نجد الواحدى — كما مر بنا فى الأمثلة العديدة — لا يقتصر على وجه واحد من

---

(١) الواحدى : البسيط ١٩٠/٧
(٢) سورة (فصلت) الآية ٢٢

(٣) الواحدى : البسيط : ٢٨١/٧
(٤) الراغب الاصفهانى : المفردات : مادة (ستر) ص ٢٢٣ ط الحلبى .
(٥) اخرجه ابن سعد وغيره عن ابى الدرداء موقوفا ولفظه (لا يفقه الرجل كل الفقه ..) ذكر ذلك السيوطى فى الاتقان (١٢١/٢) ونقله الزركشى فى البرهان (١٠٣/١) عن مقاتل قائلا (وذكر مقاتل فى صدر كتابه حديثا مرفوعا : لا يكون الرجل فقيها كل الفقه ...) الخ .
(٦) السيوطى : الاتقان ١٢١/٢

التفسير بل يسوق جملة من الوجوه بغية التعرف على قدر أمثل من التفاسير والتأويلات ولاتاحة فرصة المقارنة بينها والوقوف على كيفية فهم السلف وأصحاب الرأى لمعانى التنزيل • ثم يدلى الواحدى بدلوه فى محيط التأويل والترجيح اذا ما اقتضاه المقام ذلك • بل قد يضيف من لدنه وجها جديدا كما مر بنا وقد يكتفى بالتوفيق والتقريب بين تلك الوجوه معربا عن قبولها جميعا كما نجده عند تفسير قوله تعالى : وآتيناه فى الدنيا حسنة وانه فى الآخرة لمن الصالحين[1]) قال فى تفسيره البسيط :

قوله تعالى (وآتيناه فى الدنيا حسنة) : قال على بن طلحة عن ابن عباس يقول الذكر الحسن ، وقال فى رواية عطاء : يريد الصدق ، والوفاء ، والعبادة • وقال الحسن النبوة • وقال مجاهد : لسان صدق فى الآخرين • وقال الكلبى : الثناء الحسن من بعده • وقال مقاتل : يعنى الصلاة عليه مقرونا بالصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو قول المتشهد : اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم — ثم يضيف الواحدى من عنده : « وهذه الأقوال متقاربة ، وجملتها تعود الى نبوته ، الله يذكره فى الدنيا بطاعته لربه ومسارعته الى مرضاته ، واخلاصه فى عبادته حتى صار اماما يقتدى به ، قال قتادة : فليس من أهل دين الا يتولونه ويرضون به[2]) وهكذا يسوق الواحدى سبعة أقوال فى تفسير حسنة الدنيا التى آتاها الله لخليله على نبينا وعليه الصلاة والسلام •

ثم يقف الواحدى منها وقفة تأمل ، فيراها وجوها لوجهة واحدة هى اصطفاء الله تعالى بالنبوة وكل ما قيل عن حسنة الدنيا التى أوتيها فانما هو من أقباسها وحلاها :

ثالثا : اعتماده — فى تقوية الاراء والترجيح بينها — على النقل من الكتاب والسنة :

فالواحدى يستند فى التفسير الى النقل ابتداء — كما مر بنا — ويستند اليه أيضا فى توجيه الآراء وتقويتها والترجيح بينها •

فمن أمثلة ما يستند فيه الى النص لقارآنى للاستدلال على صحة وجه فى التأويل ما ذكره فى تفسير قوله تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله[3]) • قال فى البسيط :

(وقال ابن كيسان فى هذه الآية : يقول : لم يعلموه تنزيلا ولا علموه تأويلا فكذبوا به• وتلخيص هذا المعنى يعود الى أنهم جهلوا القرآن وعلمه وعلم تأويله فعادوه بالتكذيب •

وفى الآية قولا آخر : وهو أن معنى قوله (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) أى بما فى القرآن من الجنة ، والنار ، والبعث ، والقيامة ، والثواب ، والعقاب • (ولما يأتهم تأويله) أى : لم يأتهم بعد حقيقة ما وعدوا فى الكتاب مما يؤول اليه أمرهم من العقوبة •

ويدل على صحة هذا التأويل : قوله تعالى (كذلك كذب الذين من قبلهم) ، أى بالبعث فى القيامة لا بالقرآن)[4] •

كذلك نجد الواحدى يستدل على صحة وجه تفسيرى بالمأثور من الكتاب والسنة معا ،

---

(١) سورة النحل /١٢٢
(٢) الواحدى : البسيط ٤/٤٧٤
(٣) سورة يونس/٣٩
(٤) الواحدى : البسيط ٤/٢٩

فقد قال فى تفسير قوله تعالى (وقال ربكم ادعونى استجب لكم)[1] :

(قال ابن عباس : يريد • وحدونى واعبدونى أثبكم • ويدل على صحة هذا التفسير : ما روى النعمان بن بشير أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الدعاء هو العبادة[2] » ثم قرأ هذه الآية • والدعاء بمعنى العبادة كثير فى التنزيل ، كقوله (ان يدعون من دونه الا أناثا[3]) ولما عبر عن العبادة[4] جعل الاثابة استجابة ليتجانس اللفظ • ويدل على صحة هذه الجملة قوله تعالى (ان الذين يستكبرون عن عبادتى[5]،[6]) •

ومن ثم يترجح هذا التفسير على غيره لاستناده الى الوحيين • ونظائر هذا كثيرة فى تفسير الواحدي •

رابعا : استناده الى اللغة والنحو :

فنجد الواحدى يستثمر تعمقه فى علمى اللغة والنحو واتقانه لهما فى ميدان التفسير بالرأى والترجيح بين الآراء ورد الاقوال الفاسدة والضعيفة ، استنادا الى خبرته فى هذين المجالين فمن أمثلة ما يتبين فيه تصحيح الواحدى لبعض الأقوال وترجيحها على غيرها استنادا الى اللغة ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى[7]) قال فى تفسيره البسيط:

(قوله تعالى « للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء » : قال ابن عباس ، والكلبى : يريد العذاب والنار « ولله المثل الأعلى » شهادة أن لا اله الا الله ، وهذا قول قتادة ، وروى عنه : المثل الأعلى : الاخلاص والتوحيد• هذا قول المفسرين فى هذه الآية) •

ثم ينتقد الواحدى هذا التفسير قائلا :
(لا أدرى لم قيل للعذاب : المثل السوء ، وللاخلاص : المثل الأعلى ؟) ثم يسوق تفسيرا آخر قائلا :

(وقال قوم : المثل السوء : الصفة السوء ، من احتياجهم الى الولد ، وكراهيتهم الاناث خوف العيلة والعار • (ولله المثل الأعلى) : الصفة العليا من تنزهه وبراءته عن الولد) ثم يعقب الواحدى على هذا التفسير قائلا :

(وهذا قول صحيح ، والمثل يرد كثيرا بمعنى الصفة ، وقد بينا ذلك مستقصى فى قوله : (مثل الجنة) فى سورة الرعد[8] • وان أنكر ذلك بعض المتأخرين ، فقد روى عن المتقدمين من أئمة اللغة : المثل بمعنى الصفة)[9] •

وقد رجح أكثر المفسرين ما ذهب اليه الواحدى منهم الزمخشرى[10] والفخر الرازى[11] والألوسى[12] والواحدى أسبقهم

---

(١) سورة غافر/٦٠
(٢) أخرجه ابو داود فى باب الدعاء من سننه ١٠٣/٢ وأخرجه الترمذى فى كتابه تفسير القرآن من سننه وقال فيه : هذا حديث حسن صحيح .
(٣) سورة النساء/١١٧
(٤) لم يرد بالاصل المتعلق الثانى وهو (بالدعاء) ولعله سقط من الناسخ .
(٥) سورة غافر/٦٠
(٦) الواحدى : البسيط ٢٦٩/٧
(٧) سورة النحل/٦٠
(٨) الآية رقم/٣٥
(٩) الواحدى : البسيط ٦/٤هـ
(١٠) انظر : الكشاف ٤١٤/٢ ط الحلبى .
(١١) انظر : مفاتيح الغيب ٣٢٣/٥ وفيه تأثير الواحدى ظاهرى حتى يكاد أن يكون نقلا حرفيا .
(١٢) رجح الامام الالوسى ما ذهب اليه الواحدى وقال فيما نسب الى الامام ابن عباس (واظنه لا يصح عنه رضى الله تعالى عنه) ورد قول ابن عطية الذى منع من حمل المثل على الصفة . انظر روح المعانى : ١٧٠/١٤ .

بالطبع ــ الى هذا الرأى وتوجيهه[1] .

وأما استناده الى قواعد النحو فى نقد بعض الوجوه التفسيرية فشواهده كثيرة فى تفسيره ، من ذلك ــ مثلا ــ ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : « ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة[2] » الآية فقد ساق بعض الوجوه فى تفسيرها ثم أثبت ضعفه لسببين : يرجع أحدهما الى المعنى والآخر الى مخالفة أصول النحو ، يقول فى البسيط : (وقال بعضهم : تم الكلام عند قوله « على حياة » ثم ابتدأ فقال (ومن الذين أشركوا يود احدهم) أى : من يود ، فأضمر الموصول بيود ، كقول ذى الرمة :

فظلوا ومنهم دمعه سابق له
وآخر تذرى دمعه العين بالهمل

أراد : ومنهم من دمعه سابق . وهذا الوجه يضعف من جهتين :

أحدهما : أن المراد بالآية بيان حرص اليهود على الحياة ، فلا يحسن قطع الكلام عند قوله (على حياة) ثم الاخبار عن غيرهم بحب التعمير .

والآخر : أنه لا يجوز حذف الموصول وترك صلته[3]،[4]) .

وقد افاد الواحدى من تمكنه فى اللغة والنحو أيما افادة فى توجيه الأقوال والآراء وأسهم بجهد عظيم فى مجال توجيه القراءات والاحتجاج لها على ما سنقف عليه ان شاء الله تعالى .

خامسا : ومن الأسس التى اعتمد عليها الواحدى فى التأويل والترجيح : أن الحمل على الحقيقة أولى من الحمل على المجاز طالما لم يتعذر حمل المعنى على الحقيقة .

وهذه ركيزة أساسية فى منهج الواحدى وقد تمثلت فى العديد من مواقفه فى تفسيره وكان من أبرز تلك المواقف : ترجيحه لرأى بعض السلف على رأى أهل المعانى فى تفسير قوله تعالى (وان منها لما يهبط من خشية الله[5] ...) فلنستعرض ما أورده الواحدى فى هذا الموضع من أقوال ووجهات ففيها بحق ثراء وافر ، يقول الواحدى فى تفسيره البسيط (وقوله تعالى وان منها لما يهبط من خشية الله) : ــ

قيل : أراد الله به جبل موسى لما تجلى ربه للجبل جعله دكا .. وقال ابن الأنبارى[6] : يجوز أن يجعل الله تعالى للحجر عقلا فيخشاه كما جعل بحراء عقلا حتى عرف خطاب النبى صلى الله عليه وسلم[7] .

---

(1) ساق الواحدى عن ائمة اللغة ــ كيونس وغيره ــ أقوالهم فى مجىء المثل بمعنى الصفة عند تفسير (مثل الجنة ...) ٣٦٢/٤

(2) سورة البقرة/٩٦

(3) ما ذكره الواحدى من عدم جواز حذف الموصول وترك صلته هو مذهب البصريين . وقد ذهب الكوفيون والاخفش الى جواز حذف الموصول الاسمى بشرط كونه معطوفا على معطوف آخر . كما ذكر ابن مالك ــ ومن حجتهم فى ذلك قوله تعالى (آمنوا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم) انظر مغنى اللبيب ١٦٥/٢ ط الحلبى .

(4) الواحدى : البسيط ٢٥٨/١

(5) سورة البقرة / ٧٤

(6) يذهب ابن الانبارى ــ وهو من اهل المعانى ــ فى تفسير الآية مذهب السلف فى اسناد الخشية للحجارة على الحقيقة .

(7) أخرج الترمذى عن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بحراء هو وأبو بكر وعمر وعلى وعثمان وطلحة والزبير رضى الله عنهم فتحركت الصخرة فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اهدأ انما عليك نبى أو صديق او شهيد) قال الترمذى : وهذا حديث صحيح. انظر سنن الترمذى ٦٢٤/٥ ط الحلبى سنة ١٣٨٥ هـ .

وكذلك ما صحت الاخبار به من تسبيح الحصى فى كفه صلى الله عليه وسلم وكذلك قوله تعالى فى قصة داود : (ياجبال أوبى معه)[1] وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (انى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على كلما مررت عليه[2]) وروى عنه أنه قال : (كان موسى — عليه السلام — يخرج من الروحاء يؤم هذا البيت يلبى ، ومقام الروحاء يجاوبه[3])

وكذلك قوله (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله[4]) يدل على عقل يركب فى الجبل لو أنزل القرآن عليه ، لأن فى القرآن أمرا ونهيا ، ولا يؤمر وينهى من لا يعقل •

وقيل : ان الخشية فى اللفظ للحجر ، وفى المعنى للناظر الى الحجر ، وذلك أنه تعالى يهبط الحجارة دلالة للناظر على قدرة الله ، فيحمل ذلك على الخشية ، فتنسب الخشية الى الحجر ، لما كان منه بسبب ، مجازا • كما تقول العرب : لفلان ناقة تاجرة أى : تامة سمينة ، تنفق نفسها وتدعو الى شرائها ، والتجارة فيها ، كذلك قال : الحجارة خاشية من الله ، أى داعية الى الخشية ، ومعنى الآية : وان منها ما يهبط فيدعو الناظر اليها الى خشية الله ، وقال مجاهد : كل حجر تفجر منه الماء ، أو تشقق عن ماء ، أو تردى من رأس جبل : فهو من خشية الله نزل به القرآن •

وقال بعض المتأولين : من قال المراد بالحجارة فى قوله (وان منها لما يهبط من خشية الله) أنه يركب فيها التميز والعقل : فقد أخطأ ، اذ كان لا يستنكر ذلك ممن جعل فيه التمييز • ولكن هذا على جهة المثل ، كأنه يهبط من خشية الله — لما فيه من الانقياد لأمر الله — الذى لو كان من حى قادر لدل على أنه خاش لله ، كقوله (جدارا يريد أن ينقض[5]) أى : كأنه مريد ، وكقول جرير :

لما أتى خبر الزبير تواضعت
سور المدينة والجبال الخشع

أى : كأنها خاشعة ، للتذلل الذى ظهر فيها كما يظهر تذلل الخاشع •

هذا كلام أهل المعانى فى معنى خشية الحجارة •

والصحيح: أنها تخشى الله — حقيقة — كما قال مجاهد ، ولكنا لا نقف على كيفية ذلك ، كسجود الجمادات لله تعالى ، ذهب كثير من المفسرين الى أنها تسجد لله تعالى على الحقيقة ولا نقف عليه نحن)[6] •

وهكذا يقف الواحدى برأيه مع المأثور عن السلف فى صف الحقيقة مرجحا حمل المعنى عليها على ما ذهب اليه أصحاب المعانى من حمل المعنى على المجاز • فكان فى الحمل على الحقيقة — غير المتعذرة — حفاظ على جلال المعنى وروعته ، وقد أدرك ابن عطية المفسر ما أدركه الواحدى فضعف القول باستعارة الخشية للحجارة قائلا (وهذا قول

---

(١) سورة سبأ/١٠
(٢) اخرجه الترمذى فى سننه بلفظ (ان بمكة حجرا كان يسلم على ليالى بعثت ..) وقال هذا حديث حسن غريب ٥/٥٩٣
(٣) لم اقف على تخريج هذا الحديث فى الكتب الستة بيد أن للواحدى أسانيده الخاصة المتصلة .
(٤) سورة الحشر/٢١
(٥) سورة الكهف : ٧٧
(٦) الواحدى : البسيط ١/٢٢٥ — ٢٢٦

ضعيف لأن براعة معنى الآية تختل به ، بل القوى أن الله تعالى يخلق للحجارة قدرا من الادراك تقع به الخشية والحركة)[1] •

ومما يقوى الحمل على الحقيقة هنا ـ فى رأيى ـ أنه أبلغ فى التنديد بقسوة قلوب بنى اسرائيل من الحمل على المجاز ، لأن الجملة سيقت لبيان مماثلة قلوبهم للحجارة فى القسوة أو لاشدية قسوة قلوبهم أكثر من الحجارة ، فاثبات هبوط تلك الحجارة وترديها من أثر الخشية الحقيقية المودعة فيها أمعن فى تجسيد غلظ تلك القلوب •

كذلك نجد الواحدى يقف موقفا منهجيا من الآراء المتقابلة عند تفسير قوله تعالى (واذا مس الانسان ضر دعاربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعو اليه من قبل[2]) فيقف بازاء الحمل على الحقيقة فى دقة رأى وتصويب نظر مبرزا وجهته ومقدرته فى الترجيح القائم على أساس منهجى قويم • يقول فى البسيط :

قوله (نسى ما كان يدعو اليه من قبل) قال عطاء عن ابن‌عباس : ترك التوحيد والتضرع اليه • وقال الكلبى : يقول : نسى ربه • وذكر الفراء ثم أبو اسحق هذا القول ، فقال الفراء: نسى دعاء الله من قبل• وقال أبواسحق نسى الدعاء الذى كان يتضرع به الى الله من قبل • وذكر وجها آخر • قال الفراء : يقول: ترك الذى كان يدعوه اذا مسه الضر ، يريد : الله تعالى ـ قال ـ : و (ما) قد يكون فى موضع (من) كقوله (ولا أنتم عابدون ما أعبد[3]) : يعنى الله تعالى ، وقال (فانكحوا ما طاب لكم[4]) ونحو هذا قال أبو اسحق (وجائز أن يكون معناه : نسى الله الذى كان يتضرع اليه من قبل) ثم يضيف الواحدى قائلا :

والوجه الأول : معنى قول ابن عباس ، والباقى معنى قول الكلبى •

وفيه معنى آخر : وهو أن يكون المعنى : نسى الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه • وهذا عندى أجود الوجوه ، والوجهان الأولان فيهما استكراه وبعد ، لأن تصحيح الوجه الأول : أن تقول تقديره : نسى الدعاء الذى كان يتضرع به الى الله ، ففيه شيئان جعل الدعاء بمعنى التضرع[5] ، وحذف الراجع الى الموصول •

وفى الوجه الثانى : يجعل (ما) بمعنى (من) والدعاء بمعنى التضرع • والوجه الثالث سلم من هذه المجازات[6] يتضح لنا اذا ترجيح الواحدى لما حمل من الوجوه على الحقيقة وسلم من المجاز •

سادسا : الأخذ بالعموم حيث لا دلالة على التخصيص •

فقد أخذ الواحدى بهذه القاعدة التى تعد من ركائز منهجه فى التأويل ، وصرح بها

---

(1) ابن عطية : المحرر الوجيز ٣٢٥/١ ط المجلس الاعلى للشئون الاسلامية سنة ١٣٩٤ هـ
(2) سورة : الزمر/٨
(3) سورة : الكافرون/٤
(4) سورة النساء/٣
(5) الفرق بين الدعاء والتضرع : ان الأول يطلق بمعنى النداء أو السؤال أو الاستغاثة . أما التضرع : فهو اظهار الضراعة وهى الضعف والذلة . انظر المادتين فى مفردات الراغب فى ١٧٠ ، ٢٩٥
(6) الواحدى : البسيط ٢٢٥/٧

كمرجح قوى بين الاراء المتقابلة ، من ذلك مثلا : عند تفسير قوله تعالى (.. ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم[1]) يقول فى البسيط : –

(وأما التفسير : فقال مجاهد : ومن تطوع خيرا بالطواف بهما .

وهذا على قول من لا يرى الطواف بهما فرضا . وقال مقاتل والكلبى : ومن تطوع خيرا فزاد فى الطواف بعد الواجب . ومنهم من حمل هـذا النوع على العمرة وهو قول ابن زيد ، وكان يرى العمرة غير واجبة .

وقال الحسن : ومن تطوع خيرا يعنى به الدين كله ، أى فعل غير المفترض عليه من طواف وصلاة وزكاة ، ونوع من أنواع الطاعات .

وهذا أحسن هذه الاقاويل ، لأن قوله (ومن تطوع خيرا) صيغته تدل على العموم[2]) ثم موقف آخر يأخذ فيه الواحدى بمدلول النص القرآنى ويصرح من خلال ذلك بقاعدة الأخذ بالعموم .

يقول الواحدى فى تفسير قوله تعالى (وتزودوا فان خير الزاد التقوى[3]) ..

(نزلت فى ناس من أهل اليمن كانوا يحجون بغير زاد ، ويقولون : نحن متوكلون ، ثم كانوا يسألون الناس ، وربما ظلموهم وغصبوهم ، فأمرهم الله سبحانه أن يتزودوا فقال : وتزودوا ما تتبلغون به ، فان خير الزاد ما تكفون به وجوهكم عن السؤال وأنفسكم وفى هذا حث على التزود للاخرة وتنبيه عليه ، لأن الآية أفادت بيان الزادين).

ثم يصرح الواحدى بقاعدة وجوب الأخذ بالعموم فيقول بعد ذلك مباشرة :

(وذلك أن اللفظة العامة اذا أفادت فوائد ولم تكن متنافية ، فلابد من استفادتها جميعا ويكون الجميع مرادا باللفظ عند أهل التحقيق[4] ، فكأنه قال : اذا تزودتم تعففتم عن السؤال ، وهو نوع تقوى ، والتقوى زاد الآخرة ، قال الأعشى : وأراد هذا المعنى .

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى
ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله
وأنك لم ترصد كما كان أرصدا[5]

سابعا : الأخذ بمقتضى السياق القرآنى :

فكان منطلق الواحدى – فى كثير من المواقف – لتخير الأوفق من الآراء والوجوه أن ينظر الى المسار المعنوى للاية فيطرح ما نأى عنه ثم يأخذ بما يرتبط بالسياق

---

(١) سورة البقرة /١٥٨ وصدر الآية (ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ...) الآية .

(٢) الواحدى : البسيط ٣٥٠/١ .

(٣) سورة البقرة الآية /١٩٧

(٤) يقول الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه فى (الرسالة) : (ولا يقال بخاص فى كتاب الله ولا سنة الا بدلالة فيهما او فى واحد منهما : ولا يقال بخاص حتى تكون الآية تحتمل ان يكون اريد بها ذلك الخاص ، فأما مالم تكن محتملة له فلا يقال فيها بما لم تحتمل الآية) . أنظر الرسالة بتحقيق العلامة احمد شاكر : الفقرة / ٥٥٨ ط الحلبى ١٣٥٨ هـ .

(٥) الواحدى : البسيط ٤٢٨/١

ارتباطا عضويا ويأخذ بحجز سابقه ولاحقه فى تآلف واتساق وانتظام •

من أمثلة ذلك ما ذكره فى (البسيط) عند تفسير قوله تعالى (له دعوة الحق)[1] •• فقال : (أكثر المفسرين على أن المراد بدعوة الحق ههنا : كلمة التوحيد والأخلاص ، روى عكرمة عن ابن عباس (له دعوة الحق) قال : لا اله الا الله •

وهذا اختيار الفراء والزجاج ، وهو قول قتادة وابن زيد •

والمعنى على هذا : لله من خلقه دعوة الحق • ولكن أضيفت الدعوة الى الحق ، لما اختلف اللفظان[2] ، وقد ذكرنا مثل هذا • ويجوز أن يكون المعنى : دعوة الدين الحق • وقال الحسن : الله الحق • وقال فى رواية عطاء والضحاك : (له دعوة الحق) : معناه : هو الذى دعا الى توحيده ، والاعتراف بأنه لا شريك له •

وتفسير (دعوة الحق) على هذا القول : له دعاء الحق ، لأنه دعا الى عبادته ، وتوحيده ، وكان ذلك حقا •

قال أبو اسحق : وجائز أن يكون دعوة الحق : أنه من دعا الله موحدا استجيب له دعاؤه ، قال أبو بكر : الدعوة على هذا التفسير : يريد بها الدعوات ، فاكتفى من الجمع بالواحد كقوله (والملائكة بعد ذلك ظهير[3]) ، ومعنى الدعوات : دعوات الداعين اياه يلتمسون الاجابة وهم محقون فى ذلك لأنهم سألوا من لا يخيب سائله ويقدر على الاجابة وانالة المطلوب) •

ثم يقول الواحدى معقبا : (وهذا هو الوجه ، وهو الأليق بما بعده من سياق الآية ، لأنه ذكر أن الأصنام لا يستجيبون للداعين فقال (والذين يدعون من دونه) يعنى الأصنام ، يدعونها المشركون من دون الله فى قول جميع المفسرين وعبر عنها كما يعبر عن المذكرين من العقلاء ، لأنهم وصفوا أصنامهم بأوصاف الرجال العقلاء فخاطبهم الله بما يعقلون)[4] •

ثم يتخذ الواحدى نفس الموقف ويقف الى جانب السياق فى اختيار ما يتفق معه فى تفسير خاتمة نفس الآية الكريمة فيقول :

(وقوله تعالى (وما دعاء الكافرين الا فى ضلال) : قال ابن عباس فى رواية عطاء : يريد عبادة الكافرين الأصنام فى ضلال •

وروى جويبر : وما دعاء الكافرين ربهم الا فى ضلال ، لأن أصواتهم محجوبة عن الله) وهنا يعقب الواحدى برأيه قائلا :

(وهذا التفسير — أى المروى عن جويبر — لا يليق بما سبق من الآية ، لأنه ذكر فى الآية دعاء الكافرين الأصنام ، وهو قوله (والذين يدعون من دونه) والذم لا حق بذلك الدعاء وهو دعاؤهم اياها ، ولم يذكر دعاءهم الله تعالى ، وجويبر ضعيف[5]

(١) سورة الرعد / ١٤
(٢) لعل قصده : اختلاف لفظى : التوحيد والاخلاص : اللذين فسرت بهما (دعوة الحق)
(٣) سورة التحريم /٤

(٤) الواحدى : البسيط ٣٣٩/٤
(٥) يلاحظ هنا نقد الواحدى لجويبر الراوى عن الامام ابن عباس ، ومن ثم يقوم نقده على أساس المتن والسند وهو ما يذكر للواحدى فى سجل تقويمه .

والصحيح : ما ذكرنا فى رواية عطاء ، ولعل ما رواه جويبر ، رواه فى نظير هذه الآية فى سورة المؤمن (قالوا فادعوا ومادعاء الكافرين الا فى ضلال[1]) وذلك صحيح المعنى فى تلك السورة[2] .

فى مرآة هذا النص تنعكس ــ بجلاء ــ اصالة وفحولة الواحدى فى ميدان التأويل ودقة ميزانه العلمى النقدى ، اذ يسوق روايتين عن الامام ابن عباس فى تفسير النص فيتخير منهما ما يتفق مع سياق الآية ثم يضعف الأخرى من جهة عدم اتفاقها مع مقتضى السياق أولا ثم ينتقدها ــ سندا ــ فيضعف راويها ثانيا ، ثم لم يشأ أن تفقد الرواية قيمتها العلمية فيصيب ــ ببعد نظره ــ ملاءمة مدلولها لسياق نظيرتها فى موضع آخر . وهكذا تكون فراسة المفسر وعمق نظرته .

ثامنا : حمل المطلق على المقيد :

وقد أخذ الواحدى بهذه القاعدة فى تفاسيره ، فما ورد من التنزيل مطلقا فى موضع ثم جاء مقيدا فى موضع آخر من الكتاب أو السنة ، حمل المطلق على المقيد . من أمثلة ذلك ما ذكره فى تفسيره (الوسيط) عند تفسير قوله تعالى (انما حرم عليكم الميتة والدم[3]) .. حيث يقول :

(... معناه : ما حرم عليكم الا ماذكر وذلك أن كلمة (ان) للتوكيد فى الاثبات ، و (ما) : تكون نفيا ، فاذا قال القائل : انى بشر ، فالمعنى : أنا بشر على الحقيقة

(١) سورة غافر (المؤمن) /٥٠ .
(٢) الواحدى : البسيط ٣٤١/٤
(٣) سورة البقرة / ١٧٣

واذا قال : انما انا بشر ، كان المعنى : ما أنا الا بشر .

والميتة : ما فارقته الروح من غير زكاة مما يذبح ، قوله (والدم) : كانت العرب تجعل الدم فى المباعر[4] ، وتشويها ثم تأكلها ، فحرم الله تعالى الدم ، وقد خصت السنة هذين الجنسين وهو قوله صلى الله عليه وسلم (أحلت لنا ميتتان ودمان ، أما الميتتان : فالجراد والسمك ، وأما الدمان ، فالكبد والطحال[5]) وقد قال الله تعالى (أو دما مسفوحا[6]) مقيد ، وأطلق فى هذه الآية ، والمطلق يحمل على المقيد[7]) .

كذلك نجد الواحدى يحمل المطلق على المقيد فى تفسير قوله تعالى (لا تدركه الابصار[8]) .. فيقول فى تفسيره الوسيط (.. وذهب جماعة من أهل التفسير الى تخصيص هذه الآية ، قال ابن عباس ــ فى رواية أبى صالح ــ تنقطع عنه الابصار فى الدنيا . وقال مقاتل : لا تراه الابصار فى الدنيا وهو يرى فى الآخرة .

والدليل على أن هذه الآية مخصوصة بالدنيا : قوله (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة[9]) فقيد النظر اليه بيوم القيامة ، وأطلق فى هذه الآية ، والمطلق يحمل على المقيد[10]) ..

(٤) المباعر : جمع مبعر ، وهو موضع البعر .
(٥) اخرجه ابن ماجة فى سننه باسناد ضعيف انظر سنن ابن ماجة بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ١٠٧٣/٢/ فى ص ١١٠٢
(٦) الآية ١٤٥ من سورة الانعام .
(٧) الواحدى : الوسيط / ٥٧ وانظر البسيط : ٣٦٩/١
(٨) سورة الأنعام /١٠٣
(٩) سورة القيامة : ٢٢ ــ ٢٣
(١٠) الواحدى : الوسيط / ٢١٩

تاسعا : ما لايحتاج الى تقدير أولى مما يحتاج الى تقدير .

وقد تمثلت هذه الركيزة فى كثير من مواقف الواحدى أزاء أقوال المفسرين ، فنجده يحرص ايما حرص على اتساق النظم القرآنى وتجنب العوز الى الاضمار والتقدير . ومن ثم نراه يرجح بعض الآراء على بعض فى ضوء هذا الأساس المنهجى .

فنجده — مثلا — يقول عند تفسير قولى تعالى (وقاتلوا فى سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم)[1] : (ذهب كثير من أهل التفسير : الى أن هذا خطاب للذين أحيوا[2] ، قال الضحاك : أحياهم ثم أمرهم بان يعاودوا الى الجهاد .

وقال ابن عباس — فى رواية عطاء — يحرض المؤمنين على القتال . فهذا يدل على أن الخطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم) ثم يعقب الواحدى قائلا :

(وهذا أظهر ، لان الكلام على وجهه لا محذوف فيه ، وعلى الأول يحتاج الى اضمار ، أى : وقيل لهم قاتلوا ...)[3] .

ومن ذلك — أيضا — ما ذكره الواحدى عند تفسير قوله تعالى (وعلى الله قصد السبيل ...)[4] قال فى البسيط :

(1) سورة البقرة / ٢٤٤
(2) الواحدى : البسيط ٥٢٢/١
(3) المراد بهم من سبق ذكرهم فى الآية السابقة (الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ..) وهم قوم من بنى اسرائيل كانوا قد فروا من الجهاد .
(4) سورة النحل / ٩

(واختلفوا فى معنى هذه الآية : فأكثر المفسرين على أن المعنى : وعلى الله بيان قصد السبيل بالكتب والرسل والحجج . وهو قول جابر ، وقتادة ، والسدى ، وروى ذلك عن ابن عباس ، واختاره الفراء والزجاج . وعلى هذا : الآية من باب حذف المضاف ، لان التقدير : وعلى الله بيان قصد السبيل . ثم قال (ومنها جائر) : أى مائل ، ومعنى الجور فى اللغة : الميل عن الحق ، والكناية فى (منها) تعود الى السبيل ، وهى مؤنثة فى لغة الحجاز، يعنى : ومن السبيل ما هو جائر غير قاصد للحق . قال الكلبى : يعنى اليهودية والنصرانية والمجوسية .

وقال ابن المبارك : يعنى الاهواء والبدع ، روى عطاء عن ابن عباس فى هذه الآية فقال : من أراد أن يهديه سهل له طريق الايمان ، ومن أراد أن يضله : وعر عليه طريق الايمان ، يعنى المنافق والكافر ، يشدد عليه الغسل من الجنابة والوضوء للصلاة ، ويثقل عليه صيام شهر رمضان من اثنى عشر شهرا . ثم بين أن المشيئة اليه فقال (ولو شاء لهداكم أجمعين) حتى لا يختلف عليك يا محمد أحد . هذا كلامه. والذى ذكرنا فى هذه الآية هى طريقة المفسرين .

وفى الآية وجه آخر : وهو أن المعنى : أن قصد السبيل الذى هو الحنيفية والاسلام على الله أن يؤدى الى رضاه وثوابه وجزائه ، كقوله تعالى (قال هذا صراط على مستقيم)[5] .

أى أنه يؤدى الى جزائى وكرامتى ، فهو طريق على .

(5) سورة الحجر / ٤١

وهذا مذهب مجاهد ، قال : على الله طريق الحق ، وبه قال عبد الله بن المبارك وهو أقوى القولين ، لانه صح من غير أضمار)[1] •

وهكذا نجد الواحدى — بعد أن يعرض لأقوال المفسرين فى تفسير الآية الكريمة — يرجح منها ما صح بدون اضمار ولا حاجة الى تقدير ، ومن ثم يتضح لنا أن من جملة الأسس التى قام عليها منهجه : ترجيح مالا يحتاج الى تقدير على ما يقتضى الاضمار والتقدير •

وبعد أن وقفنا على تلك الأسس والقواعد المنهجية التى أرسى عليها الواحدى منهجه فى التفسير وكانت منطلقة لتحديد موقفه من آراء المفسرين وأقوالهم : نستطيع أن نؤكد من منطلق علمى مدعم بالحجة والبرهان والمعايشة التطبيقية أن أبا الحسن الواحدى قد خاض مجال التفسير بمنهج علمى راسخ القواعد شامخ البنيان وطيد الاركان •

وأنه جمع فى تفسيره بين الرواية ، والدراية وواءم بين النقل والعقل • وآخى بين المأثور والرأى فى رؤية منهجية دقيقة ، ونظرة علمية فاحصة ، واستجماع لمقومات المفسر وأدواته ، فخاض هذا الغمار وتبحر فى هذا الخضم عن أهلية وكفاءة فقدم لنا من موسوعيته التفسيرية أثرى ما يروى عن أهل الأثر من عيون الأقوال ، وأنضج ما جادت به عقول أهل الرأى من أبكار المعانى وفرائد التأويلات ، ثم قام هو بسبك هذه الجواهر وتلك اللآلىء لتنتظم فى عقد نضيد محلى بما صاغه من مكنون فكره وصقله على محك نظره وقدمه اسهاما رائعا فى خدمة كتاب الله المجيد •

(١) الواحدى : البسيط ٤٧٥/٤

الفصل الثانى
الاتجاه اللغوى
فى تفسير الواحدى

يمثل الاتجاه اللغوى فى تفسير الواحدى الأساس الأول لنظريته فى التفسير وأحد الأركان الثلاثة التى قامت عليها تلك النظرية ، وشيد عليها بناء تفاسيره ، وهى اللغة ، والنحو ، والأدب ، وقد عرض الواحدى لأصول منهجه – فى مقدمة تفسيره البسيط – وركز فيها على دور اللغة باعتبارها ركيزة أساسية لا يتأتى تفسير كلام الله تعالى دون التبحر فى علومها والالمام بأصولها • وقد تناولت مقدمة البسيط مجموعة الركائز المنهجية فى عرض متكامل وتحليل علمى دقيق مدعم بالحجج والبراهين الملزمة بتضافر تلك الأسس لفهم معانى التنزيل فى ضوئها أولا ثم لاستيعاب معانى المأثور فى التفسير ثانيا ، ثم لاضافة ما يمكن اضافته الى رصيد المأثور فى اطار الضوابط المشروطة لدخول مجال التفسير بالرأى ثالثا ، ثم لتوافر القدرة على تقويم النتاج التفسيرى وترجيح الراجح ورد المتهافت منه رابعا • فالركائز الثلاث اذا تؤهل لطرق هذه المجالات والافادة منها على قدر توفير تلك الركائز ومتانتها ورسوخها • فهى تمثل الوسائل والمواد الأولية التى يمكن بها استيعاب المنقول ، وفقه علوم التنزيل ، والافادة منها فى فهم التنزيل نفسه، فلنعرض ما أثبته الواحدى فى مقدمة تفسيره البسيط لنقف على حقيقة الاتجاه اللغوى عنده برغم ما قد يتدخل معه من حديث عن الجانبين الآخرين حيث أنه تناول الأسس الثلاثة ككل متكامل •

يقول الواحدى :

(••• ان طريق معرفة تفسير كلام الله تعالى : تعلم النحو والأدب ، فانهما عمدتاه ، واحكام أصولهما وتتبع مناهج لغات العرب فيما تحويه من الاستعارات الباهرة ، والأمثال النادرة والتشبيهات البديعة ، والملاحن الغريبة والدلالة باللفظ اليسير على المعنى الكثير مما لا يوجد مثله فى سائر اللغات •••••)[1] •

ثم يعرج على دور الأدب وينعى على أهل زمانه اهماله رغم أهميته فى دراسة علم القرآن ويعود الى بيان مساس الحاجة واقتضاء الضرورة الى اتقان علم العربية والتبحر فى لغة القرآن قبل التصدى لتفسيره مبينا منشأ تلك الضرورة وتدرج أهمية اللغة فى دراسة التفسير عبر المراحل المختلفة ، فيقول :

(•••• والله – تعالى ذكره – أنزل كتابه على قوم عرب ، أولى بيان فاضل ، وفهم بارع ، أنزله – جل ذكره – بلسانهم وصيغة كلامهم الذى نشأوا عليه ، وجبلوا على النطق به ، فتدربوا به يعرفون وجوه خطابه ، ويفهمون فنون نظامه ، ولا يحتاجون الى تعلم مشكله وغريب ألفاظه حاجة المولدين الناشئين ممن لا يعلم لسان العرب حتى يعلمه ،

---

(١) الواحدى : البسيط ٢/١

ولا يفهم ضروبه وأمثاله وأساسه وطرقه حتى يتفهمها •

وبين النبى صلى الله عليه وسلم للمخاطبين من أصحابه — رضى الله عنهم — ما تمس بهم الحاجة من معرفة وبيان مجمل الكتاب ، وغامضه ، ومتشابهه ، وجميع وجوهه التى لا غنى بهم بالأمة عنه ، فاستغنوا بذلك عما نحن اليه اليوم محتاجون من معرفة لغات العرب واختلافها والتبحر فيها ، والاجتهاد فى تعلم وجوه العربية الصحيحة التى بها نزل الكتاب ، وورد البيان •

فعلينا أن نجتهد فى تعلم ما يتوصل بتعلمه الى معرفة ضروب خطاب الكتاب ، ثم السنن المبينة لمجمل التنزيل ، الموضحة للتأويل ، لتنتفى عنا الشبه التى دخلت على كثير من رؤساء أهل الزيغ والالحاد ، ثم على رؤوس ذوى الأهواء والبدع ، الذين تأولوا بآرائهم المدخولة فأخطأوا وتكلموا فى كتاب الله — عز وجل — بلكنتهم العجمية دون معرفة ثاقبة، فضلوا وأضلوا • نعوذ بالله من الخذلان واياه نسأل التوفيق للصواب •

وقد كان الأكابر من السلف يحثون على تعلم لغة العرب ويرغبون فيها لما يعلمون من فضلها وفرط الحاجة اليها فى معرفة ما فى الكتاب ثم فى السنن والآثار ، وأقاويل أهل التفسير من الصحابة والتابعين من الألفاظ الغريبة والمخاطبات العربية ، فان من جهل لسان العرب وكثرة ألفاظها وافتنانها فى مذاهبها جهل جمل علم الكتاب)[1] •

(١) الواحدى : البسيط ٣/١

وأخذ يدلل على ضرورة تعلم أدب العربية ثم على الرجوع الى أشعار العرب وخاصة شعر الجاهلية ويبين حرص السلف على التزود منه •

ثم شرع الواحدى يبرز قيمة التعمق فى اللغة ودراسة أصولها وتعلم أساليبها ويجسد نظرة السلف الى لغة الضاد بما أثر عنهم من عبارات وروايات فى هذا الصدد ، وحقا استطاع أبو الحسن الواحدى بما أوتى من سعة علم وناصع بيان أن يرسخ قيمة اللغة ، ويجسد ضرورتها فلقد أفاض وأفاض ، وزاوج بين عرض المبدأ ، وابراز قيمته وتطبيق ماأتى به من حجج وشواهد فى نماذج عملية تنطق بصحة ماذهب اليه •

وحقا أثبت الواحدى بايمانه بقيمة العربية وتمسكه باسهامها وعطائها الذى لا غنى عنه للتفسير أنه أحد سدنة الضاد وحماتها المحافظين على تراثها ، فلنتابع مسيرته فى تأصيل دور اللغة فى علم القرآن وتفسيره ، ويقول أبو الحسن :

(سمعت أبا عثمان سعيد بن محمد الحيرى ، سمعت القاضى أبا الحسن على بن القاسم وأبا اسحق ابراهيم بن الحسن بن بشر ، و أبا القاسم جعفر بن عبد الله الفتاكى الرازيين بالرى قالوا : سمعنا عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى قال أخبرنى أبى حرملة بن يحيى قال : سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول : — (أصحاب العربية جن الانس) !

وسمعته يقول : سمعت محمد بن أحمد بن يعقوب يقول : سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى النحوى قال : قال عبد الملك بن مروان : (تعلموا العربية فانها المروءة الظاهرة)[2] •

(٢) الواحدى : البسيط ٤/١

ثم يضيف الواحدى بيانا الى بيان فى أهمية التضلع من منهل الضاد وضرورة الالمام بأصولها : (... وقل من تقدم فى علم من العلوم الا بمعرفة الأدب ومقاييس العربية والنحو ، وما حدثت البدع والأهواء المضلة الا من الجهل بلغة العرب .

سمعت الشيخ أحمد بن أبى منصور المقرى ـ رحمه الله ـ يقول : سمعت الحسن بن محمد المكتب يقول : سمعت أبا على الحسن بن أحمد الخياط يقول : سمعت أبا نعيم عبد الملك بن محمد بن عدى يقول : سمعت الربيع بن سليمان يقول : سمعت الشافعى يقول : ـ (عامة من تزندق بالعراق لجهلهم بالعربية ولغات العرب) .

وقرأت على الاستاذ سعيد بن محمد المقرى ، فقلت : حدثكم طلحة بن محمد الشاهد ببغداد قال : سمعت أبا بكر بن دريد قال : قال ابن أخى الأصمعى عن الاصمعى :

(تعلموا النحو ، فان بنى اسرائيل كفرت بكلمة قال الله لعيسى : أنت نبى وأنا ولدتك فخففوها) .

ولئن استغنى علم عن الادب فمنضرورة التفسير وعلم القرآن الأدب ومعرفته اللغة التفسير وعلم القرآن الأدب ومعرفة اللغة عليها ولم يتدرب بها .

ولقد سمعت احمد بن محمد بن ابراهيم[1] يقول : سمعت الحسن بن محمد يقول ، سمعت أبا عبد الرحمن الميدانى ــ الخطيب بزوزن ــ يقول : سمعت محمد بن جمعه الحافظ يقول : سمعت يحيى بن سليمان بن نضلة المدينى يقول: : سمعت مالك بن أنس يقول :

(لا أوتى برجل غير عالم بلغات العرب يفسر كتاب الله الا جعلته نكالا)[2] !.

وكيف يتأتى لمن جهل لسان العرب أن يعرف تفسير كتاب جعل معجزة ــ فى فصاحة ألفاظه ، وبعد أغراضه ــ لخاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين ، فى زمان أهله يتحلون بالفصاحة ويتحدون بحسن الخطاب وشرف العبارة ؟؟

وان مثل من طلب ذلك : مثل من شهد الهيجا بغير سلاح ، ورام أن يصعد الهواء بلا جناح ! ثم وان طال تأمله مصنفات المفسرين وتتبعه أقوال أهل التفسير من المتقدمين ، والمتأخرين ، فوقف على معانى ما أودعوه كتبهم ، وعرف ألفاظهم التى عبروا بها عن معانى القرآن : لم يكن الا مقلدا لهم فيما حكوه ، وعارفا معانى قول مجاهد ومقاتل وقتادة والسدى وغيرهم دون معنى قول الله عز وجل !!)[3] .

ثم أخذ الواحدى ــ بعد ذلك مباشرة ــ فى التدليل على صدق نظريته ، بالأمثلة التطبيقية العملية ، التى يجسد بها البون الشاسع بين المعرفة التقليدية السطحية بالمعانى اللغوية وبين الرؤية العلمية المتبحرة . والقائمة على سبر أغوار اللغة واستكناه أسرارها والتمرس بغريبها ومشكلها ، فنجده يطرح

---

(١) هو شيخه فى التفسير : أبو اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى المفسر المشهور .

(٢) ساق الزركشى هذه العبارة فى البرهان (٢٩٢/١) ومن الرائع أن يرويها الواحدى هنا بسنده المتصل .

(٣) الواحدى : البسيط ٥/١

أسئلته التقريرية المنبئة بصدق دعواه ، اذ يقول : — الا ترى ان واحدا ممن لم يتدرب بلغة العرب لو سمع قول امرىء القيس) :

ديمة هطلاء فيها وطف
طبق الأرض تحرى وتدر[1]

فسأل عن معناه ، فقيل له : انه يصف مطرا سحابه هاطل ، كان عارفا معنى هذا البيت من طريق التقليد ، ولا يكون عارفا معنى قول امرىء القيس ما لم يعرف تفسير كل حرف على حدته وما وضع له ذلك اللفظ ، وكذلك قوله :

وما ذرفت عيناك الا لتضربى
بسهميك فى اعشار قلب مقتل

معنى هذا البيت : أنه يقول لامرأة : ما بكيت الا لتأخذى بمجامع قلبى ، فمن عرف هذا فقد عرف معنى البيت ، لكنه انما عرفه من قول من عبر عن مراد الشاعر بهذا ، لا من قول الشاعر ، ودون أن تعرف وضع ألفاظه والمراد بكل حرف منه خرط القتاد[2] .

وعلى هذا النحو جميع كلام العرب مثل قولهم : (أبى الحقين العذرة)[3] : يضرب لمن يتعذر وظاهر حاله يكذبه .

ومعرفة هذا المعنى لا يفيدك معرفة هذه الالفاظ . كقولهم : (فلان لا يقعقع له بالشنان) ، (ولا يقرع له بالعصا)[4] و (أنا جذيلها المحك ...)[5]

فى امثال لهذا كثيرة .... وهكذا يفرق الواحدى مرة اخرى بين المعنى العام وبين التفسير التحليلى للمدلول . ثم ينتقل بنا الواحدى مباشرة الى ميدان التفسير بوجهة نظره ليطبق منهجه اللغوى فى تفاسير الصحابة والتابعين . مؤكدا — بالمنطق العلمى — افتقار فهم تفاسير السلف الى الادارة اللغوية وتوقف الوقوف على معانى كلام الله تعالى على معرفة أصول اللغة والنحو . يقول الواحدى :

---

(١) ورد البيت فى لسان العرب (٢٢٣/١٤) وهطلاء : فعلاء من الهطل ، وهو المطر المتفرق العظيم القطر الدائم مع سكون وضعف . والوطف : توصف به السحابة فيقال لها وطفاء وقد فسرها الواحدى فى شرح ديوان المتنبى (ص ١٧٠) فقال (والوطف : جمع وطفاء وهى السحابة المسترخية الجوانب لكثرة مائها ومنه قول امرىء القيس : ديمة هطلاء فيها وطف) ومعنى طبق الأرض أن مطر السحابة صار غشاء (طبقا) للارض . انظر لسان العرب ٧٩/١٢ .

(٢) يمثل للامر المتعذر نواله (دونه خرط القتاد) لأن القتاد شجر بتهامه عظيم الشوك لا يقدر على خرطه والواحدى يعنى : أن الوقوف على حقيقة معنى هذا البيت متعذر دون تحليل مدلولات الفاظه . بل لقد ذهب ائمة اللغة فى شرحه مذاهب شتى : فمما روى عن ثعلب فى تفسيره : ان المراد بسهميها هنا : قداح الميسر. المعلى والرقيب فللاول سبعة انصباء . وللثانى ثلاثة والمعنى انها ضربت بسهامها على قلبه فخرج لها السهمان فغلبته وفتنته وملكت قلبه ا هـ (انظر لسان العرب ٢٤٩/٦) وعليه فالمراد بالاعشار: اجزاء السهام العشرة ومعنى مقتل : مذلل ، ويقال قدر أعشار : أى متكسرة ومشعبة .

(٣) الحقين : اللبن المحقون ، العذرة : العذر . وأصله أن رجلا ضاف قوما فاستسقاهم لبنا — وكان عندهم لبن حقن فى اناء — فاعتذروا له فقال لهم (أبى الحقين العذرة) فصار مثلا (مجمع الأمثال للميدانى ٤٢/١) .

(٤) مثلان مشهوران ورد أولهما فى لسان العرب (١٠٧/١٧) وقعقعة الشنان تحريك القرب الخلقة ، وثانيهما فى مجمع الامثال (٢/ ٢٤١) ويضرب للمحنك المجرب .

(٥) الجذيل تصغير جذل وهو أصل الشجرة والمحك : الذى تتحكك به الابل الجربى (مجمع الأمثال ١٣١/١) .

(... وكذلك آيات القرآن التى فسرها الصحابة والتابعون ، انما فسروها بذكر معناها المقصود ، كقوله تعالى (واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم ...)[1] .

قال قتادة : اذا قيل له مهلا مهلا : ازداد اقداما على المعصية .

فمن أين لك أن تعرف هذا المعنى من لفظ الآية الا بعد الجهد وطول التفكر ؟؟

وكذلك قوله (انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه ...)[2] قال السدى : يعظم أولياءه فى صدوركم ! فانظر : هل يمكنك أن تفرغ هذا المعنى فى قالب هذه الألفاظ الا بعد التعب فى معرفة ما ذكره أرباب النحو[3] .

وكذلك قوله (ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا)[4] تدبر : هل تعرف صحة هذه الألفاظ واستواء نظمها مما ذكره المفسرون ؟؟؟ وهل يحسن أن يقال : من قام فانه يقوم ؟ ومن ركب فانه يركب ؟؟[5] .

وعلى هذا أكثر آيات القرآن وكلام العرب .

وانما ذكرت هذه الأمثلة لتعرف أن من تأمل مصنفات المفسرين ، ووقف على معانى أقوالهم لم يقف على معانى كلام الله تعالى دون الوقوف على اصول اللغة والنحو)[6] .

ثم شرع الواحدى فى بيان طبقات المفسرين ومراتبهم فى فهم معانى التنزيل وكيفية توفر اللغة لديهم فقال :

(والمعنيون بالتصنيف فى هذا العلم طبقات :

فالصحابة الذين نزل فيهم القرآن شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل ، لانهم أهل اللغة الذين نشأوا عليها كما وصفناهم قبل .

وأما التابعون والسلف الصالحون : فانهم لم يتصنعوا فى جمع ما جمعوا ، ولم يتكلفوا فى تتبع الخفايا من الزوايا ، وأرباب المعانى: اقتصروا على الاعراب وبيان نهج الخطاب . وللمتأخرين مراتب ودرجات ، وأغراض فى التصنيف متفاوتات ، والاشتغال بما يعنينا أولى من بيان درجاتهم والكشف عن نقصهم ومزيتهم . وقل من تراه يعنى بسوق اللفظ على التفسير . وافراغه فى قوالب المعانى حتى يتأتى به متسقا من غير ترجح ، ومطردا من غير تخاذل ، وعلى هذا فلم يبقوا فى القوس منزعا ولم يترك الأول للاخر شيئا غير أن المتأخر — بلطيف حيلته ورقيق فطنته — يلتقط الدرر ، ويجمع الغرر فينظمها كالعقد على صدر الكعاب ، يروق المتأملين ويونق الناظرين ، فيستحق به فى الأولى حمد الحامدين ، وفى العقبى ثواب رب العالمين ، وأظننى لم آل جهدا فى احكام أصول هذا العلم (أى التفسير) على حسب ما يليق بزماننا هذا وتسعة سنو

---

(١) سورة البقرة /٢٠٦
(٢) سورة آل عمران /١٧٥
(٣) وجه توقف معرفة المعنى فى الآية الكريمة على معرفة النحو : تتمثل فيما ذكره الواحدى فى تفسيره الوسيط ص ١٢٨ قال (.. قوله « يخوف أولياءه » اى يخوفكم بأوليائه وهم المشركون ، فحذف المفعول الثانى وحرف الجر).
(٤) سورة الفرقان /٧١
(٥) دفع العلماء التكرار الظاهرى فى الآية الكريمة من وجوه منها : أن المراد بالتوبة الأولى : التوبة من الشرك وبالثانية : التوبة من المعاصى أو أن المراد : من صدقت توبته فى الماضى يوفقه الله تعالى لدوامها فى المستقبل .

(٦) الواحدى : البسيط ٦/١

عمرى على قلةاعدادها، فقدوفق اللهتعالى له الحمد حتى اقتبست كل ما احتجت اليه فى هذا الباب من مظانه ، أما اللغة ...)[1]

وشرع الواحدى يعدد شيوخه فى علوم اللغة والأدب والنحو والقراءات وعلوم القرآن والتفسير على ما أثبتناه فى موضعه من هذا البحث .

وهكذا وقفنا على الأساس النظرى الذى عرضه الواحدى لاتجاهه اللغوى فى التفسير فاستجلينا من حديثه أبعادا بعيدة وأعماقا غائرة وكلها حافلة بالرؤية العلمية المنهجية . والنظرةالذاتية التى سنكتشف بعدها فىالمجال التطبيقى فى تفسيره .

فاذا ما انتقلنا الى الجانب التطبيقى للاتجاه اللغوى فى تفسير الواحدى (البسيط خاصة) فاننا نقف بحق على معين زاخر بعلم العربية ، وغوص وتبحر فى علوم الضاد ، وفقه والمام بأصول اللغة ومعرفة الغريب قلما نجد له نظيرا فى نتاج المفسرين .

ولقد استرعى هذا الجانب اللغوى انتباه جلة العلماء فوضعوا تفسير الواحدى (البسيط) فى المحل الأرفع فى قائمة التفاسير اللغوية ، وقد اشار الى ذلك القفطى فى(انباه الرواه) فقال فى تفسير البسيط (ومن رآه علم مقدار ما عنده من علم العربية)!![2] .

كما نجد الزركشى يغلب الاتجاه اللغوى عند الواحدى على ما عداه فيصنفه فى قائمة المبرزين فى التفسير بالغريب ، حيث قال عند تناول مصنفات التفسير .

(وكلهم يقتصر على الفن الذى يغلب عليه ، فالزجاج ، والواحدى فى البسيط : يغلب عليهما الغريب)[3] .

وأقول : ان تبحر الواحدى فى اللغة فى تفسيره قد جعل بعض العلماء — ومنهم الزركشى — يغلب عليه هذا الجانب بينما هو مبرز فى اتجاهات عديدة بدليل رؤية صاحب (الاتقان) له من زاوية علم النحو[4] ، بل وبدليل ما مر بنا من تفوقه فى جانب التفسير بالمأثور وهو الجانب الذى بخس فيه حق الواحدى ولم ينل فيه ما يستحقه من التقدير. ونعود الى ما نحن بصدده :

حينما نقترب من رؤية الاتجاه اللغوى فى تفسير الواحدى ونرصد أبعاده وزواياه : فان أول ما يستوقفنا فى هذا المجال هو : دفاعه عن عربية القرآن ، كل القرآن ، وغيرته الشديدة على نسبة كل ألفاظه الى الضاد ، لقوله تعالى (انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)[5] وقوله جل شأنه (... بلسان عربى مبين)[6] ونحو ذلك مما نطق به التنزيل . وعلى هذا المبدأ جمهور المفسرين ، حيث قال السيوطى فى (المزهر) :

(قال الجمهور : ليس فى كتاب الله سبحانه شىء بغير لغة العرب ، لقوله تعالى (انا جعلناه قرآنا عربيا) وقوله تعالى (بلسان عربى مبين)[7] .

وذهب بعض المفسرين الى أن فى القرآن ما ليس بلغة العرب أصلا ، كبعض الألفاظ

---

(١) الواحدى : البسيط ٦/١

(٢) القفطى : انباه الرواه ٢٢٣/٢

(٣) الزركشى : البرهان ١٣/١

(٤) السيوطى : الاتقان ٢١٢/٤

(٥) سورة الزخرف /٣

(٦) سورة الشعراء /١٩٥

(٧) السيوطى : المزهر ٢٦٦/١

التى تنسب الى لغات اخرى مثل القسورة، والطور ، والتنور ، ونحوها • فادعى هؤلاء البعض أن هذه الألفاظ قد علقت بألسنة العرب العاربة من بعض العجم وغيرهم من جـراء احتكاكهم بهم خلال رحلات التجارة وغـيرها فاستعملها العرب فى أشـعارهم ومحاوراتهم حتى جرت مجرى العربى الصحيح ووقع بها البيان ، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن • وهذا رأى ابن عطيه فى مقدمة تفسيره[1] وقد خالف بـه الامام الطبرى الذى ذهب الى اتفـاق العربية مع بعض اللغـات الأخرى فى بعض الألفاظ ، فجاء ما فى القرآن من هذه الألفاظ موافقا للغتين معا[2] فما رأى الواحدى اذا فى القضية ؟؟ •

انه ينتصر لعربية كل ألفاظ القرآن الكريم بقوة ، ويقف فى صف الامام الطبرى وغيره ممن دافع عن أصالة هذه الألفاظ فى العربية • يقول الواحدى عند تفسير قوله تعالى (واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور••)[3] (••• واما (الطور) : فقيل انه الجبل بالسريانية فان صـح ذلك فهو وفاق بين لغتهم ولغـة العرب ، لأنه لا يجوز أن يوجد فى القرآن الا ما تكلمت به العرب[4] • وهذا مما تكلم به العرب ، قال العجـاج : (دانى جناحيه من الطور فمر) •

وقيل : انه اسم جبـل بعينه ، وهو جبل بالشام ، قال ذو الرمة :

أعاريب طـوريون عن كل بلدة
يحيدون عنهـا من حذار المقادر

طوريون : أى وحشيون ، يحيدون عن القرى حذار الوباء والتلف كأنهم نسبوا الى الطور وهو جبل بالشام • وقال الفراء فى قوله تعالى (والطور)[5] : قال : (هو الجبل الذى بمدين كلم الله عليه موسى[6][7] •

فالواحدى يرى اتفاق لغة العرب مع غيرها فيما ورد فى التنزيل من ألفاظ لها وجود فى غير العربيـة • ونفس الموقف الاتفاقى يؤكـده الواحدى فى تناول لفظ طوبى•عندتفسير قوله تعالى (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب)[8] فيروى اقوال اهل اللغة المفسرين فى أصلها ومادتهـا ثم يستخلص حصيلة الأقوال والآراء فيقول :

(••• فهذا الذى ذكرنا : قولان فى هـذه الكلمة ، احدها : انها اسم شجرة ، والثانى: أنها فعلى من الطيب ، وفيها قول ثالث : وهو ماروى سعيد بن جبير عن ابن عباس: طوبى: اسم الجنة بالحبشة ، وقال الربيع وسعيد بن مسجوح : اسم الجنة بلغة الهند • وعلى هذا

---

(١) انظر مقدمتان فى علوم القـرآن ص ٢٧٦ — ٢٧٧ •
(٢) انظر تناول الامام الطبرى للقضية فى مقدمة تفسيره : جامع البيان ١/٧ — ١١
(٣) سورة البقرة / ٦٣
(٤) يعنى : الا ماتكلمت به العرب أصلا وابتداء ، كمـا يفهم من سياق كلامـه ، وحتى يتسق مع قوله (فهو وفـاق بين لغتهم ولغـة العرب) اذ المغايرة هنا مطلقة وشـاملة لـكل اطوارهما حتى لا يتطرق ما ذهب اليه ابن عطية من أخذ العرب هذه الالفاظ عن غيرهم ثم جرت مجرى العربى •
(٥) سورة الطور/١
(٦) انظر معانى القرآن — للفراء ٩١/٣ ونص عبارته (اقسم به ، وهو الجبل الذى بمدين الذى كلم الله عز وجل موسى عليـه السـلام تكليما) أ هـ
(٧) الواحدى : البسيط ٢٠٢/١
(٨) سورة الرعد /٢٩ .

الكلمة مما وقع فيه الوفاق بين لغة العرب ولغة غيرهم من الهند أو الحبشة)[1] •

ومن ثم نقف على أصالة موقف الواحدى فى الانتصار لعربية كل لفظ فى القرآن العربى المبين • ثم لنعرض لأهم الجوانب والمباحث اللغوية التى طرقها الواحدى فى تفسيره ، والتى نقف من خلالها على طابعه العلمى ، ومنهجه فى عرض تلك المباحث والافادة منها فى كشف المعنى ، وابراز المدلول اللغوى من مادته اللفظية بعد تحليلها وتمحيصها •

والواحدى قد اثرى حظ تفسيره من تلك المباحث ، وأسهم فى خدمة لغة القرآن بجهد رائع قلما نجد له فى ميدان التفسير نظيرا •
والطريقة التى سلكها فى تفسيره : أن يبدأ بتناول المادة اللغوية فيقف أمامها من مختلف الزوايا والاتجاهات ويتفحصها ويختبرها ويطرق فى بحثها عدة جوانب ومجالات لغوية• من أهم تلك المباحث وابرزها :

(مبحث الاشتقاق)[2] : فنجد الواحدى يبدأ بالبحث عن اصل المادة ، فيقلب تصاريف اللفظة ، وهيآتها ويستعرض فى ذلك اقوال أئمة اللغة ويعرض اتفاقهم ، أو اختلافهم ثم نجده — فى مواضع عديدة — يعلق مبديا رأيه ومرجحا ما يراه •

من ذلك ما ذكره عند تفسير البسملة من تفسيريه البسيط والوسيط : فنجده يتناول مادة (الاسم) واشتقاقه فيقول فى البسيط :

(••••فأما معنى الاسم ، واشتقاقه ومأخذه من اللغة : فقد كثر فيها الاختلاف :ـ فقال نحويو الكوفة : الاسم مشتق من السمة، وهى العلامة ، كالعدة والزنة ، من الوزن والوعد ، كذلك السمة من الوسم • ومن هذا قال أبو العباس : فقلب الاسم : وسم وسمة، يوضع على الشىء يعرف به •

وقال مشيخة البصرة : الاسم مشتق من السمو ، لانه يعلو المسمى فالاسم ما علا وظهر فصار علما للدلالة على ما تحته من المعنى •

وقال بعضهم:العلة فى اشتقاقه من السمو: أن الكلام ثلاثة ، أسم وفعل وحرف ، فالاسم يصح أن يكون خبرا ويخبر عنه ، والفعل يكون خبرا ولا يخبر عنه ، والحرف لا يكون خبرا ولا يخبر عنه ، فلما كان للاسم مزية على النوعين الاخرين ، وجب أن يشتق مما ينبىء عن هذه المزية ، فاشتق من السمو ليدل على علوه وارتفاعه •

وعند المتكلمين : أنه اشتق من السمو ،لانه سما عن حد العدم الى الوجود ، وقالوا : اصله سمو وجمعه أسماء ، مثل قنو واقناء، وحنو واحناء • فحذفت الواو استثقالا ، ولم تحذف من نظائره ، لانها لم تكثر كثرته ، ثم سكنوا السين استخفافا لكثرة ما يجرى على لسانهم ، واجتلبت ألف الوصل ليمكن الابتداء بها ، وكان هذا اخف عليهم من ترك الحرف متحركا ، لان الالف تسقط فى الادراج وكان اثبات الحرف الذى يسقط كثيرا أخف من حركة السين التى تلزم أبدا •

قالوا : ولا يصح مذهب الكوفيين فى هذا الحرف ، لانه لا يعرف شىء حذفت منه فاء

---

(١) الواحدى : البسيط ٣٥٣/٤ — ٣٥٤
(٢) هو اخذ صيغة من اخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية ، وهيئة تركيب لها ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لاجلها اختلفا حروفا أو هيئة كضارب من ضرب (انظر : المزهر : ٣٤٦/١) .

الفعل فدخلت عليه ألف الوصل كالعدة والزنة وأيضا : فلو كان من الوسم كان تصغيره وسيما كما تقول وعيدة ووصيلة فى تصغير صلة وعدة)[1]

وقد صرح الواحدى فى (الوسيط) بترجيح رأى البصريين فى اشتقاق الاسم فقال (والصحيح ما قال أهل البصرة ، لانه لو كان مشتقا من الوسم لقيل فى تصغيره وسيم ، كما قالوا وعيده ووصيلة فى تصغير عدة وصلة، فلما قالوا (سمى) ظهر أنه من السمو لا من السمة)[2]

وهكذا يعرض لوجهات الرأى المتقابلة فى اشتقاق الكلمة ومستند كل فريق لرأيه مبينا ما يترتب على كل رأى من تغيير فى هيئة اللفظة ثم يقف الواحدى آخذا برأيه مع ما يراه راجحا من الاراء مستندا الى حجته ، كما تتمثل عنايته البالغة بعرض آراء أهل اللغة فى بحث الاشتقاق عند تناول لفظ الجلالة فى البسملة ، فنجده يقول فى تفسيره البسيط : —

(وأما اشتقاق هذا الاسم من اللغة : فذهبت طائفة منهم الخليل ، وابن كيسان ، وابو بكر القفال والحسين بن الفضل الى انه ليس بمشتق ، وأنه اسم تفرد به البارى سبحانه وتعالى ، يجرى فى وضعه مجرى الاسماء الاعلام ، لا يشاركه فيه أحد ، قال الله عز وجل ، (هل تعلم له سميا[3]) ؟

واما الذين قالوا انه مشتق فاختلفوا فذهب عظم أهل اللغة ، الى أن معناه :

---

(١) الواحدى : البسيط ١/١١

(٢) الواحدى : الوسيط /٣

(٣) سورة مريم /٦٥

المستحق للعبادة ، وذو العبادة الذى اليه يتوجه ، وبها يقصد . وروى عن ابن عباس أنه كان يقرأ : (ويذرك وآلهتك[4]) ، قال : معناه عبادتك . وقال أبو زيد : يأله الرجل اذا نسك ، وأنشد :

(سبحن واسترجعن من تألهى[5])

وقد سمت العرب الشمس لما عبدت : الاهه ، والالاهه ، قال عتيبه بن الحارث اليربوعى :

تروحنا من اللعباء آرضا
وأعجلنا الالاهة آن تؤوبا[6]

وانما سموها الالاهه على نحو تعظيمهم لها وعبادتهم اياها كفرا ، وعلى ذلك نهاهم الله ، وأمرهم بالتوجه فى العبادة اليه فى قوله جل وعلا (لا تسجدوا للشمس[7]) الآية ، وكذلك ايضا كانوا يدعون معبوداتهم من الأصنام والاوثان آلهة ، وهى جمع اله ، كازار وآزرة واناء وآنية ، قال الله تعالى (ويذرك وآلهتك[8]) وهى أصنام كان يعبدها قوم فرعون معه ، وعلى هذا قال قائلهم :

---

(٤) سورة الاعراف ١٢٧ والقراءة فى تفسير الطبرى ٥٤/١

(٥) هو من قول رؤبة بن العجاج وصدر البيت (لله در الغانيات المد) انظر تفسير ٥٤/١ .

(٦) البيت فى لسان العرب (٣٦٠/١٧) وقيل هو منسوب لمية بنت أم عتبة بن الحارث وقيل لنائحة عتيبة الحارث وهو فى اللسان :
تروحنا من اللعباء عصرا
فأعجلنا الالاهة أن تؤوبا
واللعباء : موضع وقيل : سبخة معروفة بناحية البحرين بحذاء القطيف وسيف البحر . أنظر لسان العرب ٢٣٨/٢

(٧) سورة فصلت /٣٧

(٨) سورة الاعراف /١٢٧

كحلفة من أبى ريـــاح
يسمعها لاهه الكبار[١]

يريد الصنم ، وهذا البيت حجة للقول الثانى من قول سيبويه يعنى أن أصل الكلمة لاه فاللام فيها الفعل قالوا وهو اسم حـــدث ثـــم جـــرى صـــفة للقـــديم ســـبحانه : ونظـــير هـــذا : قولنـــا الســـلام ، والسلام من سلم كالكلام من كلم ، والمعنى : ذو السلام أى يسلم من عذابه من يشاء من عباده ، كما أن المعنى فى الأول : أن العبادة تجب له • فهذا وجه ، وهو طريقة أهل اللغة • واخبرنى أبو الفضل : احمـــد بن محمد بن عبد الله العروضى[٢] رحمه الله ، قال أبو منصور احمد ابن محمد الازهرى أن أبا الفضل المنذرى قال: سألت أبا الهيثم خـــالد بن يزيد الرازى عن اشتقاق اسم الله فى اللغة فقال : أصله (اله) ، قال الله ــ جل ذكره ــ (وما كان معه من اله اذا لذهب ، كل اله بما خلق[٣]) ، ولا يكون الها حتى يكون معبودا ، وحتى يكون لعباده خالقا ، ورازقا ، ومدبرا ، وعليه مقتدرا ، فمن لم يكن كذلك فليس باله وان عبد ظلما ، بل هو مخلوق ومتعبد ، قال : وأصل (اله) (ولاه) فقلبت الواو همزة ، كما قالوا للوشاح : اشاح ، وللوجاج : أجاج •

ومعنى (ولاه) : أن الخلق يولهون اليه فى حوائجهم ، ويضرعون اليه فيما ينوبهم ، ويفزعون اليه فى كل مايصيبهم ، كما يوله كل طفل الى أمه[٤] •

وحكى عن أبى عمرو بن العلاء ، أنه مشتق من : ألهت فى الشىء آله الاها ، اذا تحيرت فيه، وتسمى المفازة ، ميلهـــا[٥] ، وقال الاعشى :

ويهماءتيه تأله العين وسطها
وتلقى بها بيض النعام ترائكا[٦]

ومعنـــاه : أن العقـــول تتحير فى كنه صفاته ، وعظمته •

وعند متكلمى اصحابنا[٧] : أن الاله من له الهية ، والالهية : القدرة على اختـــراع الاعيان ، وقد اشار ابو الهيثم الى هذا فيما ذكر ، قالوا : وانما سمت العرب معبوداتهم آلهة : لأنهم اعتقدوا فيهم صفة التعظيم ، واستحقاق هذا الاسم ، فأصابوا فى الجملة ، وأخطأوا فى التعيين[٨] وهكذا يعرض الواحدى ــ فى غزارة وتدفق ــ آراء جمهرة أهل اللغة فى اشتقاق لفظ الجلالة ، ويفرع أصل المعنى على كل رأى مستشهدا بما جاء فى التنزيل أو بما أورد فى اشعار العرب ، وفى اثناء ذلك نجده يسوق بعض الأقوال بسنده المتصل الى أبى الهيثم الرازى فيروى مقالته عن شيخه اللغوى أبى الفضل العروضى ، بل نجده يعرج على مقالة المتكلمين من الاشاعرة فى لفظ (الاله)

---

(١) البيت للأعشى وقداثبته صاحب لسان العرب ٣٦٢/١٧ وهكذا :
كحلفـــة مـــن أبى ربـــــاح
يســـمعها لاهـــم الكبـــــار
(٢) هو شيخ الواحـــدى فى عـــلم اللغة والأدب ، وهو الذى نصحه بالتفرغ للتفســـير وقد سبق التعريف به .
(٣) سورة المؤمنون /٩١

(٤) هذا النص المروى عن أبى الهيثم قد اثبته ابن منظور (ت : سنة ٧١١ هـ) فى لسان العرب ٣٦٠/١٧
(٥) قال فى لسان العرب (١٧ / ٤٦٠) : والميله : الفلاة التى توله الناس وتحيرهم) ..
(٦) البيت فى لسان العرب (١٢٠ / ٢٨٦) وهو فيه :
ويهماء قفز تخرج العين وسطها
وتلقى بهـــا بيض النعام ترائكا
واليهماء : مفازة لاماء فيها ولا يســـمع فيها صوت والترائك : جمع تريكة وهى بيضـــة النعامة التى تتركها .
(٧) يعنى متكلمى أهل السنة من الأشاعرة.
(٨) الواحدى : البسيط ١ / ١٣ ــ ١٤ .

موائما بين قولهم وماذكره ابو الهيثم وفى ذلك ايماءه الى أن اقوال المتكلمين لابد وأن ترتكز على أصل لغوى يقوى صلتها بالمدلول الشرعى ويزكى انتماءها اليه • ومن جهة اخرى فقد كان من لطف المناسبة أن يعرض فى اثناء تناول مادة لفظ الجلالة قولا للمتكلمين فى اللغة حيث كان مدلول تلك المادة هو المحور الرئيسى لمباحثهم الكلامية • ومن غير شك فان هذا النص يعكس لنا الى حد كبير مدى صلابة تلك الأرض اللغوية التى أرسى فيها الواحدى قواعد تفسيره •

ولعل الفائدة العظمى التى نجتنيها من البحث الاشتقاقى فى دراسة التفسير — بعد التعرف على أصل المدلول اللغوى — هى الوقوف على منشأ الخلاف والتقابل بين الوجوه التفسيرية •

فكثيرا ما يختلف المفسرون وتتعدد وجهات أنظارهم ولا نقف على أساس ذلك الخلاف ، ولا ندرى سر هذا التعدد فى الاراء ، بينما يكمن ذلك السر فى الخلفية اللغوية التى يكشف عنها البحث فى اشتقاق المادة اللغوية •

ومن ثم نجد الواحدى برسوخ قدمه فى ميدان البحث اللغوى يكشف النقاب فى كثير من المواضع من تفسيره عن منشأ الخلاف بين الأقوال من خلال تحليل المادة اللغوية وتناول اشتقاقها وتفرع آراء المفسرين عن الأصل اللغوى الذى يسفر عنه بيان اشتقاق المادة فيتبين هنالك مأخذ كل رأى ووجهة كل قول • ولنضرب لذلك مثلا تطبيقيا •

يقول الواحدى عند تفسير أول الفاتحة فى تفسيره البسيط :

وقوله تعالى (العالمين) : هو جمع عالم على وزن فاعل ، كما قالوا خاتم ، وطابع ، ودانق ، واختلفوا فى اشتقاقه على وجهين :

فمنهم من قال : اشتقاقه من العلم — بفتح اللام — والعلامة ، وذلك أن كل مخلوق دلالة وعلامة على وجود صانعه ، فالعالم اسم عام لجميع المخلوقات • يدل على هذا: قول الناس العالم محدث يريدون به جميع المخلوقات •

وهذا قول الحسن ، ومجاهد ، وقتادة فى تفسير العالم أنه جميع المخلوقات • يدل على هذا القول من التنزيل قوله (قال فرعون وما رب العالمين • قال رب السموات والأرض وما بينهما[1]) ، فسر العالمين بجميع المخلوقات

ومنهم من قال : أنه مشتق من العلم ، فالعالمون على هذا هم من يعقل ، قال ابن عباس فى رواية سعيد بن جبير : هم الانس والجن ، واختاره ابوالهيثم والازهرى، واحتجوا بقوله (ليكون للعالمين نذيرا[2]) ، وانما بعث محمد نذيرا للانس والجن •

وقال الحسين بن الفضل : وأبو معاذ النحوى: هم بنوآدم ، لقوله (أتأتون الذكران من العالمين[3]) وقال الفراء وأبو عبيدة : هو عبارة عما يعقل وهم أربع أمم : الملائكة ، والانس ، والجن ، والشياطين ، ولا يقال للبهائم عالم •

وقد ذكر الله تعالى : العالمين ، وأراد به أهل عصر واحد ، وهو قوله لبنى اسرائيل

---

(١) سورة الشعراء / ٢٣ — ٢٤
(٢) سورة الفرقان / ١
(٣) سورة الشعراء / ١٦٥

(وأنى فضلتكم على العالمين[1]) يعنى عالمى زمانهم •

وهذه الاقوال صحيحة على أصل من يجعله مشتقا من العلم ، والذين صححوا هذه الطريقة قالوا فى جواب موسى لفرعون (رب السموات والأرض وما بينهما) : انه لم يشتغل بتفسير (العالمين) وانما اراد تعريفه على وجه أظهر من الأول ليصير الخصم مبهوتا • وأبو اسحق اختار الطريقة الأولى ، وقال : معنى (العالمين) : : كل ما خلق الله ، قال : وقوله (رب العالمين) كقوله : (وهو رب كل شىء[2][3]) •

وهكذا نتبين من خلال عرض وجوه اشتقاق لفظ (عالم) مبنى آراء المفسرين فى تفسير (العالمين) فى الآية الكريمة ، فنجد الحسن ومجاهد وقتادة يبنون تفسيرهم على أنه مشتق من العلامة ، فينتظم تحته جميع المخلوقات •

وفى الوجهة الأخرى نجد الامام ابن عباس ، ومن ورائه — من أهل اللغة — أبو الهيثم ، والأزهرى يفسرون (العالمين) بالعقلاء فقط وهذا مبنى على اشتقاق العالم من العلم ، وهو خاص بمن يعقل ومن ثم كان الوقوف على منشأ الخلاف متوقفا على معرفة وجوه اشتقاق اللفظة • وهو الأمر الذى شغف الواحدى بابرازه فى تفسيره ، وكان فيه — من بين المفسرين — صاحب القدح المعلى • ونجد — أيضا — من أمثلة تفريع الواحدى للوجوه التفسيرية المختلفة ، عن الأصول اللغوية المتعددة بتعدد اشتقاقات المادة ، وانبناء أقوال المفسرين عليها : ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم[4]) ، قال فى البسيط :

(•• والعرضة عند أهل اللغة مشتقة من أصلين : أحدهما — وهو الذى عليه الجمهور — أنها مشتقة من الاعتراض بمعنى المنع • وذلك أن المعترض بين الشيئين مانع من وصول أحدهما الى الآخر ، تقول العرب : هو له دونه عرضة ، اذا كان يعترض له دون الوصول الى ذلك الشىء • قال الأزهرى : والأصل فيه أن الطريق المسلوك اذا اعترض فيه بناء أو جذع أو جبل منع السابلة من سلوكه ، فوضع الاعتراض موضع المنع لهذا المعنى • وكل شىء منعك من أمر تريده فقد اعترض عليك وتعرض لك ، ومن هذا يقال للمعارض فى الكلام : معترض ، واعترض عليه فى كذا : أى منع كلامه عن الاستمرار على وجهه •

وعلى هذا : الفراء ، والزجاج ، وابن الانبارى ، واكثر أقوال المفسرين موافق لهذا الأصل ، قال الحسن ، وطاووس ، وقتادة : لا تجعلوا اليمين بالله حجة فى المنع • والتقدير: لا تجعلوا الله مانعا من البر والتقوى باعتراضكم به حالفين •

الأصل الثانى فى اشتقاق العرضة : أنها من الشدة والقوة ، تقول العرب — لفلان عرضة يصرع بها الناس ، أى قوة ، ودابة عرضة للسفر ، أى : قوية عليه ، والعرضى من النوق والابل : الذى فيه نشاط وقوة ، قال الشاعر :

---

(١) سورة البقرة / ٤٧
(٢) سورة الأنعام / ١٦٤
(٣) الواحدى : البسيط ١/٢٢ — ٢٣

(٤) سورة البقرة / ٢٢٤

وأعرورت العلط العرضى تركضـه
أم الفوارس بالدئداء والربعة[1]

وقال الليث : فلان فيـه على أعـدائه عرضية ، وفى الفرس عرضية فى عدوه وأنشده للقطـامى :

بيض الهجان التى كانت تكون بها
عرضـية وهبـاب حين يرتحـل

فالمعنى على هذا الأصل : لا تجعلوا الحلف بالله قوة لأيمانكم فى أن لا تبروا •

ويحتمل أن يكون المعنى على هذا الأصل: النهى عن المبادرة الى الايمان ، كأنه يقـول : لا تجعلوا اسم الله قـوة لأيمانكم تبتدرون من أفواهكم مسرعين بذكره •

وهذا المعنى مروى عن عائشة رضى الله عنها ، لأنها قالت : لا تحلفوا بالله وان بررتم• وتفسير ابن عباس ــ فى رواية عطاء ــ موافق لهذا المعنى ، لأنه قال : يريد : لا يحلف الرجل فى كل حق وباطل ، ينبغى أن ينزه الله عن كثير من الايمان)[2] •

وهكذا تتفرع أقوال المفسرين عن أصول اشتقاق المـادة اللغوية ، ونتبين مأخذ كل رأى من خلال التعرف على وجوه الاشـتقاق ، ويتضح لنـا منشأ الخلاف بين الآراء •

ومن الملاحظ جليا : أن الواحدى لا يقف فى ميدان البحث اللغوى ــ لا سيما فى مجال مباحث الاشتقاق ــ موقفا سلبيا يكتفى فيـه بعرض الوجوه والآراء • وما هو بذاك الرجل ! وانما نراه دائما يثبت ذاتيته العلمية ، فاذا ما راقت له وجهات الآراء دون استحالة فى الجمع بينها اكتفى بالتوجيه مع بيـان مركز الثقل فى الآراء كقوله فى المثال السـابق ــ معلقا على القول باشـتقاق العرضـة من الاعتراض بمعنى المنع ــ (وأكثر أقـوال المفسرين موافق لهذا الأصل) ، لكن الواحدى كثيرا ما يقف بجانب أحد الآراء المتقابلة بتأييده وترجيحه ونقده للرأى المعارض ، وفى هـذا الموقف يستخدم أداته فى الترجيح ومقـدرته على التوجيه والنقـد ، فتبرز هنالك شخصيته العلمية ووفرة محصلته اللغوية ، ثم نجـد من وراء موقفه الايجابى ثمرة علمية ناضجة تفيد البناء التفسيرى وتعززه ، ولنأخذ مثلا :

يقول عند تفسير قوله تعالى (يا أيهـا الذين آمنـوا كتب عليـكم القصـاص فى القتلى[3]) (•• وقوله تعالى (القصاص): القصاص فى اللغة : المماثلة والمساواة ، وأصله من قولهم : قصصت أثره ، اذا تبعته ، ومنـه قوله (وقالت لأخته قصيه)[4] فكان المفعول به يتبع ما عمل به ، فيعمل مثله ، والقصاص مصدر ، لأنه فعال من المفاعلة ، قال الفراء فى كتاب (المصدر) : قاصصته قصاصا ، وأقصصته اذا أقدته من أخيه اقصاصا ، ويقال قصصت أثره قصا وقصصا ، وقصصت عليه الحـديث قصصا ، قال الله تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص)[5] وقـال فى قص الأثر (فارتدا على آثارهما قصصا)[6] والقص جائز فى هذين ، هذا كلامه[7] •

---

(١) البيت لأبى داود الرواسى كما ذكره صاحب لسان العرب (٩ / ٤٦٧) وأعرورت : ركبت والعلط : الناقة لا سـمة عليها ، والدئداء والربعة : كلاهما أشد عدو البعير .

(٢) الواحدى : البسيط ٤٧٨/١ ــ ٤٧٩

(٣) سورة البقرة / ١٧٨ .

(٤) سورة القصص / ١١ .

(٥) سورة يوسف / ٣ .

(٦) سورة الكهف / ٦٤ .

(٧) يعنى كلام الفراء فى كتابه (المصادر) .

وأراد بالقصاص ههنا : المماثلة فى النفوس والجروح •

وقال الازهرى : اصل القص : القطع ، قال أبو زيد : قصصت ما بينهما ، أى قطعت ، قال الأزهرى : والقصاص فى الجراح مأخوذ من هذا ، وهو : أن يجرح مثلما جرح ، أو يقتل مثلما قتل •

والقول الأول أشهر : لأن القصاص والمقاصة يستعمل فى غير الجراح ، يقال : قاصه فى الحساب وغيره : اذا أخذ الشىء مكان غيره •

وقال الليث : القصاص والتقاص فى الجراحات والحقوق شىء بشىء •

وهذا يبين أن معنى القصاص اعتبار المماثلة والمساواة •

وليس معنى الآية : أن القصاص واجب علينا حتى لا يسعنا تركه[1] ، ولكن معناه : أن اعتبار المماثلة بين القتلى فرض علينا ، فالفرضية ترجع الى اعتبار المماثلة من الدماء ، لا الى نفس القصاص حتى يلزم قتل القاتل حتما فالقصاص حيث يجب انما يجب اذا وجدت المساواة •

وهذا يؤكد أن القول فى اشتقاق القصاص فى اللغة انما هو من الاتباع لا من القطع كما قال الأزهرى : لأنه لو كان من القطع لوجب القصاص حتى لا يستثنى بتركه[2] •

وهكذا يعرض الواحدى أصلين لاشتقاق القصاص هما الاتباع (المماثلة) والقطع ثم يجنح فى تفسير الاية الكريمة الى الأصل الأول ويرجحه على الثانى — وهو ما يراه الأزهرى — لاستعمال القص فى غير القطع — فيكون المأخذ الثانى قاصرا عن مدلول القص •

ولكن ما ثمرة الخلاف التى أسفر عنها ترجيح الواحدى ؟ انها خدمة البناء التفسيرى للآية لأن الواحدى حينما جنح باشتقاق القص الى المماثلة قد جعل تلك المماثلة هى مناط الفرضية فى الآية • فدفع بذلك : الابهام بوجوب قتل القاتل حتما حتى ولو عفا عنه •

كذلك يعرض الواحدى آراء اللغويين فى اشتقاق لفظ (رمضان) عند تفسير قوله تعالى : (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن)[3] فيوجه الأقوال المختلفة ، ثم يجنح بترجيحه الى أحد الآراء حيث يجعل هذا اللفظ اسلاميا لا وجود له فى الجاهلية • أو ينال — على فرض وجوده قبل الاسلام — صبغة اسلامية مستمدة من روح التشريع الاسلامى فيقول :

(••• واختلفوا فى اشتقاق رمضان) : فقال بعضهم : هو مأخوذ من الرمض ، وهو حر الحجارة من شدة حر الشمس ، والاسم : الرمضاء ، ورمض الانسان رمضا ، اذا مشى على الرمضاء ، والأرض ، فسمى الشهر رمضان ، لأن وجوب صومه وافق شدة الحر • وهذا القول حكاه الأصمعى عن أبى عمرو •

---

(١) منشأ هذا التحفظ وقوع لفظ (القصاص) فى الآية الكريمة معمولا للفعل (كتب) .
(٢) الواحدى : البسيط ١/٣٨٠ — ٣٨١ .

(٣) سورة البقرة / ١٨٥ .

وحكى عن الخليل أنه قال : مأخذه من الرمضى ، وهو من السحاب والمطر ما كان فى آخر القيظ وأول الخريف ، سمى رمضيا : لأنه يدرك سخونة الشمس وحرها ، فسمى هذا الشهر (رمضان) ، لأن وجوب صومه يغسل الابدان من الاثام ٠

وقيل : هو من قولهم ، رمضت النصل أرمضه رمضا اذا دققته بين حجرين ليرق ٠ ونصل رميض ومرموض ، فسمى هذا الشهر (رمضان) : لأنهم كانوا يرمضون فيه أسلحتهم ليقضوا منها أوطارهم فى شوال قبل دخول الأشهر الحرم ٠ وهذا القول يحكى عن الازهرى ٠ وعلى القولين الاولين : يجب أن يكون هذا الاسم اسلاميا ، وقبل الاسلام لا يكون له هذا الاسم ٠ وعلى ما حكاه الازهرى : الاسم جاهلى ٠

وروى مرفوعا : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم لأصحابه (أتدرون لم سمى شعبان ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : لأنه يشعب فيه خير كثير لرمضان أتدرون لم سمى رمضان ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال لأنه يرمض الذنوب[1] والارماض الاحراق[2] ٠

فى هذا المثال نجد الواحدى لم يكتف بايراد وجه واحد أو قول واحد فى اشتقاق لفظ (رمضان) بل عرض أولا وجهين عن أبى عمرو والخليل اللذين ربطا بين فرضية الصوم واشتقاق اسم رمضان ، فأخذت المادة اللغوية طابعها الاسلامى فى اشتقاقها ٠ ثم عرض قول الأزهرى الذى رجح وجود التسمية فى الجاهلية[3] ٠

وكان ميل الواحدى الى (أسلمة) التسمية وربطها بفرضية الصيام ، فأورد الحديث المرفوع الذى رجح كفة اسلامية التسمية معللا لها برمض الذنوب ، وهو أثر الصوم فى شهر رمضان ٠

فالفائدة التى أبرزها تداول الواحدى للاراء فى اشتقاق هذه المادة : هى ارتباط تسمية شهر رمضان بأثر الصيام فيه ، حتى مع سبق التسمية لفرضية الصيام ، بمعنى أنه ينبغى أن يستشعر المسلم هذه المعانى فى تسميته وخاصة ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ٠ يقول الامام الالوسى فى تفسيره : (ولعل ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم[4] مبين لما ينبغى أن يكون وجه التسمية عند المسلمين ، والا فهذا الاسم قبل فرضية الصيام بكثير على ما هو الظاهر[5]) ٠

وكما تبرز شخصية الواحدى فى الترجيح بين الآراء المختلفة فى اشتقاق المادة اللغوية فانه كثيرا ما يوفق بين أقوال اللغويين

---

(١) قال الالوسى (وانما سمى الشهربه لأن الذنوب ترمض فيه ــ قاله ابن عمر ــ وروى ذلك أنس وعائشة مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم . انظر روح المعانى ٢/٦١ .

(٢) الواحدى : البسيط ١/٣٩٦ ــ ٣٩٧ .

(٣) ذكر السيد محمود شكرى الالوسى فى (بلوغ الأرب) : أنه سمى رمضان لأن وقت تسميته أيام العرب المستعربه صادفت شدة الحر . انظر : بلوغ الأرب ٣/٧٨ .

(٤) يعنى الحديث الذى أورده عن أنس وعائشة مرفوعا (.. اتدرون لم سمى رمضان . قال لأنه يرمض الذنوب) .

(٥) الالوسى : روح المعانى ٢/٦١ .

فى الاشـــتقاق ، وذلك برؤيته البعيدة للجامع المشترك بين معانى تلك الأقوال المختلفة •

من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (يسألونك عن الخمر والميسر[1] ••) فقال فى البسيط :

(•• والخمر عند أهل اللغة : سميت خمرا لسترها العقل ، قال ابن المظفر : الخمر معروف ، واختمارها ادراكهـا وغليانهـا ، ومخمرها : متخذها ، وخمـرتها : ما غشى المخمور من الخمار وانشد :

فقـد أصـابت حمياها مقاتلة
فلم تنجلى عن قلبه الخمر[2]

وخمرت الدابة أخمرها : اذا سـقيتها الخمر ، قال الكسـائى : اختمـرت خمرا ، ولا يقال ، أخمرتها •

وأصـل هذا الحرف : التغطية ، روى ثعلب عن عمرو عن أبيه قال : الخامر الذى يكتم شهادته ، وفى الحديث : (اخمـروا آنيتكم[3]) ، وقد اختمرت المرأة بخمارها وتخمرت ، وهى حسنة الخمرة ، ويقـال : خامرى أم عامر ، أى ادخلى الخمرواستترى والخمر : ما واراك من شجر وغيره من وهدة وأكمـة •

وقيل سميت خمرا : لأنها تغطى حتى تدرك • وقال ابن الانبارى : سميت خمرا : لأنها تخامر العقل ، أى : تخالطه ، يقال : خامره الداء اذا خالطه • ومنه أنشد لكثير :

هنيئا مريئا غير داء مخامر[4]

يقال: خامر السقام كبده وخامرت كبده المقام ، تجعل أيهما شئت فاعلا • قال :

أتيت الوليـــد لـــه عايـدا
وقـد خامر القلب منه سقاما

وهـذا الذى ذكره راجع الى الأول ، لأن الشىء اذا خالط الشىء يصـير بمنزلة الساتر له • هذاقولأهلاللغة فى اشتقاقها[5]

وعلى أســاس هذا البحث الاشتقاقى بنى الواحدى موقفه الفقهى فى حد الخمر[6] •

وهكذا نتبين من خـلال تلك الأمثـلة والشواهد مبلغ عناية الواحدى الفائقة ببحث اشتقاق الألفاظ لتبيان الأصل اللغوى الذى تتفرع عنه وجوه اشتقاق الكلمة وتتفرع عنه بالتالى وجهات أقوال المفسرين وتتعدد جوانب الافادة من هذا المبحث على نحو ما اسلفنا • والواحـدى يقف فى هذا الميـدان مواقف ايجابية تتسم بالعمق والموسوعية والقدرة على التحليل والنقد •

ثم نجد الواحدى ــ الى جانب ذلك ــ يطرق مجالات أخرى عديدة فى الاطار اللغوى ويتناول مباحث لغوية عديدة فى تفسيره •

---

(١) سورة البقرة / ٢١٩ .
(٢) البيت فى لسان العرب (٥ / ٣٤٠) ولم ينبه صاحب اللسان لقائله . وحميا الكأس : أول سورتها .
(٣) أخرج البخارى الحديث عن جابر فى كتاب الأشربة : باب تغطية الاناء ٧/١٤٥ ط الشعب .
(٤) البيت فى (الكامل) للمبرد ، وشطره الثانى (لعزة من أعراضنا مـا استحلت) انظر الكامل بتحقيق الدكتور زكى مبارك ١/٣٥٠ ط الحلبى سنة ١٣٥٥ هـ .
(٥) الواحدى : البسيط ١/٤٦٤ ــ ٤٦٥ .
(٦) ذهب الواحدى فى تحديد مدلول الخمر فى الشرع الى أنهـا كل شراب مسكر سواء كان عصيرا أو غيره مما هو مخالط للعقل مغط عليه وقال فى الاستدلال على ذلك (واللغة تشهد لهذا) وتأثر به الفخر الرازى فقال فى تفسيره (من الدلائل على أن كل مسكر خمـر التمسـك بالاشتقاقات (انظر تفسيره ٢/٢١٨) .

فمن أبرز الجوانب التى طرقها وبرزت فى تفسيره : (الاشتراك)[1] .

فنجده يعنى بعرض وجوه المشترك ويفصل المعانى الكثيرة المشتركة فى اللفظ الواحد على الحقيقة . من ذلك ماذكره فى (البسيط) عند تفسير قوله تعالى (وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين) [2] ، يقول الواحدى :

(دون : يرد فى الكلام على معانى كثيرة، يكون بمعنى (قبل) : كقولك ، دون النهر قتال ودون قتل الأسد اهوال ، وقمت دون فلان اذا نضحت عنه[3] ، ومنه قول الحادى :

(وأنى تخلصت الى

وباب السجن دونى مغلق)

ومنه قوله — عليه السلام — (المقتول دون ماله شهيد)[4] ، ويكون دون بمعنى وراء كقولك : هو أمير علي مادون جيحون . أى وراءه .

ويكون بمعنى (تحت) ، يقال : هو دونه: أى تحته .

ويكون بمعنى (غير) يقال : هذا دون ما ذكرت ، أى غيره ، قال الله تعالى : ويعملون عملا دون ذلك)[5] يريد غير الغوص من البناء وغيره .

والذى فى هذه الآية بمعنى غير .

ويكون (دون) بمعنى خذ ، وهو بمعنى الاغراء ، يقال : دونك زيدا ، أى : خذه قال الشاعر : — (أيها الماتح دلوى دونكا)[6]
ويكون بمعنى الوعيد ، كقولك : دونك نتمرس بى قال الشاعر :

فدونكما فما قيس بشحم
لمختلس ولا فقع بقاع[7]

ويكون (دون) بمعنى القرب ، يقال : ادن دونك ، أى : اقترب . قال زهير بن جناب :

وان عفت هذا فادن دونك اننى
قليل الفرار والشريج شعارى

الشريج : القوس . وقول الاعشى :

(يزيد يغض الطرف دونى)

قال أبو الهيثم : أى فيما بينى وبينه من المكان ، يقال : أدن دونك : أى : اقترب منى فيما بينى وبينك .

ويكون (دون) بمعنى الخسيس ، من قولهم : رجل دون . أى خسيس . ولم يصرف

(١) من أنواع علوم اللغة : معرفة المشترك، وقد أفرد صاحب (المزهر) لبحثه : النوع الخامس والعشرون . ويعرف المشترك بأنه : اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند اهل تلك اللغة . والأكثرون من اللغويين على أنه واقع لنقل اهل اللغة ذلك فى كثير من الألفاظ ومنهم من أوجب وقوعه لأن المعانى غير متناهية والألفاظ متناهية ، فان وزع لزم الاشتراك . أنظر المزهر للسيوطى ٣٦٩/١ .
(٢) سورة البقرة / ٢٣ .
(٣) يقال نضح الرجل عن نفسه اذا دفع عنها بحجة ، وهو ينضح عن فلان : أى يذب عنه أنظر : لسان العرب ٢٦٠/٣
(٤) أخرجه الترمذى فى كتاب الديات ٢٨/٤ — ٢٩ وقال : وهذا حديث حسن صحيح .
(٥) سورة الأنبياء ٨٢ .
(٦) الماتح : من ينزع الدلو . انظر اساس البلاغة للزمخشرى ٢ / ٣٦٤ .
(٧) الشحم : جوهر السمن . والمختلس: الأخذ فى نهزه ومخاتلة ، والفقع : الرخو من الأرض ، والقاع : الأرض الواسعة .

فعله • ويكون بمعنى : أقل من ذا ، كقولك : يكفينى دون هذا •

فأما قوله فى هذه الآية : (من دون الله): أى غير الله ، كما يقال : مادون الله مخلوق• بريد : وادعوا من اتخذتموه معاونين من غير الله • على تفسير ابن عباس •••)[1] •

وهكذا يغوص الواحدى فى محيط الضاد ليلتقط درر المعانى من أصداف المبانى ،فيكشف عن الوجوه المشتركة فى لفظ دون[2] ، ولميشأ الواحدى — وهو الماهر بالعربية — أن يورد تلك الوجوه عطلا من حليها فساق لكل من المعانى التسعة شاهده من المنظوم أو المنثور• كما نجد الواحدى يعرض للمشترك ويصرح باشتراكه ، فقال عند تفسير قوله تعالى : (وقلنا يا ادم اسكن أنت وزوجك الجنة)[3]

(اسكن الجنة : أى اتخذها مأوى ومنزلا ، وليس معناه استقر فى مكانك ولا تتحرك • وهذا اللفظ مشترك ، يقال : اسكنه أى أزال حركته ، واسكنه مكان كذا وكذا أى جعله مأوى ومنزلا له • والأول الأصل • ومنه : السكين ، لانه الآلةالتىتسكن حركة الحيوان)[4] كذلك يعرض الواحدى لوجوه (مشترك الاضداد[5] فى مواضع كثيرة من تفسيره ومن هذا القبيل ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (ثم توليتم من بعدذلك)[6] قال فى البسيط : (التولى فى اللغة يستعمل على ثلاثة معان : —

يكون بمعنى الاعراض ، كالذى فى هذه الآية ، ومعناه : أعرضتم وعصيتم ، ومثله (وان تتولوا يستبدل قوما غيركم)[7] أى تعرضوا عن الاسلام •

وتكون بمعنى الاتباع : قال الله تعالى : (ومن يتولهم منكم فانه منهم)[8] معناه : من يتبعهم وينصرهم ، ويقال : توليت الأمر توليا اذا وليته بنفسك ، قال اللهتعالى (والذىتولى كبره)[9] أن ولى وزر الافك واشاعته ، ومعنى توليتم ههنا ، أعرضتم عن أمر الله وطاعته)[10] •

ونجد الواحدى يتتبع المادة اللغوية — كثيرا — فى مواضع متعددة من تفسيره فيضيف الى ما ذكره فى موضع اضافة جديدة وتحليلا آخر لنفس المادة فى موضع لاحق من تفسيره • من ذلك تناوله لمادة (التولى) — التى سبق الحديث عنها فى المثال السابق — عند تفسير قوله تعالى (فلنولينك قبلة ترضاها)[11]حيث عرض لصيغة التولى وبين ما فى اللفظ من اشتراك بين المتضادين فقال فى البسيط :

(••• وقوله تعالى (فلنولينك قبلة) : يقال وليته القبلة : اذا صيرته مستقبلها

---

(١) الواحدى : البسيط ١٠١/١ .

(٢) لم يصرح الواحدى فى تناوله هنا بتسمية المشترك مكتفيا بتبيان وجوهه . على حين صرح ابو حيان فى تناول بعض معانى (دون) من تفسيره (١ /١٠٢) وختم بقوله (.. ويكون دون مشتركا) .

(٣) سورة البقرة / ٣٥ .

(٤) افرد السيوطى فى المزهر (٣٨٧/١) لمعرفة الأضداد (النوع السادس والعشرين) من كتابه وقال فى مستهل بحثه (هو نوع من المشترك) .

(٥) الواحدى : البسيط ١٣٢/١ .

(٦) سورة البقرة / ٦٤ .

(٧) سورة محمد / ٣٨ .

(٨) سورة المائدة / ٥١ .

(٩) سورة النور / ١١ .

(١٠) الواحدى : البسيط ٢٠٣/١ .

(١١) سورة البقرة / ١٤٤ .

بوجهه ، وليس فى (فعلت) منه هذا المعنى ؟ لانك اذا قلت : (وليت الحائط) و (وليت الجدار) : لم يكن فى قولك دلالة على أنك واجهته ، ففعلت من هذه الكلمة ليس بمنقول من فعلت الذى هو (وليت) ، فيكون على حد قولك : (فرح) و (فرحته) ، ولكن المعنى الذى هو المواجهة عارض فى (فعلت) ولم يكن فى (فعلت) ، واذا كان كذلك : كان فيه دلالة على أن النقل لم يكن من (فعلت) ، كما كان قولهم : (ألقيت متاعك بعضه على بعض) لم يكن النقل فيه من (لقى متاعك بعضه بعضا) ولكن (ألقيت) كقولك (أسقطت) ولو كان منه زاد مفعول آخر فى الكلام ولم يحتج فى تعديته الى المفعول الثانى الى حرف الجر فى قولك (ألقيت متاعك بعضه على بعض) كما لم يحتج اليه فى قولك (ضرب زيد عمروا وأضربته اياه ،ونحو ذلك ، فكذلك (ولينك قبلة) من قولك (وليت) كلقيت من قولك لقيت .

وقد جاءت هذه الكلمة مستعملة على خلاف المقابلة والمواجهة ، وذلك نحو (ثم توليتم الا قليلا منكم)[1] ، (ثم توليتم من بعد ذلك[2] ، (عبس وتولى[3]) ، (وتولى عنهم وقال يا أسفا ...)[4] ، (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا)[5] .

فهذه مع دخول الزيادة فى الفعل ، وفى غير الزيادة قوله (... ولى مدبرا ...)[6] وقوله (ثم وليتم مدبرين)[7] ، وقوله (مدبرين) : حال مؤكدة ، لان فى (وليتم) دلالة على أنهم مدبرون ، وهذا على نحوين : أما ما الحق التاء أوله : فانه يجوز أن يكون من باب (تحرب) و (تأثم) اذا ترك الحرب والاثم ، فكذلك اذا ترك الجهة التى هى المقابلة وأما الذى لا زيادة فيه : فيجوز أن تكون الكلمة استعملت على الشىء وعلى خلافه كالحروف المروية فى الاضداد . وقد روى فى الاضداد : (ولى) اذا اقبل)[8] وهكذايعرض الواحدى فى هذا المثال وسابقه الوجهين المتضادين المشتركين فى اللفظ المشترك ومن أبرز الأمثلة التى يتجلى فيها مراس الواحدى باللغة ، واثراء تفسيره بمباحثها والاستنارة بها كشف معانى التنزيل استنباط أحكامه : معالجته الدقيقة للمشترك من الاضداد عند تفسير قوله تعالى : (والمطلقاتيتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء[9] يقول فى البسيط :

(... والقروء جمع قرء ، وجمعه القليل : أقرؤ ، والكثير : اقراء وقروء وهذا الحرف من الأضداد يقال للحيض قرء ، والعرب تقول اقرأت المرأة فى الامرين جميعا .

وعلى هذا : يونس ، وأبو عمرو بن العلاء، وأبو عبيد : أنها من الاضداد وهى فى لغة العرب مستعملة فى الأمرين جميعا ، وكذلك فى الشرع .

أما فى استعمال العرب : فقدأنشد الأئمة حجة للحيض قول الراجز :

له قروء كقروء الحائض[10] .

---

(١) سورة البقرة / ٨٣ .
(٢) سورة البقرة / ٦٤ .
(٣) سورة عبس / ١ .
(٤) سورة يوسف / ٨٤ .
(٥) سورة النجم / ٢٩ .
(٦) سورة النمل / ١٠
(٧) سورة التوبة / ٢٥ .

(٨) الواحدى : البسيط ١/ ٣٣٠ — ٣٣١ .
(٩) سورة البقرة / ٢٢٨ .
(١٠) البيت فى تفسير القرطبى (٣/ ١١٤) وشطره الأول : (يارب ذى ضغن على فارض) ، والشاعر يعنى أنه طعنه فاسال له دما كدم الحائض .

وأنشدوا حجة للطهر قول الأعشى : —
(لما ضاع فيها من قروء نسائكا)[1]

والذى ضاع الاطهار لا الحيض ، لانه خرج الى الغزوة فلم يغش نساءه •

واما فى الشرع : فقال النبى صلى الله عليه وسلم فى (المستحاضة : تنتظر أيام أقرائها وتغتسل فيما سوى ذلك)[2] يعنى أنها تجلس عن الصلاة أيام حيضها ، فالخبر دليل على أن الاقراء قد تكون الحيض •

واما استعمال الشرع اياها فى الاطهار : قوله تعالى (يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء أى ثلاثة أطهار ، يدل عليه (فطلقوهن لعدتهن)[3] : أى لوقت عدتهن وزمان عدتهن ، وبين النبى صلى الله عليه وسلم أن وقت العدة الطهر فى حديث ابن عمر وهو أنه طلق امرأته وهى حائض فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعمر : (مره فليراجعها، فاذا طهرت فليطلق أو ليمسك)[4] فبين أن زمن الطلاق الطهر لتكون المرأة مستقبلة العدة • ومن هذا الاختلاف فى اللغة وقع الخلاف فى الاقراء بين الصحابة وفقهاء الامة •••)[5] ثم أخذ الواحدى يرتب آراء الائمة على مدلول اللغة ثم فصل القول فى أصل القرء واشتقاقه وفى هذا المثال يتضح استشهاد الواحدى بالنقل من الكتاب والسنة على صحة وجوه اللغة ومعرفة الغريب ، فاستشهد للمعنيين المتضادين فى القرء بعد تبيان استعمال اللفظ بهما فى شعر العرب •

ومن مباحث اللغة التى عرض لها الواحدى فى تفسيره : (القلب) •

وقد نقل صاحب (المزهر) عن ابن فارس أنه قال فى (فقه اللغة) : (من سنن العرب القلب ، وذلك يكون فى الكلمة ، ويكون فى القصة ، فأما الكلمة فقولهم جبذ ، وجذب ، وبكل ، ولبك ، وهو كثير • وقد صنفه علماء اللغة وليس فى القرآن شىء من هذا فيما اظن)[6] انتهى • بيد أن الواحدى اثبت هذا النوع فى القرآن الكريم عند تفسير قوله تعالى (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب••)[7] فقال فى تفسير (البسيط) :

(••• ومعنى (الندامة) : الحسرة على ما كان يتمنى أنه لم يكن ، والتأسف على ما وقع منه ، ويود أنه لم يكن أوقعها ، هذا معنى الندامة والندم • فاما اصله : فانه[8]•• اللزوم ، ومنه سمى النديم ، لانه يلازم المجلس ، ويقوى هذا قولهم نادم سادم • والسدم : اللهج بالشىء للشىء الحادث ،فان هذا يزول بزوال ما حدث ، والفائت لا سبيل الى رده ، فاستعملوا فيه الندم والسدم •

ويقوى هذا المذهب ايضا : ان اصحاب القلب ذكروا أن (الندم) قلب (الدمن) وهو

---

(١) قال الأعشى قبل هذا :
افى كل عام انت جاشم غزوة
تشد لاقصاها عزيم عزائكا
مورثة مالا وفى المجد رفعت
لما ضاع فيها من قروءنسائكا
(٢) اخرجه أبو داود فى سننه فى كتاب الطهارة ١ / ١٢٥ والترمذى فى سننه ١ /٢٢٠ وذكر أنه تفرد به شريك عن ابى اليقظان .
(٣) سورة الطلاق / ١ .
(٤) اخرجه البخارى ومسلم والترمذى وأبو داود والنسائى وابن ماجة . انظر صحيح البخارى ط الشعب ٧/٥٢
(٥) الواحدى : البسيط ١ / ٤٨٦ .

(٦) السيوطى : المزهر ١ / ٤٧٦ .
(٧) سورة يونس / ٥٤ .
(٨) بالأصل كلمة مقحمة لا معنى لها فى السياق وصورة للاصل (فان ممنوعه اللزوم) وفيه تحريف (فانه) .

اللزوم ، وقال ابن الاعرابى : فلان نديم الخمر ، أى : مدمن لها ، والدمن : ما اجتمع فى الدار ويليه من الابوال والابعار ، سمى بذلك للزومه ، والدمنة : الحقد الكامن فى الصدر اللازم • وهذا من القلوب الذى يستعمل كل واحد من الاصل المقلوب فى معنى غير المعنى الآخر بعد ان يكونا يرجعان الى اصل واحد •••)[1] •

وقد أكد صاحب (لسان العرب) القلب فى هذه المادة فقال : (ويقال : المنادمة مقلوبة من المدامنة ، لانه يدمن من شرب الشراب مع نديمه ، لان القلب فى كلامهم كثير كالقسى من القوس ، وجذب وجبذ وما أطيبه وأيطبه •••)[2] •

وعلى هذا النحو حفل تفسير الواحدى بالكثير من مباحث اللغة وعلومها ، كالعام والخاص والترادف والابدال وغير ذلك من المباحث التى تناولها بعمق وغزارة مادة •

ولقد هيأ هذا التبحر الواسع فى علوم اللغة ومباحثها للواحدى فرصة التمرس الجاد بلغة القرآن الكريم وسبر مدلولات مفرداته والعناية بغريبه فعد من أساطين المفسرين بالغريب على الرغم من أن عنايته بالغريب لم تلو عنانه عن ارتياد الجانب النقلى والعناية بالمأثور • وطريقة الواحدى فى تفسير غريب القرآن تتمثل فى تناوله للفظ الغريب من مختلف الزوايا فيبحث فى اشتقاقه وأصل مادته وما يعرض لها من المباحث اللغوية • ويستعرض أقوال أئمة اللغة ويوجه أقوالهم ثم يرجح بينها بما لديه من بصر بالعربية ودربة بأساليبها وخبرة بمفرداتها حتى تنتهى الى الوجه الوجيه الذى يبنى عليه أقوال المفسرين ويتعرف على منشأ آرائهم ومدى مطابقتها للاصل اللغوى •

ونجد الواحدى يولى لبعض المفردات عناية فائقة ويفرغ وسعه وطاقته فى سبر أغوارها وهى المفردات المصطلح على تسميتها بالغرائب وهى التى أفرد لها علماء القرآن مباحث خاصة ، فنجد الامامين الزركشى والسيوطى يفردان فى (البرهان) و (الاتقان) نوعا خاصا لمعرفة الغريب ويعرف الزركشى هذا النوع فى مستهل بحثه بقوله (وهو معرفة المدلول)[3] ويذكر ممن أفرد هذا النوع بالتصنيف : أبا عبيدة صاحب مجاز القرآن) وأبا عمرو غلام ثعلب الذى صنف فيه (ياقوتة الصراط) والسجستانى صاحب (غريب القرآن) والهروى مصنف (الغريبين) والراغب صاحب المفردات[4] •

وقد تناول الاستاذ الرافعى فى (اعجاز القرآن) اصطلاح (غريب القرآن) بالتحليل والتعليل لتسميته فقال : (وفى القرآن الفاظ اصطلح العلماء على تسميتها بالغرائب وليس المراد بغرابتها أنها منكرة أو نافرة أو شاذة ، فان القرآن منزه عن هذا جميعه ، وانما اللفظة الغريبة ههنا : هى التى تكون حسنة مستغربة فى التأويل ، وبحيث لا يتساوى فى العلم بها أهلها وسائر الناس •••)[5] •

ولقد حث الرسول الكريم ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ على معرفة الغريب وتفهم

---

(١) الواحدى : البسيط ٤ / ٣٨ •
(٢) ابن منظور : لسان العرب ١٦ / ٥٠ •

(٣) الزركشى : البرهان ١ / ٢٩١ •
(٤) نفس المرجع •
(٥) الرافعى : اعجاز القرآن / ٧٤ ط الاستقامة سنة ١٣٧٥ هـ •

مدلوله بقوله صلى الله عليه وسلم (أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه)[1] والمراد باعرابه ـ كما يقول الامام السيوطى : معرفة معانى ألفاظه ، وليس الأعراب المصطلح عليه عند النحاة[2] .

وعناية الواحدى بمعرفة الغريب لم تقتصر على معرفة المدلول اللغوى وتفسير ألفاظ القرآن بتلك المعانى اللغوية فحسب . فليست هذه الطريقة (المعجمية) فى التفسير بمقبولة ولا مرتضاة فى منهج الواحدى وقد نوه العلماء بخطرها وخطئها حتى ان الامام أحمد ابن حنبل رضى الله عنه قد رفض الاحتجاج بأقوال اللغويين فى معانى القرآن ، فقد ذكر الداودى فى طبقاته : أن أبا عبيد القاسم بن سلام قد أخذ فى تصنيف كتاب (معانى القرآن واعرابه) حتى بلغ فيه الى (الحج) أو : (الانبياء ـ فى خمسة وعشرين جزءا ـ ثم تركه فلم يكمله ، وذلك أن الامام احمد بن حنبل كتب اليه : (بلغنى أنك تؤلف كتابا فى القراءات ، أقمت فيه الفراء وأبا عبيدة أئمة يحتج بهما فى معانى القرآن فلا تفعل)[3] .

وأثباتا وتدليلا لما ذهب اليه الامام أحمد : فقد نوه صاحب (البرهان) بخطأ بعض اللغويين فى التفسير لاعتمادهم على اللغة وحدها ، فذكر أن أبا عبيدة قال فى قوله تعالى (واصبح فؤاد ام موسى فارغا)[4] قال : فارغا من الحزن ، لعلمها أنه لم يغرق ، ومنه (دم فراغ) أى لا قود فيه ولا دية . فخطأه بعض الادباء استنادا الى مقتضى السياق القرآنى فقال (أخطأ أبو عبيدة فى المعنى ، لو كان قلبها فارغا من الحزن عليه لما قال (لولا أن ربطنا على قلبها)[5] لانها كادت تبدى به)[6] ثم علق الامام الزركشى منبها الى خطر هذا الاتجاه فقال :

(وهذا الباب عظيم الخطر . ومن هنا تهيب كثير من السلف تفسير القرآن وتركوا القول فيه حذرا أن يزلوا فيذهبوا عن المراد وان كانوا علماء باللسان فقهاء فى الدين ، وكان الأصمعى وهو امام اللغة لا يفسر شيئا من غريب القرآن ..)[7] .

من ثم كان الاتجاه اللغوى عند الواحدى فى تفسيره لا ينفك عن الاتجاه النقلى وهذه سمة رئيسية فى منهجه ، فهو يجند البحث اللغوى وكل معطيات اللغة لخدمة المأثور وفهمه وتوجيهه وتمييز الصحيح من غيره والتوفيق بين أوجه الصحيح منه كما أسلفنا فى موضعه.

بل ان الواحدى يستند فى مباحثه اللغوية وبيان المدلول وشرح الغريب الى النقل فيعرض فى شرح المفردات للنظائر القرآنية التى استعملت فيها مشتقات المادة اللغوية لاستجلاء مدلولها فى صورها المتعددة وفى استعمالاتها

---

(١) رواه ابن ابى شيبة فى المصنف ، وابو يعلى الموصلى ، والبيهقى فى الشعب من حديث ابى هريرة بلفظ اعربوا ورواه غيره بلفظ (اقرءوا) وسنده ضعيف . انظر لتخريجه : الجامع الصغير للسيوطى ١ / ٤٦ ط الحلبى (الرابعة) وانظر المغنى عن حمل الأسفار فى تخريج ما فى الاحياء من الأخبار بهامش الأحياء ١ / ٢٦٠ ط : العثمانية سنة ١٣٥٢ هـ .

(٢) السيوطى : الاتقان ٢ / ٣ ط المشهد الحسينى .

(٣) الداودى : طبقات المفسرين ١٠٦/١ ـ ١٠٧ .

(٤) سورة القصص / ١٠ .

(٥) سورة القصص /١٠

(٦) الزركشى : البرهان ١ / ٢٩٥ .

(٧) نفس المرجع .

المتنوعة • ويستظهر من خلال ذلك تقوية بعض الوجوه التفسيرية • ومن ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى (مالك يوم الدين)[1] في تفسيره البسيط اذ يقول (وقوله تعالى «الدين» قال الضحاك وقتادة ، الدين : الجزاء ، يعني: يوم يدين الله العباد بأعمالهم ، تقول العرب : دنته بما فعل : أي جازيته • ومنه قوله(أئنا لمدينون)[2] أي : مجزيون ، وقال :

واعلم وأيقن أن ملكك زائل
واعلم بأن كما تدين تدان[3]

أي : تجزى بما تفعل •

ويقوى هذا التفسير : قوله (اليوم تجزى كل نفس)[4] وقوله (اليوم تجزون ما كنتم تعملون)[5] وقال ابن عباس • والسدى ، ومقاتل في معنى قوله (مالك يوم الدين) : قاضى يوم الحساب واختار أبو عبيدة هذا القول ، ومن الدين بمعنى الحساب : قوله (ذلك الدين القيم)[6] أي : ذلك الحساب الصحيح والعدد المستوى ، وقيل في قوله : (الكيس من دان نفسه)[7] أي حاسبها وخصها هذا اليوم بأنه مالكه : تعظيما لشأنه وتهويلا لأمره كقوله (ان ربهم بهم يومئذ لخبير)[8] وهو خبير بسائر الأيام ، وللدين معان كثيرة في اللغة ، وكل موضع انتهينا اليه من القرآن ذكرنا ما فيه —)[9] ومن أمثلة ما يستعين فيه الواحدى بالنظائر القرآنية — بكثرة — لفهم المدلول اللغوى وبيان المفردات ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (ومن اظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها)[10] قال في البسيط : (•• واصل السعى في اللغة : الاسراع في المشى ، قال الله عز وجل: (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى)[11] ثم يسمى المشى سعيا كقوله (فلما بلغ معه السعى)[12] : يعنى المشى • وقال:(فاسعوا الى ذكر الله[13] أي امشوا ،ثم قال (ثم ادعهن يأتينك سعيا)[14] ثم يسمى العمل سعيا : لانه لا ينفك عن السعى في غالب الأمر ، قال الله (فأولئك كان سعيهم مشكورا)[15] وقال : (والذين سعوا في آياتنا معاجزين)[16] أي : جدوا في ذلك وقال: (ان سعيكم لشتى)[17] : أي عملكم مختلف : وأراد بالسعى في هذه الآية : العمل)[18] ••

ومن منهج الواحدى في تفسير الغريب وشرح المفردات أنه يورد أقوال أهل اللغة في مدلول اللفظ أولا ، ثم يردفها بأقوال المفسرين في تفسيره ، ثم يجمع بين هذه الأقوال جميعا ويوفق بينها حيث لا تعارض من أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (مهطعين مقنعى رؤوسهم)[19] وقال في البسيط : —

---

(١) الفاتحة / ٤ .
(٢) سورة الصافات / ٥٣ .
(٣) البيت لخويلد بن نوفل الكلابى قاله للحارث بن أبى شمر الغسانى وكان قد اغتصبه ابنته ، انظر لسان العرب ٢٧/١٧ .
(٤) سورة غافر / ١٧ .
(٥) سورة الجاثية / ٢٨ .
(٦) سورة التوبة / ٣٦ .
(٧) رواه ابن ماجه عن شداد بن أوس في كتاب الزهد ٢ / ١٤٢٣ ورواه الحاكم والترمذى انظر الجامع الصغير ٢ / ٩٨ .
(٨) سورة العاديات / ١١ .
(٩) الواحدى البسيط ١ / ٢٧ .
(١٠) سورة البقرة / ١١٤ .
(١١) سورة القصص / ٢٠ .
(١٢) سورة الصافات / ١٠٢ .
(١٣) سورة الجمعة / ٩ .
(١٤) سورة البقرة / ٢٦٠ .
(١٥) سورة الاسراء / ١٩ .
(١٦) سورة الحج / ٥١ .
(١٧) سورة الليل / ٤ .
(١٨) الواحدى : البسيط ٢٨٥/١ .
(١٩) سورة ابراهيم / ٤٣ .

وأما تفسير (الاهطاع) : فقال أبو عبيدة: هو الاسراع ، يقال : اهطع البعير فى سـيره واستهطع ، اذا أسرع • وهو اختيار الزجاج، قال مهطعين : مسرعين ، وأنشد :

يدجـله أهلهـا ولقـد رآهم
بدجلة مهطعين الى السماع[1]

قال : أى مسرعين ، وأنشد أبو عبيدة :

بمهطـع سرح كأن زمـامه
فى رأس جذع من أوال مشذب[2]

قال أبو عبيدة : اهطع وهطع اذا أسرع مقبلا خائفا ، لا يكون الا مع خوف •

وقال أحمد بن يحيى : المهطع : الذى ينظر فى ذل وخشـوع • وقال ابن جريـج : — المهطع:الساكت المنطلق لهتاف اذا هتف‌هاتف• وقال الليث : يقال للرجل اذا فر وذل قـد اهطع ، وأنشد : (• ونمر بن سعد لى مطيع ومهطع)[3] •

فهذه أربعة أقوال لأهل اللغة فى تفسير هذا الحرف •

وأما قول المفسرين : فقال سعيد بن جبير، والحسن ، وقتادة : مسرعين •

وقال سعيد عن قتادة : منطلقين عامدين الى الداعى •

وقال نافـع بن الأزرق : لابن عباس : اخبرنى عن قوله (مهطعين) الاهطاع ؟

قال : النظر ، وفى ذلك يقول الشاعر :

اذا دعانا فأهطعنـا لدعـوته
داع سميع فلفونا وساقونا[4]

وهذا قول مجاهد والضـحاك والكلبى والعوفى عن ابن عباس قالوا : ناظرين مديمى النظر من غير أن يطرفوا • ونحو ذلك قال أبو الضحى ، قال : الاهطاع من التجميع الذى يديم النظر ولا يطرف •

وهذه الأقوال توافق ما حكينا من أهـل اللغة •

والجامع لهذه الأقوال : قول من قال : الاهطاع : اسراع مع ادامة النظر[5] •

ونقف — من خـلال هذ النص — على حقيقة دور التفسير اللغوى عند الواحدى فى تفسـيره ، فالواحدى لم يسـتقل باللغة فى

---

(١) البيت فى تفسير القرطبى ٣٧٦/٩ وفى لسان العرب ١٠ / ٢٥١ .

(٢) السرح : السريعة ، وأوال : جزيرة أو قرية بالبحرين والبيت يعزى لابن برى انظر اللسان (أول) والطبرى ٢٣٨/١٣ ونظير هذا البيت قول امرىء القيس :

لـه جؤجؤ حشـر كـان لجـامه
يعـالى به فى رأس جـذع مشـذب

الامالى ٢٥٥/٢ .

(٣) البيت لتبع ، وصدره : (تعبدنى نمر ابن سعد وقد أرى) انظر لسان العرب ٢٥١/١٠

(٤) ذكر صاحب الاتقان هذه المسألة من مسائل نافع بن الأزرق على نحو آخر فقال : (.. : أخبرنى عن قوله تعالى (مهطعـين) قال : مذعنين خاضعين ، أما سمعت قول تبع :

تعبـدنى نمر بن سـعد وقـد درى
ونمر بن سـعد لى مذيف ومهطـع

الاتقان ٢ / ٥٥ — ٨٨ ولعل اختلاف النص منوط بتعدد الروايات وطرق اخراجها وقد ذكر السيوطى أنها رويت بطريقى ابن الانبارى والطبرانى . ولم يذكر الواحدى طريق روايته بيد أنه وفق بينها وبين ما روى عن الامام ابن عباس بطـريق العوفى وغيره .

(٥) الواحدى : البسيط ٤ / ٤٠٨ .

تفسيره عن المأثور ولم يكتف بايراد أقوال أئمة أهل اللغة بل مهد بأقوالهم وشرحهم اللغوى للغريب أرضا رحبة للتفسير النقلى فأورد أربعة أقــوال تتناول المــدلول اللغوى من مختلف جوانبه وأبعاده ، ثم اتبع تلك الأقوال بمرويات السلف فى تفسير هذا الحرف ــ على حد تعبير الواحدى ــ ثم لم يقف من هذه الآراء وتلك موقفا سلبيا ، بل نظر اليها نظرة علمية فاحصة فوجدها لا تتعارض فيما بينها ، وأدرك أن الجمع بينها ممكن فأتى بالجامع المشترك لتلك الأقوال وربط بين معطيات اللغة والاثر برباط وثيــق ليكتسب به التفســير اللغوى شرعيته وحيثيات قبوله •

كذلك اذا احتمــل اللفظ معنيين وظاهر اجماع المفسرين أحدهما كان هو المختار عند الواحدى يقول فى البسيط عند تفســير قوله تعالى (وأنزلنا عليكم المن والسلوى ••)[1] وأما السلوى فقال المفسرون: انه طائر كالسمان قال الليث : الواحدة سلواة ، وأنشد : كمــا انتفض السلواة بلله القطر[2] •

هذا قــول أكثرهم • وقال بعضــهم : السلوى : العســل بلغــة كنانة ، ومثله قال أبو عبيدة وأنشد لخالد بن زهير :

وقاسمهما بالله جهــدا لانتم
ألذ من السلوى اذا ما نشورها

قال ابو على الفارسى : قرىء على أبى اسحق فى مصنف القاسم : السلوى : العسل مع بيت خالد بن زهير ، فقال لنا أبو اسحق : السلوى طائر ، وغلط خالد بن زهير وظن أنه العسل ، قال أبو على : والذى عندى فى ذلك أن السلوى كأنه ما يسلى به عن غيره لفضيلة الذى كان فيسقط مع المن به •

قلت : والسلوى بمعنى العسل صحيح فى اللغة وأن أنكره ابو اسحق • ولكن : ــ الذى فى الآية : المراد به الطائر، لاجماع أهل التفسير عليه ، قال أبو العالية ومقاتل : بعث الله عز وجل سحابة فمطرت السمانى فى عرض ميل وقدر طول رمح فى السماء بعضــه على بعض)[3] •

لقد برز تبحــر الواحدى فى اللغــة ، فاستدرك على أبى اسحق الزجاج فى تخطئته لخالد بن زهير فى ذكره السلوى بمعنى العسل، وخطأ الواحدى الزجاج فى تلك التخطئة ، وذهب الى صحة اطلاق السلوى بمعنى العسل فى اللغــة ومع ذلك فقــد رجح الواحدى أن السلوى هنا فى هذه الآية الكريمة مراد به الطائر ، وذلك الترجيح من الواحدى مستنده اجماع المفسرين وهكذا أسفر تطبيق المنهــج اللغوى عند الواحدى فى تفسيره عن تمكنه فى ميدان التأويل وخوضه مجال الرأى فى التفسير خوض المتبحــر العالم بلغــة القرآن المدرك لمراميها وخوافيها •

ومما يشار اليه فى هذا الصدد أيضا ان التكوين اللغوى عند الواحدى قــد ظاهره فى دحض بعض الاسرائيليات فى تفسيره استنادا الى معطيات اللغة • من ذلك ماذكره عند تفسير قوله تعالى (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت)[4] قال فى البسيط : ــ

والسبت فى كلام العرب : معناه القطع ، يقال للحلق السبت لانه قطع الشعر ، والسبت:

---

(1) سورة البقرة / ٥٧ .
(2) البيت لأبى صخر الهذلى ، وصدره كما ذكره القرطبى فى تفسيره (١ / ٤٠٨) (وانى لتعرونى لذكراك هزة) .

(3) الواحدى : البسيط ١ / ١٨١ ــ ١٨٢
(4) سورة البقرة / ٦٥ .

السير السريع ، وتأويله : قطع للطريق، ومنه قول حميد : (أما نهارها فسبت)[١] .

والسبت: السبات ، قال الزجاج ، تأويله أنه يقطع الحركة ، والسبت قطعة من الدهر كأنه بمعنى المسبوت أى المقطوع ، وهو فى شعر لبيد : (وغنيت سبتا ..) البيت[٢] .

قال أبو بكر الانبارى : السبت : القطع وسمى السبت من الايام سبتا ، لأن الله ابتدأ الخلق فيه وقطع فيه بعض الخلق ، وخلق الأرض ويقال : أمر فيه بنى اسرائيل بقطع الاعمال وتركها ، قال : وأخطأ من قال : سمى السبت : لأن الله أمر فيه بنى اسرائيل بالاستراحة ، وخلق هو عز وجل السموات والارض فى ستة أيام آخرها يوم الجمعة ثم استراح يوم السبت ، قال : وهذا خطأ ، لأنه لا يعلم فى كلام العرب ، سبت بمعنى استراح، وانما معنى سبت : قطع ، ولا يوصف الله تعالى بالاستراحة ، لانه لا يتعب ..)[٣] .

لقد شهدت اللغة بطلان مدعى بنى اسرائيل بنسبة مالا يجوز فى حق الله سبحانه وتعالى .. اليه استنادا الى مدلول (السبت) فى اللغة .

ثم هناك الدور الخطير الذى تقوم به اللغة فى تفسير آيات الاحكام والذى يؤثربشكل بارز فى استنباط الفقهاء للاحكام الفقهية وأخذها من النص القرآنى . فقد تعددت وجهات أنظار الفقهاء واختلفت فى كثير من الاحكام بناء على اختلافها فى فهم معطيات اللغة والمثال الذى مر بنا فى بيان مدلول (القراء) فى اللغة غير بعيدة ،فقد اختلف الأئمة والصحابة قبلهم فى تحديد المراد بالقرء ، شرعا تبعا لاختلاف علماء اللغة فيه ، وكان منشأ الخلاف أن اللفظ من قبيل (الأضداد) فيطلق على الطهر وعلى الحيض معا . ولذلك عقب الواحدى على ذكر الخلاف فى المدلول اللغوى بقوله :

(.. ومن هذا الاختلاف فى اللغة وقع الخلاف فى الاقراء بين الصحابة ، وفقهاء الأمة ..)[٤] وأمثلة اخرى كثيرة وكثيرة .

كذلك أسهم الاتجاه اللغوى فى تفسير الواحدى بدور كبير فى توجيه القراءات القرآنية والاحتجاج لها والتعقيب والنقد لأقوال اللغويين وعلماء هذا الفن على ما سنقف عليه فى موضعه ان شاء الله تعالى .

ونستطيع فى خاتمة هذا الفصل ان نقرر أن الواحدى كان اماما فى العربية وقد أفاد من تبحره فى علوم اللغة افادة عظمى تجلت فى عنايته بغريب القرآن والتعمق فى بحث مفرادته وعرض المباحث اللغوية التى تنص بمادة الالفاظ وتكتشف مرامى مدلولاتها ، كما تجلى عمق الواحدى فى محيط اللغة فى الاسهام بدور ايجابى فى توجيه آراء المفسرين والتوفيق أو الترجيح بينهما بما يبرز مكانته العلمية وموسوعيته اللغوية مقدار ما عنده من علم العربية)[٥] فى مسار هذا الاتجاه اللغوى فى تفسير الواحدى حتى أدركنا صدق مقالة صاحب أنباه الرواة .

---

(١) البيت فى لسان العرب (٢ / ٣٤٣) لحميد بن ثور ، وتمامه : ومطوية الأقراب اما نهارها : فسبت واما ليلها فزميل .

(٢) البيت فى لسان العرب ٢ / ٣٤١ وتمامه :
وغنيت سبتا قبل مجرى داحس
لو كان لنفس اللجوج خلود

(٣) الواحدى : البسيط ١ / ٢٠٤ .

(٤) الواحدى : البسيط ١ / ٤٨٦ .

(٥) القفطى : انباه الرواة على أنباه النحاة ٢ / ٢٢٣ ترجمة الواحدى) .

الفصل الثالث
الجانب النحوى فى تفسيره

برز الجانب النحوى جليا فى تفسير الواحدى كأحد المعالم الرئيسية فى منهجه التفسيرى • وقد أكد الواحدى ـ وهو يعرض لأسس منهجه فى مقدمة تفسيره البسيط ـ ضرورة الاعتماد على النحو مع اللغة واحكام اصولها ، والارتياض فى صنعتهما قبل التصدى للتفسير لتوقف ادراك معانى كلام الله تعالى على التمرس بأصولهما فقال : ـ

(••• ان طريق معرفة تفسير كلام الله تعالى تعلم النحو والآدب فانهما عمدتاه ، واحكام أصولهما ، وتتبع مناهج لغات العرب[1]) ••

كما أكد أهمية النحو لفهم معانى التنزيل قائلا (•• من تأمل مصنفات المفسرين ووقف على معانى أقوالهم لم يقف على معانى كلام الله دون الوقوف على أصول اللغة والنحو[2]) ودور النحو فى التفسير قد أجمع المفسرون وعلماء القرآن على أهميته وعظم فائدته ، فأفرد له الزركشى فى (البرهان) مبحثا خاصا وجعل معرفة النحو أحد أنواع علوم التنزيل وهو النوع العشرون من مصنفه ، وفيه قال : (••• وعلى الناظر فى كتاب الله الكاشف عن أسراره النظر فى هيئة الكلمة وصيغتها ومحلها ككونها مبتدأ ، أو خبرا ، أو فاعلة أو مفعولة أو فى مبادىء الكلام أو فى جواب الى غير ذلك من تعريف أو تنكير أو جمع قلة أو كثرة الى غير ذلك[3]) •

كذلك عقد الامام السيوطى فى الاتقان النوع الحادى والأربعين لمعرفة أعراب القرآن وفيه نوه بأهمية النحو والاعراب وضرورة الالمام بهما فقال : ـ

(ومن فوائد هذا النوع : معرفة المعنى ، لأن الاعراب يميز المعانى ، ويوقفعلىاغراض المتكلمين •

أخرج أبو عبيد ـ فى فضائله ـ عن عمر بن الخطاب قال (تعلموا اللحن ، والفرائض ، والسنن كما تعلمون القرآن) •

وأخرج عن يحيى بن عتيق ، قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد ، الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ، ويقيم بها قراءته ، قال : حسن يا ابن أخى فتعلمها ، فان الرجل يقرأ الآية فيعيا بوجهها فيهلك فيها[4]) ••

ونظرا للأهمية العظمى لدور علم النحو فى تقويم اللسان والحفاظ على اللغة من

---

(١) الواحدى : البسيط ١/٢
(٢) الواحدى : البسيط ١ / ٦ .
(٣) الزركشى : البرهان ١ / ٣٠٢ .
(٤) السيوطى : الاتقان ٢ / ٢٦٠ .

اللحن وسلامة التنزيل منه فقد تأسست بالبصرة والكوفة أول مدرستين لهذا العلم فى الاسلام ، وكان أبو الأسود الدؤلى البصرى (٦٩ هـ) هو المؤسس الأول لهذا العلم : أما مصدره فهو أمير المؤمنين سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، يقول الزبيدى فى (طبقات النحويين واللغويين) (وقال أبو العباس محمد بن يزيد : سئل أبو الأسود الدؤلى عمن فتح له الطريق الى الوضع فى النحو وأرشده اليه ، فقال : تلقيته من على ابن أبى طالب رحمه الله • وفى حديث آخر قال : ألقى الى على أصولا احتذيت عليها[١]) وعن أبى الأسود أخذعنه عنبسة الفيل[٢] وميمون الاقرن[٣] وعطاء بن أبى الأسود ، وأبو نوفل ابن أبى عقرب[٤] ، ويحيى بن يعمر ، وقتادة الدوسى وعبد الرحمن بن هرمز ونصر بن عاصم وغيرهم[٥] •

أما مدرسة الكوفة فيذكر أصحاب الطبقات أن أول من وضع من الكوفيين كتابا فى النحو كان أبا جعفر الرؤاسى[٦] وقد أخذ عنه الكسائى (١٨٩ هـ) والفراء (٢٠٧ هـ) وعن الفراء أخذ سلمة بن عاصم (٣١٠ هـ) ثم كان ثعلب (ت : ٢٩١ هـ) من أصحاب سلمة[٧] وتتابع علماء النحو من الكوفيين يشيدون أركان المدرسة الكوفية فى النحو •

وكان لكل من المدرستين منهجها الخاص الذى تختلف بـه عن الآخرى ويلتزم به علماؤها • فمدرسة البصرة طابعها الغالب هو تصحيح الرواية وقلة الأخذ بالشواذ ، ومنهجها استقرائى لا يجنح الى القياس عكس مدرسة الكوفة التى تولى عنايتها للمعانى دون اهتمام بصحة الرواية وتأخذ بالقياس ، فكانوا اذ سمعوا بيتا من الشعر أو لفظا من كلام العرب بنوا عليه بابا من النحو وقاسوا عليه[٨] •

ونتعرف على الطابع المنهجى لكل من المدرستين فيما رواه الزبيدى فى طبقاته حيث يقول : (وجمع الحسن بن قحطبة[٩] عند مقدمة مدينة السلام الكسائى والاصمعى وعيسى بن عمر ، فألقى عيسى (وهو بصرى) على الكسائى (الكوفى) هذه المسألة :

(همك ما أهمك) فذهب الكسائى يقول : يجوز كذا ، ويجوز كذا •• فقال له

---

(١) الزبيدى : طبقات النحويين واللغويين بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ص ٢١ ، وانظر المزهر ٢ / ٣٩٧ •

(٢) هو عنبسة بن معدان الفيل من بنى ابى بكر بن كلاب وقيل انه ينتهى الى مهرة بن حيدان الذى ينتهى اليه نسب الواحدى • انظر انباه الرواه ٢ / ٣٨١ ، معجم الأدباء لياقوت بتحقيق مرجليوث ٦/٩١ ــ ٩٢ •

(٣) قال أبو عبيدة (أول من وضع النحو : أبو الأسود الدؤلى ثم ميمون الأقرن ثم عنبسة الفيل ثم عبدالله بن ابى اسحق، وقال ذلك لأن عصرا واحدا جمعهم والا فقد تقدم زمان بعضهم على بعض فى الأخذ والطلب) انظر أنباه الرواه للقفطى ٣ / ٢٣٧ •

(٤) ذكره الزبيدى فى الطبقة الثالثة من النحويين البصريين ص ٣١ وذكر أن شعبة تتلمذ له فى الفقه وابا عمرو بن العلاء فى العربية •

(٥) القفطى : أنباه الرواة ٢ / ٣٨٢ •

(٦) هو محمد بن أبى سارة ابن اخى معاذ الهراء وسمى الرؤاسى لعظم راسه وكان أستاذ الكسائى والفراء (نزهة الالباء / ٥٤) •

(٧) أنظر طبقات الزبيدى ص ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٤١ ، ١٥٠ •

(٨) أنظر عمدة القوى والضعيف للحضرمى / ٤ وانظر انباه الرواه للقفطى (١ / ١٤٤) يقول القفطى : (وكان ثعلب يدرس كتب الفراء والكسائى درسا فلم يكن يعلم مذهب البصريين ولا مستخرجا للقياس) •

(٩) هو الحسن بن قحطبة بن شبيب الطائى (ت : ١٨١ هـ) كان من قواد المنصور ترجمته بشذرات الذهب ١ / ٢٩٥ •

عيسى عافاك الله ! انما اريد كلام العرب ، وليس هذا الذى تأتى به كلام العرب !!

قال أبو العباس ثعلب (الكوفى) : وليس يقدر أحد أن يخطىء فى هذه المسألة لأنه كيف عرب فهو مصيب ، وانما أراد عيسى من الكسائى أن يأتيه باللفظة التى وقعت اليه[1] •

وهكذا يتضح ما بين المنهجين من تمايز أدى الى تشعب الآراء واختلاف وجهات النظر بين العلماء فى أصول النحو ومسائله التفصيلية التى يتعذر حصرها واستقصاؤها ولقد وجد هؤلاء وأولئك فى محيط التنزيل أرحب مجال لتطبيق نظرياتهم وآرائهم •• كما ارتأى المفسرون وعلماء التنزيل الافادة من جهود هؤلاء وأولئك وغيرهم من نحاة بغداد والأندلس ومن المخلطين بين المذاهب النحوية المتعددة ، فى الكشف عن المعانى وتمييزها بالوقوف على وجوه الاعراب ، وجاء الواحدى فى مطلع القرن الخامس بعد استواء هذا العلم وبلوغه أوج نضجه ليخوض غمار بحاره ويمخر عباب انهاره ، ويجنى ثمار أشجاره ، ويحلق فى سمائه مع أطياره ، فتجرد فى شرخ شبيبته لتحصيل هذا العلم واتقان دقائقه على فحوله من أساطين النحاة ، وأعلمهم بمضايق طرق العربية من أمثال شيخيه القهندزى وعمران بن موسى المغربى — وقد مضى التعريف بهما — حتى علق عن القهندزى قريبا من مائة جزء فى المسائل المشكلة[2] •

فكان هذا التكوين العلمى أكبر معين للواحدى على طرق مجال التفسير وهو فى فى مصاف الرواد ، فلا عجب أن تدفقت محصلته النحوية كالسيل المنهمر فى تفسيره تكشف عن دقائق المعانى وتفتح منافذ مطلة على عيون وجوه التأويل •

والحق اقول أن الواحدى قد جعل من تفسيره موسوعة نحوية حافلة بشتى المباحث وأضرب الآراء ، فلم يترك مجالا للبحث النحوى فى موضع من التنزيل الا وقد سبر أغواره وغاص الى قراره ، مستعرضا فى ذلك شتى الوجوه والآراء والأقاويل ، وكثيرا ما يعقب عليها بترجيحه ونقده ورأيه الخاص مبرزا قدرته وأستاذيته فى هذا الفن •

وقد غطى الواحدى — تقريبا — كل مباحث النحو فى تفسيره بدءا من باء البسملة ، يقول فى (البسيط) مستهلا تفسيره بتناول باء البسملة فى فاتحة الكتاب العزيز : —

اختلفت عبارة النحويين فى تسمية هذه الباء جارة ، فسموها مرة : حرف الصاق ومرة حرف : استعانة ، ومرة : حرف اضافة، وكل هذا صحيح من قولهم •

أما الالصاق : فنحو قولك تمسكت بزيد، وذلك أنك ألصقت محل قدرتك به ، وبما اتصل به ، فقد صح اذن معنى الالصاق • وأما الاستعانة : فقولك ضربت بالسيف ، وكتبت بالقلم ، وبريت بالمدية ، أى استعنت بهذه الأدوات على هذه الأفعال ، وأما الاضافة : فقولك : مررت بزيد ، أضفت مرورك الى زيد بالباء •

وأما قول النحويين : الباء ، والكاف ، واللام الزوائد ، فانما قالوا فيهن انهن زوائد،

---

(١) الزبيدى : طبقات النحويين واللغويين ٤٢/ .

(٢) انظر البسيط ٧/١ .

لانهن لما كن على حرف واحد ، وقللن غاية القلة ، واختلطن بما بعدهن : خشى عليهن لقلتهن ، وامتزاجهن بما يدخلن عليه أن يظن بهن أنهن بعضه ، وأحد اجزائه ، فوسموهن بالزيادة ليعلموا من حالهن أنهن لسن من أنفس ما وصلن به ، ألا ترى أن[1] .. وحذاق النحويين لايسمونها زوايد ، بل يقولون فى الباء واللام انهما حرفا اضافة ، وفى الكاف يقولون حرف جر ، وهذه الحروف أدوات عاملة تجر ما تدخل عليه من الأسماء ، نحو : من ، عن ، وفى ، وانما[2] .. جرت الأسماء من قبل أن الأفعال التى قبلها ضعفت عن وصولها وافضائها الى الأسماء التى بعدها ، نحو قولك : عجبت ومررت، وذهبت ، لو قلت عجبت زيدا، ومررت جعفرا ، وذهبت محمدا ، لم يجز كما يجوز ضربت زيدا ، لضعف هذه الأفعال فى العرف والعادة فى الاستعمال فلما قصرت هذه الأفعال عن الوصول الى الأسماء رفدت[3] بحرف الاضافة ، فجعلت موصولة لها اليها فقالوا : عجبت من زيد ونظرت الى محمد ، فلما احتاجت هذه الأفعال الى هذه الحروف لتوصلها الى بعض الأسماء ، جعلت تلك الحروف جارة ، واعملت هى فى الأسماء ، ولم يفض الى الأسماء النصب الذى يأتى من الأفعال : لانهم أرادوا أن يجعلوا بين الفعل الواصل بنفسه وبين الفعل الواصل بغيره فرقا ، ولما هجروا لفظ النصب لما ذكرنا لم يبق الا الرفع والجر فأما الرفع فقد استولى عليه الفاعل ، فلم يبق اذا غير الجر ، فعدلوا اليه ضرورة والجار والمجرور جميعا فى موضع نصب ، ألا ترى أنهم عطفوا عليه بالنصب فقالوا : مررت بزيد ومحمدا ، ونظرت الى عمرو وخالدا ؟ وعلى هذا ما أنشده سيبويه : ـــ

معاوى اننا بشر فاسجح
فلسنا بالجبال ولا الحديدا[4]

عطف (الحديد) على موضع (الجبال) ولهذا قال سيبويه : انك اذا قلت : مررت بزيد الظريف تنصبه على موضع زيد .

وجميع الحروف المفردة التى تقع فى أوائل الكلم : حكمها الفتح أبدا ، نحو : واو العطف وفائه وهمزة الاستفهام ولام الابتداء، فأما الباء فى (بزيد) فانما كسرت لمضارعتها اللام الجارة فى قولك ، المال لزيد ، وسنذكر العلة فى كسر اللام فى قوله (الحمد لله) ان شاء الله . ووجه المضارعة بينهما : اجتماعهما فى الجر ، ولزوم كل واحد منهما الحرفية . وليست كذلك كاف التشبيه ، لأنها قدتكون اسما فى بعض المواضع .

فأما المتعلق به الباء فى قوله (بسم الله) فانه محذوف ومستغنى عن اظهاره لدلالة

---

(١) بالأصل عبارة محرفة تحريفا شديدا من الناسخ وصورتها (الا ترى ان اليوم تنساه لابا فيه ولا كان) .

(٢) بالأصل كلمة مقحمة يلزم من دخولها تغيير ما بعدها وصورة الأصل (وانما تدخل جرت الأسماء) فلو ثبتت (تدخل) يلزم لاستقامة المعنى أن تغير (جرت) الى (جارة) وتنصب على الحالية .

(٣) رفدت ـــ بالبناء للمجهول : أعينت ، يقال أرفده : بمعنى اعانة والاسم منها الرفد (لسان العرب ٤ / ١٦٢) .

(٤) أورد صاحب (خزانة الأدب) هذا البيت وذكر أنه الشاهد الرابع والعشرون بعد المائة من الشواهد شرح الكافية . وهو من شعر عقيبة بن هبيرة الأسدى ، شاعر جاهلى اسلامى وفد على معاوية بن أبى سفيان فدفع اليه رقعة فيها هذا البيت ضمن أبيات . انظر خزانة الأدب بتحقيق محمد محيى الدين ٢/٨١ ومعنى (اسجح) ارفق وسهل ، يقال : خد اسجح : اى طويل سهل .

الحال عليه ، وهو معنى الابتداء ، كأنه قيل : بدأت باسم الله ، وأبدأ بسم الله ،والحالتبين أنك تبتدىء فاستغنيت عن ذكره[1] .

بهذا التدفق العلمي والعمق النحوى أثرى الواحدى تفسيره بتناول مختلف مباحث النحو ودقائق مسائله . فنجده فى هذا النص الذى افتتح به تفسيره يسلط ضوء البحث النحوى على باء البسملة ويقف عندها وقفة علمية حافلة بالجدة والعمق وغزارة المادة ، فيعرض أولا لمعانى الباء الجارة ، ثم يعلل لقول النحاة فى الباء والكاف واللام انهن زوائد، ويبين سر اطلاق حذاق النحويين على الباء واللام أنهما حرفا اضافة ، وعلى الكاف انها حرف جر ، ثم يحلل معنى جر هذه الحروف للاسماء وسر الاستعانة بها ، ويبين لماذا لم ينتصب الاسم بعدها بالفعل قبلها . ويبين ـ بالاستشهاد ـ محل الجار والمجرور بعد الفعل ، ثم ينتقل لبيان حكم الحروف المفردة التى تقع فى أوائل الكلم ، ثم يبين أخيرا : متعلق باء البسملة وسر الاستغناء عن ذكره .

ونجده يعرض لمذاهب النحويين فى (أل) ويستعرض الآراء فيها عند تفسير أول الفاتحة ويفيض من موسوعيته النحوية ما يعكس ثراءه وفحولته . فيقول فى (البسيط) بعد أن تناول معنى الحمد والشكر فى تفسير (الحمد لله) :ـ

ولابد من ذكر طرف من مذهب النحويين فى الألف واللام اللتين للتعريف وحكمهما : ـ ومذهب الخليل فى هذا : أن (أل) حرف التعريف بمنزلة (قد) فى الأفعال ، فان الهمزة واللام جميعا للتعريف . وحكى عنه أنه كان يسميها (أل) كقولنا (قد) ، وأنه لم يكن يقول الألف واللام كما لا يقول فى (قد) القاف والدال .

واحتج لهذا المذهب بفضلين[2] : أحدهما أن العرب قد قطعت (أل) فى أنصاف الأبيات نحو قول عبيد :

يا خليلى أربعا واستخبرا الـ
منزل الدارس من أهل الجلال
مثل سحق البرد عفى بعدك الـ
قطر معناه وتأويب الشمال

قال : فلو كانت اللام وحدها حرف التعريف لما جاز فصلها من الكلمة التى عرفتها لاسيما واللام ساكنة ، والساكن لا ينوى به الانفصال ، فصار قطعهم وهم يريدون الاسم بعدها كقطع النابغة (قد) فى قوله :

أفد الترحل غير أن ركابنا
لما تزل برحالها وكأن قد[4]

ألا ترى أن التقدير : كأن قد زالت . فقطع (قد) من الفعل كقطع (أل) من الاسم، واذا كان (أل) عند الخليل حرفا واحدا فقد كان ينبغى أن تكون همزته مقطوعة ثابتة كقاف (قد) وباء بل الا أنه لما كثر استعمالهم لهذا الحرف فى موضعه فحذفت همزته كما حذفوا (لم يك) و (لا أدر) . والفضل الثانى : أنهم قد أثبتوا هذه الهمزة بحيث تحذف همزات الوصل نحو قوله : (قل آلله أذن لكم)[5] و (قل آلذكرين)[6] ولم تر همزة وصل تثبت فى نحو هذا . فهذا يؤكد أن همزة (أل) ليست بهمزة وصل ، وأنها مع اللام كقد . ومذهب الجمهور فى هذا : أن اللام وحدها هى حرف

---

(١) الواحدى : البسيط ١/٩ ـ ١١ .
(٢) أى بزيادتين فى الرجحان .

(٣) البيتان لعبيد بن الأبرص وهما من شواهد الأشمونى (١ / ١٧٧) وسحق البرد : مسحوق الثياب .
(٤) أفد : دنا وقرب ، ويروى فى بعض الروايات (أزف) والتصحيح من : مجموعة دواوين فحول الشعراء نشر المكتبة الأهلية ببيروت سنة ١٣٥٢ هـ : ديوان النابغة / ٣٥ .
(٥) سورة يونس / ٥٩ .
(٦) سورة الأنعام / ١٤٣ .

التعريف ، وأن الهمزة انما دخلت عليها لسكونها والدليل على هذا : ايصالهم حرف الجار الى ما بعد حرف التعريف نحو قولهم : عجبت من الرجل ، ومررت بالغلام • فنفوذ الجر الى مابعد حرف التعريف يدل على أن حرف التعريف غير فاصل عندهم بين الجار والمجرور ، وانما كان كذلك : لانه فى نهاية اللطافة والاتصال بما عرفه ، لانه على حرف واحد ولا سيما ساكن، ولو كان حرف التعريف فى نية الانفصال كقدلما جاز نفوذ الجر الى ما بعد حرف التعريف ، وأيضا : فان حرف التعريف نقيض التنوين ؛ لان التنوين دليل التنكير كما أن هذا دليل التعريف ، وكما أن التنوين فى أوله ينبغى أن يكون حرفا واحدا •

فأما ما احتج به الخليل من قطع (أل) عن الحرف الذى بعده فى الشعر فقد يقطعون فى المصراع الأول بعض الكلمة وما هو منها أصل، ويأتون بالبقية فى أول المصراع الثانى كما قال :

يا نفس أكلا واضطجا
عانفس لست بخالده

وهو كثير ، واذا جاز ذلك فى أنفس الكلم ولم يدل على انفصال بعض الكلمة من بعض ، فغير منكر أيضا أن تفصل لام المعرفة فى الأول •

وأما ما احتج به من قطع الهمزة فى نحو (الله) فانما جاز ذلك لمخافة التباس الاستفهام بالخبر ، وانما جعل حرف التعريف حرفا واحدا، لأنهم أرادوا خلطه بما بعده ، فجعلوه على حرف واحد ليضعف على انفصاله مما بعده فيعلم بذلك أنهم اعتزموا على خلطه به ، ولهذا سكنوه ، لانه أبلغ فيما قصدوا ، لأن الساكن أضعف من المتحرك ، وأشد حاجة وافتقارا الى ما يتصل به •

وانما اختاروا اللام وحدها دون سائر حروف المعجم ، لأنهم أرادوا ادغام حرف التعريف فيمابعده ، لأن الحرف المدغم أضعف من الحرف الساكن غير المدغم ليكون ادغامه دليل على شدة اتصاله ، فلما آثروا ادغامه فيما بعده اعتبروا حروف المعجم فلم يجدوا فيها حرفا أشد مشاركة لأكثر الحروف من اللام ، فعدلوا اليها لأنها تجاور اكثر حروف الفم التى هى معظم الحروف ، ليصلوا بذلك الى الادغام المترجم عما عرضوه من شدة وصل التعريف بما عرفه ، ولو جاءوا بغير اللام للتعريف لما أمكنهم أن يكثر ادغامها كما أمكنهم ذلك مع اللام ، فادغامهم اياها مع ثلاثة عشر حرفا وهى : التاء ، والثاء ، والدال، والذال، والراء والزاى ، والسين ، والشين ، والصاد ، والضاد والطاء ، والظاء ، والنون ، وذلك قولهم : التمر، والثريد ، والدبس ، والذوق ، والرطب ، والزبد والسفرجل ، والشعير ، والصبر ، والضباب ، والطبيخ ، والظلم ، والنبق ، يدلك على ماذكرنا: أنك تجد اللام ساكنة وهى لغير التعريف مظهرة غير مضمرة مع اكثر هذه الحروف وذلك نحو التقت ، وهل ثم أحد ، والزم به، وألسنة • هذا الكلام فى اللام ، فأما الكلام فى الهمزة الداخلة على هذه اللام فاعلم أن الهمزة انما جىء بها توصلا الى النطق بالساكن الذى بعدها ، اذ لم يكن الابتداء به ، وكان حكم هذه الهمزة أن تكون ساكنة لانها حرف جاء لمعنى ، ولاحظ له فى الاعراب ، وهى فى أول الحرف كالهاء التى لبيان الحركة فى آخر الحرف نحو : وازيداه ، وواعمراه ، فكما أن تلك ساكنة فكذلك كان ينبغى فى الالف أن تكون ساكنة ، الا انها حركت لأجل الساكن الذى بعدها •

ولا يجوز أن يحرك ما بعدها لأجلها ، من قبل أنك لو فعلت ذلك لبقيت هى عليك أيضا

فى أول الكلمة ساكنة ، وكان يحتاج لسكونها الى حرف قبلها محرك يقع به الابتداء ، وانما اختاروا الهمزة لوقوع الابتداء به ، لأنهم أرادوا حرفا ، يتبلغ به الابتداء ويحذف فى الوصل للاستغناء عنه بما قبله ، فجعلوه الهمزة ، لأن العادة فيها فى اكثر الاحوال حذفها للتخفيف ، وهى مع ذلك أصل فكيف اذا كانت زائدة ، ألا تراهم حذفوها فى نحو: خذ ، ومر ، وويلمه ، وفى قول الشاعر :

وكان حالكم منا ورافدكم
وحامل المين بعد المين والألف[1]

أراد : والمئين ، فحذف الهمزة ، وأراد الألف ، فحرك اللام ضرورة ، وقالوا : ذن لا أفعل فحذفوا همزة اذن ، ولو أنهم جعلوا مكان الهمزة غيرها لم يكن حذفه ، لأنه لم يحذف غيرها من الحروف كما حذفت هى ، وكانت الهمزة بالزيادة فى الابتداء أولى من سائر الحروف ، لأنهم شرطوا على أنفسهم حرفا يحذف عند الغنى عنه ، وذلك فى أكثر أحواله ، لأن الوصل أكثر من الابتداء والقطع ، ولم يجدوا حرفا يطرد فيه الحذف اطراده فى الهمزة فأتوا بها دون غيرها من سائر حروف المعجم .

والأصل فى جميع ألفات الوصل أن تبدأ بالكسر ، لأنها انما دخلت وصلة الى النطق بالساكن الآخر . وانما فتحت مع لام التعريف لأن اللام حرف ، فجعلوا حركة الهمزة معها فتحة لتخالف (حركتها فى الأسماء والأفعال)[2] .

(١) البيت فى لسان العرب (٢٠ / ١٣٨) وهو فيه .
ما كان حاملكم منا ورافدكم
وحامل المين بعد المين والألف
(٢) ما بين القوسين ساقط فى الأصل فى هذا الموضع ثم وردت العبارة تامة بعد (مكررة) والتكملة من النظير المكرر الذى اكتفيت عنه بما نكر .

ولام التعريف تقع فى الكلام على أربعة مواضع ، وهى : تعريف الواحد بعهد ، نحو قولك لمن كنت معه فى ذكر رجل : قد وافى الرجل . أى الرجل الذى كنا فى حديثه وذكره .

وتعريف الواحد بغير عهد ، نحو قولك لمن لم تره قط ولا ذكرته ، يا أيها الرجل أقبل ، فهذا تعريف لم يتقدمه ذكر ولا عهد . الثالث : تعريف الجنس ، نحو قولك : العسل حلو ، والخل حامض ، فهذا التعريف لا يجوز أن يكون عن احاطة بجميع الجنس ولا مشاهدة له لأن ذلك متعذر ، وانما معناه : أن كل واحد من هذا الجنس المعروف بالعقول دون حاسة المشاهدة الرابع : أن تكون زائدة ، نحو قوله : الآن ، ولام الذى والتى وتثنيتهما ، وجمعهما ، ولام اللات والعزى ، وسنذكر كل واحد من هذه الحروف اذا انتهينا اليه ان شاء الله[3] بهذا الاغراق وذلك العمق وتلك الشمولية الرحبة تصدى الواحدى للمباحث النحوية فى تفسيره بعالمية واقتدار ، فحفل تفسيره بشتى مباحث النحو على هذا النحو !! ولئن طال بنا هذا الشاهد كما ستطول بنا بعض الشواهد فما القصد الا تجسيد هذا الجانب من تفسيره فى صور متكاملة لايغنى وصفها عن ابرازها للعيان لتتحدث عن نفسها أو عن الواحدى فى نفسها .

والأمر الذى يستلفت النظر ويسترعى الانتباه فى موقف الواحدى — ازاء هذا الاتجاه النحوي فى تفسيره : أنه لا يسلك أبدا سبيل السرد المجرد عن النظرة الذاتية أو اغفاء الصفة الشخصية فيما يقول : كلا : لم يكن بذاك وانما أثبت لنفسه مواقف ومواقف تخطى بها حواجز التقليد وانتصب برأيه مع الكبار من فرسان الحلبة ، فنراه فى العديد من المسائل

(٣) الواحدى : البسيط : ١ / ١٨ — ٢١ .

والمواقف موجها لأقوال الجهابذة وناقدا لآراء الأساطين ، بل ورادا لبعض مذاهب أئمة النحو ومضعفا لها بما يراه من حجج وبراهين نتجت من ثاقب عقله وخصوبة تجربته • من أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ••)[1] الآية حيث تناول بالبحث حرف (لن) قائلا : —

وأما (لن) : فهى حرف قائم بنفسه ، وضع لنفى الفعل المستقبل ، ونصبه للفعل كنصب (أن) ، وليس ما بعد لن بصلة لها ، لأن (لن يفعل) نفى (سيفعل) ويعمل ما بعدها فيما قبلها ، كقولك : زيدا لن أضرب •

وروى سيبويه عن بعض اصحاب الخليل عنه أنه قال : الأصل فى (لن) : (لا أن) ولكنها حذفت تخفيفا ، وزعم سيبويه أن هذا ليس بجيد ، ولو كان كذلك لم يجز : زيدا لن أضرب ، لأن ما بعد (أن) لا يعمل فيما قبلها لأن ذلك يؤدى الى تقديم الصلة على الموصول•

وللخليل أن ينفصل من هذا بأن يقول : الحروف اذا ركبت خرجت عما كانت عليه ، ألا ترى أن هل أصلها الاستفهام ، ولا يجوز أن يعمل ما بعدها فيما قبلها لو قلت : زيدا هل ضربت ؟ لم يجز • فاذا زيد على هل : لا ، ودخلها معنى التخصيص ، جاز أن يتقدم ما بعدها عليها كقولك زيدا هلا ضربت[2] ؟؟ثم بعد أن يخلص الواحدى قول الخليل من اعتراض سيبويه يرجع هو بالنقد على الخليل فيقول : —

(•• الا ان قول الخليل ضعيف فى الجملة من وجه آخر ، وهو : أن اللفظ متى جاء على صيغة ما وأمكن استعمال معناه ، لم يجز أن يعدل عن ظاهره الى غيره من غير ضرورة تدعو الى ذلك ، فلما وجدنا (لن) معناها مفهوم بنفس لفظها لم يجز أن يدعى أصلها شىء آخر من غير حجة قاطعة ولا ضرورة ••)[3] •

والواحدى يعنى فى تفسيره كثيرا بذكر جدل النحويين فى التوجيه الاعرابى وبيان مذاهبهم وتفريغ آرائهم ، حيث يرى أن ذلك كله يخدم المعنى ، ويوسع دائرة الفهم للنص القرآنى •

فنجده يعرض لاختلاف النحاة فى اعراب (نفسه) فى قوله تعالى (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ••)[4] يقول فى البسيط : —

واختلف النحويين فى نصب (نفسه) ، فقال الفراء : ترفع (سفه) على النفس[5] وهى معرفة ، وكذلك قوله (بطرت معيشتها)[6] وهو فى المعرفة كالنكرة ، لأنه مفسر ، والمفسر فى أكثر الكلام نكرة ، كقولك : ضقت به ذرعا ، المعنى : ضاق به ذرعى • فالفعل للذرع فلما جعلت الضيق مسندا اليك فقلت : ضقت ،جاء الذرع مفسرا ليدل على أن المعنى : الضيق فيه، كما تقول : هو وسعكم دارا ، أدخلت الدار ليعلم أن السعة فيها لافى الرجل ، ثم أجرى على هذا قولهم : وجع بطنه ، وألم رأسه ، وغبن رأيه ، ورشد أمره ، فعند الفراء التقدير : سفهت نفسه ، فأضيف الفعل الى صاحب النفس ، فخرجت النفس مفسرة • وهذا مذهب الكوفيين

---

(١) سورة البقرة / ٢٤ .
(٢) الواحدى : البسيط ١/١٠٢ .
(٣) نفس المرجع .
(٤) سورة البقرة / ١٣٠ .
(٥) اى يسند السفه الى النفس كما سيتضح بعد .
(٦) سورة القصص / ٥٨ .

واعترض الزجاج على هذا بأن قال : معنى التميز لا يحتمل التعريف ، لأن التميز انما هو واحد يدل على جنس ، أو خلة تخلص من خلال ، فاذا عرفته صار مقصودا قصده وهذا لم يقله أحد من المتقدمين من النحويين •

ثم حكى أقوالا : فحكى عن الأخفش عن أهل التأويل انهم قالوا ، ان المعنى (بتشديد الفاء) وقال يونس : انها لغة ، ذهب الى أن فعل للمبالغة كفعل ، فذهب فى هذا مذهب أهل التأويل ، قال : ويجوز على هذا سفهت زيدا بمعنى سفهت زيدا • قال ابن الانبارى : لا يعرف هذا ، لأن العرب لا تقول : سفه زيد عمرا ، بمعنى سفه ، وحكى الزجاج أيضا عن أبىعبيدة أنه قال : معناه أهلك نفسه وأبق نفسه ، وهذا القول مثلما حكى الأخفش عن أهل التأويل ، وقال أبو بكر على هذا القول : أهلكت فى معنى سفه : معنى ، وليس بتفسير واذا كان كذلك لم يجز نصب النفس به ، وايقاعه عليه ، لأن سفه يخالف أهلك فى التعدى وان كان بمعنى خفت • وحكى الزجاج أيضا عن الأخفش : أن سفه نفسه فى معنى سفه فى نفسه الا أن (فى) حذفت كما حذفت حروف الجر فى غير موضع كقوله (أن تسترضعوا أولادكم •)[1]، المعنى : أن تسترضعوا لأولادكم ، فحذف حرف الجر من غير ظرف ، لأن المعنى لأولادكم ومثله (ولا تعزموا عقدة النكاح)[2] ، أى عليها ، ومثله قول الشاعر :

نغالى اللحم للأضياف نيئا
ونبذله اذا نضج القدور[3]

المعنى : نغالى باللحم ، قال : ومثله قول العرب : ضرب زيد الظهر والبطن ، المعنى على الظهر والبطن • قال وهذا عندى مذهب صالح •

ثم اختار أن يكون معنى سفه نفسه جهل نفسه ، فالمعنى — والله أعلم — الا من جهل نفسه ، أى لم يفكر فى نفسه : فوضع سفه موضع جهل ، وعدى كما عدى ، وقد ارتضى هذا القول كثير من العلماء •

وقال ابن كيسان فى تفسير قوله (الا من سفه نفسه) : الا من جهل نفسه ، لأن من عبد حجرا أو قمرا أو شمسا ، أو صنما : فقد جهل نفسه ، لأنه لم يعلم خالقها ، ولا يعلم ما يحق لله عليه ، والعرب تضع سفه فى موضع جهل ، ومنه الحديث : (الكبر أن تسفه الحق وتغمص الناس)[4] أى : تجهل الحق • ويؤيد هذا القول : ما روى فى الحديث (من عرف نفسه فقد عرف ربه)[5] ، قيل فى معناه : انما يقع الناس فى البدع والضلالات لجهلهم أنفسهم ، وظنهم أنهم يملكون الضر والنفع دون الله •

وحكى عن أبى بكر الوراق أنه قال فى معنى هذا الحديث : من عرف نفسه مخلوقة مرزوقة بلا حول ولا قوة عرف ربه خالقا

---

(١) سورة البقرة / ٢٣٣ .
(٢) سورة البقرة / ٢٣٥ .
(٣) البيت فى لسان العرب ٣٦٨/١٩ غير منسوب لقائله وفيه (ونرخصه) بدلا من (ونبذله) وفيه (القدير) بدل (القدور) ومعنى نغالى : نشتريه غاليا .

(٤) رواه مسلم والترمذى بلفظ (الكبر بطر الحق وغمط الناس) وأخرجه المنذرى فى الترغيب والترهيب عنهما ج ٥ ص ١٨٨
(٥) صنف الامام السيوطى رسالة فى بحث هذا الحديث بعنوان (القول الأشبه فى حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه) وقال فيها (ان هذا الحديث ليس بصحيح ، وقد سئل عنه النووى فى فتاويه فقال انه ليس بثابت وقال ابن تيمية : موضوع وقال الزركشى فى الأحاديث المشتهرة ذكر ابن السمعانى أنه من كلام يحيى ابن معاذ الرازى) .

ورازقا بالحول والقوة ، وقد أوحى الله الى داود (كيف عرفتنى وكيف عرفت نفسك ؟ فقال: عرفتك بالقدرة والقوة والبقاء وعرفت نفسى بالعجز والضعف والفناء) • فقال : الآن عرفتنى ، فاذا كان من عرف نفسه عرف ربه كان من جهل نفسه جهل ربه حتى يذهب يرغب عن ملة ابراهيم •

ثم بعد هذه الأقوال : قد حكى عن الخليل قول حسن وهو : أنه قال : تجىء أفعال تتعدى الى النفس خاصة ، نحو : سفه نفسه وصبر نفسه ولا يقال سفهت نفسه زيدا ولا صبرته قال عنترة :

فصبرت عارفة لذلك حرة
ترسو اذا نفس الجبان تتطلع

أراد صبرت نفسا عارفة ، وبهذا قال الكسائى : فقال فى قوله (سفه نفسه) و (بطرت معيشتها) و (عجلتم أمر ربكم)[1] ووجع بطنه ، ورشد أمره ، وخسر نفسه : هذه حروف تقولها العرب كأنها فعل واقع فى هذا المكان • ولا يقولون وجعت عبد الله ولا خسرت عبد الله[2] وهكذا يضم هذا النص المطول مختلف الآراء والوجوه لائمة النحاة الذين تناولوا اعراب كلمة فى آية ، فأنجزت ذيول الأقوال والتوجيهات والتعقيبات ، وما من شك فى أن لكل وجه فى الاعراب وجه فى المعنى • ولئن كان فى اطالة المثال شىء من الملل ، ففيها دون شك جانب الافادة أرجح ، حيث نقف على مدى احاطة الواحدى بضروب الأقوال واتجاهات الآراء والمذاهب النحوية، وفيها كذلك التصوير الكمى الذى نلتقط به مدى استيعاب الواحدى للمادة العلمية فى اعراب كلمة فى حيز آية أو بعض آية •

وكثيرا ماتنبثق الآراء التفسيرية وتتفرع عن الوجوه النحوية فى تفسير الواحدى فيوقفنا على ذلك فى مواضع بالغة الكثرة فى تفسيره ، وفى اكثر هذه المواضع نلفى الواحدى يطلق لنفسه عنان القول ، وتنهمر محصلته النحوية والتفسيرية بوابل من الاقوال والآراء فتتدفق فى تفسيره بغزارة وعمق ، وتتجلى حينئذ مقدرة الواحدى على الاحاطة والاستيعاب وفى الوقت نفسه تبرز قدرته فى تصنيف تلك الأقوال ، والتوفيق بينها ونبذ السقيم منها ووضع الصحيح فى نصابه •

وفى النص الذى سنعرضه ــ كمثال ــ تبرز مزاوجة الواحدى بين آراء النحاة والمفسرين لربط الوجه التفسيرى بالوجه الاعرابى فى تصنيف محكم وعرض شيق حافل بالعمق والثراء فعند تفسير الآية الكريمة (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم ••)[3] الآية • يعرض لاختلاف العلماء فى وجه الاستثناء فيقول : ــ

وقوله تعالى : «الا الذين ظلموا منهم» : اختلف العلماء فى وجه هذا الاستثناء ، وهم فى هذه الآية فريقان : فريق أولوا الآية على سياقها ، وصححوا الاستثناء على ظاهره ، وهم : مجاهد ، وعطاء ، وقتادة ، والربيع ، والسدى ، وابن جرير ، وأبو روق ، قالوا : الناس ههنا اليهود ، كانوا يحتجون على

(١) من الآية رقم / ١٥٠ سورة الأعراف وقبل الفعل فى الآية الكريمة همزة استفهام (أعجلتم) •
(٢) الواحدى : البسيط ١ / ٣١٠ ــ ٣١٢
(٣) سورة البقرة / ١٥٠ •

رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلاتهم الى بيت المقدس ، ويقولون : مادرى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم نحن • ويقولون : يخالفنا محمد فى ديننا ويتبع قبلتنا وهذا كن حجتهم التى كانوا يحتجون بها على المؤمنين على وجه الخصومة والتمويه بها على الجهال ، فلما صرفت القبلة الى الكعبة ، بطلت هذه الحجة ، ثم قال : (الا الذين ظلموا) وهم المشركون ، فانهم قالوا : قد تحير محمد فى دينه فتوجه الى قبلتنا ، وعلم أنا اهدى سبيلا منه ، ويوشك أن يرجع الى ديننا ، فهؤلاء تبقى لهم الخصومة • والحجة قد تكون بمعنى الخصومة كقوله (لاحجةبيننا وبينكم)[1] أى : لا خصومة ، قالابو روق: حجة اليهود : أنهم كانوا قد عرفوا أن النبى المبعوث فى آخر الزمان قبلته الكعبة ، وأنه يحول اليها ، فلما رأوا محمد صلى الله عليه وسلم يصلى الى الصخرة واحتجوا بذلك فصرفت قبلته الى الكعبة لئلا يكون لهم عليه حجة الا الذين ظلموا منهم ، يريد : الا الظالمين الذين يكتمون ما عرفوا من أنه يحول الى الكعبة •

وقال المفضل بن سلمة[2] : المراد بالناس فى هذه الآية : جميع الناس ، كانوا يحتجون على النبى صلى الله عليه وسلم ، لانه لو كان نبيا لكانت له قبلة ولم يصل الى قبلة اليهود، فلما حولتقبلته الىالكعبة بطل هذا الاحتجاج الا ان الظالمين يتعنتون ويخاصمون ، فيقول المشركون ومن دان بدينهم : انما رجع الى الكعبة لانها قبلة آبائه ، وهى الحق ، وكذا يرجع الى ديننا ، وتقول اليهود : انما انصرف عن بيت المقدس مع علمه بأنه حق ، لأنه يفعل برأيه ويزعم أنه آمر ربه •

وهذا أيضا مذهب أبى اسحق فانه يقول : المعنى : لئلا يكون للناس عليكم حجة الا من ظلم باحتجاجه فيما قد وضح له ، كما تقول : مالك على حجة الا الظلم ، والا أن تظلمنى : وانما سمى الظلم ههنا حجة ، لأن المحتج به قد سماه حجة ، وحجته داحضة عند الله عز وجل قال تعالى : « حجتهم داحضة »[3] فسماها حجةمع بطلانها ، وعلى هذا المذهب موضع الذين : خفض على البدل من الناس ، كما تقول : ما مررت بأحد الا زيد ، ويجوز أن يكون موضعه نصبا على الاستثناء ، كما يستثنى بعد الإيجاب كقوله تعالى (ما فعلوه الا قليل منهم)[4] من رفعه جعله بدلا من الواو ، ومن نصبه نصبه على الاستثناء وكذلك (ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك)[5] رفعا ونصبا •

وأما الفريق الثانى : فانهم لم يصححوا الاستثناء ، وعدلوا به عن ظاهره ، وهم : الأخفش والمؤرج[6] : والفراء ، ومعمر بن المثنى • فقال الفراء والمؤرج : هذا استثناء منقطع عن الكلام الأول ، ومعناه : لئلا يكون للناس كلهم عليكم حجة الا الذين ظلموا فانهم يحاجونكم بالباطل ، ويجادلونكم بالظلم • هذا معنى قولهما ، ثم قال الفراء : وهو كما تقول فى الكلام : الناس كلهم حامدون الا الظالم لك ، فان ذلك لا يعتد به ، ويتركه الحمد

(١) سورة الشورى / ١٥
(٢) هو المفضل بن سلمة بن عاصم الكوفى (ت : ٣٠٠ هـ) أخذ عنأبيه وعن ابن السكيت وثعلب (بغية الوعاة : ٢ / ٢٩٦) .

(٣) سورة الشورى / ١٦ .
(٤) سورة النساء / ٦٦ .
(٥) سورة هود / ٨١ .
(٦) هو مؤرج بن عمر السدوسى (ت : ١٩٥ هـ) وكنيته : أبو فيد ــ والفيد : الزعفران ــ كان منأصحابالخليل بن احمد وكان نسابة، عالما باللغة ، له من الكتب : غريب القرآن والمعانى الانواء . انظر الفهرست / ٧١ .

لعداوته لك ، ولذلك : الظالم لا حجة له وقد سمى ظالما • وقال ابن الانبارى : الا فى الاستثناء المنقطع له معنيان : أحدهما : أن يكون الذى بعدها مستأنفا يلابس الأول من جهة ما يدل عليه منها أو معنى يقرب به منه كقول القائل : قعدنا نتذكر الخير وما يقربنا من الله الا أن قوما يبغضون ما كنا فيه ، فالذى بعد الا مستأنف يلتبس بالأول من جهة المعنى وذلك بعضهم لما كانوا فيه • فتأويل الا : لكن قوما فلو لم يلتبس ما بعد الا بما قبلها من وجه ، لم يكن للاستثناء معنى على جهة اتصال ولا انقطاع •

ولذلك يقول النحويون : الا فى الاستثناء المنقطع بمنزلة (لكن) لأن الذى بعد (لكن) مستأنف وهكذا قال الأخفش فى هذه الآية ، لأنه قال معناه : لكن الذين ظلموا كقوله (ما لهم به من علم الا اتباع الظن)[1] بمعنى لكن فيكون منقطعا من الكلام الأول • وأما المتصل : فانه يخرج من أسماء تشاكله ، ومن فعل يخالف بخروجه منه ما قبله من الأسماء المذكورة : كما تقول خرج القوم الا زيدا ، فزيد من جنس القوم قد خالفهم بترك الخروج والمنقطع لا يكون مخرجا من الأسماء التى قبل الا فى الظاهر ولكن من معنى من معانى الكلام يجب به الملابسة كما ذكرنا • والمعنى الثانى فى الاستثناء المنقطع : أن يكون مؤكدا لما قبله ، وذلك أن الرجل اذا قال : ارتحل الناس الا الأثقال ، أكد ارتحال الناس بقوله الا الأثقال وذهب الى أنه اذا لم يبق الا الأثقال كان القوم كلهم مرتحلين ، فكان تأويله: ارتحل الناس كلهم ••••) ثم يقول الواحدى بعد مزيد من التبيان والتنظير بالأمثلة • (وهذان المعنيان اللذان ذكرناهما فى الاستثناء المنقطع تحتملهما الآية ، لأن الظالمين وان لم يكن لهم حجة فهم يموهون ويحتجون بالباطل، وأيضا : فانه اذا لم يكن لأحد عليهم حجة الا من (كان ظالما كان فى هذا تأكيد لنفى الحجة ، فعلى المذهب الأول : الظالمون كانوا ظالمين بشركهم وكفرهم • وعلى المذهب الثانى: كانوا ظالمين باحتجاجهم بما لا متعلق لهم به • وموضع (الذين) على هذا القول وهو قول الفريق الثانى نصب على لغة أكثر العرب ، لأنهم ينصبون ما كان من الاستثناء المنقطع كقولهم ألا أوارى[6] الا أن بنى تميم يجيزون البدل ، كما يكون الاستثناء متصلا ، وعلى لغتهم ينشد :

وبلدة ليس بها أنيس
الا اليعافير والعيس

فجعل اليعافير بدلا من الأنيس • والقرآن نزل بلغة أهل الحجاز ، فلذلك نصب كل مستثنى منقطع من الأول كقوله (الا اتباع الظن) وقوله (فلا صريخ لهم)[3] ثم قال (الا رحمة) وكذلك قوله (الا ابتغاء وجه ربه الأعلى[4]

وقال معمر بن المثنى : الا ههنا معناها الواو ، فهو عطف عطف به (الذين) على (الناس) ، والمعنى : لئلا يكون للناس والذين ظلموا عليكم حجة • واحتج على هذا المذهب بأبيات منها :

---

(١) سورة النساء / ١٥٧ •

(٢) اى فى قول النابغة (وما بالربع من احد الا اوارى) والأوار يطلق على شدة حر الشمس وعلى الدخان واللهب ، ولفح النار والعطش . أنظر اللسان ٥ / ٩٥ وقد مر قول النابغة فى قول الواحدى .

(٣) سورة (يس) / ٤٣ .

(٤) سورة الليل / ٢٠ .

وكل أخ مفارقه أخـوه
لعمر أبيك الا الفرقدان

فقال : أراد والفرقدان أيضا يفترقان •
وما أنشده الأخفش :

وأرى لهـا دارا بأغدرة الـ
ـسيدان لم يدرس لها رسم

الا رمـادا خامدا دفعـت
عنـه الرياح خوالد سجم[1]

أراد أرى دارا ورمادا • وهذا القول عند الفراء خطـأ ، لأن الا لايخرج عن الاستثناء الى النسق حتى يتقدمها عـدد لا يصلح أن يستثنى منه • فتجرى مجرى الواو اذا بطل فيها معنى الاستثناء ، بيانه : قولك : لى على فلان ألف الا عشرة الا مائة ، لا يصح استثناء المائة من العشرة ، فعادت المـائة الى الألف لا بالاستثناء ولكن بالعطف ، كأنك أغفلت المائة فاستدركتها فقلت اللهم الا مائة ، فالمعنى : لى عليه ألف ومائة ، وكما قال الشاعر :

ما بالمدينة دار غـير واحـدة
دار الخليفة الا دار مروانا[2]

كأنه قال ما بالمدينة دار الا دار الخليفة ودار مروان • قصد الفراء : انما يكون (الا) بمنزلة الواو اذا عطفتها على استثناء قبلها لا يصلح أن يكون الثانى استثناء من الأول كما بينا ، ومن النـاس من صوب أبا عبيدة فى مذهبه ، وصحح قوله بما احتج به من الشعر •

وقال قطرب : الاستثناء فى هـذه الآية من الضمير فى (عليكم) المعنى لئلا يـكون للناس عليكم حجة الاعلى الذين ظلموا منهم فان عليهم الحجة • وهذا الوجه اختيار أبى منصـور الأزهرى ، حـكاه لى : أحمد بن ردى ، لأن المكنى المخفوض لا ينسـق عليـه الا باعادة الخـافض ولان الـكاف والميـم فى عليـكم للمخاطبين ، فلو استثنى الذين ظلموا منهم لقال : الا الذين ظلموا منكم ، فلما قال (منهم) دل بالغيبة على أن الذين ظلموا لم يستثنوا من الكاف والميم)[3] •

وهكذا يسـهم الواحـدى بموسـوعيته واحاطتـه بشـتى آراء النحـاة واتجاهاتهم وأقوالهم وبتعمقه فى مباحث النحـو والمامه بدقائق مسائله • فى توجيه أقوال المفسرين وفق وجوه الاعراب ، وتصنيف الآراء التفسـيرية حسب الحالة الاعرابية التى هى المؤشر الحقيقى الى اتجاه المعنى ، والمفصح عن وجهته •

فلتبين الوجه الاعرابى فضل لا ينكر وأثر لا يحد فى استكشاف مدلول النص وتجسيد ما خفى من معناه الى حد أنه قد يتوقف فهم المراد من العبارة على تفهم اعرابها ، ولقد أكد الواحدى ذلك أيما تأكيد فى مقدمة تفسـيره البسيط وهو يشرح نظريته التفسيرية ويدلل على ضرورة توفر أركانها الثلاثة بماساقه من نماذج تطبيقية ملزمة بتوفر ما ذهب اليه• ولقد أكد أن معرفة النحو ضرورة لا غنى عنها حتى فى تفهم أقوال السلف فى تفسـير القرآن • وأعطى لذلك البرهان للعيان اذ يقول (وكذلك آيات القرآن التى فسرها الصحابة والتابعون

---

(١) البيت الثانى اورده صاحب لسـان العرب ٤ / ١٤٣ وفيه (هامدا) بدلا من (خامدا) والسـيدان اسـم اكمة ، والأغدرة : الأرض الحجرة ، والخوالد فى البيت : الجبال والحجارة والصخور والسجم : ذات المطر .

(٢) البيت للفرزدق ، وقد أورده القرطبى فى تفسيره فى نفس الموضع من تفسير الآية الكريمة ٢ / ١٦٩ .

(٣) الواحدى : البسيط ١/٣٣٦ — ٣٣٩ •

انما فسروها بذكر معناها المقصود ، كقوله تعـالى (واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم)[1] قال قتادة : اذا قيل له مهلا مهلا ازداد اقداما على المعصية !! فمن أين لك أن تعرف هذا المعنى من لفظ الآية الا بعد الجهد وطـول التفكر ؟؟ وكذلك قوله (انما ذلـكم الشـيطان يخوف أولياءه)[2] قال السدى : يعظم أولياءه فى صدوركم فانظر هل يمكنك أن تفرغ هذا المعنى فى قالب هذه الألفاظ الا بعد التعب فى معرفة ما ذكره أرباب النحو ؟؟) •

فاذا ما انتقلنا الى الناحية التطبيقية فى تفسير الواحـدى وجدناه يكشف الأقنعة عن مرامى أقوال السلف فى التفسـير باستيعابه لمعطيات علم النحو واتقانه لأصوله وتبحره فى لجيه فعند تفسيره لقوله تعالى (واذا قيل له اتق الله أخـذته العزة بالاثم) يذكر تفسير السلف — قتادة — ثم يتبعه بتأويل الآية وفق معطيات النحو واللغة بما يشرح قول قتادة ويوضح كيفية استنباط المعنى من النص فيقول: (••• قال قتادة : اذا قيل له مهلا مهلا ازداد اقداما على المعصية • قال أهل المعانى : معنى أخذته العزة بالاثم) حملته عليه وجرأته • عليه ، وزينت له ذلك ، يقال : أخذت فلانا بكذا وكذا ، أى : أردته عليه ، وحملته على ذلك وكلفته ، وتأويل الآية : حملته العزة وحمية الجاهلية على الفعل بالاثم • والجار والمجرور فى قوله تعالى (بالاثم) : يجوز تعلقه بالأخذ وبالعزة ، فان علقته بالأخذ كان المعنى : أخذته بما يؤثمه أى : أخذته بما كسبه ذلك ، والمعنى للعزة ، يرتكب مالا ينبغى أن يرتكب ، وكأن العزة حملته على ذلك وقلة الخشوع •

وان علقته بالعزة : كان المعنى : بالاعتزاز بالاثم ، أي : يعتز بما يؤثمه فيبعده مما يرضاه الله)[4] •

ويبرز دور النحو جليا فى تفسير قوله تعالى (انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) اذ يقول فى تفسيرها فى (الوسيط) : —

(قوله « انما ذلكم الشيطان » : أى ذلك الذى يخوفكم أيها المؤمنون هو الشـيطان ، يوقع فى قلوبكم الخوف من الكفار ، وهو قوله (يخوف أولياءه) أى : يخوفكم بأوليائه وهم المشركون ، فحـذف المفعول الثـانى وحرف الجر ، قال الفراء : ومثله قوله : (لينذر يوم التـلاق)[5] معناه : لينذركم بيوم التلاق ، وقوله (لينذر بأسا شديدا)[6] أى : لينذركم ببأس شديد • والذى يدل على هذا قراءة : أبى ابن كعب (يخوفكم بأوليائه)[7] •

من ثم يتضح — بجلاء — أن النحو له دور رئيسى فى التفسير حيث يتوقف فهم المعنى وتوجيهه على معرفة الاعراب • حيث أنه من الحقائق العلمية المؤكدة لدى الاثبات أن اللفظ تابع للمعنى فى النظم • وأن ترتيب الكلام فى النطق مبنى على ترتيب المعانى عند المتكلم • من ثم ربط الامام عبد القاهر الجرجانى فى فكرة الاعجاز — بين معرفة النظم وبين ادراك سر التراكيب النحوية ربطا سببيا وعضويا ، وقد أفصح عن ذلك غير مرة فى دراسته للاعجاز القرآنى ، اذ يقول : —

واعلم أنك اذا رجعت الى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك : أن لا نظم فى الكلم

---

(١) سورة البقرة / ٢٠٦ .
(٢) سورة آل عمران / ١٧٥ .
(٣) الواحدى : البسيط ٦/١ .

(٤) الواحدى : البسيط ١ / ٤٣٩ .
(٥) سورة غافر / ١٥ .
(٦) سورة الكهف / ٢ .
(٧) الواحدى : الوسيط / ١٢٨ .

ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض ، وتجعل هذه بسبب من تلك . هذا مالا يجعله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس . واذا كان كذلك : فبنا أن ننظر الى التعليق فيها والبناء وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبتها ، ما معناه ؟ ومامحصوله؟ واذا نظرنا فى ذلك علمنا أنه لا محصول لها غير أن تعمد الى اسم فتجعله فاعلا لفعل ، أو مفعولا ، أو تعمد الى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر أو تتبع الاسم اسما على أن يكون الثانى صفة للأول أو تأكيدا له أو بدلا منه أو تجىء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون الثانى صفة أو حالا أو تمييزا ، أن تتوخى فى كلام هو لاثبات معنى أن يصير نفيا أو استفهاما أو تمنيا فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك ، أو تريد فى تعليق أن تجعل أحدهما شرطا فى الآخر فتجىء بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى ، أو بعد اسم من الأسماء التى ضمنت معنى ذلك الحرف ، وعلى هذا القياس)[1] .

وعلى هذا النحو يمثل النحو المنطلق الأساسى لوقوف على حقيقة النظم ، فكانت بغية الواحدى أن يقف على مناهج النحو ويطبقها عمليا فى دراسة التنزيل ، وماأنباشر ذلك حتى تفتحت له أبواب المعانى وانكشفت له حقائق المبانى ، فسلك طريقا معبدا مستنيرا وأثمر مسلكه فى تفسيره ثمرات طيبة ذات طابع مميز وأكل دائم مشتهى .

فمما يدفع بالواحدى فى تناوله لنحو القرآن الى مصاف الرواد الجهابذة : أنه فوق احاطته الواسعة بأصول النحو ومسائلة وأقوال ائمة النحاة فى اعراب القرآنيقف فوق ذلك ومن بعده ذلك بشخصيته المعطاة ناقدا ومضيفا لما يذكره من آراء — كما مر بنا من نقد هللخليل فى بيان أصل (لن) — [2] ونجده فى مواضع عديدة من تفسيره يذكر مذاهب النحاة وآرائهم فىاعراب الآية ، ثم لايتركهاالىغيرها الا بعد أن يضيف رأيه ويدلى بالجديد من القول من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها)[3] ، يقول فى البسيط :

(قال الفراء : رفعت الجزاء باضمار ، كأنك قلت : فلهم جزاء السيئة بمثلها ، كما قال : (ففدية منصيام)[4] أى : فعليه، قال وان شئت رفعت الجزاء بالباء فى قوله (بمثلها) ، والأول أعجب الى . هذا كلامه .

وزاد ابنالانبارى بيانا فقال : اذا رفعت الجزاء بالباء أضمرت العائد الى الموصول ، على تقدير : جزاء سيئة منهم بمثلها ، فالجزاء مرتفع بالباء ، والذين : يرتفعون برجوع الهاء المضمرة عليهم ، وصلح اضمار (منهم) فى ذا الموضع كما تقول : رأيت القوم صائم وقائم ، يراد : منهم صائم وقائم ، كما انشد الفراء:

حتى اذا ما أضاء النجم فى غلس
وغودر البقل ملوى ومحصود

معناه : منه ملوى ، ومنه محصود ، وعلى الجواب الأول : يرتفع الجزاء باللام المضمرة ، لأن التقدير لهم جزاء سيئة بمثلها . والباء : صلة الجزاء ، والذين : يرتفعون برجوع الهاء عليهم . وصلح اضمار (لهم) كما يضمره العرب فى قولهم : رأيت لعبد الله ذكاء وفطنة

---

(١) الجرجانى : دلائل الاعجاز / ٤٤ —٤٥

(٢) مر موقف الواحدى من الخليل عند تفسير (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) وهو فى البسيط ١/١٠٢ .

(٣) سورة يونس / ٢٧ .

(٤) سورة البقرة / ١٩٦ .

وعلم واسع ، يريدون : وله علم واسع ، وأنشد الفراء :

هزئت هنيدة أن رأت لى رثة
وفما بـه قضم[1] وجلد أسـود

أراد : ولى جلد أسود . انتهى كلامه. وهذا مذهب الكوفيين فى هذه الآية :

وأما عند أهل البصرة : فقال أبو عثمان : الباء فى قوله (بمثلها) : زائدة ، وتقديره عنده جزاء سيئة مثلها ، واستدل على هذا بقوله فى موضع آخر : (وجزاء سيئة سيئة مثلها)[2] قال ابو الفتح الموصلى[3] : وهذا مذهب حسن واستدلال صحيح ، الا أن الآية تحتمل مع صحة هذا القول تأويلين آخرين ، احدهما : أن يكون الباء مع ما بعدها هو الخبر فكأنه قال : وجزاء سيئة كائن بمثلها ، كمـا يقول : انما أنابك ، أى كائن موجود بك . والثانى : ان يكون الباء فى (بمثلها) متعلقة بنفس الجزاء ، ويكون الجـزاء مرتفعـة بالابتـداء وخبره محذوف كأنه قال : جزاء سيئة بمثلها كائن أو واقع ، وحذف الخبر حسن ، متجه ، قد حذف فى عدة مواضع .

هذان القولان حكاهما أبو الفتح وذكرهما أبو على فى المسائل الحلبية[4] .

(١) القضم : انصداع فى السن ، وقيل : تكسر وتثلم فى أطراف الأسنان . انظر اللسان (قضم) ١٥/٣٨٩

(٢) سورة الشورى / ٤٠ .

(٣) هو أبو الفتح عثمان بن جنى (ت : ٣٩٢ هـ) الامام النحوى اللغوى الشهير . اخذ عن أبى على الفارسى وصحبه اربعين سنة حتى مات فخلفه ودرس ببغداد وتبحر فى علم التصريف ولقى المتنبى وشرح ديوانه انظر نزهة الألبـاء / ٣٣٢ .

(٤) مما يشيد بدقة الواحدى هنا انه يذكر المصدر المباشر وغير المباشر : فقد ذكر قول ابن جنى ثم ذكر انه استفاده من أبى على ونص على موضع هذا الكلام فى كتاب أبى على .

فى قوله عز وجل : (ولا تلقوا بأيديـكم الى التهلكة)[5] .

وعلى هذه الأقوال فى الباء : الجزاء مرتفع بالابتداء ، والجملة التى هى ابتداء وخبر فيها: خبر الابتداء الأول وهو قوله (الذين كسبوا السيئات) ، والمعنى : يجزون السـوء وعلى هذا المعنى : عطف قوله (وترهقهم ذلة)هذا كلام النحويين من الفريقين فى هذه الآية . (وكلهم جعلوا الموصول مبتدأ) . ثم يضيف الواحدى قائلا :

(ويجوز أن نجعله عطفا على الموصول الأول وهو قوله (للذين أحسنوا الحسنى) فكأن التقدير : والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة فيرتفع الجزاء باللام فى الآية الأولى، والباء فى (مثلها) : من صلة الجزاء[6]،وحسن النظم من غير اضمار ولاتكلف)[7] .

يتضح من هذا المثال ونظائره أن الواحدى يتخذ لنفسه موقفا ايجابيا فيما يعـرض له من مباحث نحـوية ، ولا يكتفى بنقل الاراء لمجرد العرض . بل يعقب برأيه المستند الى حجته فى الترجيح . وقد أعرب عن وجاهـة الوجه الذى عقب به على اقـوال الكوفيين والبصريين فى المثال السابق ، بما ابـداه من مرجح وهو حسـن النظم من غير اضمار ولا تكلف .

كذلك نجد الواحدى فى بعض المواضع يستظهر بعض الوجوه النحوية ويرجحها على

(٥) سورة البقرة / ١٩٥ .

(٦) الواحدى : البسيط / ٤ .

(٧) اخذ بهذا الوجه من المفسرين بعـد الواحدى ابن عطية ونقله أبو حيان فى البحر : ٥ / ١٤٧ — ١٤٨ .

بعض استناد الى مقتضى سياق الآية ، والى ما نطق به المفسرون بالمأثور من السلف ، من ذلك ماذكره عند تفسير قوله تعالى (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ...)[1] يقول فى البسيط :

(قال الفراء : يكون الذين) فى موضع نصب المعنى ويجيب الله الذين آمنوا ، الا انك اذا قلت : استجاب ، أدخلت اللام فى المفعول به ، كقوله (فاستجاب لهم ربهم..)[2] واذاقلت : أجاب ، حذفت اللام، قال: ويكون استجابتهم بمعنى : استجابلهم ، كما قال : واذا كالوهم أو وزنوهم ....)[3] .

ويكون (الذين) فى موضع رفع : بأن تجعل الفعل لهم ، اى : الذين آمنوا يستجيبون لله ، ويزيدهم الله على اجابتهم وتصديقه من فضله ، هذا كلامه .

والظاهر : القـول الأول ، لان ما قبله وما بعده من الافعال مسند الى الله فكذلك (يستجيب وعليه دل كلام المفسرين ، روى أن معاذ بن جبل خطب بالشام فقال : انى لارجوان يدخل الجنة من تصيبون من فارس والروم ، وذلك ان احدهما اذا عمل لاحد العمل قال :أحسنت يرحمك الله ، أحسنت بارك الله فيك . والله عز وجل يقول : (ويستجيب الذين آمنوا ..) فجعل الاستجابة بمعنى الاجابة)[4] .

وهكذا يبرز رأى الواحدى بالتوجيـه والترجيح لمـا يراه من وجوه الاعراب وفق رؤيته العلمية المبنية على الخبر قبدقائق النحو والاحاطة بمسائله مع دقة بصره وسداد رأيه.

ويتبقى أن أقول : ان ما عرضته من نماذج لتصوير الجانب النحوى عند الواحدى ليس الا قليل من كثير فتفسير الواحدى بحق يعد موسوعة نحوية شملت مباحث النحو جميعا ولولا خشيت الاطالة لعرضت للكثير والكثير، وقد برزت شخصية الواحدى بجلاء فى عرضه للمباحث بعمق وغزارة وفى نقده للاراء واضافته اليها كما انعكست جهوده النحـوية فى مجال احتجاجه للقراءات كما سيأتى بعد .

(١) سورة الشورى / ٢٦ .
(٢) سورة (آل عمران) / ١٩٥ .
(٣) سورة المطففين / ٣ .

(٤) الواحدى : البسيط ٧ / ٣٠٤ وانظر تفسير الطبرى : ٢٥ / ٢٩ ط . الحلبى .

الفصل الرابع
النزعة الأدبية في تفسير الواحدي
واستشهاده بالشعر

عنى الواحدى — فى تناوله لمنهجه التفسيرى — بابراز دور الأدب فى التفسير، واسهامه الى حد كبير فى الوقوف على معانى التنزيل ، وأكد ضرورة أحكام أدب اللغة لمن يتصدى للتفسير فقال: (.... ان طريق معرفة تفسير كلام الله تعالى :تعم النحو والادب[1] فانهما عمدتاه ، واحكام اصولهما ، وتتبع مناهج لغات العرب فيما تحويه من الاستعارات الباهرة والأمثال النادرة ، والتشبيهات البديعة ، والملاحق[2] الغريبة، والدلالة باللفظ اليسير على المعنى الكثير ، مما لا يوجد مثله فى سائر اللغات ...)[3]

ثم نعى الواحدى على أهل زمانه تقصيرهم فى طلب الأدب واضاعتهم لمجد دولته ، وفقدهم تذوق معانى التنزيل باحجامهم عن تذوق أدب لغته فقال (وقد أعفى أهل زماننا أنفسهم عن كد التعب فى طلب الادب ، فقد هوت دولته على الحضيض ، وصار يرمق بالطرف الغضيض ، وهاهو قد خوى نجمه ، وتصوح نبته ، وذوى عوده ، واذا ضاع الادب ضاع ما يحتاج فى تفسيره اليه ، ويعول فى معرفته عليه ، وهو علم القرآن العربى ، المنزل بلسان العرب ولغتهم المنظوم بالفاظهم فى مخاطبتهم ....)[4] .

ثم يؤكد الواحدى ضرورة الادب لعلم القرآن وتفسيره اذ يقول : (ولئن استغنى علم عن الأدب فمن ضرورة التفسير وعلم القرآن : الأدب ، ومعرفة العربية ، ولا تكادتجد ذلك

---

(١) تقلبت كلمة (الادب) فى عدة اطوار لغوية من عصر الى عصر حتى اتسع مدلولها فصار الأدب يطلق على حفظ اشعار العرب واخبارها والأخذ من كل علم بطرف (انظر مقدمة ابن خلدون ٥٢٢ (الشعب) وقد جعل العلماء للادب غرضين أدناهما اكتساب القدرة على النظم والنثر واعلاهما ان يحصل للمتأدب قوة على فهم كتاب الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم . وذكر ابن الانبارى ان علوم الأدب ثمانية : النحو واللغة والتصريف والعروض والقوافى وصنعة الشعر واخبار العرب وانسابهم ثم اضاف علمين آخرين هما : علم الجدل فى النحو وعلم أصول النحو (انظر نزهة الالباء / ٨٩) ، وعرف الزمخشرى علوم الأدب بأنها علوم يحترز بها عن الخلل فى كلام العرب لفظا وكتابة وجعلها اثنى عشر علما فأضاف الى ما سبق : المعانى والبيان والبديع والخط (الاملاء) والانشاء والمحاضرات ومنه التواريخ (انظر تاريخ آداب العرب للرافعى /٢١ — ٣٣) .

(٢) قال الفيروزبادى (ولحن له : قال له قولا يفهمه عنه ويخفى على غيره ....واللاحن العالم بعواقب الكلام) القاموس المحيط ٢٦٨/٢).

(٣) الواحدى : البسيط ٢/١

(٤) الواحدى : البسيط ٢/١ — ٣ .

متأتيا لمن لم يمرن عليها ولم يتدرب بها ....)[1] .

وقد مربنا فى سيرة الواحدى انه اعدق نشأته العلمية اعدادا لغويا وادبيا كاملا ، وتبحر فى محيط الضاد وادبها بما قل ان يتوفر لعالم متخصص فى دراسة اللغة والادب فضلا عميقا يتأهل لخوض مجال التفسير . فقد ركز الواحدى على دراسة اللغة والنحو والادب بتبحر عميق حتى ظن بعض شيوخه انه قد تغيا تلك الدراسة ولوى عنان قصده اليها عن مقصوده الأعظم ، فعاتبه شيخه أبو الفضل العروضى قائلا (انك لم تبق ديوانا من الشعر الاقضيت حقه ، اما أن لك ان تتفرغ لتفسير كتاب الله العزيز تقرأه على هذا الرجل الذى يأتيه البعداء من قاصى البلاد ، وتتركه أنت على قرب مابيننا من الجوار ؟) يعنى به الامام ابا اسحق الثعلبى المفسر ـ فيرد عليه الواحدى قائلا :

(ياأبت انما أتدرج بهذا الى ذلك الذى تريد ، واذا لم أحكم الأدب بجد وتعب لم أرم فى غرض التفسير عن كثب)[2] .

وهكذا يصرح الواحدى بأنه توسل بالأدب الى التفسير ، وتدرج به اليه ، فافاد من تضلعه من مناهل العربية وسقياه من رحيق أدبها فى تذوق أسلوب التنزيل والكشف عن غوامض معانيه ، وتصدى لدراسته بمنهج أدبى قائم على تتبع دلالات الفاظه فى أحوالها الافرادية والتركيبية وقدم لنا تفسيره متضمنا معجما قرآنيا حافلا بدراسة مفرداته من زواياه اللغوية المتعددة معنيا بعرض قيمه الجمالية فى صورها البلاغية ، مستعرضا أغلى ما جادت به القرائح وما تضمنه ديوان العرب من شعر فحول الشعراء فى ثراء وموسوعية واحاطة بأطراف هذا الفن الأدبى الرفيع ، وكم ضم تفسيره من درر منظومة وقواف تبدو فى سماء القريض نجومه !

ولقد نوه الواحدى ـ فى تبيان منهجه التفسيرى ـ بعظم اهمية الصياغة الادبية فى التفسير تلك الصياغة التى تتحرى غاية الدقة فى الملاءمة بين اللفظ والمعنى فى اتساق واحكام وتلك كانت سجية مفسرى السلف من الصحابة والتابعين ، ولم يظفر بها ممن بعدهم الا الأقلون يقول الواحدى :

(وقل من تراه يعنى بسوق اللفظ على التفسير ، وافراغه فى قوالب المعانى حتى يأتى به متسقا من غير ترجح ، ومطردا من غير تخاذل ....)[3] .

ان دقة التعبير منوطة بادراك المدلول الافرادى أولا ثم التركيبى ثانيا ، فيلزم رؤية ما بين المفردات من وشائج ، ومعرفة طريقة نظمها وتآلفها فى السياق وانعكاس ترتيبها فى الجملة على المعنى . وهكذا ...

والواحدى يسجل بدعوته الى المنهج الادبى فى دراسة القرآن وتفسيره سبقا علميا لم يفطن اليه الكثيرون ، فألفينا فى عصرنا الحاضر ، وبعد تسعة قرون من عصر الواحدى من ينادى ـ تحت لواء التجديد ـ بالمنهج الأدبى فى التفسير ، أو التفسير البيانى ، وكل الصيد فى جوف الفرا !!

ولا جديد تحت الشمس !!

---

(١) انظر البسيط ١/٥ .
(٢) الواحدى : تفسير البسيط ١/٧ .
(٣) الواحدى : تفسير البسيط ١/٦

ولقد وضحت منذ البداية شواهد تلك النزعة الادبية ولاحت اشراقاتها فى تفسير الواحدى ممثلة فى صياغته التعبيرية وروعة أسلوبه وجمال عبارته ونصاعة ديباجته ، فيقول مقدما لتفسيره (... وقد استخرت الله العظيم فى جمع كتاب ارجو ان يمدنى الله فيه بتوفيقه وحسن تيسيره، حتى أبرزه كالقمر انجاب سحابه ، والزلال صفا متنه واطرد حبابه[1] ، يؤدى الى المتأمل نضرة الكلم العذاب ، ورونق الذهب المذاب ، سالك نهج الاعجاز فى الايجاز مشتمل على مانقمت على غيرى اهماله ، ونعيت عليه اغفاله ،خال عما يحسب المستفيد ملالة ، ويصور عند المتصفح اطالة ، لا يدع لمن تأمله حارة فى صدره حتى يخرجه من ظلمة الريب والتخمين الى نور العلم وثلج اليقين ، هذا بعد أن يكون المتأمل مرتاضا فى صنعة الادب والنحو ، مهتديا بطرق الحجاج قارحا[2] فى سلوك المنهاج ، فأما الجذع المزجى من الملتبسين ، والريض الكر[3] من المبتدئين فانه مع هذا الكتاب كمزاول غلقا ضاع عنه المفتاح ومتخبط فى ظلماء ليل خانه الاصباح ....)[4]

عبارة مشرقة ، واسلوب مضىء ورونق فى التعبير ، وجزالة فى الالفاظ وجودة فى السبك وتسلسل فى المعنى ، وعذوبة فى الايقاع .

على اننا لانعنى بالنزعة الادبية فى تفسير الواحدى انه ينزع الى الاسترسال الانشائى الأدبى فى تفريره فيصدح بسوانح الخواطر ويهيم فى واحات الخيل ، كلا . فتلك نقيصة فى ميزان المفسر ، وانما المقصد من منزعه الأدبى ، اثراء تفسيره بالعطاء الادبى الكاشف عن اسرار لغة القرآن ، وذلك العطاء الأدبى عند الواحدى متعدد الروافد، فمن بيان نبوى الى حكمة مأثورة الى مثل سائر الى بيت من قصيد، وكثيرا ماتنصب كل تلك الروافد فى تفسير مدلول كلمة ولتبيان أغوار معنى ، فتجد الأضواء مسلطة من كل جانب كاشفة عن مختلف الزوايا فلا تغادر تفسير اللفظة الا ومعك ثروة من موسوعة الواحدى الادبية تكتنف ما ألقاه اليك من مدلول الكلمة القرآنية .

فتجده فى تفسير أول فاتحة الكتاب المبين يقف بك عند مدلول الحمد والشكر فيقول : (قوله تعالى « الحمد لله » : قال ابن عباس : يعنى الشكر لله ، وهو أنه صنع الى خلقه[5] فحمدوه ، وقال الاخفش : الحمد لله الشكر لله . قال : والحمد لله أيضا : الثناء عليه ، والشكر لنعمه ، وقال ابو بكر[6] : قوله(الحمد لله) : يحتمل أن يكون هذا اخبارا أخبر الله تعالى به ، والفائدة فيه : انه بين ان حقيقة الحمد له ، وتحصيل كل الحمد لله لا لغيره وذلك انا نرى الدنيا ينعم بعضهم على بعض

---

(١) متن الشىء : ظهره ، وحباب الماء ــ بفتح الحاء ــ معظمه وقيل نفاخاته التى تعلوه وهى اليماليل .

(٢) يقال للفرس الذى اكتملت اسنانه (قارح) وذلك اذا بلغ خمس سنين وقبل ذلك يسمى رباع ، وجذع ، وثنى ، وحولى . على التنازل فله فى كل سنة اسم . انظر القاموس المحيط ٢٥١/١ ، مختار الصحاح مادة (قرح) .

(٣) يقال للناقة أول ما تراض (ريض) وهى صعبة بعد ، وكذا يقال غلام ريض . انظر القاموس المحيط ٣٤٥/٢ ومختار الصحاح مادة (روض) ص ٢٦٣ ، والكز : اليابس ، وصف به الريض المبتدىء لصعوبته .

(٤) الواحدى : البسيط ٩/١

(٥) فى الاصل : وهو أن صنع الى خلقه) والتصحيح من تفسير الوسيط والمعنى : أحسن الى خلقه من قولهم صنع فلان معروفا ، ولا يخفى ما فى التعبير (صنع الى خلقه) من رونق أدبى .

(٦) هو أبو بكر بن الانبارى كما أثبته فى نفس الموضع من تفسير الوسيط ٤ وهو المعنى بهذه الكنية عند الاطلاق .

فيحمده على انعامه ، فيكون حقيقة الحمد فى ذلك لله ، اذ هو الذى انعم على الذى أنعم بما أنعم به ورزقه اياه ، وهو الذى وفق المعطى للعطية واجراها على يديه . فكان حقيقة الانعام من الله تعالى ، ومكافأة المنعم عليه بالشكر والحمد راجعة اليه جل اسمه .

وعلى هذا فقد حكى ان ابن التوءم[1] كان يقول : انما يجب أن يشكر من أن جاد عليك فلك جاد ، وان نفعك فنفعك اراد ، من غير أن يرجع اليه من جوده بشىء من المنافع على جهة من الجهات ، وهو الله وحده لا شريك له ، الا ترى ان : عطية الرجل لصاحبه لا تخلو من أن تكون لله أو لغيره ، فان كانت لله : فثوابها على الله ، فلا معنى للشكر ، وان كانت لغير الله فلا تخلو من أن تكون لطلب المجازاة ، أو حب المكافأة ، وهذه تجارة معروفة ، والتاجر لا يشكر على تجارته وجرا لمنفعة الى نفسه ، وأما أن تكون لخوف يده أو لسانه ، أو رجاء نصرته أو معونته ، ولا معنى لشكر من هذه احدى أحواله ، وأما أن تكون الرقة والرحمة ، ولما يجد فى قلبه من الالم ، ومن جاد على هذا السبيل فانما داوى نفسه من دائها ، وخفف عنها ثقل برجائها[2]

فأما من مدحه بشار بقوله :

ليس يعطيك للرجاء ولا للخو
ف ولكن يلذ طعم العطاء[3]

فأى معنى لشكر من يعطى لاجتلاب لذته ، ويجيب داعى رأفته ؟؟

وقال أبو بكر : ويحتمل أن يكون هذا ثناء اثنى به على نفسه ، علم عباده فى اول كتابه ثناء عليه وشكرا له يكتسبون بقوله وتلاوته أكمل الثواب وأعظم الأجر لطفا بهم وحسن نظر لهم فقال (الحمد لله رب العالمين) أى : قولوا يا معشر الناس ما اذا قلتموه علت منزلتهم وارتفعت درجتهم بقوله عند ربكم ، فيضمر القول ههنا كما اضمر فى قوله (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى[4]) معناه ، يقولون ما نعبدهم .. ثم اذا قال القائل (الحمد لله) فقد اثنى على الله تعالى ، فيكون بذلك متعرضا لثواب الله ومن أثنى على واحد فقد تعرض لاحسانه وثوابه ، يدل على صحة هذا : أن بعض العلماء سئل عن تفسير الحديث المروى : افضل الدعاء سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر)[5] فقيل له : ما فى هذا من الدعاء وانما الدعاء اللهم اغفر لنا وافعل بنا ؟؟ فقال للسائل : أما سمعت قول أمية بن أبى الصلت لعبد الله ابن جدعان :

كريم لا يغيره صباح
من الخلق الجميل ولا مساء

---

(١) نقل ابن قتيبة عن ابن التوءم فى (عيون الأخبار) فى عدة مواضع ولم اقف له على ترجمة، والنص الذى نقله الواحدى هنا ورد فى عيون الأخبار مع اضافات له (انظر عيون الأخبار ١٧٠/٣) .

(٢) العبارة فى عيون الأخبار (فانما داوى بتلك العطية من دائه ورفه من خناقة . وبهـا ينتهى نص ابن التوام .

(٣) البيت من قصيدة يمدح بها بشار عقبة ابن سلم . انظر ديوان بشار بن برد بتحقيق محمد الطاهر بن عاشور (١١١/١) .

(٤) سورة الزمر / ٣ .

(٥) روى ابن ماجة فى باب الحامدين من كتاب الادب (١٢٤٩/٢) الحديث عن جابر بلفظ (إفضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله) وفى فضل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير احاديث كثيرة منها مارواه مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لأن أقول سبحان الله والحمد لله ، ولا اله الا الله والله اكبر أحب الى مما طلعت الشمس) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٩/١٧

اذا أثنى عليه المرء يوما
كفاه من تعرضه الثناء

فهذا مخلوق اجتزأ من مخلوق مثله بالثناء عليه ، فكيف يحتاج العبد مع ثنائه على ربه آن يسمى له حوائجه ، قال : وانما اختير الحمد على الشكر : للمبالغة والعموم ، وذلك ان الشكر لا يكون الا مكافأة لنعمة سبقت اليك ، وايضا : فانه لا يشكر احد على مافيه من الاوصاف الجميلة ، ليس كذلك الحمد ، فانه يقع ابتداء قبل الصنيعة ، ويقع على الأوصاف المحمودة فهو أبلغ وأعلم وأجمع قال الشاعر :

أيها المائح دلوى دونكا
انى رأيت الناس يحمدونكا[1]

فترجم بالثناء والتحميد عن الحمد ، فدل هذا على عموم الحمد .

وقد اخبرنا ابو الحسين بن أبى عبدالله الفسوى رضى الله عنه ، أن احمد بن محمد الفقيه ، أن محمد بن هاشم ، عن الدبرى عن عبد الرازق ، عن معمر ، عن قتادة عن عبد الله ابن عمر ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : —

(الحمد رأس الشكر ، ماشكر الله عبد لا يحمده[2] ، قال أحمد على أثر هذا الحديث : الحمد نوع والشكر جنس ، وكل حمد شكر وليس كل شكر حمدا ، وهو على ثلاث منازل : شكر القلب وهو الاعتقاد بأن الله ولى النعم ، قال الله (ومابكم من نعمة فمن الله)[3] ، وشكر اللسان : وهو اظهار النعمة بالذكر لها والثناء على مسديها ، قال الله (وأما بنعمة ربك فحدث)[4] وهو رأس الشكر المذكور فى الحديث ، وشكر العمل : وهو أدب النفس بالطاعة ، قال الله تعالى : (اعملوا آل داود شكرا)[5] قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تفطرت قدماه ، فقيل : يارسول الله : أليس قد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر ؟ قال : أفلا أكون عبدا شكورا[6] وقد جمع الشاعر أنواعه الثلاثة فقال :

أفادتكم النعماء منى ثلاثة
يدى ولسانى والضمير المحجبا

وبين الحمد والشكر فرق واضح يظهر بالنقيض ، لأن نقيض الشكر الكفر ونقيض الحمد الذم .

فهذا ما فى معنى الحمد والشكر[7] فى هذا النص الحافل الذى صدر به أبو الحسن الواحدى تفسير فاتحة القرآن العظيم نجتلى امتزاج الأدب بتفسيره واسهامه فى أضاءة جوانب المعنى وايضاح اعماق المدلول.فقدبدأ بتفسير ابن عباس للحمد ، ثم فسر الواحدى تفسيره — بالشكر لله — بعبارته الأدبية

---

(١) البيت لراجز جاهلى من بنى أسيد بن عمرو بن تميم ، وهو من شواهد ابن هشام فى أوضح المسالك ١٢٠/٣ والمائح : مالى الدلو من جوف البئر : أما الماتح — بالتاء — فهو من يقف على شفير البئر لاستخراج الدلاء من البئر .

(٢) أخرجه ابن حبان فى صحيحه والبيهقى فى شعب الايمان انظر الجامع الصغير للسيوطى ١٥٢/١

(٣) سورة النحل /٥٣

(٤) سورة الضحى /١١

(٥) سورة سبأ / ١٣

(٦) حديث متفق عليه ورواه النووى فى رياض الصالحين (باب فضل قيام الليل) ص٤٤٥ ط الحلبى .

(٧) الواحدى : البسيط ١٦/١ — ١٨

الرائقة (وهو أنه صنع الى خلقه فحمدوه)! فأبرز الواحدى وقوع تفسير ابن عباس على الصفة المتعدية للحمد[1] وهى التى يطابق فيها الشكر ، ثم بعد أن عرض لقولى الأخفش وابن الانبارى فى مدلول الحمد ، وخبرية الجملة وبيان فائدة الأخبار : عرض لنص ابن التوءم الأدبى الحكيم الذى اسفر بيانه الرائع عن وجوب قصر الحمد على البارى سبحانه لأنه المنعم المتفضل على الحقيقة دون استهداف عائد من النفع فى مقابل الأنعام فانعامه محض وأقل ما يجب له الشكر ، وكل من سواه فمغرض فى أنعامه ايما غرض حتى وان اقتصر فى أدنى درجاته على التلذذ بالعطاء ، كما ينطق بيت بشار •

ثم بين قول ابن الانبارى أن هذا الثناء منه تعالى على نفسه لتعليم عباده ما يستوجبون به الثواب شغفة بنظيره فى الشعر — من قول أمية — ثم بين — بالحديث الشريف — موقع الحمد من الشكر وفضل مرتبته ، وبين منازل الشكر مستدلا بكل منها بشاهد من التنزيل أولا ثم أردفها بما جاء من الشعر حيث اجتمعت أنواع الشكر فى بيت من القريض •

وهكذا تنعقد المزاوجة فى تفسير الواحدى بين محصلات العلم ومجانى الأدب فنجتلى من خلال تلك المزاوجة مظاهر التفسير الأدبى والأدب التفسيرى •

ولا يغرب عنا ما لهذا الامتزاج من اثر عميق يقع موقعه فى قرار النفس ، ذلك لأن الأسلوب العلمى يخاطب العقل ويأخذ طريقه الى النفس ، والأسلوب الأدبى بطرق باب الوجدان ويكون ايقاعه أرهف والمس للشعور ، فبالتئام الأسلوبين وتمازجهما معا يمتزج الشعور والتعقل ويتجسد المعنى للشعور كما يتماثل للعقل • وتلك مزية ربط التفسير بالادب وثمرة المنهج الادبى فى التفسير ، فضلا عن أن الأدب هو صقل اللغة ومجلى محاسنها ومرآة تنعكس فيها جمالياتها وعمق تأثيرها وثراء مادتها وعمق مدلولها •

ومن صريح الحق الذى لا مزية فيه أن القران الكريم يمثل ذروة اكتمال الضاد ، وأعلى مراتب سموها ، واسمى مظهر لجمالها ، وروائها وبهائها ، ومن ثم كان أثرى منبع لادب اللغة هو القرآن • كتاب العربية الأكبر ومأدبة الله لعباده ، ومن ثم حق على وراد منهله وقصاد تفسيره أن يتضلعوا من معين أدب العربية لاستجلاء روعة أدب القرآن والوقوف على اعجازه البيانى وسمو مرتبته فى الفصاحة والبلاغة ، وهذا ما قصد اليه الواحدى فى تفسيره وتأهل له قبل ولوج هذا الميدان بأحكام أصول اللغة والأدب ودرس دواوين العربية باستيعاب وتبحر حتى قال له شيخه (أنك لم تبق ديوانا من الشعر الا قضيته حقه) وكان مأرب الواحدى من ذلك هو التأهل لتفسير القران باحكام درس لغته وتذوق أسرارها بالتمرس بأدبها • وكان الانعكاس واضحا وجليا فى تفسيره ، فقد تجلى تبحره فى اللغة وأدبها فى تناوله لمفردات القرآن من زاويتى اللغة والأدب ، وبرزت فحولته فى الاحاطة بخصائص التعبير القرآنى واتساع افقه الأدبى لرؤية النظائر المشتركة فى الاستعمال مع تفاوت رتبها • وتميز خصائصها فى نطاق الأدب العربى شعره ونثره • بل وتجلت

---

(١) يقع الحمد على الصفات المتعدية والصفات اللازمة ، فتقول حمدته لفروسيته وتقول : حمدته لكرمه وهو أعم من الشكر من هذه الحيثية — حيثية ما يقع عليه أعم من الشكر ، والشكر أعم من الحمد من حيث ما يقعان به ، اذ الشكر يكون بالقول وبالعمل وبالنية . هكذا نقل ابن كثير عن بعض العلماء المتأخرين. انظر تفسيره (١/٣٧ — ط/١ الشعب) .

قدرته أيضا على ادراك الأثر الأدبى للقرآن فى لغة العرب وأدبها ، وتأثر الأدباء والشعراء بهذا المعين الفياض الذى لا تماثل عذوبته ولا يقدر عطاؤه • ولنأخذ فى التدليل فى ما ذكرنا •

فمن أمثلة ما يبين فيه الواحدى نظائر التعبيرات القرآنية والصور البلاغية من ديوان الأدب العربى — مع تفاوت المنزلة وثبوت الاعجاز القرآنى — ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر[١]) يقول فى البسيط :

(روى فى تفسير هذا عن النبى عليه السلام أنه قال لعدى بن حاتم : انما ذاك بياض النهار من سواد الليل[٢]) ، وبهذا قال عامة أهل التفسير •

والعرب قد تكلمت بهذا اللفظ فى الليل والنهار ، قال أمية الثقفى :

الخيط الأبيض لون الصبح منفلق
والخيط الأسود لون الليل مركوم[٣]

وقال أبو دؤاد :

فلما أضاءت لنا غدوة
ولاح من الصبح خيط أنارا[٤]

واختلفوا لم سميا خيطين ، فقال الأكثرون : انما يسميان خيطين عند اختلاط الضوء بالظلام والتفاف احدهما بالآخر • شبها بخيطين بريمين ، ومن هذا يقال : خيط الشيب رأسه : اذا اختلط السواد بالبياض ، ذكره أبو عبيد من الأصمعى وأنشد :

(حتى يخيط بالبياض قرونى)
البيت لبدر الهذلى ، وأوله :

(آليت لا أنسى منيحة واحد[٥])
يعنى بالمنيحة : هجاء مهاجيه

وقرأت على أبى الحسين الفسوى : أخبركم أحمد بن محمد ، قال : انشدنا الحسن ابن خلاد ، قال أنشدنى دريد قال : أنشدنا ابن اخى الاصمعى عن عمه لرجل يصف ليلا :

كأن بقايا الليل فى أخرياته
ملاء ينقى من طيالسه خضر

تخال بقاياها التى أسأر الدجى
تمد وشيعا فوق أردية الفجر[٦]

فشبهها بالوشيع ، وهو ، فتائل الغزل ، لما يتراءى فى خلاله من خيوط سواد وبياض[٧] وتتجلى نزعته الأدبية فى ايراد نظائر الصور البيانية القرآنية من عيون الشعر العربى لاجلاء روعة التعبير القرآنى وسمو مرتقاه فى البلاغة والاعجاز ، من ذلك ما ذكره عند

---

(١) سورة البقرة /١٨٧
(٢) اخرجه البخارى فى كتاب التفسير من صحيحه ٣١/٦ ط الشعب .
(٣) ورد البيت فى لسان العرب (٩ / ١٧٠) وفيه (ضوء الصبح) بدلا من (لون الصبح)ويروى مكتوم بدلا من (مركوم) فى بعض الروايات . والشاعر هو أمية بن أبى الصلت الثقفى .
(٤) البيت فى لسان العرب ٧١٠/٩ وفيه (سدفة) بدلا من (غدوة) والسدفة الضوء ، كما تطلق على الظلمة فهى من قبيل الاضداد ، وقد استشهد القرطبى بالبيت فى نفس الموضع ٣٢٠/٢

(٥) أورد الزمخشرى هذا البيت فى (أساس البلاغة ٢٥٨/١) وفيه (اقسمت) بدلا من (آليت) .
(٦) اورد أبو هلال العسكرى البيتين فى (ديوان المعانى ٣٥٥/١) وفيه (كأن شميط الصبح) بدلا (كأن بقايا الليل) وقد سبق تخريج البيتين من الامالى لابى على القالى .
(٧) الواحدى : البسيط ٤٠٧/١

تفسير قوله تعالى (وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون[1]) يقول فى تفسيره (البسيط) • وقوله (كأنهن بيض مكنون) : المكنون : معناه فى اللغة المستور ، يقال : كننت الشىء وأكننته ، وقد سبق الكلام فيه[2] وقال أبو عبيدة ، المكنون : المصون وكل لؤلؤ أو بيض أو متاع صننته فهو مكنون • قال أبو اسحق : يقال : كننت الشىء اذا سترته وصننته فهو مكنون •

قال الحسن وابن زيد : شبههن ببيض النعام يكنها بالريش من الريح والغبار وقال الكلبى : كأنهن بيض قد خبىء من الحر والقر •

وقال قوم من المفسرين فى هذا التشبيه مالا يصح ولا يكون له وجه من حيث اللفظ[3] والوجه : ما ذكره الحسن وابن زيد ، قال أبو اسحق : أى كأن ألوانهن ألوان بيض النعام الذى يكنه ريش النعام • وقال المبرد : العرب تشبه المرأة الناعمة فى ضيائها وحسنها وصفوة النعمة عليها بيضة[4] •

وقال الراعى :

كأن بيض نعام فى ملاحفها
اذا اجتلاهن قيظا ليلة ومد[5]

وقال ابن الرقيات :

واضح لونها كبيضة أدحى
لها فى النسا خلق عميم[6]

وقال أبو دؤاد :

ممكورة تجلو الظلام ربحلة
ريا العظام كبيضة النغض[7]

وقال آخر :

وهتكت بنى الليل عن
بيض السوالف والصفاح

فكأنما ضحكت سجوف
الربط عن بيض الاداح[8]

وقال امرؤ القيس :

صادت فؤادك بالدلال جويرة
صفراء رادعة عليها اللؤلؤ

كعقيلة الادحى بات يحفها
ريش النعام وزال عنها الجؤجؤ[9]

---

(١) سورة الرحمن / ٤٨ — ٤٩

(٢) انظر البسيط ٥٠٩/١ عند تفسير قوله تعالى (أو اكننتم فى أنفسكم) من سورة البقرة ٢٣٥ .

(٣) يعنى بذلك ما ورد عن سعيد بن جبير والسدى من أن الله تعالى شبههن ببطن البيض قبل ان تمسه الايدى . وهو ما ذكره الواحدى فى خاتمة النص وعلق عليه بقوله (وليس بالوجه) وهو مختار الطبرى فى تفسيره (٥٧/٢٣) حيث رجحه على غيره من الاقوال بينما استبعده الواحدى لبعده فى اللغة .

(٤) أورد الخطيب الشربينى عبارة المبرد فى تفسيره (٣٧٧/٣) وفى ختامها (ببيضة النعام) بزيادة النعام .

(٥) البيت فى لسان العرب (٤٨٧/٤) والومد — بفتح الواو وكسر الميم — ندى تهب به الصبا . من البحر .

(٦) أورد المبرد البيت فى الكامل (١/ ٢٥٥) بتحقيق د. زكى مبارك والادحى : موضع بيض النعامة .

(٧) الممكورة : الضخمة المكتنزة ، والربحلة : اللحيمة ، جيدة الخلق فى طول . والنغض : النعام .

(٨) يطلق البنى : على البناء من المدر أو الصوف ، والمراد ببنى الليل : أستاره (اللسان ١٠١/١٨) والسوالف:جوانب العنق ، والصفاح: ما سهل وحسن من الوجوه ، وتطلق على مسحة فى عرض الخد يفرط بها اتساعه (القاموس المحيط ٢٤٣/١) والسجوف : الستور ، والريط الثوب الرقيق أو الملاءة .

(٩) ثانى البيتين فى أساس البلاغة ١٠٤/١ والرادعة : المزغفرة ، والعقيلة : الكريمة المخدرة والجؤجؤ : عظم الصدر .

أراد بعقيلة الأدحى : بيض النعـــام ، وعلى هذا المعنى حمل قول الكندى :

(وبيضة خدر لا يرام خباؤها[1])

وقال ابن زيد فى هذه الآية : البيض بيض النعــام أكنه الريش ، فلونه أبيض فى صـــفرة •

قالوا : وهذا أحسن ألوان النساء أن تكون بيضــاء مشربة صفرة[2]) • وهكذا يستعرض الواحدى – فى بيان ما شبهت به الحـــور العين من البيض المكنون – ألوان الصور التعبيرية لهـــا فى عيون الشعر العربى ليفصح عن روعة التشبيه القرآنى ، ويبرز أسرار جماله •

كما تنعكس النزعة الأدبية فى استعراض الواحدى لبعض وقائع النقـــد الأدبى التى ترتبط بدلالة النص القرآنى وتعين على فهمه وتلقى الضوء على بعض زوايا تفسيره من ذلك ما ذكره فى تفسيره (البسيط) عند تفسير قوله تعـــالى : (واذكـــروا الله فى أيـــام معدودات[3]) • اذ يقول :

قوله تعالى : (واذكروا الله فى أيام معـــدودات) لقلتهـــا ، كقوله : (دراهم معدودة[4]) وجمعها على الألف والتاء يدل أيضا على القلة • نحو : دريهمات ، وحمامات وروى أن حسان بن ثابت عرض شعره – وهو صبى بعكاظ – على النابغة وأنشده :

لنـــا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى
وأســـيافنا يقطـــرن من نجدة دما

فقال : يا غلام • قللت جفنناك ! يريد : أنه جمع بالألف والتاء ، ولم يقل الجفان • قال الزجاج : وهذا الخبر عندى مصنوع ، لأن الألف والتاء قد تأتى للكثرة ، قال الله عز وجل (ان المسلمين والمسلمات[5]) وقال : (فى جنات[6]) ، وقال (فى الغرفات[7]) فقد يرد هذا الجمع فى الكثير ، ولكنه أدل على القليل من حيث كان أقرب الى الواحد ، لأنه على التثنية تقول: حمام ، وحمامان، وحمامات فتؤدى بناء الواحد[8]) •

كما تتجلى النزعة الأدبية عند الواحدى فى ابرازه للاثر الأدبى للقرآن الكريم وتأثر الأدباء ، والشعراء بمعانيه ونقلها منه الى رياض الشعر والأدب ، وتداولها فى قصائد أعظم دلالة على أن القرآن الكريم يمثل أثرى المصادر وأغنى الموارد وأعذب المناهل لأدب العربية شـــعره ونثره ، وتلك ناحية جديرة بالدراسة العميقة التى لم تنل بعد ما تستحقه من عناية الدارســـين وجهد الباحثين • ومن أمثلة ما عرض له الواحدى فى تفسيره مما يبرز هذا الأثر ويلقى الضـــوء على هذا الجانب ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : (ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب[9]) •

اذ يقول فى البسيط :
قال أعظـــم أهل التأويل : معناه أن ســـافك الدماء اذا اقيد منه ارتدع من كان يهم بالقتل ، فكان فى القصاص بقاء ، لأنه اذا علم أنه ان

---

(١) أورده الالوسى فى تفسيره والشـــطر الثانى من البيت (تمتعت من لهوبها غير معجل) روح المعانى ٨٩/٢٣)
(٢) الواحدى : البسيط ١٥١/٧
(٣) سورة البقرة /٢٠٣
(٤) سورة يوسف /٢٠

(٥) الاحزاب /٣٥
(٦) القمر /٥٤
(٧) سبأ /٣٧
(٨) الواحدى : البسيط ٤٣٥/١ – ٤٣٦
(٩) سورة البقرة / ١٧٩

قتل قتل : أمسك وارتدع عن القتل ، ففيه حياة للذى هم بقتله ، وحياة للهام أيضا .
وقد أخذ الشاعر هذا المعنى ونقله من القصاص الى العتاب فقال :

أبـلغ أبا مالك على مغلغلـة
وفى العتاب حياة بين أقوام[1]

يريد : أنهم اذا تعاقبوا أصلح ما بينهم العتاب وكفوا عن القتل ، فكان فى ذلك حياة ، وأخذه المتمثلون فقالوا : بغض القتل أحيا للجميع ، وقالوا : القتـل أقل للقتل[2]) ، وهكذا كانت المعانى القرآنية معينا فياضـا يرده ناهلو الأدب ويصدر عنه فرسان الشعر ومن ثم كان للنزعة الأدبية عنـد الواحدى انعكاسها فى ابراز هذا الأثر فى تفسيره واجلاء القيمة الأدبية الرفيعة لكتاب الله العظيم .

الاستشهاد بالشعر فى تفسيره :

فطن أسـاطين المفسرين ـ منذ عصر الصحابة رضوان الله عليهم ـ الى دور الشعر وأهميته البالغة فى التفسير ، باعتباره ديوان العرب وسجل لغتهم التى نزل بها الفرقان ، فكان الشعر العربى مرجعا موثوقا يعتمد عليه فى معرفة غريب القرآن ومفرداته ، وبهـذا نطقت الآثار والروايات عن امـام المفسرين ابن عباس وغيره من أجلاء الصحابة وسلف الأمة رضى الله عنهم أجمعين .

يقول الامام عبد الله بن عباس ـ عليه الرضوان ـ (الشعر ديوان العرب ، فاذا خفى عليهم الحـرف من القرآن الذى أنزله الله بلغتهم رجعوا الى ديوانهم[3]) .

وعنه ـ من طريق عكرمة ـ أنه قال (اذا سألتمونى عن غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر فان الشعر ديوان العرب[4]) .

ثم تأتى مسائل نافع بن الأزرق[5] دليلا عمليا على أن الاستشهاد بالشعر فى التفسير كان منهج الصحابة رضوان الله عليهم ، حيث استشهد الامام ابن‌عباس ـ رضى‌الله عنهما ـ لكل جواب من اجوبة مسائل نافع ببيت من الشعر ، فمنها ـ مثلا ـ أنه قال له : أخبرنى عن قوله تعالى (من حمأ مسنون[6]) فقال له : الحمأ : السواد ، والمسنون : المصور ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، اما سمعت قول حمزة بن عبد المطلب :

أغر كأن البـدر سـنة وجهه
جلا الغيم عنه ضوؤه فتبـددا

وهذه المسائل قد أخرج بعضها الطبرانى فى معجمه وابن الانبارى فى كتاب الوقف[7] وقـد رد ابن الانبارى فى كتابه (الوقف والابتداء) ـ الذى ذكـر فيه المسـائل واجوبتها ـ على من أنكر الاستشهاد على

---

(1) البيت لابن برى ، ذكره ابن منظور فى لسان العرب (١٨/٤) والمغلغلة : الرسالة المحمولة من بلد لبلد .
(2) البسيط ٣٨٥/١

(3) الزركشى : البرهان /٢٩٤/١
(4) السـيوطى : الاتقـان : ٥٥/٢ وفى رواية صاحب البرهان (اذا سألتمونى عن غريب اللغة) ٢٩٤/١ .
(5) نقل الامام السـيوطى فى الاتقـان : ٥٦/٢ ـ ٨٨ مسائل نافع واجوبتها بشواهدها من الشعر ، وهى ثروة أدبية نفيسة تدل أبلغ دلالة على مدى تبحر حبر الأمة فى لغة القرآن وشعر العرب .
(6) سورة الحجر / ٢٦
(7) انظر الاتقان للسيوطى ٥٥/٢ وتمام اسم كتاب ابن الانبارى (الوقف والابتدا) .

معانى القرآن بالشعر ، وكان النحويون من الكوفيين والبصريين يحتجون بالشعر على معانى القرآن وهم يؤصلون قواعدهم •
فقال ابن الانبارى مستدلا بمسائل نافع على نقض قول من أنكر الاستشهاد بالشعر لمعانى القرآن (فيه دلالة على بطلان قول من أنكر على النحويين احتجاجهم على القرآن بالشعر ، وأنهم جعلوا الشعر أصلا للقرآن • وليس كذلك ، وانما أرا دالنحويون أن يثبتوا الحرف الغريب من القرآن بالشعر لأن الله تعالى قال: (انا أنزلناه قرآنا عربيا[1]) ، وقال تعالى (بلسان عربى[2] ، [3]) ولقد فطن الواحدى بدوره الى حقيقة الدور الذى يسهم به الشعر فى بناء التفسير ، فساق فى مقدمة تفسيره البسيط ما يؤكد هذه الحقيقة عند قطبين من أعلام الصدابة من خلال ما روى عنهم حيث قال :

(وروى عن سعيد بن المسيب أنه قال : بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه على المنبر فقال : أيها الناس ، ما تقولون فى قول الله عز وجل (أو يأخذهم على تخوف[4]) ؟؟ فسكت الناس فقام شيخ فقال : يا أمير المؤمنين ، هذه لغتنا بنى هزيل ، التخوف : التنقص قال عمر : هل تعرف العرب ذلك فى أشعارها ؟ قال : نعم ، قال شاعرنا أبو كبير الهذلى :

تخوف الرحل منها تامكا صلبا
كما تخوف عود النبعة السفن[5]

فقال عمر رضى الله عنه : يا أيها الناس، عليكم بديوانكم الذى لا يضل ، قالوا : وما ديواننا ؟

قال : شعر الجاهلية ، فان فيه تفسير كتابكم ومعانى كلامكم •

وفيما كتب الى محمد بن عبد العزيز المروزى — بخط يده — أن محمد بن الحسن الحدادى ، أخبرهم عن محمد بن يحيى ، قال اسحق بن ابراهيم الحنظلى قال حدثنا وكيع عن أسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس قال :

اذا قرأ أحدكم شيئا من القرآن فلم يدر ما تفسيره فليلتمسه فى الشعر فانه ديوان العرب •

وبهذا الاسناد عن اسحق بن وهب بن جرير بن أبى قال سمعت الزبير بن خريت عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يسأل عن الشىء من عربية القرآن فينشد الشعر[6]•لقد كان الرجوع الى الشعر فى تفسير كتاب الله تعالى هو منهج السلف وشرعة المتقدمين الأوائل الذين أدركوا أن الشعر سجل اللغة وعقدها النضيد الذى انتظمت فيه لآلئها وفرائدها وعجائبها وغرائبها •

ولقد كان أبو الحسن الواحدى فى طليعة المفسرين المحتفين بالشعر والمدركين لأهمية الدور العلمى الذى يؤديه القريض للتفسير فضلا عن القيمة الأدبية التى تزامل العطاء

---

(١) سورة يوسف /٢
(٢) سورة الشعراء /١٩٥
(٣) الزركشى : البرهان بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ٢٩٤/١
(٤) سورة النحل / ٤٧
(٥) البيت من قصيدة يصف فيها الهذلى ناقة تنقص السير سنامها بعد تمكه واكتنازه ، وقد أورد القرطبى فى تفسيره (١١٠/١٠) البيت فى سياق الرواية ، والتامك : المرتفع المستطيل والسفن : ما ينجربه الخشب .
(٦) الواحدى : البسيط ٣/١ — ٤

العلمى وتواكبه .وقد مر بنا أن الواحدى لم يلج باب التفسير الا ومعه أوفر حظ من نبع القريض الذى وافاه ملكة وعلما وتبحر فيه حتى قال له شيخه (انك لم تبق ديوانا من الشعر الا قضيت حقه) !! واستنجزه مباشرة التفسير الذى نذر نفسه له ، فكان رد الواحدى (يا أبت انما أتدرج بهذا الى ذلك الذى تريد) ، فماذا كان عطاء الشعر للتفسير عند الواحدى ؟ ؟ والى أى مدى أفاد الواحدى من الشعر فى تفسيره ؟ ؟

حينما نتصفح تفسير الواحدى (البسيط) فاننا نقف على ثروة شعرية حافلة وشواهد غزيرة متنوعة الجوانب ومتعددة الألوان لا أعتقد ــ فيما وصل اليه علمى ــ أن تفسيرا اخر يماثله فى غزارة الشواهد وتدفقها فى الموضع الواحد والجمع بين النظائر المتماثلة لتقوية الاستشهاد وتعزيزه ، وتتابع الأبيات المتلاحقة من بحور شتى ولشعراء من مختلف الطبقات والنوعيات .

وقد حاولت مرارا وأنا بصدد تخريج بعض الأبيات أو تصحيح ما ألم بها من خطأ فى النسخ قد نم عنه اختلال فى الوزن الشعرى أو التناسق المعنوى ، حاولت خلال ذلك تصفح أمهات التفاسير فى المواضع المماثلة للوقوف على كثير من الشواهد فوجدتها خلوا من ذلك وأبصرت الواحدى فى كثير من المواضع نسيج وحده فى الاستشهاد وقلما تخلو صحيفة فى تفسيره من بيت أو أبيات للاستشهاد على معنى لغوى أو قاعدة نحوية أو لصورة بلاغية أو لتوضيح معنى أو ما شاكل ذلك .

ولنأخذ بعض الأمثلة التى تصور غزارة شواهده فى الموضع الواحد :

يقول عند تفسير قوله تعالى (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا[1]) (وقال أهل اللغة: أصل البلد هو الأثر ، من ذلك قولهم لصدر[2] البعير بلدة لأنه اذا برك أثرت، قال ذو الرمة :

أنيخت فألقت بلدة فوق بلدة
قليل بها الأصوات الا بغامها[3]

ويقال للاثر بلد ، وجمعه أبلاد ، قال القطامى :

(وبالنحور كلوم ذات أبلاد[4])

وقال ابن الرقاع :

عرف الديار توهما فاعتادها
من بعد ما شمل البلا أبلادها[5]

وانما سميت البلاد ، لأنها مواضع

---

(١) سورة البقرة / ١٢٦

(٢) بالنسخ تحريف لهذه الجملة فالعبارة بالأصل (من ذلك قولهم لكسر كره البعير بلدة) والتصويب من عبارة (أساس البلاغة ٦١/١) يقول الزمخشرى (وضعت الناقة بلدتها وهى صدرها اذا بركت قال ذو الرمة : انيخت فألقت بلدة فوق بلده ...) البيت .

(٣) البيت فى أساس البلاغة وفى لسان العرب (٦٣/٤) والمراد بالبلدة الأولى : ما يقع على الأرض من صدرها ، وبالثانية : الفلاة التى اناخ ناقته فيها ، والبغام صوت الظبى وهو مستعار لصوت الناقة . (انظر اللسان / مادة « بلد ») .

(٤) البيت فى لسان العرب ٦٤/٤ وصدره : (ليست تجرح فرارا ظهورهم) على بناء (تجرح) للمجهول .

(٥) البيت فى لسان العرب (نفس الموضع السابق) ومعنى اعتادها : اعاد النظر اليها مرة أخرى بعد مرة لدروسها .

مواطن الناس وتأثيرهم ، والبلد : المقبرة ، ويقال هو نفس القبر : قال خفاف[1] :

كل امرىء تارك أحبته
ومسلم وجهه الى البلد

ومن هذا يقال : رجل بليد ، اذا أثر فيه الجهل ، ثم يقال منه : تبلد الرجل ، وهو نقيض التجلد قال :

أولا لاتلمه اليوم أن يتبلدا
فقد غلب المحزون أن يتجلدا[2]

وبلد أيضا اذا ضعف فى العمل وغيره حتى قيل فى الجرى : قال :

جرى طلقا حتى اذا قيل سابق
تداركه اعراق فبلدا[3] ، [4]

فى هذا النص ــ كمجرد مثال ــ يورد الواحدى لكل من المعانى اللغوية لفظ (بلد) ومشتقاته شاهدا أو أكثر من الشعر ليوضح به مدلول اللفظ فى اطار السياق • حتى أورد ستة شواهد متعاقبة عند تبيان مدلول مفردة فى الآية •

ومما يجدر بالذكر ــ على سبيل التنظير والمقارنة ــ اننا عندما ننظر فى تفسير الطبرى ــ مثلا ــ فى هذا الموضع من تفسير الآية الكريمة فاننا لا نظفر بشاهد واحد من الشعر ، كذلك لا نجد فى تفسير ابن عطية أو كشاف الزمخشرى أو جامع القرطبى أو البحر المحيط لأبى حيان شيئا من الشواهد الشعرية فى هذا الموضع ، ولا نعنى بذلك الاقلال من قدر هذه التفاسير العظيمة وانما المقصد ابراز صدارة الواحدى فى غزارة استشهاده بالشعر •

ومن أمثلة ايراد الواحدى للشواهد المتعددة فى الموضع الواحد أيضا ما ذكره فى البسيط عند تفسير قوله تعالى (لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم[5]) • • حيث قال (اللغا مصدر لغيت ، واللغو مصدر للغوت ، قال العجاج :

ورب أسراب حجيج كظم
عن اللغا ورفث التكلم[6]

وقال ذو الرمة :

ويطرح وسطها المرئى لغوا
كما ألغيت فى المائة الحوارا[7]

قال ابن المظفر :

تقول اللغو ، واللاغية ، واللواغى واللغا ، واللغوى ، ومنه الحديث : (من قال

---

(1) هو خفاف بن ندبة ــ بفتح الخاء والفاء الاولى وبفتح النون والدال فى (ندبة) وهو ابن عمير بن الحرث السلمى وهو ابن عم الخنساء الشاعرة وندبة اسم أمه ، كان صحابيا جليلا شهد غزوة الفتح ، وهو أحد اغربة العرب الثلاثة والاخران عنترة والسليك بن عمير السعدى (انظر الاغانى ١٣٤/١٦ ــ ١٤٠) .

(2) البيت فى لسان العرب ٦٤/٤

(3) البيت فى لسان العرب (٦٥/٤) وهو فى اللسان (... حتى اذا قلت سابق) .

(4) الواحدى : البسيط ٣٠٤/١

(5) سورة البقرة/٢٢٥

(6) البيت فى لسان العرب (٢١٧/٢٠) وينسب لرؤبة كما نسبه ابن برى للعجاج واورده الفخر الرازى فى تفسيره (٢٣٧/٢) كما اورده القرطبى فى تفسيره ٩٩/٣ .

(7) البيت من قصيدة لذى الرمة يهجو هشام بن قيس المرئى ، وقد ورد فى لسان العرب (١١٦/٢٠) هكذا : ويهلك وسطها المرئى لغوا .. كما الغيت فى الدية الحوارا . والمراد انه هلك كالسقط الذى لا يعتد به كما لا يعتد فى الدية بالحوار وهو ولد الناقة ساعة تضعه .

يوم الجمعة لصاحبه والامام يخطب فقد لغا[1]) .

ومثله من الكلام : استغنى عنه ولا يفتقر اليه وقال الكميت :

وبعد ذلك أيام سنذكرها
لم تنس لغوا ولم تقدم على أمر

أى : لم تنس اطرا حالها ، ويقال : لغا الطائر يلغو لغوا : اذا صوت ، وسمى ذلك منه لغوا لأنه لا يوقف على ما يريده ، قال الشاعر :

باكرتهم بسباء جون ذراع
قبل الصباح وقبل لغو الطائر[2]

السباء : اشتراء الخمر ، والجون : الزق ، والذراع : الكبير الكثير ، الأخذ من الأرض ولغو الطائر تصويبه[3]) .

وقبل أن نغادر هذين النموذجين الدالين على وفرة الشواهد الشعرية فى تفسير الواحدى لا نغفل عن ملاحظة شرح الواحدى لغريب الشعر كما رأينا فى الشاهد الأخير . وعلى غرار هذين المثالين ـ فى وفرة وغزارة الشواهد الشعرية ـ كثير وكثير فى تفسير الواحدى حتى يضيق الباحث باستقصائها

وحصرها ، ولورام ذلك لخرج بموسوعة شعرية حافلة . ويرجع ذلك لما سبق أن نوهت به من ثراء حظ الواحدى من ديوان العربية وسعة محصلته وحافظته لنتاج جمهرة شعراء الضاد من مختلف الطبقات والنوعيات .

وهنا نتوقف أمام هذا التساؤل : هل ارتضى العلماء الأثبات جواز الاحتجاج بشعر الشعراء من مختلف الطبقات والاستشهاد به علميا ؟ أم أن هناك حد ودا فاصلة وتفرقة بين الطبقات فى ذلك ؟ ثم يطرح التساؤل التالى نفسه : ما مدى التزام الواحدى بالتقيد برأى العلماء فى الاستشهاد بالشعر فى تفسيره ؟

فى الرد على التساؤل الأول نثبت هنا ما ذكره البغدادى[4] فى خزانة الأدب ، فى بيان طبقات الشعراء وما يصح الاستشهاد به من الشعر ، يقول البغدادى :

(الكلام الذى يستشهد به نوعان : شعر ، وغيره . فقائل الأول قد قسمه العلماء على طبقات أربع) :

الطبقة الأولى :

الشعراء الجاهليون ، وهم قبل الاسلام كامرىء القيس والاعشى .

الطبقة الثانية :

المخضرمون ، وهم الذين أدركوا الجاهلية والاسلام كلبيد وحسان .

---

(1) اخرجه مسلم وابو داود وابن ماجة ولفظ مسلم (اذا قلت لصاحبك أنصت يوم الجمعة والامام يخطب فقد الغيت) ثم قال أبو الزناد : فى لغة أبى هريرة وانما هو فقد لغوت (انظر صحيح مسلم بشرح اللووى ١٣٩/٦) .

(2) البيت لثعلبة بن صغير المزنى وقد أورده صاحب لسان العرب ٤٥٢/٩ ، ٢٢٩/٢٠

(3) الواحدى : البسيط ٤٨١/١

(4) هو الأديب العلامة عبد القادر بن عمر البغدادى (١٠٣٠ ـ ١٠٩٣ هـ) له غير الخزانة: شرح شواهد مغنى اللبيب ، وشرح الكعبية ، ومقصد المرام فى عجائب الاهرام وغير ذلك : (هدية العارفين ٦٠٢/١) .

الطبقة الثالثة :

المتقدمون : ويقال لهم الاسلاميون — وهم الذين كانوا فى صدر الاسلام كجرير والفرزدق •

الطبقة الرابعة :

المولدون — ويقال لهم المحدثون — وهم من بعدهم الى زماننا ، كبشار بن برد ، وأبى نواس •

فالطبقتان الأوليان : يستشهد بشعرهما اجماعا •

واما الثالثة : فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها ، وقد كان أبو عمرو بن العلاء ، وعبد الله بن أبى اسحق ، والحسن البصرى ، وعبد الله بن شبرمة يلحنون الفرزدق والكميت وذا الرمة واضرابهم ، كما سيأتى النقل عنهم فى هذا الشرح ان شاء الله فى عدة أبيات أخذت عليهم ظاهرا — وكانوا يعدونهم من المولدين ، لأنهم كانوا فى عصرهم والمعاصرة حجاب •

قال ابن رشيق فى العمدة : كل قديم من الشعراء محدث فى زمانه بالاضافة الى من كان قبله ، وكان أبو عمرو يقول : لقد حسن هذا المولد حتى لقد هممت أن آمر صبياننا بروايته[١] — يعنى بذلك شعر جرير والفرزدق — فجعله مولدا بالاضافة الى شعر الجاهلية والمخضرمين وكان لا يعد الشعر الا ما كان للمتقدمين ، قال الاصمعى : جلست اليه عشر حجج فما سمعته يحتج ببيت اسلامى[٢]

وأما الرابعة : فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقا ، وقيل يستشهد بكلام من يوثق بهم منهم • واختاره الزمخشرى[٣] ، [٤]) •

وحين نتعرف على موقف الواحدى من شعراء هذه الطبقات الأربع فى تفسيره فاننا نجده قد استشهد بشعر مختلف طبقات الشعراء ولكننا نجده لا يستشهد بشعر طبقة المولدين أو المحدثين الا نادرا جدا ثم نجد أكثر شواهده من الشعر الجاهلى العريق لفحول الشعراء من أصحاب المعلقات وغيرهم ، كما تكثر شواهده من أشعار المخضرمين والاسلاميين ، بيد أن الغلبة فى استشهاده للطبقة العليا حيث تردد بين سطور تفسيره بكثرة : اسماء اساطينه وفحوله من أمثال أمرىء القيس والنابغة الذبيانى وعنترة وطرفة والاعشى وأوس بن حجر وزهير وعلقمة ، والمرقشان وغيرهم من فرسان القريض واعلامه •

---

(١) فى الأصل (برواية شعره) والتصويب من العمدة (٥٧/١) ط هندية سنة ١٣٤٤ هـ — ١٩٢٥ م •

(٢) الى هنا ينتهى نقل البغدادى عن ابن رشيق . وقال صاحب العمدة بعد ذلك (وسئل عن المولدين فقال : ما كان من حسن فقد سبقوا اليه ، وما كان من قبيح فهو من عندهم ، ليس النمط واحدا ، ترى قطعة ديباج وقطعة مسح وقطعة نطع .. هذا مذهب ابى عمرو واصحابه كالاصمعى وابن الاعرابى ...) انظر العمدة (٥٧/١) .

(٣) بعد أن ذكر البغدادى استشهاد الزمخشرى بشعر ابى تمام فىتفسيراوائل البقرة، ذكر أن فى الكشاف ما يقتضى تخصيص منع الاحتجاج بشعر المولدين والمحدثين ، بغير ائمة اللغة ورواتها حيث احتج بشعر ابى تمام وبشار وذكر أن سيبويه قد احتج ببعض شعر بشار — وهو اول المحدثين — تقربا اليه لانه هجاه لتركه الاحتجاج بشعره (انظر الخزانة ٥/١) .

(٤) البغدادى : خزانةالأدب بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد (٣/١ — ٤) .

فمن أمثلة استشهاده بشعر امرىء القيس[1] : ما نكره عند تفسير قوله تعالى (وكلا منها رغدا حيث شئتما[2]) يقول فى البسيط :

(الرغد سعة العيش ، يقال عيش رغد (بالسكون) ورغد (بالفتح) ورغد عيشهم : أى اتسع ، قال امرؤ القيس :

بينما المرء تراه ناعما
يأمن الاحداث فىعيش رغد[3]،[4])

كما يستشهد بشعره عند تفسير قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة[5]) فيقول فى البسيط :

(والحسنى فى اللغة : تأنيث الأحسن ، وهى جامعة للمحاسن ، قال ابن الانبارى : والعرب توقعها على الخلة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها المفروح بها ولذلك لم توصف ههنا ولم تنعت بشىء ، لأن ما يعرفه العرب من أمرها يغنى ع ننعتها ، يدل عليه قول امرىء القيس :

فصرنا الى الحسنى ورق كلامنا
ورضت فذلت صعبة أى اذلال

أراد : فصرنا الى الأمر المحبوب المأمول[6]) .

ومن أمثلة استشهاد الواحدى بشعر النابغة الذبيانى[7] فى تفسيره ما ذكره فى البسيط عند تفسير قوله تعالى : (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله[8]) .

اذ يقول : (وكل منزلة رفيعة فهى سورة ، مأخوذة من سور البناء ، ومنه قول النابغة :

ألم تر أن الله أعطاك سورة
ترى كل ملك دونها يتذبذب[9]

كما يستشهد بشعر النابغة عند تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام[10]) .

فيقول : (وصامت الريح اذا ركدت ، وصام الفرس اذا قام على غير اعتلاف ومنه قول النابغة :

(خيل صيام غير صائمة[11] ، [12]) .

---

(١) هو راس الشعراء الجاهليين قال الاصمعى لابى حاتم اذ سأله عن أول الفحول قال: (.. أولهم كلهم فى الجودة امرؤ القيس ، له الحظوة والسبق وكلهم أخذوا من قوله واتبعوا مذاهبه) انظر فحولة الشعراء للاصمعى ص١٢ —١٣ ، مات امرؤ القيس حوالى سنة ٥٦٠ ميلادية .

(٢) سورة البقرة / ٣٥ .

(٣و٤) استشهد بهالطبرى فىتفسيره (١/ ٢٣٠) والقرطبى ولم ينسبه فى تفسيره (١ / ٣٠٣) .

(٥) سورة يونس / ٢٦ .

(٦) الواحدى : البسيط ٢٢/٣ .

(٧) هو احد كبار فحول الشعراء فى الجاهلية وقد قدمه بعض ائمة الادب على جميع الشعراء بما فيهم امرؤ القيس وقالوا فيه : هو اوضحهم معنى وابعدهم غاية واكثرهم فائدة (انظر جمهرة اشعار العرب للقرشى ص ٥٩) وقال فيه سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه (هو اشعر شعرائكم) انظر الجمهرة ص ٦١ وسئل الاصمعى يوما اى الناس طرا اشعر ؟ قال النابغة (انظر فحولة الشعراء) ص ١٤ .

(٨) سورة البقرة / ٢٣ .

(٩) الواحدى : البسيط ١ / ٩٧ .

(١٠) سورة البقرة / ١٨٣ .

(١١) البيت فى لسان العرب (صوم) وقد استشهد به الطبرى فى تفسيره فى نفس الآية الكريمة على ان اصل الصوم فى اللغة الكف ، وتكملة البيت (تحت العجاج) واخرى تعلك اللجما) انظر جامع البيان (٢ / ١٢٨) .

(١٢) الواحدى : البسيط ١ / ٣٨٩ .

ومن أمثلة استشهاد الواحدى بشعر طرفة بن العبد[1] ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب[2]) فقال :

(والكناية عن غير مذكور جائزة كثيرة كقوله تعالى (ولا يلقاها الا الصابرون[3]) : يعنى الجنة ، لم يسبق لها ذكر ، وقال (حتى توارت بالحجاب[4]) يعنى الشمس ، وقال طرفة :

على مثلها أمضى اذا قال صاحبى
ألا ليتنى أفديك منها وافتدى[5]

ومن شعراء الجاهلية الذين استشهد الواحدى بشعرهم كثيرا : أوس بن حجر[6] وقد استشهد الواحدى بشاهدين له فى موضع واحد عند تفسير قوله تعالى (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن[7]) يقول فى البسيط :

وأصل العضل فى اللغة : الضيق ، يقال عضلت المرأة اذا نشب الولد فى بطنها ، وكذلك عضلت الشاة ، وعضلت الأرض بالجيش : اذا ضاقت بهم لكثرتهم . قال أوس بن حجر :

ترى الأرض منا بالفضاء مريضة
معضلة منا بجيش عرمرم

وأعضل الداء الأطباء اذا اعياهم ، ويقال داء عضال ، وأمر عضال ، وأعضل الأمر اذا اشتد ومنه قول أوس :

وليس أخوك الدائم العهد بالذى
يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا

ولكنه النائى اذا كنت آمنا
وصاحبك الأدنى اذا الأمر أعضلا[8]

ومن أمثلة استشهاد الواحدى بشعر عنترة[8] : ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : (واستعينوا بالصبر والصلاة[9]) قال فى البسيط :

قال أبو عبيد : أصل الصبر الحبس ، وكل من حبس شيئا فقد صبره .. وكذا حبس رجل نفسه على شىء يريده قال : صبرت نفسى ، قال عنترة :

فصبرت عارفة لذلك حرة
ترسو اذا نفس الجبان تطلع[10]

ومن أمثلة استشهاده بشعر الأعشى[11] :

---

(1) هو طرفة بن العبد بن سفيان أحد أصحاب السبع الطوال وكان ابن اخت الشاعر المتلمس وابن أخى المرقش الأصغر فالتقى اليه الشعر من طرفيه وقد مات عن نيف وعشرين سنة (تاريخ آداب العرب للرافعى ٣ / ٢٣٦) .

(2) سورة البقرة / ١٣٢ .

(3) سورة القصص / ٨٠ .

(4) سورة (ص) / ٣٢ .

(5) الواحدى : البسيط ١ / ٣١٤ .

(6) كان أوس شاعر مضر ، وقد جعله الأصمعى فوق زهير ودون النابغة (فحولة الشعراء ص ١٥) .

(7) سورة البقرة / ٢٣٢ .

(8) هو احد أصحاب المعلقات ، ذكر الأصمعى انه أحد ثلاثة هم اشعر الفرسان والاثنان الآخران هما خفاف بن ندبة والزبرقان بن بدر ثم ذكر رابعا هو عباس بن مرداس (فحولة الشعراء / ٢٧) .

(9) سورة البقرة / ٤٥

(10) الواحدى : البسيط ١ / ١٥٣ .

(11) هو أبو بصير ميمون بن قيس المعروف باعشى قيس ، ويلقب بصناجة العرب لجودة شعره وهو من الطبقة الأولى ومن أصحاب السبع الطوال ، يقول ابن رشيق (وكان الحذاق يقولون الفحول فى الجاهلية ثلاثة وفى الاسلام ثلاثة متشابهون : زهير والفرزدق والنابغة والاخطل والاعشى وجرير ، وكان خلف الاحمر يقول : الاعشى أجمعهم (العمدة ١ / ٦٠) .

ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين) قال فى البسيط :

قال أبو بكر : وقوله (اياك نعبد) بعد قوله (ملك يوم الدين) رجوع من الغيبة الى الخطاب ، والعرب تفعل ذلك كثيرا وهو نوع من البلاغة والتصرف فى الكلام ومثله قوله : (وسقاهم ربهم شرابا طهورا[1]) ثم قال (ان هذا كان لكم جزاء) وقال الأعشى :

عنده البر والتقى وأسى الـ
صدع وحمل لمضلع الأثقال

ووفاء اذا أجرت فما غر
ت حبال وصلتها بحبال[2] ، [3]

ومن أمثلة ما استشهد به الواحدى من شعر زهير بن أبى سلمى[4]) ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (ان الذين كفروا سواء عليهم ..)[5] .

يقول فى البسيط :

السواء ، والعدل ، والوسط ، والقصد ، والنصف : ألفاظ متقاربة فى المعنى ، يقال للعدل : السواء قال زهير :

أرونى خطة لاخسف فيها
يسوى بيننا فيها السواء[6]

وعلى هذا النحو تدفقت شواهد الواحدى من أشعار فحول الشعراء الجاهليين ومبرزيهم ، وقد اجتزأنا منها بذكر بعض الأمثلة لبعض رؤوس هذه الطبقة .

ثم الى جانب ذلك نجد فى تفسير الواحدى شواهد عديدة من شعر طبقة المخضرمين . فمن أبرز شعراء هذه الطبقة الذين استشهد الواحدى بشعرهم : دريد بن الصمة[7] يقول الواحدى عند تفسير قوله تعالى : (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ..)[8] : (والعرب تقول لليقين:ظن ، وللظن : شك ، لأن فى الظن طرف من اليقين ، قال الله تعالى (انى ظننت انى ملاق حسابيه[9]) وقال : (ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها[10]) و (ان ظنا أن يقيما ..)[11] كل هذا بمعنى اليقين، قال دريد ابن الصمة :

فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج
سراتهم فى الفارسى المسرد[12]،[13]

كذلك استشهد الواحدى فى تفسيره كثيرا بشعر سيدنا حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه وهو شاعر النبى صلى الله عليه وسلم وأحد فحول الشعراء المخضرمين . من ذلك قوله ــ فى البسيط ــ عند تفسير قوله تعالى

---

(١) الدهر / ٢١ .
(٢) البيتين فى ديوان الأعشى (بتحقيق فوزى العطوى ــ نشر بيروت) ص ٢٥ ــ ٢٦ وبينهما ثلاثة أبيات فاصلة .
(٣) الواحدى : البسيط / ٣٠ .
(٤) هو أحد الثلاثة المقدمين عند كثير من النقاد يقول ابن رشيق (وليس لأحد من الشعراء بعد امرىء القيس والزهير والنابغة والأعشى فى النفوس) كما ذكر أن الحجازيين لا يعدلون بزهير أحدا (العمدة ١ / ٦٢) .
(٥) سورة البقرة / ٦ .
(٦) الواحدى : البسيط ١ / ٦٤ .
(٧) قال الأصمعى فى (فحولة الشعراء ص ٣٠) (ودريد بن الصمة من فحول الفرسان ، ودريد فى بعض شعره أشعر من الذبيانى وكاد يغلب الذبيانى) وانظر الموشح ص ٤١ .
(٨) سورة البقرة / ٤٦ .
(٩) سورة الحاقة / ٢٠ .
(١٠) سورة الكهف / ٥٣ .
(١١) سورة البقرة / ٢٣٠ .
(١٢) البيت ذكره القرشى فى دالية دريد بجمهرة أشعار العرب / ٢١١
(١٣) الواحدى : البسيط ١٥٥/١

(وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم)[1] .

(.. وقال ابن الانبارى : القدم كناية عن العمل الذى يتقدم فيه ولا يقع فيه تأخير ولا ابطاء ، لأن العادة جارية بمقدم الساعى على قدميه ، فالقدم ، كفت عن العمل الصالح وسدت مسد السبق ، وأنشد لحسان يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم :

لنــا القدم الأولى اليك وخلفنــا
لأولنــا فى طاعــة الله تابع[2]

كما استشهد الواحدى بشعر الخنساء[3] فى مواضع عديدة من تفسيره ، منها عند تفسير قوله تعالى (واذ نجيناكم من آل فرعون[4]) قال فى البسيط :

(.. اختلف أهــل العــربية فى الآل واشتقاقه من اللغة وأصله ، فقال جمــاعة : وأصله من الأول بمعنى الرجوع ، قال الرجل : شيعه الذين يؤولون اليه ويؤول اليهم،وسمى السراب آلا : لأنه يتردد كأنه يرجع بعضه الى بعض كالماء ، ، وآل الرجل : شخصه ، لأنه يتردد معه لا يفارقه والآلة : الحالة فى قول الخنساء :

ســأحمل نفسى على آلــة
فاما عليهــا واما لهــا[5] ، [6]

ومن الشعراء المخضرمين الذى استشهد الواحدى بشعرهم فى تفسيره كثيرا : أبو ذؤيب الهذلى[7] من ذلك قوله عند تفسير قولهتعالى (فمن تبع هــداى فلا خــوف عليهم ولاهم يحزنون[8] :

(قرىء فمن اتبع هدى ، قال : وهى لغة طىء يقولون هذه عصى ورحى ، وقرأ ابن أبى اسحق : « هى عصى أتوكأ عليها »[9] وقال أبو ذؤيب :

تركوا هــوى وأعنقوا لهــواهم
فتخرموا ولكل جنب مصرع[10]،[11]

كما يستشهد الواحدى فى تفسيره كثيرا بشعر النابغة الجعــدى[12]) وهو من أعلام

---

(١) سورة (يونس) / ٢

(٢) البيت من قصيدة سيدنا حسان التى قالها فى يوم بدر (أنظر ديوانه بتحقيق عبد الرحمن البرقوقى ص ٣٠٩ — ٣١٠) .

(٣) هى تمــاضر بنت عمــرو بن الشريد السلمى (ت : سنة ٤٦ هـ) اجادت فى الرثاء والفخر وقــد فضلها النابغة حين تحاكمت اليــه عكاظ على كل من حضر السوق الا الأعشى .
(انظر الأدب العربى وتاريخه للاســتاذ محمود مصطفى ١ / ١١٥) .

(٤) سورة البقرة / ٤٩

(٥) البيت من شواهد الراغب فى مفرداته (آل) ص ٣١ .

(٦) الواحدى : البسيط ١ / ١٦٥ .

(٧) هو خويلد بن خالد الهذلى اشتهر بكنيته وقد اسلم وحسن اسلامه شهد له الاصمعى بالفحولة (فحولة الشعراء ٢٦) وقد وضعه ابن سلام فى الطبقة الثالثة من النابغة الجعدى ولبيد والشماخ وذكر أن سيدنا حسان عده أشعر الناس (المفضليات ٤١٩) .

(٨) سورة البقرة /٣٨

(٩) سورة طه ١٨

(١٠) البيت من عينية بالمفضليات ٤٢١ وفيها (سبقوا هوى) .

(١١) الواحدى : البسيط ١٤٣/١

(١٢) هو حســان بن قيس بن عبد الله الجعدى العامرى عاش كما نقل عن ابن قتيبة — مائتين وعشرين سنة وكان اقــدم من النابغة الذبيانى ومات فى خلافة عبد الملك بن مروان وقد شهد له الاصمعى بالفحولة (فحولة الشعراء ١٧ ، الادب العربى وتاريخه للاستاذ محمــود مصطفى ١٠٥/١ — ١٠٦) .

المخضرمين من أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن[١]) .

اذ يقول فى البسيط : —

(.... فلما كانا يتلابسان عند الجماع سمى كل واحد منهما لباسا للآخر قال الجعدى:

اذا ما الضجيع ثنى جيدها
تثنت عليه فكانت لباسا[٢]،[٣]

وممن استشهد الواحدى بشعرهم من طبقة المخضرمين أيضا : الشماخ بن ضرار[٤] فقد استشهد عند تفسير قوله تعالى فى فاتحة الكتاب : (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) على أن (لا) هنا زائدة لاتعمل فى اللفظ كما أنها تعمل فى المعنى ، اذ يراد بها معنى النفى ، يقول الشماخ :

اذا ما أدلجت وصفت يداها
لها ادلاج ليلة لا هجوع[٥]

وممن أكثر الواحدى الاستشهاد بشعرهم أيضا من المخضرمين ، الحطيئة[٦] يقول عند تفسير قوله تعالى (وظللنا عليكم الغمام[٧]) فى تفسيره البسيط : (والغمام جمع غمامة ، وهى السحاب سمى غماما : لأنه يغم السماء أى : يسترها وكل ما ستر شيئا فقد غمه ، قال الحطيئة :

اذا غبت عنا غاب عنا ربيعنا
ونسقى الغمام الغر حين تؤوب[٨]

كذلك ممن استشهد الواحدى بشعرهم — بكثرة — فى تفسيره ، من الشعراء المخضرمين : لبيد بن ربيعة العامرى[٩] . من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (.. فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه[١٠]) اذ يقول فى البسيط :

(وقوله فأسقيناكموه) : جعلناه سقيا لكم ، وربما قالوا فى أسقى : سقى ، كقول لبيد يصف سحابا :

أقول وصوبه منى بعيد
يحط الشث من قلل الجبال

سقى قومى بنى مجد وأسقى
نميرا والقبائل من هلال[١١] ، [١٢]

---

(١) سورة البقرة «١٨٧
(٢) البيت من شواهد الطبرى فى نفس الموضع من تفسيره (١٦٢/٢) وفى اللسان (لبس) .
(٣) الواحدى : البسيط ٤٠٥/١
(٤) من شعراء الطبقة الثالثة مع النابغة ولبيد ، وقد شهد الاصمعى بفحولته الشعرية (فحولة الشعراء / ٢٠ ، الاغانى للاصفهانى ١٥٨/٩ — ١٦٠) .
(٥) استشهد بالبيت على نفس المستشهد عليه هنا — أبو على الفارسى فى الحجة ١٢٤/١ والوصف جودة المشى .
(٦) هو جرول بن أوس بن مالك ، ترجمة صاحب الاغانى ١٥٧/٢ وقال فيه (وهو من فحول الشعراء ومتقدمهم وفصحائهم) .
(٧) البقرة /٥٧
(٨) الواحدى : البسيط ٨١/١
(٩) احد اعلام الشعراء المخضرمين ومن أصحاب المعلقات ، عمر طويلا وتوفى سنة ٤١ هـ وقد عده البعض جاهليا لكونه لم يقرض الشعر بعد اسلامه بيد أنى أرجح اعتباره مخضرما لاسيما وقد نعته ابن رشيق بذلك (العمدة : ٧٢/١) .
(١٠) سورة الحجر/٢٢
(١١) البيتين فى ديوان لبيد بتحقيق ابراهيم حزينى ص : ١٠٤ نشر دار القاموس الحديث ببيروت . والشث : نوع من الاشجار ، والقلل : القمم ، ومجد : هى ابنة تميم بن غالب وزوجة ربيعة .
(١٢) الواحدى : البسيط ٤٣٩/٤

ومن هذا الوادي حفل تفسير الواحدي بالكثير من ضروب القوافي ومأثور القريض فضم من أشعار المخضرمين حظا وافرا ونتاجا زاخرا ..

ثم ننتقل الى شعر الطبقة الثالثة وهى طبقة الاسلاميين : فنجد لها فى تفسير الواحدى رصيدا هائلا وقدرا وفيرا من الشواهد يطول استقصاؤها ويتعذر الالمام بها فى هذا البحث ، بيد أن الاجتزاء ببعض الأمثلة يفي بحق المقام فى التعرف على نوعيات المصادر الشعرية فى تفسير الواحدى .ومن ثم نعرض لبعض الأمثلة لأبرز من استشهد الواحدى بشعرهم من طبقة الاسلاميين المتقدمين .

من هؤلاء الشعراء الذين أكثر الواحدى من الاستشهاد بشعرهم : جرير[1] من أمثلة — ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف[2]) يقول فى البسيط : —

(... قال الفراء : جعل العصوف تابعا لليوم فى اعرابه وان كان للريح ، فان اليوم قد يوصف به ، لأن الريح تكون فيه ، فجائز أن تقول : يوم عاصف ، كما يقال : يوم بارد ويوم حار والبرد والحار فيهما ، وقال أبو عبيدة : العرب تفعل ذلك فى الظرف وأنشد لجرير :

لقد لمتنا يا أم غيلان فى السرى
ونمت وما ليل المطى بنائم[3]

فوصف الليل بالنوم ، لما كان فيه ، ومثله : يوم ماطر وليلة ماطرة ، وقال أبوحاتم هذا من كلام العرب ، قال الله تعالى (بل مكر الليل والنهار)[4] ، أضاف اليهما وهما لا يمكران وقال (والنهار مبصرا[5]) ومنه قول جرير :

وأعور من نبهان أما نهاره
فأعمى واما ليله فبصير[6] ، [7]

وقد استشهد الواحدى بالبيت الأول لجرير فى النص السابق عند تفسير قوله تعالى (بل مكر الليل والنهار) بتفسيره البسيط[8].

ويستشهد الواحدى أيضا — بكثرة — فى تفسيره بشعر الفرزدق[9] من ذلك : عند تفسير قوله تعالى (فزيلنا بينهم[10]) يقول فى البسيط :

---

(1) هو جرير بن عطية الغطفى توفى سنة ١١١ هـ عن نيف وثمانين عاما وهو فى طليعة شعراء الأمويين . وكان الاصمعى يفضله على الفرزدق وكذلك كان بشار يفضله عليه .
(فحولة الشعراء/٢٤) .
(2) سورة ابراهيم/١٨

(3) البيت فى ديوان جرير (بتحقيق محمد اسماعيل الصاوى/٥٥٤) ط التجارية الاولى).
(4) سورة سبأ/٣٣
(5) سورة غافر/٦١
(6) البيت فى ديوان جرير/٢٦٦ من قصيدة يجيب فيها أعور نبهان ، والمعنى : انه أعور فى النهار عن الخيرات وبصير فى الليل بالسيئات .
(7) الواحدى : البسيط ٤/٤٩٠
(8) انظر البسيط ٨٢/٧
(9) هو أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة (ت : ١١٠ هـ) كان هو وجرير والاخطل اشعر طبقات الاسلاميين فى عصرهم ، وكان يونس يقول (لولا الفرزدق لذهب ثلث اللغة) انظر مقدمة ديوانه بتحقيق عبد الله الصاوى ط : التجارية الاولى سنة (١٣٥٤ هـ).
(10) سورة (يونس)/٢٨

زيلنا : فرقنا ميزنا ، ومنه قول الفرزدق : —

أنت الفداء لذكر عام لم يكن
نحسا ولا بين الأحبة زيلا[1]

ويقول عند تفسير قوله تعالى (وأسروا الندامة ..)[2] : — (وروى أبو عبيد عن أبى عبيدة : أسررت الشىء أخفيته ، وأسررته أعلنته ، قال : ومن الاظهار قول الله تعالى (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) أى أظهروها ، وأنشد للفرزدق : —

فلما رأى الحجاج جرد سيفه
أسر الحرورى الذى كان أظهرا[3]

أراد : أظهر الحرورى[4]

ويستشهد الواحدى كذلك — من شعر طبقة الاسلاميين — بشعر الأخطل[5] : — من ذلك ما ذكره — فى البسيط — عند تفسيره قوله تعالى (وان كنتم على سفر ..)[6] يقول الواحدى : (... السفر : اسفار الفجر قال الاخطل : —

انى أبيت وهم المرء يبعثه
من أول الليل حتى يفرج السفر[7]

يقول: أبيت أسرى الى الفجر المضىء[8]

ومن طبقة الاسلاميين الذى استشهد الواحدىبشعرهم أيضا ، ذو الرمة[9] يقول — فى البسيط — عند تفسير قوله تعالى (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم[10]) .

(... قال الليث وأبو الهيثم : القدم ، السابقة ، وكذا القدمة ، والمعنى : أنه قد سبق لهم عند الله خير ، وقال ذو الرمة : —

وأنت امرؤ من أهل بيت ذؤابة
لهم قدم معروفة ومفاخر[11]،[12]

وممن استشهد الواحدى بشعرهم من طبقة الاسلاميين أيضا : الكميت بن زيد الأسدى[13] من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله

---

(١) الواحدى : البسيط ٢٥/٤
(٢) سورة (يونس) / ٥٤
(٣) البيت فى لسان العرب ٢١/٦
(٤) والحرورى نسبه الى حروراء : قرية قريبة من الكوفة وهى مسكن الخوارج (اللسان: ٢٥٨/٥ ، الكامل للمبرد ٩١٢/٣) .
(٥) هو غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة جعله ابن سلام مع جرير والفرزدق أول طبقات الاسلام ونقل عن يونس اجماع العلماء على أنه أشعر من جرير والفرزدق (الأغانى ٢٨٠/١٨ — ٢٩١) .
(٦) البقرة/٢٨٣

(٧) البيت فى لسان العرب/٣٥/٦
(٨) الواحدى : البسيط ٥٩٧/١
(٩) هو غيلان بن عقبة العدوى ٧٧ — ١١٧ هـ نشأ بالبادية وتأثر بها فىشعره ، قال الاصمعى فى فحولة الشعراء ص ٤٠ « وذو الرمة حجة لانه بدوى » وقال ابو عمرو بن العلاء (فتح الشعر بامرىء القيس وختم بذى الرمة) مقدمة ديوانه بمجموع فحول الشعراء بتحقيق بشير يموت ص ٧ — ٨) نشر المكتبة الاهلية ببيروت.
(١٠) سورة (يونس) /٢
(١١) البيت فى ديوان ذى الرمة بمجموعة فحول الشعراء ص ٣٩ بتصحيح بشير يموت .
(١٢) الواحدى : البسيط ٣/٤
(١٣) هو الشاعر الكوفى الاموى (٦٠ — ١٢٦ هـ) قال فيه معاذ الهراء (ذاك اشعر الأولين والآخرين) انظر خزانة الأدب (٩٩/١) وهو حجة وان قال الاصمعى انه مولد (فحولة الشعراء ٣٩) وكذا كان الاصمعى يعد طائفة من طبقة الاسلاميين مولدين — رغم احتجاج العلماء بهم — كعمر بن أبى ربيعة والطرماح (فحولة الشعراء /٤٦) .

تعالى (حم) فى مفتتح سورة المؤمن ، فقال : بعد أن ذكر الأقوال فى تفسيرها : (والقراءة فى (حم) على السكون ، لأنها من حروف التهجى ، فان جعلت (حم) اسما للسورة فأعربته جاز قال ابن أوفى :

يذكرنى حاميم والرمح شاجر
فهلا تلا حاميم قبل التقدم[1]

وقال الكميت :

وجدنا لكم فى آل حاميم آية
تأولها منها تقى ومعرب[2]،[3]

ومن شعراء طبقة الاسلامية الذين استشهد الواحدى بشعرهم فى تفسيره : جميل بن معمر من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر)[4] قائلا : —

(... النذر : ما يلتزمه الانسان لله بايجابه على نفسه ، يقال : نذر ينذر ، وينذر قال جميل : —

فليت رجالا فيك قد نذروا دمى
وهموا بقتلى يابثين لقونى[5]

كما استشهد الواحدى كذلك بشعر كثير عزة[6] فى مواضع كثيرة من تفسيره ، منها عند تفسير قوله تعالى (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ..)[7] قال :

... يقال أقرأت النجوم اذا طلعت : وأقرأت : اذا أفلت ، قال كثير :

اذا ما الثريا وقد أقرأت
أحس السما كان منها أفولا[8]

ومن طبقة الاسلاميين الذين استشهد الواحدى بشعرهم أيضا : الطرماح[9] ، يقول عند تفسير قوله تعالى (وأرسلنا الرياح لواقح ...)[10] .

... العرب تسمى الرياح : لواقح، والريح : لاقحا ، قال الطرماح :

فلق لأفنان الريا
ح للاقح منها وحايل

فاللاقح الجنوب ، والحايل : الشمال[11]

كذلك استشهد الواحدى — فى اطار هذه الطبقة أيضا — بشعر عمر بن أبى ربيعة

---

(١) البيت من شواهد القرطبى فى تفسيره فى هذا الموضع وهو لشريح بن أوفى العبسى وقيل للاشتر النخعى أنظر تفسير القرطبى ١٥/٢٩٠

(٢) الواحدى : البسيط ٧/٤٥٢

(٣) البيت فى القرطبى — فى نفس الموضع ١٥/٢٨٨ ويروى بلفظ (معزب) .

(٤) البقرة/٢٧٠

(٥) هو جميل بن عبد الله بن معمر العذرى (ت : ٨٢ هـ) كان راوية هدبة بن حشرم راوية الخطيئة وكان كثير عزة راوية جميل وكان جميل يعارض معاصريه : الفرزدق وعمر ابن أبى ربيعة (العمدة ١/١٣٢ مقدمة ديوانه) .

(٦) هو كثير بن عبد الرحمن الخزاعى من شعراء الغزل فى العصر الاموى وكان راوية جميل (فحولة الشعراء /٣٥) .

(٧) سورة البقرة /٢٢٨

(٨) الواحدى : البسيط ١/٤٨٧

(٩) هو الطرماح بن حكيم الطائى (ت : ١٠٠ هـ) قال صاحب الاغانى (١٢/٣٥) والطرماح من فحول الشعراء الاسلاميين وفصحائهم) وكان من الخوارج الازارقة ومع ذلك كان صديقا حميما للكميت الشيعى .

(١٠) سورة الحجر/٢٢

(١١) الواحدى : البسيط ٤/٤٣٨ ومعنى فلق افنانها : شقه أنواعها .

المخزومى[1] (٢٣ – ٩٣ هـ) يقول عند تفسير قوله تعالى (... انك أنت العزيز الحكيم[2]) (... تقول العرب : عز فلان فلانا يعزه عزا اذا غلبه ، قال الله تعالى (وعزنى فى الخطاب[3]) ، قال عمر بن أبى ربيعة : –

هنالك أما تعز الهوى
واما على أثرهم تكمد

معناه : أما تغلب الهوى[4]

ثم نجد الواحدى أيضا يستشهد فى تفسيره برجز الرجاز من طبقة الرجازين طبقة الاسلاميين أيضا ، فمن بين من استشهد برجزهم فى تفسيره : أبو النجم العجلى[5] .

فقد ذكر عند تفسير (ألم) البقرة أن أسماء الحروف اذا أخرجت – بالأخبار عنها – عن حيز الأصوات وأدخلت فى جملة الأسماء المتمكنة أعربت ، واستشهد على ذلك بقول أبى النجم .

أقبلت من عند زياد كالخرف
تخط رجلاى بخط مختلف

وتكتبان فى الطريق لام ألف[6] رجز الا أنه ألقى حركة الهمزة على الميم للوزن ولم يعرب[7] كذلك ممن استشهد الواحدى برجزهم فى تفسيره : العجاج[8] ، يقول عند تفسير قوله تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ..)[9] .

(... قال يونس وأبو عبيدة : يقال للذى يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون عنده جواب : قد أبلس ، وقال العجاج : –

يا صاح هل تعرف رسما مكرسا
قال نعم أعرفه وأبلسا[10]،[11]

كما استشهد الواحدى كذلك برجز رؤبة ابن العجاج[12] كثيرا فى تفسيره : –

من ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى (كما أنزلنا على المقتسمين[13]) (قال صاحب النظم : المعنى : انى أنذرتكم ما أنزلناه على المقتسمين ، وتكون الكاف زائدة . وزيادة

---

(١) ذكر الاصمعى انه مولد ، وهو حجة مع ذلك ، وأن ابا عمرو بن العلاء كان يحتج فى النحو بشعره (فحوله الشعراء ص ٣٢) وذكر صاحب الاغانى (١٤٩/١) : أن الفرزدق قال له حين سمع شعره (أنت والله يا أبا الخطاب اغزل الناس) .

(٢) البقرة ١٢٩

(٣) سورة (ص) /٢٣

(٤) الواحدى : البسيط ٣١٠/١

(٥) ترجم له صاحب الاغانى (١٥٠/١٠) وقال فيه (وهو من رجاز الاسلام الفحول المقدمين وفى الطبقة الاولى منهم) .

(٦) هذا الرجز فى لسان العرب (١٠/ ٤٠٩) والخرف – بفتح الخاء وكسر الراء – وهو من فسد عقله .

(٧) هو عبد الله بن رؤبة التميمى راجز اسلامى كبير قال صاحب العمدة (١٢٦/١) وأول من طول الرجز وجعله كالقصيد : الاغلب العجلى ، شيئا يسيرا – وكان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم – ثم أتى العجاج بعد فافتن فيه فالاغلب العجلى والعجاج فى الرجز : كامرىء القيس ومهلهل فى القصيدة) وعده صاحب المزهر ضمن الشعراء العرب الذين يحتج بهم فى العربية (المزهر ٤٢٢/٢) .

(٨) الواحدى : البسيط ٤٤/١

(٩) البقرة/٣٤

(١٠) الرجز فى اللسان ٣٢٨/٧ والمكرس : الذى صار فيه الكرسى ، وهو الابواب والابعار .

(١١) الواحدى : البسيط ١٣٠/١

(١٢) ترجمة صاحب خزانة الادب (٦٣/١) وقال (هو وابوه شاعران كل منهما له ديوانه رجز ، وهما مجيدان فيه ، عارفان باللغة وحشيها وغريبها ، وهو اكثر شعرا من ابيه افصح منه) توفى رؤبة سنة ١٤٥ هـ

(١٣) سورة الحجر /٩٠

الكاف قد توجد فى مواضع من الكلام كقوله تعالى (ليس كمثله شىء[1]) وقول رؤبة :

(لو أحق الأقراب فيها كالمقف[2] ، [3]

وأمثال هذه الارجاز المستشـــهد بها فى تفسير الواحدى — الى جانب بحور الشعر المتلاطمة كثير وكثير ، والافاضة فى بيان ذلك مغرقة فى الاستطراد والتطويل .

ومن ثم فلم نخرج بما ذكرنا عن مجرد التمثيل والتدليل الى مجال الحصر والاستقصاء فان تفسير الواحدى — بحق — يموج بنتاج حشد غزير من أسراب الشــعراء المحلقين فى سماء القريض من شتى النوعيات ومن مختلف المراحل الزمنية التى رصـــدها علماء الادب ونقاد الشعر فى حيز الطبقات التى وضعوها كمقاييس للاجادة والتفوق ، أو للتقدم والتأخر فى أعصار دولة الشعر والآدب .

وقد أردت بما ذكرت اعطاء صورة مجتزأة تضم الملامح البارزة التى تشير الى المــام الواحدى — فى استشهاده الشعرى — بأطراف الشعر من مختلف طبقاته المحتج بها عنــد العلمـــاء .

وقد حرص الواحدى — الى حد كبير — على ألا يأتى فى شواهده الشعرية بما رفض العلماء الاحتجاج بــه من شـــعر المولدين والمحدثين ، فجاءت معظم شواهده من طبقة فحول الشعر الجاهلى ثم من نتاج الشعراء المخضرمين والاسلاميين . أما المولدون فلم يرد شعرهم فى تفسير الواحدى الا نادرا جدا كما مر بنا من بيت بشار — عند تفسير الحمد وعلاقته بالشـــكر فى فاتحة الفاتحة — وهو قوله :

ليس يعطيك للرجــاء ولا للخـــو
ف ولـــكن يلذ طعـــم العطـــاء[4]

ولم يرد هذا البيت للاحتجاج به على قاعـــدة نحوية أو لتفســـير لغوى ، وانمـــا للاستئناس به فى توكيد وجه للمعنى وقد مر بنا تبيانه . وعلى غرار ذلك ما ورد — فى النادر من شواهده — من شعر المحدثين ومن ومن ثم نخلص الى أن استشهاد الواحدى كان فى دائرة الطبقات الثلاث المحتج بشعرها عند العلماء الأثبات .

وأما عن أغراض الاستشهاد بالشعر فى تفســـير الواحدى فانهـــا متنوعة الاتجاهات متعددة الجوانب :

فنجده يستشهد للمعانى اللغوية للمفردات كما يستشهد للمباحث النحوية ولبيان وجوه الاعراب المختلفة ، كذلك يستشهد للاستعمالات البلاغية والصـــور البيـــانية والبديعية كمـــا يستشهد أيضـــا للاحتجاج لوجوه القراءات وغير ذلك .

أما عن الاستشهاد الشعرى لبيان اللغة وتفسير الغريب من مفردات القرآن الكريم فانه يشغل حيزا كبيرا فى تفسير الواحدى تتمثل فيه غزارة الشـــواهد لمختلف طبقات الشعراء واذا ما تعددت وجوه المعانى وجدنا الواحدى يستشهد لكل وجه منها ، وقد يورد

---

(١) سورة الشورى /١١
(٢) هذا الشطر فى اللسان (٢٢٣/١٢) دون تكملة ، والمقف : الطـــول الفاحش فى دقة والاقراب : الخواصر .
(٣) الواحدى : البسيط ٤٦٢/٤

(٤) انظر البسيط ١٧/١ والبيت من قصيدة لبشار يمدح بها عقبة بن مسلم (انظـــر ديوانا بتحقيق محمد الطاهر بن عاشور ١١١/١) .

للمعنى الواحد أكثر من شاهد ، مبرزا طاقته فى استيعاب القريض وتذوق معانيه واجلاء مدلول المفــردات فى ضــوء ما يعرضــه من الشواهد •

من أمثلة ذلك ما ذكره – فى البسيط – عند تفسير قوله تعالى (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون)[1] •

يقول أبو الحسن :

(قال أبو عبيد : أصلاح الفلاح البقاء ، وأنشد للاضبط بن قريع السعدى[2] :

لــكل هم من الهمــوم ســعة
والمسى والصــبح لا فلاح معه[3]

يقول :

ليس مع كر الليل والنهار بقاء ، ومنه قول عبيد[4] : –

أفلح بما شئت فقــد يدرك بالضـــ
ـــف وقــد يخـــدع الأريب[5]

يقول : عش بمـا شئت من عقــل أو حمق ، فقد يرزق الأحمق ويحرم العاقل •

قال[6] : وانما قيل لاهل الجنة مفلحون لفوزهم ببقاء الأبد • ومن هذا يقال للسحور : الفلح والفلاح أى أن به بقاء الصوم •

وقال الحــرانى عن ابن الســكيت : الفلح والفلاح : البقاء ، وأنشد لعدى بن زيد[7] :

ثم بعــد الفلاح والرشــد والأمـــ
ـــة وارتهمــو هنــــاك القبــور[8]

وقال الأعشى :

ولــئن كنـــا كقــوم هلــكوا
مالحــى بالقــوم من فلــح[9]

وقال لبيد : –

نحــل بلادا كلهـــا حــل قبلنــا
ونرجــو الفــلاح بعد عاد وحمير[10]

هذا معنى الفلاح فى اللغة ، ثم يقال لكل من ظفر ببغيته وأصــاب خيرا : أفلح ، قال لبيد : –

اعقــلى ان كنت لمـــا تعقلى
ولقــد أفلــح من كان عقـــل[11]

يعنى : ظفر بحاجته ووصل الى بغيته ، وهو راجع الى معنى البقاء ، لأن البقاء هو سبب ادراك البغية ونيل المطلوب[12] ••

وهكذا يسهم الشعر فىتفسير أبىالحسن باضــاءة جوانب المدلول اللغــوى من زواياه المختلفة ومن خلال هذا المثال يتأكد ما ذكرناه من تركيز الواحدى فى استشهاده على الشعر

---

(١) سورة البقرة/٥
(٢) هو الشاعر الجــاهلى : الأضبط بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد منــاه (انظر الامثال لمؤرخ السدوسى ص ٨١) .
(٣) البيت فى تفسير ابن عطية ١/١٥٠ ، وفى تفسير القرطبى ١/١٨٢ وفى اللسان ٣/٣٨١
(٤) هو عبيد بن الابرص بن عوف الاسدى احد فحول الشعراء الجاهليين صنفه ابن ســلام فى الطبقة الرابعة من فحول الجاهليـــة مع طرفة وعلقمة ، ونقل البغــدادى عن السجستانى انه عاش ثلثمائة سنة (الخزانة ٢/٥٤) .
(٥) البيت فى اللسان ٣/٣٨١ وفى تفســير القرطبى ١/١٨٢
(٦) يعنى بالقائل أبا عبيد .
(٧) هو عدى بن زيد بن حماد بن زيد بن ايوب من بنى امرىء القيس بن زيد مناه أحــد الشعراء الجاهليين (انظر ترجمتـــه بالاغانى ٢/٩٢ ، وانظر خزانة الأدب ١/٢٥٩) .
(٨) البيت باللسان (٣/٣٨١) .
(٩) البيت باللسان (٣/٣٨١) .
(١٠) شطر البيت الاخير فى تفسير ابنعطية (١/١٤٩) والبيت فى القرطبى (١/١٨٢) .
(١١) البيت فى تفسير الطبرى (١/١٠٨ ط الحلبى) وفى تفسير المحرر الوجيز لابن عطيــة (١/١٤٩) .
(١٢) الواحدى : البسيط ١/٦٢ – ٦٣

الجاهلى بصفة خاصة ، فمن شعر الأضبط السعدى الى شعر عبيد بن الابرص الى شعر عدى والأعشى ثم عبيد .

ثم نجد أبا الحسن الواحدى يعنى فى تفسيره عناية كبيرة بالاستشهاد الشعرى لقواعد النحو ومسائله وللوجوه الاعرابية فى تفسيره .

من أمثلة ذلك : ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (أو كصيب من السماء ..)[1] فقال فى معنى (أو) فى البسيط : —

(.. وقيل : ان (أو) ههنا : بمعنى الواو ، قال جرير :

نال الخلافة أو كانت له قدرا
كما أتى ربه موسى على قدر[2]

وقال توبة[3] :

وقد زعمت سلمى بأنى فاجر
لنفس تقاها أو عليها فجورها[4]،[5]

كما يستشهد الواحدى عند تفسير قوله تعالى (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار[6]) على عودة الرفع الى الفعل الذى حذفت أداة نصبه ، اذ يقول :

(أراد : عاهدوا ألا يولوا ، فلما حذف (أن) عاد الفعل الى الرفع كقول طرفة :

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى
... البيت[7]،[8]) .

وكذلك نجد الواحدى يستشهد فى تفسيره للصور البلاغية القرآنية بالشعر ، فيستشهد على الالتفات من الغيبة الى الخطاب فى قوله تعالى (مالك يوم الدين اياك نعبد[9]) يقول الاعشى :

عنده البر والتقى وأسا الصد
ع وحمل لمضلع الاثقال
ووفاء اذا أجرت فما غر
ت حبال وصلتها بحبال[10]

وبما أنشده أبو عبيدة : —

يالهف نفسى كان جلدة خالد
وبياض وجهك للتراب الأعفر[11]

ويقول كثير : —

أسيئى بنا أو احسنى لا ملولة
لدينا ولا مقلية أن تقلت[12]،[13]

---

(١) سورة البقرة/١٩

(٢) البيت فى تفسير الطبرى (١/١٤٩) وفيه (جاء) بدلا من (نال) وفى تفسير القرطبى ٢١٥/١

(٣) هو توبة بن حمير العقيلى الخفاجى والبيت من قصيدة له قالها فى ليلى الاخيلية .

(٤) البيت فى تفسيرى الطبرى والقرطبى فى الموضع السابق ذكره وفيهما (ليلى) بدل (سلمى) وهو الاصح .

(٥) الواحدى : البسيط ٨٩/١

(٦) سورة الاحزاب/ ١٥

(٧) البيت من معلقة طرفة بن العبد ، وتكملته (وأن اشهد اللذات هل انت مخلدى) انظر خزانة الادب ٨٣/١

(٨) الواحدى : البسيط ١٦/٧

(٩) سورة الفاتحة / ٤ ، ٥

(١٠) البيتين فى ديوان الاعشى وقد مر تخريجهما .

(١١) البيت لابى كبير الهذلى وقد استشهد به الطبرى فى تفسيره فى نفس الموضع بصورة الالتفات (٦٧/١) .

(١٢) البيت فى اللسان (٦٠/٢٠) وفيه الخطاب أولا ثم الغيبة فى (أن تقلت) .

(١٣) الواحدى : البسيط ٣٠/١

ثم نجد الواحدى كثيرا ما يستشهد فى تفسيره بالشعر للاحتجاج للقراءات وتوجيهها فأفاد من ذلك أيما افادة :

من ذلك ما ذكره بصدد الاحتجاج لقراءة (لرؤف) فى قوله تعالى (ان الله بالناس لرؤوف رحيم)[1] حيث قال : — ومن قرأ على وزن (رعف) : فقد قيل انه غالب لغة أهل الحجاز ، ومنه قول الوليد بن عقبة بن أبى معيط : —

وشر الطالبين فلا تكنه
يقاتل عمه الرؤف الرحيما[2]

وكثر ذلك حتى قاله غيرهم . قال جرير:

ترى للمسلمين عليك حقا
كفعل الوالد الرؤوف الرحيم[3]،[4]

وهكذا تتنوع أغراض الاستشهاد الشعرى فى تفسير الواحدى وتتدفق بغزارة لتضيف لمادته العلمية الخصبة مزيدا من الخصب والثراء .

ونستطيع فى النهاية أن نقول : ان الاستشهاد بالشعر قد آتى أكله وأدنى ثماره يانعة فى تفسير أبى الحسن .

واذا كان لنا من نقد نرصده لأبى الحسن فى جانب المآخذ فى هذا الصدد فاننا نأخذ عليه أمورا ثلاثة : أولها تسرب بعض الشعر المصنوع الى تفسيره كذلك البيت المنسوب للنابغة :

خيل صيام وخيل غير صائمة
تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما[5]

فقد استشهد به على المعنى اللغوى للصيام عند تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام[6]) وقد اعترف خلف الأحمر بوضعه على النابغة الذبيانى[7]، ولم ينفرد الواحدى بالاستشهاد به فقد استشهد به كل من الطبرى[8]) وابن عطية[9] والقرطبى[10] كما نسبه الى النابغة :ابن منظور فى لسانه[11] .

وثانيا : ان الواحدى كثيرا ما يستشهد بأبيات لا يعرف قائلها ويكتفى بقوله (قال الشاعر) مثلا من ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى (قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله [12]) : يقال قد أبثثتك ما فى قلبى وبثثتك: اذا أطلعتك عليه ، قال الشاعر :

أبثك ما ألقى وفى النفس حاجة
لها بين لحمى والعظام دبيب[13]

وما أكثر أمثلة ذلك .

وثالثا : أنه كثيرا ما يستشهد بأنصاف **الأبيات أو بعضها** ، وقد تقدمت أمثلة كثيرة لذلك ، وهذه المآخذ — كما يبدو — مشتركة لدى أكثر المفسرين . وهى بالطبع لا تنال من ذلك البناء الشامخ الذى شيده الواحدى .

---

(١) سورة البقرة/١٤٣
(٢) البيت فى تفسير الطبرى (٢/١٩) وشطره الثانى فيه (بقاتل عمه الرؤف الرحيم) برفع الرؤف الرحيم ، وفى تفسير ابن عطية (١/٤٤٢) بجرهما .
(٣) البيت فى ديوان جرير /٥٠٧ من قصيدة يمدح بها هشام بن عبد الملك وهو تفسير بن أبى حيان ١/٤٢٧ بتحريف .
(٤) الواحدى : البسيط ١/٣٢٩
(٥) انظر البسيط ١/١٨٩
(٦) البقرة/١٨٣
(٧) انظر المزهر للسيوطى ١/١٧٧
(٨) انظر جامع البيان ٢/١٢٨ طالحلبى.
(٩) المحرر الوجيز ١/٥٠٧
(١٠) انظر تفسير القرطبى ٢/٢٧٢
(١١) لسان العرب ١٥/٢٤٤
(١٢) سورة يوسف /٨٦
(١٣) الواحدى : البسيط : ٢٩٢

الفصل الخامس
الصور البلاغية فى تفسير الواحدى

يدخل البحث البلاغى ـ عنصرا أساسيا لا غنى عنه ـ فى دراسة وتفسير كتاب الله المعجز ببيانه وفصاحته ، الباهر بنظمه وبلاغته اذ لا سبيل الى الوقوف على خصائص تراكيبه وأسرار بيانه وغوامض لطائفه دون التمرس بأساليب البلاغة والبصر بضروب الفصاحة تذوق جماليات اللغة وطرائق استعمالاتها والالمام بما فاضت به قرائح المرتادين لشعاب هذا الفن وما هطلت به أفكار المحلقين فى أفق هذا العلم .

وقد نوه علماء التنزيل بضرورة تحصيل ما يتوصل به الى ادراك فصاحة الالفاظ والتراكيب القرآنية والوقوف على أسرارها البيانية ، فعقد الامام الزركشى النوع الحادى والعشرين فى البرهان لمبحث : (معرفة كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح) ونص على أن مأخذ ذلك : هو علم البيان والبديع[1] .

ثم يضيف صاحب البرهان تصريحه المعرب عن مدى أهمية هذا العلم للمفسر ، وعن الدور الذى يؤديه فى التفسير ، فيقول :

(وهذا العلم أعظم أركان المفسر ، فانه لابد من مراعاة ما يقتضيه الاعجاز من الحقيقة والمجاز ، وتأليف النظم ، وأن يواخى بين الموارد ، ويعتمد ما سيق له من الكلام حتى لا يتنافر ، وغير ذلك ..)[2] .

ثم يزيد تلك الحقيقة عمقا ورسوخا حيث يقول فيما بعد (واعلم أن معرفة هذه الصناعة بأوضاعها هى عمدة التفسير المطلع على عجائب كلام الله ، وهى قاعدة الفصاحة وواسطة عقد البلاغة ، ولو لم يحبب الفصاحة الا قول الله تعالى (الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان)[3] لكفى[4] كما أشاد بدور علوم البلاغة فى التفسير كل من الزمخشرى[5] وأبى حيان[6] والسيوطى فى الاتقان[7] وغيرهم .

وقد كان صاحبنا أبو الحسن سباقا الى الاشادة بأهمية دور البحث البلاغى فى معرفة التفسير حيث صرح بضرورة النظر والتعرف والتمرس فى صنعة البيان وطرائق التعبير من

---

(١) قال فى مستهل هذا المبحث من البرهان ٣١١/١ (ويؤخذ ذلك من علم البيان والبديع) ثم أضاف بعد ذلك علم المعانى فى نص السكاكى حيث قال (ولا طريق الى تحصيله لذوى الفطر السليمة الا اتقان علمى المعانى والبيان والتمرن فيهما)انظر البرهان فى نفس الموضع المذكور آنفا .

(٢) نفس المصدر .
(٣) سورة (الرحمن) ١ ـ ٤
(٤) الزركشى : البرهان ٣١٢/١
(٥) انظر مقدمة الكشاف ١٦/١
(٦) انظر مقدمة البحر المحيط ٩/١ ـ ١٣
(٧) انظر الاتقان : ١٠٩/٣ ، ١٢٨ ، ١٩٨/٤ ط المشهد الحسينى بتحقيق محمد أبى الفضل .

التشبيه والاستعارة وغيرهما من مباحث البلاغة لاكتساب القدرة على فهم التنزيل وتفسيره وقد سجل ذلك فى مقدمة تفسيره البسيط اذ تناول بيان المنهج الأمثل للتفسير وعرف بالطريق الذى يتوصل به الى تطبيقه ، فذكر من معالمه الرئيسية : (.. تتبع مناهج لغات العرب فيما تحويه من الاستعارات الباهرة ، والأمثال النادرة ، والتشبيهات البديعة ، والملاحن الغريبة ، والدلالة باللفظ اليسير على المعنى الكثير مما لا يوجد مثله فى سائر اللغات)[1] .

وأبو الحسن — فى هذا النص — اذ يصرح بالاستعارة والتشبيه من مباحث البيان ، فانه يشير الى المباحث البلاغية الأخرى — بغير أسمائها الاصطلاحية — ويعنيها بقوله : والملاحن الغريبة ، والدلالة باللفظ اليسير على المعنى الكثير، فتدخل الكناية والتعريض فى اطار مدلول (الملاحن الغريبة)، اذ يقول معاصره — الراغب الأصفهانى — فى مدلول مادة (لحن) فى مفرداته : —

اللحن : صرف الكلام عن سننه الجارى عليه اما بازالة الاعراب أو التصحيف — وهو المذموم — وذلك أكثر استعمالا ، واما بازالته عن التصريح وصرفه بمعناه الى تعريض وفحوى ، وهو محمود عند أكثر الادباء من حيث البلاغة ، واياه قصد الشاعر بقوله :

(وخير الحديث ما كان لحنا)[2] واياه قصد بقوله تعالى : (ولتعرفنهم فى لحن القول)[3] ، [4] كما تضمنت عبارة الواحدى (والدلالة باللفظ اليسير على المعنى الكثير) ألوانا أخرى من المباحث البلاغية كالحذف والايجاز وغير ذلك .

بل اننا نجد الامام عبد القاهر يجعل من نفس عبارة الواحدى تفسيرا حرفيا للايجاز ، اذ يقول فى دلائله (أنه لا معنى للايجاز الا أن يدل بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى[5]) .

وحين نلقى نظرة شاملة على وضع البحث البلاغى فى عصر الواحدى (القرن الخامس) فاننا نجد علما شامخا قد حمل لواء التجديد فى هذا الميدان وهو الامام عبد القاهر الجرجانى (ت : ٤٧١ هـ) فقد وضع نظريتى علمى المعانى والبيان فى اطارهما العلمى الدقيق وخصهما بكتابيه القيمين (دلائل الاعجاز) و (أسرار البلاغة) فبحث فيهما تفاصيل مباحث العلمين .

والأمر الذى يستوقف النظر هنا ، هو أن التقسيم العلمى للبلاغة الى علومها الثلاثة: المعانى والبيان والبديع لم يكن قد استقر حتى عصر الامامين عبد القاهر والواحدى فبعض المباحث البيانية كانت تدخل فى حساب علم المعانى كما أن بعض مباحث البيان كان يعد من قبيل مباحث البديع . يدلك على ذلك أنك تقرأ فى مقدمة (دلائل الاعجاز) — الذى أدار فيه الجرجانى رحى البلاغة على محور (النظم) ثم فرع منه شعب (المعانى) — فنجده يقول (ثم أنك لا ترى علما هو أرسخ

---

(١) الواحدى : البسيط ٢/١
(٢) من بيت لمالك بن أسماء بن خارجة الفزارى ، والبيت كما ورد فى اللسان ٢٦٤/١٧
منطق رائع وتلحن أحيا — نا وخير الحديث ما كان لحنا

(٣) سورة (محمد) /٣٠
(٤) الراغب الاصفهانى : المفردات /٤٤٩
(٥) الجرجانى : دلائل الاعجاز /٣٥٦

أصلا وأبسق نوعا ، وأحلى جنى ، وأعذب وردا ، وأكرم نتاجا ، وأنور سراجا من علم البيان[1] .. ثم تقرأ فى (أسرار البلاغة) قوله (أما التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع ..)[2] فتجده يعد الاستعارة من أقسام البديع كما كان يفعل ابن المعتز[3] .

وفيما أعتقد : أجد وضوح الرؤية أمرا ضروريا ازاء موضع البحث البلاغى فى عصر الواحدى حتى لا يتسرب الى الذهن تخلف الواحدى عن عصره العلمى اذا ما حدث لبس تمخض عنه عدم استقرار المصطلحات فى مواضعها او تداخلت بعض المباحث مع غيرها، فميدان البحث البلاغى لم ينل حظه آنذاك من التقسيم الداخلى ولم ترتفع فيه الحواجز الفاصلة بين موضوعات علومه رغم الازدهار المتواصل والخصب المتجدد فى أبحاثه .

وحين نطل على الجانب البلاغى من تفسير الواحدى ، و نتعرف على معالجته للمباحث البلاغية من شتى اوديتها ، وبمختلف صورها فاننا نلمس المعايشة الذوقية تعانق الخبرة العلمية فى تناول الواحدى للصور البلاغية القرآنية وتحديد ملامحها ورصد ابعادها الجمالية التى تجتاز أمد المعقول لتدخل فى نطاق المتذوق ثم تند غايتها مقدرة الاحاطة الذوقية لتحلق فى سماء الاعجاز .

لقد طرق الواحدى فى تفسيره مختلف مباحث البلاغة ، وعرض للكثير من الصور البلاغية المتنوعة من شتى فنون المعانى والبيان والبديع ، وسأعرض فيما يلى لبعض الامثلة التى نجتلى فيها طريقة العرض ، واسلوب المعالجة .

اولا : فى علم المعانى :

١ ــ الفصل والوصل :

عرض الواحدى لهما فى مواضع عديدة من تفسيره ، من ذلك عند تفسير قوله تعالى (واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ...)[4] يقول فى البسيط : ــ قوله تعالى (ويذبحون أبناءكم) وقال فى سورة البقرة (يذبحون)[5] بغير واو ، لانه تفسير لقوله (سوء العذاب)، فذكر العذاب مجملا ثم فسره بما بعده ، ولا يحتاج فى تفسيره الى الواو ، كما تقول أتانى القوم : زيد وجعفر وعمرو ، لا تدخل الواو فى زيد ، لانك أردت ان تفسر به القوم ومثل هذا قوله (ومن يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب)[6] والاثام فيه نية العذاب كثيرة وقليلة ، ثم فسره بغير الواو فقال : (يضاعف ...) ، وفى هذه السورة ، ادخل الواو لأن المعنى أنهم يعذبونهم بغير التذبيح والتذبيح أيضا ، فقوله (ويذبحون) جنس آخر من العذاب ، لاتفسير لما قبله[7] . فى هذا النص يجلى الواحدى الفرق بين اسلوبى الفصل والوصل ــ دون أن يستخدم التسمية

---

(١) الجرجانى : دلائل الاعجاز /٤ ط : المنار .
(٢) الجرجانى : اسرار البلاغة /١٤ ط صبيح .
(٣) د. شوقى ضيف : البلاغة تطور وتاريخ (١٦٠ ــ ١٦١) .

(٤) سورة (ابراهيم) /٦
(٥) سورة البقرة /٤٩
(٦) سورة الفرقان /٦٨ ــ ٦٩
(٧) الواحدى : البسيط ٣٧٩/٤ ــ ٣٨٠

العلمية التى اصطلح عليها علماء الفن[1] — ثم يعلل للفصل فى آية البقرة بأن الجملة الثانية وقعت تفسيرا وبيانا للاولى ، ولا يقع العطف بين التفسير والمفسر لما بينهما من كمال الاتصال (وهى النكتة الاصطلاحية). أما فى آية (ابراهيم) : فليس التذبيح هو سوم العذاب وانما هو شىء مغاير له ، فاقتضت المغايرة أن يعطف بينهما بالواو ، فكان الوصل .

٢ — الالتفات :

عرض الواحدى للالتفات فى صوره المتعددة فى مواضع من تفسيره . من ذلك عند تفسير قوله تعالى (ولايحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم ان لايقيما حدود الله ...)[2] قال فى البسيط : (كان من حق النظم ان يكون : فان خافا ، يعنى الزوجين ، ليشاكل قوله (الا أن يخافا) وفى قراءة حمزة : (فان خيفا) لتشاكل قراءة « يخافا » الا انه لايلزم هذا لامرين : احدهما : ان يكون انصرف من الغيبة الى الخطاب ، كما قال (وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله) ثم قال (فأولئك هم المضعفون)[3] ونظائره كثيرة ...)[4] .

وهكذا يتناول الواحدى صورة الالتفات من الغيبة الى الخطاب فى الآية الكريمة مستعملا لفظ (انصرف) بدلا من (التفت) ، ولا يغرب عن الذهن ان تنظيره بما فى قوله تعالى (وما آتيتم من زكاة ...) الخ . انما هو تنظير فى الالتفات من حيث هو عدول عن مقتضى الظاهر ، وليس تنظيرا فى خصوص صورة الالتفات من الغيبة الى الخطاب ، اذ أن آية (الروم) تتضمن الالتفات من الخطاب الى الغيبة (عكس ما فى آية : البقرة) .

٣ — التقديم والتأخير :

يقول عند تفسير قوله تعالى (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين)[5] (... وتقدير الآية : كونوا قردة ، لانه لولا التقديم والتأخير لكان : قردة خاسئة)[6] .

ههنا ينظر الواحدى بحاسته اللغوية الفذة فيجد أن وصف القردة بهذا الجمع (خاسئين) ممتنع لامتناع الجمع بالواو والنون فى غير ذوى العلم ، فأجال النظر ثم خلد الى جعل (خاسئين) خبرا لكان بدلا من جعلها صفة [7] ، ومن ثم تكون علة التقديم ونكتته ومبادرتهم بالتصريح مما هو أدخل فى المذلة والمهانة وهو صيرورتهم قرودا .

---

(١) لم ينفرد الواحدى بعدم التصريح بالتسمية العلمية للفصل والوصل فقد عرض الزمخشرى — وهو المتأخر عنه زمنا والمبرز فى عرض الفنون البلاغية فى تفسيره — لهذه المسألة من تفسيره دون أن يصرح بالفصل والوصل اذ قال (فان قلت : فى سورة البقرة (يذبحون) وفى الاعراف (يقتلون) وههنا : (يذبحون) مع الواو فما الفرق ؟ قلت : الفرق أن التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث اثبت جعل التذبيح — لانه اوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة — كانه جنس آخر) أ هـ انظر الكشاف ٢/٣٦٨

(٢) سورة البقرة/٢٢٩

(٣) سورة الروم/٣٩

(٤) الواحدى : البسيط ١/٤٩٢

(٥) سورة البقرة/٦٥

(٦) الواحدى : البسيط ١/٢٠٥

(٧) انظر للمزيد من توجيه الاعاريب الى البحر المحيط ١/٣٤٦ ، روح المعانى ١/٢٨٣

ثم يورد الواحدى صورة اخرى للتقديم والتأخير فى الآية التالية مباشرة وهى قوله تعالى (فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها) •• اذ يقول :

(•• وقيل هذا على التقديم والتأخير، تقديره : فجعلناها وما خلفها مما أعد لهم من العذاب فى الآخرة عقوبة ونكالا لما بين يديها ، أى لما تقدم من ذنوبهم فى اعتدائهم يوم السبت)[1] •

٤ ــ القصر :

وقد بينه عند تفسير قوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين)[2] فقال : •

(•• وقال صاحب النظم : معنى (ايا) الاختصاص ، وقول القائل : اياك ضربت ، يعنى : أن الضرب اختص بك وأردتك به ، ولهذا وضعت العرب (اياك) فى موضع التحذير لما فيه من تأويل الاختصاص ، فقالوا : اياك والأسد ، أى : احفظ نفسك واحذر الأسد ، ومنه قول الشاعر :

فاياك والأمر الذى ان توسعت
موارده ضاقت عليك المصادر[3]

كذلك يبين افادة معنى القصر بانما ، عند تفسير قوله تعالى (انما حرم عليكم الميتة ••)[4] اذ يقول فى (البسيط) :

معناه : ما حرم عليكم الا ما ذكر ، كقول الشاعر :

وانما : يدافع عن أحسابهم انا أو مثلى[5] •

وانما صارت كلمة (انما) اثباتا للشىء ونفيا لما سواه ، لأن كلمة (ان) للتوكيد فى الاثبات ، و (ما) تكون نفيا ، واذا قال القائل (انى بشر) فالمعنى : أنا بشر على الحقيقة ، واذا قال (انما أنا بشر) كان المعنى : ما أنا الا بشر[6] •

٥ ــ التعبير بالماضى عن المستقبل :

يقول الواحدى عند تفسير قوله تعالى (أتى أمر الله فلا تستعجلوه •••)[7] ••وقال جماعة من المفسرين : أمر الله ــ ههنا ــ الساعة ، وذلك أن المكذبين بها استعجلوها ، فقيل لهم : أتى أمر الله •

قال أبو اسحق : استبطئوا أمر الله ، فاعلم الله أن ذلك عنده فى القرب بمنزلة ما قد أتى ، كما قال (اقتربت الساعة وانشق القمر)[8] وكما قال : (وما أمر الساعة الا كلمح البصر)[9] ، وعلى هذا انما قال لما لم يأت بعد (أتى) لأنه آت لا محالة ، والعرب اذا ذكرت شيئا قرب وقوعه أخرجته مخرج الواجب كقوله تعالى (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ••)[10] وقد مر[11] •

---

(١) الواحدى : البسيط ٢٠٦/١
(٢) الفاتحة/٥
(٣) البيت لمضرس الربعى ــ فى الحماسة ــ وقد أورده الاستاذ محب الدين فى شواهد الكشاف ٣٩١/٤
(٤) سورة البقرة/١٧٣

(٥) البيت للفرزدق أورده عبد القاهر الجرجانى فى باب القصر من دلائل الاعجاز والبيت هو :
أنا الذائد الحامى الذمار وانما
يدافع عن احسابهم انا او مثلى
(دلائل الاعجاز ص ٢٥٣) .
(٦) الواحدى : البسيط ٣٦٩/١
(٧) سورة النحل/١
(٨) سورة القمر/١
(٩) سورة النحل/٧٧
(١٠) سورة الاعراف/٤٤
(١١) الواحدى : البسيط ٤٦٨/٤ ــ ٤٦٩

٦ ــ التعبير بالمضارع عن الماضي :

وقد تناول الواحدى هذه الصورة باسهاب واستفاضة ومعالجة علمية دقيقة عند تفسيره لقوله تعالى (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان)[١] ، فقال فى البسيط : (٠٠ وقيل انه[٢] لفظ الاستقبال والمراد به المضى ، أى (تلت) كقول الشاعر :

(فلقد يكون أخادم وذبائح)[٣] ٠

أى : فلقد كان ، وكقوله (حتى يقول الرسول ٠٠)[٤] أى : حتى قال :

وقال أبو على ــ فيما استدرك على أبى اسحق[٥] : الآية تحتمل تأويلين كل واحد منهما أسوغ مما ذكره وذهب اليه ، أحدهما ، أن يكون (تتلو) بمعنى (تلت) فيكون كقوله (فلم تقتلون انبياء الله)[٦] أى فلم قتلتم الا أنه لما اتصل بقوله (من قبل) علم أن المراد بمثال المضارع الماضى ٠فكذلك هنا،كان يعلم باتصال الكلام بعهد سليمان ، لأن المعنى : على عهد ملك سليمان ، أو : فى زمن ملك سليمان ــ على تقدير حذف المضاف ــ وكأن ذلك يدل على أن مثال المضارع يراد به الماضى، ومن هذا قوله ــ عز وجل ــ (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله ٠٠)[٧] يجوز ــ عندى ــ أن يكون المعنى : ان الذين كفروا وصدوا فلما كان المعطوف عليه ماضيا دل على أن المراد بالمضارع أيضا الماضى ، ويقوى هذا قوله (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم)[٨] ويجوز أن يكون المضارع على بابه ، كأنه قال : ان الذين كفروا فيما مضى وهم الآن يصدون مع ما تقدم من كفرهم ٠

والأول كأنه أقوى ٠

والارادة بمثال المضارع الماضى مذهب سيبويه ،لأنه قال: وقد تقع (يفعل) فى موضع (فعل) فى بعض المواضع ، ومثل ذلك قول رجل من بنى سلول :

ولقد أمر على اللئيم يسبنى
فمضيت ثمت قلت لا يعنينى

على معنى : ولقد مررت ٠ قال ابوعلى: فسألت أبا بكر عما ذكره سيبويه من هذا ، فقال : الأفعال جنس واحد ، فكان يجب أن تكون على بناء واحد ، لكنها غيرت بتغير الأزمنة ، قسمت بتقاسيمها لما كان ذلك فى الايضاح أبلغ ، فخص كل قسم من ذلك بمثال لا يقع واحد منها فى موضع الآخر الا أن يضم اليه حرف يكون دليلا على ما أريد به ٠ فيصير الحرف كأنه يقوم مقام البناء المراد ، اذ كان يدل عليه كما يدل البناء ، نحو : والله لافعلت، فقولك : فعلت فعل ماض وقع فى موضع المستقبل ٠ فلما كانت قبلها (لا) علم أنه يراد به الاستقبال ، لأن (لا) انما تكون نفيا لما

---

(١) سورة البقرة/١٠٢

(٢) الضمير فى (انه) يعود على الفعل المضارع (تتلو) السابق ذكره .

(٣) البيت من شواهد القرطبى فى هذا الموضع من تفسيره ٢/٤٢ وصدره (وانضع جوانب قبره بدمائها) .

(٤) سورة البقرة /٢١٤

(٥) هذا الاستدراك من ابى على الفارسى على الزجاج فيما سبق من قوله (وفيه اضمار ، أراد واتبعوا ما كانت تتلو) انظر البسيط للواحدى ١/٢٦٣

(٦) سورة البقرة/٩١

(٧) سورة الحج/٢٥

(٨) سورة محمد ١

يستقبل ، فلما كانت نفيا للمستقبل ووقع بعدها ماض علمت أنه يراد به الاستقبال .
قال أبو على : وقد اتسعوا فى اقامة أمثلة الأفعال بعضها مقام بعض . من ذلك : اقامتهم مثال الأمر مقام الخبر ، نحو قولهم : أكرم بزيد ، وقوله (أسمع بهم وأبصر ..)[1] ، ومعنى هذا : أكرم زيد ، وأسمعوا وأبصروا ، أى صار زيد ذو كرم وصار هؤلاء المستحقون لأن يمدحوا بهذا المدح ذوى أسماع وأبصار ووقع مثال الامر مقام الخبر كما وقع مثال الخبر مقام الأمر فى مثل : غفر الله لزيد وقطع الله يده ، وفى التنزيل (لا تضار والدة بولدها)[2] وقال (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن ..)[3] فكذلك (تتلو) فى هذه الآية، يجوز أن يكون بمعنى (تلت) كهذه الأشياء التى اريتكها ، وهذا وجه .

وأما الوجه الآخر : فعلى أن يكون (يفعل) على بابه لا تريد به (فعل) كما أردت فى الأول ، ولكن تجعله حكاية للحال وان كان ماضيا .

وهذا الوجه فى السعة والكثرة كالأول وأسوغ ، كأنه حكى الذى كان يحدث به عنهم وهو للحال ، ونظير هذا قوله (واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم ..)[4] فقوله (يسومونكم) حكاية للحال فى الوقت الذى كانت فيه وان كان آل فرعون منقرضين فى وقت هذا الخطاب ، وموضع الفعل نصب بالحال .

ونظير هذا أيضا من حكاية الحال قوله (.. فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه ..)[5] فأشير اليهما كما يشار الى الحاضر ، ارادة لحكايتها ، ولولا ذلك لتناف هذا الكلام ، لأن اذ[6] لما مضى ، وتقول لما يستقبل ، ومن هذا أيضا : ما أنشده أحمد بن يحيى عن ابن الاعرابى :

جارية فى رمضان الماضى
تقطع الحديث بالايماض[7]

وهذا وجه ثان نظير ما يحسن حمل الآية عليه[8] .

بهذه المعاملة الدقيقة – التى خاض بها الواحدى غمار البحث فى دلالات الأفعال ومسالك التجوز فيها عند أئمة اللغة – عرض لنا أبو الحسن أبعاد الصورة البلاغية للتعبير بالمضارع عن الماضى فى اطارها العلمى التحليلى الدقيق .

٧ – الحذف :

يبين الواحدى حذف المفعول ونكتته البلاغية كثيرا ، من ذلك عند تفسير قوله تعالى (فان خفتم فرجالا أو ركبانا)[9] يقول (.. أراد : خفتم عدوا ، فحذف المفعول لاحاطة العلم به ..)[10] .

ويقول عند تفسير قوله تعالى (.. والحافظين فروجهم والحافظات ..)[11]:

---

(١) سورة مريم/٣٨
(٢) سورة البقرة/٢٣٣
(٣) سورة البقرة/٢٣٤
(٤) سورة البقرة/٤٩
(٥) سورة القصص/١٥
(٦) يريد (اذ) فى قوله تعالى (واذ نجيناكم ...) السابق ذكرها) .
(٧) البيت فى اللسان ، غير منسوب لقائله (رمض) ٢٢/٩
(٨) الواحدى : البسيط ٢٦٣/١ – ٢٦٥
(٩) سورة البقرة/٢٣٩
(١٠) الواحدى : البسيط ٥١٧/١
(١١) سورة الاحزاب/٣٥

(واستغنى عن ذكر الهاء بما تقدم ، ومثله (ونخلع ونترك من يفجرك)[1] المعنى: ونخلع من يفجرك ونتركه وأنشد :

وكمتا مدماة كأن متونها
جرى فوقها واستشعرت لون مذهب[2]

على رفع (لون) ، المعنى : جرى فوقها لون مذهب واستشعرته)[3] .

٨ ـ الاستفهام :

كذلك يعرض الواحدى فى تفسيره للمعانى المجازية للاستفهام ـ باعتباره أحد أقسام الانشاء الطلبى ـ فى مواضع بالغة الكثرة ، من ذلك عند تفسير قوله تعالى (.. أو لو كان آباءهم لا يعقلون شيئا)[4] يقول فى البسيط (والواو فى (أولو) واو العطف دخلت عليها الف الاستفهام المنقولة الى معنى التوبيخ ، وانما جعل ألف الاستفهام للتوبيخ لأنه يقتضى ما الاقرار به فضيحة كما يقتضى الاستفهام الأخبار عن المستفهم عنه)[5] وعند تفسير قوله تعالى (واذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس)[6] يقول فى الوسيط (هذا استفهام ومعناه التوبيخ لمن أدعى ذلك على المسيح ، ويكذبهم المسيح فيكون ذلك توبيخا لهم وهو قوله (سبحانك) أى برأتك من السوء (ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، أى لست استحق العبادة)[7] .

ثانيا ـ فى علم البيان :

١ ـ التشبيه :

وقد عرض الواحدى ـ فى تفسيره ـ لمختلف صور التشبيه فى التنزيل الحكيم ، بايجاز فى بعض المواضع ، وباسهاب وتحليل فى مواضع أخرى .

من ذلك عرضه لتشبيه التمثيل[8] فى قوله تعالى : (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون)[9] قال فى البسيط (.. والمثل من الكلام : قول سائر تشبه به حال الثانى بالأول ، والأصل فيه التشبيه ، فمعنى قولهم : مثل بين يديه اذا انتصب ، معناه : أشبه الصورة المنتصبة بين يديه والأماثل : الأفاضل ، وهذا أمثل من ذاك : أى أشبه بما له من الفضل ، والمثال ، القصاص ، لتسوية الحالتين،وتشبيه حال المقتص منه بحال الأول ، والامتثال :

---

(١) أورد صاحب اللسان هذا القول السائر من قول الناس فى الدعاء ، وقد فسره ثعلب فقال (من يفجرك : من يعصيك ومن يخالفك ، وقيل : من يضع الشىء فى غير موضعه) (انظر اللسان ٦/٣٥٣) .

(٢) البيت لطفيل الغنوى ، أورده القرطبى فى تفسيره (١٤/١٨٦) والكمت : جمع اكمت ، وهى حمرة تضرب الى السواد والمدماة : شديدة الحمرة كالدم ، واستشعرت : جعلت شعارها والمذهب : المموه بالذهب .

(٣) الواحدى : البسيط ٧/٣٥

(٤) سورة البقرة/١٧٠

(٥) الواحدى : البسيط ١/٣٦٦

(٦) سورة المائدة/١١٦

(٧) الواحدى : الوسيط/٢٠٢

(٨) يوضح الجرجانى علاقة التشبيه بالتمثيل قائلا (.. فاعلم ان التشبيه عام والتمثيل أخص منه فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلا) أسرار البلاغة ص ٦٨ ، والتمثيل يختص بالتشبيهات المركبة التى يكون فيها وجه الشبه عقليا منتزعا من عدة أمور مجتمعة كما فى الآية الكريمة (انظر البلاغة تطور وتاريخ ص ١٩٦).

(٩) سورة البقرة/١٧

الاقتصاص من هـذا والأمثال : اصل كبير فى بيان الأشياء ، لأن الشىء يعرف بشبهه ونظيره ، والأمثال تخرج ما يخفى تصوره الى ما يظهر تصوره ، والمثل بيان ظاهر على أن الثانى مثل الأول ، والأمثال متداولة سائرة فى البلاد ، وفيها حكم عجيبة وفوائد كثيرة ، وقد ذكر الله تعالى الأمثال فى غير موضع من كتابه ، لما فيها من حسن البيان وقرب الاستدلال ، والمقصود بالمثل : البيان عن حال الممثل ، وحقيقته : ما جعل من القول كالعلم للتشبيه بحال الأول ، مثال ذلك قول كعب بن زهير :

كانت مواعيد عرقوب لنا مثلا
وما مواعيده الا الأباطيل

فمواعيد عرقوب صارت مثلا فى كل ما لا يصلح من المواعيد ، وورد المثل فى معان كثيرة فى التنزيل ، نذكر كل واحد فى موضعه ان شاء الله .

وذكر لفظ المثل : لأن المراد تشبيه الحالة بالحالة ، وذكرنا أن لفظ المثل قد صار كالعلم للتشبيه بحال الأول ، ولو قيل : هم كالذى استوقد نارا ، لم يعرف ما الغرض من التشبيه ، فاذا ذكر لفظ المثل : علم أن المراد الحال بالحال ...)[1] .

لقد بين الواحدى أن التشبيه هو الأصل فى المثل ، وأن التشبيه التمثيلى — كما فى الآية الكريمة — ليس من قبيل تشبيه الذوات بالذوات وانما هو تشبيه حال بحال كما يدل عليه — فى الآية — لفظ (مثل)[2]

ثم أخذ الواحدى — بعد تبيان المباحث اللغوية التحليلية للمفردات — فى بيان كيفية التشبيه ووجه الشبه فى الآية الكريمة عند مفسرى السلف وأصحاب المعانى ، فقال :

(• فأما التفسير : فقال ابن عباس وقتادة ، والضحاك ، ومقاتل ، والسدى : يقول : مثل هؤلاء المنافقين كمثل رجل اوقد نارا فى ليلة مظلمة فى مفازة ، فاستضاء بها واستدفأ ، ورأى ما حوله ، فاتقى ما يحذر ويخاف ، وأمن ، فبينما هو كذلك اذ طفيت ناره فبقى مظلما خائفا متحيرا .

كذلك المنافقون لما أظهروا كلمة الايمان استناروا بنورها ، واعتزوا بعزها ، وأمنوا فناكحوا المسلمين ووارثوهم ، وقاسموهم الغنائم ، وأمنوا على أموالهم وأولادهم ، فلما ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وبقوا فى العذاب والنقمة .

وهذا القول : اختيار الزجاج ، لأنه قال : هذا المثل ضربه الله للمنافقين فى تجملهم بظاهر الاسلام . فمثل ما تجملوا به من الاسلام كمثل النار التى يستضىء بها المستوقد .

وعلى ما قاله أبو اسحق : التمثيل وقع بين تجملهم بالاسلاموبين النار التى يستضاء بها . وقال غيره : معنى الآية : استضاءتهم بكلمة الايمان كمثل استضاءة الموقد بالنار فالتمثيل وقع بين الاستضاءتين ، وحذف

---

(١) الواحدى : البسيط ١/٨٥ — ٨٦

(٢) ذكر فى (اللسان) أن من مدلولات المثل : الحال فنقل ابن منظور عن أبى منظور عن أبى منصور أن معنى قولهم : المريض اليوم امثل : اى احسن حالا من حالة كانت قبلها (اللسان ١٤/١٣٥) .

الاستضاءة : لأنه مضاف فأقيم المضاف اليه مقامه ، وهذا قول الفراء لأنه قال : شبههم – وهم جماعة – بالذى استوقد نارا ، وهو واحد ، لأنه تشبيه للفعل بالفعل لا للذوات بالذوات ، ومثل هذا قوله (تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت)[1] : يعنى : كدوران الذى يغشى عليه . وكقوله (ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) ، يعنى[2] : الا كخلق وكبعث نفس واحدة ، قال : ولو أراد تشبيه الذوات لقال : كالذين ، كما قال (كأنهم خشب مسندة)[3] . وقال : (كأنهم أعجاز نخل خاوية)[4] . وعلى هذا :(الذى) فى قوله (الذى استوقد) واحد ..)[5] .

كذلك يبين الواحدى التشبيه المؤكد – وهو ما حذفت أداته – عند تفسير قوله تعالى (نساؤكم حرث لكم...)[6] فيورده من بين وجوه تفسيرها قائلا :

(.. قيل : اراد كحرث لكم ، كقوله تعالى (حتى اذا جعله نارا)[7] أى كنار ، وكقول الشاعر :

النشر مسك والوجوه دنا
نير واطراف الأكف عنم[8][9]

ولقد كان ابو الحسن الواحدى ذواقة فى فن التشبيه ، يستجيد من وجوهه ما راق

---

(١) سورة الاحزاب/١٩
(٢) سورة (لقمان)/٢٨
(٣) سورة المنافقون/٤
(٤) سورة الحاقة/٧
(٥) الواحدى : البسيط ٨٧/١
(٦) سورة البقرة/٢٢٣
(٧) سورة الكهف/٩٦
(٨) البيت : أورده العسكرى للمرقش . انظر الصناعتين ص ٢٣٨ ط / صبيح .
(٩) الواحدى : البسيط ٤٧٧/١

له ، ويترك من صوره ما استكره على ظاهر النص وتأبى على مدلول اللفظ ، فنلحظ ذلك فى ترجيحه لبعض الأقوال على بعض عند تفسير قوله تعالى (وعندهم قاصرات الطرف عين . كأنهن بيض مكنون)[10] اذيقول فى البسيط – (. قال الحسن وابن زيد : شبههن ببيض النعام يكنها بالريش من الريح والغبار ، وقال الكلبى كأنهن بيض قد خبىء من الحر والقر .

وذكر قوم من المفسرين فى هذا التشبيه ما لا يصح ولا يكون له وجه من حيث اللفظ[11] (والوجه)[12] ماذكره الحسن وابن زيد . قال أبو اسحق : أى كأن ألوانهن ألوان بيض النعام الذى يكنه ريش النعام ، وقال المبرد : العرب تشبه المرأة الناعمة فى ضيائها وحسنها وصفوة النعمة عليها ببيضة، قال الراعى :

كأن بيض النعام فى ملاحفها
اذا اجتلاهن قيظا ليلة ومد

ثم بعد أن يورد الواحدى ستة شواهد لتشبيه الشعر للمرأة الحسناء ببيضة ، يعود الواحدى لذكر الراجح والمرجوح من الأقوال فى هذا التشبيه فيقول:

---

(١٠) سورة الصافات /٤٨ – ٤٩
(١١) يعنى الواحدى بما لا يصح ولا يكون له وجه من حيث اللفظ ما اورده بعد ذلك من التفسير المأثور عن سعيد بن جبير والسدى القائلين بأنه شبههن ببطن البيض قبل أن تمسه الايدى ، وقد اختار الطبرى فى تفسيره (٥٧/٢٣) هذا القول ورجحه على غيره . ومما استبعده الواحدى ايضا ما حكاه الطبرى قائلا : وقال آخرون : بل عنى بالبيض فى هذا الموضع : اللؤلؤ، وبه شبههن فى بياضه وصفائه .
(١٢) سقطت من الناسخ واثبتها تصيدا من سيبق .

(وقال ابن زيد فى هذه الآية : البيض بيض النعام أكنه الريش ، فلونه أبيض فى صفرة ، قالوا : وهذا أحسن ألوان النساء أن تكون بيضاء مشربة صفرة .

وقال سعيد بن جبير والسدى : ان الله تعالى شبههن ببطن البيض قبل أن تمسه الأيدى . وليس بالوجه)[1] .

ونجد الواحدى يستند فى ترجيحه لما ذكره الحسن وابن زيد وابواسحق الى مدلول ظاهر اللفظ حيث لا قرينة على صرفه الى غيره من اللؤلؤ أو السحاء الذى يكون بين القشرة العليا ولباب البيض ، ثم ان التشبيه بهذين الشيئين يفتقد عنصرا من عناصر جماله وهو الصفرة المشربة ببياض ظاهر البيضة ، كما قالوا : أحسن ألوان النساء أن تكون بيضاء مشربة صفرة . كأنها فضة قد مسها ذهب .

٢ ـ الاستعارة :

وقد عرض الواحدى للعديد من صور الاستعارة فى التنزيل مع التصريح باسمها فى بعض المواضع واغفاله فى مواضع أخرى ، فمن أمثلة ما صرح فيه بالاستعارة : ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : (ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ..)[2] قال فى البسيط : (الضرب فى المثل مستعار ، ومعناه : التسيير للمثل ، والجعل لها تسير فى البلاد ...)[3] لقد فطن الواحدى الى الاستعارة فى (ضرب المثل) فى حين لم يصرح بها فى الآية الكريمة جلة المفسرين ، فاكتفى الزمخشرى ـ مثلا ـ بقوله فى هذا الموطن (وضرب المثل:اعتماله[4] وصنعه ،من ضرب اللبن ، وضرب الخاتم ..)[5] ونجد الراغب يقول فى مفرداته : (وضرب المثل هو من ضرب الدراهم ، وهو ذكر شىء يظهر أثره فى غيره قال : (ضرب الله مثلا)[6])[7] بيد ان الواحدى لاحظ وجه الشبه القائم بين المثل والشىء المضروب من دينار وغيره بجامع التسيير والذيوع والشهرة فى كل منهما ، كما كما لاحظ استعارة (الضرب) وهو من لوازم المشبه به المحذوف ، فصرح بتلك الاستعارة التى أغفل الكثيرون من المفسرين ذكرها[8] ونجد ـ كذلك من أمثلة ما صرح فيه الواحدى فى تفسيره بالاستعارة : ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : (واشتعل الرأس شيبا)[9] . قال فى تفسير (الوسيط) : ـ

(واشتعل الرأس شيبا) : انتشر فيه الشيب كما انتشر شعاع النار فى الحطب ، وهذا من حسن الاستعارة ، اذ شبه بياض الشيب وانتشاره فى الرأس بشعاع النار فى الحطب وانتشارها .

قال الزجاج : يقال للشيب اذا انتشر جدا ، قد اشتعل رأس فلان وأنشد للبيد : ـ

---

(١) مر ذكر هذه الشواهد الستة فى نفس النص فى هذا الحديث عن النزعة الادبية فى تفسير الواحدى .

(٢) سورة البقرة/٢٦

(٣) الواحدى : البسيط ١٠٦/١

(٤) فى الاصل (اعتماده) وهو لا يؤدى المغزى ، فلعله خطأ فى النسخ ، والتصحيح بتوجيه من فضيلة الدكتور الراجحى وانظر البحر المحيط ١١٩/١

(٥) الزمخشرى : الكشاف ٢٦٤/١ ط الحلبى .

(٦) سورة النحل/٧٥

(٧) الراغب : المفردات (ضرب) /٢٩٥

(٨) انظر على سبيل المقارنة : تفسير القرطبى ٢٤٢/١ ، البحر المحيط ١١٩/١ ، مفاتيح الغيب ٢٣٠/١ ـ ٢٣٢

(٩) سورة (مريم) /٤

ان ترى رأسى أمسى واضـــحا
سلط الشيب عليه فاشتعل[1]،[2]

وفى هذا المثـــال نلحظ أولا : تنويــة الواحدى بحسن الاستعارة وافتتانه بجمالها وروعتها كمـــا نلحظ ثانيا ــ بالاضـــافة الى تصريحـــه بالاســـتعارة ــ تصريحـــه بطرف التشبيه فيها وبوجه الشبه حيث كرر الانتشار فى كل من الطرفين باعتباره جامعا لهما ، ثم اورد صورة الاستعارة ــ مع الفارق فى المنزلة الجمالية والروعة البيانية ــ فى مرآة الشعر العربى فيما أورده الزجاج من شعر لبيد •

٣ ــ المجاز العقلى[3] :

وقد بينه الواحدى فى مواضع كثيرة من تفسيره ، من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم ومـــا كانوا مهتدين)[4] يقول : فى البسيط : ــ

(ومعنى قوله (فما ربحت تجارتهم) : أى ما ربحوا فى تجارتهم ، وأضـــاف الربح الى التجارة : لأن الربح يكون فيها ، وهذا كلام العرب ، يقولون : ربح بيعك ، وخسر بيعك ، ونام ليلك ، وخاب ســعيك ، قال الله تعالى (بل مكر الليل والنهار)[5] أى : مكرهم فيهـــا ، وقال : (فاذا عزم الأمر)[6] اووانما العزيمة للرجال فى الأمر ، وقال جرير :

وأعـــور من نبهـــان أما نهـــاره
فأعمى وأما ليلـــــه فبصـــــير[7]

فأضـــاف العمى والابصـــار الى الليل والنهار ، ومراده بهما : الموصوف من نبهان ، قال الفراء : وهذا انما يجوز اذا عرف الكلام ولم يشكل ، فاذا أشكل لم يجز ، كما لوقال : خسر عبدك ، وأراد أن يجعل العبـــد تجارة يربـــــح فيـــه أو يوضـــــــع ، لأنه قـــد لا يكون العبد تاجرا فيربح ، فلا يعرف معناه اذا ربح من معناه اذا كان متجورا فيه)[8] •

٤ ــ المجاز المرســل[9] :

وقد عرض الواحدى لصوره وعلاقاته المتعددة فى مواضع شتى من تفسيره، من ذلك ــ مثلا ــ ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمـــات[10] قال قال فى البسيط : ــ

(وأضاف الاضلال والاخراج من النور الى الطاغوت : لأن سبب ذلك من الطاغوت وهـــو التزيين والوســـوسة والدعاء اليـــه ،

---

(١) البيت من قصيدة يرثى بها لبيد اخاه وهى بديوانه ص ١٤٤ بتقـــديم وشرح ابراهيم جزينى نشر بيروت .
(٢) الواحدى : الوسيط ١٣٩/٢ نسخة مخطوطة بالمكتبة الازهرية .
(٣) هو اسناد الفعل ــ أو مافى معناه ــ الى غير ما هو له لعلاقة مع قرينة مانعة من ارادة الاسناد الحقيقى .
(٤) سورة البقرة/١٦
(٥) سورة سبأ/٣٣

(٦) سورة (محمد) ٢١
(٧) ديوان جـــرير بتحقيـــق اســـماعيل الصاوى ص ٢٦٦ ، والبيت من قصيدة يجيب بها جرير اعورنبهان .
(٨) الواحدى : البسيط ٨٥/١
(٩) هو كلمة استعملت فى غير معنـــاها الاصلى لعلاقة ــ غير المشابهة ــ مع قرينة مانعة من ارادة المعنى الاصلى .
(١٠) سورة البقرة/٢٥٧

فالاضافةا اليه لأجل السبب وحقيقة الهداية والاضلال لله تعالى يضل من يشاء ويهدى من يشاء والشيطان يزين ويسول[1]) .

٥ ـ الكناية والتعريض[2] :

عرض الواحدى لكل من الكناية والتعريض فى تفسيره ، عرضا علميا دقيقا يكشف عن عمق نظرته ويبرز رهافة حسه البلاغى واحاطته بدقائق هذا الفن ، اذ يقول عند تفسير قوله تعالى (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء[3]) : ـ

(التعريض فى اللغة ضد التصريح ، ومعناه : تضمين الكلام ذكر دلالة على شىء ، ليس فيه ذكر له .

وأصله من عرض الشىء ، وهو جانبه ، كأنه يحوم به حوله ولا يظهره ، وينشد على هذا قول الشماخ : ـ

كما خط عبرانية بيمينه
بتيماء حبر ثم عرض أسطرا[4]

قالوا فى تفسير (عرض) : أى لم يبين بل حرفها ، ذهب مرة كذا ولم يقرها ، وذلك أشبه بالرسوم . قال ابن الانبارى حاكيا عن بعضهم : معنى التعريض فى اللغة : ايصال الشىء من الكلام الى المخاطب ، فاذا قيل عرض به : معناه : أوصل اليه كلاما فهم معناه ودل بالذى أسمعه عليه ، من قول العرب : قد عرضت الرجل اذا أهديت اليه وأوصلت اليه التحفة ، ومن ذلك حديث عائشة (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر لقيا الزبير فى ركب قد أقبلوا من الشام يريدون مكة ، فعرضوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثيابا بيضا ، أى : أهدوهما اليهما[5]) .

والتعريض أخفى من الكناية ، لأن الكناية عدول عن الذكر الاخص الى ذكر يدل عليه . والتعريض دلالة على شىء ليس له فيه ذكر ، كقولك : ما أقبح البخل ، تعرض أنه بخيل ، والكناية كقولك رأيته وضربته من غير ان تذكر اسمه[6]) .

لقد أعطى الواحدى تعريفا دقيقا للكناية وآخر للتعريض وفرق بينهما تفرقة علمية دقيقة فسبق الزمخشرى الى تحديد هذا الفرق خلافا لمن زعم من الباحثين أن الزمخشرى كان أول من حدد فرقا دقيقا بين الكناية والتعريض[7] كما امتاز الواحدى بذلك عن عبد القاهر الذى جعل التعريض رديفا للكناية[8] .

ولا يظن من تمثيل الواحدى للكناية بمعناها اللغوى ـ وهو الضمير ـ فى النص

---

(١) الواحدى : البسيط ٥٤٤/١

(٢) تعرف الكناية بأنها : لفظ أطلق واريد به لازم معناه مع جواز ارادة ذلك المعنى ، والتعريض عند كثير من البلاغيين ، كأبى هلال العسكرى والسكاكى وابن قتيبة ـ يدخل فى الكناية بينما هو عند البعض الآخر ـ كالزمخشرى والواحدى وغيرهما ـ يعد ضربا مستقلا عن الكناية انظر : الصناعتين ص ٣٦٠ ط صبيح ، الزمخشرى للدكتور الحوفى ص ٢١٢ ص ١٩٠ ، ٢٠٨

(٣) سورة البقرة/٢٣٥

(٤) البيت فى اللسان ٤٦/٩ (عرض) .

(٥) الحديث فى تفسير القرطبى ١٨٨/٣

(٦) الواحدى : البسيط ٥٠٨/١

(٧) انظر : البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى للدكتور محمد حسين أبو موسى ص: ٤٧١

(٨) انظر (دلائل الاعجاز) للجرجانى ، والمرجع السابق .

السابق أنه لم يقف على صورتها بالمعنى الاصطلاحى ، فقد أوردها بالمعنيين — اللغوى والاصطلاحى — كما كان دأب السابقين عليه كالفراء وغيره[1] • بل لقد نص الواحدى على الكناية بمعناها الاصطلاحى فى مواضع لم يشر الفراء فى معانيه الى وجود الكناية فيها • من ذلك — مثلا — عند تفسير قوله تعالى (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم)[2] نجدالواحدى يقول فى البسيط :

(يقال : رفث فى كلامه يرفث ، وأرفث اذا تكلم بالقبيح • هذا هو الاصل ، ثم يكنى به عن الجماع ، قال أبو اسحق : الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة ، وقال عطاء — فيما روى عن ابن عباس — : الرفث : الجماع ، قال ابن عباس : ان الله حى كريم يكنى ، فما ذكر الله فى القرآن من المباشرة ، والملامسة ، والافضاء ، والدخول ، والرفث ، فانما يعنى به الجماع)[3] •

ثالثا : فى علم البديع[4] :

١ — المشـــاكله[5] :

عرض لها الواحدى فى مواضع كثيرة من تفسـيره وأطلق عليهـا اسم (المزاوجة) ، وكذلك كان يفعل الزمخشرى فى مواضع من تفسيره[6] ، من أمثلة ما عرض له الواحدى من صور المشاكلة : ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (الله يستهزىء بهم)[7] قال فى البسيط (قال ابن عبـاس : هو أنهم كلما أحدثـوا خطيئة جدد الله لهم نعمة فشبه هذا من الله بالاستهزاء والمكر لأنه غيب عنهم غير ما أظهر لهم ، كالمستهزىء منا ، يظهر أمرا يضمر غيره وقال ابن الانبارى : الاستهزاء من الله — جل وعز — مخالف الاستهزاء من المخلوقين ، لأن اسـتهزاءه أن يسـتدرجهم من حيث لا يعلمون • وقال جماعة من أهل المعانى : معنى (الله يستهزىء بهم) جزاء استهزائهم فسمى الجزاء باسم المجازى عليه كقوله (وجزاء سيئة سيئة مثلها)[8] ، وقوله (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه[9]) ومنه قول عمرو :

(فنجهل فوق جهل الجاهلينا[10]) •

وهذا هو الاختيار ، لأنه حمل الكلام على المزاوجة ، ولأنه أظهر وأشكل بما جاءمن نظـائر القرآن ، وكل ذلك على المجاز على المجاز الذى يحسن فى الاستعمال للمبالغة فى البيان والتصرف فى الكلام[11]) •

كذلك يقول فى تفسيره (الوسيط) عند تفسير قوله تعالى (تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك[12]) : (قال ابن عباس : تعلم

---

(١) انظر : اثر النحاة فى البحث البلاغى — للدكتور عبد القادر حسين ص : ١٥٩ — ١٦١

(٢) سورة البقرة/١٨٧

(٣) الواحدى : البسيط ٤٠٤/١ — ٤٠٥

(٤) كان أول مصنف فى هذا الفن هو كتاب البديع لابن المعتز الذى صنفه سـنة ٢٧٤ هـ وضمنه ثمانية عشر محسنا بديعيا ، وكان البديع عند ابن المعتز وبعض المتاخرين عنه يشمل علم البيان فيضم فى مباحثه الاسـتعارة والتشـبيه والكناية الى جانب المحسنات البديعية (انظـر البلاغة تطور وتاريخ د.شوقى ضيف ص ٣٥٨).

(٥) تعرف المشاكلة بانهـا : ذكر الشىء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته .

(٦) انظر الكشاف ٤٣٥/٢ ط الحلبى .

(٧) سورة البقرة/١٥

(٨) سورة الشورى/٤٠

(٩) البقرة/١٩٤

(١٠) البيت من معلقة عمـرو بن كلثوم وصدره (الا لا يجهلن أحد علينا) انظر : جمهرة أشعار العرب/١٤٧

(١١) الواحدى : البسيط ٨٢/١ — ٨٣

(١٢) المـائدة/١١٦

ما فى غيبى ولا أعلم ما فى غيبك • والمعنى : تعلم ما أخفيه من سرى وغيبى ولا أعلم ما تخفيه أنت ولم تطلعنا عليه • فلما كان سر عيسى يخفيه فى نفسه جعل أيضا سر الله مما يخفيه الله فى نفسه ، ليزدوج الكلام ويحسن النظم) •

٢ ــ المقابلة[١] :

عرض لها الواحدى فى مواضع من تفسيره ، منها عند تفسير قوله تعالى (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم[٢] •••) ، قال فى البسيط (••• وقيل فى هذا : انه لما قال : (ما تبعوا قبلتك) قال (وما أنت بتابع قبلتهم) على المقابلة ، كما يقول : ما هم بتاركى انكار الحق ، وما أنت بتارك الاعتراف به ، فيكون الذى جر الكلام الثانى : التقابل للكلام الأول وهو حسن منكلام البلغاء[٣])•

٣ ــ التقسيم[٤] :

قال الواحدى عند تفسير قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا منعبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير[٥] :

(••• وقوله (الذين أصطفينا من عبادنا) : قال ابن عباس : يريد المهاجرين والانصار والتابعين باحسان ، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم •

ثم قسمهم ورتبهم فقال : (فمنهم ظالم لنفسه) •••) الخ[٦] •

٤ ــ اللف والنشر[٧] :

وقد عرض الواحدى للنوع الاجمالى من اللف والنشر عند تفسير قوله تعالى (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى •••)[٨] فقال فى (البسيط) :

(المعنى : أن اليهود قالت : لن يدخل الجنة الا من كان هودا ، والنصارى قالت : لن يدخل الجنة الا من كان نصارى • ولكنهم أجملوا • وضم النصارى الى اليهود فى قوله (وقالوا) : لأن الفريقين يقران بالتوراة ، كما قال حسان :

أمن يهجو رسول الله منكم
ويمدحه وينصره سواء[٩]

---

(١) عرفها ابو هلال العسكرى بأنها : ايراد الكلام ثم مقابلته بمثله فى المعنى واللفظ على جهة الموافقة او المخالفة انظر الصناعتين /٣٢٨) •

(٢) سورة البقرة/١٤٥

(٣) الواحدى : البسيط ٣٣٣/١

(٤) عرفه صاحب (الصناعتين : ٣٣٢) قائلا : التقسيم الصحيح : أن تقسم الكلام قسمة مستوية تحتوى على جميع أنواعه ولا يخرج منها جنس من أجناسه) وقد عرض له الدكتور شوقى ضيف ضمن الوان البديع التى عرض لها الزمخشرى فى تفسيره . انظر : (البلاغة تطور وتاريخ ٢٦٨) .

(٥) سورة فاطر/٣٢

(٦) الواحدى : البسيط ١٠٠/٧

(٧) عرفه التفتازانى ــ فى مختصره على تلخيص المفتاح ــ قائلا : (وهو ذكر متعدد على سبيل التفصيل أو الاجمال ثم ذكر ما لكل واحد من آحاد هذا المتعدد من غير تعيين ثقة ــ اى الذكر بدون التعيين لاجل الوثوق ــ بأن السامع يرده اليه) انظر شروح التلخيص ٣٢٩/٤

(٨) سورة البقرة/١١١

(٩) البيت من قصيدة لحسان يمدح بها النبى صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة ويهجو أبا سفيان اذ هجا النبى صلى الله عليه وسلم قبل اسلامه . والبيت ضمن القصيدة فى ديوانه بتحقيق عبد الرحمن البرقوقى ص ٦٤ وأوله (فمن يهجو) .

تقديره : ومن يمدحه وينصره ، الا أنه لما كان اللفظ واحدا جمع مع الاول ـ يعنى الى أصل الفعل ـ وصار كأنه أخبار عن جملة واحدة،وانماحقيقته عن بعضين مختلفين[1])
فالواحدى ـ اذ يعرض لهذه الصورة البديعية ـ اللف والنشر ـ لايذكر التسمية الاصطلاحية لها وانما يعبر عن اللف بالاجمال والضم : ثم نجده يعرض لنكتة هذا اللف ـ أو الاجمال والضم ـ بأن الفريقين يجتمعان ويلتقيان فى الاقرار بالتوراة فكان ذلك مسوغا للفهما معا فى ضمير القول •

وعلى هذا النحو تجلى مراس الواحدى ومعالجته للصور البديعية المتعددة والمتنوعة كما تجلت معايشته لمختلف الصور البيانية فى تفسيره الى جانب تناوله وتحليله للصور المتعلقة بفروع علم المعانى ، وقد اجتزأنا من بعض أفنانها ببعض الثمر الذى وضح ينعه وطاب أكله • من ثم يمكننا أخيرا أن نقول : ان تفسير الواحدى قد حفل بنصيب وافر من تناول الصور البلاغية وضح فيه الى جانب الاصالة العلمية شفافية الذوق ، وعمق الادراك والسبق الى معالجة كثير من المسائل والمباحث البلاغية التى تخطاها كثير من المفسرين من قبل الواحدى ومن بعده •

---

(١) الواحدى : البسيط ٢٨٣/١

الفصل السادس

منهجه فى عرض القراءات والاحتجاج لها فى تفسيره

برز اهتمام الواحدى بالكشف عن وجوه القراءات ، وتوجيهها ، والاحتجاج لها فى تفسيره الى حد أنه جعل هذا المبحث أحد المحاور الرئيسية التى يدور عليها تصنيفه فى التفسير فقال فى مقدمة تفسيره البسيط :
(... وبعد : فمنذ دهر تحدثنى نفسى بأن أعلق لمعانى أعراب القرآن وتفسيره فأقرأ فى الكشف عن غوامض معانيه ، ونكتا فى الاشارة الى علل القراءات فيه ...)[1] .

فقد وضع أبو الحسن مبحث التعليل للقراءات رديفا للكشف عن غوامض معانى التنزيل فى سياق الأغراض الرئيسية التى هدف لتحقيقها فى تفسيره . وبديهى أن التعليل للقراءات من مستتبعات ومترتبات التعرف على وجوهها المحتج لها . من ثم كان لهذا المبحث جانبان : أسهم عامة المفسرين فى أحدهما ـ وهو عرض أوجه القراءات ـ بينما امتد بحث المبرزين منهم الى توجيه تلك القراءات والاحتجاج لها فى ضوء علوم اللغة والنحو والمزاوجة بين الراوية والدراية فى معرفة القراءات .

وقبل أن نتعرف على موقف الواحدى من القراءات فى توجيهها والاحتجاج لها ، يجدر التعرف أولا على ضابط القراءة الصحيحة التى يجب قبولها ولا يجوز ردها ، عند الأئمة الأثبات ، ثم نستخلص ـ فى ضوء ما وضعه الأئمة لها من قيود وشروط ـ أنواع القراءات الأخرى التى افتقدت أحد أركان القراءة الصحيحة :

يقول صاحب الاتقان : (وأحسن من تكلم فى هذا النوع[2] : امام القراء فى زمانه، شيخ شيوخنا أبو الخير بن الجزرى[3] ، قال فى أول كتابه النشر :

كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا

(١) الواحدى : البسيط ٢/١

(٢) يعنى : معرفة انواع القراءة ، وقد ذكر السيوطى هذا الكلام فى مبحث : معرفة المتواتر ، والمشهور والاحاد والشاذ والموضوع والمدرج . وهى الانواع : الثانى والعشرون والثالث والعشرون الى السابع والعشرين من الاتقان ٢١٠/١/

(٣) هو الامام شمس الدين ابوالخير محمد ابن محمد بن على بن يوسف بن الجزرى الشافعى (ت : ٨٣٣ هـ) امام علماء القراءات فى عصره، نقل ابن العماد عن ابن حجر أنه قال فيه (وقد انتهت اليه رياسة علم القراءات فى المالك) صنف العديد من مصنفات هذا العلم ، منها : النشر فى القراءات العشر ، ونظم طيبة النشر ، وتحبير التيسير فى القراءات ، وطبقات القراء وبها ترجمته من زيادة تلاميذه ، أنظر طبقات القراء ٢٤٧/٢ ـ ٢٥١ ، وانظر شذرات الذهب ٢٠٤/٧

وصح سندها : فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها ، ولا يحل انكارها بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ، ووجب على الناس قبولها ، سواء كانت عن الأئمة السبعة ، أم عن العشرة ، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة : أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة ، سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم . هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف ، صرح بذلك الدانى[1] ، ومكى[2] ، والمهدوى[3] ، وأبو شامة[4] ، وهو مذهب السلف الذى لا يعرف عن أحد منهم خلافه [5]) .

وحيث أن اجماع جمهور المحققين قد انعقد على هذا الضابط الذى أورده ابن الجزرى — ونقله عنه السيوطى وغيره — للقراءة الصحيحة : وان اشتهر عنه وانما نقله عن سابقيه من الائمة ، بدليل أن الامام القسطلانى[6] قد نقل هذا الضابط عن الكواشى[7] من مقدمة تفسيره ، فقال فى (لطائف الاشارات لفنون القراءات) ما نصه: (... واشتبه متواتر القراءات بفاذها ، ومشهورها بشاذها ، فمن ثم وضع الأئمة لذلك ميزانا يرجع اليه ، ومعيارا يعول عليه، وهو السند ، والرسم ، والعربية فكل ما صح سنده ، واستقام وجهه فى العربية ، ووافق لفظه خط المصحف الامام : فهو من السبعة المنصوصة فعلى هذا الاصل بنى قبول القراءات ، عن سبعة كانوا أو سبعة آلاف ، ومتى فقد شرط من هذه الثلاثة فهو شاذ . هذا لفظ الكواشى كما رأيته فى أول تفسيره)[8] وكان الكواشى من علماء القرن السابع الهجرى بينما الشيخ ابن الجزرى قد عاش فى القرنين الثامن والتاسع (٧٥١ — ٨٣٣ هـ)[9] .

بيد أن ابن الجزرى قد قام بتحليل هذا الضابط العلمى وتفريغ الأنواع الأخرى للقراءة فى ضوء شرح قيوده واخراج محترزاته وتوضيح أركانه ، بل لقد نظمه فى (الطيبة) فقال :

وكل ما وافق وجه النحو
وكان للرسم احتمالا يحوى

---

(١) هو أبو عمرو : عثمان بن سعيد الدانى القرطبى ت : ٤٤٤ هـ لقبه ابن الجزرى بشيخ مشايخ المقرئين (طبقات القراء ١/٥٠٣) .

(٢) هو أبو محمد : مكى بن أبى طالب القيسى القيروانى ت : ٤٣٧ هـ ترجمه ابن الجزرى فى طبقاته (٢/٣٠٩) .

(٣) هو أبو العباس احمد بن عمار المهدوى — نسبة الى المهدية بالمغرب (ت : بعد سنة ٤٣٠ هـ) امام فى التفسير والقراءات (ط : ابن الجزرى ١/٩٢) .

(٤) هو عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسى الدمشقى الشافعي ت : ٦٦٥ هـ امام حافظ حجة فى القراءات (ط: ابن الجزرى ١/٣٦٥) .

(٥) السيوطى : الاتقان بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ١/٢١٠ ، النشر لابن الجزرى ١/٩

(٦) هو الحافظ شهاب الدين أبو العباس احمد بن محمد القسطلانى الاصل المصرى الشافعى الفقيه المقرىء المسند (ت : ٩٢٣ هـ) له العديد من المصنفات منها لطائف الاشارات لفنون القراءات وقد صدر منه الجزء الاول بتحقيق الشيخ عامر عثمان ود. عبد الصبور شاهين . انظر ترجمته بشذرات الذهب ٨/١٢١

(٧) هو موفق الدين أبو العباس أحمد بن يوسف الكواشى المفسر العلامة المقرىء (ت : ٦٨٠ هـ) ترجمته بالشذرات ٥/٣٦٤٥

(٨) القسطلانى : لطائف الاشارات ١/٦٧

(٩) مفتاح السعادة : ٢/٥٥ — ٥٧

وصح اسنادا هو القرآن
فهـــذه الثـــلاثة الاركان
وحيثما يختل ركن اثبت
شذوذ لو أنه فى السبعة[١]

وقد استنبط الامام السيوطى من كلام ابن الجزرى أنواع القـــراءات على النحـــو التـــالى :

الأول : المتواتر ، وهو ما نقـــله جمـــع لا يمكن تواطؤهم على الكذب ، عن مثلهم الى منتهاه قال : وغالب القراءات كذلك •

الثانى : المشهور ، وهو ما صح سنده ولم يبلغ درجـــة التـــواتر ، وافق العـــربية والرسم واشـــتهر عند القـــراء • ومثالـــه ما اختلفت الطرق فى نقله عن السبعة ، ومن أشهر ما صنف فيه التيسير •

الثالث : الاحاد ، وهو ما صح ســـنده وخالف الرسم أو العربية ، أو لم يشتهر عنده القراء قال ولا يقرأ به أما النوعان السابقان فيقرأ بهما عند المحققين وقد صحح الحـــاكم فى مستدركه اسناد كثير من هذا النوع ، من ذلك قراءة (متكئين على رفارف خضر وعباقرى حسان)[٢] •

الرابع : الشاذ ، وهـــو ما لم يصـــح سنده ، وفيه كتب مؤلفه[٣] ومنه قراءة (اياك يعبد) بالبناء للمفعول •

الخامس : الموضوع : وهو ما نسب الى قائله من غير أصل ، وقد مثل لذلك بقراءات محمد بن جعفر الخزاعى ونسبها الى الامام أبى حنيفة رضى الله عنه ، ونقلهـــا عنـــه أبو القاسم الهذلى وغيره ، ومنها (انما يخشى الله من عباده العلماء)[٤] برفع لفظ الجلالة ونصب العلماء •

الســـادس : المدرج ، وهو ما زيد فى القراءات على وجه التفسير ، كالقراءة التى أخرجها سعيد بن منصور عن سعد بن أبى وقاص (وله أخ أو أخت من أم)[٥] قال ابن الجزرى (وربما كانوا يدخلون التفســـير فى القراءة ايضـــاحا وبيانا ، لانهم محققـــون لما نقلوه عن النبى صلى الله عليه وسلم قرآنا، فهم آمنون من الالتباس ، وربما كان بعضهم يكتبه معه[٦] وبعـــد أن وقفنا على ضـــابط القراءة[٧] وأنواعهـــا عند المحققين الاثبات : نقف ازاء منهج الواحـــدى لنســـلط ضـــوء البحث — عن كثب — على تفاصيل المنهـــج وخيوطه الدقيقة •

ولعل أول ما نقف عليه بادىء ذى بدء : تصريحه فى مقدمة تفسيره (البسيط) ، الذى أدلى به فى اجتزاء ، واقتضـــــاب وتحفظ حيث قال :

---

(١) الزرقانى : مناهل العرفان : ٤١١/١
(٢) سورة الرحمن /٧٦ ، وانظر تفســـير القرطبى : ١٩١/١٧
(٣) من أشهر المؤلفات فى بيان هذا النوع والاحتجاج له : المحتسب لابن جنى (ت: ٣٩٢هـ)

(٤) سورة فاطر/٢٨
(٥) سورة النساء/١٢
(٦) السيوطى : الاتقان ٢١٥/١ — ٢١٦
(٧) تقدم أن ضـــابط القراءة الصحيحة — وان اشتهر اسناده الى ابن الجزرى — فهـــو معـــروف عند الاثبـــات من قبـــله بدليـــل نص القسطلانى عليه نقلا عن الكواشى — وهـــو من علماء القرن السابع — ثم لقد وقفت على هذا الضابط فى تفسير الواحدى ، حيث علق على قراءة ابن عمرو (فرهن مقبوضـــة) — بضـــم الراء والهاء — بقوله : (واختار الزجاج هذه القراءة، فقال : لانها موافقة للمصحف) ثم اضاف قائلا (وما وافق المصحف وصـــح معنـــاه وقرأت به القراء : فهو المختار) انظر البسيط /٥٩٨

(•• وذكرت وجوه القراءات السبع التى اجتمع عليها أهل الامصار — دون تسمية القراء — واعتمدت فى أكثرها على كتاب أبى على الحسن بن أحمد الفارسى الذى رواه لنا سعيد بن محمد الحيرى عنه[1]) •

وهذا التصريح — فى رأيى — لا يعبر عن منهج الواحدى فى عرض وجوه القراءات والاحتجاج لها كما تسفر عنه الدراسة ، بل هو — كما قلت — تصريح مجتزأ ، ومقتضب، والواحدى فيه متحفظ تحفظا شديدا يبخس به حق نفسه ويظلم به منهجه •

أما عن اجتزائه وعدم شموليته ، فلأن الواحدى لم يقتصر فى تفسيره على عرض وجوه القراءات السبع وحدها وانما ذكر غيرها أيضا حتى تناول عرض القراءة الشاذة فى كثير من المواضع •

وأما عن شدة تحفظه : فلانه قيد ذكر وجوه القراءات السبع بعدم تسمية القراء ، والواقع أنه كثيرا — وان لم يكن دائما — كان يسمى القراء ويعينهم اثناء احتجاجه لهم أو عليهم كما سنقف عليه بعد • ويبدو من تحفظه أنه آثر عدم الالتزام دفعا للمساءلة• واما عن اقتضابه : فانه لم يذكر من مصادره سوى كتاب أبى على الفارسى (الحجة) بينما نوه بقوله (واعتمدت فى أكثرها) بأنه اعتمد على غيره (الحجة) فى الكثير منها ، أو القليل على الأقل ! ومن ثم كان هذا البيان الوجيز الذى أودعه أبو الحسن مقدمة تفسيره مبتسرا ومجتزءا ، غير شامل لما عرض له من غير القراءات السبع ، ولا لما اعتمد عليه من المصادر فى عرض السبع أو غيرها •

(١) الواحدى : البسيط ٩/١

أما الجهد الحقيقى الذى بذله الواحدى — فى ميدان القراءات : عرضا وتوجيها واحتجاجا — فهو أوسع مدى ، وأعمق أثرا ، وأبعد شأوا مما نطقت به مقدمة تفسيره (البسيط) فى هذا الصدد • ولنبدأ بمنهجه فى عرض أوجه القراءات :

١ — فى أغلب المواضع وأكثرها نجد أبا الحسن يسند القراءات الى أصحابها ويسمى القراء لا سيما فى مواطن الجدل والاحتجاج للقراءات ، والامثلة لذلك بالغة الكثرة فمن ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : (ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا[2]) •• قال فى البسيط : (وكثر اختلاف القراء فى هذه الآية ، فقرأ حمزة[3] ، والكسائى[4] ، وعاصم[5] ، وأبو عمرو[6] ، وابن كثير[7] : (ولو يرى) بالياء ، و (أن القوة لله) و (أن الله) بالفتح فيها[8] •••) ثم يقول بعد بيان المعنى على هذه القراءة والاحتجاج لها :

(٢) سورة البقرة/١٦٥

(٣) هو ابو عمارة : حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات الكوفى (٨٠ — ١٥٦ هـ) احد القراء السبعة (طبقات ابن الجزرى ٢٦١/١).

(٤) هو ابو الحسن على بن حمزة الكسائى (١١٩ — ١٨٩ هـ) انتهت اليه رئاسة الاقراء بالكوفة بعد حمزة ، وهو احد السبعة ايضا انظر ترجمته بطبقات القراء لابن الجزرى (٥٣٥/١ — ٥٤٠).

(٥) هو ابو بكر عاصم بن بهدلة ابى النجود الاسدى الكوفى (ت ١٢٧ هـ) كان شيخ الاقراء بالكوفة واحد السبعة (ابن الجزرى ٣٤٦/١).

(٦) هو زبان بن العلاء بن عمار البصرى (ت : ١٥٤ هـ) احد القراء السبعة ترجمة ابن الجزرى بطبقاته ٢٨٨/١

(٧) هو عبد الله بن كثير الدارى (ت : ١٢٠ هـ) كان أمام أهل مكة فى القراءة واحد القراء السبعة (بطبقات ابن الجزرى ٤٤٣/١).

(٨) الواحدى : البسيط ٣٥٩/١

(••• وقرأ أبو جعفر[1] : (ولويرى) بالياء ، وكسر (ان القوة لله) و (ان الله)[2]) ثم يعلل لهذه القراءة أيضا ويفرع المعنى ويعرض لبعض مباحث النحو المتعلقة بها ، ثم يقول (وقرأ نافع[3] وابن عامر[4] : (ترى) بفتح التاء ، وفتح (ان القوة) و (ان الله لا يجوز ••)[5] ويمضى فى التعليل هذه القراءة أيضا فى أطناب واسهاب ثم يقول (وقرأ ابن عامر : (يرون)بضم الياء)[6] •

فى هذا النص نجد الواحدى يذكر أوجه القراءات ويسمى القراء الذين أسندت ونسبت اليهم تلك القراءات تفصيلا ، فنجده يسمى القراء السبعة بأسمائهم فى هذا الموضع ، بل ويذكر معهم — فى وجه آخر من القراءة — أحد القراء العشرة ، وهو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدنى — ومن ثم نجد الواحدى لم يتقيد بما ذكره فى مقدمة تفسيره (البسيط) من الاقتصار على وجوه القراءات السبع وحدها فذكر ههنا قراءة (عشرية) ، كما أنه لم يغفل ذكر أسماء القراء بل ذكر فى هذا الموضع وحده أسماء القراء السبعة وأحد الثلاثة المتممين للعشرة •

(1) هو يزيد بن القعقاع المخزومى ، المدنى ، القارى (ت : ١٣٠ هـ) تابعى جليل كان أمام أهل المدينة فى القراءة واحد القراء العشرة . انظر ترجمته بطبقات ابن الجزرى ٣٨٢/٢

(2) الواحدى : البسيط ٣٦٠/١

(3) هو أبو رويم : نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم المدنى (ت : ١٦٩ هـ) وهو احد القراء السبعة (انظر طبقات ابن الجزرى ٣٣٠/٢) .

(4) هو أبو عمران عبد الله بن عامر اليحصبى (ت : ١١٨ هـ) كان من اجلاء التابعين وأمام قراء الشام واحد السبعة (طبقات ابن الجزرى ٤٢٣/١) .

(5) الواحدى : البسيط ٣٦٠/١

(6) الواحدى : البسيط ٣٦١/١

٢ — يسوق الواحدى سنده المتصل الى بعض القراء — أحيانا — عند عرضه للقراءة من ذلك ما ذكره عند بيان القراءتين فى قوله تعالى (فتذكر احداهما الأخرى[7]) قال فى البسيط : —

•• وقد روى هذا أيضا عن أبى عمرو بن العلاء ، أخبرنا : ابو الحسين بن أبىعبدالله الفسوى ، قال : أنبأنا أحمد بنمحمد الفقيه ، قال : أنبأنا أبو محمد المكدانى ، قال : أنبأنا عبد الله بن شبيب قال : حدثنا المقرى ، قال حدثنا الاصمعى قال : قال أبو عمرو بن العلاء: من قرأ (فتذكر احداهما الأخرى) بالتشديد : فهو من طريق التذكير بعد النسيان ، تقول لها : هل تذكرين يوم شهدنا فى موضع كذا وبحضرتنا فلان أو فلانة ؟ حتى تذكر الشهادة• ومن قرأ (فتذكر) بالتخفيف : قال : اذا شهدت للمرأة ثم جاءت الاخرى فشهدت معها : أذكرتها ، لانهما تقومان مقام رجل[8]•

٣ — يعرض الواحدى لبعض القراءات مع تسمية المصاحف دون القراء أحيانا ، من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه)[9]، قالفى البسيط: (•• وفى مصحف الشام : (قالوا) بغير واو ، لأن هذه الآية ملابسة لما قبلها ••)[10] وقال أيضا عند تفسير قوله تعالى (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم)[11] : (•• ويؤكد هذا التفسير أن فى مصحف أبى : النبى — عليه

(7) البقرة/٢٨٢

(8) الواحدى : البسيط ٥٩٣/١

(9) سورة البقرة/١١٦

(10) الواحدى : البسيط ٢٨٨/١

(11) سورة الاحزاب/٦

السلام[1] — أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم)[2] .

أما قراءة مصاحف الشام (قالوا) : فهى قراءة عبد الله بن عامر ، وهى سبعية ، وأما ما ورد فى مصحف أبى فمن المرجح أنها قراءة منسوخة ، نص على ذلك الخطيب الشربينى فى تفسيره ، فقال — معقبا على رواية راجع فيها سيدنا عمر بن الخطاب أبيا — ومعنى ذلك أن هذا كان يقرأ أولا ونسخ ، ولما روى عن عكرمة أنه قال: كان فى الحرف الأول (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أبوهم)[3] .

والواحدى لم يذكر ما ورد فى مصحف (أبى) الا على سبيل الاستئناس لتقوية وجه فى تفسير الآية أو رده عن مجاهد اذ قال : هو أبو المؤمن وعقب على تفسير مجاهد بقوله (ويؤكد هذا التفسير أن فى مصحف أبى ..)

٤ — يروى الواحدى بعض القراءات مسندة الى بعض الصحابة رضى الله عنهم ، من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا ..)[4] قال : فى البسيط .. وتوفى فلان وتوفى[5]: اذا مات، فمن قال توفى : كان معناه قبض وأخذ ، ومن قال توفى[6] : معناه توفى أجله واستوفى أكله وعمره . وعلى هذا قراءة على رضى الله عنه: يتوفون بفتح الياء ..)[7] .

وهذه القراءة رواها أبو عبد الرحمن السلمى عن سيدنا على كرم الله وجهه ، ورواها المفضل عن عاصم)[8] ، وهى قراءة شاذة قال عنها ابن‌مجاهد (ولا يقرأ بها)[9] وقد أوردها الواحدى فى سياق بيان المدلول اللغوى واستعمالات اللفظ كما يتضح من النص .

ومن أمثلة ذلك أيضا ما ذكره فى الوسيط عند تفسير قوله تعالى (انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه)[10] قال : —

(.. أى : يخوفكم بأوليائه وهم المشركون ، فحذف المفعول الثانى وحرف الجر . قال الفراء : ومثله قوله (لينذر يوم التلاق)[11] معناه : لينذركم بيوم التلاق ، وقوله (لينذر بأسا شديدا)[12] أى : لينذركم ببأس شديد . والذى يدل على هذا : قراءة أبى بن كعب : يخوفكم بأوليائه)[13] .

وواضح من النص أن مساق هذه القراءة انما هو للدلالة على وجه تفسيرى ، حيث قدم لها الواحدى بقوله : والذى يدل على هذا .. والمدلول عليه هو حذف المفعول الأول وحرف الجر . وقد أورد بعض المفسرين — كأبى‌حيان — هذه القراءة وأسندها الى أبى والنخعى[14]

---

(١) لم ترد جملة التسليم فى الروايات المماثلة فى تفاسير الطبرى والقرطبى وابن كثير فهى اما مدرجة أو زيادة فى النسخ .
(٢) الواحدى : البسيط ٤/٧ وانظر جامع البيان للطبرى ١٢٢/٢١ ، تفسير القرطبى ١١٣/١٤ وتفسير ابن كثير ٣٨٢/٦ والسراج المنير للخطيب الشربينى ٢٢٢/٣ ، تفسير الألوسى ١٥٢/٢١
(٣) الخطيب : السراج المنير ٢٢٢/٣
(٤) سورة البقرة/٢٣٤
(٥) أحد الفعلين بضم التاء والآخر بفتحها.
(٦) بفتح التاء للبناء للفاعل .

(٧) الواحدى : البسيط ٥٠٣/١
(٨) روح المعانى للالوسى ١٤٨/٢
(٩) المحتسب لابن جنى ١٢٥/١
(١٠) سورة آل عمران /١٧٥
(١١) سورة غافر/١٥
(١٢) سورة الكهف/٢
(١٣) الواحدى : الوسيط/١٢٨
(١٤) انظر البحر المحيط لابى حيان ١٢٠/٣

بينمـا ذكرها آخـرون ـ كالالوسى ـ دون اسناد[1] •

٥ ـ يعرض الواحدى بعض القراءات وينسبها لأهل الامصار دون تسمية القراء ، من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (••• واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى)[2] قال فى الوسيط : ـ

قراءة أهل المدينة والشام: بفتح الخاء[3] على معنى الخـبر ، ويؤكده : أن الذى قبله والذى بعده خبر ••)[4] على أنه قد يمكن تحديد القراء من تحديد ما تنسب اليه القراءة من البلاد والأمصار فقراءة (واتخذوا بفتـح الخاء قرأ بها نافع المدنى وعبد الله بن عامر الشامى وهما من السبعة[5] •

ثم بعـد تحديد المسالك التى سـلكها أبو الحسن فى عرض وجوه القراءات ، نأتى الى : ـ

موقف الواحدى من القراءات ومنهجه فى الاحتجاج لها :

اجتاز الواحدى ميدان عرض القراءات الى ميدان آخر أصعب مراسا ، وأدق معالجة وأحوج الى توفر الأداة وسداد النظر ، ألا وهو ميدان توجيه القراءات والاحتجاج لها ، يقول الزركشى فى هذا النوع من علوم التنزيل (وهو فن جليل ، وبه تعرف جلالة المعـانى

(١) الالوسى : روح المعانى ١٢٩/٤
(٢) سورة البقرة/١٢٥
(٣) اى فى (اتخذوا) .
(٤) الواحدى : الوسيط/٤٣ بالمخطوطة.
(٥) انظر القراءة ونسبتها الى قارئيها فى تفسير ابن عطية ٤١٥/١ تفسير الالوسى ٣٨٠/١

وجزالتها ، وقد اعتنى الأئمة به وأفردوا فيه كتبا ، منها كتاب « الحجة » لأبى على الفارسى وكتاب « الكشف » لمكى ، وكتاب « الهداية » للمهدوى ••)[6] •

وقد أغفل العلماء ـ وخاصة علماء القرآن ومؤرخو التفسير ـ دور الواحدى وجهـده فى هذا الصدد رغم ما حققه فى تفسيره من تبريز وتفوق فى التوجيه والتعليل للقراءات يضعانه فى مصاف كبار فرسان هذه الحلبة •

وقد ظاهر أبا الحسن الواحدى على ولوج هذا الميدان والمهارة فى خوض غمار هذا الفن وما تأهل به من عدته وعتاده ، ألا وهو التضلع فى علمى النحـو والعربية ، والتمرس على يد خبير ماهر من أساطين هذين العلمين ومن كبار أئمة الاحتجاج للقراءات والمصنفين فى علمها وهو الشيخ أبو الحسن على بن محمد الضرير القهندزى الذى قال عنه الواحدى ـ فى تراجم شيوخه ـ بمقدمة البسيط : (وسـعدت به أفضل ما سعد تلميذ بأستاذه ، وقرأت عليه جوامع النحو والتصريف والمعانى ، وعلقت عنه قريبا من مائة جزء فى المسائل المشكلة ، وسمعت أكثر مصنفاته فى النحو والعروض والعـلل ، وخصـنى بكتـابه الكبير فى علل القـراءات المرتبة فى كتـاب الغـاية لابن مهران)[7] •

من ثم خـاض الواحـدى فى محيـط الاحتجاج للقراءات بدربة وأهليـة ورسـوخ علمى مكنه من الغوص فى قراره ، والتقـاط الدر من أصدافه ومحاره • وتتمثل معـالم موقف الواحدى من القـراءات ومنهجـه فى توجيهها والاحتجاج لها فيما يلى :

(٦) الزركشى : البرهان : ٣٣٩/١
(٧) الواحدى : البسيط : ٧/١

أولا : موقفه من القراءة المتواترة :

ينبني موقف الواحدى ازاء القــراءات المتــواترة ــ فى تفســـيره ــ عــلى ركنين أساسيين :

أولهمــا : تقــوية وجه تلك القــراءة الصحيحة والتمكين لها فى الصحة بتوجيههــا والاحتجاج لها وابراز ما تستند اليه من القوة والرجحان ، شريطة ألا يكون ذلك على حساب قراءة أخرى صحيحة ، بحيث ينال الاحتجاج لقراءة من صحة قراءة أخرى .

من ثم كان دور الواحــدى بصـــدد الاحتجاج للقراءات المختلفة المتواترة : هــو ابراز مرجحات تلك الوجوه المختلفة ، مــع التسليم بصحة كل وجه وان مال اختياره الى وجه منها ، ولنأخذ لذلك مثلا :

يقول الواحدى ــ فى البسيط ــ عنــد تفسير قوله تعالى : (مالك يوم الدين)[1] (.. وفى هــذا الحــرف قراءتان (مالك) و (ملك) . فمن قرأ (ملك) قال : الملك[2] أشمل وأتم ، لأنه قد يكون مالكا ولا ملك[3] له ، ولا يــكون ملك الا وله ملك[4] . ولأنه لا يقال مالك على الاطلاق حتى يضــاف الى شىء ، ولا يقال ملك على الاطلاق ، واحتج محمد بن جرير[5] لهذه القراءة فقال :

ان الله نبه على أنه مالكهم بقوله (رب العالمين) ، فحمل قوله (ملك يوم الدين) على وصف زايد أحسن .

(١) سورة الفاتحة/٤

(٢) بضم الميم .

(٣) بضم الميم .

(٤) بكسر الميم .

(٥) هو الامام الطبرى شيخ المفسرين .

وقال محمد بن السرى[6] : الملك : الذى يملك الكثير من الأشياء ، ويشارك غيره من الناس بالحكم عليه فى ملكه ، وأنه لا يتصرف فيه الا بما يطلقه له الملك . ومع ذلك : ان الملك يملك على الناس أمورهم ، فلا يستحق اسم الملك حتى يجتمع له ملك هذا كله . فكل ملك مالك ، وليس كل مالك ملكا .

ويقوى هذه القراءة من التنزيل : قوله : (فتعالى الله الملك الحق)[7] وقوله (..الملك القــدوس)[8] و (ملك الناس)[9] و (لمن الملك اليوم)[10] ولم يقل : لمن الملك[11] .

وأكثر أهل اللغة : اختاروا (مالك) : أبو عبيــدة ، وأبو حاتم ، والأصــمعى ، والأخفش ، وأبو العباس . وقالوا : انه أجمع وأوسع ، لأنه يقال : مالك الطير والدواب ، والوحش ، وكل شىء ، ولا يقال : ملك كل شىء ، انما يقــال : ملك النــاس : قالوا : ولا يكون مالك الشىء الا وهو يملكه ، وقد يكون ملك الشىء وهو لايملكه[12] كقولهم: ملك العرب والعجم .

(٦) هو أبو بكر : محمد بن السرى السراج البغدادى النحوى (ت : سنة ٣١٦ هـ) انتهت اليه رئاسة النحو بعد المبرد ، من تصــانيفه . احتجاج القراءة (نزهة الالباء ص ٢٤٩) .

(٧) سورة (طه) /١١٤

(٨) سورة الحشر/٢٣

(٩) سورة الناس/٢

(١٠) سورة غافر/١٦

(١١) بكسر الميم .

(١٢) من الواضح أن هذه الحجة فى مقابلة قول أنصار قراءة (ملك) : (الملك أشمل وأتم ، لانه قد يكون مالكا ولا ملك ولا يكون ملك الا وله ملك ــ بالكسر ــ) والواقع أن بينهما عمــوما وخصوصا وجهيا ، فيجتمعان مثلا فى شــخص سيدنا يوسف ــ على نبينا وعليه السلام ــ اذ انه كان مالك رقاب المسلمين ــ بمقتضى شرعهم ــ أيام القحط وهو ملك . والتاجر مالك غير ملك ، والسلطان على بلد لا ملك له فيه ملك غير مالك (انظر تفسير الالوسى ٨٣/١) .

ولأنه يجمع الاسم والفعل • ولأن معنى الآية : أنه يملك الحكم يوم الدين بين خلقه دون غيره • فالوصف يكون مالكا •

واحتج أبو العباس لهذه القراءة فقال (مالك يوم الدين) معناه : يملك اقامة يوم الدين على معنى : يملك أن يأتى به • واذا كان المعنى على هذا : فالوجه مالك لا ملك •

ومما يقوى هذه القراءة من التنزيل : قوله (والأمر يومئذ لله)[١] ، فقولك الأمر له ، وهو مالك الأمر ، بمعنى : ألا ترى أن لام الجر معناها الملك ؟ ؟ ومن نصر هذه القراءة أجاب ابن جرير بأن قال :

ما ذكرت لا يرجح قراءة (ملك) ، لأن فى التنزيل أشياء على هذه الصورة قد تقدمها العام وذكر بعده الخاص ، كقوله : (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق)[٢] وقوله (الذين يؤمنون بالغيب)[٣] ثم قال : (وبالآخرة هم يوقنون)[٤] فى أمثال كثيرة لهذا • فمن قرأ (مالك يوم الدين) : فقد أضاف اسم الفاعل الى الظرف ، وحذف المفعول من الكلام للدلالة عليه ، تقديره : مالك يوم الدين الأحكام ، لأن القديم سبحانه ينفرد فى ذلك اليوم بالحكم • فأما الدنيا : فانه يحكم فيها أيضا : الولاة والقضاة •

وعلى ما ذكره أبو العباس : الآية تكون من باب حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ، وهو كثير فى الكلام)[٥] •

(١) سورة الانفطار/١٩
(٢) سورة العلق/١ — ٢
(٣) سورة البقرة/٢
(٤) سورة البقرة/٣
(٥) الواحدى : البسيط ١/٢٥ — ٢٦

وهكذا يورد الواحدى احتجاج العلماء لكل من القراءتين المتواترتين[٦] ، ويعرض مستند كل من الفريقين — فى أمانة علمية وبعد عن التعصب — حتى أننا لا نكاد نلمس اختياره الا من خلال القرائن الغير مباشرة ، فنراه يعرض أولا احتجاج الطبرى وابن السراج لقراءة (ملك) ، ثم يورد مقوياتها من التنزيل ، ثم يعرض ثانيا مستند الفريق الثانى (اللغويين) فى الاحتجاج لقراءة (مالك) ، كما يعرض سندها من التنزيل — كما فعل مع القراءة الأولى •

أما ميل الواحدى واختياره : فهو — وان لم يصرح به — قد كان مع الفريق الثانى المرجح لقراءة (مالك) ، وقد اتضح ذلك من خلال ايراد تعقيب اللغويين على احتجاج الطبرى كما تضمن احتجاجهم ردا على احتجاج ابن السراج ، ومن ثم كشف انفراد اللغويين بالتعقيب على احتجاج الأولين ، بالاضافة الى توجيه المعنى أخيرا وتقدير المحذوف على أساس قراءة (مالك) عن ميل الواحدى واختياره دون ان ينال الواحدى من صحة القراءة الأخرى ، اذ يبقى مع الاختيار لكل من القراءتين ، ووجهها وسندها من التنزيل والرأى •

وأما الركن الثانى الذى يعتمد عليه موقف الواحدى من القراءة المتواترة : فهو عدم جواز تخطئة القراءة التى يمكن حملها على وجه صحيح فى العربية •

والواحدى — بهذا المبدأ — يرتفع فى منهجه عن مناهج بعض النحاة بل وعن بعض

(٦) ذكر أبو على الفارسى : ان قراءة (مالك) لعاصم والكسائى ، وقرأ بقية السبعة (ملك) انظر الحجة ٥/١

المفسرين الذين حكموا قواعد النحو واللغة ــ حسبما يرونها ــ فى صحة القراءات واخضعوا القراءة لمذاهبهم وقواعدهم فردوا كثيرا من القراءات المتواترة (السبعية) ، وأنكروها ، ولبئسما كانوا يفعلون[1] •

على العكس من ذلك كان الواحدى ، فلم يصرح برد قراءة متواترة ولم ينكرها كما فعل هؤلاء ، وانما صرح فى تفسيره بعدم جواز تخطئة القراءة الصحيحة طالما يمكن أن تتجه فى العربية على وجه من الصحة ، ودافع الواحدى فى تفسيره كثيرا عن القراءة المتواترة فى وجه هؤلاء الذين اقتات المستشرقون ــ أخيرا ــ على موائدهم حجج الطعن فى القراءة القرآنية[2] فمن أمثلة دفاع الواحدى عن القراءة المتواترة واحتجاجه لها فى وجه من يخطئونها أو يقدحون فيها : ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ••)[3] قال فى البسيط :

وقرأ (حمزة) : يخافا ــ بضم الياء ــ وخاف يتعدى الى مفعول واحد ، فان عديته الى مفعول ثان : ضعفت العين ، أو اجتلبت حرف الجر ، كقولك : خوفت زيدا عمرا ، واجتلاب حرف الجر كقوله (•••••)[4] ، فحرف الجر فى موضع المفعول الثانى •

وحمزة بنى الفعل للمفعول به ــ وهو الزوجان ــ وقدر الجار ليتعدى الى المفعول الآخر الذى هو (أن يقيما) ، فلا بد من تقدير الجار فى قراءة من ضم الياء ، لأن الفعل قد اسند الى المفعول ، فلا يتعدى الى المفعول الآخر الا بالجار •

ولا يحتاج فى قراءة العامة الى تقدير الجار • ثم يكون قوله (أن يقيما) ــ على هذه القراءة ــ فى محل الجر بالجار المقدر ــ على مذهب الخليل والكسائى ــ وفى محل النصب ــ على قول غيرهما ــ لانه لما حذف الجار : وصل الفعل الى المفعول الثانى مثل: استغفر الله ذنبا ، وامرتك الخير ، وهذا كما ذكرنا فى قوله (أن تبروا)[5] على قراءة العامة ، يكون فى محل النصب لا غير ، لانه لا يحتاج فيه الى تقدير الجار)[6] •

هذا هو توجيه قراءة حمزة فى العربية يقدمه الواحدى أولا لتتجه القراءة على وجه صحيح ثم نجده بعد يعرض لموقف الفراء من القراءة ويتعقبه مصرحا بقاعدته المنهجية فيقول : (وعاب الفراء قراءة (حمزة) فقال :

أراد أن يعتبر قراءة عبد الله[7] (الا أن يخافوا) فلم يصبه ، لأن الخوف فى قراءة

---

(١) من أبرز هؤلاء النحاة واللغويين : الفراء والزجاج والمبرد ومن المفسرين الزمخشرى .

(٢) ذهب المستشرق (جولد تسيهر) الى أن نشأة قسم كبير من الاختلاف فى القراءات ترجع الى رسم المصحف (انظر مذاهب التفسير الاسلامى ص ٨) وقد سبق الزمخشرى الى هذه الفرية ، اذ خطأ قراءة ابن عامر فى قوله تعالى (وكذلك زين للمشركين قتل أولادهم شركاؤهم) ــ الانعام ١٣٧ ــ (برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء) فقال فى الكشاف (٥٤/٢) : ــ (والذى حمله على ذلك أن راى فى بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء) !! من ثم تجاهل الزمخشرى جانب الرواية والتواتر وصحة السند حتى قال فيها ما قال ، وفتح الباب على مصراعيه امام امثال جولد تسيهر لينفث سموم استشراقه. وللتفصيل : انظر اثر القراءات فى الدراسات النحوية د. عبد العال سالم/٩ ــ ١١

(٣) سورة البقرة/٢٢٩

(٤) بالاصل اضطراب فى النسخ وتحريف شديد فى المثال .

(٥) سورة البقرة/٢٢٤

(٦) الواحدى : البسيط ٤٢٩/١

(٧) قرأ عبد الله بن مسعود ــ رضى الله عنه ــ (الا أن يخافوا) انظر البحر المحيط ١٩٨/٢

عبد الله واقع على (أن) وفى قراءة حمزة : على الرجل والمرأة .

فقال من نصر حمزة ، إن بلـغ الفراء ما يقوله ــ برواية ــ عن حمزة انه أعتبـر قراءة عبد الله ، فهو كما قال . والا : فاذا اتجه قراءته على وجه صحيح : لم يجز أن ينسب اليه الخطأ ، وقد قال عمر ــ رضى الله عنه ــ لا تحمل فعل أخيك على القبيح ما وجدت له فى الحسن مذهبا)[1] .

لقـد اتخذ الواحـدى ــ ازاء قراءة حمزة ــ موقف الدفاع عنها أمام الفراء الذى يبدو أنه لا يقيم للسند أو الرواية فى القراءة وزنا ، وانه يعول تماما ــ فى نقد القراءة ــ على الصناعة النحوية فيقـوم القراءة على أساسها ويخطئهـا بمقتضـاها حتى ولو ثبت تواترها ، وتلك سقطة لا تغتفر للفراء ولا لمن حذا حذوه ، لأن المعول عليه أصلا فى القراءة انما هو النقل الصحيح والاثر الثابت فاذا ثبتت القراءة بالنقل الصحيح صارت سـنة متبعة يجب قبولها ولا يجوز ردها بناء على الاقيس أو الأفشى فى العربية ، يقول أبو عمرو الدانى ــ فيما نقله عنه صاحب الاتقان :

(وأئمة القراء لا تعمـل فى شىء من حروف القرآن على الأفشى فى اللغة، والأقيس فى العربية ، بل على الاثبت فى الاثر ، والأصح فى النقل ، واذا ثبتت الرواية لم يردها قياس عربية ، ولافشو لغة ، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير اليها)[2] وليت شعرى كيف يسوغ رد القراءة الصحيحة فى النقـل بمقتضى اللغة أو النحو ومحيط الضاد لا ساحل له ، وشعاب النحو لا تحصى كثرة فى السماع

والقياس ، وفيهمـا ما يستوعب توجيه أكثر القراءات شـذوذا فضـلا عن القـراءة المتواترة[3] !! أليس من الشـطط البين ــ حقا ــ أن يرد ثابت النقل ببعض ما يذهب اليه الرأى والعقل ؟؟ لقد كان رد الواحدى على الفراء على قدر كبير من الاحكام ، كمـا تضمن نوعا من الاستخفاف بمنطق الفـراء فى نقد قراءة حمزة . اذ أتى اليه أولا من قبل الرواية ــ التى يغفل جانبها فى القراءة ــ فعلق صحة نقد الفراء على افتراض وهمى لا يقوى الفراء على اثباته ــ وهو ثبوت رواية الفراء عن حمزة بأنه أراد من قراءته اعتبار قراءة ابن مسـعود ــ وهيهــات أن يكون كذلك ، لأن مبنى قراءة حمزة هو النقـل بالسند الصحيح وليس القياس أو الاجتهاد ، وحيث أن الفراء لا يملك اثبات زعمه برواية عن حمزة : كان ربطه قراءة حمزة بقراءة ابن مسعود ضرب من وهم الفراء ، نسجه تجاهله للركن الأصـيل فى القـراءة وهـو الرواية الصحيحة ، وحيث وجد مع النقل الصحيح وجه صحيح للقراءة فى العربية ــ وقد قدمه الواحدى ــ فلا يجوز الطعن فيها بحال .

ومن تلك المـواقف التى وقف فيهـا الواحـدى ازاء القـراءة الصحيحة بالحجة والتوجيه والتعليل فى وجه من يطعن فيها من النحاة : ما ذكره عنـد تفسير قوله تعـالى (ما أنا بمصرخكم وما أنـتم بمصرخى)[4] اذ قال فى تفسيره (البسيط) :

---

(١) الواحدى : البسيط ٤٩٢/١

(٢) السيوطى : الاتقان ٢١١/١

(٣) أفرد ابن جنى مصنفا عظيمـا لتوجيه القراءات الشاذة والايضاح عنهـا وهو كتـاب المحتسب ، وقد أصدره المجلس الاعلى للشئون الاسلامية سنة ١٣٨٦ فى مجلدين بتحقيق الاستاذ على النجدى ناصف ، د. عبد الحليم النجار ، د. عبد الفتاح شلبى وفى الكتاب جهد رائع فى الاحتجاج للقراءات الشاذة .

(٤) سورة ابراهيم/٢٢

(وقرأ حمزة : (بمصرخى) — بكسر الياء — وهى قراءة الأعمش ، ويحيى بن وثاب : قال الفراء : ولعلها من وهم القراء ، فانه قل من سلم منهم من الوهم ، ولعله ظن أن الباء فى (بمصرخى) خافضة للحرف كله ، والياء من المتكلم خارجة من ذلك .

ومما نرى أنهم أوهموا فيه قوله (نوله ما تولى ونصله[1] جهنم) ، ظنوا — والله أعلم — أن الجزم فى الهاء ، والهاء فى موضع نصب ، وقد انجزم الفعل قبلها بسقوط الياء منه ، فان يك ذلك[2] صحيحا : فهو مما يلتقى من الساكنين منه[3] ، قال : وسمعت بعض (العرب)[4] ينشد :

(قال)[5] لها هل لك ياتاقى
قالت له ما أنت بالمرضى

فخفض الياء من (فى) ، فان يك ذلك صحيحا : فهو مما يلتقى من الساكنين فيخفض الآخر منهما وان كان له أصل فى الفتح ، ألا ترى أنهم يقولون : لم أره منذ اليوم[6] والرفع فى الذال هو الوجه ، (لأنه أصل حركة مذ)[7] ، والخفض جائز ، فكذلك الياء من (مصرخى) خفضت ولها أصل فى النصب ، انتهى كلامه .

وقال أبو اسحق :

هذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مرذولة ، ولا وجه لها الا وجه ضعيف وهو ما أجازه الفراء من الكسر على أصل التقاء الساكنين ، وأنشد :

قال لها هل لك ياتاقى
قالت له ما أنت بالمرضى

وهذا الشعر مما لا يلتفت اليه ، فليس يعرف قائل هذا الشعر من العرب[8] ، ولا هو مما يحتج به فى كتاب الله .

قال أبو على زعم قطرب أن هذه لغة فى يربوع ، يزيدون على ياء (الاضافة ياء)[9] وأنشد :

ماض اذا ما هم بالمرضى
قال لها هل لك ياتاقى[10]

قال : ووجه ذلك من القياس : أن الياء ليست تخلو من أن تكون فى موضع نصب أو

---

(١) سورة النساء/١١٥ وهو يريد قراءة ابى عمرو وحمزة وابى بكر بتسكين الهاء فى (قوله) و (نصله) .

(٢) المشار اليه هو وجه قراءة حمزة (بمصرخى) بكسر الياء — وهذه العبارة مقدمة عن موضعها فى كلام الفراء .

(٣) فى العبارة — فى البسيط — خطأ فى النقل عن الفراء ، وسترد العبارة صحيحة مكررة بعد فى النص .

(٤) ما بين القوسين ساقط بالاصل ، واثبتها من نص الفراء فى معانى القرآن ٧٦/٢

(٥) فى البسيط (قلت) والتصحيح من اصل كلام الفراء . أنظر معانى القرآن ٧٦/٢

(٦) العبارة فى معانى القرآن (... لم اره مذ اليوم ومذ اليوم) بضم ذال مذ الاولى وكسر الثانية .

(٧) ما بين القوسين ساقط فى البسيط واثبته من اصل النص فى معانى القرآن ٧٦/٢

(٨) البيت للأغلب العجلى كما فى البحر المحيط (٤١٩/٥) وكما ذكره الألوسى فى تفسيره (٢١٠/١٣) وقال (وجهل الزمخشرى به كالزجاج لا يلتفت اليه) !!

(٩) ما بين القوسين ساقط فى البسيط ، واثبته من عبارة قطرب كما نقلها القرطبى فى تفسيره (٣٥٧/٩) .

(١٠) فى تعليق على هذا البيت — بهامش من تفسير الألوسى ٢١٠/١٣ — ذكر قبله : اقبل فى ثوب معافرى .. عند اختلاط الليل والعشى .. ماض اذا ما هم بالمضى . اهـ منه .

جر . فالياء فى النصب والجر كالهاء فيهما ، وكالكاف فى أكرمتك ، وهذا لك ، فكما أن الهاء قد لحقتها الزيادة فى قولك : هذا الشيء لهو ، وضربهوا ، ولحق الكاف أيضا الزيادة فى قول من قال : أعطيتكاه ، وأعطيتكيه — فيما حكاه سيبويه — وهما أختا الياء ، وكما لحقت التاء بالزيادة فى نحو ما أنشد :

رميتيه فأصمنت
وما أخطأت الرمية

كذلك ألحقوا الياء الزيادة (....[1])، ثم حذفت الياء الزائدة على الياء ، كما حذفت من الهاء فى قوله (وماله من مجد تليد ... البيت[2]) .

وكما حذفت الزيادة من الكاف فى قول من قال (أعطيتكه وأعطيتكيه) ، كذلك حذفت الياء اللاحقة للياء كما حذفت من أختيها ، وأقرت الكسرة التى كانت تلى الياء المحذوفة، فبقيت الياء على ما كانت عليه من الكسرة ، فاذا كانت هذه الكسرة فى الياء على هذه — وان كان غيرها أفشى منها — وعضده من القياس ما ذكرنا : لم يجز لقائل أن يقول : ان القراءة بذلك لحن ، لاستقامة ذلك فى السماع والقياس ، وما كان كذلك لا يكون لحنا[3]) .

وهكذا يقف الواحدى الى جانب القراءة المتواترة بالتوجيه والاحتجاج وبيان ماتستند اليه من القياس والسماع فى العربية ليقطع الطريق على مخطئيها ، وليثبت بطلان من أدعى بأنها لحن بابراز استقامتها فى السماع والقياس ، وهذا الموقف — بحق — يرتفع بالواحدى عن مهاوى الزيغ التى تردى فيها من لم يرعوا للقراءة المتواترة حرمة فلجوا فى طغيانهم كالفراء ، وأبى عبيد ، والأخفش ، والزجاج ، ثم الزمخشرى . فلست أدرى والله كيف يستبيح الفراء لنفسه أن يقول عن قراءة حمزة (لعلها من زعم القراء) ثم يرمى حفظة كتاب الله تعالى بهذه القذيفة اذ يقول (فانه قل من سلم منهم من الوهم) ولست أدرى كيف يستسيغ أبو عبيد أن يقول فى حمزة ومن وافقه فى قراءته (بمصرخى) — بالكسر — (نراهم غلطوا[4]) !! وكيف يتجاهل الأخفش تواتر القراءة ثم يزنها بميزان النحو فحسب فيقول (ما سمعت هذا الكسر من أحد من العرب ، ولا من أحد من النحويين[5] ؟ ؟

وعجبى يطول من قول الزجاج فيها (انها عند الجميع رديئة مرذولة ، ولا وجه لها الا وجيه ضعيف[6]) ! ثم يأتى الزمخشرى أخيرا ليقول فيها (هى ضعيفة ، واستشهدوا لها ببيت مجهول) ثم يتعقب توجيه العلماء للقراءة فيقول : (والقول بأنه جرت الياء الأولى مجرى الحرف الصحيح لأجل الادغام فكأنها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الأصل : ذهاب الى القياس وهو قياس حسن ، ولكن الاستعمال المستفيض الذى هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل اليه القياسات)[7] .

ومن العجيب أن الزمخشرى — هنا — يقيس الاستعمال اللغوى المستفيض — الذى

---

(١) ما بين القوسين محرف فى البسيط ، وصورته قريبة من (من المسند فقالوا فى) .
(٢) لم أقف على تخريجه .
(٣) الواحدى : البسيط ٣٩٥/٤ — ٣٩٦

(٤) انظر روح المعانى للالوسى ٢١٠/١٣
(٥) نفس المصدر .
(٦) نفس المصدر .
(٧) الزمخشرى : الكشاف ٣٧٥/٢

يحتج به — على الخبر المتواتر فى قوة الاحتجاج ، ووجوب القبول له ، وتضاؤل القياس بالنسبة اليه بينما هو لا يرعى للخبر المتواتر — المقيس عليه — أى حرمة ، اذ يطعن فى القراءة المتواترة وهى عند الأثبات من السلف والخلف سنة متبعة •

ولا ريب أن هذا الموقف للزمخشرى ولمن ذكرنا من النحويين لا يغتفر لهم ، ولم يتركه لهم المنصفون من العلماء دون حساب ، فهاهو ذا الامام الالوسى يعلق على أقوالهم التى أوردناها — بعد أن ذكرها فى تفسيره — قائلا : (وقد قلد هؤلاء الطاغين جماعة ، وقد وهموا طعنا وتقليدا ، فان القراءة متواترة عن السلف والخلف ، فلا يجوز أن يقال فيها انها خطأ أو قبيحة أو رديئة ، وقد نقل جماعة من العلماء أنها لغة ، لكنه قل استعمالها[1] •

ثانيا : موقف الواحدى من القراءة الشاذة :

يعرض الواحدى للقراءة الشاذة بازاء القراءة المتواترة فى مواضع عديدة من تفسيره ويحتج لها بما يوضح به صوابها توطئة للافادة منها فى تقوية بعض الوجوه التفسيرية أو نحو ذلك • بيد أننا نجدالواحدى يجنح باختياره الى القراءة المتواترة بعد بيان وجهة القراءة الشاذة ومبلغ صوابها فى العربية •

من أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (غيرالمغضوب عليهم)[2] : حيث احتج لقراءة (غير) بالجر — وهى للسبعة ما عدا ابن كثير فى أحد قوليه — كما احتج لقراءة (غير) بالنصب — وقد رويت عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كما روى ذلك شاذا عن ابن كثير[3] — يقول الواحدى فى (البسيط) : —

وقوله تعالى (غير المغضوب عليهم) : غير ينخفض على ضربين : على البدل من (الذين) ، ويستقيم أن يكون صفة (الذين) (غير) نكرة ، ويجوز أن يقع ههنا صفة للذين ، لأن الذين ههنا ليس بمقصود قصدهم فهو ، منزلة قولك ، انى لأمر بالرجال مثلك فأكرمه •

ويجوز النصب على ضربين : على الحال، والاستثناء ، أما الاستثناء : فكأنك قلت : الا المغضوب عليهم ، وهو استثناء الشيء من غير جنسه ، حق (غير) فى الاستثناء النصب اذا كان مابعد الا منصوبا •

وأما الحال : فكأنك قلت : صراط الذين أنعمت عليهم لا مغضوبا عليهم وقال ابن السراج : ويجوز عندى النصب على أعنى ، وقد حكى عن الخليل نحو هذا أنه أجازه على وجه القطع من الأول كما يجيء المدح •

ولمن نصب أن يقول : (غير نكرة ، وكرهت أن أصف بها المعرفة)[4] •

---

(1) الالوسى :روح المعانى ٢١٠/١٣
(2) سورة الفاتحة/٧

(3) قال الطبرى فى تفسيره (وقد يجوز نصب غير فى (غير المغضوب عليهم) وان كنت للقراءة بها كارها لشذوذها عن قراءة القراء) ثم وجه لقوله (٧٨/١) . وقرأ بهذه القراءة أيضا : سيدنا على ، وابن مسعود ، وابن الزبير ، انظر لتخريجها مع القراءة المتواترة فى (الحجة) لأبى على الفارسى (١٠٥/١) ، المحرر الوجيز لابن عطية (١٢٧/١ — ١٢٨) ، البحر المحيط لأبى حيان (٢٩/١) ، روح المعانى للالوسى (٦٥/١)
(4) الواحدى : البسيط ٣٨/١ — ٣٩

ثم يعرب الواحدى عن اختياره للقراءة المتواترة ويدافع عن ذلك قائلا : ـــ

(والاختيار : الكسر ، ولا يلزم وصف المعرفة بالنكرة ، لأن حكم كل مضاف الى معرفة أن يكون معرفة ، وانما تنكرت (غير) و (مثل) مع اضافتهما الى المعارف من أجل معناهما ، وذلك أنك اذا قلت : رأيت غيرك ـــ وكل شيء يرى سوى المخاطب هو غيره ـــ وكذلك اذا قال رأيت مثلك ، فما هو مثله لا يحصى ، يجوز أن يكون مثله فى خلقه وخلقه وفى جاهه وفى نسبه وفى علمه ، فانما صارا نكرتين من أجل المعنى . فأما اذا كان شيء معرفة له ضد واحد وأردت اثباته ونفى ضده ، وعلم السامع ذلك الضد ، فوصفته بغير ، وأضفت (غير) ، الى ضده فهو معرفة ، وذلك نحو قولك : عليك بالحركة غير السكون ، فغير السكون معرفة ، وهو الحركة ، فكأنك كررت الحركة تأكيدا ، وكذلك قوله (أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم) ، فغير المغضوب عليهم : هم الذين أنعم عليهم ، لأن من أنعم عليه بالايمان فهو غير مغضوب عليه ، فهو مساوله فى معرفته ، ومتى كان (غير) بهذه الصفة ، وقصد بها هذا القصد فهى معرفة ، وكذلك لو عرف انسان بأنه مثلك فى ضرب من الضروب فقيل فيه قد جاء مثلك ، لكان معرفة ، اذا أردت المعروف بشبهك ، والمعرفة والنكرة بمعانيهما .

ومن جعل (غير) بدلا : استغنى عن هذا الاحتجاج ، لأن النكرة قد تبدل من المعرفة انتهى كلام ابن السراج)[1] .

ورغم اختيار الواحدى للقراءة المتواترة ـــ بجر (غير) ـــ واحتجاجه لها بكلامه المؤيد بكلام ابن السراج ثم باحتجاج أبى على الفارسى ، الا أنه مع ذلك يعود فينصب نفسه للدفاع عن وجه القراءة الشاذة ، وينبرى للفراء ، الذى طعن فى توجيه نصب (غير) على الاستثناء يقول الواحدى : ـــ

(وأما عن نصب (غير) على الاستثناء : فان الفراء ينكر جواز ذلك ، وقال : لو كان (غير) ههنا منصوبا على الاستثناء كان بمعنى سوى ، فلا يجوز أن يعطف عليه بقوله ولا ، لأن (لا) نفى وجحد ، ولا يعطف بجحد الا على جحد ، ولا يجوز فى الكلام استثناء يعطف عليه بجحد ، كما تقول : رأيت القوم الا زيدا ولا عمرا ، وانما يعطف الجحد على الجحد ، كما تقول : ما قام أبوك ولا أخوك .

ومن أجاز الاستثناء فانه يقول : لا يمتنع دخول (لا) بعد الحرف العاطف ، لأن الاستثناء يشبه النفى ، ألا ترى أن قولك : جاءنى القوم الا زيدا ، بمنزلة قولك: جاءنى القوم لا زيد ؟ فيجوز أن تعطف بلا ، حملا على المعنى . ويجوز أن تجعلها زيادة فى هذا الوجه كما تجعلها زيادة فى قوله (ومايستوى الأحياء ولا الأموات)[2] واذا جاز دخول (لا) مع الاستثناء لهذين الوجهين ، فلا وجه لقول من أنكره)[3] .

ثم نجد الواحدى ـــ بعد أن احتج للقراءة الشاذة فى (غير المغضوب عليهم) ، ودافع عن توجيهها ـــ يفيد ـــ منها فى تعزيز الوجه التفسيرى وتقويته ، حيث أنه يفسر (المغضوب عليهم) و (الضالين) بما ورد فى الحديث

---

(١) الواحدى: البسيط ٣٩/١ ، وانظر نص ابن السراج فى (الحجة) لأبى على الفارسى ١٠٦/١ ، ١٠٧ .

(٢) سورة فاطر/٢٢

(٣) الواحدى : البسيط ٤٠/١

الشريف من أنهم اليهود والنصارى • ثم يؤكد هذا التفسير بمظاهرة تلك القراءة الشاذة له فيقول : —

وهذا التفسير : يوافق فى ظاهر اللفظ قراءة من قرأ (غير) بالنصب على معنى الاستثناء ، كأنه استثنى اليهود والنصارى من الذين أنعم عليهم ، وكان المسلمون قد سألوا أن يهديهم طريق المنعم عليهم لا طريق اليهود والنصارى • وهذه قراءة شاذة[1]) •

كذلك نجد الواحدى يعرض وجه القراءة الشاذة أثناء احتجاجه للقراءة المتواترة ، ثم يصوب وجه القراءة الشـــاذة رغم اختياره واحتجاجه للمتواترة •

من ذلك — مثلا — ما ذكره عند تفسير قوله (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها[2]) يقول فى (البسيط) : —

(اللون مرفوع ، لأنك لم ترد أن تجعل (ما) صلة ، فتقول : يبين لنا لونها ، وقد قرى بها شاذا ، وهو صواب ولكنه[3] ••) ثم يمضى الواحدى فى احتجاجه لرفع (لونها على القراءة المعتمدة •

كذلك يفيد الواحدى من القراءة الشاذة فى تقرير وتوجيه بعض القواعد النحوية من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (ووصى بهـــا ابراهيم بنيه ويعقـــوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين[4]) يقول :

أراد : أن يا بنى ، فحذف (أن) كأنه قال : وصاهم أنّ يا بنى • وكذلك هو فى قراءة

(١) الواحدى : البسيط ٤٢/١
(٢) سورة البقرة/٦٦
(٣) الواحدى : البسيط ٢١٣/١
(٤) سورة البقرة/١٣٢

أبى ، وابن مسعود : باثبات (أن) ، قال الفراء : انما حذف (أن) لأن الوصية قول ، وكل كلام رجع الى القول جاز فيـــه دخول (أن) وجاز الغاؤه ، كما قال (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر[5]) ولم يقل أن للذكر ، كأن معناه : قال الله : للذكر ، فجرى الوصية على معنى القول ، قال : وأنشدنى الكسائى :

انى سأبدى لك فيما أبدى• لى شجنان
شجن بنجد•• وشجن لى ببلاد السند[6]

ولم يقل (أن لى) ، لأن الابداء بلسانه فى معنى القول ، قال : ومثله قوله (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة[7]) ، لأن العدة قول ، واذا جعلت الوصية بمعنى القول : لا يحسن أن يقال : أراد أن يابنى فحذف ، لأنه لا يحتاج الى اضمار (أن) مع القول[8] •

ان الواحدى فى هذا النص يذهب مذهب البصريين فى تقدير (أن) التفسيرية حيث سبقها ما فيه معنى القول ، لذا قال : (أراد أن يابنى فحذف (أن) كأنه قال : وصاهم أن يـــا بنى) وهـــذا ما لا يروق للفـــراء (الكوفى[9]) اذ قال : (اذا جعلت الوصية بمعنى القول : لا يحسن أن يقال : أراد يابنى فحذف ، لأنه لا يحتاج الى اضمار (أن) مع القول) •

بيد أن الواحدى اصطحب معه مستنده فى تقدير (أن) وهو القراءة الشاذة ، فقال :

(٥) سورة النساء/١٢
(٦) الرجز فى لسان العرب ٩٧/١٧ وفيه (الهند) بدل (السند) •
(٧) سورة المائدة/٩
(٨) الواحدى : البسيط ٣١٤/١ — ٣١٥
(٩) قال ابن هشام (وعند الكوفيين انكار (أن) التفسيرية البتة ، وهو عندى متجـــه (المغنى ٣١/١) •

(وكذلك هو فى قراءة أبى وابن مسعود ، باثبات (أن) فجاءت القراءة مقررة لرأيه • ونجد الواحدى أيضا يذكر القراءة الشاذة فى تفسيره ليفيد منها فى توجيه قراءة أخرى وابراز وجهها التفسيرى • وفى بعض المواضع نجده يستعين بالقراءة الشاذة لازالة اللبس المنوط بقراءة لأحد السبعة من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال[1]) قال فى البسيط : —

وقرأ الكسائى[2] (لتزول) — بفتح اللام الأولى وضم الثانية — وعلى هذه القراءة : معنى قوله (قد مكروا مكرهم) يعنى الأمم الكافرة من قبل وهم الذين ذكروا فى قوله : (الذين ظلموا أنفسهم) وهو معنى قول ابن عباس : يريد ما مكر نمروذ بابراهيم ويجوز أن يعنى أيضا : مكر الكفار بالنبى صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا ، (وان كان مكرهم) : معنى (ان) على هذه القراءة : المخففة من الثقيلة ، قاله أبو على • وقال أبو بكر : (ان) مع اللام يعنى بها ههنا (قد) كما يقول العربى : ان كان عبد الله ليزورنا ، يريد : قد كان واللام فى (لتزول) : لام الجواب ، والمستقبل بعدها مرفوع ، والمعنى : قد كانت الجبال تزول من مكرهم ، على تعظيم أمر مكرهم ، كقوله (ومكروا مكرا كبارا[3]) •

وقال أبو اسحق : وان كان مكرهم يبلغ فى الكيد الى ازالة الجبال فان الله ينصر دينه

فان قيل : هذه القراءة — على ما ذكرتم — توجب أن الجبال قد زالت بمكرهم ، هل كان ذلك ؟ والجواب عن هذا من وجهين : أحدهما لأهل المعانى والثانى للمفسرين •

أما أهل المعانى فانهم قالوا : هذه مبالغة فى وصف مكرهم بالعظيم — وأن لم يكن جبل قط زال لمكرهم — فهذا على مذهب العرب فى المبالغة ، يقول : وان كان مكرهم قد بلغ من كبره وعظمه أن يزيل ما هو مثل الجبال فى الارتفاع على ما أراد ازالته ، كأنه قيل : لو أزال مكرهم الجبال لما أمر الاسلام •

يدل على صحة ما ذكرنا : قراءة جماعة من الصحابة[4] : (وان كاد مكرهم لتزول بالدال : قد قاربت الجبال أن تزول[5]) •

ثالثا : الأسس التى يقوم عليها منهجه فى الاحتجاج للقراءات والترجيح بينها :

بعد أن عرضنا لموقف أبى الحسن الواحدى من القراءات المتواترة والشاذة • وكيف وقف منها موقف المرجح بينها والمحتج لها أو عليها نأتى هنا الى تحديد ركائز منهجه فى التعليل والتوجيه والاحتجاج • وقد أفضت بى الدراسة الى استخلاص أهم الأسس التى قام عليها هذا المنهج وتتمثل فيما يلى :

١ — النقل من الكتاب والسنة :

ويتصدر هذا الأساس بقية الأسس عند الواحدى — متى توفر لديه — وهو بصدد

---

(١) سورة ابراهيم/٤٦

(٢) قرأ مع الكسائى هذه القراءة أيضا ابن عباس ومجاهد وابن وثاب وابن محيص وابن جريج • انظر تفسير القرطبى ٣٨٠/٩

(٣) سورة (نوح) ٢٢

(٤) قرأ بهذه القراءة كل من الأئمة : على ابن أبى طالب وعمر بن الخطاب وابن عباس وابن مسعود — واختلف عنه — وأبى بن كعب ثم أبى اسحق السبيعى . انظر المحتسب لابن جنى ٣٦٥/١

(٥) الواحدى : البسيط ٤١٢/٤ — ٤١٣

توجيه القراءة،أو الاحتجاج لها ، وقد لا تتمثل تلك الصدارة فى الذكر فى كثير من المواضع ، حيث نجد الواحدى يقدم توجيه القراءة من حيث اللغة أو المعنى أو غير ذلك ، بيد أن الواحدى يبقى السند النقلى حينئذ ليكون فى خاتمة احتجاجه حيث لا معقب عليه فيعطى لرجحان القراءة حينئذ من الثقل والتعزيز والتقوية مالا مزيد عليه •

وقد تمثل لنا ذلك فيما سبق بوضوح عند الترجيح بين قراءتى (ملك) و (مالك) فى قوله تعالى (مالك يوم الدين) حيث اختتم الواحدى عرض مرجحات كل منهما بقوله (وما يقوى هذه القراءة من التنزيل : قوله تعالى ...[1]) •

ومن ذلك أيضا ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم[2]) قال فى البسيط :

(وقرأ ابن كثير (يوحى) — بضم الياء وفتح الحاء — وحجته قوله : (ولقد أوحى اليك[3]) وقوله : و (وأوحى الى نوح[4])[5] ولم يذكر الواحدى مع التنزيل حجة أخرى فى هذا الموضع • وأما احتجاجه للقراءة بالحديث الشريف فهو شائع فى تفسيره أيضا • ومن أمثلته : ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى[6]) قال فى البسيط : —

(ومن قرأ (واتخذوا) — بالكسر على الأمر — فحجته فى ذلك : — ما أخبرنا الاستاذ أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم[7] ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن ابراهيم بن محمد قال حدثنا عبدوس بن الحسين بن منصور ، قال : حدثنا أبو حاتم الرازى ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى ، قال : حدثنى حميد الطويل ، عن أنس بن مالك قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : — وافقنى ربى فى ثلاث : قلت : لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى ، فأنزل الله « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » ، وقلت يا رسول الله : أنه يدخل عليك البر والفاجر ، فلو حجبت أمهات المؤمنين ، فأنزل الله عز وجل آية الحجاب قال : وبلغنى شىء كان بين أمهات المؤمنين وبين النبى صلى الله عليه وسلم ، فاستقريتهن أقول : لتكفن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ليبدلنه الله أزواجا خيرا منكن ، فأنزل الله عز وجل (عسى ربه إن طلقكن[8]) الآية[9] وهكذا قال ابن‌عباس فى هذه فى قوله (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ..)[10] •

وقد يجمع الواحدى — فى احتجاجه — بين القرآن الكريم والحديث الشريف ليفيد من الجمع بينهما فى وجه حجته تقوية وتأكيدا ورجحانا ، من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله

---

(١) الواحدى : البسيط ١/٢٥ — ٢٦
(٢) سورة الشورى/٣
(٣) سورة الزمر/٦٥
(٤) سورة (هود) /٣٦
(٥) الواحدى : البسيط ٢٦٣/٧
(٦) سورة البقرة/١٢٥

(٧) هو الشيخ ابو اسحق الثعلبى استاذ الواحدى فى التفسير ، وهو هنا من مصادره فى رواية الحديث الشريف وفى الاحتجاج للقراءات .
(٨) سورة التحريم /٥
(٩) اخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب التفسير) ٢٤/٦ ط الشعب ، كما ذكره الواحدى فى الوسيط باسناده من طريق آخر ، وخرجه عن البخارى . انظر الوسيط ص ٤٣ نسخة أحمد الثالث بتركيا .
(١٠) الواحدى: البسيط ٣٠٢/١

تعالى (وتصريف الرياح[1]) اذ يقول فى البسيط) : ـ

(واختلف القراء فى (الرياح) فقرأ بعضهم[2] بالجمع فى مواضع ، وبالتوحيد فى مواضع وهم مختلفون فيها ، والأظهر فى هذه الآية الجمع ، لأن كل واحدة من هذه الرياح مثل الاخرى فى دلالتها على الوحدانية ، وتسخيرها لينتفع الناس بتصريفها ، واذا كان كذلك فالوجه أن تجمع المساواة ، واحدة منها الأخرى •

وأما من وحد : فانه يريد الجنس ، كما يقال : هلك الناس الدينار والدرهم ، واذا أريد بالريح الجنس : كانت قراءة من وحد كقراءة من جمع •

فأما ما روى فى الحديث من أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا هبت ريح قال (اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا)[3] زايدا على قوله (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات)[4] فيدل على أن مواضع الرحمة بالجمع أولى ، وانما تبشر بالرحمة ، ويشبه أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم قصد هذا الموضع من التنزيل ، ومواضع الافراد للعذاب كقوله : (وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم)[5] ، وقد يختص اللفظ فى التنزيل بشىء فيكون أمارة له)[6] وهكذا يعتمد الواحدى فى الترجيح على النقل من القرآن الكريم والحديث الشريف •

ومما يستوجب الاشارة اليه حقا والاشادة به باحتفاء بالغ : عدم ادخار الواحدى وسعا فى تحقيق التكافؤ بين القراءات ، وعدم الميل فى احتجاجه وترجيحه الى احدها على حساب الأخرى، فرغم ترجيح الواحدى ـ فى المثال السابق ـ لقراءة (الرياح) لما قدمه من حيثيات ، الا أنه عاد فقرر أنه (اذا أريد بالريح الجنس : كانت قراءة من وحد كقراءة من جمع) وهكذا تتجسد الروح العلمية ، والنصفة ، ورحابة الأفق فى أبى الحسن •

٢ ـ اللغة :

وللغة دورها الرئيسى ، وأثرها الكبير فى توجيه القراءات والاحتجاج لها فى تفسير الواحدى ولا سيما وهو رجل لغة من الطراز الأول فى عصره ، وقد مر بنا تصوير فحولته فى هذا المضمار فى تفسيره ، حيث طرق العديد من مباحثها ، وسبر فيها أغوارا بعيدة ، ونجده فى ميدان الاحتجاج للقراءات يغوص فى قاع محيط اللغة ليكتشف حقائقها وليطرق

---

(١) سورة البقرة/١٦٤

(٢) ذكر الخطيب أن الريح بالتوحيد فى هذه الآية قراءة حمزة والكسائى ، والباقون بالجمع ، ثم قال : كل ريح فى القرآن ليس فيها ألف ولام اتفق القراء على توحيدها ، وما فيها الف ولام ـ كما هنا ـ اختلفوا فى جمعها وتوحيدها الا الحرف الاول فى سورة الروم (الرياح مبشرات اتفقوا على جمعها . ا هـ (السراج المنير ١/١٠٩ ـ ١١٠) •

(٣) رواه الامام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ باسناده فى الأم ١/٢٢٤ ط : الشعب وخرجه عنه الامام النووى فى الاذكار ص ١٦٣ ط الحلبى سنة ١٣٧٥ هـ وذكره ابن عطية فى تفسيره ١/٤٦٦ وكذا الالوسى ٢/٣٢

(٤) سورة الروم/٤٦

(٥) سورة الذاريات/٤١

(٦) انظر البسيط للواحدى ١/٣٥٦ ـ ٣٥٧ والنص بالاصل فيه اضطراب فى النسخ بالتقديم والتأخير فى بعض العبارات ، وقد استعنت فى تقويم النص بنظيره فى تفسير الفخر الرازى ٢/٦٦ ط/الحسينية .

مختلف أبعادها بعمق ودراية ، وليخوض مباحثها المتعددة سواء ما يتعلق منها باللفظ أو بالمعنى[١] فمن أمثلة ما نقف فيه على نمط الاحتجاج اللغوى للقراءات فى تفسير الواحدى : ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (الذين يؤمنون بالغيب)[٢] قال فى (البسيط) : وفى قوله (يؤمنون) قراءتان[٣] تحقيق الهمزة وتليينها ، فمن حقق فحجته : أن الألف فى (آمن) لا تخلو اما أن تكون زائدة ، أو منقلبة فلايجوز أن تكون زائدة ، لأنها لو كانت كذلك لكان (فاعل) كان مضارعه : (يفاعل) ، فلما كان مضارعه (يؤمن) دل على أنها غير زائدة • فاذا لم تكن زائدة : كانت منقلبة ، ولا يخلو انقلابها من أن يكون عن الواو أو عن الياء ، أو عن الهمزة ، ولا يجوز أن تكون منقلبة عن الواو ، لأنها فى موضع سكون ، واذا كانت فى موضع سكون : وجب تصحيحها •

ومثل هذه الدلالة : لا يجوز انقلابها عن الياء ، فاذا لم يجز انقلابها عن الواو ولا عن الياء : ثبت أنها منقلبة عن الهمزة •

وانما انقلبت عنها ألفا ، لوقوعها ساكنة بعد حرف مفتوح ، كما أنها اذا خففت فى بأس ورأس وفأس ، انقلبت عنها ألفا ، لسكونها وانفتاح ما قبلها •

كذلك قلبت فى نحو (آمن) و (آتى)، وفى الأسماء نحو آذر ، وآدم ، وآخر ، الا أن الانقلاب ههنا لزمها ، لاجتماع الهمزتين ، والهمزتان اذا اجتمعتا فى كلمة لزم الثانية منهما القلب بحسب الحركة التى قبلها اذا كانت ساكنة ، نحو : آمن ، أوتمن، ايذن ، ايتنا ، فمن خفف الهمز فى (يؤمنون): فلأنه انما ترك الهمز من (أومن) لاجتماع الهمزتين • كما أن تركها فى (آمن) لذلك ، فلما زال اجتماعهما فى سائر حروف المضارعة سوى الهمزة ، رد الكلمة الى الأصل : فهمز ، لأن الهمز من الأمن والأمنة فاء الفعل • ومما يقوى أن الهمزة[٤] أن من تركها انما يقلبها واوا ساكنة وما قبلها متحرك بالضم • قالوا : والساكنة اذا انضم ماقبلها فقد استجازوا قلبها همزة ، يدل على هذا : ما ذكره المازنى عن الأخفش قال: كان أبو حية النميرى يهمز كل واو ساكنة قبلها ضمة ، نحو : موسى ، وأشباهه •

وتقدير ذلك : أن الحركة لما كانت تلى الواو من موسى صارت كأنها عليها ، والواو اذا تحركت بالضمة أبدلت منها الهمزة ، واذا جاز ابدال الهمزة من الواو الساكنة التى قبلها ضمة ، واجتلابها – وان لم تكن من الكلمة – فالهمزة التى هى أصل فى الكلمة أولى بالتحقيق ، وألا يبدل فيها الواو •

وحجة من لم يهمز : أن هذه الهمزة قد لزمها البدل فى مثالين من الفعل المضارع والماضى نحو : آمن ، أومن ، والمضارع نحو : أومن ، ولم يجز تحقيقها فى هذه

---

(١) بحث الامام السيوطى فى المزهر من علوم اللغة الراجعة الى الالفاظ ثلاثة عشر نوعا – من أمثلتها الفصيح والمولد والمعرب – ومثلها ترجع الى المعنى كالمشترك والقلب والابدال .

(٢) سورة البقرة/٣

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائى بهمزها واستحب حمزة ترك الهمزة فى كل القرآن اذا اراد الوقف ، وروى ورش عن نافع ترك الهمز الساكن فى مثل (يومنون) وكذا أبو عمرو (الحجة / ١٦٠/١) .

(٤) سقط خبر (أن) فى النسخ وتقديره : (أن الهمزة فاء الفعل) كما يدل عليه سابق الكلام .

المواضع وهذا القلب الذى يلزمنا فى المثالين: اعلال لهما ، والاعلال اذا لزم مثالا اتبع سائر الأمثلة العارية من موجب الاعلال ، كاعلالهم (يقوم) لـ (قام) ، ويكرم من أجل (أكرم) و (أعد) لـ « يعد » ، فوجب على هذا أن تختار ترك الهمزة فى : (يؤمنون) ليتبع قولهم (يؤمنون) فى الاعلال المثالين الآخرين ، لاعلى التخفيف القياسى فى نحو (جونة) فى (جؤنة) و (بوس) فى (بؤس) .

وأيضا : فان حرف المضارعة المضموم صادف حرفا منقلبا ألفا قبل أن يلحقه حرف المضارعة ، فلما ولى المضموم من حرف المضارعة ، انقلب ذلك الألف واوا ، وأى موضع للهمزة ههنا ؟ ؟)[1] .

فى هذا المثال نجد الواحدى يعتمد فى احتجاجه لكلتى القراءتين على تحليل بنية الكلمة ، وتمييز الأصلى من الزائد من حروفها ، ورصد ما طرأ عليها من تغيير فى بنيتها كالابدال والاعلال ونحو ذلك ، بغية التوصل لمنشأ اختلاف القراءتين وتمييز كل قراءة ــ بحجتها ــ من منشئها اللغوى حتى وضعها الأخير . ولا ريب أن ذلك الجهد لا يصلح له الا خبير بخفايا اللغة ، وماهر بأسرار صياغتها ، وفارس من فرسان حلبتها، لأنه لو اختل الميزان من يد الصائغ لأبخس قيمة ما بين يديه من الجواهر ، وكذا لو افتقد المحتج للقراءات عمق النظر فى علم العربية وقدرته على الغوص فى أعماقها وسبر مختلف أغوارها لأهدر مستند القراءة من العربية ، بل ولربما فتح بابا من الاحتجاج عليها ، لا لها !!

(١) الواحدى : البسيط ١/٥٧ ــ ٥٩

ثم اننا نجد الواحدى يقيم احتجاجه اللغوى لبعض القراءات على أساس تداول لغة القراءة على ألسنة العرب ، وتسجيلها فى ديوان أشعارهم مما يثبت أصالتها ، ويقيم رجحانها ، من أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (ان الله بالناس لرءوف رحيم[2] اذ يقول فى (البسيط) : (وفى الرءوف قراءتان : احداهما رءوف[3] ــ على وزن فعول ــ والثانية : رؤوف[4] ــ على وزن رعف ــ فمن قرأ على (فعول) ، فلانه أكثر فى كلامهم من (فعل) ، ألا ترى أن باب صبور ، وشكور أكثر من باب حذر ، ويقظ[5] واذا كان أكثر فى كلامهم : كان أولى ، يؤكد هذا أن صفات الله تعالى قد جاءت على هذا الوزن[6] نحو غفور ، وشكور ، ولا نعلم (فعلا) فيها ، قال الشاعر :

نطيع الهنا ونطيع ربنا
هو الرحمن كان بنا رءوفا[7]

ومن قرأ على وزن (رعف) فقد قيل : انه غالب لغة أهل الحجاز ، ومنه قول الوليد ابن عقبة بن أبى معيط : ــ

وشر الطالبين فلا تكنه
بقاتل عمه الرءوف الرحيما

(٢) سورة البقرة/١٤٣
(٣) قرأ بها نافع ، وابن كثير ، وابن عامر، وحفص (البحر المحيط ١/٤٢٧) .
(٤) قرأ بها باقى السبعة ، انظر نفس المرجع السابق .
(٥) بضم الذال والقاف فى الكلمتين .
(٦) وردت هذه العبارة محرفة فى البسيط هكذا (.. ان صفات الله قد جاءت على وزن رعف الوزن) والتصحيح من الوسيط حيث ورد نفس النص مصححا . انظر الوسيط ص ٥٠ مخطوط احمد الثالث .
(٧) البيت فى البحر المحيط ١/٤٢٧ وهو فيه (نطيع رسولنا ...) .

وكثر ذلك حتى قاله غيرهم ، قال جرير :

ترى للمسلمين عليك حقا
كفعل الوالد الرؤف الرحيم[1]

وهكذا يورد الواحدى سند القراءة الاولى ممثلا فى دورانها على ألسنة العرب ، وذيوع صيغتها فى الاستعمال ، ثم يؤكد ذلك بورود صفات الله تعالى على وزنها دون الثانية وأخيرا يستشهد لها بمجيئها فى الشعر •

ثم لا يترك القراءة الثانية بل يحتج لها بأنها لغة غالب الحجازيين ، ثم يستشهد لها بشعر أهل الحجاز (الوليد بن عقبة)بلويعزز ذلك باستعمالها فى شعر غير الحجازيين وورودها فى شعر أشهر شعراء بنى أمية (جرير) •

وعلى هذا النحو سلك الواحدى مختلف شعاب اللغة وشتى فجاج العربية للاحتجاج لقراءات التنزيل الحكيم وتوجيهها على أحسن الوجوه ، وبمختلف الحجج والأسانيد •

٣ ـ النحـــو :

وقد كان النحو أبرز الاسس التى اعتمد عليها الواحدى فى احتجاجه للقراءات وأغلبها وأعمها فى تفسيره ، وقد برزت شخصية الواحدى العلمية ـ فى هذا المضمار من الاحتجاج ـ على نحو أقوى وأعمق من غيره ـ على الرغم من فحولته فى ميدانى الأثر واللغة ـ وتعليل ذلك فيما أرى : منوط بعمق الواحدى وتبحره فى محيط النحو ، وسبره لدقائق مسائله ومشكلاته ، وخبرته بمسالكه ومضايقه ومعضلاته ، وقد تمثل لنا ذلك ـ بجلاء ـ فى تفسيره بصفة عامة ، ثم انعكس ـ كما سنراه ـ فى مجال توجيه القراءات والاحتجاج لها والترجيح بينهما ، فى تركيز شديد وبصفة خاصة •

من أمثلة ذلك ما ذكره أبو الحسن ـ فى (البسيط) ـ عند تفسير قوله تعالى : (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج[2] يقول الواحدى : ـ

(واختلف القراء فى هذه الآية ، فقرأ بعضهم (فلا رفث ولا فسوق) مرفوعين منونين[3] ، وقرأ بعضهم : منصوبين غير منونين[4] ، ولم يختلفوا فى نصب اللام من (جدال) والأصل فى هذا الباب : أن (لا) تنصب النكرات خاصة بلاتنوين ، ولا تعمل فى المعارف شيئا لانها جواب ما لا يكون الا نكرة ، وذلك أنك تسأل فتقول : هل من رجل عندك ؟ وهل من غلام لك ؟ فتقول : لا رجل عندى ، ولا غلام لى ، فكان الجواب منكرا مثل السؤال ، والخافض والمخفوض فى السؤال بمنزلة شىء واحد لا ينفصل أحدهما عن صاحبه • فكذلك جعلت (لا) وما عملت فيه بمنزلة شىء واحد ، وحذفت منه التنوين كما حذفت من خمسة عشرة ويجوز أن يكون العامل والمعمول فيه بمنزلة شىء واحد ، كقولهم يا ابن أم ، فالابن عامل فى الأم ،

---

(١) الواحدى : البسيط ٣٢٩/١،الوسيط ص ٥٠

(٢) سورة البقرة/١٩٧

(٣) قال فى البحر المحيط (وقرأ ابن كثير وابو عمرو : برفع (فلا رفث ولا فسوق)والتنوين، وفتح و (ولا جدال) من غير تنوين . انظر البحر : ٨٨/٢ ، مفاتيح الغيب ١٦٥/٢

(٤) هى قراءة : نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائى انظر : المحرر الوجيز ١ / ٥٥٤ وانظر : (مفاتيح الغيب) للفخر الرازى ١٦٥/٢ ط : الحسينية .

لأنه مضاف اليها ، فجعلا بمنزلة اسم واحد وبنيا • هذا وجه النصب بلا • فان رفعت بها : فقلت لا رجل عندى ، ولا ثوب لك ، فيكون هذا جوابا لقول القائل هل رجل عندك ؟ وهل ثوب لك ؟ فكما أن هل لا تعمل شيئا ، جعلت (لا) فى الجواب مثلها ، فرفعت ما بعدها بالابتداء •

وان شئت : جعلت (لا) مشبهة بليس فرفعت بها النكرات ، لأن بعض العرب : تجعلها بمنزلة (ليس) ، من ذلك قوله . فأنا ابن قيس لا براح[1] •

وقول العجاج :

تالله لولا أن تحسن الطبخ
بى الجحيم حيث لامستصرخ[2]

فان كررت (لا) كقولك : لا درهم ، ولا دينار ، جاز لك الوجهان ، النصب من غير تنوين ، والرفع والتنوين ، كالقراءتين فى هذه الآية •

وجاز أوجه ثلاثة أيضا يطول ذكرها فان قدرت الاسم بعدها مرفوعا بالابتداء : جاز — فى قول سيبويه — أن يكون (فى الحج) خبرا عن الاسماء الثلاثة ، لاتفاق الاسماء فى ارتفاعها بالابتداء ، أما قوله (فلا رفث ولا فسوق) : فهن ، وأما قوله (ولا جدال) : فان (لا) مع «جدال» فى موضع رفع،فقد اتفقت الأسماء فى ارتفاعها بالابتداء فلا يمنع من أن يكون قوله (فى الحج) خبرا عنها • وان قدرت (لا) بمنزلة (ليس) : لم يجز أن يكون فى (الحج) منتصبا فى موضع خبر ليس ، لأن الخبر لا ينتصب بليس ولكنك تضمر لقوله (فلا رفث ولا فسوق) خبرا ، لأن من شأن العرب اذا رفعت ما بعد لا وكانت (لا) بمنزلة ليس : حذف الخبر واضماره ، كالبيتين اللذين أنشدناهما ، فقوله (لا براح) تقديره لا براح من ههنا ، ويكون قوله (فى الحج) خبرا عن (لا جدال) •

فأما من فتح،فقال: (فلا رفث ولا فسوق) فحجته : —

أنه أشد مطابقة للمعنى المقصود ألا ترى أنه اذا فتح فقد نفى جميع الرفث والفسوق؟ كما أنه اذا قال (لا ريب فيه) فقد نفى جميع هذا الجنس • واذا رفع ونون : كان المنفى الواحد منه • ألا ترى أن سيبويه يرى أنه اذا قال : لا غلام عندك ولا جارية ، فهو جواب من سأل فقال : غلام عندك أم جارية ؟ فالفتح أولى ، لأن النفى به أعم ، والمعنى عليه ألا ترى أنه لم يرخص فى ضرب من الرفث والفسوق كما لم يرخص فى ضرب من الجدال ؟ وقد اتفق الجميع على فتح اللام من الجدال ، لتناول النفى جميع جنسه ، فيجب أن يكون ما قبله من الاسمين على مثله ، اذ كان فى حكمه •

ومن رفع فحجته : أنه يعلم من النحوى أنه ليس المنفى رفثا واحدا ، ولكنه جميع ضروبه وقد يكون اللفظ واحدا والمعنى المراد به الجميع ، خصوصا فى النفى ، فان النفى قد يقع فيه الواحد موضع الجميع وان لم يبن فيه الاسم مع لا النافية ، نحو قولك : لا رجل

---

(١) البيت فى البحر المحيط ٨٨/٢ من تخريج سيبويه وصدره : (من صد عن نيرانها) .
(٢) البيت فى لسان العرب (٦/٤) غير منسوب ، وهو فيه (والله) بدلا من (تالله) و (حيث) بدل (حين) ويعنى بالطبخ : ملائكة العذاب — والعياذ بالله — انظر مادة (طبخ) فى اللسان .

فى الدار • هذا الذى ذكرنا وجه القراءتين فى قوله (فلا رفث ولا فسوق) ، ولم يختلفوا فى نصب (لا جــدال) ، وذلك أن الرفث والفسوق متفقان فى المعنى – وهو النهى – كأنه قيل : لا ترفثوا ولا تفسقوا ، والجدال مخالفلهما فىالمعنى ، لأن معنى (لا جدال فى الحج) : أى الحج فى ذى الحجة – كما حكينا عن مجاهد وأبى عبيدة – فلما كان المعنى فى الأولين نهيا ، ومعنى الثالث خبرا : أرادوا الفرق بين اللفظين ، لتكون مخالفا ما بينهما فى اللفظ لمخالفة ما بينهما فى المعنى[١]) •

بهذا الاســهاب ، وذلك العمق ، وتلك الافاضة : تدفقت محصلة الواحدى النحوية فى ميدان توجيه القراءات والاحتجاج لها ، ولولا خشية الاطالة والاملال لذكرت من هذا القبيل أمثلة عديدة تطرق الواحدى فيها الى مضايق هذا العلم وتناول العديد من مسائله وتطويع معطياتها لمنهجه فىالاحتجاج وتقويم وجه القراءة الصحيحة – على الأخص – وان استتبع ذلك منازلته فى كثير من الاحيان لأئمة

هدا العلم ومناقشته لآرائهم ونقدها وتمييز صحيحها من سقيمها ، توصلا الى اقامة الحجة على أساس متين •

٤ – القراءة الاخرى :

ونجد الواحــدى فى مواضع كثيرة من تفسيره ، وبعد أن يحتج لكل وجه منالقراءتين – أو القراءات – يميل باختياره الى ترجيح وجه منها ، ويكون المرجــع لما اختاره هو : قراءة أخرى غير القراءات المرجح بينها •

(١) الواحدى : البسيط ١/٤٢٦ – ٤٢٨

من أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (ليس البــر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ••)[٢] ، يقول فى (البسيط)

(قرىء البر – رفعا ونصبا[٣] وكــلا القراءتين حسن[٤] ، لان اسم ليس وخبــرها اجتمعا فى التعريف فتكافأ فى كون احدهمااسما والثانى خبرا كمــا يتكافأ النكرتان ، وحجة من رفع البر : أن اسم ليس مشبهة بالفاعل ، وخبرها بالمفعــول ، والفاعل ان يلى الفعل أولى من المفعول ، كما تقول : قام زيد ، فيلى الاسم الفعل ، واذا قربت المفعول : كانت النية به التأخير ، كما تقول : ضرب غلامه زيــد •

ومن نصب (البر) : ذهب الى أن بعض النحويين قال (أن) مع صلتها أولى أن تكون اسم ليس ، لشبهها بالمضمر ، فى أنها لا توصف كما لا يوصف المضـمر ، فكأن ههنــا اجتمع مضمر ومظهر ، والأولى اذا اجتمعا أن يكون المضــمر الاسم ، من حيث كــان أذهب فى الاختصــاص من المظهر ، فكذلك اذا اجتمع (أن) مع مظهر غيره : كان أن يكون (أن) الاسم والمظهر الخبر أولى •

وعلى هذا قرىء فى التنزيل قوله (فكان عاقبتهما أنهما فى النار ••)[٥] وقوله (فما

(٢) سورة البقرة/١٧٧
(٣) قال ابن عطية فى تفسيره (١/٤٩١) :
(قرا اكثر السبعة برفع البر . . . ، وقرا حمزه ، وعاصم – فى روايــة حفص – « ليس البر » بنصب الراء) .
(٤) يلاحظ هنا تحسين الواحدى لكل من القراءتين المرجح بينهما رغم انه سيميل باختياره – بعد – الى احداهما ، وهو منهج سـديد بعيد عن التعصب والزلل .
(٥) سورة الحشر/١٧

كان جـواب قومـه الا أن قالـوا ..)[1] و (ما كان حجتهم الا أن قالوا ..)[2] .

والاختيار : رفع (البر) ، لأنه روى عن ابن مسعود أنه قرأ (ليس البر بأن ..) والباء تدخل فى خبر ليس ..)[3] .

كذلك يستشهد الواحدى على صـحة القراءة وتوجيهها وترجيحها عنـده بالقـراءة الأخرى عند تفسير قوله تعالى (ولايلتفت منكم أحد الا امرأتك)[4] اذ يقول فى (البسيط) : ـ

وقوله تعالى (الا امـرأتك) : قـرىء بالنصب والرفـع[5] ، فمن نصب ـ وهـو الاختيار ـ جعلها مستثناة من الاهل ، على معنى فأسر بأهلك الا امرأتك .

والذى يشهد لصحة هذه القراءة : أن فى قراءة عبدالله فأسر بأهلك الا أمرأتك وليس بينهما (ولا يلتفت منكم أحـد ..)[6] ثم يمضى الواحدى فى احتجاجه لكل من القراءتين ـ الراجحة والمرجوحة عنده ـ على السواء ، وتوجيهه لهما فى ضوء أصول النحو .

ومن ثم تدخل القراءة الأخرى فى جملة الأسس التى يقيم عليهـا الواحدى توجيهـه واحتجاجه للقراءات والترجيح بينهاوفق منهج علمى سديد .

وهكذا يسهم الواحدى بحظ عظيم الأثر فى ميدان القراءات القرآنية فى تفسـيره ، ويتميز بأصالة منهجية فى العرض ، والتوجيه والاحتجاج لها ، كما يتميز بمواقفه العلميـة الرشيدة تجاه القراءة الصحيحة ، ونضـاله عنها ، ورد سهام القادحين فيها الى نحورهم نصرة لكلام الله تعالى وذوداعن قدس التنزيل وتعظيما لحرماته ، ومن خلال كل ذلك تجسدت شواهد التمكن العلمى ، والتبحر والرسوخ وتجلت فحولة أبى الحسن فى هذا الجانب من تفسـيره .

---

(١) سورة النمل/٥٦

(٢) سورة الجاثية /٢٥

(٣) الواحدى : البسيط ٣٧٤/١ ،وانظر اثبات الفخر الرازى لهذا النص عن الواحدى فى تفسيره ٩٤/٢

(٤) سورة (هود) /٨١

(٥) يقول الامام الرازى (قـرا ابن كثير وأبو عمرو : (الا امرأتك) بالرفع ، والباقون : بالنصب ..) ثم يمضى فى احتجاجه للقراءتين نقلا عن الواحدى . انظر مفاتيح الغيب : ٧٩/٥

(٦) الواحدى : البسيط : ١٥١/٤

الفصل السابع
منهجه فى رواية الأحاديث الشريفة واتجاهاته فى الاستشهاد بها فى تفسيره

حفل تفسير الواحدى بحصيلة وفراء من الأحاديث النبوية الشريفة ، طرق بها مختلف الجوانب والأبعاد ، وأسهم بها فى تحقيق معاضدة السنة للقرآن[1] فى كل ما يتوصل اليه من تلك الجوانب التى يتسع لها نطاق التبيين المسند الى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ..)[2] .

ومن ثم : تدفقت فى تفاسير الواحدى ثروة حديثية وفيرة ، واتخذت مسالكها حسبما عرضت له من اتجاهات ، وسيقت له من أغراض .

ولم يكن الواحدى دخيلا على مجال علم الحديث وروايته ، فقد نطقت المصادر المترجمة له بما ينبىء عن علو مرقاه ورسوخ قدمه فى هذا الميدان ، وحسبنا فيه ما ذكره معاصره الحافظ : عبد الغافر الفارسى النيسابورى (٤٥١ — ٥٢٩ هـ) ، اذ شهد له بعلو الاسناد والقراءة على أئمة محدثى عصره ، يقول صاحب (المنتخب من السياق) فى ترجمة الواحدى : —

.. قرأ الكثير على المشايخ ، وأدرك الاسناد العالى من الاستاذ الامام أبى طاهر الزبادى ، وأقرانه ، وأكثر عن أصحاب الاصم[3] ثم عن مشايخ الطبقة الثانية ، كأبى سعد النصراوى ، وأبى حسان المزكى وأبى عبد الله بن اسحق النصرباذى ، والزعفرانى ومن بعدهم من : أبى حفص بن مسرور ، والكنجروذى ، وأبى الحسين عبد الغافر ، وشيخ الاسلام الصابونى ، والسادة العلوية وغيرهم ..)[4] وناهيك بهؤلاء الأعلام من الحفاظ والمحدثين شيوخا لأبى الحسن فى الحديث ، ولم يشأ الحافظ عبد الغافر — كما نقل عنه فى المنتخب — أن

---

(١) افرد الزركشى نوعا فى (البرهان) لبيان معاضدة السنة بالقرآن ، استهله بقوله : (أعلم أن القرآن والحديث أبدا متعاضدان على استيفاء الحق وأخراجه من مدارج الحكمة ،حتى ان كل واحد منهما يخصص عموم الاخر ، ويبين اجماله . انظر البرهان : النوع الاربعون : ١٢٩/٢

(٢) سورة النحل /٤٤

(٣) هو — كما فى تذكرة الحفاظ ٨٦٠/٣ — (الامام الثقة ، محدث المشرق ابو العباس محمد ابن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان الاموى مولاهم المعقلى النيسابورى) ت : ٣٤٦ هـ وقد صحب الواحدى من اصحابه : ابا بكر الحيرى ، وابن محمس [illegible] ى وقد سبق التعريف بهما فى شيوخ الواحدى .

(٤) انظر : الصريفينى فى (المنتخب من السياق) لعبد الغافر الفارسى . نسخة مصورة على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات .

يحصر شيوخ الواحدى من المحدثين فى هؤلاء بل قال أخيرا : وغيرهم .. كذلك قال القفطى فى ترجمته : (قرأ الحديث على المشايخ ، وأدرك الاسناد العالى ...)[1] ونجد ابن مكتوم يترجمه فى (تلخيص أخبار النحويين واللغويين) ويقول عنه (استاذ عصره فى الحديث على المشايخ ، وأدرك الاسناد العالى واستفاد الناس منه ..)[2] ثم يقول صاحب (النجوم الزاهرة) فى ترجمته أيضا : (كان اماما بارعا محدثا ..)[3] من ثم دخل الواحدى ميدان التفسير وهو صاحب قدم فى الرواية والتحديث ، ممتازا عند الأئمة بادراكه للاسناد العالى وتلقيه عن مشاهير حفاظ عصره ومحدثيه ، فتعددت طرقه وأسانيده ، وبلغت مبلغا عظيما يقف عليه من قرأ مصنفاته وخاصة أسباب النزول وتفسيرى البسيط ، والوسيط حيث تدفقت فى هذه المصنفات روافد شتى من معين السنة النبوية الشريفة ، أثرت نتاجه التفسيرى وعززت مكانته فى علوم الأثر والنقل ، وتنوعت فى اتجاهات متعددة فى تفسيره وامتزجت بنتاج الرأى ، ومعطيات العقل والدراية ، آخذة بحجزها شادة بأزرها ومتآخية معها فى طريق الصواب ، ومقومة لها اذا تنكبت قصد السبيل .

أما عن منهج الواحدى فى رواية الحديث الشريف فى تفسيره : فاننا نجده فى تفسيره (البسيط) يختلف عنه فى (الوسيط) ، لأن الطابع الأغلب فى الأول هو طابع الدراية — وان امتزجت بالرواية على نحو ما أسلفنا فى موقفه من المأثور والرأى فى تفسيره — حيث

(١) القفطى : انباه الرواة : ٢/٢٢٣

(٢) العلامة احمد بن عبد القادر بن احمد ابن مكتوم الحنفى : تلخيص اخبار النحويين واللغويين ١٢٥

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : ٥/١٠٤

أطلق الواحدى لجواد بحثه العنان ، وانطلق فى مباحث اللغة والنحو والاحتجاج للقراءات بهما — بكثرة — وعرض الآراء الفقهية والكلامية . وللنقل فى كل مبحث مجاله ، بيد أن الواحدى قد أدرك عمق التبحر فى هذه المجالات وصعوبة مرتقاها على العامة وأوساط الناس ، فنزل الى العامة فى تصنيفه (الوجيز) ثم عمد الى انصاف الانصاف من أواسط العلماء فانتحل من البسيط قصده ثم أضاف اليه تعزيزا فعليا أكثر نضجا ، فانتحى بالوسيط جانب الاثر والنقل مع طرح المباحث الموغلة فى فجاج اللغة والنحو ونحوهما ومن ثم أربى الوسيط على أخويه فى جانب الحديث والرواية وقصر عن البسيط فى الابحاث المستفيضة فى اطار ما أسلفناه فى هذه الدراسة . ولنعد بعد تلك المقارنة الشاملة الى استخلاص منهج الرواية

فعلى ضوء الفكرة التى أبرزناها عن البسيط والوجيز : نجد الطريق معبدا لكشف معالم هذا المنهج ، فحيث كان الطابع الغالب على تفسير (الوسيط) هو النقل والاثر : فاننا نجد الواحدى فى هذا التفسير يروى الحديث بسنده المتصل غالبا ، ولا يرفعه أو يترك سنده الا نادرا .

فمن أمثلة مايرويه الواحدى بسنده فى الوسيط : ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون)[4] حيث قال : —

(أخبرنا أبو عبد الله بن أبى اسحق ، قال : أخبرنا والدى محمد بن اسحق الثقفى قال : اخبرنا اسحق بن ابراهيم الحنظلى ، ومحمد بن الصباح ، قالا : أخبرنا جرير عن

(٤) سورة البقرة/٢٢

منصور ، عن أبى وائل ، عن عمرو بن شرحبيل أبى ميسرة ، عن عبد الله بن مسعود قال : —

سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك ، قال : قلت : ثم أى ؟ قال : ان تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك • قال : قلت ثم أى ؟ قال : أن تزانى حليلة جارك •

رواه البخارى[1] عن عثمان بن أبى شيبة ورواه مسلم[2] عن عثمان واسحق ، كلهم عن جرير)[3] وعلى هذا النحو روى الواحدى أحاديث تفسيره (الوسيط) غالبا بسنده المتصل ، وبطرقه الخاصة المتعددة التى يوائم بينها وبين طرق الصحيحين فى كثير من المواضع•

على أننا نجده فى (البسيط) يشغل بالمباحث اللغوية والنحوية ورواية التفسير بالمأثور — بدون اسناد غالبا — عن اثبات طرقه وأسانيده الحديثية • بل أن أحاديث البسيط — رغم أنه تفسيره الكبير — لاتناهز ما رواه فى الوسيط بل تقل عنها كثيرا •

ومع ذلك فاننا لا نفتقد فى تفسير (البسيط) كثيرا من الأحاديث — على امتداد التفسير — قد رواها الواحدى عن شيوخه بسنده المتصل •

من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا ••)[4] حيث قال فى البسيط : (فأما التفسير : فقال عظم أهل اللغة : التفسير فى قوله (أمة وسطا) أى : عدلا خيارا •

وروى ذلك فى حديث مرفوع[5] اخبرنا الاستاذ أبو طاهر بن محمد بن محمش الزيادى — رحمه الله — قال : حدثنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص الزاهد ، قال : حدثنا ابراهيم ابن عبد الله الكوفى العيسى ، قال : حدثنا وكيع عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : —

(يدعى نوح يوم القيامة ، فيقال له : هل بلغت ؟ فيقول : نعم ، فيدعى قومه ، فيقال لهم : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير ، وما أتانا من أحد (فيقال : أخرج من يشهد لك ، فيقول : محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ، فذلك قوله عز وجل : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا)[6] ، [7] •

وهكذا يسوق الواحدى بسنده الخاص بعض الأحاديث التى رواها فى (البسيط) وسيأتى مزيد من شواهد ذلك — بينما نجده يذكر السند فى (الوسيط) غالبا وقلما يسقط سنده فيه اختصارا ومن ذلك — مثلا — ماذكره عند تفسير قوله تعالى : (لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف

---

(١) رواه البخارى فى كتاب التفسير . انظر صحيح البخارى ٦٧/٣ ط : محمد عبد اللطيف سنة ١٣٥٢ هـ

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٧٩/٢ — ٨٠ ط : المطبعة المصرية سنة ١٣٤٩ هـ

(٣) الواحدى : الوسيط ١٣ بمخطوطة أحمد الثالث .

(٤) سورة البقرة/١٤٣

(٥) يعنى بالمرفوع هنا : المتصل وهو فى مقابلة المرسل والمنقطع كما ذكره ابن الصلاح عن بعض اهل الحديث . انظر علوم الحديث تحقيق د. نور الدين العتر ص ٤١ ، المنهج الحديث [illegible] م الحديث للشيخ السماحى ص٩

(٦) اخرجه [illegible] خارى فى صحيحه بمعناه وبزيادة فى الفاظه . انظر كتاب التفسير من صحيحه ٢٦/٦ ط الشعب .

(٧) الواحدى : البسيط ٣٢٤/١ — ٣٢٥

أو اصلاح بين الناس ..)[1] يقول الواحدى (... وقوله « أو اصلاح بين الناس » : هذا حث عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال لأبى أيوب الانصارى : ألا أدلك على صدقة هى خير لك من حمر النعم ؟ قال : نعم يا رسول الله . قال تصلح بين الناس اذا تفاسدوا ، وتقرب بينهم اذا تباعدوا »[2] .

وروت أم حبيبة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كلام ابن آدم كله عليه لا له الا من أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله)[3] ، [4] .

وهذا النوع مما لم يروه الواحدى بسنده المتصل فى (الوسيط) : قليل جدا بينما هو فى البسيط كثير جدا .

موقفه من تخريج الأحاديث :

أما عن موقف الواحدى من تخريج الأحاديث التى يرويها فى تفاسيره : فاننا نجده فى تفسيره (البسيط) يختلف عنه فى (الوسيط) أيضا ، كشأن موقفه من ذكر الاسناد ، اذ نجده فى (البسيط) لا يعنى بتخريج أحاديثه اطلاقا ، على حين نراه فى (الوسيط) يعنى فى الكثير من المواضع بتخريج أحاديثه من صحيح البخارى ، وصحيح مسلم ، ومستدرك الحاكم الذى يذكره الواحدى باسم (الصحيح) أيضا . وقد يخرج الواحدى الحديث من احد صحيحى البخارى ومسلم أو منهما معا مع ذكر طريقيهما ، كما مر فى حديث الامام ابن مسعود : (أى الذنب أعظم ؟) وكما ذكر عند تفسير قوله تعالى (وأتوا البيوت من أبوابها ..)[5] حيث قال (اخبرنا محمد بن ابراهيم بن محمد بن يحيى ، أخبرنا أبو عمرو ابن مطر ، أخبرنا أبو خليفة الجمحى ، حدثنا أبو الوليد والحوضى ، قالا : حدثنا شعبة ، قال : أنبأنا أبو اسحق ، قال : سمعت البراء يقول : كانت الانصار اذا حجوا فجاءوا لا يدخلون من أبواب بيوتهم ولكن من ظهورها فجاء رجل فدخل من قبل باب ، فكأنه غير بذلك فنزلت هذه الآية : (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ..) رواه البخارى عن أبى الوليد ورواه مسلم عن بندار ، عن غندر ، عن شعبه)[6] ، [7] .

ونجده ــ كما فى المثال السابق ــ اذا ما خرج الحديث عن البخارى ومسلم يبين طريقيهما ليتضح ملتقى طريقه هو بهما أو بأحدهما ، فيجتمع له حينئذ : الرواية بالسند المتصل ، وتخريج الحديث وطريق التخريج . وكذلك كان يفعل اذا خرج عن مستدرك الحاكم ، فمن ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : (.. فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ..)[8] ، قال فى (الوسيط) :

(.. وقال آخرون : المراد بقوله (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ..) الآية :

---

(1) سورة النساء/١١٤
(2) اخرجه المنذرى عن الطبران [illegible] مختلف . (الترغيب والترهيب [illegible] ١٠) .
(3) رواه الترمذى وق[illegible] (حديث حسن غريب) انظر الجامع الصحيح : كتاب الزهد ٦٠٨/٤
(4) الواحدى : البسيط ص ١٦٣

(5) سورة البقرة/١٨٩
(6) انظر صحيح البخارى ٣٢/٦ ط الشعب ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب التفسير ١٦١/١٨
(7) الواحدى : الوسيط ص : ٦٥ بمخطوطة احمد الثالث .
(8) سورة المائدة/٥٤

الاشعريون ، وهو تفسير النبى صلى الله عليه وسلم ، على ما أخبرنا أبو ابراهيم الواعظ ، أخبرنا[1] أبو بكر الاسماعيلى ، أخبرنا أبو خليفة الجمحى ، حدثنا أبو عمر الحوضى ، حدثنا شعبة عن سماك ، عن عياش الاشعرى قال : —

لما نزلت هذه الآية (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ..) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم قوم هذا ، يعنى: أبا موسى الاشعرى .

رواه الحاكم أبو عبد الله فى صحيحه عن عثمان بن السماك ، عن عبد الملك بن محمد عن وهب بن جرير عن شعبة)[2] .

ويحق لنا أن نتساءل : لماذا عنى الواحدى بذكر السند وبالتخريج كثيرا تفسيره (الوسيط) دون (البسيط) ؟ بل ولماذا كثرت روايته للحديث وبرزت عنايته به فى الأول دون الثانى ؟

والجواب يأتى من وجهين : أولهما لأن البسيط يمثل طابع الدراية — كما سبق أن نوهنا — أكثر مما يمثل طابع الرواية ، على الرغم من ثراء الجانب النقلى فيه كما مر بنا ، ثم هو مصنف للخاصة الذين يسهل عليهم

أما (الوسيط) : فانه من حيث هو موضوع لمن هم دون الخاصة ، فقد قرب الواحدى عليهم الشقة فساق لهم الأسانيد وخرج أكثر الأحاديث ، واستعاض عن التوغل والتعمق فى المباحث والمسائل بكثرة الرواية ، واعتبر ذلك ثراء وامتيازا للوسيط عن أخيه الاكبر !

وثانى الجوابين : أن تراخى تصنيف (الوسيط) عن البسيط والوجيز فى الزمن ، قد مكن الواحدى من التضلع فى علم الأثر والتمكن من جمع الطرق واستيعابها ، فجاء (الوسيط) فى هذا المضمار ثمرة ناضجة غذيت بماء الخبرة والتجربة وحصاد السنين .

والذى يبدو من خلال استطلاع المنهج الذى سار عليه الواحدى فى رواية الحديث — فى الوسيط خاصة — أنه لم يعن بنقد الأحاديث من حيث صحتها أو ضعفها ، فلم يطرق ميدان الجرح والتعديل ، ولم يتتبع الأحاديث ببيان درجتها عند المحدثين .

ويبدو أن الواحدى قد اكتفى ، — فى الوسيط خاصة — بايراد السند والتخريج — أو بالاسناد وحده — عن خوض مجال الجرح والتعديل وتعقب السند والمتن ، فلم يتعرض لذلك احالة لهذا الأمر الى ميدانه ورجاله .

غير انى وجدته قد شذ عن دأبه هذا فى موضع من تفسيره (البسيط) ، اذ أعوزه الاحتجاج اللغوى لقراءة سبعية أن يتصدى لنقد حديث غير صحيح نص رجال الجرح والتعديل على ضعفه فكان من حيثيات الاحتجاج للقراءة تبيان هذا الضعف فى الحديث .

---

(١) جرت سنة الواحدى فى كتابة سند الحديث أن يقتصر على الرمز فى قوله (حدثنا) و (أخبرنا) وهو امر شائع عند المحدثين وكتاب الحديث فيذكرون (ثنا) أجتزاء من (حدثنا) و (أنا) رمزا لـ (أخبرنا) انظر ابن الصلاح : علوم الحديث بتحقيق د.نورالدين عتر ص ١٨٠، والبسيط للواحدى ١/٣٢٤) .

(٢) الواحدى : الوسيط/١٨٨ — ١٨٩ بمخطوطة أحمد الثالث .

يقول الواحدى عند تفسير قوله تعالى : (.. ويقتلون النبيين بغير الحق ..)[1] محتجا لقراءة نافع — بهمز (النبيئين)[2] — وموجها لها : —

(.. فأما حجة[3] من همز (النبى) أن يقول هو أصل الكلمة ، وليس مثل (عيد) الذى قد الزم البدل[4] ، ألا ترى أن ناسا من أهل الحجاز قد حققوا الهمز فى الكلام ولم يبدلوه فاذا كان الهمز أصل الكلمة ، وأتى به قوم فى كلامهم على أصله ، لم يكن مثل وزر وودع ونحوهما مما رفض فى استعمالهم واطرح . وأما ماروى فى الحديث من أن بعضهم قال : (يا نبىء الله ، فقال : لست بنبىء الله ولكن نبى الله)[5] ، فان أهل النقل ضعفوا اسناد الحديث ، ومما يقوى تضعيفه أن من مدح النبى صلى الله عليه وسلم بقوله :

يا خاتم النبآء ...[6] .

لم يؤثر فيه انكار عليه ، ولو كان فى واحده نكير كان الجمع كالواحد ، وأيضا : فلم نعلم أنه — عليه السلام — أنكر على الناس أن يتكلموا بلغاتهم)[7] .

وهكذا نجد ضرورة الاحتجاج للقراءة الصحيحة تغرى الواحدى بولوج ميدان نقد الحديث وتبيان حيثيات ضعفه .

بينما نجده فى (الوسيط) يكتفى بذكر سند الحديث ، ثم يخرجه ويبين طرقه فى كثير من المواضع تاركا نقده وبيان درجته لرجاله . وكأنه تخلص بذكر السند من التبعة وألقاها على عاتق ذويها من رجال الحديث .

ثم يطرح السؤال التالى نفسه على بساط البحث : ما مدى التزام الواحدى بذكر الأحاديث الصحيحة فى تفسيره ؟؟ هل كل ما ورد فى تفسيره من الحديث صحيح أو مرتضى عند المحدثين أم ضمت تصانيفه فى التفسير الضعيف والموضوع من الأحاديث ؟

والجواب : أن الواحدى فى حقيقة الأمر — على مبلغ علمه ودرايته بالحديث وتلقيه عن أساطين شيوخه ، وبالرغم من عقليته العلمية الفذة — لم يستطع تحاشى الضعيف والموضوع من الأحاديث فى تفسيره ، ولم يتخير مادته الحديثية من مصادرها الوثيقة دائما . فوردت فى مصنفاته — وخاصة فى الوسيط — كثرة هائلة من الأحاديث التى ضعفها العلماء وحكموا بوضعها ، وانتظمت بازاء ما خرجه فى تفسيره من الصحيحين والمستدرك جنبا الى جنب ، مجاورة العليل للصحيح وكان فى

---

(١) سورة البقرة/٦١

(٢) قرأ بها أهل المدينة ونافع . انظر المحرر الوجيز لابن عطية ٢٩٦/١ ، البحر المحيط ٢٣٧/١

(٣) عبارة الو[illegible] (وحجة من همز النبى أن يقول ..) [illegible] أصوب لتجرد ما بعد (أما) فى عبارة الوسيط من الفاء .

(٤) ذكر فيما سبق أن جمع عيد على أعياد لا يدل على أن الياء فيه أصلية ، لكونه من العود ، فالياء فيه مبدلة من الواو . انظر البسيط ١٩٦/١

(٥) أورد ابن عطية الحديث فى تفسيره ٢٩٧/١ وتبعه القرطبى ٤٣١/١ والفقرة الاخيرة من الحديث فيهما (ولكنى نبى الله) بينما اتفق نص الحديث فى تفسير الالوسى (٢٧٧/١) مع ما فى البسيط .

(٦) يعنى بيت العباس بن مرداس الذى أورده الواحدى من قبل فى نفس المبحث ، وهو :
يا خاتم النبآء انك مرسل
بالحق خير هدى الا له هداكا

(٧) الواحدى : البسيط ١٩٧/١

صدارة ما اشتهر الواحدى بايراده من الموضوعات فى تفسيره : —

احاديث فضائل السور :

وفى مستهل مناقشتنا لهذه القضية عند الواحدى نبرز — بادىء ذى بدء — هذا التحفظ : وهو انه ليس كل ما روى من الأحاديث فى فضائل القرآن وسوره واهيا أو موضوعا كما يتصور البعض من جراء ما أثير حول هذا الموضوع من شبهات وتحذيرات • بل اننا لا نتجاوز الحق اذا قلنا ان الوضع قد تسرب الى هذا المجال استنادا الى وجود جانب من الأحاديث الصحيحة فيه ، وحسبنا أن نقف أثناء مطالعة (صحيح البخارى) عند كتاب (فضائل القرآن) ، ونقرأ تحت (باب : فضل سورة الكهف) : ما رواه بسنده عن البراء قال :

(كان رجل يقرأ سورة الكهف والى جانبه حصان مربوط بشطنين[1] ، فتغشته سحابة ، فجعلت تدنو وتدنو ، وجعل فرسه ينفر ، فلما أصبح أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك له ، فقال : تلك السكينة تنزلت بالقرآن)[2] •

وفى كل من (البرهان) و (الاتقان) نوع فى (فضائل القرآن) ، وقد نص فيهما على صحة أحاديث وردت فى القرآن باعتبار الجملة ، وفى بعض سوره على التعيين • كما نص تعيين بعض الأئمة الاثبات الذين أفردوا هذا النوع بالتصنيف ، منهم أبو بكر بن أبى

(١) اى : بحبلين .
(٢) انظر صحيح البخارى ٦/٢٢٣ ، ٢٣٢ ط/الشعب .

شيبة ، والنسائى ، وأبو عبيد القاسم بن سلام وغيرهم[3] •

أما النوع الذى صرح العلماء بوضعه : فهو ما ورد من الحديث المروى عن أبى بن كعب ، أو ابن عباس — عن عكرمة — فى فضائل القرآن الكريم سورة •• سورة •

يقول الزركشى : (وأما حديث أبى بن كعب رضى الله عنه فى فضيلة (القرآن)[4] سورة •• سورة : فحديث موضوع)[5] •

ثم يقول الزركشى أيضا : (وعن نوح ابن أبى مريم أنه قيل له : من أين لك عن عكرمة ، عن ابن عباس فى فضائل القرآن سورة سورة ؟ فقال : انى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن ، واشتغلوا بفقه أبى حنيفة ، ومغازى محمد بن اسحق ، فوضعت هذه الأحاديث حسبة)[6] !! ومن ثم يعلم أن الصحابيين الجليليين : الامامين ابن عباس وأبى ، بريئان مما اختلق عليهما • كذلك نقل الامام السيوطى عن ابن حيان — من مقدمة تاريخ الضعفاء — أنه روى عن ابن مهدى أنه قال : (قلت لميسرة بن عبد ربه . من أين جئت بهذه الاحاديث ، من قرأ كذا فله كذ ؟ قال : وضعتها أرغب الناس فيها)[7] !!

(٣) انظر : البرهان للزركشى : النوع السادس والعشرون ١/٤٣٢ ، والاتقان — بتحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم — النوع الثانى والسبعون ٤/١٠٢
(٤) ما بين القوسين ساقط فى النسخ فى البرهان وأثبته من مقتضى السياق ومن نظيره فى الاتقان ٤/١١٥
(٥) الزركشى : البرهان ١/٤٣٢
(٦) نفس المصدر وانظر علوم الحديث لابن الصلاح ص ٩٠
(٧) السيوطى : الاتقان ٤/١١٥

وعلى الرغم من اعتراف واضعى هــذه الأحاديث بوضــعها ، واقرارهم بجــريمتهم النكراء ، واشــتهار ذلك لدى المحدثين وفى أوساط العلماء الا أنه مع ذلك قد راجت سوق هذه الأحاديث الموضوعة وخدع بهـا طائفة من المفسرين كالثعلبى ، والزمخشرى ، والبيضاوى وأبى السعود ، والنسفى ، ومعهم صاحبنا أبو الحسن الواحدى !!

ولقد ورث الواحدى هذه الشنشنة عن شيخه أبى اسحق الثعلبى الذى سبقه الى تصدير تفسير كل سورة بحديث أو أكثر فى فضلها باسـناده المتصـل الى أبى بن كعب أو بدون اسناد فى بعض المواضع •

ونسج الواحدى — فى هذا الصدد — على منوال شيخه ، فوجدته فى (الوسيط) يروى بين يدى كل سورة حديثا أو أحاديث فى فضــلها بســنده المتصل ، وغالبا ما يروى باســناده عن أبى بن كعب رضى الله عنه — وهو من ذلك براء •

وليت الواحدى قــد ســار على نفس المنوال الذى بدأ به عند تفسير سورة الفاتحة فقد أورد فى فضلها خمسة أحاديث صحيحة باسناده المتصل ، وخرجها كلها عن الصحيحين وقد استهل ذلك بقوله :

(القول فيما روى من فضائل ســورة الفاتحة : —

أخبرنا أبو نصر أحمــد بن محمد بن ابراهيم المهرجانى ، أخبرنا عبيد الله بن محمد ابن محمد الزاهد ، أخبرنا عبد الله بن محمد ابن عبد العزيز أخبرنا على بن مسلم ، أخبرنا حرمى ابن عمارة ، حدثنى شعبة عن خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم ، عن أبى سعيد ابن المعلى قال : —

كنت أصلى ، فمر بى النبى صلى الله عليه وسلم ، فنادانى ، فلم آته ، حتى فرغت من صلاتى فقــال : ما يمنعك أن تأتينى اذا دعوتك ؟ قلت : كنت أصلى • قال : ألم يقل الله عز وجل : (استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ؟) ، أتحب أن أعلمك أعظم سورة فى القرآن قبل أن تخرج من المســجد ؟ قال : فذهب يخرج فذكرته • فقال (الحمد لله رب العالمين) •

رواه البخارى فى الصحيح عن مسدد ، عن يحيى بن سعيد ، عن شعبة)[1] •

بيد أن الواحدى لم يتحر الصحيح أو المقبول من الاحاديث — عند المحدثين — بعد ذلك فى سائر فضائل الســور ، وانما أورد مالا أصل له منها باسناده المتصل عن أبى بن كعب وغيره من الصحابة • مما قطع الثقات بوضعه وعابوه على من أورده من المفسرين فى تفسيره • من ذلك — مثلا — ما أورده فى فضل سورة (آل عمران) فى صدر تفسيرها قائلا : —

(أخبرنا أبو سعد بن محمد بن على بن أحمد الخفاف ، أخبرنا أبو عمرو محمد بن جعفر الحيرى ، حدثنا ابراهيم بن شريك ، حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا ســلام بن سليم ، حدثنا هارون بن كثير ، عن زين بن أسلم ، عن أبيه ، عن أبى أمامة ، عن أبى بن كعب قال :

---

(١) انظر : صحيح البخارى ٦/٢٣١ ط : الشــعب .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ سورة آل عمران : أعطى بكل آية منها أمانا على جسر جهنم[1] .

وقد قيض الله لبيان أمر هذه الاحاديث من كشفوا أقنعة زيفها ووضعها ، فنهض من المفسرين الامام الخطيب الشربينى (ت : سنة ٩٧٧ هـ) ونبه فى تفسيره على وضعها فى خاتمة تفسير كل سورة ، فنجده يقول فى الحديث السابق — فى خاتمة تفسيره (آل عمران) : (وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى ، وتبعهما ابن عادل من أنه صلى الله عليه وسلم قال : (من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آية منها أمانا على جسر جهنم) : فهو من الاحاديث الموضوعة على أبى بن كعب فى فضائل السور ، فليتنبه لذلك ويحذر منه ، وقد نبه أئمة الحديث قديما وحديثا على ذلك ، وعابوا على من أورده من المفسرين فى تفاسيرهم)[2] .

وأطردت سنة الواحدى فى تفسير كل سورة — فى الوسيط — بتقديم حديث أو أكثر فى فضلها مسندا عن أبى أو غيره من الصحابة ، وقد لاحظت أن أكثر هذه الاحاديث فى الترغيب فى قراءة السور ، حيث تضمن وعودا سخية بالعطاء الجزيل لمن قرأها . فهى لا ترمى مباشرة لبيان فضل السورة من حيث هى ، وانما تهدف الى بيان فضل قراءتها ترغيبا فى ذلك ، وأبرز ما يشكك فى أمرها هو المبالغة فى تقدير الثواب وفى تصوير مقداره ، ومن أمثلة ذلك قوله فى صدارة تفسير سورة (مريم) من تفسير (الوسيط) : —

(أخبرنا أبو سعد محمد بن على بن أحمد الحيرى ، أخبرنا أبو عمرو محمد بن جعفر العدل ، أخبرنا ابراهيم بن شريك الكوفى ، أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، أخبرنا سلام بن سليم ، أخبرنا هارون بن كثير ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن أبى أمامة عن أبى بن كعب قال : —

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ سورة مريم أعطى من الاجر بعدد من صدق بزكريا وكذب به ، وبيحيى ، وعيسى ، وهارون ، وابراهيم ، واسحق ، ويعقوب ، واسماعيل ، عشر حسنات وبعدد من دعا لله ولدا ، وبعدد من لم يدع له ولدا)[3] .

وقد تعقب الخطيب فى تفسيره هذا الحديث أيضا فقال فى خاتمة تفسير سورة مريم : (والحديث الذى ذكره البيضاوى تبعا للزمخشرى وهو : من قرأ سورة مريم أعطى عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ، ويحيى ، ومريم ، وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها ، وبعدد من دعا الله فى الدنيا ، ومن لم يدع الله تعالى : حديث موضوع)[4] وقد خطأ الواحدى — فى ايراد هذه الاحاديث — أئمة المحدثين وعلماء الجرح والتعديل ، من ذلك : ما قاله ابن الصلاح فى مقدمته بصدد هذا النوع من الاحاديث : —

---

(١) الواحدى : الوسيط /ص : ٩٨ مخطوطة احمد الثالث وانظر الكشاف ٤٩١/١ ط/الحلبى .
(٢) الخطيب الشربينى : السراج المنير : ٢٧٧/١

(٣) الواحدى : الوسيط ١١٩/٢ نسخة مخطوطة بمكتبة الازهر الشريف وانظر الكشاف ٥٢٧/٢
(٤) الخطيب الشربينى : السراج المنير ٤٤٧/٢

(.. وهكذا حال الحديث الطويل الذى يروى عن أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم فى فضل القرآن سورة فسورة ، بحث باحث عن مخرجه حتى انتهى الى من اعترف بأنه هو وجماعة وضعوه ، وأن أثر الوضع لبين عليه .

ولقد أخطأ الواحدى المفسر ، ومن ذكره من المفسرين فى ايداعه تفاسيرهم[1] وقد وقف بعض العلماء المحققين من الواحدى — فى هذا الموضوع — موقف النصفة ، فخففوا التبعة عليه وعلى شيخه الثعلبى دون غيرهم ممن ضمنوا تفاسيرهم هذه الاحاديث كالزمخشرى ومن نقل عنه كالبيضاوى وأبى السعود والنسفى وغيرهم .

وذلك لأن الواحدى والثعلبى قد ذكرا هذه الاحاديث باسنادهما ، ففتحا باب البحث عن صحة الحديث لمن لم يتيقن وضعه . بخلاف غيرهم ممن ذكرنا حيث لم يذكروا أسانيدهم ، ومن ثم تعقب الامام الزركشى ابن الصلاح واستدرك عليه فى البرهان حيث قال : —

(قال ابن الصلاح : ولقد اخطأ الواحدى المفسر ومن ذكره من المفسرين فى ايداعه تفاسيرهم قلت : وكذلك الثعلبى . لكنهم ذكروه باسناد ، فاللوم عليهم يقل : بخلاف من ذكره بلا اسناد وجزم به كالزمخشرى ، فان خطأه أشد)[2] .

وهكذا كان التزام الواحدى بذكر السند واقيا له من ثقل التبعة فى هذا المأخذ الخطير وهناك أحاديث أخرى رواها الواحدى فى تفسيره — فى غير مجال فضائل السور — قد ضعفها المحدثون أو قالوا بوضعها ، كتلك التى يخرجها الواحدى من طريق محمد بن مروان السدى — الصغير — عن الكلبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس . وهى التى ذكر المحققون أنها سلسلة الكذب ، يقول صاحب (الاتقان) — بصدد نقد طرق الرواية عن الامام ابن عباس رضى الله عنهما — (وأوهى طرقه : طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ، فاذا انضم الى ذلك رواية محمد بن مروان السدى الصغير : فهى سلسلة الكذب . وكثيرا ما يخرج منها الثعلبى ، والواحدى)[3] ومن الحق والانصاف : أن نقول : كما قال الاستاذ السيد صقر فى تحقيق هذه القضية فى مقدمة (أسباب النزول) : (ان الواحدى والثعلبى لم ينفردا برواية الأحاديث الغريبة المريبة ، فقد شاركهما جمهرة المفسرين)[4] .

بل ومن الانصاف أيضا : أن نذكر للواحدى وشيخه ذكرهما لسنديهما المتصل فى روايتهما عن هذه السلسلة وغيرها . ففى ذكر الاسناد تمكين من تتبع رجاله ، وتبين مبلغ الحديث من الصحة أو الضعف ، وكشف حقيقته فى ضوء علم الجرح والتعديل .

فمما رواه الواحدى بسنده من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (وقالت اليهود يد الله

---

(١) أبو عمرو بن الصلاح : علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح) بتحقيق : د. نور الدين عتر ص ٩١

(٢) الزركشى : البرهان ٤٣٢/١

(٣) السيوطى : الاتقان بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ٢٠٩/٤

(٤) السيد أحمد صقر : مقدمة كتاب (أسباب النزول) للواحدى/ص :٣٢

مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ..)[1]
حيث قال فى تفسيره (الوسيط) : —

(.. أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن عبد العزيز الفقيه ، أخبرنا أبو الحسن على ابن محمد القزوينى أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر ، حدثنا سهل بن عمار حدثنا حفص بن عبد الله ، حدثنا أبو عصمة نوح بن أبى مريم عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال : —

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لعن شيئا لم يكن للعنته أهلا رجعت اللعنة على اليهود بلعنة الله اياهم)[2] .

فلقد سهل الواحدى بايراد سنده فى هذا الحديث ونظائره نقد رجاله وكشف حقيقته ، ففى رواته : نوح بن أبى مريم الذى اعترف بوضع أحاديث فضائل السور[3] ثم فيه الكلبى الذى وهنه المحدثون وضعفوا اسناده عن أبى صالح عن ابن عباس .

وعلى الرغم من ذلك فقد عثرت على صدى لوجود هذا الحديث لدى بعض كبار المفسرين ، حيث أورده ابن عطية فى تفسيره — بدون اسناد — عند تفسير قوله تعالى (أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)[4] وقد عقب ابن عطية على قول ابن مسعود — المتضمن لهذا الحديث — مع قولين آخرين بقوله (وهذه الأقوال الثلاثة : لا يقتضيها اللفظ ، ولا تثبت الا بسند يقطع العذر)[5]

وهكذا عول ابن عطية فى الأخذ بالحديث على ثبوت سنده القاطع للعذر ، فلا يمكن الحكم به قبل الحكم له !! ومن ثم كان اسناد الحديث — عند الواحدى — ظاهرة صحية تعزز مركزه ، وتخفف من تبعة وجود الأحاديث الضعيفة والموضوعة فى تفسيره لا سيما اذا قارنا بينه وبين من شاركه فى ايداعها تفاسيرهم من أقطاب المفسرين كالزمخشرى وأبى السعود والبيضاوى والنسفى وغيرهم . فقد رجحت كفة الواحدى بايراد سنده وبيان طرقه[6] .

والحق أن تراثنا التفسيرى أحوج ما يكون الى تجريده ، وتنقيته من تلك الموضوعات والأحاديث الباطلة ، وتحقيقه تحقيقا علميا يعنى بتخريج كل أحاديثه ، وعزو كل نقل الى صاحبه ، مع ابراز قيمته العلمية فى الثوب الذى يليق بجلال كلام الله تعالى ويحقق عظيم الافادة من هديه القويم .

واذا كنا — بعد — قد أصبنا الهدف فى تقويم منهج الواحدى فى روايته للحديث الشريف فى تفسيره ، وأبرزنا ما له وما عليه — قدر طاقتنا — فان من حقه علينا أيضا أن نبرز — قدر المستطاع — مدى الافادة التى

---

(1) سورة المائدة/٦٤
(2) الواحدى : الوسيط ١٩٠ — ١٩١ مخطوطة احمد الثالث .
(3) انظر : مقدمة ابن الصلاح بتحقيق د. نور الدين عتر : ص ٩٠ ، البرهان للزركشى ٤٣٢/١
(4) سورة البقرة/١٥٩
(5) ابن عطية : المحرر الوجيز ٤٦٥/١
(6) قد أوضحنا فيما سبق انه حدث تطور فى منهج الرواية الحديثية عند الواحدى واننا اخترنا التركيز فى الدراسة على منهجه فى تفسيره الوسيط التى تميز فيه عن البسيط بكثرة الاحاديث واسنادها بسنده المتصل وتخريج الكثير منها ان لم يكن الاكثر . وانما كان الوسيط هو مجال تمايز الواحدى عمن ذكرناهم من المفسرين كالزمخشرى وغيره ، لانه مجال الاشتراك فيما انتقد عليه وعليهم من ايراد احاديث فضائل السور ونحوها .

تحققت بجهده فى هذا الصدد فى تفسيره ، وامتد أثرها فى مختلف الجوانب والاتجاهات

اتجاه روايته للاحاديث الشريفة ، وجوانب استشهاده بها :

تضمن تفسير الواحدى ــ فى مصنفيه البسيط والوسيط ــ ثروة حديثية حافلة ، طرق بها العديد من الجوانب والمباحث ، وحقق بها أعظم الافادة فى تفسير النص القرآنى وتبيان الوحى الأول بالوحى الثانى ، وها هى تلك أبرز مناحى الافادة التى تحققت فى هذا المجال فى تفسيره :

أولا : فى أسباب النزول :

لا تخفى مكانة الواحدى فى هذا الميدان من علوم التنزيل ، فهو أشهر من أفرده بالتصنيف وأفاد منه جمهرة المفسرين فلا عجب أن يفيد منه فى تفاسيره لتتحقق شاعرية النفس بملابسات نزول الآية وتهيئتها لاستيعاب خلفيات النص القرآنى وتمثل معانيه ومراميه فمن أمثلة ما أورده الواحدى بسنده وتخريجه من أحاديث أسباب النزول فى تفسيره (الوسيط) ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ..)[1] قال :

(أخبرنا منصور بن عبد الوهاب البزاز ، أخبرنا محمد بن أحمد بن سنان ، أخبرنا حامد بن محمد بن شعيب ، أخبرنا محمد بن بكار ، حدثنا اسماعيل بن زكريا ، عن عاصم ، عن أنس بن مالك قال :

كانوا يمسكون عن الطواف بين الصفا والمروة ، وكانا من شعائر الجاهلية ، وكنا نتقى الطواف بهما فأنزل الله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ...) الآية .

رواه البخارى عن أحمد بن محمد عن عاصم[2] .

وسنقف على مزيد من الامثلة التىتوضح مدى الافادة من ذكر حديث سبب النزول فى تفسيره فى موضعه من البحث ان شاء الله .

ثانيا : فى تفسير النص القرآنى :

تجسد الجانب النقلى الأثرى عند الواحدى فى تفسيره القرآن بالسنة تفسيرا مباشرا فى كثير من المواضع ، وقد تحرى الواحدى فى أكثر هذه المواضع صحيح الحديث فأورده بسنده وتخريجه[3] ، أو بسنده المتصل فحسب . فما أورده فى تفسيره من الحديث تفسيرا للنص باسناده وتخريجه : ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (... وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ...)[4] ، قال فى الوسيط :

(فسر النبى صلى الله عليه وسلم هذا ببياض النهار ، وسواد الليل ، أخبرنا محمد ابن ابراهيم بن يحيى ، حدثنا أبو بكر محمد ابن جعفر بن الهيثم الانبارى ، حدثنا محمد ابن أبى العوام ، حدثنا الأسود بن عامر ،

(١) سورة البقرة/١٥٨

(٢) صحيح البخارى ١٩٥/٢ ط الشعب وانظر اسباب النزول للواحدى/ص ٤٢

(٣) هذا عما أورده فى تفسير الوسيط كما نوهت به سابقا .

(٤) سورة البقرة/١٨٧

حدثنا شريك ، عن حصين ، عن عامر عن عدى ابن حاتم قال : ـ قلت للنبى صلى الله عليه وسلم : انى وضعت تحت رأسى خيطين ، فلم يتبين لى شىء ، قال : انك لعريض الوساد ، انما ذلك الليل من النهار والنهار من الليل ، رواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن عبد الله بن ادريس ، عن حصين)[1] .

ونجد الواحدى عند تفسير قوله تعالى (... ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون)[2] يسوق لنا نصا تفسيريا ـ فى (الوسيط) ـ تتجسد لنا فيه معاضدة السنة للقرآن فى البيان والتبيين وتتجلى لنا فيه رؤية السلف لهذه المعاضدة ، والتماسهم تفسير القرآن من الحديث ، والتماسهم كذلك بيان السنة فى القرآن ، يقول الواحدى :

وقوله (وليتم نعمته عليكم) : أى ببيان الشرائع .

وقال محمد بن كعب القرظى : بغفران الذنوب ، أخبرنا سعيد بن محمد العدل ، أخبرنا أبو على بن أبى بكر الفقيه ، حدثنا محمد بن معاذ المالينى ، حدثنا الحسين بن الحسن بن حرب المروزى ، أخبرنا عبد الله ابن المبارك أخبرنا أبو معشر المدنى ، حدثنا محمد بن كعب ، حدثنى عبد الله بن دارة ، عن حمران مولى عثمان قال :

مرت على عثمان فخارة من ماء ، فدعا به فتوضأ ، فأسبغ وضوءه ثم قال : لو لم أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا مرة أو مرتين ماحدثتكم به : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ماتوضأ عبد فأسبغ وضوءه ثم قام الى الصلاة الا غفر له مابينه وبين الصلاة الأخرى)[3] قال محمد ابن كعب : وكنت اذا سمعت الحديث من رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم التمسته فى القرآن ، فالتمست هذا فوجدته : (انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ...)[4] ، فعلمت أن الله لم يتم عليه النعمة حتى غفر له ذنوبه ، ثم قرأت الآية التى فى سورة المائدة (اذا قمتم الى الصلاة .. ..) حتى بلغ : (... ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم) ، فعرفت أن الله لم يتم عليهم النعمة حتى غفر لهم)[5] وهكذا يتجسد المنهج السلفى فى تفسير القرآن بالسنة والسنة بالقرآن كما حققه الواحدى فى منهجه التفسيرى فى الوسيط خاصة ، ونجده عند تفسير قوله تعالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ...)[6] يقول فى الوسيط (قال ابن عباس والضحاك ومقاتل والحسن والسدى : مفاتح الغيب : خزائن الغيب ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن ابراهيم ، أخبرنا أبو عمر بن مطر ، أخبرنا محمد بن عثمان ، حدثنا أبو حذيفة ، حدثنا سفيان عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ٧/٢٠٠ وانظر صحيح البخارى ٦/٣١ ط/الشعب .

(٢) سورة المائدة/٦

(٣) رواه البخارى فى كتاب الوضوء : باب الوضوء ثلاثا ثلاثا عن سيدنا عثمان بالفاظ مختلفة ، انظر : صحيح البخارى : ١/٥١ ـ ٥٢ ط : الشعب ، ورواه مسلم أيضا من عدة طرق عن حمران مولى سيدنا عثمان عنه من طرق متعددة وبالفاظ مختلفة ، فى بعضها (... فغفر له ما تقدم من ذنبه) وفى بعضها (... غفر الله له ما بينه وبين الصلاة التى تليها) انظر صحيح مسلم بشرح النووى : كتاب الطهارة : ٣/١٠٥ ـ ١١٧ ط : المصرية ، وانظر تخاريج الحديث فى ذخائر المواريث للشيخ النابلسى ١/٢٣١

(٤) سورة الفتح ١/٢

(٥) الواحدى : الوسيط ص : ١٧٨ مخطوطة أحمد الثالث .

(٦) سورة الانعام/٥٩

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مفاتح الغيب خمس لايعلمهن الا الله ، لايعلم متى تقوم الساعة الا الله ، ولا يعلم ما تغيض الأرحام الا الله ، ولا يعلم ما فى غد الا الله ، ولا تعلم نفس بأى أرض تموت الا الله ، ولا يعلم متى ينزل الغيث الا الله (رواه البخارى عن محمد عن سفيان[1])[2] .

ومن أمثلة ما أورده الواحدى فى (البسيط) من الحديث الشريف تفسيرا للنص القرآنى : ما ذكره فى تفسير قوله تعالى : (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين)[3] اذ يقول : (فأما معنى الآية : فهو ما رواه أبو موسى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : — اذا كان يوم القيامة واجتمع أهل النار فى النار ، ومعهم من شاء الله من أهل القبلة ، قال الكفار لهم : ألستم مسلمين ؟؟ قالوا : بلى ، قالوا : فما أغنى اسلامكم وقد صرتم معنا فى النار ، فيغضب الله لهم بفضل رحمته، فيأمر بكل من كان من أهل القبلة فى النار فيخرجون منها ، فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين !! وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ..[4])[5] وقد يورد الواحدى الحديث الشريف — فى العديد من المواضع — تقوية لوجه تفسيرى فى الآية وترجيحا لقول على آخر ، من ذلك ما أورده عند تفسير قوله تعالى (فيه شفاء للناس)[6] حيث عرض للآراء فى مرجع الضمير فى (فيه) فمن قائل بأنه عائد الى قوله (شراب) وهو العسل — وعليه أكثر المفسرين — ومن قائل : بأنه القرآن ، — كما روى عن مجاهد — ثم يقول الواحدى : (... واختار قوم القول الأول ، وقالوا : انه أليق بظاهر الكتاب ، واحتجوا بماأخبرنا بهأبوالحسن اسحق بنأبى منصور المقرى ، عن عبد الله بن حامد ، عن مكى بن عبدان ، عن عبد الرحمن بن بشر ، عن يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن أبى المتوكل ، عن أبى سعيد الخدرى قال :

جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ان أخى يشتكى بطنه ، فقال : اسقه عسلا ، فذهب ثم رجع فقال : قد سقيته فلم يغن عنه شيئا ، فقال عليه السلام : اذهب واسقه عسلا ، فقد صدق الله وكذب بطن أخيك ، وسقاه فبرأ كأنما أنشط من عقال ![7])[8] .

كذلك يقول عند تفسير قوله تعالى (وقال ربكم ادعونى استجب لكم)[9] : (قال ابن عباس : يريد وحدونى واعبدونى أثبكم ، ويدل على صحة هذا التفسير : ما روى النعمان بن بشير أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الدعاء هو العبادة » ثم قرأ هذه الآية[10] ..)[11] .

---

(١) صحيح البخارى ٧١/٦ ط الشعب .
(٢) الواحدى : الوسيط /٢١١ — ٢١٢ مخطوطة أحمد الثالث .
(٣) سورة الحجر/٢
(٤) اخرجه الطبرانى من حديث جابر ، وخرجه ابن كثير عن الطبرانى عن عدة طرق . انظر : تفسير ابن كثير ٤٤٢/٤ — ٤٤٤ ط الشعب وانظر تفسير القرطبى ٢/١٠ والالوسى ٤/١٣
(٥) البسيط ٤٢٠/٤ .
(٦) سورة النحل/٦٩

(٧) اخرجهالبخارى فى كتابالطب ١٦٦/٧ ط الشعب .
(٨) الواحدى : البسيط ٥١٦/٤
(٩) سورة غافر/٦٠
(١٠) رواه الترمذى وقال : هذا حديث حسن صحيح . انظر : سنن الترمذى كتاب التفسير/٥/٣٧٤ — ٣٧٥ ط الحلبى .
(١١) الواحدى : البسيط ٢٦٩/٧

ثالثـا : فى مجال اللغة وشرح الغريب :

كذلك أفاد الواحدى من الحديث الشريف فى مضمار البحث اللغوى ــ الذى عنى به فى تفسيره ــ ونهل من هذا المنهل العذب الفياض• فأثرى هذا الجانب من تفسيره بالاستمداد من لغة النبى صلى الله عليه وسلم الذى هـو أفصح الخليقة على الاطلاق ، وأخبر الناس طرا بلغة القرآن الكريم الذى نزل على قلبه الشريف بلسان عربى مبين • فمما يؤكد احاطته صلى الله عليه وسلم باللغة وحيـا الهيا : ما أخرجه صاحب (المزهر) ــ فى مبحث ايحاء اللغة الى نبينا صلى الله عليه وسلم ــ عن الحافظ ابن عساكر فى تاريخه ، أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال للرسول صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا ؟؟ قال : كانت لغة اسماعيل قد درست فجاء بها جبريل عليه السلام فحفظنيها ، فحفظتها)[١] ومن أمثلة استشهاد الواحـدى بالحديث الشريف للمدلول اللغوى فى تفسيره : ما ذكره عنـد تفسير قوله تعـالى (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة •••)[٢] قال فى الوسيط : (والصلاة معناها فى اللغة : الدعـاء ، ومنه الحديث : « اذا دعى أحدكم الى طعام فليجب فان كان مفطرا فليطعـم ، وان كان صائما فليصل)[٣] قال أبو عبيدة : قوله (فليصل) أى : فليدع له بالبركة والخير ، وكل داع فهو مصل ، هذا معنى الصلاة فى اللغة)[٤] وفى تناول الواحدى لمدلول (المن) فى قوله تعالى (••• ثم لا يتبعـون ما أنفقـوا منا ولا أذى •••)[٥] يقول فى البسيط :

(المن فى اللغة على وجوه : يكون بمعنى الانعام ، يقال : قد من على فلان اذا أفضل وأنعم ، ولفلان على منة أى نعمة ، أنشد ابن الانبارى :

فمنى علينـا بالسـلام فانمـا
كـلامك ياقـوت ودر منظـم

ومن النعمة قوله صلى الله عليه وسلم : « ما من الناس أحـد أمن علينا فى صحبته ولا ذات يده من ابن أبى قحافة »[٦] يريد أنعم ، وأسمح بماله)[٧] •

كذلك يستشهد بالحديث الشريف على أن الولى والمولى بمعنى ــ بصدد تناوله لمادتهما اللغوية ــ عند تفسير قوله تعالى (واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا •••)[٨] فيقول فى البسيط : ــ ومعنى الولى : من النصرة ، من ولى عليه ، وولى منه اذا اتصل به ولم ينفصل عنه ، وعلى هذا قوله (أنت مولانا) : أى ناصرنا ، وعلى هذا المعنى قولهم : صحبك الله •

والولى والمولى واحد ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « من كنت مولاه فعلى

---

(١) الامام السيوطى : المزهر:١/٣٤ــ٣٥
(٢) سورة البقرة/٣
(٣) رواه مسلم بسنده عن أبى هـريرة ، بدون قوله (الى طعام) ، انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٩/٢٣٦ .
(٤) الواحدى : الوسيط/ص ٧ وانظرنفس النص فى البسيط ١/٦٠
(٥) سورة البقرة/٢٦٢
(٦) رواه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة من حديث أبى سعيد ولفظه (ان أمن النـاس على فى ماله وصحبته أبو بكر ...) انظر صحيح مسـلم بشرح النـووى ١٥/١٥٠ ولم اقف على تخريجه بلفظه .
(٧) الواحدى : البسيط ١/٥٦٧
(٨) سورة البقرة/٢٨٦

مولاه »[1] قال يونس : أى من كنت وليه ...)[2] .

رابعا : فى الاحتجاج للقراءات :

وكان الحديث الشريف — كما بينا فى موضعه — من جملة الأسس التى قام عليها منجهه فى الاحتجاج للقراءات والترجيح بينها، وقد عرضت ثم لأكثر من شاهد مثبت لاعتماده على الحديث الشريف فى هذا الصدد . بيد أن ثمة زاوية أخرى للاحتجاج بالحديث الشريف للقراءات فقد يرد الحديث الشريف فى تفسير الواحدى بصدد الاحتجاج اللغوى للقراءة ، حيث يستند علماء اللغة فى توجيه القراءة والاحتجاج لها بلغة النبى صلى الله عليه وسلم كما نطقت بها مصادر السنة . ومن هذا القبيل ما أورده الواحدى عند تفسير قوله تعالى : « ان تبدوا الصدقات فنعما هى ... »[3] قال فى البسيط :

(وقوله تعالى « فنعما » فيه ثلاثة أوجه من القراءة : أحدها كسر النون وجزم العين ، وهى قراءة أبى عمرو . واختيار أبى عبيد ، قال : لغة النبى صلى الله عليه وسلم حين قال لعمرو بن العاص : « نعما بالمال الصالح للرجل الصالح »[4] هكذا روى فى الحديث بسكون العين)[5] .

(١) اخرجه الامام احمد فى المسند ، وابن ماجة والترمذى انظر الجامع الصغير ١٨١/٢ ، وقال فيه الترمذى : هذا حديث حسن صحيح ، انظر سنن الترمذى ٦٣٣/٥

(٢) البسيط ٦٠٧/١

(٣) سورة البقرة/٢٧١

(٤) ورد الحديث مع النص فى تفسير الفخر الرازى ٣٤٤/٢ ، وأورده أبو حيان فى البحر ٣٢٤/٢ وأخرجه الامام احمد فى مسنده ، انظر تخريجه فى كنوز الحقائق للمناوى بهامش الجامع الصغير ١٣٠/٢

(٥) الواحدى : البسيط ٥٦٧/١ ، وانظر الوسيط : ص/٩١

خامسا : فى فضائل القرآن وسوره :

ويضم هذا الجانب — كما مر بنا — الصحيح والسقيم والموضوع ، وقد أسهم الواحدى بحظ وافر فى هذا المجال . واذا كان قد أخذ عليه رواية الموضوع فيه — رغم اثبات سنده فى الرواية ، متميزا عمن شاركه من المفسرين فى روايتها — فان له فى رواية الصحيح قدما ، ويدا طولى يحق علينا أن نعرفها له ، اذ نجده يقدم بين يدى تفسير بعض السور أكثر من حديث فى فضلها ، ومن بين هذه الاحاديث ما هو فى الصحيحين أو احدهما . فيسوقه الواحدى بسنده المتصل فنجده — مثلا — فى أول تفسير سورة (آل عمران) يروى — بالاضافة الى الحديث الذى مر بنا مسندا الى أبى بن كعب — حديثا آخر صحيحا فى فضل (آل عمران) و (البقرة) فيقول :

« أخبرنا محمد بن ابراهيم بن محمد بن يحيى ، أخبرنا محمد بن جعفر بن مطر ، حدثنا محمد بن جعفر القرشى حدثنا أبو نعيم ، حدثنا بشير بن المهاجر عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تعلموا سورة البقرة وآل عمران ، فانهما الزهراوان ، وانهما تظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو غيايتان[6] أو فرقان من طير صواف[7]،[8] .

(٦) الغمامة والغياية : كل شىء اظل الانسان فوق راسه من سحابة وغيره وغيرهما (شرح النووى على مسلم ٩٠/٦) .

(٧) اخرجه مسلم عن أبى امامة الباهلى وأوله (اقرؤوا الزهراوين . .) وفيه زيادة (صحيح مسلم بشرح النووى ٩٠/٦) .

(٨) الواحدى : الوسيط : ص ٩٨ مخطوطة احمد الثالث .

كذلك يرى الواحدى فى فضل بعض آى القرآن ماصح من الأحاديث ، كما أورده فى فضل آية الكرسى قائلا : « أخبرنا محمد بن ابراهيم المهرجانى ، أخبرنا عبيد الله بن محمد ابن محمد الزاهد ، أخبرنا عبد الله بن محمد ابن عبد العزيز ، حدثنا هارون بن اسحق ، أخبرنا محمد بن عبد الوهاب السكرى عن سفيان ، عن سعيد بن اياس الجريرى ، عن أبى السليل ، عن عبد الله بن رباح عن أبى بن كعب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : أية آية من كتاب الله أعظم ؟ قال قلت : الله ورسوله أعلم ، حتى أعادها ثلاثا ، ثم قلت : (الله لا اله الا هو الحى القيوم) قال : فضرب صدرى ثم قال : ليهنك العلم يا أبا المنذر) رواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة عن عبد الأعلى عن الجريرى[1] ، [2]) .

ومن ثم نجد أن الواحدى كان فى رواية جانب من أحاديث فضائل القرآن وسوره لا تعوزه الدقة العلمية فى سياق الاسناد وتخريج الاحاديث مما يقطع بأنه أضاف فى هذا المضمار اسهاما علميا يحتسب له .

سادسا : فى الاستشهاد للأحكام الفقهية :

وقد حفل الجانب الفقهى من تفسير الواحدى بحظ وفير من الاحاديث النبوية الشريفة التى تدفقت بكثرة فى عرض الاحكام والتدليل لها وبيان مشروعيتها كما سنقف عليه فى موضعه ان شاء الله .

ومما يصور ثراء هذا الجانب بالرواية الحديثية — كمثال — ما ذكره أبو الحسن عند

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٩٣/٦

(٢) الواحدى : الوسيط : ٨٦ — ٨٧ مخطوطة أحمد الثالث .

تفسير قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة ...)[3] الآية .

قال فى الوسيط : (والأخبار متواترة بوجوب الغسل والوعيد لمن ترك من قدمه لمعة[4] لم يصبها الماء ، أخبرنا أبو صالح منصور بن عبد الوهاب البزاز ، أخبرنا محمد ابن أحمد بن محمد بن سنان المقرىء ، حدثنا على بن حمودية ، حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا الحسن بن محمد بن أعين ، حدثنا معقل بن عبيد الله ، عن أبى الزبير ، عن جابر قال : حدثنا عمر بن الخطاب : أن رجلا توضأ فترك موضع ظفر على قدمه فأبصره النبى صلى الله عليه وسلم فقال له : ارجع فأحسن وضوءك ، فرجع فتوضأ ثم صلى . رواه مسلم عن سلمة ابن شبيب[5] .

أخبرنا محمد بن أحمد بن جعفر العدل ، حدثنا محمد بن عبد الله بن زكريا الحافظ ، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الفقيه ، حدثنا عبيد بن شريك القطيعى ، حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث عن حيوة بن شريح ، عن عقبة بن مسلم عن عبد الله بن الحرث[6] بن جزء الزبيدى قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويل للأعقاب وبطون الأقدام من النار[7] .

(٣) سورة المائدة/٦

(٤) اللمعة — بضم اللام فى الاصل : قطعة من النبات أخذت فى اليبس لعدم وصول الماء اليها (القاموس المحيط : ٨٥/٣) وفى التعبير بها مالا يخفى من روعة البيان وانعكاس النزعة الادبية .

(٥) انظر صحيح مسلم بشرح النووى : ١٣١/٣ — ١٣٢

(٦) ذكره صاحب ذخائر المواريث : عبد الله بن الحارث — جزء الزبيدى (٢٩١/١) .

(٧) أخرجه مسلم — بدون قوله (وبطون =

أخبرنا الأستاذ أبو طاهر الزيادى ، حدثنا عمرو بن عبد الله البصرى ، حدثنا أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب ، حدثنا خالد بن مخلد ، حدثنا محمد بن جعفر ، سمعت زيد ابن أسلم ، قال : أخبرنا عطاء بن يسار عن عبد الله الصناجى ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اذا توضأ المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه ، فاذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه فاذا غسل وجهه خرجت من وجهه ، فاذا غسل يديه خرجت من يديه حتى تخرج من تحت أظفاره ، فاذا مسح رأسه خرجت من رأسه حتى تخرج من أذنيه ، فاذا غسل رجليه خرجت من رجليه حتى تخرج من تحت اظفاره ، فاذا عمد الى الصلاة كان مشيه الى المسجد وصلاته نافلة[1] .

أخبرنا أحمد بن الحسن الحيرى ، حدثنا محمد بن يعقوب ، حدثنا بحر بن نصر قال : قرىء على ابن وهب : أخبرك مالك بن أنس ، عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

اذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه : خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب . رواه مسلم عن أبى الطاهر عن ابن وهب[2] .

أخبرنا عبد الرحمن بن الحسن التاجر ، حدثنا محمد بن الحسين القطوانى ، حدثنا أبو مليك محمد بن عبد العزيز الكلابى ، حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يحشر أمتى يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء ، فيقال هؤلاء أمة محمد صلى الله عليه وسلم . فيتمنى الخلائق أنهم كانوا أمة محمد صلى الله عليه وسلم[3])[4] .

وهكذا تتدفق الرواية الحديثية بالأسانيد المتصلة فى اطارها الموضوعى — وهو الجانب الفقهى فى المثال السابق — مجسدة هذا الاتجاه النقلى الأثرى عند الواحدى ومبرزة موسوعيته الخصبة فى تلقى هذا الفيض من الأحاديث بمختلف أسانيدها ورصدها فى اتجاهاتها الموضوعية فى تفسيره ، والاستشهاد بها فى العديد من الجوانب التى عرضنا لأبرزها —

= الاقدام — من عدة طرق . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٣/١٢٨ واخرجه بلفظه عن عبدالله ابن الحارث : الحاكم فى المستدرك وصححه . انظر الجامع الصغير ٢/١٩٧

(١) خرجه الحافظ العراقى عن أبى داود وابن ماجة من حديث الصنابحى وقال : واسناده صحيح ولكن اختلف فى صحته ، وعند مسلم من حديث أبى هريرة وعمرو بن عنبسة نحوه مختصرا (انظر المغنى عن حمل الاسفار بهامش الاحياء ١/١٢٠) .

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٣/ ١٣٢ — ١٣٣

(٣) لم اقف على تخريجه بلفظه عن السيدة عائشة — رضى الله عنها — وانما اخرج البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال : انى سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (ان امتى يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء ، فمن استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل) رواه البخارى فى كتاب الوضوء — واللفظ له — ١/٤٦ ط الشعب ، وانظر صحيح مسلم بشرح النووى : كتاب الطهارة ٣/١٣٥

(٤) الواحدى : الوسيط : ص ١٧٧

على سبيل المثال لا الحصر ـ وكلها حافل بالروايات المسندة الا نذر يسير •

وفى ضوء ما تقدم من شواهد وأمثلة تضمنتها الجوانب والاتجاهات المختلفة فى تفسير الواحدى نستطيع الجزم بثراء تفسير الواحدى وحافليته بالاحاديث النبوية الشريفة وموسوعيته فى عرضها لا سيما فى تفسيره الوسيط الذى التزم فيه بالاسناد المتصل وبالتخريج فى أكثر المواضع من الصحيحين ومستدرك الحاكم •

بيد أننا اذا ذكرنا للواحدى التزامه بالاسناد كمنقبة لا يمكن اغفالها له : فاننا نأخذ عليه تضمين تفسيره جانبا من الاحاديث الموضوعة والضعيفة كمثلبة لا يجوز التغاضى عنها بحال وربما شفع له اثبات سنده ـ الى حد ما ـ فى التخفيف من مؤاخذته على ايداعها تفسيره •

ثم بعد ذلك لا يمكن تجاهل اضافة الواحدى واسهامه المعطاء فى هذا الميدان من تفسيره فقد أضاف بحق الى رصيد التفسير بالمأثور فى ميدان رواية الحديث الشريف والاستشهاد به عطاء وفيرا ونتاجا عظيما عرضنا له خلال تلك السطور منهجا وتطبيقا •

الفصل الثامن
موقفه من الاسرائيليات فى تفسيره

لا شك أن من أخطر القضايا المتعلقة بالتفسير القرآنى — ان لم يكن أخطرها على الاطلاق — هى قضية « الاسرائيليات فى التفسير » تلك القضية التى طرحت من قديم فى ساحة البحث ولا تزال الى الآن موضع بحث العلماء ، ولا يزال خطرها متجددا ببقاء هذا النبت الضار فى حقل التفسير مكتنفا زرعه وملتفا بسوقه ، ومعطبا لثماره •

ولنبدأ بالتعرف على حقيقة هذا النبت الضار وكيف تسرب الى حقل التفسير • فما هى الاسرائيليات ؟

ان لفظة (اسرائيليات) جمع اسرائيلية، وهى القصة أو الاسطورة أو الأحدوثة التى تروى عن مصدر اسرائيلى ، نسبة الى اسرائيل وهو سيدنا يعقوب ابن سيدنا اسحق ابن أبى الانبياء سيدنا ابراهيم على نبينا وعليهم الصلاة والسلام •

وفى حقيقة الأمر أن لفظ (الاسرائيليات) فى اصطلاح العلماء — مفسرين ومحدثين — يطلق على كل ما تطرق الى التفسير والحديث من قصص وأساطير قديمة منسوبة فى أصل روايتها الى مصدر يهودى أو نصرانى ، أو غيرهما • بل توسع بعضهم فعد من الاسرائيليات كل ما دسته يد أعداء الاسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث من أخبار مختلقة لا أصل لها فى مصدر قديم بغية افساد عقائد المسلمين وتلبيس الحق بالباطل •

ومن ثم فاطلاق لفظ (الاسرائيليات) على كل ذلك انما هو من قبيل التغليب للجانب اليهودى على ما سواه من الجانب النصرانى وغيره ، لاشتهار أمر الدس اليهودى وكثرته وغلبته على ما سواه[1] •

أما كيف تطرقت هذه الاسرائيليات الى ميدان التفسير وامتزجت به وتفاقم خطرها : فان مبدأ دخول الاسرائيليات فى التفسير كان مسبوقا بتسرب الثقافة الاسرائيلية الى الثقافة العربية فى الجاهلية نتيجة لاتصال اليهود بالعرب لا سيما بعد هجرتهم الكبرى سنة ٧٠ م فرارا من بطش وتنكيل (نيطس الرونى) فنزحوا الى الجزيرة العربية بما معهم من ثقافات وعلوم ومعارف مستمدة من كتبهم — وخاصة التوراة — وكان لتلاحمهم مع العرب — باقامتهم فى الجزيرة العربية وباحتكاك العرب بهم خلال رحلات العرب التجارية كرحلتى الشتاء والصيف الى اليمن

(١) الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير للدكتور محمد ابو شهبة ص ٢١ •

والشام — أثر كبير فى تسرب الثقافة اليهودية الى العرب فى الجاهلية .

ثم حين أشرقت شمس الاسلام ، ونزل كتاب الله الاعظم نورا وهديا وعلما وحكمة وهيمنة على سائر الكتب السماوية تحولت الجزيرة العربية الى مركز الاشعاع السماوى للعالم كله وأصبح القرآن المجيد هو النور الأبهر الذى تلاشت بجانبه أشعة المصابيح الخافتة ، فهرع المتعطشون للنور اليه وكان منهم صادقون من أهل الكتاب ، فأسلم من اليهود وجمع من هؤلاء كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار ووهب بن منبه وغيرهم ، ودخلوا فى زمرة المسلمين المخلصين بما معهم من علوم ومعارف ، ملتفين حول كتاب الله الخاتم المهيمن ، بيد أن ذلك لم يمنع من تناقل كثير من معارف أهل الكتاب على أيديهم — عن حسن قصد — بالاضافة الى تناقل العلوم والمعارف بين المسلمين فى دار الهجرة (المدينة المنورة) وبين جيرانهم من يهود بنى قينقاع ، وبنى قريظة ، وبنى النضير ، وغيرهم ، مما تقضى به عادة الجوار مع التزام المسلمين الكامل بهدى نبيهم — صلى الله عليه وسلم — وكتابهم المبين الذى وجد فيه الصحابة كل غنية عما سواه .

ومضى عصر الصحابة رضوان الله عليهم على النهج الامثل فى الالتزام باشعاع الهدى القرآنى والتحوط الكامل فى صيانته من الدخيل فلم تمس تلك المعارف الاسرائيلية جوهر الرواية للمأثور من التفسير والحديث فى عصر الصحابة من قريب أو بعيد ، نظرا للتحرى الدقيق والتشدد فى ضبط الرواية حتى روى الذهبى فى (التذكرة) أن سيدنا عمر رضى الله عنه قال لسيدنا أبى بن كعب — وقد روى له حديثا — : (لتأتينى على ما تقول ببينة ! فخرجا ، فاذا ناس من الانصار ، قال : فذكر لهم ، قالوا سمعنا هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : أما انى لم أتهمك ، ولكنى أحببت أن اتثبت) ![1] وعلى هذا النحو من الدقة والاحكام مرت مرحلة الرواية فى عصر الصحابة وقد كان التفسير يسير مع الحديث فى مرحلتى الرواية والتدوين جنبا الى جنب ، بل لقد كانا متلاحمين حتى أن التفسير بالمأثور آنذاك لا يكاد يخرج عن كونه حديثا فقد أخذ نفس الطابع فى الدقة والتحفظ والاحتياط . ومما بلغ بالتحفظ — فى نقل الصحابة عن أهل الكتاب — ذروته : هذا التوجيه النبوى الكريم الذى رواه البخارى — بسنده — عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا : آمنا بالله وما أنزل الينا ...)[2] الآية)[3] قال الحافظ ابن حجر فى شرح هذا الحديث (... أى اذا كان ما يخبرونكم به محتملا ، لئلا يكون فى نفس الأمر صدقا فتكذبوه أو كذبا فتصدقوه فتقعوا فى الحرج ولم يرد النهى عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه ، نبه على ذلك الشافعى رحمه الله ...)[4] . لقد أوضح الامام ابن حجر حيثيات التحفظ الذى ورد فى الحديث

---

(١) الذهبى : تذكرة الحفاظ : ٨/١ ، وانظر : السنة قبل التدوين للدكتور محمد عجاج الخطيب ص ١١٥ وانظر : الحديث والمحدثون للدكتور محمد ابو زهرة ص ٧٠ .

(٢) سورة البقرة/١٣٦

(٣) صحيح البخارى : كتاب التفسير ٢٥/٦ ط : الشعب .

(٤) ابن حجر : فتح البارى ١٢٠/٨ .

الشريف ، وبين مناطه ، وهو ماكان من الاخبار محتملا • وأما ما كان متفقا مع شرعنا وله سند قطعى يؤيده كأن يوافق نصا قرآنيا أو بيانا نبويا • فلا مجال ثمة للتردد فى قبوله ، وعليه يحمل الحديث الشريف الذى رواه البخارى بسنده عن سيدنا عبد الله بن عمرو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)[1] ، فرفع الحرج عن الصحابة فى التحديث عن بنى اسرائيل مشروط بعدم معارضة النص القرآنى أو الحديث النبوى فى أمر من الأمور ، لأن للقرآن الكريم هيمنته على سائر ، الكتب السماوية والسنة النبوية مبينة له ، كذلك كان التحديث عن بنى اسرائيل مشروطا بالتحقيق من عدم كذبه ، لاستحالة اباحة النبى صلى الله عليه وسلم للصحابة أن يرووا الاكاذيب عن بنى اسرائيل•

وفى اطار هذه التحفظات ظل التفسير والحديث فى عصر الصحابة (طور الرواية) بمأمن من تسرب الاكاذيب الاسرائيلية اليهما ، وكل ما هنالك من تأثر انما كان من ادلاء بعض من أسلم من أهل الكتاب ببعض تفاصيل لما قصه القرآن الكريم من خبر السابقين مما يدخل فى نطاق العظة والعبرة والتصديق لما جاء به القرآن من وقائع ، وكل ذلك فى اطار ما سبق من تحفظات •

ومن ثم مضى عصر الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وساحة التفسير والحديث نظيفة منزهة عن خطر الدس الاسرائيلى وخلافه •

ثم جاء عصر التابعين ، وفيه هبت الفتن السياسية وتفاقمت اخطار الخلافات المذهبية ودوت اعاصير البدع والاهواء الجامحة المتعلقة بقضايا الخلافة والملك وغيرها فوجد أعداء الاسلام فى هذا الجو الحالك فرصة سانحة للدس والوضع فى التفسير والحديث ، وتلقف خبثاء اليهود الحانقين على الاسلام تلك الفرصة فامتدت أيديهم بدس الاسرائيليات وبوضع الاحاديث المختلفة •

بيد أن أئمة التابعين وأثبات علمائهم قد تنبهوا لهذا الخطر وبذلوا جهدا عظيما فى الذب عن حرم الوحيين الشريفين ، فوضعوا أحكم الضوابط وأدق القوانين للحفاظ على المأثور من الحديث والتفسير وتشددوا ، غاية التشدد فى طلب الاسناد من الرواة ، ولم يقبلوا حديثا الا باسناده ، وبثبوت عدالة رواته وقوة ضبطهم ، يروى مسلم بسنده عن الامام محمد بن سيرين أنه قال : (ولم يكونوا يسألون عن الاسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم ، فينظر الى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر الى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم)[2] وأمكن بهذا النشاط العلمى والتثبت من الرواة وتتبع الكذبة ضبط آلاف من الاحاديث الموضوعة بأيدى الزنادقة والمبتدعة[3] وأمكن انقاذ المأثور من الحديث والتفسير وتخليصهما من القسط الاكبر من الدس والوضع • بيد أنه قد تسرب الى محيط التفسير فى هذا العصر قسط كبير من الاسرائيليات التى نسجت بأيدى المارقين

---

(١) صحيح البخارى : كتاب بدء الخلق ٢٠٧/٤ ط : الشعب •

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٨٤/١

(٣) روى عن حماد بن زيدأنه قال (وضعت الزنادقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة عشر الف حديث منهم عبد الكريم بن ابى العوجاء الذى قتل وصلب فى زمن المهدى انظر تدريب الراوى للسيوطى ٢٨٤/١

الفجرة من اعداء الاسلام وعاون على تفشيها فى محيط التفسير من بعد : التغافل عن ذكر السند فى المرويات فصعبت مهمة الباحث عن مصدرها ، ثم الصقها الكثيرون ــ حينما اعيتهم الحيل فى البحث ــ بمن أسلم من أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام الذى وثقه رجال الجرح والتعديل وروى له البخارى[1] فلقد جنى عليه من جراء ما نسب اليه وهو منه براء •

وأيضا : كعب الاحبار الذى أخرج له مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى ومع ذلك نال منه الكثير من العلماء والباحثين[2] وكذلك وهب بن منبه الذى اعتمد البخارى حديثه ووثقه الجمهور[3] •

وقد قسم العلماء الاسرائيليات الى ثلاثة أقسام :

أولها : ما يعلم صحته بالنقل الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أو بما تضمنه القرآن الكريم نفسه باعتباره شاهدا ومهيمنا على ما سبقه من الكتب السماوية ، وهذا القسم تجوز روايته للاستشهاد به ولاقامة الحجة على اليهود من كتبهم • من أمثلة هذا القسم : تعيين صاحب سيدنا موسى على نبينا وعليه السلام بما فى الحديث الصحيح من أنه الخضر عليه السلام • وهذا القسم هو ما ورد فيه (وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج) •

وثانيها : ما يتحقق من كذبه بمخالفته للعقيدة الاسلامية وللنصوص القطعية من الكتاب والسنة كما ورد فى قصص الانبياء من مفتريات تقدح فى عصمتهم • ولا تجوز رواية هذا القسم الا مع اثبات كذبه •

وثالثها : ما لا يدخل فى القسمين السابقين مما هو مسكوت عنه • وهو ما يجب التوقف فيه ، وعليه يحمل الحديث الشريف (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم) •

بيد أن أكثر المفسرين لم يلتزموا بالتحفظ فى رواية الاسرائيليات فى تفاسيرهم ــ لاسيما من أسقطوا الاسانيد ممن جاءوا بعد عصر التابعين وأتباعهم فضمنوا تفاسيرهم هذه الأقسام الثلاثة من الاسرائيليات دون تحفظ مما جنى على التراث التفسيرى جناية عظمى ، من ثم أجد احقاقا للحق أن أعرض لموقف الواحدى من الاسرائيليات من منطلق التعرف على موقف جمهرة المفسرين ــ جملة ــ فى هذا الصدد ، حتى نرصد موقفه على أساس موضوعى مقارن • والحق الذى لامراء فيه أن وجود الاسرائيليات فى التفسير ظاهرة عامة ومشتركة لدى جمهرة المفسرين بمختلف طبقاتهم ومناهجهم ، من المتعذر حقيقة أن نعثر على تفسير قد برئت ساحته تماما من هذا الوباء المنتشر ، حتى أن تفسير ابن عطية الذى وضعه ابن خلدون فى صدارة التفاسير المنتقاة والخالية من النقول الاسرائيلية[4] نجده بعد التمحيص لم يسلم منها تماما[5] •

---

(١) انظر صحيح البخارى : باب مناقب عبد الله بن سلام ٤٦/٥ ط الشعب، الاسرائيليات فى التفسير والحديث /١١٨

(٢) انظر موقف احمد امين منه فى فجر الاسلام ص/١٩٨ ط لجنة التاليف والترجمة والنشر . انظر : الاسرائيليات فى التفسير والحديث ص ١٢٥ ــ ١٤٠

(٣) المرجع السابق ص ١٤٢

(٤) ابن خلدون: المقدمة/٤٠٤ ط الشعب.

(٥) انظر : منهج ابن عطية فى تفسير القرآن الكريم للدكتور عبد الوهاب فايد/١٨٤

وحين نأتي الى موقف الواحدى من الاسرائيليات فى تفسيره ونقرأ فى تفاسيره الثلاثة : البسيط والوسيط والوجيز ، نجد قد جرفه تيار نقل الاسرائيليات فضمنها قدرا كبيرا من المرويات الاسرائيلية فى اطار نقله للمأثور كما فعله شيخ المفسرين الطبرى وشيخ الواحدى الثعلبى .

فنجد من الاسرائيليات التى ذكرها الواحدى فى قصة سيدنا آدم على نبينا وعليه السلام ، ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ...)[1] قال فى البسيط :

(واختلفوا فى كيفية وسوسة ابليس وكيفية وصوله الى آدم ، فقال الاكثرون ، ومنهم ابن عباس ، ووهب : أن الحية ادخلت ابليس الجنة حتى قال لادم « هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟) فأبى أن يقبل منه فقاسمهما بالله أنه لهما لمن الناصحين فاغتروا ، وما كانا يظنان أن أحدا يحلف بالله كاذبا ، فبادرت حواء الى أكل الشجرة ثم ناولت آدم حتى أكلها ...)[2] وقد ذكر نفس النص — حرفيا — فى الوسيط ، غير أنه فيه لم ينسب الرواية لوهب أو ابن عباس ، وانما قال فيه : (قال المفسرون ...)[3] .

وقد حملت نسبتها الى وهب أول أدلة كونها من الاسرائيليات لنسبة الكثير من الاسرائيليات اليه وقد أسلفت أن مجىء أكثر الاسرائيليات منسوبا لوهب أو لكعب لا يعنى بالضرورة صحة هذه النسبة وانما يعطينا اسناد المرويات اليهما مؤشرا لمظنة وجود الاسرائيليات فيها ، ومن ثم كان تصريح الواحدى — فى البسيط — بالاسناد الى وهب مفتاحا لاكتشاف اسرائيلية القصة . وذلك يخفف من تبعة روايته لها الى حد ما ، بخلاف موقفه فى الوسيط حيث اسند الرواية الى المفسرين . وقد جاءت هذه الرواية مقتضبة ومختصرة مما رواه الطبرى وغيره . وقد ذكر الفخر الرازى تلك الرواية وصرح ببطلانها قائلا : (واعلم أن هذا وامثاله مما يجب الا يلتفت اليه ، لأن ابليس لو قدر على الدخول فى فم الحية فلم لم يقدر على أن يجعل نفسه حية ويدخل الجنة ؟؟ ..)[4] كذلك صرح ابن كثير فى تفسيره بأن هذه الرواية من الاخبار الاسرائيلية فقال فى تفسير الآية : (وقد ذكر المفسرون من السلف كالسدى — بأسانيده — وأبى العالية ، ووهب بن منبه ، وغيرهم ههنا اخبارا اسرائيلية عن قصة الحية وابليس ، وكيف جرى من دخول ابليس الجنة ووسوسته ...)[5] ثم لم يذكر الرواية بتفاصيلها فى هذا الموضع مكتفيا بالتنوية الى حقيقة أمرها ، بينما ذكرها أكثر المفسرين ومنهم ابن عطية ، والقرطبى دون تعقيب عليها رغم ما عرف عنهما من نقد للاسرائيليات وخاصة ابن عطية[6] .

ومن الاسرائيليات التى ضمنها الواحدى تفسيره (الوجيز) فى قصة سيدنا آدم — على

(١) سورة البقرة/٣٦
(٢) الواحدى : البسيط ١/١٣٧
(٣) الواحدى : الوسيط ١/١٩

(٤) انظر : مفاتيح الغيب للفخر الرازى ١/٣٠٧.
(٥) انظر : تفسير ابن كثير ١/١١٤
(٦) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ١/٢٤٠ — ٢٤١ ، وانظر تفسير القرطبى ١/٣١٢ — ٣١٣

نبينا وعليه السلام — أيضا : ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون)[1] ٠

يقول الواحدى : (٠٠٠ « فلما أثقلت » أى صارت الى حال الثقل ودنت ولادتها (دعوا الله ربهما) : أ ى آدم وحواء (لئن آتيتنا صالحا) أى بشرا سويا مثلنا (لنكونن من الشاكرين) : وذلك أن ابليس أتاها فى غير صورته التى عرفته ، وقال لها : ما الذى فى بطنك ؟ قالت : ما أدرى ٠ قال : انى أخاف أن يكون بهيمة أو كلبا أو خنزيرا ، وذكرت ذلك لآدم فلم يزالا فى هم من ذلك ، ثم أتاها فقال : ان سألت الله أن يجعله خلقا سويا مثلك اتسمينه عبد الحارث ؟ — وكان اسم ابليس فى الملائكة الحارث — ولم يزل بها حتى غرها ، فلما ولدت ولدا سوى الخلق سمته عبد الحارث برضا آدم ، فذلك قوله : (فلما آتاهما صالحا) أى بشرا سويا (جعلا له شركاء) يعنى ابليس ، فأوقع الواحد موقع الجمع (فيما آتاهما) من الولد ، اذ سمياه عبد الحارث ، ولا ينبغى أن يكون عبدا الا لله تعالى ، ولم تعرف حواء انه ابليس ، ولم يكن هذا شركا بالله ، لانهما لم يذهبا الى أن الحارث ربهما ، لكنهما قصدا الى أنه كان سبب نجاته وسلامة أمه ، وتم الكلام عند قوله (آتاهما) ثم ذكر كفار مكة فقال (فتعالى الله عما يشركون)[2]٠

ان هذه القصة قد وردت فى أكثر التفاسير — ان لم يكن فى جميعها — وقد سلم بها بعضهم وردها فريق منهم ، وتوقف عن القطع فى أمرها فريق آخر ٠

فمن سلم بهذه القصة من المفسرين استند الى ما رواه الحاكم والترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (لما حملت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد ، فقال : سميه عبد الحارث ، فسمته عبد الحارث ، فعاش ذلك ، وكان ذلك من وحى الشيطان وأمره)[3]

كما وجهه البغوى قائلا ليس اشراكا فى العبادة ولا أن الحارث ربهما ، فان آدم كان نبيا معصوما من الشرك ، ولكن قصد الى أن الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامة أمه ، وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به أنه معبود هذا ، كالرجل اذا نزل به ضيف يسمى نفسه عبد الضيف على وجه الخضوع لا على وجه أن الضيف يملكه ، قال الشاعر :

وانى لعبد الضيف ما دام ثاويا
وما فى الا تيك من شيمة العبد[4]

وتقول للغير : انا عبدك ٠٠٠)[5]

وممن رد هذه القصة من المفسرين ونص على اسرائيليتها : القرطبى ، فقال فى تفسيره معقبا عليها : (٠٠ ونحو هذا مذكور فى ضعيف الحديث فى الترمذى وغيره ، وفى الاسرائيليات

---

(١) سورة الاعراف : ١٨٩ — ١٩٠
(٢) الواحدى : الوجيز ١/٣١٠ — ٣١١

(٣) اخرجه الترمذى وقال : هذا حديث حسن غريب . انظر الجامع الصحيح للترمذى : ٥/٢٦٨
(٤) البيت لحاتم الطائى ، ذكره القرطبى مع نفس النص فى تفسيره : ٧/٣٣٩
(٢) نقل هذا النص عن البغوى : الخطيب فى تفسيره ١/٥٤٥

كثير ليس لها ثبات ، فلا يعول عليها من له قلب ، فان آدم وحواء عليهما السلام — وان غرهما بالله الغرور — فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ...)[1] .

كذلك رد الفخر الرازى هذه القصة وقال : (واعلم أن هذا التأويل فاسد ، ويدل عليه وجوه : (الأول) أنه تعالى قال (فتعالى الله عما يشركون) وذلك يدل على أن الذين أتوا بهذا الشرك جماعة . (الثانى) : أنه تعالى قال بعده : (أيشركون مالا يخلق شيئا وهم يخلقون) وهذا يدل على أن المقصود من هذه الآية : الرد على من جعل الأصنام شركاء لله تعالى وما جرى لابليس اللعين فى هذه الآية ذكر . (الثالث) : لو كان المراد ابليس لقال : أيشركون من لا يخلق شيئا ولم يقل : (ما لا يخلق شيئا) ، لأن العاقل انما يذكر بصيغة (من) لا بصيغة (ما) . (الرابع) : ان آدم عليه السلام كان من أشد الناس معرفة بابليس وكان عالما بجميع الاسماء كما قال تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها)[2] فكان لابد وأن يكون قد علم أن اسم ابليس هو الحارث، فمع العداوة الشديدة التى بينه وبين آدم ، ومع علمه بأن اسمه هو الحارث كيف سمى ولد نفسه بعبد الحارث ؟ وكيف ضاقت عليه الاسماء حتى أنه لم يجد سوى هذا الاسم ...)[3] .

وهكذا تناول الفخر الرازى نقد هذه القصة بحججه المنطقية القوية الملزمة برد هذه القصة . وأما ابن كثير فقد تصدى لهذه الرواية فى تفسيره ونقدها نقدا علميا فى غاية الاحكام ، اذ عرض للحديث الذى هو عماد الاحتجاج لهذه القصة فبين أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه : أحدها : وجود قدح فى أحد رواته ، وثانيها : قدح فى رفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم ، والثالث : أن الامام الحسن قد عدل عن تفسير الآية على مقتضى هذا الحديث بما يرجح عدم رفعه ، اذ قال فى تفسيرها : عنى بها ذرية آدم ، ومن أشرك منهم بعده يعنى (جعلا له شركاء فيما آتاهما) وهذا الأثر عن الامام الحسن أورده الطبرى فى تفسيره[4] — رغم أنه أورد فى تفسير الاية نفس الرواية الاسرائيلية — ثم بعد أن أورد ابن كثير تلك الآثار مسندة عن السلف — كالامام ابن عباس من عدة طرق وأبى — عقب عليها قائلا : (وهذه الآثار يظهر عليها — والله أعلم — أنها من آثار أهل الكتاب ، وقد صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم»[5] ثم أخبارهم على ثلاثة أقسام : فمنها ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله ، ومنها ما علمنا كذبه بما دل على خلافه من الكتاب والسنة أيضا ، ومنها ما هو مسكوت عنه ، فهو المأذون فى روايته بقوله عليه السلام « حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج »[6] وهو الذى لا يصدق ولا يكذب لقوله : « فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » .

وهذا الاثر : هو من القسم الثانى أو

---

(١) القرطبى : الجامع لاحكام القرآن ٣٣٨/٧

(٢) سورة البقرة/٣١

(٣) الفخر الرازى : مفاتيح الغيب ٣٣٢/٤ — ٣٣٣

(٤) انظر تفسير الطبرى : ١٤٨/٩ ط : الحلبى .

(٥) مر تخريج الحديث من صحيح البخارى فى كتاب التفسير ، كما رواه ايضا فى كتاب الشهادات ٢٣٧/٣ ط الشعب واخرجه ابو داود فى كتاب العلم : باب : رواية حديث اهل الكتاب الحديث ٣٦٤٤ : ٤٣٣/٣

(٦) سبق تخريجه ، وقد قال فيه الترمذى: هذا حديث حسن صحيح .

الثالث — فيه نظر — فأما من حدث به من صحابى أو تابعى فانه يراه من القسم الثالث •
وأما نحن : فعلى مذهب الحسن البصرى — رحمه الله — فى هذا ، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء ، وانما المراد من ذلك المشركون من ذريته ولهذا قال الله : (فتعالى الله عما يشركون)[1] •

وهكذا وقف ابن كثير فى هذه الحلبة فارسها المغوار وناضل عما ارتآه من وجهة نظر • بينما وقف مفسرون آخرون ازاء هذه الآية موقف الاستشكال كالامام الالوسى الذى قال عنها فى تفسيره : (وهذه الآية عندى من المشكلات)[2] بينما وقف صاحبنا الواحدى مع جمهرة من المفسرين مع المأثور من الروايات التى نص الاساطين على اسرائيليتها •

ومن الاسرائيليات التى ضمنها الواحدى تفسيره أيضا : ما أورده فى قصة (هاروت وما روت ••)اذ نجده عند تفسير قوله تعالى (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ••)[3] يقول فى تفسيره البسيط :

« وأما قصة الملكين فهى معروفة مذكورة فى عدة مواضع •••)[4] ثم لا يروى فى هذا الموضع عن أمر الملكين وقصتهما شيئا !!

بينما نجده فى (الوسيط) — وهو المتأخر عن البسيط تصنيفا — يروى فى قصة الملكين ما تورط فيه أكثر المفسرين ونقلوه من الاسرائيليات ، وقد تعددت الروايات فى هذه القصة حتى بلغت طرقها — كما ذكر الالوسى فى تفسيره — نيفا وعشرين طريقا[5] !!

يقول الواحدى : (روى طلحة عن عطاء ، قال: بلغنى أن هاروت وماروت قالا وهما فى السماء : أى رب ، انك لتعصى فى الارض !! قال : فاهبطا الى الارض ، فجعلا يحكمان بين الناس حتى جاءتهما امرأة من أحسن الناس واجملهم ، تخاصم زوجا لها ، فقال احدهما للآخر : هل سقط فى نفسك مثل الذى سقط فى نفسى ؟ قال نعم ، قال : فهل لك أن تقضى لها على زوجها ؟ فقال له صاحبه : اما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب ؟ فقال له صاحبه : أما تعلم ما عند الله من المغفرة والرحمة ؟ فسألاها نفسها ، فقالت لهما لا ، الا أن تقضيا لى على زوجى ، فقضيا لها ثم سألاها نفسها ، فقالت لهما : لا ، الا أن تقتلاه فأفرغ لكما ، فقال أحدهما للآخر : أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب ؟ فقال له صاحبه : أما تعلم ما عند الله من المغفرة والرحمة ؟ فقتلاه ، ثم سألاها نفسها ، فقالت : لا ، الا أن لها صنما تعبده ، ان انتما صليتما معى عنده فعلت • فقال احدهما لصاحبه مثل القول الأول وقال له صاحبه مثل قوله الأول ، فصليا معها عنده ، فمسخت عند ذلك شهابا ، وأخذا عند ذلك فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الاخرة ، قال عطاء : فبلغنى أنهما معلقان بأرجلهما مصلوبة رؤوسهما تحت أجنحتهما[6])[7] •

---

(1) الحافظ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٣/٥٢٨ — ٥٣١ ط الشعب •
(2) انظر : روح المعانى للامام الالوسى ٩/١٣٩
(3) سورة البقرة/١٠٢
(4) الواحدى : ١/٢٦٨
(5) انظر تفسير الالوسى ١/٣٤١

(6) وردت هذه القصة من عدة طرق بلغت نيفا وعشرين كما ذكره الالوسى ، واختلفت تفاصيلها من رواية الى اخرى ، واقرب تلك الروايات الى ما ذكره الواحدى : ما رواه ابن كثير عن اسباط عن السدى وفيها بعض الزيادات كتسمية المراة (الزهرة) بالعربية و (اناهيد) بالفارسية ، وفى نهايتها ان المراة طلبت من الملكين أن يعلماها الكلام الذى يصعدان به الى السماء فصعدت به ثم نسيته فبقيت كوكبا • (تفسير ابن كثير ١/٢٠٢) •
(7) الواحدى : الوسيط ٣٧ — ٣٨

ومن العجيب حقا أن يتداول المفسرون مثل هذه القصة الاسرائيلية رغم القدح الفاحش الذى تضمنته فى عصمة الملائكة ، وقل من أثبت زيفها من المفسرين ، حتى لقد عجبت من ابن عطية المفسر الذى ذكرها ثم علق عليها بقوله (وهذا القصص يزيد فى بعض الروايات وينقص فى بعض ولا يقطع منه بشىء ، فلذلك اختصرته)[1] ولماذا ذكره اذا طالما ليس مقطوعا به ؟؟ وكيف فات على الواحدى وابن عطية وغيرهما ما تثيره تلك المرويات الاسرائيلية من فتن وضلالات • أما الامام ابن كثير فقد رصد تلك المرويات رصد العالم الخبير بالاثار اليقظ للدسائس الاسرائيلية فنجده يعقب عليها فى تفسيره قائلا (وقد روى فى قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين ، كمجاهد والسدى والحسن وقتادة وأبى العالية والزهرى والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وغيرهم • وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين ، وحاصلها راجع فى تفصيلها الى اخبار بنى اسرائيل ، اذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الاسناد الى الصادق المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى ، وظاهر سياق القرآن اجمال القصة من غير بسط ولا اطناب فيها ، فنحن نؤمن بما ورد فى القرآن على ما أراده الله تعالى • والله أعلم بحقيقة الحال)[2] •

ولله در الامام الفخر الرازى — رضى الله عنه — اذ علق على هذه الرواية الاسرائيلية بقوله : (••• واعلم أن هذه الرواية فاسدة مردودة غير مقبولة ، لأنه ليس فى كتاب الله ما يدل على ذلك بل فيه ما يبطلها من وجوه : الاول — ما تقدم من الدلائل الدالة على عصمة الملائكة عن كل المعاصى ، وثانيها : أن قولهم أنهما خيرا بين عذاب الدنيا وبين عذاب الآخرة فاسد ، بل كان الاولى : أن يخيرا بين التوبة والعذاب لأن الله تعالى خير بينهما من اشرك به طول عمره ، فكيف يبخل عليهما بذلك ، وثالثها : أن من أعجب الأمور قولهم أنهما يعلمان السحر فى حال كونهما معذبين ، ويدعوان اليه وهما يعاقبان • ولما ظهر فساد هذا القول فنقول : السبب فى انزالهما وجوه : أحدها أن السحرة كثرت فى ذلك الزمان واستنبطت أبوابا غريبة فى السحر وكانوا يدعون النبوة ويتحدون الناس بها ، فبعث الله تعالى هذين الملكين لاجل أن يعلما الناس أبواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة أولئك الذين كانوا يدعون النبوة ، ولا شك أن هذا من أحسن الاغراض والمقاصد •••[3])[4] •

ومن الاسرائيليات التى تورط فيها الواحدى وضمنها تفسيره — وشاركه فى ذلك جمهرة من المفسرين — ما ذكره فى قصة سيدنا يوسف — على نبينا وعليه الصلاة والسلام — عند تفسيره قوله تعالى (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه •••)[5] اذ قال فى تفسيره (البسيط) :

« وأما معنى هم يوسف بها : فقال المفسرون الموثوق بعلمهم ، المرجوع الى روايتهم : هم يوسف أيضا بهذه المرأة هما صحيحا ، وجلس منها مجلس الرجل من المرأة،

---

(١) انظر : تفسير ابن عطية ١/٣٧١

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : ١/٢٠٣

(٣) ذكر الفخر الرازى بعد ذلك خمسة وجوه فى سبب انزال الملكين ، وقد اقتصرنا منها على الوجه المتضمن معنى الآية الكريمة على وجه صحيح خلو من الاسرائيليات ومن القدح فى عصمة الملائكة .

(٤) الامام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب ١ — ٤٢٩

(٥) سورة يوسف/٢٤

فلما رأى البرهان من ربه زالت عنه كل شهوة ، قال الباقر باسناده عن على رضى الله عنه قال : طمعت فيه ، وطمع فيها ، وكان طمعه فيها أنه هم بحل التكة (!!)[1] وروى عن ابن أبى مليكة عن ابن عباس قال : حل الهميان ، وجلس منها مجلس الخاتن[2] ، ونحو هذا قال فى رواية عطاء ، وروى عنه أيضا أنه سئل : ما بلغ من هم يوسف ؟ قال : استلقت له وقعد بين رجليها ينزع ثيابه ، ونحو هذا قال سعيد ابن جبير ومجاهد ، والضحاك والسدى ومحمد ابن اسحق .

وقوله تعالى « لولا أن رأى برهان ربه »: قال الباقر باسناده عن على رضى الله عنه : قال : قامت المرأة الى صنم مكلل بالدر والياقوت فى زاوية البيت ، فسترته بثوب ، فقال يوسف : أى شىء تصنعين ؟ قالت : استحى من الهى هذا أن يرانى على السوء فقال : أتستحين من صنم لا يعقل ولا يسمع ولا استحى من الهى القائم على كل نفس بما كسبت ؟ فوالله لا تناليها منى أبدا . قال : فهو البرهان الذى رآه[3] .

وقال ابن عباس وعامة المفسرين : مثل له يعقوب فرأى صورته عاضا على أصابعه يقول : أتعمل عمل الفجار وأنت مكتوب فى الانبياء ؟ فاستحيا منه[4] .

وهذا قول عكرمة ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير ، وقتادة والضحاك وابن سيرين ومقاتل . قال سعيد بن جبير : مثل له يعقوب فضرب فى صدره فخرجت شهوته من أنامله . وقال ابن عباس فى رواية ابن أبى مليكة : انه لم يزدجر برؤية صورة يعقوب حتى ركضه جبريل فى ظهره فلم يبق فيه شهوة الا خرجت ، فوثب واستبقا الباب .

هذا الذى ذكرناه قول أئمة المفسرين الذين أخذوا التأويل عمن شاهدوا التنزيل . واما المتأخرون :

فانهم ذكروا فى الآية وجها قصدوا به تنزيه يوسف عن الهم الفاسد ، أخبرنا أبو الفضل العروضى قال أخبرنى الازهرى عن المنذرى عن ثعلب ، أنه سئل عن هذه الآية فقال : همت زليخا بالمعصية مصرة على ذلك ، وهم يوسف بالمعصية ولم يأتها ولم يصر عليها فبين الهمين فرق ، وشرحه ابن الانبارى فقال: همت المرأة عازمة على الزنا قاصدة قصده ، ويوسف عارضه ما يعارض البشر من خطرات القلب وحديث النفس ووسوسة الشيطان ، فكان هاما غير عازم ، فلم يلزمه هذا الهم ذنبا ولم يلحقه عتبا ، اذ الرجل الصالح يخطر بقلبه وهو صائم شرب الماء البارد والتلذذ بأكل الطعام الطيب فاذا لم يأكل ولم يشرب كان غير مؤاخذ بما هجس فى نفسه . فان قيل على هذا : اذا كان هذا الهم لم يوجب معصية فبرهان ربه عن أى شىء صرفه ؟ قيل : انه وان لم يوجب معصية فالنبيون والصديقون يعاتبون على الخطرة واللمحة والوسوسة ، وبرهان ربه صرفه عن الاقامة على الشىء الذى التمادى فيه يؤدى الى اكتساب ما يوجب عقوبة . فهذه طريقة .

وقال آخرون : الآية محمولة على التقديم والتأخير ، وتلخيصها : ولقد همت به لولا أن

---

(١) روى الطبرى بسنده عن سعيد بن جبير انه قال : اطلق تكة سراويله : (١٨٤/١٢) .

(٢) ساق الطبرى هذه الرواية بسنده عن ابن عباس فى تفسيره : (١٨٥/١٢) وانظر تفسير القرطبى (١٦٦/٩) .

(٣) أورد القرطبى هذه الرواية عن سيدنا على كرم الله وجهه — فى تفسير البرهان . انظر: الجامع لأحكام القرآن : ١٦٩/٩

(٤) روى الطبرى هذا القول عن قتادة فى تفسيره (١٨٩/١٢) بزيادة : (يا يوسف) فى أوله .

رأى برهان ربه لهم بها ، فقدم جواب لولا عليها كما يقال : قد كنت من الهالكين لولا أن فلانا خلصك • ومثله قول الشاعر :

فلا تدعنى قومى صريحا لحـرة
لئن كنت مقتـولا ويسلم عامر[1]

فقدم جواب (لئن) • قال أبو اسحق : وليس بكثير فى الكلام أن تقول : ضربتك لولا زيد ، ولا : هممت بك لولا زيد ، انما الكلام : لولا زيد لهممت بك ، ولولا : تجاب باللام ، فلو كان فى القراءة : ولقد همت به ولهم بها لولا أن رأى برهان ربه ، لكان يجوز على بعد • وقال أبو بكر : تقديم جواب لولا عليها شاذ مستكره وغير موجود فى الفصيح من الكلام • وأما البيت : فانه من اضـطرار الشـعر ، ولا ينبغى أن يحمل كتاب الله تعالى النازل بأفصح اللغات على بيت دعت شاعره ضرورة الى تقديم ما هو مؤخر فى النية •

على أنا نقول : جواب (لئن) يتقـدم عليها لأنها مجراة مجرى اليمين ، فلما صلح اتيان القسم بعد المقسم عليه فى قولهم : يقوم زيد والله ، حملت (لئن) على القسم فأخرت بعد جوابها • و (لولا) : ليست قسما ولا مشبهة بالاقسـام • فسـبق جوابها بعيـد مستسمج • قال أبو أسحق : والذى عليـه المفسرون : أنه هم بها ، وأنه جلس منها مجلس الرجل من المرأة ، الا أن الله تفضل بأن أراه البرهـان ، ألا تراه قـال (وما أبرىء نفسى ••••)[2] الآية ؟ يعنى بهذا ما روى أن يوسف لما دخل على الملك وأقرت المرأة بقولها (أنا راودته عن نفسه)[3] وقال يوسف : (ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب)[4] قال له جبريل : ولا حين هممت بها يا يوسف ؟ فقال يوسف عند ذلك : (وما أبرىء نفسى ••) الآية وقال أبوبكر : والذى نذهب اليه فى هذه الآية: ما يروى عن الصحابة والتابعين من تثبيت الهم ليوسـف — غير عاتبين له ولا طاعنين — بل نقول : ان انصرافه بعـد ثبات الهم وحـل السراويل وجلوسه من المرأة مجلس الرجـل تعظيما لله ومعرفة لحقه أدل على محافظته على مذهب آبائه وعلى وفور الثواب وتكامل الاجر له عند ايثار الطاعة على اللذة ، لأنه انكشف عن المرأة فى الحال التى لا ينكشف فيها الا بر مخلص فكان انكشافه وصبره ماحيا عنه سيئة الهم وموجبا له حسـنات ومضـاعفات بالحديث الصحيح الذى روى فى حديث الغار وهو : أن ثلاثة لجأوا الى غار فانطبق عليهم الغار فذكر كل رجل أفضل عمله ، فذكر أحدهم أنه قام عن امرأة بعد ماقدره الله عليها ففرج الله عنهم • والحديث طويل معروف[5] • فدل على أن الهم بالزنا اذا اتبعه الانصراف بعد القدرة عليـه لم يكن من الفواحش ولا من الكبائر مع أن الذين اثبتوا الهم ليوسف من على وابن عباس وسعيد بن جبـير وعكرمة ومجاهد والضـحاك ووهب وابن سـيرين والحسن وقتادة وغيرهم • كانوا أعرف بحقوق الأنبياء وارتفاع منازلهم عند الله من الذين نفوا الهم عنه ، وقد قال الحسن : ان الله لم يقصص عليكم ذنوب الأنبياء تعييرا لهم ،

---

(١) لم اقف على تخريج هذا البيت ولا على نسبته لقائله ، والصريح — فى لسان العرب — يطلق على الرجـل الخالص النسب . وظـاهر المعنى : ان الشاعر يذكر قومه اذا هو قتـل دون عامر الا ينسبوه لحرة . انظر لسان العرب (صرح) ٣٤٠/٣

(٢) سورة (يوسف) /٥٣
(٣) سورة يوسف/٥١
(٤) سورة يوسف/٥٢
(٥) حديث الغار أخرجه مسـلم وغيره ، انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٥٥/١٧

ولكنه قصها عليكم لئلا تقنطوا من رحمته وتيأسوا من فضله • قال أبو عبيد : يذهب الحسن الى أن الحجة من الله عز وجل على أنبيائه أوكد وهى لهم ألزم ، فاذا كان يقبل منهم كان الى قبولها منكم أسرع »[1] •

هذا هو النص الكامل الذى تجلى لنا فيه موقف الواحدى ــ تفصيلا ــ من تفسير الهم المسند الى نبى الله سيدنا يوسف ــ على نبينا وعليه السلام ــ الذى ورد فى قصته بسورته • وقد آثرت عرض هذا النص المطول برمته لاستكمال أبعاد موقف الواحدى ولوضوح الرؤية لما استند اليه وبنى موقفه عليه •

فلقد عرض الواحدى أولا : لموقف مفسرى السلف وأثبت الروايات التى وقف عليها فى تفسير (الهم) و (البرهان) فساق النصوص المأثورة عن الامام ابن عباس والامام الباقر وجمهرة من التابعين وأتباعهم من أعيان ائمة التفسير كسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك والسدى وابن اسحق • وبين أن تلك الأقوال تمثل وجهه أئمة المفسرين الذين أخذوا التأويل عمن شاهدوا التنزيل •

ثم عرض ثانيا لموقف المتأخرين من بعض أئمة اللغة وأصحاب المعانى كثعلب وغيره من المفسرين ، وذكر أن اتجاههم فى تفسير الآية الكريمة هو تنزيه سيدنا يوسف عن الهم الفاسد • وبين وجهتهم • ثم عرض ثالثا لوجهة فريق من العلماء الذين حملوا الآية على تقديم جواب لولا عليها ، ثم عقب عليهم باعتراض الزجاج ببطلان هذا الرأى ، ثم عرض لرأى ابن الانبارى الذى أخذ بما روى عن السلف من أقوال •

ثم أخيرا : ختم الواحدى باظهار متجهه، وهو ما حكاه أولا عن السلف منأقوال وآثار • وحينما نتصدى لموقف الواحدى بالنقد والتقويم : فاننا نجد الخطأ الاكبر الذى وقع فيه هو وجلة من المفسرين انما يتمثل فى الثقة المفرطة ــ فى غير تحفظ ــ والاغترار بما نسب الى السلف من آثار وأقوال تتجافى مع قواعد الشرع وأصول العقيدة الصحيحة التى جاء بها القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، فكان بيت الداء أن الواحدى وأترابه قد عولوا على نسبة الاقوال الى السلف لا على ثبوتها عنهم فحجبتهم تلك النسبة عن رؤية الحق لذاته والنظر الى الأقوال فى ذاتها فى ضوء النصوص القطعية لا سيما ضوء التنزيل الحكيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وحفظه منزله من الدس والتبديل والوضع والاختلاق •

وقد أفصح الواحدى فى خاتمة ما عرضه من أقوال فىتفسير «هم» سيدنا يوسف ــ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ــ أن جل معتمده فى اثبات الهم له على النحو المشينالذى ارتآه : انما هو ثبوت تلك التفاسير عن السلف ــ ومن هنا كان الغرر ــ اذ قال : (مع أن الذين اثبتوا الهم ليوسف من على وابن عباس وسعيد بن جبير ••• كانوا أعرف بحقوق الانبياء وارتفاع منازلهم عند الله من الذين نفوا الهم عنه) !!

وقد أكد بذلك ما استهل به حديثه فى هذا المبحث قائلا (قال المفسرون الموثوق بعلمهم المرجوع الى روايتهم : هم يوسف أيضا بهذه المرأة هما صحيحا وجلس منها مجلس الرجل من المرأة •••) الخ •

ونحن بدورنا نسائل الواحدى ــ مع الامام الفخر الرازى الذى تصدى له فى هذا

---

(٢) الواحدى : البسيط ٢١٨/٤ ــ ٢٢١

الموقف قائلا : ومن الذى يضمن لنا أن الذين نقلوا هذا القول عن هؤلاء المفسرين كانوا صادقين أم كاذبين[1] ؟ وكيف يتساهل الواحدى فى قبول تلك الاثار المخجلة التى تصف نبيا لله بمقارفة الفحشاء والجلوس من امرأة العزيز مجلس الزناة — والعياذ بالله — وقد نطق التنزيل بتنزيهه عن ذلك (... كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين)[2] فلقد تضمنت الآية نفسها فى خاتمتها دليل عصمته وبراءته[3] .

ان التساهل فى قبول الاخبار والآثار المنسوبة للسلف أيا كان مضمونها ومغزاها قد أوقع الواحدى وأمثاله فى شرك الاسرائيليات والاباطيل التى دسها زنادقة أهل الكتاب والأفاكون من المبتدعة الذين قصدوا بها الطعن فى أنبياء الله والقدح فى عصمتهم . وقد فطن لدسائسهم كثير من أئمة العلماء المحققين . فمنهم الامام أبو حيان الذى قال فى هذا الموضع فى تفسيره : (طول المفسرون فى تفسير هذين الهمين ، ونسب بعضهم ليوسف مالا يجوز نسبته لآحاد الفساق . والذى أختاره : أن يوسف عليه السلام لم يقع منه هم بها البتة ، بل هو منفى لوجود رؤية البرهان ، كما تقول : لقد قارفت لولا أن عصمك الله . ولا تقول أن جواب (لولا) متقدم عليها ، وان كان لا يقوم دليل على امتناع ذلك ، بل صريح أدوات الشرط العاملة مختلف فى جواز تقديم أجوبتها عليها ، وقد ذهب الى ذلك الكوفيين ومن أعلام البصريين : أبو زيد الانصارى وأبو العباس المبرد ، بل نقول : أن جواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه ، كما يقول جمهور البصريين فى قول العرب : أنت ظالم ان فعلت فيقدرونه ان فعلت فأنت ظالم ...)[4] .

كما نص الزمخشرى على دس ما نسب الى السلف من آثار فى تفسير الهم المسند الى سيدنا يوسف فى هذه الآية فقال عن تلك الاثار والأقوال : (وهذا ونحوه ما يورده أهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله تعالى وأنبيائه ...)[5] ثم يقول : (ولو وجدت من يوسف — عليه السلام — أدنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت على آدم زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى أيوب وعلى ذى النون وذكرت توبتهم واستغفارهم)[6] ثم يعقب أخيرا بقوله : (ولو أن أوقح الزناة وأشطرهم وأحدهم حدقة وأجلحهم وجها لقى بأدنى ما لقى به نبى الله مما ذكروا لما بقى له عرق ينبض ولا عضو يتحرك . فياله من مذهب ما أفحشه ومن ضلال ما أبينه)[7] .

كما ذهب الامام الألوسى فى تفسير « هم» سيدنا يوسف — على نبينا وعليه السلام — الى عدة وجوه ، وأثبت من بين هذه الوجوه ما ذهب اليه بعض السادة الصوفية رضى الله تعالى عنهم فقال : (والى تقدير الدفع ذهب

---

(١) انظر : تفسير الفخر الرازى : ١٢٠/٥ ط الشرفية .

(٢) سورة يوسف /٢٤

(٣) تأول المبطلون (الفحشاء) هنا بمباشرة الزنا وقالوا انه صرف عنه برؤية البرهان ونحن نسائلهم أو ليس جلوس نبى الله — وحاشاه — من المرأة على ما ذكرتم بين شعبها وحله لسراويله من الفحشاء ؟ وكيف وقد حكم الله بنفيها عنه ، وكيف يكون من عباد الله المخلصين من وصفتموه بمالا يتصور الا فى الفسقة والفجرة ؟ حاشا لنبى الله أن يكون ذلك . واللهم غفرا .

(٤) انظر : تفسير البحر المحيط لابى حيان: ٢٩٤/٥ — ٢٩٥

(٥) الزمخشرى : الكشاف ٣١٢/٢

(٦) نفس المرجع .

(٧) الزمخشرى : الكشاف ٣١٢/٢

بعض السادة الصوفية – قدس الله تعالى أسرارهم – ففى الجواهر والدرر للشعرانى: سألت شيخنا عن قوله تعالى (ولقد همت به وهم بها) ، ما هذا الهم الذى أبهم ، فقد تكلم الناس فيه بما لا يليق برتب الانبياء عليهم السلام ؟ فقال : لا أعلم[1] ، قلت : قد ذكر الشيخ الأكبر[2] – قدس سره – أن مطلق اللسان يدل على أحدية المعنى ، ولكن ذلك أكثرى لاكلى ، فالحق أنها همت به – عليه السلام – لتقهره على ما أرادته منه ، وهم هو بها ليقهرها فى الدفع عما أرادته منه ، فالاشتراك فى طلب القهر منه ومنها ، والحكم مختلف ، ولهذا قالت (أنا راودته عن نفسه)[3] ، وما جاء فى السورة أصلا أنه راودها عن نفسها أ هـ)[4] .

وهكذا حصحص الحق على ألسنة الاثبات وفى مصنفات العلماء المحققين بما يكشف بطلان تلك الاسرائيليات والمفتريات التى دسها أعداء الاسلام وخصومه فى تفسير كتاب الله المبين .
واحقاقا للحق نقول : ان الواحدى لم ينفرد فى تلك الساحة بالاغترار بتلك الاسرائيليات وتضمينها تفسيره – وان كان ذلك لا يعفيه من التبعة – بل ان الداء قد أصاب أكثر المفسرين ان لم يكن جميعهم – على تفاوت بينهم كما أسلفت – وعلى رأسهم امامهم ابن جرير الطبرى الذى أورد فى تفسير «هم» سيدنا يوسف – على نبينا وعليه السلام – كل ما أورده الواحدى ونقله من روايات اسرائيلية منسوبة الى السلف ، باسناده المتصل . بل لا استبعد أن الواحدى قد نقل عنه تلك الاثار ، ثم لقد سبق ابن جرير الواحدى الى اختيار ما اختاره الواحدى فى تفسير (الهم) على الرغم من أنه أورد فى تفسيره ما ذكرناه من الوجوه الصحيحة ومن بينها : أن المراد همه بضربها ودفعها عنه ، ومنها ما ذكر من تقديم جواب (لولا) عليها . بيد أنه اختار أخيرا ما روى من الاباطيل منسوبا الى السلف فقال : (وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : ان الله جل ثناؤه أخبر عن هم يوسف وامرأة العزيز كل واحد منهما بصاحبه ، لولا أن رأى يوسف برهان ربه ، وذلك آية من آيات الله زجرته عن ركوب ما هم به يوسف من الفاحشة)[5] !!
كذلك انخدع بنسبة هذه الاسرائيليات الى السلف جمهرة من المفسرين ومن بينهم القرطبى حيث نص على نسبتها اليهم دون ابطال أو استبعاد لصدور مثل هذه الترهات عنهم فقال (وقيل ان هم يوسف كان معصية ، وانه جلس منها مجلس الرجل من امرأته ، والى هذا القول ذهب معظم المفسرين وعامتهم ...)[6] ثم أخذ فى سرد ما نسب الى السلف من أكاذيب دون أن يكذب نسبتها اليهم . وهكذا استفحل الداء وعم هذا الخطر الجلل تفسير الواحدى وغيره .

ومن الاسرائيليات التى أوردها الواحدى فى تفسيره (البسيط) ولم يعقب عليها ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : (ولقد

---

(١) قول الشيخ الخواص للامام الشعرانى (لا أعلم) انما كان فى هذا المقام فقط والا فقد أجابه فيما بعد حين سأله عن البرهان اذ اجابه بقوله « كان برهانه الذى رآه من الرأى أن يدفعها عن نفسه بالقول اللين ... » والنص بطوله فى (الجواهر والدرر) بهامش (الابريز) ص ٣٠٥ ط الازهرية .
(٢) هو الامام محيى الدين بن عربى رضى الله عنه (ت : ٦٣٨ هـ) .
(٣) سورة (يوسف) /٥١
(٤) انظر تفسير الالوسى : ٢١٦/١٢
(٥) انظر تفسير الطبرى ١٩١/١٢
(٦) انظر تفسير القرطبى ١٦٦/٩

فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب)[١] حيث قال فى تفسيرها : (أكثر المفسرين على أن المراد بالجسد ههنا : شيطان قعد على كرسيه يحكم فى ملكه • قاله ابن عباس — فى رواية سعيد بن جبير[٢] — فى قوله : (وألقينا على كرسيه جسدا) قال : هو الشيطان الذى جلس على كرسيه يقضى بين الناس أربعين يوما ، وكان لسليمان جارية يقال لها جرادة ، وكان بين بعض أهلها وبين قوم خصومة ، فقضى بينهم سليمان بالحق الا أنه ود الحق لأهلها ، فأوحى اليه : انه سيصيبك بلاء ، فكان لا يدرى يأتيه من السماء أم من الأرض • وعلى هذا كان سبب امتحانه ميله بقلبه الى أهل الجارية •

وقال مجاهد فى قوله : (جسدا) قال شيطانا يقال له آصف ، قال له سليمان:كيف تفتنون الناس ؟ قال : أرنى خاتمك ، فلما أعطاه اياه نبذه فى البحر ، فذهب ملكه ، وقعد آصف على كرسيه ، ومنعه الله نساء سليمان فلم يقربهن ، وكان سليمان يستطعم فيقول : أتعرفونى ؟ اطعمونى[٣] فكذبوه ، حتى أعطته امرأته يوما حوتا ، فشق بطنه ، فوجد خاتمه فى بطنه ، فرجع اليه ملكه ، ودخل آصف البحر فارا[٤] •

وأكثر المفسرين على أن سليمان تزوج امرأة من بنات الملوك ، فعبدت الصنم فى داره ، ولم يعلم سليمان بذلك ، فامتحن بشؤم ذلك الشيطان الذى يقال له صخر • قال ابن عباس — فى رواية عطاء — : (ولقد فتنا سليمان) : يريد بصخر الشيطان الذى لم يكن سخر له ، وكان شيطانا ماردا عظيما لا يقوى عليه جميع الشياطين ، فلم يزل يحتال حتى أخذ خاتمه ، وكان نبى الله سليمان لا يدخل الكنيف بخاتمه ، فجاء صخر فى صورة سليمان حتى أخذ الخاتم من امرأة من نساء سليمان ، فأقام أربعين يوما على ملك سليمان وسليمان هارب ، حتى رد الله عليه خاتمه وملكه • فذلك قوله (ثم أناب)[٥] •

قال مقاتل : ثم رجع بعد أربعين يوما الى ملكه وسلطانه ، فلما رجع قال (رب هب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى) قال مقاتل : يعنى لا يكون)[٦] •

وهكذا راجت تلك المفتريات الاسرائيلية لدى جمهرة المفسرين ومنهم الواحدى الذى لم يعلق عليها بنقد أو تكذيب مع ما تحمله فى ثناياها من افتراء على نبى الله ومن قدح فى عصمته من تمثل الشيطان بصورته ، وليت شعرى : أى ملك هذا الذى يتوقف ثبوته وزواله على خاتم يتحايل الشيطان للحصول عليه فيتلاعب ويعبث به كيفما شاء ؟؟

لقد استنكر أثبات العلماء هذه الخرافات ونفوا صحتها ، فقال الامام ابن كثير — بعد أن عرض لها فى تفسيره : (وهذه كلها من الاسرائيليات)[٧] وقال فيما نسب منها الى الامام ابن عباس : (اسناده الى ابن عباس قوى ، ولكن الظاهر أنه انما تلقاه ابن عباس

(١) سورة (ص) ٣٤
(٢) انظر جامع البيان للطبرى : ١٥٦/٢٣ — ١٥٨ وانظر تفسير القرطبى ١٩٨/١٥
(٣) فى رواية الطبرى : (اتعرفونى ، اطعمونى انا سليمان) جامع البيان ١٥٧/٢٣
(٤) انظر : جامع البيان ١٥٧/٢٣ وانظر تفسير ابن كثير ٥٩/٧ ط الشعب .

(٥) روى ابن كثير هذه الرواية عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس بزيادة فى تفسيره ٥٩/٧
(٦) الواحدى البسيط ٢٠٢/٧
(٧) انظر تفسير ابن كثير ٥٩/٧

ـ ان صح عنه ـ من أهل الكتاب ، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه السلام ، فالظاهر أنهم يكذبون عليه ...)[1] .

ولقد أوضح أبو حيان أيضا حقيقة هذه الاباطيل وذكر الوجه الصحيح فى تفسير الاية فقال فى تفسيره (نقل المفسرون فى هذه الفتنة والقاء الجسد أقوالا يجب براءة الانبياء منها ـ يوقف عليها فى كتبهم ـ وهى مما لا يحل نقلها ، وهى من أوضاع اليهود والزنادقة ، ولم يبين الله الفتنة ما هى ولا الجسد الذى ألقاه على كرسى سليمان .

واقرب ما قيل فيه : ان المراد بالفتنة كونه لم يستثن فى الحديث الذى قال : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ، ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة وجاءته بشق رجل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (والذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون)[2] فالمراد بقوله (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا) هو هذا والجسد الملقى : هو المولود شق رجل ...)[3] .

وهكذا تجسد المنهج القويم فى الالتزام بالسند القطعى المروى عن الصادق والمصدوق صلى الله عليه وسلم . أما الركون الى الآثار التى عبثت أيدى المارقين بدسها ونسبتها الى السلف زورا وبهتانا وهى من اختلاقات اليهود وأعداء الاسلام ، فان ذلك تنكب للصواب وميل عن جادة الحق الى مزالق الضلال . وتلك ضريبة فادحة تحملها جمهرة المفسرين وعلى رأسهم الطبرى وفى زمرتهم الواحدى وشيخه الثعلبى ثم الكثرة من علماء التأويل . وقد عرضنا لموقف الواحدى من تلك الاسرائيليات ، واتضح لنا مما مر بنا من أمثلة ونماذج أنه تحمل بايراده لتلك النقول الاسرائيلية تبعة جسيمة تحتسب عليه فى سجل النقد والتقويم ، اذ تساهل فى رواية مادسته ايدى اليهود وأهل الكتاب والزنادقة واغتر بنسبة تلك الآثار والمرويات الى اساطين السلف وأقطاب المفسرين ، ولم يعقب على اكثر تلك النقول ايذانا برضاه أو توقفا عن الحسم فيها برأى ، بيد أن الوقوع فى شرك الاسرائيليات كما قلت: كان طامة عامة لم ينفرد بها الواحدى ولا يمكن بها أن نغفل مكانته كواحد من أئمة التفسير والا للزمنا اشراك جلة المفسرين وفى مقدمتهم الامام الطبرى والقرطبى واضرابهما فى هذا الحكم مع الواحدى وفى ختام هذا الفصل أقول ان حق كتاب الله علينا أن نطهر تفسيره من تلك الاسرائيليات ليبقى نبع التفسير عذبا صافيا سائغا للشاربين .

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٦٠/٧

(٢) رواه البخارى فى كتاب التوحيد ١٦٩/٩ ط الشعب رواه مسلم فى كتاب الايمان والنذور انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١١٨/١١ـ١٢٢

(٣) أبو حيان : البحر المحيط ٣٩٧/٧

الفصل التاسع

منهجه فى عرض الأحكام الفقهية

من بين المقومات العلمية الرئيسية التى حفلت بها شخصية الواحدى وانعكست بشكل بارز ومؤثر فى تفسيره : أنه كان فقيها متبحرا ، غنى المحصول فى الفقه واسع الافق ، ملما بالمذاهب والآراء ، ناقدا متبصرا ، له اجتهاده فى الاستنباط ، وترجيحه بالدليل ٠

والواحدى شافعى المذهب ، معدود من رجالاته ، ومشهود له بالاستاذية فيه ، وقد ترجم له أصحاب (طبقات الشافعية) وذكروه فى أعيان المذهب ، فذكره تاج الدين السبكى (ت : ٧٧١ هـ) فى طبقاته وقال فى صدارة ترجمته : (الامام الكبير أبو الحسن ، من أولاد التجار ، وأصله من ساوة وله أخ اسمه عبد الرحمن قد تفقه وحدث أيضا ٠٠٠)[1] ثم عرض لمكانته فى التفسير ولشيوخه ومصنفاته ، كما ترجم له القاضى تقى الدين أبو بكر ابن قاضى شهبة (ت : ٨٥١ هـ) فى (طبقات الشافعية) له قائلا : (على بن أحمد ابن محمد أبو الحسن الواحدى كان فقيها اماما فى النحو واللغة وغيرها ٠٠٠)[2] ٠

ثم قال فى خاتمة ترجمته : (٠٠٠ نقل عنه فى الروضة فى مواضع من كتاب السير فى الكلام على السلام ٠[3])[4]

كذلك نجد ابن هداية الله الحسينى (ت : ١٠١٤ هـ) ينعته فى طبقاته بأنه : (٠٠ أستاذ الفقه والتفسير فى عصره)[5] ٠

وقد تتلمذ الواحدى لائمة كبار من اساطين فقهاء عصره كالامام أبى اسحق الاسفراييني (ت : ٤١٨ هـ)[6] وأبى بكر الحيرى (ت : ٤٢١ هـ) وأبى طاهر الزيادى (٤١٠ هـ) وغيرهم من فقهاء عصره ، وروى عنهم فى مصنفاته وتفاسيره ٠

أما عن طريقة الواحدى فى تناول الاحكام الفقهية عند تفسيره لآيات الاحكام فى تفاسيره: فاننا نجده يمهد ويوطىء أولا لبيان الحكم بابراز التفسير اللغوى الذى يتخذه منطلقا لبيان المعنى الشرعى ٠ ثم نجده فى كثير من

---

(١) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى : ٥/ ٢٤٠

(٢) ابن قاضى شهبة : طبقات الشافعية /٢٦ مخطوط بدار الكتب/١٥٦٨ تاريخ ٠

(٣) الروضة : هو مصنف الامام النووى فى فقه الشافعية ، وكتاب السير : هو كتاب الجهاد.

(٤) انظر نفس الموضع من طبقات ابن قاضى شهبة السابق ذكره ٠

(٥) ابن هداية الله : طبقات الشافعية : ١٦٨ ـــ ١٦٩ ط : بيروت ٠

(٦) نص الواحدى فى الوسيط عند تفسير قوله تعالى (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ٠٠٠) سورة البقرة/١٩٧ على تلقيه عن الامام ابى اسحق فقال (حدثنا الاستاذ أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الاسفراييني املاء فى مسجد عقيل سنة سبع عشرة واربعمائة ٠٠) انظر الوسيط /٦٩ نسخة أحمد الثالث ٠

المواضع يفيد من ذكر سبب النزول فى بيان أصل مشروعية الحكم ثم يعرض للحكم وبيان صدوره من الكتاب أو السنة أو منهما معا ، ثم يبين مذهبه الشافعى ــ مكتفيا به فى بعض الأحيان ، أو مستعرضا معه بعض المذاهب الأخرى فى أكثر المواضع .

فمن أمثلة ذلك[1] ما ذكره الواحدى عند تفسير قوله تعالى : (ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ...)[2] قال فى (البسيط) :

(وقوله تعالى « فلا جناح عليه » : الجناح ، الاثم ، وأصله من الجنوح الذى هو الميل ، يقال : جناح مال ، ومنه قوله : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها »[3] وقيل للاضلاع جوانح لاعوجاجها ، قال ابن دريد : معنى لا جناح عليكم : أى لا ميل الى مأثم ، وجناح الطائر من هذا ، لانه يميل فى أحد شقيه ليس على مستوى خلقته فمعنى الجناح : الميل عن الحق . وقال أبوعلى الجرجانى : معنى لا جناح عليه ــ أينما ذكر فى القرآن ــ : لا ميل لأحد عليه بمطالبة شىء من الأشياء. هذا هو الأصل. ثم صار معناه : لا حرج عليه ولا ذنب عليه .

قال ابن عباس : كان على الصفا صنم، وعلى المروة صنم ، وكان أهل الجاهلية يطوفون بينهما ويمسحونهما ، فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام ، كره المسلمون الطواف ، بينهما لأجل الصنمين ، فأنزل الله هذه الآية[4] ، منبها على أن الطواف بالصفا والمروة لا تبعة فيه عليهم ، وأنه طاعة لله تعالى وغير تعظيم للصنمين .

فالآية تدل بظاهرها على اباحة ماكرهوه ، ولكن السنة أوجبت الطواف بينهما والسعى ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : (يا أيها الناس كتب عليكم السعى فاسعوا)[5] وهو مذهب الشافعى رضى الله عنه .

والواجب ان يبدأ بالصفا ويختم بالمروة، ويسعى بينهما سعيا ، فيكون مصيره من الصفا الى المروة شوطا من السبع ، وعودة من المروة الى الصفا شوطا ثانيا ، فان بدأ من المروة الى الصفا لم يحسب هذا الشوط ، لان النبى صلى الله عليه وسلم لما دنا من الصفا فى حجته قال : (ان الصفا والمروة من شعائر الله فابدءوا بما بدأ الله به ، فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت ، ثم مشى حتى اذا تصوبت قدماه فى الوادى سعى)[6]،[7] .

فى هذا النص : نجد الواحدى يفيد من معطيات اللغة ومن سبب نزول الآية فى فهم ظاهر النص القرآنى أولا ثم فى تفهم ملابسات تشريع الحكم بالاباحة ثانيا ، ثم نجده يستقى

---

(١) التمثيل أولا لما صرح فيه بمذهب الامام الشافعى رضى الله عنه وحده ، وفيه ابراز اسهام الجانب اللغوى وسبب النزول .
(٢) سورة البقرة/١٥٨
(٣) سورة الانفال/٦١

(٤) انظر اسباب النزول للواحدى ص ٤١
(٥) اخرجه الطبرانى عن الامام ابن عباس رضى الله عنهما ، وقد خرجه عنه الالوسى بلفظه فى تفسيره ٢/٢٥ وخرجه القرطبى فى تفسيره عن الدار قطنى ولفظه فيه (اسعوا فان الله كتب عليكم السعى) انظر تفسير القرطبى ١٨٣/٢
(٦) رواه ابو داود فى سننه : باب صفة حجة النبى صلى الله عليه وسلم . حديث رقم ١٩٠٥ ٢٤٨/٢ وفى لفظة : (حتى اذا انصبت قدماه فى بطن الوادى) ورواه الترمذى فى كتاب الحج من سننه ٢٠٧/٣
(٧) الواحدى : البسيط ٣٤٩/١

فرضية الطواف والسعى بين الصفا والمروة من السنة ، وينص على أن هذا هو مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه ولميذكر بازائه مذهبا آخر ههنا • ثم نجده يستقى ثانيا وجوب البدء — فى السعى — بالصفا من الحديث الشريف •

الفقه المقارن فى تفسير الواحدى :

بيد اننا نجد الواحدى فى اكثر مواطن بيانه للاحكام فى تفسيره يعرض الفقه المقارن، فنجده يذكر مذاهب الصحابة والتابعين وأقطاب المذاهب الكبرى مع مذهبه الشافعى، ويعرض للحكم الفقهى من عدة زوايامع بيان الأدلة التى تظاهر هذه المذاهب ، مما أثرى تفسيره بهذه الموسوعية الفقهية التى تقف فيها على مذاهب قد درست وآراء لأئمة الصحابة واعيان السلف يتوق لمعرفتها العلماء والباحثون •

فمن ذلك ما ذكره الواحدى عند تفسير قوله تعالى : (وأتموا الحج والعمرة لله)[١] قال فى تفسيره (البسيط) : —

(قوله تعالى «واتموا الحج والعمرة لله» الآية ، قال ابن عباس ومجاهد : أتموهما بمناسكهما وحدودهما وتأدية كل ما فيهما ، وقال ابن مسعود وعلى رضى الله عنهما : اتمامهما أن تحرم بهما من دويرة اهلك مؤتنفين • وبهذا قال سعيد بنجبير وطاووس • وفى ايجاب العمرة قولان : احدهما انها واجبة وهو مذهب على وابن عباس ، وقول الشافعى فى الجديد • قال ابن عباس : والله ان العمرة لقرينة الحج فىكتاب الله : وأتموا الحج والعمرة لله) وقال مسروق : نزلت العمرة من الحج منزلة الزكاة من الصلاة ، ثم تلا هذه الآية •

فمن أوجب العمرة : تأول الاتمام على معنى الابتداء ، أى أقيموهما وافعلوهما بما فيهما من الأعمال ، كقوله تعالى: (واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن ••)[٢] أى : فعلهن وقام بهن ، وقوله (ثم أتموا الصيام الى الليل •••)[٣] أى : ثم ابتدئوا الصيام وأتموه ، لانه ذكر الاتمامعقب الاكلوالشرب•

وفرائض الحج أربعة: الاحرام والوقوف وطواف الافاضة والسعى •

واعمال العمرة : الاحرام والطواف والسعى ، والحلق والتقصير ، وأقله ثلاث شعرات •

القول الثانى ان العمرة سنة وليست بفريضة ، وهو مذهب أهل العراق ، وحملوا الاية على معنى : اتموها اذا دخلتم فيها ، وكالمتطوع بالحج يلزمه المضى فيه اذا شرع فيه • والقول الاول أولى ، لان فيه جمعا بين وجهى الاتمام ، ومعناه ، ابتدئوا العمرة فاذا دخلتم فيها فأتموها ، وقد تقول لمن يشرع فى أمر : أتم هذا الأمر ••)[٤] وهكذا يعرض الواحدى للاراء والمذاهب فى وجوب العمرة، ويعرض لدليل كل فريق ، ثم نجده فى النهاية يرجح مذهبه القائل بالوجوب ويدلل لرجحانه بجمعه بين وجهى الاتمام • ومن ثم يبرزالدور الايجابى للواحدى الذى يتجاوز به حد نقل الاراء فحسب الى تقريرالراجح منها بالدليل•

---

(١) سورة البقرة/١٩٦

(٢) سورة البقرة/١٢٤
(٣) سورة البقرة/١٨٧
(٤) الواحدى : البسيط ٤١٧/١ — ٤١٨

ونجد الواحدى فى مواضـــع كثيرة من تفسيره يشير الى مذهبه الشافعى ويصــدر أحـكامه عن فقهـاء الشافعية قائلا : (قال أصحابنا) ويقرر عنهم شروط الاحـكام على النحو الذى نجده فى كتب الفقه تماما ، فيقول مثلا عند تفسير قوله تعالى (فاذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحـج فمـا استيسر من الهدى ...)[1] : (والتمتع بالعمرة الى الحج هو : ان يقدم مكة محرما فيعتمر فى أشـهر الحج ، ثم يقيم حلالا بمكة حتى ينشىء منهـا الحج فيحـج من عامه ذلك،ويكون متمتعـا بمحظورات الاحرام ، لانه حـل بالعمرة الى احرامه بالحج ، ومعنى قوله بالعمرة : أي بسبب العمرة ، لانه لا يتمتع بالعمرة ، ولكنه يتمتع بمحظورات الاحرام بسبب العمرة حيث أتى بها • هذا معنى التمتع بالعمرة الى الحج •

وقوله تعالى : (فما استيسر من الهدى): قال أصـحابنا : المتمتع الذى يجب عليه الدم هو : الذى يحرم فى أشهر الحج ، ويحل بعمرة فى أشهر الحج ، ويحرم بالحج من عامـه ذلك من مكة ، ولا يرجع الى الميقات ، ويكون من غير اهل الحرم • فاذا انخرم شيء من هذه الشرائط سقط عنه الدم ولا يكون متمتعا ، واذا وجدت هذه الشرائط كان متمتعا وعليه اراقة دم ان شاء قبل يوم النحر ، وان شاء فى يوم النحر ، ولا يجزيه غيره ان كان موسرا، وان كان معسرا فعليه صوم عشرة أيام وذلك قوله «فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام فى الحج» أى فى أشهر الحج • قال المفسرون : يصـوم يوما قبل التروية ويوم التروية ويوم عرفه • قال أصحابنا : يصوم ثلاثة أيام قبل يوم النحر فى أشـهر الحج ، ان شـاء متتابعة وان شاء متفـرقة ، وان صـام قبـل يوم عرفه حتى يكون يوم عرفه مفطرا كان اولى لان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماصام بعرفة يوم عرفة ، ذلك أقوى للدعاء)[2] •

وتتجلى فى تفسير الواحدى كذلك معرفته بالمذاهب الفقهية لكبار الصحابة رضوان الله عليهم ونصه على الكثير من ارائهم • وقد ابدى الواحدى ميله وتقديره العظيم لمذهب أمـير المؤمنين سيدنا على بن ابى طالب كرم الله وجهه بصفة خاصة وشهد له بانه (أكمـل المذاهب)[3] ، فقال عند تفسير قوله تعالى (واذكروا الله فى ايام معدودات ...) فى تفسير (البسيط) : —

(... والمراد بالذكر فى هذه الايام : التكبير ادبار الصلوات وعند الجمرات يكبر مع كل حصاة • واكثر العلماء على ما ذكرنا ، وهو ان الايام المعدودات : ايام التشريق وهى ثلاثة ايام بعد النحر ، اولها يوم النفر ، وهو اليوم الحادى عشر من ذى الحجة ، يستقر الناس فيه بمنى ، والثانى : يوم النفر الاول ، لان بعض الناس ينفرون فى هذا اليـوم من منى • والثالث : يوم الثالث عشر وهو يـوم النفر الثانى • وهذه الايام الثلاثة مع يوم النحر كلها ايام النحر ، وايام رمى الجمار ، وهى الايام الاربعة مع يوم عرفة : ايـام التكبير أدبار الصلوات ، يبتدأ مع صبح يوم عرفة ، ويختم مع العصر يوم الثالث عشر •

وهو مذهب أمير المؤمنين على رضى الله عنه ، وهو اكمل المذاهب •

---

(١) سورة البقرة/١٩٦

(٢) الواحدى : البسيط ٤٢٢/١

(٣) لم يخرج تقدير الواحدى لسيدنا على رضى الله عنه عن الاطار السنى الذى التزم به • فلا يظن مما ذكر تعصبه له من منطلق شيعى مثلا، فان سنية الواحدى محل اجماع العلماء والمؤرخين.

والأظهر[1] من مذهب الشافعى رحمه الله : انه يبتدىء التكبير من صلاة الظهر يوم النحر الى صلاة الفجر من آخر أيام التشريق ، اقتداء بالحاج ، قال : لانهم يقطعون التلبية ويأخذون فى التكبير يوم النحر من صلاة الظهر ، والصبح آخر صلاة يصليها الحاج ...)[2] .

كذلك تجد الواحدى يعرض لبيان حكم الجهاد واختلاف بعض الصحابة فيه ويبين آراء السلف وما انعقد عليه الاجماع وذلك عند تفسير قوله تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم ...)[3] اذ يقول فى البسيط : (اعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غير مأذون له فى القتال مدة اقامته بمكة ، فلما هاجر : اذن بعد الهجرة فى قتال من يقاتله من المشركين دون من يقاتل ، ثم اذن فى قتال المشركين عامة وهذا كله قبل فرض الجهاد .

ثم فرض الله الجهاد . واختلف العلماء فى حكم هذه الآية ، فمذهب عطاء : ان المعنى بهذا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دون غيرهم ، لانه قال : كان القتال مع النبى صلى الله عليه وسلم فريضة .

وسئل عبد الله بن عمرو عن الفرائض فقال : الفرائض شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصيام رمضان والجهاد فى سبيل الله .

وخالفه ابن عمر فى الجهاد ، فعد الفرائض وترك الجهاد .

وقال بعضهم : كان الجهاد فى الابتداء من فرائض الاعيان ، ثم صار كفاية ، لقوله عز وجل (وكلا وعد الله الحسنى)[4] ولو كان القاعد مضيعا فرضا ما كان موعودا بالحسنى . وقال بعضهم : لم يزل الجهاد فرض كفاية ، غير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استنفرهم تعين عليهم النفير لوجوب طاعته .

وقال الزهرى والأوزاعى : كتب الله سبحانه الجهاد على الناس ، وان استنفروا نفروا ، وان استغنى عنه قعدوا .

وقال ابو عبيد : القول فى الجهاد انه حق لازم للناس ، غير ان بعضهم يقضى ذلك عن بعض ، وانما وسعهم هذا لقوله (وما كان المؤمنون لينفروا كافة)[5] ، فانها ـ فيما يقال ـ ناسخة لفرض الجهاد .

والاجماع اليوم ، على انه من فروض الكفاية ، الا أن يدخل المشركون ديار المسلمين فانه يتعين على كافة المسلمين ، الا أن يقوم بكفايتهم من يصرف وجوههم)[6] .

وهكذا يعرض الواحدى للوجوه المتناظرة والمتقابلة ويوقفنا على آراء السلف ومناهجهم

---

(١) فى تعبير الواحدى بقوله (والاظهر من مذهب الشافعى) دقة دقيقة ، اذ اثبت الامام الفخر الرازى عنه فى تفسيره اربعة اقوال يتفق فى احدها مع مذهب سيدنا على وكبار الصحابة. انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازى ٢/١٨٢
(٢) الواحدى : البسيط ١/٤٣٦
(٣) سورة البقرة /٢١٦

(٤) سورة النساء/٩٥
(٥) سورة التوبة/١٢٢
(٦) الواحدى : البسيط ١/٤٥٨

فى استنباط الحكم من النص[1] . رؤية الأئمة من الصحابة والتابعين وغيرهم لمأخذ الحكم الفقهى ثم عقب ببيان اجماع العلماء على الحكم الذى ختم به . ولعلنا نرى فى قوله (والاجماع اليوم ...) آية على أن الواحدى كان شاهدا على فقهاء عصره واقفا على آرائهم ومذاهبهم . وهذا مثال آخر نستجلى فيه افاضة الواحدى فى تناول الحكم الفقهى واحاطته بمذاهب واقوال كبار الائمة وجمهرة فقهاء الامة : يقول فى « البسيط » عند تفسير قوله تعالى (للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة اشهر فان فاءوا فان الله غفور رحيم)[2]

(... واما تفسير الايلاء الشرعى وحكمه : فكل يمين يحلفها الرجل ويصير بها ممتنعا من جماع امرأته اكثر من اربعة اشهر فهو ايلاء ، وما كان دون اربعة اشهر فليس بايلاء . وان حلف على اربعة اشهر : فقد اختلف الصحابة فيه ، فذهب الاكثرون الى انه غير مؤلى . وذهب ابن عباس الى انه مؤل ، وحالة الرضا والغضب سواء الا فيما يحكى عن على رضى الله عنه انه قال : الايلاء يمين فى الغضب ، فاذا حلف فى حال الرضا فليس بايلاء .

ثم ان جامع قبل مضى اربعة اشهر : لزمه الكفارة عند عامة الفقهاء والنكاح ثابت .

وذهب الحسن وقتادة : الى انه لاكفارة عليه لقوله (فان فاءوا فان الله غفور رحيم)

وان لم يجامع حتى انقضت اربعة اشهر : بانت منه بتطليقة عند أبى حنيفة ولا رجعة له ، وهو قول ابن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وقتادة والكلبى .

وعند الشافعى انه اذا مضت اربعة اشهر والرجل ممتنع :فان عفت المرأة ولم تطلب حقها من الجماع فلا شىء على الرجل، ولا يقع طلاق ، وهما على النكاح ما أقامت على ذلك . وان طلبت حقها : وقف الحاكم زوجها، فاما ان يطلق ، واما ان يطأ ، فان اباهما جميعا : طلق الحاكم عليه ، وله ان يراجعها ، وهذا قول عمر وعثمان وعلى وابى الدرداء ، وابن عمر ، وعائشة ، ومذهب مالك ، وأبى ثور وأبى عبيد ، واحمد ، واسحق وعامة اهل الحديث)[3] .

ونجد الواحدى فى بعض المواضع يعرض لاراء الائمة فى بعض المسائل والاحكام الفقهية وفى خلال ذلك يعرض للامام الشافعى — الذى يعتنق مذهبه — قولين . احدهما فى القديم والآخر فى الجديد ، ومن ثم يتسنى التعرف على من اتفق معه من فقهاء الصحابة والسلف فى كلا القولين .

من أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا الا يقيما حدود الله ..)[4] قال فى البسيط : (... ومعنى الآية : ان المرأة اذا خافت ان تعصى الله فى امر زوجها بغضا له ، وخاف الزوج اذا لم تطعه امرأته ان يعتدى عليها : حل له أن يأخذ الفدية اذا دعت الى ذلك . ويكره ان يأخذ منها اكثر مما

---

(١) يتأتى الوقوف على مناهج اكابر السلف فى استنباط الاحكام من خلال تتبع ما نقله الواحدى عنهم من أقوال ومذاهب فى تفسيره جملة برصد تلك الآراء واستخلاص القواعد المشتركة التى تسرى فيها جملة وتأخذ طابع العموم والشمول . ولا يتأتى ذلك بالطبع من خلال الوقوف عند نص واحد لا يتيح سبر المنهج .

(٢) سورة البقرة/٢٢٦

(٣) الواحدى : البسيط ١/٤٨٤ — ٤٨٥

(٤) سورة البقرة/٢٢٩

اعطاها ، فان أخذ منها أكثر من ذلك صح الخلع ولم ينقض • وهو مذهب ابن عباس ، وابن عمر ، ورجاء بن حيوة ، انه يجوز أن يأخذ زيادة عن المهر •

ومذهب على ، والحسن ، وأبى حذيفه • وعطاء ، والزهرى ، والشعبى : أنه يأخذ المهر فقط • وليست هذه الحالة حالة بعث الحكمين ، لأن المرأة ههنا معترفة بمنع حق الزوج وكراهتها صحبته • وانما الحكمان اذا اشتبه المعتدى منهما • موضعه فى سورة النساء • والخلع فسخ بلا طلاق عند ابن عباس • وهو قول الشافعى فى القديم • وقوله فى الجديد : ان الخلع تطليقه بائنة الا أن ينوى أكثر منها • وهو قول عثمان رضى الله عنه)[1] •

ترجيحه لمذهب الشافعى :

واذا كان الواحدى فى كثير من مواقفه من الأحكام الفقهية يقف عند حد عرض الآراء المتعددة والمتقابلة فى تفسيره ويبين وجهات المذاهب المختلفة دون تعقيب عليها فانه يعرب بذلك عن رضاه عنها جميعا وامكان توجيه كل منها بالدليل •

بيد أننا نجده فى مواضع أخرى كثيرة يتدخل برأيه وترجيحه لمذهبه الشافعى بالحجة والدليل وينتصر لمذهبه لا تعصبا وانما لوجود مرجح قوى يستند اليه يبنى نقده وترجيحه عليه • وعندئذ يبرز لنا الواحدى مقدرته فى التوجيه والترجيح على أساس فهمه للنص القرآنى ورؤيته لمأخذ الحكم الفقهى منه • من ثم : فكثيرا ما نجد ترجيح الواحدى لمذهبه الفقهى مبنيا على أساس ترجيحه للوجه التفسيرى • فمن أمثلة ما يتحقق فيه هذا المضمون : ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (••• فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه)[2] ، قال فى (البسيط) :

(ولأهل التأويل فى قوله « غير باغ ولا عاد » طريقان : احدهما — وهو قول ابن عباس فى رواية عطاء — : غير باغ على المسلمين ولا عاد عليهم ، وهذا قول مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والكلبى ، قالوا : غير قاطع للطريق ولا مفارق للائمة مشاق للأمة • وعلى هذا التأويل : كل من عصى بسفره لم يحل له أكل الميتة عند الضرورة ، لأنه باغ عاد • وهو مذهب الشافعى رحمه الله ، قال : ان الاباحة اعانة له على فساده وظلمه ، ولكن يتوب ويستبيح •

والثانى : أن هذا البغى والعدوان يرجعان الى لأكل ، ومعناه : غير آكلها تلذذا من غير اضطرار ، ولا عاد ولا مجاوز ما يدفع به عن نفسه الجوع • وهذا قول السدى • وقال الحسن وقتادة والربيع وابن زيد : غير باغ بأكله من غير اضطرار ، ولا عاد بتعدى الحلال الى الحرام فيأكلها وهو غنى عنها • وعلى طريقة هؤلاء : يباح للعاصى بسفره تناول الميتة عند الضرورة وهو مذهب أهل العراق •

والتأويل الأول : أولى من حيث اللفظ والمعنى • أما اللفظ : فرجوع البغى والعدوان الى حال المضطر أولى من رجوعهما الى أكله • وهو المفهوم من اللفظ ، لأنه لم يسبق للأكل ذكر حتى يكون البغى والعدوان صفة له راجعة اليه ، ومثله من الكلام أن يقال : قد حرم الأمير ركوب الخيل ولبس السلاح (فمن

---

(١) الواحدى : البسيط ٤٩١/١ — ٤٩٢

(٢) سورة البقرة/١٧٣

أحرج غير فار ولا ذاهب فلا حـرج عليه • فالذى يسبق الى الوهم من هذا ويليق باللفظ ان معناه : غير فار بنفسه ولا ذاهب ، وأن الفرار والذهاب يعود الى نفس المضطر لا الى شىء سواه •

ووزان التأويل الثانى من هذا الكلام : أن يكون المعنى غير فار بسلاح ولا ذاهب به •

وأما من حيث المعنى : فان نفس المؤمن تعاف الميتة والدم وتستقذرهما استقذارا يمنعه من أكلهما ، ولهذا لا يقام الحد على أكلهما ، لأنه لم يحتج فى الزجـر عنهما الى الحـد لا كالخمر ، فان لها دواعى من النفس • واذا كان كذلك : فليس يتجاوز أحد فى أكل الميتة قدر التشبع عند الضرورة ، ولا يتعدى الحلال الذى معه فيأكلها تلذذا من غير أن يرد بهذا نهى — وان جاز ورود النهى تأكيدا — فلهذين الوجهين قلنا : ان التأويل الأول أولى)[1] •

فى هذا النص برزت لنا مقدرة الواحدى فى التأويل والترجيح حيث أبرز لنا الوجـه التأويلى الراجـح عنده ، والذى بنى عليـه اختياره للحكم الفقهى الراجح عنده أيضا وهو المتفق مع قول امام مذهبه : الشافعى رضى الله عنه وعن سائر الائمة •

وكذلك نجد الواحدى يعرض لمذاهب أهل العراق والحجاز فى حكم الاحصار دون تمام الحج والعمرة • ويرجح مذهبه الشافعى محتجا له بالدليل : فيقول عند تفسير قوله تعالى : (وأتموا الحج والعمرة لله فان أحصرتم فما استيسر من الهـدى ••)[2] (فأما حـكم الاحصار : فمذهب أهل العراق أن كل مانع منع المحرم من الوصول الى البيت من مرض أو جرح أو كسر أو خوف عدو أو أى مانع كان فانه يقيم مكانه على احـرامه ، ويبعث بهديه أو بثمن الهدى • فاذا نحر الهـدى حل من احرامه •

واحتجوا بأن الاحصار من طريق اللفظ عام فى كل مانع •

وأما مذهب أهل الحجاز — وهو مذهب الشافعى رحمه الله — : (فهو)[3] ان الحكم المتعلق بالاحصار انما يتعلق بحبس العدو عن الوصول الى البيت • فأما سائر الأعذار فغير داخل فى الآية • والدليـل على هـذا : سبب النزول : وهو احصار العدو للنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالحديبية ، يدل على أن المراد به حبس العدو فقط •

وقوله فى سياق الآية : (فاذاأمنتم) ولم يقل : فاذا ائتمنتم ، والامن المطلق يقتضى الخوف المطلق من العدو ، لأنه قال : (فمن كان منكم مريضا) فعلم أن الاحصار فى الآية ليس بالمرض • وأيضا ذكرنا[4] عن ابن عباس أنه قال : لا حصر الا حصر العدو •

وقولهم[5] : الاحصار عام ، قلنا : هو

---

(١) الواحدى : البسيط ١/٣٧٠ — ٣٧١
(٢) سورة البقرة/١٩٦

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط فى النسخ ، وقد اثبته بقرينة خلو جواب اما — وهو قوله : ان الحكم الخ — عن الفاء ، مما يشعر بأن فى الكلام بترا سقطت به الفاء مع أول جـواب اما وهو الضمير •
(٤) أورد الواحدى قول الامام ابن عباس — رضى الله عنهما — فى عرض الاقوال فى المدلول اللغوى للحصر قبيل تناول الحكم الفقهى له •
(٥) الضمير فى (قولهم) عائد الى فقهـاء العراق السابق ذكرهم . والواحدى هنا يرد على احتجاجهم لمذهبهم مرجحا مذهبه الشافعى .

عام من حيث اللفظ ، خاص ههنا فى حبس العدو ، وبما ذكرنا من الدليل • فاذا بان أن الاحصار هو قهر العدو بالحبس عن البيت فالرجل اذا أحرم بحج أو عمرة انحتم عليه الاتمام ، حتى لو أفسد الاحرام بالجماع وجب عليه المضى فى فاسد الاحــرام ، وانما يباح التحلل من الاحرام باحصار العدو كما أحصر رسول الله صلى الله عليه وسلم • ثم ان كان الحج فرضا أو العمرة فأحصره العدو ، فقال الشافعى : اذا أحصر بعدو كافر أو مسلم أو سلطان يحبسه فى سجن نحر هديا بالاحصار حيث احصر فى حل أو حرم ، وحل من احرامه وعليه القضاء ان انجلى الحصر ، فان انجلى الحصر عاجلا امكنه القضاء فى ذلك العام • وان كان التنسك فى الأصل نفلا فأحصر فتحلل فلا قضاء عليــه من طريق الوجــوب ، ولكن يستحب له ذلك • واذا لم يجد هديا يشتريه أو كان فقيرا ففيه قولان : احدهما لا يحــل الا بهدى ، والآخر اذا لم يقدر عليه حــل وأتى به اذا قدر عليه •

وأما المحصر بالمرض : فانه يصير على احرامه ولا يتحلل ، وله أن يتداوى بما لابد منه ويفتدى[1] •

وهكذا يعرض الواحدى لكل من المذهبين المتقابلين فى الحكم الفقهى ويقرن كل مذهب بحجته ودليله • ثم نجده يرجح مذهبه مستندا الى سبب النزول ثم الى سياق الآية الكريمة ثم الى تحديد الامام ابن عباس لمدلول الحصر وقصره على حصر العدو •

ثم نجده بعد ذلك يرد احتجاج المذهب المقابل ، بتخصيص عموم لفظ الاحصار بما دل على قصره على قهر العدو بالحبس عن البيت •

ثم نجده بعد أن مكن لمذهبه يفرع الأحكام على تشعب أنواع الاحصار العام وفقا لمذهبه فى شمولية ودقة يعكسان تبحره فى المذهب وبعد نظرته الفقهية •

ونجد أيضا من أمثلة اجتجاج الواحدى لمذهبه الشافعى وترجيحه على غيره ما ذكره عند تفسير قوله تعــالى (والوالدت يرضعن أولادهن حولين كاملين ••••)[2] حيث قال فى البسيط : ــ (••• وليس التحديد بالحولين تحديد ايجاب ، لأنه قد قال بعد هذا : (فان أرادا فصالا عنتراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما) ، ولكنه تحــديد لقطع التنازع بين الزوجين اذا اشتجرا فى مدة الرضاع ، فجعل الحولانميقاتا لهما يرجعاناليه عند الاختلاف، فان أراد الأب أنيفطمه قبلالحولين ولمترض الأم لميكن له ذلك ، وكذلك لو كان على عكس هذا ، فان اجتمعا قبل الحولين فطماه ، هــذا هو الصحيح ، وهو قول ابن عباس ــ فى رواية على بن أبى طلحة ــ والثورى وابن جريج •

وقال آخرون : المراد بهــذه الآية ــ الدلالة على أن الرضاع ما كان فى الحولين وان مابعد الحولين من الرضاع لايحرم ، وهو قول على وعبد الله وابن عباس ، وابن عمر وعلقمة والشعبىوالزهرى ، ومذهبالشافعى، فان عنده التحريم الحاصل بالرضاع يتعلق بالحولين ، وبعد الحولين لا يحصل التحــريم بالارضاع • وعند أبى حنيفة : تتقدر مــدة حصول التحريم بالارضاع بثلاثين شهرا •

والآية حجة للشافعى على قول هؤلاء ، لأن الله تعالى حكم الرضاع بالحولين ، فدل على أن مازاد على الحولين لا حكم له)[3] •

---

(١) الواحدى : البسيط ٤١٩/١ ــ ٤٢٠

(٢) سورة البقرة/٢٣٣

(٣) الواحدى : البسيط ٤٩٩/١

ومن أمثلة ما عرض فيه الواحدى لمذاهب الفقهاء ورجح بينهم واحتج لمذهبه فى تفسيره (الوسيط) : ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات ....)[1] حيث قال :

(... وأفاد التقييد بالمؤمنات : أنه لا يجوز التزوج بالأمة الكتابية . وهذا قول مجاهد وسعيد والحسن ، ومذهب مالك والشافعى .

وعند أبى حنيفة : يجوز التزوج بالأمة الكتابية . والآية حجة عليه)[2] وعلى هذا النحو نجد الواحدى يعرض للمذاهب الفقهية ويرجح بينها بما يراه من مرجحات وغالبا ما تكون تلك المرجحات منبثقة من دلالة السياق أو من فهم النص فى ضوء معطيات اللغة والنحو ، ولا يخفى رسوخ قدم الواحدى فى تلك المجالات .

بيد أن الأمر الذى نأخذه على الواحدى حقا فى منهجه فى الفقه المقارن هو اتخاذه فى بعض المواضع من تفسيره مسلك التهجم على بعض الأئمة الفقهاء ونقدهم بما لا يليق بمقاماتهم ومنازلهم الرفيعة . كما فعل عند تفسير قوله تعالى : (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم)[3] حيث قال فى تفسيره (البسيط) قوله تعالى : (فاذا قرأت القرآن فاستعذ) : ليس معناه استعذ بعد أن تقرأ القرآن ومثله اذا أكلت فقل :

(١) سورة النساء/٢٥

(٢) الواحدى : الوسيط/١٤٠ مخطوطة احمد الثالث .

(٣) سورة النحل /٩٨

(٤) سورة المائدة/٦

بسم الله ، وقد ذكرنا هذا عند قوله (اذا قمتم الى الصلاة)[4] ، وبينا الحكم اذا فى وقوع ما بعدها مستقبلا فى أوائل سورة البقرة ، واجماع الفقهاء : ان الاستعاذة تكون قبل القراءة ، وبه وردت الاخبار ، وذهب أبو هريرة رضى الله عنه الى أن الاستعاذة بعد القراءة ، وهو مذهب مالك وداود ، كأنهم أخذوا بظاهر الآية ، وذلك جهل بمقاييس العربية)[5] !!

هذه لعمرى سقطة لا يستهان بها ، لا فى حق هؤلاء الائمة ولا بالنسبة لصدورها من عالم فى مكانة الواحدى ، لأن كلا من الامامين الجليلين مالك وداود الظاهرى قد ارتقى فى المعقول والمنقول منزلة سامقة وان اشتهر الامام مالك وبرز فى المنهج الأثرى وعرف داود بالمنهج الظاهرى وقد كانت اللغة من أوليات ارتقائهما العلمى فضلا عن راوية الاسلام سيدنا أبى هريرة رضى الله عنه وناهيك بجلالة مقام الصحبة لسيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام وما يليق بها من الاجلال والتوقير .

بيد أنه مما يخفف من فداحة هذا الخطب: ان الواحدى قد عاد فأسقط تلك العبارة — وهى قوله : (وذلك جهل بمقاييس العربية) من نفس النص الذى ذكره فى تفسيره (الوسيط) المتأخر تصنيفا عن (البسيط) اذ قال فى نفس الموضع منه (قال الزجاج وجميع أصحاب المعانى : معناه اذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ بالله ، ليس معناه استعذ بعد أن تقرأ القرآن ، ومثله : اذا أكلت فقل بسم الله . وهذا اجماع من الفقهاء أن الاستعاذة قبل القراءة ، الا ما روى عن أبى هريرة وداود

(٥) الواحدى : البسيط ٤/ ٥٤٠

ومالك أنهم قالوا : الاستعاذة بعد القراءة ، وذهبوا الى ظاهر الآية ، والأولى والمستحب أن تقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لنص القرآن والخبر المسلسل ...)[1] ولعل محو تلك العبارة فى التفسير اللاحق يمحو تبعة ذكرها فى السابق . وذلك على أية حال مما يعد من زلات الأقلام التى لا ينبغى أن تحجبنا عن رؤية الحسنات اللاتى يذهبن السيئات فان الواحدى من غير شك قد أفاد عظيم الافادة وحقق فى الجانب الفقهى من تفسيره ثراء واسعا ونتاجا علميا عظيما نافعا أثبت به أصالته واحاطته بالمذاهب والآراء كما أثبت لنفسه قدما راسخة فى التوجيه والترجيح والاستنباط والاحتجاج ، فجعل من تفسيره موردا دفاقا بالعطاء ومنتجعا خصبا لقاصديه من العلماء .

(١) الواحدى : الوسيط : الجزء الثانى من نسخة مخطوطة بالمكتبة الازهرية رقم ١٢٥٥ رافعى .

الفصل العاشر

المواقف الكلامية فى تفسيره

حينما نطل على الجانب الكلامى من تفسير الواحدى فاننا نقف من خلاله على حقيقة لا تقبل الشك ، وهى أن أبا الحسن الواحدى كان — بحق — أحد حماة المذهب السنى الأشعرى وفارسا من فرسان حلبته المغاوير الذين ذادوا عن عرين عقيدته ومبادئه فى القرن الخامس الهجرى حيث بلغت الصراعات المذهبية والفتن الدينية ذروة احتدامها واشتعالها وكان الجانب الاعظم من تلك الفتن والصراعات قائما بين اهل السنة والاشاعرة من جانب وبين المعتزلة والشيعة من جانب آخر ، وكم لقى أهل السنة فى مطلع القرن الخامس من اضطهاد الشيعة والمعتزلة الذين كان يؤازرهم ويناصرهم حكام البويهيين حيث كانوا يدينون بالتشيع والاعتزال . فانتشرت مبادئهم بالتسلط والارهاب . بيد أن الله جلت قدرته قد قيض للحق من يذودعن كلمته وينافح عن مبادئه باللسان والسنان ، فكانت هبة السلطان محمود الغزنوى على أهل البدع ثم سلاطين السلاجقة من بعده ، وفى ذات الوقت برز أساطين وأعلام من أئمة الأشاعرة قاموا بتطهير العقول والقلوب من البدع والاهواء فكان فى طليعتهم فى هذا العصر : ابو اسحق الاسفراييني وامام الحرمين وأبو بكر بن فورك وابو منصور البغدادى ثم حجة الاسلام الغزالى وغيرهم . وقد تلقى الواحدى عن أكابر متكلمى هذا العصر كالامام الاسفراييني وعبد القاهر بن طاهر البغدادى (ت : ٤٢٩ هـ) صاحب (الفرق بين الفرق)[1] وغيرهما من كبار علماء الكلام ، وتخرج على أيديهم اماما يجله العلماء والحكام ، وكفى دلالة على مكانته ونصرته لمذهبه أن نظام الملك — نصير أهل السنة — كان يلحظه بعين الاعزاز والاكرام كماذكر ياقوت[2] وماذاك الا لكون الواحدى — فوق منزلته العلمية — واحدامن حماة مذهب الاشاعرة الذين ردوا سهام المبتدعة الى نحورهم ونصروا دعوة الحق بالعلم .

ولقد وجد الواحدى فى تفسيره أصلح مجال وأرحب ميدان لنصرة عقيدته ومذهبه ، ورد شبه المارقين وكشف ضلالات المحرفين لمعانى التنزيل وفق آرائهم ومبادئهم . فاستعان بخبرته العظيمة فى فهم أسرار لغة القرآن وادراك معانيه وعمق النظر فى تفحص مراميه على درء خطر التأويلات المذهبية الفاسدة واقرار مبادىء مذهب أهل السنة

---

(١) نص الواحدى فى تفسيره الوسيط على قراءته على أبى منصور البغدادى عند تفسير أول سورة (مريم) حيث قال : (أخبرنا الاستاذ ابو منصور البغدادى بقراءتى عليه فى شوال سنة ست وعشرين واربعمائة .) انظر الوسيط ٢/١٣٩ مخطوط بمكتبة الازهر الشريف وقد سبق نص الواحدى على تلقيه عن الاسفراييني المتكلم .

(٢) ياقوت الحموى : معجم الأدباء بتحقيق فريد الرفاعى ١٢/٢٥٧

والجماعة من منطلق قرآنى مستقيم وفى اطار مقاييس اللغة وضوابطها وفى ضوء فهم السلف لمعانى التنزيل من خلال ما اثر عنهم من تفسير وتبيان •

والحق أن أبا الحسن الواحدى — كما سنرى فى معالجاته الكلامية — قد أضاف بعدا جديدا وجانبا خصبا الى ابعاد وجوانب شخصيته العلمية ، حيث تجلى مراسه العقلى، ونضجه الفكرى وقدرته الجدلية المنطقية فى اثبات أصول مذهبه السنى الأشعرى وتقرير مبادئه ثم فى ابطال مزاعم الفرق المبتدعة التى كانت تناهض مذهب أهل السنة والجماعة وكان على رأسها ، وأشدها خطرا فرقة المعتزلة القدرية[1] التى اقتحمت بمبادئها اقليم خراسان بمناصرة ملوك ووزراء بنى بويه ففرضت مذهبها فرضا ، وطوع علمائها نصوص التنزيل لمبادئهم فصنفوا فى التفسير مصنفات تبلغ عشرات المجلدات حافلة بالتأويلات الاعتزالية كما فعل القاضى عبد الجبار وأبو مسلم الاصفهانى والشريف الرضى وغيرهم • ومن ثم تعينت فرضية الدفاع عن عقيدة أهل السنة على مفسريهم مثلا بمثل ، بل وأوفى فى الكيل وبنفس المنهج العقلى اللغوى الاستنباطى حق على مفسرى أهل السنة أن يميطوا عن حرم التنزيل اذى التأويلات البدعية • فكانت القضية ، وكان لها أبو الحسن الواحدى ، فقد ذاد بحق عن عرينه وطهر ساحة التنزيل من فساد الرأى و شطط التأويل •

وحين نسلط ضوء البحث على الجانب الكلامى فى تفاسير الواحدى نجده يتمثل فى نمطين رئيسيين :

أحدهما : النمط التقريرى الابتدائى ، وهو ما يعنى فيه بتقرير أصول العقيدة وفق منهج اهل السنة الاشاعرة دون نظر الى مزاعم الفرق المضادة فى تأويل النص القرآنى •

وثانيهما : وهو الطابع الأعم والأغلب فى تفسيره : النمط الجدلى ، وهو ما يعنى فيه عناية بالغة بتنفيذ شبه خصومه المعتزلة وابطال مبادئهم وتأويلاتهم لآى التنزيل وفق اصولهم الاعتقادية ، وفى هذا الجانب أبرز أبو الحسن الواحدى مقدرته وطاقته العقلية واستغل تبحره اللغوى أبرع استغلال فى تجسيد معطيات النص ولفظ كل دخيل عليه فى التأويل•

فمن أمثلة النمط التقريرى الذى نقف عليه فى تفسير الواحدى : بيانه لصفة الوحدانية لله تعالى عند تفسير قوله سبحانه : (والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم)[2] قال فى تفسيره (البسيط) :

(قال أصحابنا : حقيقة الواحد فى وصف البارى سبحانه ، أنه واحد لا قسيم له فى ذاته ، ولا بعض له فى وجوده ، بخلاف الجملة الحاملة[3] التى يطلق عليها لفظ الواحد مجازا، كقولهم دار واحدة وشخص واحد ، ولهذا قال اصحابنا : التوحيد هو نفى الشريك والقسيم والشبيه ، فالله سبحانه وتعالى واحد فى افعاله لا شريك له يشاركه فى اثبات

---

(١) يلقب المعتزلة بالقدرية كما يسمون بأصحاب التوحيد والعدل ، وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركا وقالوا : لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله ، احترازا من وصمة اللقب المذموم (انظر الملل والنحل للشهرستانى ٦٥/١) .

(٢) سورة البقرة/١٦٣

(٣) لعل مراده بالحاملة : التى تحمل انقساما فى ذاتها وان اتصفت بالواحدية مجازا .

المصنوعات ، وواحد فى ذاته لا قسيم له ، وواحد فى صفاته لا يشبه الخلق فيها)[1] .

فىهذا النص الوجيز : قدم لنا الواحدى خلاصة عقيدة أهل السنة فى صفة الوحدانية ، الشاملة لوحدانية الذات ، ووحدانية الصفات ، ووحدانية الافعال ، واستجمع أركان هـذه الوحدانية الشاملة فىعبارة أصحابه الاشاعرة : التوحيد نفى الشريك والقسيم والشبيه ، وفرع عن كل ركن متعلقة فى شمول وأحكام جامعين مانعين .

ونجده فى تفسيره (الوسيط) يعـرض لمبحث رؤية البارى سبحانه وتعالى عند قوله عز وجل : (لا تدركه الابصار وهـو يدرك الابصار ....)[2] فيقول :

(الادراك : الاحـاطة بكنـه الشىء وحقيقته ، وهو غير الرؤية ، لأنه يصح أن يقال : رآه وما أدركه ، فالابصار ترى البارى ولا تحيط به ، كما أن القلوب تعرفه ولا تحيط به ، قال اللهتعالى (ولا يحيطون به علما)[3] قال ابن عباس ـ فى رواية عطاء ـ كلت أبصار المخلوقين عن الاحاطة به ، وقال سـعيد بن المسيب ، لا تحيط به الابصار . وعلى هذا التفسير نقول :

ان البارى سبحانه يرى ولا يدرك ، لأن معنى الادراك الاحاطة بالمرئى ، وانما يجوز ذلك على من كان محددا وله جهات .

وذهب جمـاعة من أهل التفسـير الى تخصيص هذه الآية ، قال ابن عباس ـ فى رواية أبى صالح ـ تنقطع عنه الابصار فى الدنيا ، وقال مقاتل : لا تراه الابصار فى الدنيا وهو يرى فى الآخرة .

والدليل على ان هـذه الآية مخصوصة بالدنيا . قوله (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة[4]) فقيد النظر اليه بيـوم القيـامة وأطلق فى هذه الآية ، والمطلق يحمـل على المقيد ، أخبرنا ابو بكر الحارثى ، أخبـرنا أبو الشيخ الحافظ ، أخبرنا أبو بشر محمد بن عمران بن الجنيـد ، حدثنا أبو بكر الصفار البصرى ، حدثنا عباد بن صهيب عن عمر وعن الحسن فى قوله (لا تدركه الابصار) قال : فى الدنيا ، وقال الحسن : يراه أهل الجنة فى الجنة واحتج بقوله (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) قال : ينظرون الى وجه الله عز وجل[5]) .

فى هذا المبحث الكلامى الذى عرض له الواحدى فى هذا النص : نجده يبنى موقفه على أساسين رئيسيين : أولهما دلالة اللغة ، وثانيهما : النظرة السلفية ، فاللغة تقول أن الادراك غير الرؤية لأن معناه الاحاطة ، ومن ثم فهى لا تنتفىبانتفائه ، وقداستعمل السلف الادراك على معنى الاحاطة فى صريح كلامهم ، واذا ما حمل معنى الادراك على الرؤية : كان هناك منطلق آخر لفهم النص وهو حمل المطلق فى هذه الآية ـ وهو انتفاء الرؤية ـ علىالمقيد فى قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) حيث قيد النظر اليه تعالى بيوم القيامة

---

(١) الواحدى : البسيط ٣٥٢/١ ، وانظر نفس النص حرفيا فى تفسير الوسيط ص : ٥٤ مخطوطة أحمد الثالث بتركيا .
(٢) سورة الانعام/١٠٣
(٣) سورة طه/١١٠.

(٤) سورة القيامة/ ٢٢ ـ ٢٣
(٥) الواحدى : الوسـيط/٢١٩ مخطوطة احمد الثالث .

فى دار الكرامة • وقد عزز الواحدى حمل المطلق على المقيد بما ورد عن السلف ، حيث روى بسنده عن الامام الحسن قوله : يراه أهل الجنة فى الجنة ، جعلنا الله تعالى فى زمرتهم •

واذا : فقد عرض الواحدى لهذه المسألة وفقا لمذهبه السنى الاشعرى ومن منطلق سلفى بحت ، وأوردها على النمط التقريرى الابتدائى ، حيث لم يشر الى معارضيه من المعتزلة أو غيرهم ولم يتخذ موقفا جدليا كما فعل فى مواقفه الاخرى •

كذلك نجد من المباحث التى طرقها الواحدى أيضا : مبحث النبوات ، فقد تناول مسألة العصمة للانبياء والرسل قبل البعثة والوحى وبعدهما فى أكثر من موضع فى تفسيره ، فمن ذلك ما ذكره فى (البسيط) عند تفسير قوله تعالى (اذ قال له ربه أسلم ••••)[1] حيث قال : (ولأهل التفسير فى قوله « أسلم » طريقان : احدهما أنه أراد بقوله (أسلم) ابتداء الاسلام ، فقد قال ابن عباس : انما قال له ذلك حين خرج من السرب فنظر الى الكوكب والقمر والشمس كما ذكره الله تعالى فى سورة الانعام[2] • وقال أصحاب هذا القول : ان الانبياء يجوز عليهم قبل الوحى من الشرك والكبائر ما جاز على غيرهم ، وانما عصموا من وقت البعثة وانزال الوحى • وهذا مذهب جماعة من أهل الاصول •

وقال عدة من المفسرين : قوله « أسلم » معناه : دم واثبت على الاسلام ، كقوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم : (فاعلم أنه لا اله الا الله •••)[3] وكقوله (ياأيها الذين آمنوا آمنوا ••••)[4] فى أحد الوجهين ، وعند أصحاب هذا القول : لايجوز على الانبياء فى سابقة حالهم الشرك والكبائر ، بل عصمهم الله سبحانه ودفع عنهم ما لم يدفع عن غيرهم •

فأما (محمد) صلى الله عليه وسلم : فعامة أصحابنا على أنه ما كفر بالله طرفة عين ولا كان مشركا قط ، ثم قال بعضهم : كان قبل البعث على دين عيسى ، ومنهم من قال : كان يعبد الله على دين ابراهيم)[5] •

ثم يضيف الواحدى الى هذا المبحث مزيدا من التبيان والتحقيق عند تفسير قوله تعالى : (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولاالايمان)[6] فيقول فى تفسيره البسيط :

(قوله « ما كنت تدرى ما الكتاب » قبل الوحى « ولا الايمان » اختلفوا فى هذا مع اجماع ارباب الاصول[7] على انه لا يجوز على الرسل قبل الوحى الا يكونوا مؤمنين ، فذهب كثير من أهل العلم الى أن المراد بالايمان

---

(١) سورة البقرة/١٣١
(٢) يعنى قوله تعالى (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا ...) الخ : الآيات ٧٦ — ٧٨

(٣) سورة (محمد) صلى الله عليه وسلم ١٩
(٤) سورة النساء/١٣٦
(٥) الواحدى : البسيط ٣١٣/١
(٦) سورة الشورى/٥٢
(٧) نقل فى هذا الموضع اجماع ارباب الاصول — ويعنى بهم أصحاب أصول العقيدة — على عصمة الرسل قبل الوحى وبعده ، مما يفيد أن من نقل عنهم خلاف ذلك من أهل الاصول فى النص السابق هم قلة خارج الاجماع . وان المعتد به فى أصول العقيدة هو عصمة الانبياء والرسل قبل البعثة والوحى وبعدهما كما يتضح من هذا النص .

هنا : شرائعه ومعالمه ، وهى كل ما يجوز أن يسمى ايمانا • واختار امام الائمة محمد بن اسحق بن خزيمة هذا القول وخصه بالصلاة محتجا (بقوله تعالى) «وما كان الله ليضيع ايمانكم»[1] أى صلاتكم • وقيل هذا)[2] من باب حذف المضاف ، فجعل التقدير : ما الكتاب ولا أهل الايمان ، يعنى : من الذى يؤمن ومن الذى لا يؤمن • وهذا اختيار الحسين بن الفضل •

وجعل أبو العالية التقدير : ولا دعوة الايمان ، لأنه كان قبل الوحى ما كان يقدر أن يدعو الى الايمان بالله •

وذهب بعض أهل المعانى الى التخصيص بالوقت ، فقال : المعنى : ولا ما الايمان قبل البلوغ • وهذا المذهب هو اختيار شيخنا أبو اسحق الاسفراييني رحمه الله ، فقد حكى بعض أصحابنا الكبار أنه سأله عن هذه الاية فقال : يعنى حين كان فى المهد ، وقالوا أن محمدا صلى الله عليه وسلم قبل الوحى كان يعبد الله على دين عيسى ، والصحيح أنه كان يعبد الله على دين ابراهيم)[3] •

لقد عرض الواحدى فى النصين السابقين لعصمة الانبياء والرسل قبل البعثة والوحى وبعدهما وسلك فى عرضها النمط التقريرى حيث أورد أقوال العلماء والمتكلمين من أصحابه الاشاعرة غير أنه يبدو فى النص الاخير انضج منه فى النص الأول وأكثر ايضاحا ، فبينما هو ينسب — فى النص الأول — لجماعة من أهل الأصول القول بعدم عصمة الانبياء قبل البعثة من الشرك والكبائر نجده فى النص الثانى ينقل اجماع ارباب الاصول — ويعنى بهم أصحاب أصول العقيدة — على عصمة الرسل قبل الوحى من الشرك قطعا — وكذا الكبائر بالتبعية — وينبذ قول من حكى عنهم خلافه ذلك ويعرض عن ذكره لتطرفه الجامح • ثم نجده يفرع على القول بالعصمة قبل الوحى وجوه المراد بالايمان • ثم نجده أخيرا يرجح الرأى القائل بأن نبينا صلى الله عليه وسلم كان يعبد الله قبل البعثة على دين الخليل عليه السلام على الرأى القائل بعبادته على دين المسيح عليه السلام • وقد حكى القولين فى النص الأول بدون ترجيح بينهما •

ومن ثم لم يخرج الواحدى فى هذا المبحث الذى عرضه فى هذين النصين عن النمط التقريرى الذى يعنى فيه بعرض الموضوع وابراز جوهره فى ضوء النص القرآنى ومن خلال الآراء التى تناولته ، وكأنه يعالج مبحثا تفسيريا عاديا • فلا نجده يتخذ المسلك الجدلى الذى يقف فيه موقف المناظر المحاج بالرهان والحاسم بالدليل • وهذا المسلك التقريرى معلل فى رأيى اما باستواء الحجة على أطراف القضية استواء يبعث على تجاهل الخصم كما فى مبحثى الوحدانية والرؤية واما بعدم وجود الخصم المنازع ، واعتبار الرأى محل اجماع غالبا كما فى مبحث العصمة •

وأما عن النمط الجدلى الكلامى فى تفسير الواحدى : فاننا نجده يمثل الطابع العام الغالبى ، فلقد وقف الواحدى فى تفسيره موقف المدافع الكفء والنصير المبرز لمذهب أهل السنة والاشاعرة ، وتعقب خصومه المعتزلة فى آرائهم وأصولهم الاعتقادية التى حاولوا أن يطوعوا نصوص التنزيل لاقرارها والاحتجاج لها •

---

(١) سورة البقرة/١٤٣

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط فى النسخ ، وقد اثبته من نظير هذا النص فى تفسير القرطبى ١٦/٥٩ وفى تفسير الخطيب الشربينى ٣/٥٥١

(٣) الواحدى : البسيط ٧/٣١٤

ولكى نكون على بينة من أمر هذه المواقف التى خاضها الواحدى مع المعتزلة فى تفسيره : يجدر بنا أن نقف أولا على مجمل أصول مذهب المعتزلة التى تفرعت عنها المسائل والآراء التى تعقبها الواحدى عند مواضع الاحتجاج لها أو عليها من التنزيل •

وهذه الأصول التى ينبنى عليها مذهب الاعتزال خمسة : —

١ — التوحيد : وقد عرفه القاضى عبد الجبار قائلا (هو العلم بأن الله تعالى واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفيا واثباتا على الحد الذى يستحقه والاقرار به ولابد من اعتبار هذين الشرطين : العلم والاقرار جميعا ، لانه لو علم ولم يقر ، أو أقر ولم يعلم لم يكن موحدا[1]) •

وقد بنى المعتزلة على هذا الأصل ما يلى :

(أ) ان صفات الله تعالى ليست شيئا غير الذات ، فليس لله تعالى — فى رأيهم — صفات أزلية قديمة وانما هو حى بذاته وعالم بذاته ، وقادر بذاته وهكذا ، فليست هناك صفات تشاركه فى القدم •

(ب) ان القرآن — فى رأيهم — مخلوق لله تعالى ، وليس من صفاته بناء على قاعدة نفى الصفات[2] •

(ج) وأن رؤية الله تعالى مستحيلة عندهم سواء فى الدنيا أو الآخرة ، لانهم يرونها تستلزم الجهة الجسمانية وغيرهما من صفات الحوادث •

٢ — العدل وقد بنوا عليه ما يلى : —

(أ) ان الله تعالى لايريد المعاصى لتعلق الارادة حينئذ بالقبيح وصفة العدل تأباه •

(ب) ان الله تعالى لا يخلق أفعال العباد بل هم الذين يخلقونها • لأن مقتضى العدل عندهم ألا يحاسب عباده على ما يخلقه هو • ومن ثم فأفعالهم من خلقهم حتى تكون محاسبتهم عليها عدلا •

(ج) أنه تعالى — فى رأيهم — يجب عليه مراعاة الصلاح والاصلح • فذلك من مستلزمات الحكمة والعدل •

(د) قولهم بالتحسين والتقبيح العقليين فالحسن ما حسنه العقل والقبيح ما قبحه العقل •

٣ — الوعد والوعيد :

ومضمونه عندهم : أنه يجب عليه تعالى — فى زعمهم — اثابة الطائع وعقاب العاصى ما لم يتب ، دون أن يتخلف وعده أو وعيده • وبنوا على ذلك أن مرتكب الكبيرة — ما لم يتب — فهو مخلد فى النار ولا يجوز العفو عنه عندهم ولا تقبل فيه شفاعة •

٤ — المنزلة بين المنزلتين :

ومضمون هذا الأصل عندهم : أن صاحب الكبيرة لا يسمى مؤمنا ولا كافرا بل يسمى فاسقا ، فله اسم بين الاسمين وحكم بين

---

(١) انظر : شرح الاصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ص ١٢٨

(٢) كمايتفرع هذا المبدأ عن مشكلة الصفات المتعلقة فى مذهبهم بالتوحيد ، فانه متفرع ايضا عن أصل (العدل) المبين بعد ،لان القرآن عندهم فعل من افعال الله تعالى يصح ان يقع على وجه فيقبح وعلى وجه آخر فيحسن ، وباب العدل كلام فى افعاله وما يجوز ان يفعله وما لا يجوز (شرح الاصول الخمسة ص ٥٢٧) •

الحكمين ومن ثم يطلق على هذه المسألة عندهم: مسألة الأسماء والأحكام فهو فى الاسم فاسق بين المؤمن والكافر وهو فى الحكم فى منزلة بين منزلتى الكفر والايمان وهو مخلد فى النار •

٥ ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

وهذا الأصل وان كان مقررا عند أهل السنة وعامة الأئمة ، الا أن المعتزلة تغالوا فى فهم هذا المبدأ وتطبيقه ، فاعتقدوا أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يكون بالقلب ان كفى ، وباللسان ان لم يكف القلب ، وباليد ان لم يغنيا ، وبالسيف ان لم تكف اليد ، واستدلوا بقوله تعالى (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله[١] ••) ومن ثم استغلوا هذا المبدأ فى فرض أصولهم الاعتزالية بالبطش والتنكيل فكان منهم ما كان وأوقعوا بخاصة العلماء فى لهيب المحن ، كمحنة خلق القرآن وموقف الامام الجليل أحمد بن حنبل •

هذه هى اصول المعتزلة المجمع عليها عندهم ـ وان وجدت مبادىء أخرى خاصة بكل فرقة منهم ـ فلا يطلق وصف الاعتزال على أحد منهم حتى يعتقد هذه الاصول ، يقول ابو الحسين الخياط المعتزلى : (وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالاصول الخمسة : التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فاذا كملت هذه الخصال فهو معتزلى[٢]) •

وقد سعى المعتزلة جاهدين فى كسب النص القرآنى فى صف أصولهم ومسائل مذهبهم فلم يألوا جهدا فى تأويل الآيات والنصوص ، وتصنيف التفاسير التى تتخذ من تلك الاصول محاور أساسية لتطويع النص لها كما فعل القاضى عبد الجبار وأبو مسلم الاصبهانى ثم الزمخشرى من بعد بيد أن مفسرى أهل السنة قد شمروا عن سواعدهم وكشفوا زيف التأويلات الاعتزالية وبينوا أن النص القرآنى يقذف بها ويأباها ، وأن عقيدة أهل السنة والجماعة هى المستمدة من روح القرآن • وكان التطبيق العملى رائعا ، وأقرب صورة لذلك ما فعله الواحدى فى تفسيره • فنجده يقف فى تفسيره عند الآيات التى تصادم أصول المعتزلة وقفات حافلة ، ويبين عدم اتفاق مبادئهم مع تلك النصوص ويفند شبههم تفنيدا قائما على الفهم الدقيق للنص القرآنى ، وعلى التعمق فى أصول اللغة ومعطياتها ، ولو تتبعنا تلك المواقف باستقصاء واستيعاب لطال بنا الكلام ولا تسع نطاق البحث ، فلنأخذ من الامثلة والشواهد ما يمكننا من التعرف على نوعية تلك المواقف ومنهج الواحدى فى الدفاع عن مذهبه السنى والتمكين له فى تفسيره •

ففيما يتعلق بالاصل الثانى من أصول المعتزلة وهو : (العدل) الذى اشتهروا به وسموا أنفسهم « أهل التوحيد والعدل » وكان من مترتبات هذا الاصل ـ كما عرضنا ـ قولهم بخلق العبد لافعاله الاختيارية[٣] ، ونفيهم

---

(١) سورة الحجرات/٩

(٢) انظر : الانتصار والرد على ابن الراوندى الملحد لابى الحسين الخياط بتحقيق نيبرج ص ١٢٦ ـ ١٢٧ وانظر فى تفريعات اصول المعتزلة (الملل والنحل للشهرستانى ٦٥/١ ومنهج ابن عطية فى تفسير القرآن الكريم ص٢٢٤)

(٣) شارك المعتزلة فى اعتقاد هذا الاصل طوائف أخرى من المرجئة والخوارج والشيعة كما ذكر ابن حزم . انظر : الفصل فى الملل والنحل : ٤١/٣

كونه تعالى مريدا ومقدرا للهداية والضلال والايمان والكفر : نجد الواحدى يتصدى لهذا الاصل ومترتباته فى العديد من المواقف من تفسيره • فمن تلك المواقف التى نجدها فى (البسيط) و (الوسيط) :

١ ـ عند تفسير قوله تعالى : (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم[1] ••) قال فى البسيط (واعلم أن الختم على الوعاء يمنع الدخول فيه والخروج منه ، كذلك الختم على قلوب الكفار يمنع دخول الايمان فيها وخروج الكفر منها ، وانما يكون ذلك بأن يخلق الله الكفر فيها ، ويصدهم عن الهدى ، ولا يدخل الايمان فى قلوبهم كما قال :(وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله[2] ••) •

فأما قول من قال : معنى (ختم الله على قلوبهم) : حكم بكفرهم ، فغير صحيح ، لان أحدنا يحكم بكفر الكافر ولا يقال ختم على قلبه •

وذهب بعض المتأولين من القدرية[3] الى أن معنى (ختم الله على قلوبهم) وسمها سمة تدل على أن فيها الكفر لتعرفهم الملائكة بتلك السمة أو تفرق بينهم وبين المؤمنين الذين فى قلوبهم الشرح • قال : والختم والطبع واحد ، وهما سمة وعلامة فى قلب المطبوع على قلبه •

وهذا باطل ، لان الختم فى اللغة ليس هو الاعلام ، ولا يقال : ختمت على الشىء ، بمعنى أعلمت عليه ، ومن حمل الختم على الاعلام فقد تشهى على أهل اللغة وجر كلامهم الى موافقة عقيدته[4]) •

لقد تصدى الواحدى فى هذا الموقف للمعتزلة القدرية المانعين من خلق الله تعالى للكفر فى قلوب الكفار ومنعهم عن الهدى ، فاستدل بهذه الآية الكريمة على خلاف مدعاهم وأثبت بها عقيدته السنية المستوحاة من النص القرآنى • فأثبت بمظاهرة دلالة اللغة أن الآية نص صريح دال على أنه تعالى خلق الكفر فى قلوب الكفار ومنعهم عن الايمان •

ثم تصدى الواحدى لتأويلات المعتزلة فى الآية الكريمة ، فأبطل زعمهم أن يكون المراد بالختم هو الحكم والاخبار ، ونقض ذلك بمقتضى دلالة اللغة ، حيث أن الحكم والتسمية والاخبار فى واد ، والختم فى واد آخر !

ثم أبطل الواحدى أيضا مدعى المعتزلة بأن الختم هنا هو الوسم والاعلام ، وذلك للمغايرة القاطعة بين مدلولى الختم والاعلام •

ثم كان التعليق اللاذع الذى ختم به الواحدى موقفه فى سخرية من دعاة الاعتزال، حيث حكم عليهم بالتشهى على أهل اللغة وجذب كلامهم ـ بالاكراه والتعسف ـ لموافقة عقيدتهم• ولقد أساء بعض الباحثين[5]

---

(١) سورة البقرة/٧
(٢) سورة الجاثية/٢٣
(٣) ذهب الى هذا التاويل من المعتزلة : ابو على الجبائى والقاضى عبد الجبار : انظر تفسير الفخر الرازى : ١٨١/١

(٤) الواحدى : البسيط ٦٩/١
(٥) تناول د. عدنان زرزور فى رسالته (الحاكم الجشمى ، ومنهجه فى تفسير القرآن) التعريف بتفسير الواحدى (البسيط) وهو يؤرخ لحركة التاليف فى التفسير وعلم الكلام فى عصر الحاكم فقال : (٤ ـ والتفسير البسيط للواحدى (على بن محمد) وهو خطأ والصواب انه على ابن أحمد) ت : ٤٦٨) صاحب التفاسير الثلاثة وقد نازل فيه المعتزلة والقدرية وانتصر للأشعرى، ويبدو انه لم يفد من التطور ...) الخ النص المثبت بالاصل . انظر : الحاكم الجشمى ومنهجه فى تفسير القرآن ص ٥٣

فهم هـذا الموقف للواحدى رغم وضوحه فى تصوير عقيدته ، فاعتبر هذا القول داخلا فى اطار القول بالجبرية ! وحكم بأن الواحدى لم يفد من التطور الذى أصـاب بعض آراء الأشعرى على أيدى كبار المذهب من أمثال الباقلانى والجوينى وغيرهم . واستند الباحث فى حكمه ــ غير المدروس ــ الى هذا النص ، حيث أورده ثم علق عليه قائلا : ــ

(.. وهذا معنى ما فى كتاب « الابانة » للأشعرى ص : ٥٧ ــ ٥٨ ، وللكسب عنـد الباقلانى والجوينى تفسير آخر مغاير لهـذا القول الذى يمكن عده جبرا محضا) !

ولست أدرى كيف أعتـبر الباحث قول الواحدى فى مسألة الختم يمكن عـده جبرا محضا مع تصريحه فى نفس النص بموافقة الواحدى للأشعرى فى كتابه (الابانة) ؟؟ فهل يعتبر ما فى (الابانة) للأشعرى من الجبر المحض ؟؟

ثم كيف يحكم الباحث من خلال نص واحد للواحدى ــ وهو نص تفسير الختم ــ بأنه لم يفـد من تطور بعض آراء الاشعرى على أيدى كبار المذهب كالباقلانى وغيره ؟؟

لا شك أن هذا الباحث له بعض العذر فيما قال ، ووجه العذر الوحيد له انه لم يقرأ فى تفسير الواحدى سوى هذا النص فحسب! أما لو تصفح فى (البسيط) مثلا بعض المواقف الكلامية الأخرى للواحدى لأحجم عما قال ، فثمة مواقف يصرح الواحدى فيها ــ بما لا لبس فيه ــ بالكسب الذى قال به الباقلانى والجوينى وغيرهما من كبار الاشاعرة .

من ذلك مثلا عند تفسير قوله تعالى : (ان الله لا يظلم الناس شيئا[١] ..) يقول الواحدى فى البسيط : (قال أرباب الأصول[٢]، وأصـحاب المعانى : لمـا ذكر الله تعالى فى الآيتين السابقتين فريقين ووصفهما بالشقاوة، ينظرون ويسـمعون ولا يعقلون ولا يؤمنون وذلك للقضاء السـابق عليهم ــ أخبر فى هذه الآية : أن تقدير الشقاوة عليهم ما كان ظلما منه ، لأنه يتصرف فى ملكه كيف شاء .. واذا كسبوا المعاصى فقد ظلموا أنفسهم ، لأن الفعل منسوب اليهم وان كان القضاء لله تعالى[٣]).

لقد صرح الواحدى بما صرح به الباقلانى فى (الانصاف) من أن أفعال العباد هى كسب لهم وهى خلق الله تعالى[٤] .

٢ــ ونجده عند تفسير قوله تعالى (وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون[٥]) يقول فى (البسيط) فى خاتمة تفسير الآية : ــ

(.. والاية رد على القدرية ، لان الله تعالى بين أن كفرهم بسـبب لعنه بآبائهم ، فالله تعـالى لمـا لعنهم ، وطردهم ، وأراد كفرهم وشقاوتهم منعهم الايمان[٦]) ففى هذا النص مزيد من اقامة الحجة على المعتزلة القدرية ، حيث رتب منع ايمانهم أو قلته ــ على أن ما نافية أو صلة ــ على لعن الله تعالى لهم وارادته شقاءهم وحرمانهم من الايمان . وفى ذلك حجة قاطعة على أنه تعالى هو المقدر والمريد لكفر هؤلاء خلافا لزعم القدرية .

---

(١) سورة (يونس)/٤٤

(٢) يعنى الواحـدى بارباب الاصـول : اصحاب علم اصول الدين من المتكلمين وعلمـاء العقيدة ، وهكذا كان يطلق المتكلمون على علم الكلام . فنجد لامام الحرمين الجوينى مثلا مصنف (الشامل فى اصول الدين) .

(٣) الواحدى : البسيط ٣١/٤

(٤) انظر : الانصاف فيما يجب اعتقـاده ولا يجوز الجهل به لابى بكر الباقلانى . بتحقيق الشيخ محمد زاهر الكوثرى ص ٤٦

(٥) سورة البقرة/٨٨

(٦) الواحدى : البسيط ٢٤٧/١

٣ ــ وعند تفسير قوله تعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها[١] ••)يقول فى (البسيط) •• وتقول القدرية : ان الله تعالى أخبر أنه لا يكلف العبد الا ما يسعه ، واذا كلفه الايمان وقضى عليه الكفر فقد كلفه مالا يسعه •

فيقال لهم : يلزمكم مثل هذا فى العلم ، لأنكم توافقوننا على أن الله تعالى اذا سبق فى معلومه أن فلانا يموت كافرا فلا سبيل له الى تبديل معلومه ، فاذا كلفه الايمان فقد كلفه مالا يطيق •

وهذا معنى قول الشافعى رضى اللهعنه: اذا سلمت لنا القدرية العلم خصموا[٢] !! وهكذا انتهج الواحدى فى هذا الموقف المنهج القياسى فىالجدل ، وحاج القدرية بالمنطقورد اعتراضهم عليهم سالكا مسلكهم فى الحجاج ، فكما أن استحالة تبديل ما سبق فى علم الله تعالى من كفر الكافر لا يعنى أن تكليفه اللاحق بالايمان تكليف بما لا يطيق ــ وذلك مسلم عندهم ــ فكذلك تكليف العبد بالايمان مع سبق القضاء عليه بالكفر لا يعد تكليفه بما لا يطيق •

٤ ــ ومن مواقفه فى تفسيره (الوسيط) ازاء القدرية فى هذا الصدد ايضا : ماذكرهعند تفسير قولهتعالى : (••ومنيرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم[٣] ••) اذ يقول :

(قوله : « ومن يرد الله فتنته » قال ابن عباس ومجاهد : ضلالته ، وقال الحسن وقتادة : عذابه ، وقال الزجاج : قيل فضيحته، وقيل كفره « فلن تملك له من الله شيئا » لن تغنى عنه ولن تدفع عنه عذاب الله (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) قال ابن عباس : أن يخلص نياتهم ، وقال الزجاج : أن يهديهم •

ودلت هذ هالآية أن الله تعالى غير مريد اسلام الكافر وأنه لم يطهر قلبه من الشرك والشك ، ولو فعل ذلك لآمن • وهذه الاية من أشد الآيات على القدرية[٤]) !! ووجه أشديتها هو تصريحها بترتب كفر الكافر على ارادة الله كفره وعدم أرادته تعالى طهارة قلبه للايمان • وهل بعد ذلك من وضوح وتصريح وبيان ؟

٥ ــ وعند تفسير قوله تعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق[٥] ••) نجده يرد ما ذهب اليه المعتزلة وغيرهم[٦] من قولهم بأنالعبد خالق لافعاله الاختيارية ، فيقول فى (البسيط) : ــ (قال أصحابنا : وهذه الآية دليل على أن الخالق واحد ، وانما يتميز الخالق من المخلوق بالقدرة على اختراع الخلق ، فمن جعل نفسه خالقا لأفعاله التى يفعلها فقد نصب نفسه خالقا شريكا لله فى الخلق[٧] ••) •

لقد أبطل الواحدى مدعى المعتزلة ومن لف لفهم من منطلق ثبوت الوحدانية لله عز وجل الشاملة لوحدانية الذات والصفات والافعال ، حيث أن وحدانية الافعال مقتضية لان يتفرد الصانع سبحانه بخلق جميع الافعال ــ بما فيها أفعال العباد ــ ومن ثم فمن نسب خلق الافعال للعباد فقد قدح فىصفة الوحدانية بمدلولها الشامل ونصب نفسه شريكا لله ــ

---

(١) سورة البقرة/٢٨٦ .
(٢) الواحدى : البسيط ٦٠٤/١ .
(٣) سورة المائدة / ٤١ .

(٤) الواحدى : الوسيط /١٨٥ مخطوطة احمد الثالث .
(٥) سورة النحل / ١٧ .
(٦) شارك المعتزلة فى هذا القول : الجهمية والنجارية والروافض . انظر الانتصار للباقلانى صفحة ١٤٤ .
(٧) الواحدى : البسيط ٤٨٠/٤ .

تعالى وتقدس ــ فى خلق افعاله • وكفى بهذا الوصف داحضا لمدعاهم •

٦ ــ وعند تفسير قوله تعالى (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء[١] ••) يقف الواحدى موقفا حاسما فى تكذيب القدرية وابطال مذهبهم فى نسبة القدر لأنفسهم[٢] فيقول : ــ

(•• وهذه الآية صريحة فى تكذيب نفسه وجعلها لمن شاء من خلقه بالمشيئة القدرية ، حيث أضاف الضلالة والهداية الى الازلية التى لا يجوز عليها الحدوث • ثم أخبر أنهم يسألون عن اعمالهم[٣] فبان أن الامر على ما أخبر الله تعالى فى قوله : « لايسأل عما يفعل وهم يسألون[٤] ») ••

قال نوف البكالى [٥] : قال (عزير)[٦]: يا رب ، تخلق خلقا فتضل من تشاء وتهدى من تشاء • فقيل : يا عزير ، اعرض عن هذا ، فأعاد ذلك ، فقيل : اعرض عن هذا والا محيت عن النبوة ، أنا لا أسأل عما أفعل وهم يسألون[٧]) ••

٧ ــ وأيضا عند تفسير قوله تعالى : (وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم[٨] ••) يقول فى (البسيط) : ــ

•• وهذا صريح فى تكذيب القدرية ، لان الله تعالى اضاف الى نفسه تسبب الشياطين لهم حتى أضلوهم ، وهو قوله : (فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) • وعلى هذا : ــ المعنى : زينوا لهم الدنيا حتى أثروها ، ودعوهم الى التكذيب بما خلفهم من أمر الآخرة وانكار البعث[٩]) وهكذا تواردت مواقف الواحدى من المعتزلة ازاء ركن أصيل فى مذهبهم وهو (العدل) •

كذلك نجد للواحدى مواقف أخرى من المعتزلة بالغة الكثرة فى تفاسيره فيما يتعلق بمذهبهم فى (الوعد والوعيد) و (المنزلة بين المنزلتين) وموقفهم من مرتكب الكبيرة • وسنجتزىء منها ببعض المواقف على سبيل الاستشهاد والتدليل فحسب : ــ

١ ــ عند تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى[١٠] ••) الآية • يقول فى تفسيره (البسيط) ــ فى خاتمة تفسير الاية الكريمة : ــ

وفى هذه الآية أدلة على القدرية :

أحدها : قوله فى افتتاح الآية : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص) ، ولا خلاف

---

(١) سورة النحل / ٩٣ .
(٢) يقول الامام الاشعرى فى تعليل تسميتهم بالقدرية : (فان قالوا لم سميتمونا قدرية ؟ قيل لهم : لانكم تزعمون فى اكسابكم انكم تقدرونها وتفعلونها مقدرة لكم دون خالقكم . والقدرى هو من ينسب ذلك لنفسه ، كما ان الصائغ هو من يعترف بأنه يصوغ دون من يزعم انه يصاغ له) انظر اللمع ص ٩٠
(٣) اى ليس قوله تعالى فى ختام الآية الكريمة (... ولتسألن عما كنتم تعملون) .
(٤) سورة الانبياء / ٢٣ .
(٥) هو نوف بن فضالة التابعى البكالى ــ نسبه الى بكالة وهو بطن من حمير ــ ابن اخت سيدنا على كرم الله وجهه ، وقد روى عنه فى نهج البلاغة . انظر نهج البلاغة صفحة ٢٠٩ ط/ الشعب .
(٦) ساقطة فى النسخ وقد اثبتها من السياق .

(٧) الواحدى : البسيط ٥٣٧/٤ ــ ٥٣٨
(٨) سورة فصلت / ٢٥ .
(٩) الواحدى : البسيط ٢٨٢/٧
(١٠) سورة البقرة / ١٧٨ .

أبى الله أن يجعل لقاتل مؤمن توبة[1] •

أخبرنا أبو عبد الله بن أبى اسحق ، أخبرنا أبو عمرو بن مطر ، أخبرنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار ، حدثنا الحسن ابن موسى ، حدثنا محمد بن سلمة عن محمد بن اسحق عن ابراهيم بن المهاجر عن اسماعيل مولى عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن عبد الله بن عمر قال : — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده لقتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا[2] •

ومذهب أهل السنة : أن قاتل المؤمن عمدا له توبة ••

أخبرنا محمد بن ابراهيم بن محمد بن يحيى ، أخبرنا أبو عمرو بن نجيد ، أخبرنا أبو مسلم ابراهيم بن عبد الله ، حدثنا محمد ابن عبد الله الانصارى ، حدثنا هشام بن حسان قال : كنا عند محمد بن سيرين ، فقال له رجل من القوم : (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) حتى ختم الآية • فقال محمد : أين أنت عن هذه الآية (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) أخبرنا أبو بكر التميمى، أخبرنا عبد الله بن محمد الحافظ ، أخبرنا العباس بن حمدان حدثنا اسحق بن ابراهيم الشهيدى قال : سمعت قريش بن أبى أنس يقول : كنت عند عمرو بن عبيد[3] فى بيته فأنشأ يقول : يؤتى بى يوم القيامة فأقام بين يدى الله تعالى فيقول : قلت ان القاتل فى النار؟ فأقول : أنت قلت ثم تلا هذه الآية (ومن يقتل مؤمنا متعمدا ••) حتى فرغ منها ، فقلت له : وما فى البيت أصغر منى — : أرأيت ان قال لك : فانى قلت : (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ، من أين علمت أنى لا أشاء أن أغفر لهذا ، قال : فما استطاع أن يرد شيئا !

وأما ما روى عن ابن عباس وغيره من السلف أنهم قالوا : لا توبة للقاتل ، فان الأولى لأهل الفتوى سلوك سبيل التغليظ ، سيما فى القتل ، يدل على هذا ما روى أن سفيان سئل عن توبة القاتل فقال : كان أهل العلم اذا سئلوا قالوا : لا توبة له ، واذا ابتلى الرجل قالوا له : تب •

أخبرنى أبو عمرو محمد بن عبد العزيز المروزى — فيما أذن لى روايته عنه — قال : أخبرنا محمد بن الحسين الحدادى ، أخبرنا محمد بن يحيى ، أخبرنا اسحق بن ابراهيم أخبرنا أبو داود الحفرى ، حدثنا سفيان عن أبى سعيد عن عطاء عن ابن عباس ، أن رجلا سأله : ألقاتل المؤمن توبة ؟ قال : لا ، وسأله آخر : ألقاتل المؤمن توبة ؟ قال نعم • فقيل له : قلت لذلك : لا توبة لك • ولذلك : لك توبة؟ قال : جاءنى ذاك ولم يكن قتل ، فقلت : لاتوبة لك لكيلا يقتل ، وجاءنى هذا وقد قتل ، فقلت : لك توبة : لكيلا يلقى بيده الى التهلكة •

فأما تأويل قوله تعالى (فجزاؤه جهنم) فقد روى مرفوعا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : هو جزاؤه ان جازاه[4] •

---

(١) خرجه الامام السيوطى عن الطبرانى فى الجامع الصغير ٥/١ ط الحلبى .

(٢) رواه الترمذى من عدة طرق عن عبد الله بن عمرو مرفوعا وموقوفا انظر سنن الترمذى ١٦/٣٤ .

(٣) هو عمرو بن عبيد البصرى المعتزلى (ت : ١٤٢ هـ) صاحب الحسن ثم اعتزله،وتحول اليه واصل بن عطاء حين اعتزل الحسن فسموا معتزلة ، وقد لقبه صاحب المغنى بشيخ المعتزلة. انظر شذرات الذهب ٢١١/١ .

(٤) رواه ابن مردويه بسنده عن أبى هريرة — رضى الله عنه — مرفوعا وخرجه عنه ابن كثير فى تفسيره : ٣٣٥/٢ وانظر تفسير الألوسى : ١١٦/٥ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أتانى آت من ربى فأخبرنى — أو قال بشرنى — أن من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة • قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال وان زنى وان سرق[1] ، [2]) •

فى هذا النص نجد الواحدى يعرض لأصلين من أصول المعتزلة — المنزلة بين المنزلتين والوعد والوعيد — ويستدل بالآية الكريمة على بطلانهما • ثم نجده يضيف الى منهجه الكلامى ركنا آخر هو الاستشهاد بالحديث الشريف الى جانب الاستدلال — فيما سبق — بالنص القرآنى ، وبجانب استخدامه للغة فى توجيه النص واستنباط الأدلة •

٣ — ونجده كذلك عند تفسير قوله تعالى (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها[3]) الآية يقول فى (الوسيط) : —

الآية وعيد شديد لمن قتل مؤمنا متعمداء حرم قتل المؤمن ، وحظر به[4] سفك دمه وقد وردت فى قتل المؤمن أخبار شداد : —

أخبرنا أبو الشيخ الحافظ ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد الرازى ، حدثنا سهل ابن عثمان العسكرى ، حدثنا عبيدة عن عمار الدهنى ، عن سالم بن أبى الجعد قال : كنت عند ابن عباس ، فسأله رجل فقال : رجل قتل مؤمنا متعمدا ؟ فقال ابن عباس : جزاؤه جهنم خالدا فيها •• الى آخر الآية • قال : فان تاب وآمن وعمل صالحا ؟ فقال ابن عباس: وأنى له التوبة وقد سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : ويح قاتل المؤمن ، يجىء يوم القيامة حاملا رأسه بيمينه أو يساره ، وفى يده الأخرى قاتله ، يقول : رب ، هذا قتلنى ، فوالذى نفسى بيده : نزلت على نبيكم فما نسخت حتى قبض • يعنى هذه الآية (ومن يقتل مؤمنا متعمدا[5]) ••

أخبرنا أبو القاسم السراج ، أخبرنا محمد ابن محمد بن الحسن الكارزى ، أخبرنا على بن عبد العزيز ، أخبرنا أبو عبيد ، حدثنا حجاج عن ابن جريج ، أخبرنى القاسم بن أبى بزة ، أنه سأل سعيدا : هل لمن قتل مؤمنا توبة ؟ فقال : لا ، قال : فقرأت عليه هذه الاية : (والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ••) الى قوله (الا من تاب[6]) فقال سعيد: قرأتها على ابن عباس كما قرأتها على فقال : هذه مكية نسختها آية مدنية : التى فى سورة النساء[7] • أخبرنى اسماعيل بن ابراهيم بن محموديه ، أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهرى ، أخبرنا يحيى بن (••••• [8])حدثنا سويد بن نصر ، أخبرنا عبد الله بن المبارك ، عن سليمان التيمى عن حميد عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : —

---

(١) رواه البخارى بزيادات منها قوله فى آخره (على رغم أنف أبى ذر) انظر صحيح البخارى : كتاب اللباس : ٧/١٩٢—١٩٣ وانظر تفسير ابن كثير : ٢/٢٨٧ ط الشعب .
(٢) الواحدى : الوسيط : ١٤٧ — ١٤٨ مخطوطة أحمد الثالث .
(٣) سورة النساء / ٩٣ .
(٤) الضمير فى (به) يعود على الوعيد الشديد .
(٥) اخرجه ابن كثير فى تفسيره (٢/٣٣٣ ط الشعب) عن الامام احمد . انظر المسند١/٢٤٠
(٦) سورة الفرقان : الآيات الكريمات ٦٨ — ٧٠ .
(٧) روى البخارى نحوه عن سعيد عن ابن عباس رضى الله عنهما بلفظ آخر . انظر الصحيح : ٦/٥٩
(٨) غير واضح فى المخطوطة .

أبى الله أن يجعل لقاتل مؤمن توبة[1] .

أخبرنا أبو عبد الله بن أبى اسحق ، أخبرنا أبو عمرو بن مطر ، أخبرنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار ، حدثنا الحسن ابن موسى ، حدثنا محمد بن سلمة عن محمد بن اسحق عن ابراهيم بن المهاجر عن اسماعيل مولى عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن عبد الله بن عمر قال : — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده لقتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا[2] .

ومذهب أهل السنة : أن قاتل المؤمن عمدا له توبة ..

أخبرنا محمد بن ابراهيم بن محمد بن يحيى ، أخبرنا أبو عمرو بن نجيد ، أخبرنا أبو مسلم ابراهيم بن عبد الله ، حدثنا محمد ابن عبد الله الانصارى ، حدثنا هشام بن حسان قال : كنا عند محمد بن سيرين ، فقال له رجل من القوم : (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) حتى ختم الآية . فقال محمد : أين أنت عن هذه الآية (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) أخبرنا أبو بكر التميمى، أخبرنا عبد الله بن محمد الحافظ ، أخبرنا العباس بن حمدان حدثنا اسحق بن ابراهيم الشهيدى قال : سمعت قريش بن أبى أنس يقول : كنت عند عمرو بن عبيد[3] فى بيته فأنشأ يقول : يؤتى بى يوم القيامة فأقام بين يدى الله تعالى فيقول : قلت ان القاتل فى النار؟ فأقول : أنت قلت ثم تلا هذه الآية (ومن يقتل مؤمنا متعمدا ..) حتى فرغ منها ، فقلت له : وما فى البيت أصغر منى — : أرأيت ان قال لك : فانى قلت : (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ، من أين علمت أنى لا أشاء أن أغفر لهذا ، قال : فما استطاع أن يرد شيئا !

وأما ما روى عن ابن عباس وغيره من السلف أنهم قالوا : لا توبة للقاتل ، فان الأولى لأهل الفتوى سلوك سبيل التغليظ ، سيما فى القتل ، يدل على هذا ما روى أن سفيان سئل عن توبة القاتل فقال : كان أهل العلم اذا سئلوا قالوا : لا توبة له ، واذا ابتلى الرجل قالوا له : تب .

أخبرنى أبو عمرو محمد بن عبد العزيز المروزى — فيما أذن لى روايته عنه — قال : أخبرنا محمد بن الحسين الحدادى ، أخبرنا محمد بن يحيى ، أخبرنا اسحق بن ابراهيم أخبرنا أبو داود الحفرى ، حدثنا سفيان عن أبى سعيد عن عطاء عن ابن عباس ، أن رجلا سأله : ألقاتل المؤمن توبة ؟ قال : لا ، وسأله آخر : ألقاتل المؤمن توبة ؟ قال نعم . فقيل له : قلت لذلك : لا توبة لك . ولذلك : لك توبة؟ قال : جاءنى ذاك ولم يكن قتل ، فقلت : لاتوبة لك لكيلا يقتل ، وجاءنى هذا وقد قتل ، فقلت : لك توبة : لكيلا يلقى بيده الى التهلكة .

فأما تأويل قوله تعالى (فجزاؤه جهنم) فقد روى مرفوعا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : هو جزاؤه ان جازاه[4] .

---

(1) خرجه الامام السيوطى عن الطبرانى فى الجامع الصغير ١/٥ ط الحلبى .

(2) رواه الترمذى من عدة طرق عن عبد الله بن عمرو مرفوعا وموقوفا انظر سنن الترمذى ١٦/٣٤ .

(3) هو عمرو بن عبيد البصرى المعتزلى (ت : ١٤٢ هـ) صاحب الحسن ثم اعتزله،وتحول اليه واصل بن عطاء حين اعتزل الحسن فسموا معتزلة ، وقد لقبه صاحب المغنى بشيخ المعتزلة. انظر شذرات الذهب ٢١١/١ .

(4) رواه ابن مردويه بسنده عن أبى هريرة — رضى الله عنه — مرفوعا وخرجه عنه ابن كثير فى تفسيره : ٣٣٥/٢ وانظر تفسير الألوسى : ١١٦/٥ .

وروى عاصم بن أبى النجود عن ابن عباس فى قوله : (فجزاؤه جهنم ..) قال : هى جزاؤه ، فان شاء عذبه وان شاء غفر له . وبهذا قال عون بن عبد الله ، وبكر بن عبدالله، وأبو صالح . وقد يقول الانسان لمن يزجره عن أمر : ان فعلته فجزاؤك القتل والضرب ، ثم ان لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذبا .

والأصل فى هذا : أن الله تعالى يجوز أن يخلف الوعيد ، وان كان لا يجوز أن يخلف الوعد ..

بهذا وردت السنة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فيما أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الأصبهانى ، أخبرنا عبد الله بن محمد الأصبهانى ، حدثنا زكريا بن يحيى الساجى، وأبو حفص السلمى ، وأبو يعلى الموصلى قالوا : حدثنا هدبه بن خالد ، حدثنا سهل بن أبى حزم حدثنا ثابت البنانى ، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : —

من وعد الله على عمله ثوابا فهو منجزه له ، ومن أوعده على عمله عقابا فهو بالخيار[1] أخبرنا أبو بكر ، حدثنا عبد الله ، حدثنا محمد ابن حمزه ، حدثنا أحمد بن الخليل حدثنا الاصمعى قال : جاء عمرو بن عبيد الى أبى عمرو بن العلاء ، قال : يا أبا عمر ، يخلف الله ما وعد ؟ قال : لا . قال : أفرأيت من أوعده الله على عمل عقابا ، أيخلف الله وعده فيه ؟ فقال أبو عمرو بن العلاء : من العجمة أوتيت يا أبا عثمان ، ان الوعد غير الوعيد ، ان العرب لا تعد عارا ولا خلفا أن تعد شرا ثم لا تفعله ، ترى ذلك فضلا وكرما ، وانما الخلف أن تعد خيرا ثم لا تفعله ، قال : فأوجد لى هذا فى العرب ، قال : نعم . أما سمعت قول الأول[2] : —

وانى وان أوعدته أو وعدته
لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

والذى ذكره أبو عمرو بن العلاء مذهب الكرام ، ومستحسن عند كل أحد خلف الوعيد.

كما قال السرى الموصلى : —

اذا وعد السراء أنجز وعده
وان وعد الضراء فالعفو مانعه

وأحسن يحيى بن معاذ فى هذا الفصل حيث قال : الوعد والوعيد حق ، فالوعد حق العباد على الله ، ضمن لهم اذا فعلوا كذا أن يعطيهم كذا ، ومن أولى بالوفاء من الله ؟! والوعيد حقه على العباد ، قال : لا تفعلوا كذا فأعذبكم ، ففعلوا ، فان شاء عفا وان شاء أخذ ، لأنه حقه ، وأولاهما بربنا العفو والكرم . انه غفور رحيم)[3] .

من خلال هذا النص الحافل والمستفيض: نتبين مدى احاطة الواحدى بأبعاد القضية

---

(١) اخرجه الحافظ المناوى فى (كنوز الحقائق فى حديث خير الخلائق ١٢٢/٢) عن الديلمى فى مسند الفردوس ، وانظر تفسير القرطبى ٣٣٥/٥ ، وتفسير الألوسى ١١٦/٥

(٢) هو الشاعر عامر بن الطفيل كما ذكره ابن منظور فى لسان العرب ٤٧٩/٤

(٣) الواحدى : الوسيط : ١٥٧ — ١٥٩ مخطوطة أحمد الثالث .

وعمقه فى تناولها ، واستيعابه للأدلة ، فالواحدى فى هذا النص يجسد الطابع الأثرى فى منهجه حيث اعتمد على الحديث الشريف فى توجيهه للآراء واحتجاجه لمذهبه • وقد استهل بأدلة المعتزلة أولا حيث أبرز ما ورد فى ايعاد قاتل المؤمن عمدا من أخبار شداد ، ثم أبرز ثانيا مذهب أهل السنة الذى ينتمى اليه وبين مستنده من النص القرآنى على لسان أحد أئمة السلف ــ ابن‌سيرين ــ ثم أثبت‌الواحدى مناظرة قريش بن أبى أنس مع أحد رءوس المعتزلة ــ عمرو بن عبيد ــ والتى أفحم فيها القدرى ورجحت كفة السنى • ثم أخذ الواحدى فى توجيه ما ورد عن السلف .مما يوهم تصحيح مذهب المعتزلة وقد أيد الواحدى توجيهه بكلام السلف أنفسهم بما يفسر موقفهم ، واستشهد لما قال ببعض الشواهد التطبيقية العملية • ثم أخذ فى تأويل النص القرآنى وتخريج معناه على الأصل السنى المجيز لخلف الوعيد ، وأيد تأويله بالحديث الشريف •

ثم استند الواحدى فى منهجه الكلامى ــ بالاضافة الى النص القرآنى والحديث الشريف ــ الى اللغة ، وأثبت مناظرة عمرو بن‌عبيد مع أبى عمرو بن‌العلاء الذى حكم‌له رسوخه فى‌اللغة على خصمه المعتزلى حيث قال فى حواره معه (من العجمة أوتيت يا أبا عثمان) وقد جسدت هذه العبارة مااللغة من دور عميق الأثر فى استنباط أصول العقيدة من الكتاب والسنة •

ثم ختم الواحدى مبحثه الشيق بما أورده عن أحد أئمة السلف وهو الصوفى الواعظ الزاهد يحيى بن معاذ رضى الله عنه حيث نطق بالحكمة فى روعة منطق وحسن بيان تشع منه سواطع أنوار الحجة والبرهان •

ومن ثم نجد فى موقف الواحدى سمات المنهج السلفى النص الذى يحفل بالأثر ويوليه أولوية فى الاستناد والتوجيه والاحتجاج • كما نلمس عنصر اللغة جليا فى مواقفه الكلامية، ثم نجد من أبرز سمات المنهج الجدلى فى تقرير مذهبه : اثباته للمناظرات والمحاورات الكلامية التى جرت بين أصحابه من أهل السنة وبين مناظريهم من المعتزلة ، والتى يتقرر فى ضوئها ترجيح مذهبه بالحجة والدليل • وقد استطاع الواحدى بهذه المقومات أن يرسخ أصول مذهبه السنى الأشعرى فى تفاسيره وأن يزلزل أركان الاعتزال ويدحض مزاعم القدرية فى تأويل نصوص القرآن الكريم وفق آرائهم ومعتقداتهم ، فظهر تمكنه ورسوخه فى استنباط وجوه الأدلة التى تقذف بتلك التأويلات المتعسفة بعيدا عن حرم التنزيل • وتطهر ساحته من غلو البدع وشطط التأويل •

وبهذا الجانب الكلامى أضاف الواحدى فى تفسيره اسهاما علميا موفور العطاء ، أبرز فيه التزامه بمذهب أهل السنة والجماعة وأثبت فيه شخصيته العلمية المتميزة ومعالجته المنهجية الدقيقة •

الفصل الحادي عشر

آراء الواحدى فى علوم القرآن

أكدت لنا الرؤية العلمية التى استشرفنا بها آفاق المنهج التفسيرى للواحدى أنه قد خاض مجال التفسير متأهلا بأسبابه ، متقلدا مفاتيح أبوابه ، مستجمعا لما يجب توافره فى المفسر من مقومات علمية تمكنه من الكشف عن أسرار التنزيل ووجوه التأويل . وقد تكشفت لنا جوانب من تلك المقومات من خلال التعرف على المعالم التفصيلية للمنهج ، ممثلة فى بعض علوم التنزيل التى تدخل فى بناء التفسير وترتبط به ارتباطا عضويا كالقراءات واللغة والنحو والبيان والأحكام وغيرها .

وهناك علوم أخرى يتعذر استقصاؤها[1] منوطة بكتاب الله المبين ، وهى زاخرة كالبخار حافلة بالجواهر والدرر ، لا تتناهى عجائبها ، ولا تنقضى غرائبها ، ولكن لا يقف عليها الا الراسخون فى العلم وقليل ما هم !! ومن تلك العلوم ما هو سهل المأخذ ، قريب المتناول ، ينهل منه أولوا العزم من العلماء على قدر عزائمهم ، ويرتوى منه طلاب العلم حسب طاقتهم . والأمر كما قال الواحدى : (وكل ينفق مما رزقه الله ، ويعمل على مقدار ما وفقه الله ، ومتى يبلغ ضعف سعينا وقاصر جهدنا نهاية مالا يتناهى وهذا سهل بن عبد الله[2] يقول :

لو أعطى العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودع الله فى آية من كتابه ، لأنه كلام الله ، وكلامه صفته ، وكما أن ليس لله نهاية ،فكذلك لا نهاية لفهم كلامه ، وانما يفهم كل بمقدار ما يفتح الله على قلبه ، وكلام الله غير مخلوق ، ولا يبلغ الى نهاية فهمه فهوم محدثة مخلوقة)[3] .

ولقد وقف الواحدى على كثير من أنواع علوم القرآن الكريم ، وصنف فيها مصنفات كثيرة ومجموعات تشتمل على الكثير منها ، ولكن لم يكتب لنا ادراكها كشأن الكثير من نفائس تراثنا ، فلم يبق لنا منها الا حديث الواحدى عنها ، يقول فى مقدمة كتابه (أسباب النزول) :

(... وبعد هذا : فان علوم القرآن غزيرة ، وضروبها جمة كثيرة ، يقصر عنها

---

(١) نقل الزركشى عن ابى بكر بن العربى انه ذكر فى كتابه (قانون التأويل) أن علوم القرآن خمسون علما واربعمائة وسبعة آلاف علم وسبعون الف علم ، على عدد كلم القرآن مضروبة فى اربعة، قال بعض السلف : اذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع ، وهذا مطلق دون اعتبار تراكيبه وما بينها من روابط ، وهذا مالا يحصى ولا يعلمه الا الله عز وجل . (البرهان : ١٦/١ — ١٧) .

(٢) هو الامام الصوفى العارف سهل بن عبد الله التسترى (٢٠٣ — ٢٨٣ هـ) كان كما ذكر ابن العماد من أكبر مشايخ القوم ، له تصانيف عديدة منها (تفسير القرآن العظيم) وهو تفسير صوفى : انظر فى ترجمته : شذرات الذهب ١٨٢/٢

(٣) الواحدى : البسيط ٩/١ .

القول وان كان بالغا ، ويتقلص عنها ذيله وان كان سابغا .

وقد سبقتلى ـ ولله الحمد ـ مجموعات تشتمل على أكثرها ، وتنطوى على غررها ، وفيها لمن رام الوقوف عليها مقنع وبلاغ ، وعما عداها من جميع المصنفات غنية وفراغ ، لاشتمالها على عظمها متحققا ، وتأديته الى متأمله متسقا ، غير أن الرغبات اليوم عن علوم القرآن صادفة كاذبة فيها ، قد عجزت قوى الملام عن تلافيها ، فآل الأمر بنا الى افادة المبتدئين بعلوم الكتاب ، ابانة ما أنزل فيه من الأسباب ...)[1] .

وقد شاءت ارادة الله سبحانه أن لايبقى لنا من مصنفات الواحدى فى علوم القرآن الا كتاب : (أسباب نزول القرآن) الذى صنفه ـ كما قال ـ لافادة المبتدئين ، ثم حظى هذا الكتاب بالصدارة والشهرة والتقديم على مصنفات هذا الفن ، وقد ضمنه ـ فى مقدمته ـ بعض الآراء والمسائل فى علوم التنزيل كبيان أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن وما يتعلق بذلك من مسائل . بينما تضمنت تفاسيره ـ خاصة (البسيط) و (الوسيط) أطرافا من بعض علوم القرآن ومسائل متفرقة دخلت فى اطار التفسير واندرجت فى مباحثه اندراج الجزء فى الكل ، كذلك أثرت عن الواحدى بعض الآراء المتعلقة بالمباحث القرآنية والقضايا التفسيرية ، رددها العلماء فى مصنفاتهم وأثار بعضها جدلا كبيرا ونقاشا واسعا . ونظرا لارتباط هذه الآراء المنتشرة ههنا وهناك بجوهر التفسير وارتباطها بالمنهج الذى خاض به الواحدى ميدان التأويل رأيت أن أعرض لأبرز

(١) الواحدى : اسباب النزول بتحقيق السيد صقر/٤ .

ما وقفت عليه منها وأسلط عليه ضوء البحث للافادة منها فى تقويم منهج الواحدى ، والتعرف على مزيد من الجوانب التى حفلت بها شخصيته العلمية :

أولا : فى علم أسباب النزول :

خلف الواحدى فى هذا الميدان أثرا عظيما وجهدا كبيرا احتفى به العلماء وقدروه حق قدره ، فلا يكاد يذكر اسم هذا العلم الا ويتسابق الى الذهن مصنف الواحدى الذى يعد أعظم ما صنف فيه ـ فيما انتهى اليه علمنا ـ وقد نوه بمكانة ذلك المصنف ، الزركشى فى (البرهان) حيث قال فى النوع الأول ـ معرفة أسباب النزول ـ :

(وقد اعتنى بذلك المفسرون فى كتبهم ، وأفردوا فيه تصانيف ، منهم على بن المدينى[2] شيخ البخارى ، ومن أشهرها تصنيف الواحدى فى ذلك)[3] .

كما ذكره صاحب (كشف الظنون) فى قائمة مصنفات هذا العلم وقال فيه (وهو أشهر ما صنف فيه)[4] وقد تضمن هذا المصنف بعض الآراء الهامة التى تناقلها العلماء عن الواحدى . فمن بين تلك الاراء :

١ ـ أن معرفة تفسير الآية متوقفة على معرفة قصتها وسبب نزولها ، يقول الواحدى فى مقدمة (أسباب النزول) : (.. قال

(٣) هو الامام ابو الحسن على بن عبدالله ابن جعفر السعدى (ت : ٢٣٤ هـ) ترجمه الذهبى فى التذكرة ١٥/٢ .
(٣) الزركشى : البرهان ٢٢/١
(٤) حاجى خليفة : كشف الظنون ٧٦/١

الأمر بنا الى افادة المبتدئين بعلوم الكتاب ، ابانة ما أنزل فيه من الأسباب ، اذ هى أوفى ما يجب الوقوف عليها ، وأولى ما تصرف العناية اليها ، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها ، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها)[1] وقد أخذ العلماء عبارة الواحدى واختصروها فى جملة ذاع صيتها فى بابها وأخذت صورة القاعدة العلمية ، فنجد الامام السيوطى يعرض لفوائد علم أسباب النزول فى (الاتقان) فيقول :

(ومنها : الوقوف على المعنى وازالة الاشكال ، قال الواحدى : لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها)[2] وعلى منوال (الاتقان) نسج صاحب (مناهل العرفان) فقال : — (الفائدة الثانية : الاستعانة على فهم الآية ودفع الاشكال عنها ، حتى لقد قال الواحدى : — (لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها)[3] .

ولقد أصاب الواحدى ومن تبعه فى هذا الرأى حقا ، فسبب النزول يلقى أضواء كاشفة على مضمون الآية ويجسد الملابسات المتعلقة بنزولها مما يعين على فهمها وتمثل الجو الذى نزلت فيه على أن ثمة آيات يستشكل فهمها تماما ولا يتسنى الوقوف على تفسيرها دون معرفة سبب نزولها ، من ذلك مثلا : قوله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ...)[4] ، فان ظاهر هذه الآية الكريمة لا يقتضى فرضية السعى بين الصفا والمروة ، وقد ذهب البعض الى عدم فرضيته تمسكا بها ، ولولا التعرف على سبب نزولها لما تبين وجه الحقيقة فى تفسيرها . وسبب نزولها هو ما رواه الواحدى — بسنده عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت :

أنزلت هذه الآية فى الأنصار ، كانوا يحجون لمناة ، وكانت مناة حذو قديد ، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة ، فلما جاء الاسلام سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فأنزل الله تعالى هذه الآية[5] .

فالآية اذا : نزلت لرفع الحرج عمن تحرج من السعى بين الصفا والمروة ، وقد وجب السعى بالسنة كما مر فى موضعه .

ومن ذلك أيضا : قوله تعالى (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم[6]) : لقد أشكل فهم هذه الآية على مروان بن الحكم ولم يعرف تفسيرها الا بسبب النزول ، يروى الواحدى بسنده الى مروان أنه قال لرافع — بوابه — : اذهب الى ابن عباس وقل له : لئن كان كل امرىء منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل عذب : لنعذبن أجمعين ، فقال ابن عباس : ما لكم ولهذا انما دعا النبى صلى الله عليه

---

(١) الواحدى :أسباب نزول القرآن بتحقيق السيد صقر/٤ — ٥
(٢) الامام السيوطى : الاتقان ٨٢/١
(٣) الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى : مناهل العرفان ١٠٢/١

(٤) سورة البقرة/١٥٨
(٥) الواحدى : أسباب نزول القرآن : بتحقيق السيد صقر ص ٤١ ، وانظر صحيح البخارى ٢٨/٦ ط الشعب .
(٦) سورة آل عمران /١٨٨

وسلم اليهود فسألهم عن شيء فكتموه اياه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا اليه بما أخبروه فيما سألهم ، وفرحوا بما أوتوا كتمانهم اياه ثم قرأ ابن عباس : (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس[1]) وهكذا يتضح اسهام سبب النزول فى كشف اللبس عن معنى الآية ، وأهميته فى التفسير .

٢ ــ ومن الآراء التى أدلى بها الواحدى فى محيط علم أسباب النزول أيضا : انه لايجوز القول فى أسباب النزول بالاجتهاد والرأى ، فان هذا العلم مبنى على السماع والرواية ، يقول الواحدى : ــ

(ولا يحل القول فى أسباب نزول الكتاب الا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها وجدوا فى الطلاب)[2] .

ثم مضى الواحدى يدلل على أن مبنى هذا العلم هو السماع والرواية ويتوعد من خاض فيه بالرأى ، وقد استند الواحدى فى التدليل على رأيه هذا بالحديث الشريف ، وبموقف السلف الصالح الذين تحرزوا ولوج هذا الميدان بالرأى ، فيقول :

(وقد ورد الشرع بالوعيد للجاهل ذى العثار ، فى هذا العلم بالنار ، أخبرنا أبو ابراهيم اسماعيل بن ابراهيم الواعظ ، أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن حامد العطار ، حدثنا أحمد ابن الحسن بن عبد الجبار ، حدثنا ليث بن حماد ، حدثنا أبو عوانة ، عن عبد الاعلى عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتقوا الحديث (عنى) الا ما علمتم ، فانه من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ، ومن كذب على القرآن من غير علم فليتبوأ مقعده من النار[3] .

والسلف الماضون ، رحمهم الله ، كانوا فى أبعد الغاية احترازا عن القول فى نزول الآية، أخبرنا أبو نصر أحمد بن عبد الله المخلدى ، أخبرنا أبو عمرو بن نجيد ، أخبرنا أبو مسلم ، حدثنا عبد الرحمن بن حماد ، حدثنا ابن عون ، عن محمد بن سيرين قال : ــ سألت عبيدة[4] عن آية من القرآن فقال : اتق الله وقل سدادا ، ذهب الذين يعلمون فيما أنزل القرآن ! .

وأما اليوم : فكل أحد يخترع شيئا ، ويختلق افكا وكذبا ، ملقيا زمامه الى الجهالة ، غير مفكر فى الوعيد للجاهل بسبب نزول الآية . وذلك الذى حدا بى الى املاء هذا الكتاب الجامع للأسباب ، لينتهى اليه طالبو هذا الشأن ، والمتكلمون فى نزول هذا القرآن ، فيعرفوا الصدق ، ويستغنوا عن التمويه والكذب ، ويجدوا فى تحفظه بعد السماع والطلب) ولقد أصبح هذا الرأى الذى ذهب اليه الواحدى ، المدعم بالحجة والدليل ، حجة متداولة لدى اثبات المفسرين وعلماء التنزيل ، فنجد الامام السيوطى يثبت عبارة الواحدى برمتها وبعض أدلته على صحتها فى الاتقان ، فيقول : (المسألة الرابعة :قال الواحدى لايحل

---

(١) سورة آل عمران /١٨٧

(٢) الواحدى : أسباب نزول القرآن/١٣٢، صحيح البخارى ٥١/٦ ط : الشعب .

(٣) أخرجه الترمذى فى جامعه (السنن) : كتاب التفسير ١٩٩/٥ وقال فيه : هذا حديث حسن . والزيادة : (عنى) منه .

(٤) هو عبيدة السلمانى المرادى الكوفى (ت : ٧٢ هـ) . اسلم فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتفقه على سيدينا على وابن مسعود رضى الله عنهما . انظر ترجمته فى شذرات الذهب : ٧٨/١

القول فى أسباب نزول الكتاب الا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الاسباب .. وقد قال محمد بن سيرين : سألت عبيدة عن آية من القرآن فقال : اتق الله وقل سدادا ، ذهب الذين يعلمون فيم أنزل الله القرآن)[1] .

كذلك نقل صاحب (مناهل العرفان) عبارة الواحدى بتصرف واحتج بالحديث الشريف الذى رواه الواحدى بسنده فى الوعيد لمن كذب على النبى صلى الله عليه وسلم أو على القرآن الكريم[2] .

ثانيا : فى بيان أول ما نزل من القرآن الكريم[3]

اختلف العلماء فى تعيين أول ما نزل من القرآن الكريم على أقوال ، وكلها تستند الى أدلة من الحديث الشريف ، وقد عقد الواحدى مبحثا فى (أسباب النزول) لمعالجة هذا الموضوع معتمدا على النقل الموثق من جهة ، وعلى اجتهاده فى فهم النصوص وازالة موهم التناقض بينهما من جهة أخرى توصلا للقول الصواب . وقد بدأ الواحدى هذا المبحث براوية الحديث الشريف الذى أورده بسنده المتصل — عن السيدة عائشة رضى الله عنها ، قالت :

(أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى : الرؤيا الصادقة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب اليه الخلاء ، فكان يأتى حراء فيتحنث فيه — وهو التعبد — الليالى ذوات العدد ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى فجأه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال اقرأ : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقلت (له) ما أنا بقارىء قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد . ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطنى الثانية ، حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، فقلت ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ، فقال : (اقرأ باسم ربك الذى خلق) حتى بلغ (ما لم يعلم) فرجع بها ترجف بوادره ، حتى دخل على خديجة رضى الله عنها ، فقال : زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال: يا خديجة ! مالى ؟ فأخبرها الخبر وقال : قد خشيت على . فقالت له : كلا ، ابشر ، فوالله لا يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق) . رواه البخارى عن يحيى ابن بكير[4] ، رواه مسلم عن محمد بن رافع[5]، كلاهما عن عبد الرزاق أ هـ[6] .

ثم ساق الواحدى — بسنده — عن السيدة عائشة رضى الله عنها أيضا أنها قالت:— (ان أول ما نزل من القرآن : (اقرأ باسم ربك الذى خلق) رواه الحاكم فى صحيحه[7] . أ هـ[8]

---

(١) الامام السيوطى : الاتقان بتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ٨٩/١

(٢) الزرقانى : مناهل العرفان ١٠٧/١

(٣) افرد الزركشى مبحثا ضم فيه معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم . انظر البرهان : النوع العاشر ٢٠٦/١، وافردالسيوطى معرفة أول ما نزل بمبحث مستقل انظر الاتقان : النوع السابع ٦٨/١ ، ثم افرد معرفة آخر مانزل بالبحث فى النوع الثامن فى الاتقان ٧٧/١

(٤) صحيح البخارى ٣/١

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى ٢٠٤/٢

(٦) الواحدى : أسباب نزول القرآن بتحقيق السيد صقر ص ٧

(٧) المستدرك ٢٢٠/٢

(٨) الواحدى : أسباب نزول القرآن ٨/

ثم اتبع ذلك برواية — متصلة الاسناد — عن عكرمة والحسن أنهما قالا : أول ما نزل من القرآن (بسم الله الرحمن الرحيم) ثم قال : فهو أول ما نزل من القرآن بمكة وأول سورة (اقرأ باسم ربك) • أهـ[1] •

ومن ثم جمع الواحدى فى هذا القول بين رأيين مستقلين أحدهما : أن أولية النزول لصدر سورة (العلق) ، والآخر : أن البسملة هى أول ما نزل •

ثم عرض الواحدى لمستند فريق آخر قال بأن سورة (المدثر) هى أول ما نزل ، فروى بسنده المتصل الى يحيى بن كثير أنه قال : —

سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن : أى القرآن أنزل قبل ؟ قال (يا أيها المدثر) ، قلت: أو (اقرأ باسم ربك) ؟ قال : سألت جابر بن عبد الله الانصارى : أى القرآن أنزل قبل ؟ قال : (يا أيها المدثر) ، قال : قلت : أو (اقرأ باسم ربك) ، قال جابر : أحدثكم ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انى جاورت بحراء شهرا ، فلما قضيت جوارى نزلت ، فاستبطنت بطن الوادى ، فنوديت ، فنظرت أمامى وخلفى، وعن يمينى وعن شمالى ، ثم نظرت الى السماء فاذا هو على العرش فى الهواء — يعنى جبريل — فأخذتنى رجفة ، فأتيت خديجة فأمرتهم فدثرونى ثم صبوا على الماء ، فأنزل الله عز وجل على (يا أيها المدثر قم فأنذر) رواه مسلم عن زهير بن حرب عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعى[2] • أهـ[3] •

وازاء ما ورد فى الحديثين المرويين فى الصحيحين مما يوهم التعارض بينهما فى بيان أول ما نزل فى التنزيل : اعمل الواحدى رأيه واجتهاده فى رفع التعارض بين الحديثين الشريفين ، وبيان أول ما نزل — بعد ازالة اللبس — مرجحا بالدليل،فقال معقبا على حديث جابر الذى رواه الامام مسلم فى صحيحه : —

(وهذا : ليس بمخالف لما ذكرناه أولا ، وذلك أن جابر استمع من النبى صلى الله عليه وسلم هذه القصة الأخيرة ، ولم يسمع أولها فتوهم أن سورة المدثر أول ما نزل ، وليس كذلك ، ولكنها أول ما نزل عليه بعد سورة (اقرأ) •

والذى يدل على هذا : ما أخبرنا أبو عبد الرحمن بن أبى حامد ، أخبرنا محمد ابن عبد الله بن محمد بن زكريا ، أخبرنا محمد ابن عبدالرحمن الدغولى،حدثنا محمدبنيحيى، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر عن الزهرى ، قال : أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن ، عن جابر قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحى ، فقال فى حديثه : فبينا أنا أمشى• سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض ، فجئثت منه رعبا ، فرجعت ، فقلت : زملونى زملونى ، فدثرونى

---

(١) المصدر السابق ، وانظر هذا النص مرويا عن الواحدى فى الاتقان للامام السيوطى ٧١/١

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٢٠٧/٢

(٣) الواحدى : أسباب نزول القرآن ص ٩

فأنزل الله تعالى (يا أيها المدثر) • رواه البخارى عن عبد الله بن محمد[1] ، ورواه مسلم عن محمد بن رافع[2] ، كلاهما عن عبد الرزاق•

فبان بهذا الحديث : ان الوحى كان قد فتر بعد نزول (اقرأ باسم ربك) ثم نزل : (يا أيها المدثر) ، والذى يوضح ما قلنا : اخبار النبى صلى الله عليه وسلم : أن الملك الذى جاء بحراء جالس ، فدل على أن هذه القصة انما كانت بعد نزول (اقرأ[3]) •

ثالثا : آراؤه فى (النسخ)

أولى العلماء لهذا العلم عناية فائقة ، حتى قال صاحبا (البرهان) و (الاتقان) : (قال الائمة : لا يجوز لاحد أن يفسر كتاب الله الا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ ، وقد قال على لقاص : أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال : لا ، قال : هلكت وأهلكت[4]) وقد نال مبحث (النسخ) من الواحدى اهتماما جما فى تفسيره ، فعرض للعديد من مسائله وأبدى فيها آراء ومعالجات لها وزنها ، وقد نقل بعضها عنه الاثبات ، مسندة اليه ، وهذه بعض الجوانب التى طرقها الواحدى بالبحث وأثبت فيها رأيه :

١ ــ حول تعريف النسخ :

عرض الواحدى لمعانى النسخ فى اللغة والاصطلاح عند تفسير قوله تعالى (ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها[5]) فقال فى (البسيط) : ــ

قال الزجاج : النسخ فى اللغة : ابطال شىء واقامة آخر مقامه ، والعرب تقول : نسخت الشمس الظل ، والمعنى : اذهبت الظل وحلت محله ••

وقال غيره : تناسخ الأزمنة والقرن بعد القرن هو : مضى الاول ومجىء الثانى بعده يخلفه فى محله (قال[6]) ثعلب عن ابن الاعرابى : النسخ : تبديل الشىء من الشىء وهو (غيره[7]) وروى أبو تراب عن الفراء وأبى سعيد : مسخه الله قردا • ونسخه قردا بمعنى واحد •

وقال العلماء من أهل اللغة والتفسير : النسخ له معنيان : ــ

أحدهما : تحويل الكتاب من حيث هو الى نسخة أخرى ، يقال : نسخت الكتاب ، أى كتبت منه نسخة أخرى ، ثم يقال : نسخت منه نسخة وان لم تحوله من مكتوب الى غيره ؛ كأنك كتبته عن حفظك • ومن هذا قوله عز وجل (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعلمون[8]) ، يجوز أن يكون معناه : ننسخ ، كقوله : (واذا رأوا آية يستسخرون[9]) أى يسخرون ويجوز أن يكون معناه : نستدعى ذلك ، وهو أمر الملائكة بكتابته ، وعلى الوجهين جميعا :

---

(١) صحيح البخارى ٣/١

(٢) صحيح مسلم ــ بشرح النووى ــ ٢٠٦/٢

(٣) الواحدى : اسباب نزول القرآن بتحقيق السيد صقر ص ١٠

(٤) انظر البرهان للزركشى ٢٩/٢ ، والاتقان للسيوطى ٥٩/٣

(٥) سورة البقرة/١٠٦

(٦) ساقطة فى النسخ .

(٧) فى المخطوطة (وهو هو) والتصحيح من النص الذى اثبته ابن منظور عن ابن الاعرابى فى لسان العرب ٢٨/٤

(٨) سورة الجاثية /٢٩

(٩) سورة الصافات/١٤

هو كتابة ، لا من نسخه[1] . فعلى هذا المعنى: القرآن كله منسوخ ، لانه نسخ للنبى صلى الله عليه وسلم من أم الكتاب ، فأنزل عليه .

والثانى : هو رفع الحكم وابطاله .

ثم يجوز النسخ الى بدل والى غير بدل ، فالذى الى بدل : قولهم : نسخت الشمس الظل ، فالظل يزول ويبطل والشمس تكون بدلا عنه ، والذى الى غير بدل : قولهم : نسخت الريح الآثار ، أى أبطلتها وأزالتها . وهذا[2] المعنى هو المراد بالاية[3] .

ثم نجد الواحدى بعد أن عرض لمعانى النسخ عند اللغويين والمفسرين ، يرد ما ذهب اليه البعض من السلف أو ممن أنكروا وقوع النسخ بمعناه الاصطلاحى ، وحملوا النسخ فى الآية الكريمة على المعنى الاول الذى ذكره الواحدى ، فقال :

وكثير من المفسرين[4] حمل النسخ المذكور فى الآية على معنى نسخ الكتاب من الكتاب ، فقد حكى عن عدة منهم أنهم قالوا : يريد بالنسخ ، ما نسخه الله لمحمد صلى الله عليه وسلم من اللوح المحفوظ ، فأنزله عليه .

وهذا ظاهر الاحالة ، لانه ليس كل آية نسخت للنبى صلى الله عليه وسلم من اللوح المحفوظ فأنزلت عليه ، يؤتيه الله ويأتيه بخير منها ، ولو كان كذلك ، لتسلسل الوحى حتى لا يتناهى[5] .

٢ ــ فى تقسيم النسخ :

تناول الواحدى فى تفسيره تقسيم النسخ وبيان ضروبه ــ بعد أن عرض لمعانيه وموقفه منها ــ فقال فى البسيط : ــ

ثم النسخ فى القرآن على ضروب :ــ

منها : ما يكون حكمه مرفوعا وخطه مثبت يتلى ويقرأ ولا يعمل به ، وهذا هو المعروف من النسخ ، أن تكون الآية الناسخة والمنسوخة جميعا ثابتتين فى التلاوة ، وفى خط المصحف الا أن المنسوخة منهما غير معمول بها ، فينسخ ثابت التلاوة بثابت التلاوة .

وذلك مثل عدة المتوفى عنها زوجها ،كانت سنة ، لقوله : (.. متاعا الى الحول[6]) ثم نسخت بأربعة أشهر وعشرا ، لقوله (.. يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا[7]) ومثل هذا أيضا : قوله (ان يكن منكم عشرون صابرون[8] ..) الآية ، ثم نسخت بقوله : (الآن خفف الله عنكم[9]) الآية .

---

(١) هكذا وردت العبارة بالمخطوطة ، ولعل مراده منها : ان اطلاق النسخ ــ بمعنى التحويل ــ على كتابة الاعمال ليس من قبيل الحقيقة ، لأن حقيقة التحويل أو النقل تستلزم نقل عين المكتوب من موضوع لاخر فلا يبقى فى المتحول عنه أو المنقول منه ، ونسخ الكتاب ليس بهذه الصفة ،فاستعمال النسخ فى كتابة الاعمال مجاز . انظر اراء الاصوليين فى حقيقة النسخ ومجازه ، فى : النسخ فى القرآن الكريم للدكتور مصطفى زيد ٦٠/١ ــ ٦٧ (الفقرات : ٧٣ ــ ٨٥) .

(٢) المشار اليه هو المعنى الثانى للنسخ وهو رفع الحكم وابطاله . انظر تاثر ابن عطية بهذا فى تفسيره ٣٧٧/١

(٣) الواحدى : البسيط ٢٧٥/١ ــ ٢٧٦

(٤) من مفسرى السلف الذين يعنيهم الواحدى : عطاء وسعيد بن المسيب ، وممن انكروا وقوع النسخ فى القرآن الكريم وحملوه فى الآية الكريمة على نقله من اللوح المحفوظ : ابو مسلم الاصبهانى . انظر تفسير الفخر الرازى ٤٣٥/١، ٤٣٦ ط : الحسينية .

(٥) الواحدى : البسيط ٢٧٩/١

(٦) سورة البقرة/ ٢٤٠.

(٧) سورة البقرة/٢٣٤

(٨) سورة الانفال /٦٥

(٩) سورة الانفال/٦٦

ومنها : ان يرفع تلاوتها وحكمها ، كنحو ما يروى عن أبى بكر رضى الله عنه أنه قال : (لا ترغبوا عن آبائكم انه كفر[1]) .

ومنها : ان ينسخ ما ليس بثابت التلاوة بما ليس بثابت التلاوة ، مثل : ما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : كنا نقرأ (عشر رضعات معلومات يحرمن) . فنسخن بخمس وقد ينسخ أيضا : ما ليس بثابت التلاوة بما هو ثابت التلاوة. والمراد بمنسوخ فى الحكم مثل نسخ تحليل الخمر وكتحريم الزنا . وهذا كثير[2] .

ويجوز أيضا : نسخ ما هو ثابت التلاوة بما هو ليس بثابت التلاوة ، وهو كنسخ الجلد للمحصنين بالرجم ، والرجم غير متلو الآن ، وان كان يتلى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فالحكم يثبت والقراءة لا تثبت كما يجوز أن تثبت التلاوة فى بعض ولا يثبت الحكم ، واذا جاز أن يكون قرآن يعمل به ولا يتلى ، وذلك ان الله عز وجل اعلم بمصالحنا ، وقد يجوز أن يعلم من مصلحتنا تعلق العمل بهذا الوجه[3] لقد قدم الواحدى فى هذا النص اشمل تقسيم للنسخ من هذا الوجه ضم شتى ضروبه ، المتفق عليها والمختلف فى عددها من النسخ كما بينت فى التعليقات .

ولقد استلفت الواحدى علماء القرآن بهذا التقسيم فأثبته عنه المحققون ، فنجد الزركشى ينقل عن الواحدى هذا التقسيم للنسخ ـــ بتصرف ـــ فى البرهان ، فيقول :

(وقسمه الواحدى الى نسخ ما ليس بثابت التلاوة كعشر رضعات ، والى نسخ ما هو ثابت التلاوة بما ليس بثابت التلاوة ، كنسخ الجلد فى حق المحصنين بالرجم ، والرجم غير متلو الآن ، وانه كان يتلى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالحكم ثبت والقراءة لا تثبت ، كما يجوز أن تثبت التلاوة فى بعض ولا يثبت الحكم واذا جاز أن يكون قرآن ولا يعمل به جاز أن يكون قرآن يعمل به ولا يتلى ، وذلك أن الله عز وجل أعلم بمصالحنا ، وقد يجوز أن يعلم من مصلحتنا تعلق العمل بهذا الوجه[4]) وهكذا امتد أثر الواحدى فى هذا الميدان .

رابعا : فى اعجاز القرآن الكريم :

عنى جمهرة العلماء والمفسرين بتناول قضية « الاعجاز القرآنى » فى تصانيفهم وتفاسيرهم ، من زوايا عديدة ، ومقاييس

---

(١) نقل الزركشى فى البرهان (٣٩/٢) عن الواحدى هذا المثال ضمن منسوخ الحكم والتلاوة فقال (وجعل الواحدى من هذا ما روى عن أبى بكر رضى الله عنه قال:كنا نقرأ : «لاترغبوا عن آبائكم فانه كفر » وفيه نظر) .
وذكر الامام السيوطى هذا المثال مرويا عن سيدنا عمر ضمن ما نسخ تلاوته وذكر ضمن حكمه فقال (وقال أبو عبيد : حدثنا حجاج عن سعيد عن الحكم بن عتيبة ، عن عدى بن عدى قال : قال عمر : كنا نقرأ : (لا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر بكم) ثم قال لزيد بن ثابت : اكذلك ؟ قال : نعم) أ هـ انظر الاتقان : ٧٤/٣

(٢) ذكر السيوطى هذا النوع ضمن ما نسخ حكمه دون تلاوته فقال : (وقسم رفع ما كان عليه الامر فى الجاهلية أو فى شرائع من قبلنا أو فى اول الاسلام ولم ينزل فى القرآن كابطال نكاح نساء الاباء ومشروعية القصاص والدية ، وحصر الطلاق فى الثلاث . وهذا ادخاله فى قسم الناسخ قريب ولكن عدم ادخاله أقرب ..) الاتقان ٦٤/٣

(٣) الواحدى : البسيط ٢٧٦/١
(٤) الزركشى : البرهان ٤١/٢

متميزة ، تلوح فيها جميعا ظاهرة الانبهار بهذا الكتاب الالهى المعجز •

وقد وجد الواحدى نفسه فى الميدان يحمل وجهة نظره كمتكلم أشعرى له منطلقه العقيدى ، وكمفسر للتنزيل له رؤيته الخاصة وتذوقه الذاتى لأسرار القرآن •

وقد كان التفسير مجالا رحبا لتبين وجهة الواحدى فى هذا الصدد ، حيث أفصح عن رأيه ورؤيته • وقد وجدت الواحدى فى نظرته للاعجاز القرآنى مجسدا للاتجاه الأشعرى الذى سبقه فى هذا الميدان متفاعلا معه برؤيته الذاتية ، شأنه شأن كبار علماء الاشاعرة ممن شغفوا بخدمة كتاب الله الحكيم ، وتمرسوا ببيانه وفصاحته واعجازه••

فالامام الباقلانى — مثلا — حين تعرض لبيان وجوه الاعجاز القرآنى : استهل بذكر الاوجه التى ذهب اليها الاشاعرة — ووافقهم فيها غيرهم — فقال : (ذكر أصحابنا وغيرهم فى ذلك ثلاثة أوجه من الاعجاز :

أحدها : يتضمن الاخبار عن الغيوب ، وذلك مما لا يقدر عليه البشر ، ولا سبيل لهم اليه[1] ••) ومضى يدلل على هذا الوجه بما ورد فى التنزيل من أخبار بمغيبات وتحققت •

والوجه الثانى : أنه كان معلوما من حال النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان أميا لا يكتب • ولا يحسن أن يقرأ ، وكذلك كان معروفا من حاله : أنه لم يكن يعرف شيئا من كتب المتقدمين ، وأقاصيصهم ، وأنبائهم ، وسيرهم ، ثم أتى بجمل ما وقع وحدث من عظيمات الامور ومهمات السير ، من حين خلق الله آدم •• عليه السلام — الى حين بعثه)[2] ومضى يدلل على ذلك •

والوجه الثالث : أنه بديع النظم ، عجيب التأليف ، متناه فى البلاغة الى الحد الذى يعلم عجز الخلق عنه ، والذى أطلقه العلماء: هو على هذه الجملة ••)[3] •

وحين نتصفح بعض مواطن الحديث عن الاعجاز القرآنى فى تفسير الواحدى ، نجد هذه الأوجه الثلاثة ماثلة أمامنا ناطقة بالاعجاز وفيها النبض الأشعرى والروح الواحدية ، يقول الواحدى عند تفسير قوله تعالى (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ••)[4] : (•• والكناية فى « مثله » : تعود الى (ما) فى قوله (مما نزلنا) ، دليل هذا التأويل : قوله : (فليأتوا بحديث مثله)[5] ، وقوله تعالى : (فأتوا بسورة مثله ••)[6] وقوله : (لا يأتون بمثله •)[7] ، كل ذلك يريد به مثل القرآن •

ومعناه : فأتوا بسورة مثل ما أتى به محمد فى الاعجاز ، وحسن النظم ، والأخبار عما كان وما يكون على جهة الابتداء ، دون الاحتذاء ، وتعلم الكتب ، ودراسة الأخبار)[8] •

---

(١) الباقلانى : اعجاز القرآن بتحقيق السيد صقر/ص ٣٣
(٢) نفس المصدر/ص ٣٤

(٣) نفس المصدر ص ٣٥
(٤) سورة البقرة/٢٣
(٥) سورة الطور/٣٤
(٦) سورة يونس/٣٨
(٧) سورة الاسراء /٨٨
(٨) الواحدى : البسيط ٩٨/١

لقد استجمع الواحدى ـ فى هـذا النص الوجيز ـ الوجوه الثلاثة التى حكاها الباقلانى عن الأشاعرة وهى : حسن النظم ، والاخبار عن المغيبات الماضية وقصص الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وأخبار الأمم مذ بدء الخليقة الى حين مبعثه صلى الله عليه وسلم ، مع كونه أميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يتعرف تلك القصص والأحداث من بشر ثم أخبار التنزيل عن الغيوب المستقبلة التى لم يعرف عنها شىء حتى نزوله بها • لقد ترجم الواحدى عن مدلول هذه الوجوه حرفيا وفى غاية الوضوح •

ثم نجده يقول فى (البسيط) : ـ

« فان قيل على هذا : فهل للقرآن مثل حتى يقال : ايت مثله ؟

قيل : أما فى مقدور الله فنعم • وأما فى مقدور البشر فلا ، ولذا صح أنه معجزة •

والذى وقع به التحدى : هو هذا النظم المخصوص ، والقراءة المعهودة ـ وهى مخلوقة ـ وما كان منظوما مؤلفا فمن الواجب أن يكون له فى قدرة الله أمثال • ولو لم يكن له مثل مقدور لم يصح التحدى به ، ألا ترى أن التحدى لأن يأتوا بمثل القديم محال ، لأنه لا مثل له ، ويجوز أن تكون الكناية فى (مثله) تعود الى قوله (على عبدنا) وهو النبى صلى الله عليه وسلم ، ومعناه : فأتوا بسورة من رجل مثله أمى لا يحسن الخط والكتابة ، ولم يدرس الكتب)[1] •

فى هذا النص يذهب الواحدى الى أن الاعجاز وصف ذاتى للقرآن الكريم • وليس راجعا لأمر خارج عنه كالصرفة التى يقول بها المعتزلة ، فانها لا تثبت للقرآن الكريم اعجازا ذاتيا اذ لو كانت معارضة القرآن ممكنة ـ وانما منع منها الصرفة ـ لم يكن القرآن معجزا ، وانما يكون المنع هو المعجز ، فلا يتضمن الكلام حينئذ فضيلة على غيره فى نفسه[2] ••

من ثم نفى الواحدى أن يكون فى مقدور البشر أن يأتوا بمثله ، بينما تقتضى الصرفة أن يكون ذلك فى مقدورهم وانما منعوا عن ذلك بصرف الله تعالى اياهم لا غير !! ويعقب الواحدى على نفى كون مثله فى مقدور البشر بقوله (ولذا صح أنه معجز) كذلك صرح الواحدى ـ فى هذا النص ـ بأن القرآن الكريم قديم ، وأن قراءته حادثة ، كما صرح بأن الذى وقع به التحدى انما هو هذا النظم المخصوص، فوافق الباقلانى فى قوله عن وجه الاعجاز بالنظم : (والذى أطلقه العلماء هو على هذه الجملة) ، أى أن محور النظم هو مناط الاعجاز ، وانما أجمعت عليه الكثرة وقدموه : لأنه متحقق فى كل سورة متحدى بها ، وليس كذلك الاخبار بالمغيبات •

خامسا : موقف الواحدى من التفسير الصوفى : ـ

للواحدى من التفسير الصوفى موقف مشهور دوى صداه لدى جمهرة العلماء والمفسرين ، وبنيت على أساسه مواقف وآراء أصاب بعضها كبد الحقيقة ، وضل بعضها قصد السبيل • ولكى نبدأ عرض القضية ومناقشتها من منطلق على راسخ الأركان • يجدر بنا القاء

(١) الواحدى : البسيط ١/٩٩ ـ ١٠٠

(٢) انظر : اعجاز القرآن للباقلانى . بتحقيق السيد صقر/٣٠

الضوء على حقيقة التفسير الصوفى والتقويم العلمى له .

أما حقيقة التفسير الصوفى الاشارى فهى : تأويل آيات القرآن الكريم بمقتضى اشارات تنكشف لأرباب السلوك الصوفى، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة[1] .

ومن هذا التعريف يؤخذ : أن التفسير الصوفى الاشارى ليس عدولا بالنصوص القرآنية عن ظواهرها الى معان باطنية تتعارض مع الظواهر وتتنافى مع الشريعة ، فذلك مسلك الباطنية والصوفية منهم براء ، وكفى أن حجة الاسلام الغزالى رضى الله عنه ندد بمنهجهم ومبادئهم فى رسالة أسماها (فضائح الباطنية) . وشتان بين مشرق ومغرب ! .

وقد فرق المحققون من العلماء بين منهج الصوفية ومسلك الباطنية ، فقد نقل الامام السيوطى فى (الاتقان) عن الامام التفتازانى[2] أنه قال :

(سميت الملاحدة باطنية ، لا دعائم أن النصوص ليست على ظواهرها ، بل لها معان باطنية لا يعرفها الا المعلم . وقصدهم بذلك : نفى الشريعة بالكلية .

قال : وأما ما يذهب اليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ، ومع ذلك فيها اشارات خفية الى دقائق تنكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة : فهو من كمال الايمان ومحض العرفان)[3] .

ولقد زاد هذا المضمون ايضاحا بما نطق به أحد علماء الصوفية وهو الامام تاج الدين أحمد بن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه (ت : ٧٠٩ هـ) حيث قال :

(أعلم أن تفسير هذه الطائفة — أى الصوفية — لكلام الله وكلام رسوله (صلى الله عليه وسلم) بالمعانى العربية : ليس احالة للظاهر عن ظاهره ، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جليت الاية له ، ودلت عليه فى عرف اللسان ، وثم افهام باطنية تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه وقد جاء فى الحديث (لكل آية ظهر وبطن .)[4] ، فلا يصدنك عن تلقى هذه المعانى منهم : أن يقول لك ذو جدل ومعارضة : هذا احالة لكلام الله وكلام رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، فليس ذلك باحالة ، وانما يكون احالة لو قالوا : لا معنى للاية الا هذا .

وهم لم يقولوا ذلك ، بل يقرون الظواهر على ظواهرها ، مرادا بها موضوعاتها ، ويفهمون عن الله ما افهمهم)[5] .

---

(١) انظر روح المعانى للامام الالوسى ٧/١، مناهل العرفان للزرقانى ٥٤٦/١ . ويلاحظ تحرير التعريف من مخالفة التفسير الصوفى للتفسير بمقتضى الظاهر .

(٢) هو الامام سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى (٧١٢ — ٧٩١ هـ) عالم النحو والتصريف والمعانى والبيان والأصلين والمنطق وغيرها ، وانتهت اليه معرفة العلم بالمشرق . انظر ترجمته بشذرات الذهب ٣١٩/٦ .

(٣) السيوطى : الاتقان ٤/ ١٩٥ .

(٤) حديث (لكل آية ظهر وبطن ولكل حرف حد ، ولكل حد مطلع) أخرجه السيوطى عن الفريابى انظر الاتقان ١٩٥/٤ — ١٩٦ .

(٥) انظر أصل النص فى (لطائف المنن) للامام ابن عطاء الله ، بهامش (لطائف المنن والأخلاق) للامام الشعرانى رضى الله عنهما : ١٧٠/١ ط : الحلبى والنص هنا من الاتقان ١٩٧/٤ — ١٩٨ عنه بتصرف يسير .

والصوفية يستدلون على منهجهم الاشارى بما ورد فى التنزيل من قوله تعالى (••• لعلمه الذين يستنبطونه منهم •••)[١] وقوله تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ••)[٢] ونحو ذلك • ويقول احد فرسان هذا الميدان وهو الامام الالوسى رضى الله عنه : (فلا ينبغى لمن له أدنى مسكة من عقل بل أدنى ذرة من ايمان أن ينكر اشتمال القرآن على بواطن يفيضها المبدأ الفياض على بواطن من شاء من عباده ، وياليت شعرى : ماذا يصنع المنكر بقوله تعالى (وتفصيلا لكل شىء[٣]) وقوله تعالى (مافرطنا فى الكتاب من شىء ••[٤])[٥] كذلك يقول الامام الغزالى — رضى الله عنه — فى اثبات مشروعية هذا الاتجاه الصوفى للتفسير : (فأعلم أن من زعم أن لا معنى للقرآن الا ما ترجمه ظاهر التفسير : فهو مخبر عن حد نفسه ، وهو مصيب فى الاخبار عن نفسه ، ولكنه مخطىء فى الحكم برد كافة الخلق الى درجته التى هى حده ومحطه بل الاخبار والاثار تدل على أن فى القرآن متسعا لأرباب الفهم[٦] ، قال على رضى الله عنه (الا أن يؤتى الله عبدا فهما فى القرآن) ، فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم •• وقال صلى الله عليه وسلم (ان للقرآن ظهرا وبطنا واحدا ومطلعا)[٧]

---

(١) سورة النساء/٨٣

(٢) سورة (محمد) صلى الله عليه وسلم ٢٤

(٣) سورة الاعراف/١٤٥

(٤) الانعام ٣٨

(٥) الامام الالوسى :تفسير روح المعانى١/٧

(٦) يعنى بهم أرباب الفهم عن الله عز وجل من الصوفية العارفين .

(٧) اخرجه العراقى بنحوه عن ابن حبان فى صحيحه من حديث ابن مسعود . انظر المغنى عن حمل الاسفار فى تخريج ما فى الاحياء من الاخبار بهامش الاحياء ١/٨٨ ط العثمانية .

ويروى أيضا عن ابن مسعود موقوفا عليه — وهو من علماء التفسير — فما معنى الظهر والبطن والحد والمطلع[٨] ؟؟ وقال على كرم الله وجهه : لو شئت لا وقرت سبعين بعيرا من فاتحة الكتاب !! فما معناه وتفسير ظواهرها فى غاية الاختصار ؟؟

وقال أبو الدرداء : لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها •

وقد قال بعض العلماء : لكل آية ستون ألف فهم ، وما بقى من فهمها أكثر !!

وقال آخرون : القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتى علم ، اذ كل كلمة علم ، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف ، اذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد مطلع •••)[٩] •

وبالاضافة الى ما أوردنا عن هؤلاء الائمة فثمة المزيد والمزيد من الآراء والحجج التى تؤكد مشروعية التفسير الصوفى الاشارى الذى يقوم على اسس علمية وفى اطار ضوابط تنفى عن جرم التنزيل ما ليس منه • وفى مقدمتها عدم تعارضه مع أى أصل أو دليل شرعى بل يشترط له شاهد يؤيده من الكتاب والسنة ، وأن يكون فى اطار دلالة اللغة التى

---

(٨) للعلماء فى تفسير هذه المفردات اقوال كثيرة منها ما نقله فى الاتقان عن ابن النقيب من انه فسر (الظهر) بما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر و . (البطن) ما تضمنته من الأسرار التى اطلع الله عليها ارباب الحقائق و (الحد) :المنتهى فيما اراد الله من معناه . والمطلع : ما يتوصل به الى معرفته ويوقف على المراد منه (الاتقان ٤/١٩٦) .

(٩) الامام الغزالى : احياء علوم الدين ١/٢٦٠ ط : العثمانية .

نزل بها القرآن ، والا يتنافى مع المعنى الظاهر والا يدعى أنه هو التفسير المراد وحده .

ومن العلماء من بالغ فى التحفظ والحفاظ على التفسير بمقتضى الظاهر فقصر مدلول التفسير عليه وخرج التفسير الاشارى الصوفى على أنه معان ومواجيد لا يطلق عليها اسم التفسير حتى لا يلتبس على البعض بمقتضاه قصر المراد من النص عليه . وهذه وجهة المتحفظين من أهل الحديث والأثر ممن يسميهم الصوفية (أهل الظاهر) و (علماء الرسوم) وممن صرح بهذا الاتجاه : ابن الصلاح فى فتاويه كما سيرد بعد .. وقد نقل الزركشى هذا الاتجاه فى (البرهان) فقال :

(فأما كلام الصوفية فى تفسير القرآن : فقيل : ليس تفسيرا ، وانما هى معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة كقول بعضهم فى (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار)[1] أن المراد : النفس ، فأمرنا بقتال من يلينا ، لأنها اقرب شىء الينا وأقرب شىء الى الانسان نفسه)[2] ، ثم غزر ذلك بما ذكره ابن الصلاح فى فتاويه ، وهذه هى وجهة المتحفظين الذين يمكن أن نعتبرهم فى مركز وسط بين أنصار التفسير الصوفى وخصومه . أما الفريق الثالث المناهض للتفسير الصوفى فهم كثرة وسنتعرف على بعض النماذج منهم فيما يلى :

وفى ضوء هذا البيان لحقيقة التفسير الصوفى وموقف العلماء منه ــ جملة ــ نتناول جوهر القضية التى أثارها الواحدى :

وقد عرض هذه القضية محدثان كبيران وعالمان لهما وزنهما ومكانتهما السامقة وهما :

(١) سورة التوبة /١٢٣

(٢) الزركشى : البرهان ٢/ ١٧٠

١ ــ الامام أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزورى المعروف بابن الصلاح (٤٧٧ ــ ٥٤٣ هـ) .

٢ ــ الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى (٦٧٣ ــ ٧٤٨ هـ) .

أما ابن الصلاح : فقد نقل صاحب البرهان ــ وتبعه صاحب الاتقان ــ عنه أنه قال فى فتاويه : (وقد وجدت عن الامام أبى الحسن الواحدى أنه قال :

صنف أبو عبد الرحمن السلمى[3] « حقائق التفسير » فان كان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر !! ــ قال ابن الصلاح ــ : وأنا أقول :

الظن بمن يوثق به منهم ، أى الصوفية ــ اذا قال شيئا من ذلك : أنه لم يذكره تفسيرا ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة ، فانه لو كان كذلك : كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية ، وانما ذلك منهم لنظير ما ورد به القرآن . فان النظير يذكر بالنظير ، ومع ذلك : فياليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك ، لما فيه من الايهام والالباس)[4]

والذى يتضح من موقف ابن الصلاح فى هذا النص : انه لم يناقش الواحدى فيما قال أعنى أنه لم يحكم على قوله بالصحة أو الفساد ،

(٣) هو الامام الصوفى الجليل : أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين الازدى السلمى النيسابورى (٣٣٠ ــ ٤١٢ هـ) وقد سبق التعريف به عند التأريخ للحركة العلمية فى التفسير فى عصر الواحدى .

(٤) انظر (البرهان) للزركشى ٢/ ١٧٠ ــ ١٧١ ــ والاتقان للسيوطى ٤/ ١٩٤ ــ ١٩٥ والعبارة منه .

وكل ما هنالك أنه حال دون تطبيق حكم الواحدى على التفسير الصوفى ، بجذبه بعيدا عن مدلول التفسير المصطلح عليه واعطاء هذا الاتجاه الاشارى صفة أخرى هى أشبه بذكر النظير الذى يذكر بنظيره ، وقد خشى بن الصلاح أن يلتبس هذا اللون من التفسير بالمسلك الباطنى فيما لو اريد به حقيقةالتفسير وعلىالرغم من عدم اعطاء ابنالصلاح للتفسير الاشارى شرعيته وصلاحيته العلمية كتفسير، فان التحفظ قد بلغ به مبلغ التمنى ألا يتساهل فىعرضهذا اللون لما فيه منالابهام والالباس . ولم يكن هذا التحفظ مستغربا على امام محدث كابن الصلاح ، فهؤلاء المحدثون : هم سياج الشريعة حقيقة ورسما . وحماة النصوص النقلية من تطرق اللبس والاشكال اليها حتى ولو كان من وراء ذلك جوهر صحيح من معدن الحقيقة .

وعلى أية حال : فقد كان موقف ابن الصلاح ــ رغم تحفظه ــ فى صالح التفسير الصوفى ذلك لأنه أثبت فى نصه أولا : حسن ظنه بأهل التصوف الموثوق بعلمهم وتحققهم ، ثم حال ــ ثانيا ــ دون انطباق ما ذكره الواحدى عليهم ، وذلك بتخريج تفسيرهم على أنه اشارات ترد بورود نظائرها من ظواهر النصوص ثم فرق ــ ثالثا ــ بين المنهج الصوفى ومسلك الباطنية . وهذه النتائج ــ دون شك ــ كسب كبير لقضية التفسير الصوفى .

وأما الحافظ الذهبى : فله موقف مغاير لموقف ابن الصلاح ، اذ انه يقف فى الجانب المناهض للتصوف والتفسير الصوفى ، فقد نقل موقف الواحدى من هذا التفسير فى ترجمته بمصنفه : سير أعلام النبلاء) ثم علق عليه برأيه وموقفه من القضية ، فيقول : (قال أبو سعد السمعانى : كان الواحدى حقيقا بكل احترام واعظام ، لكن كان فيه بسط لسان فى الأئمة ، وقد سمعت أحمد بنمحمد بن بشار يقول : كان الواحدى يقول صنف السلمى كتاب (حقائق التفسير) ولو قال ان ذلك تفسير القرآن لكفر به !

قلت : (الواحدى معذور مأجور .)[1]
وهكذا تظاهر الذهبى مع ظاهر كلام الواحدى فى الحكم على التفسير الصوفى . والحق أن موقف الذهبى المشايع للواحدى مبنى على نظرة سطحية للتفسير الصوفى . وقد ناقشه فى نظرته تلك : تلميذه تاج الدين السبكى فى مصنفه (طبقات الشافعية) وذلك فى ترجمته لأبى عبد الرحمن السلمى ، حيث قال :

(وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبى : كان ــ يعنى السلمى ــ وافر الجلالة ، له أملاك ورثها من أمه ، وورثتها هى من أبيها وتصانيفه: يقال انها ألف جزء !! وله كتاب سماه (حقائق التفسير) ليته لم يصنفه ، فانه تحريف وقرمطة فدونك الكتاب ، فسترى فيه العجب . انتهى . قلت : لا ينبغى له أن يصف بالجلالة من يدعى فيه التحريف والقرمطة وكتاب (حقائق التفسير) المشار اليه : قد كثر الكلام فيه ، من قبل أنه اقتصر فيه على ذكر تأويلات ومحامل للصوفية ينبو عنها ظاهر اللفظ)[2].

لقد نقض الامام السبكى كلام شيخه الذهبى فبين أن نسبة التحريف والقرمطة الى

---

(١) الذهبى : سير اعلام النبلاء مخطوط بدار الكتب المجلد ١٥ رقم ١٩٥ ١٢ ج ، وانظر النص الذى أورده الذهبى عن السمعانى فىطبقات الشافعية للسبكى (ترجمة الواحدى) ٢٤١/٥
(٢) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى : ١٤٧/٤

أبى عبد الرحمن مجرد ادعاء ! ثم أخذ على الذهبى تناقضه البين ، حيث وصف أبا عبد الرحمن بأنه وافر الجلالة فى الوقت الذى ادعى فيه التحريف والقرمطة !!

ولقد زكى التاج السبكى أبا عبد الرحمن فى غير موضع من طبقاته وانتصر له وبين مقالة الحافظ الخطيب فيه ونبذ قول من طعن فى أبى عبد الرحمن فيقول فى ترجمته : (قال الخطيب قال لى محمد بن يوسف القطان : كان السلمى غير ثقة وكان يضع للصوفية • قال الخطيب : قدر أبى عبد الرحمن عند أهل بلده جليل ، وكان مع ذلك محمودا صاحب حديث • قلت : قول الخطيب فيه هو الصحيح ولا عبرة بهذا الكلام فيه)[1] •

ومن العجيب أن الذهبى قد صدر ترجمته لأبى عبد الرحمن السلمى فى (التذكرة) بقوله : (الحافظ العالم الزاهد شيخ المشايخ محمد بن الحسين بن محمد بن موسى النيسابورى الصوفى الازدى الأب السلمى الأم ، نسب الى جده القدوة أبى عمرو اسماعيل بن نجيد ، ابن محدث نيسابور أحمد ابن يوسف السلمى •••)[2] ومع ذلك قال فيه ما قال •

وبعد أن تعرفنا على هذه الآراء فى صاحب (حقائق التفسير) وفى مصنفه الذى أثار هذه الضجة العلمية فى نطاق علمى واسع، نتعرف على هذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه •

ونسوق بادىء ذى بدء هذا النص من مقدمة (حقائق التفسير) الذى يشهد بأن مصنفه لم يقصد به انكار التفسير بمقتضى الظاهر وانما يعنى به اثبات ما ورد عن أهل الحقيقة من اشارات وعبارات فتح الله بها قلوبهم ، وهى ليست احالة للظاهر عن ظاهره، ولا قصرا لمدلول النص على هذه الاشارات• يقول أبو عبد الرحمن السلمى — رضى الله عنه — (•• لما رأيت المتوسمين بالعلوم الظواهر سبقوا فى أنواع فرائد القرآن : من قراءات ، وتفاسير ، ومشكلات ، وأحكام ، واعراب ، ولغة ومجمل ومفسر ، وناسخ ، ومنسوخ ، ولم يشتغل أحد منهم بجمع فهم خطابه على لسان الحقيقة الا آيات متفرقة ، نسبت الى أبى العباس بن عطاء ، وآيات ذكر أنها عن جعفر بن محمد ، على غير ترتيب ، وكنت قد سمعت منهم فى ذلك حروفا استحسنتها ، أحببت أن أضم ذلك الى مقالاتهم ، وأضم أقوال مشايخ أهل الحقيقة الى ذلك وأرتبه على السور حسب وسعى وطاقتى ، واستخرت الله فى جمع شىء من ذلك واستعنت به فى ذلك وفى جميع أمورى ، وهو حسبى ونعم المعين)[3] •

فاذا ماتصفحنا (حقائق التفسير) : وجدنا عند تفسير (ألم) البقرة : يقول أبو عبد الرحمن : (ألم : قيل أن الألف ألف الوحدانية • واللام : لام اللطف ، والميم : ميم الملك • معناه : من وجدنى على الحقيقة باسقاط العلائق والأغراض تلطفت له ••• فأخرجته من رق العبودية الى الملك الأعلى وهو الاتصال بمالك الملك ، دون الاشتغال بشىء من الملك •

---

(١) نفس المرجع : ١٤٥/٤
(٢) الذهبى : تذكرة الحفاظ ١٠٤٦/٣
(٣) أبو عبد الرحمن السلمى : حقائق التفسير ٢/١

وقيل : ألم : معنى الألف : أى أفرد سرك • واللام : لين جوارحك لعبادتى • والميم: أقم معى بمحو رسومك وصفاتك أزينك بصفات الأنس بى ، والمشاهدة اياى ، والقرب منى •••)[1] وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام)[2] يقول :

﴿ قال جعفر : جعل الحق تعالى فى قلوب أوليائه رياض أنسه ، فغرس فيها أشجار المعرفة ، أصولها ثابتة فى أسرارهم وفروعها قائمة بالحضرة فى المشهد ، فهم يجنون ثمار الانس فى كل أوان وهو قوله تعالى ﴿ فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام) أى ذات الألوان كل يجتنى منه لونا على قدر سعته ، وماكوشف من بوادى المعرفة وآثار الولاية)[3] •

ان أبا عبد الرحمن ــ أو غيره ــ لم يزعم أن هذا النمط الاشارى هو وحده كل المراد من الآى والا لكان احالة للظاهر عن ظاهره • وتعطيلا لمراسم الشريعة • وليس بمقدور أحد أن يقدم على هذا الزعم • ولكنه يثبت تلك الاشارات التى لا تتعارض مع مقتضى الظاهر ولا تصادم أصلا شرعيا ، فهى نفثات روحية وافاضات اشراقية وسوانح عرفانية تعكس جانبا آخر من بواطن المعانى المتآخية مع ظواهرها ، وحيثما وقفنا على موضع تناقض أو تعارض حقيقى أخذنا ــ دون شك أو جدال بما يحفظ للنص القرآنى حرمته وهدايته وأداء ألفاظه لمعانيها الظاهرة فى ضوء معطيات اللغة والنقل •

(١) نفس المصدر/٩
(٢) سورة الرحمن/١١
(٣) أبو عبد الرحمن السلمى : حقائق التفسير/٣٤٤

أما وفى الامكان استيعاب الجانب الاشارى الى جانب التفسير بالظاهر دون تعارض أو منافاة فمن التعسف وضيق الأفق حينئذ أن نتبرأ من هذا الجانب الروحى المشرق ونرمى بالكفر أو الالحاد من يقول به حتى ولو كان من الائمة المجمع على رسوخهم فى العلم والتحقق • ومن ثم نجد الواحدى فى نقده للامام السلمى وكتابه ﴿ حقائق التفسير) كان متغاليا ، شديد المغالاة ، مبالغا حادا فى نقده وكذا الذهبى الذى حكم له بأنه معذور مأجور، وذلك لأمرين :

أولهما : أن صاحب ﴿ حقائق التفسير) لم يعتقد ولم يدع أن ما فى كتابه هو تفسير القرآن • وانما الذى يعتقده ويقصده هو ما قاله فى مقدمته التى أوردناها ، من أنها أقوال واشارات متفرقة جمعها عن المتحققين من الصوفية • وهذه المعانى المعبر عنها بالحقائق قد وردت نظائر للمعانى التى فهمها أهل العلم الظاهر • فالأمر اذا : من قبيل مقابلة الشريعة بالحقيقة ، وليس من قبيل ارادة الحقائق التى هى نقائض الأباطيل •

وهذا المعنى هو ما فهمه ابن الصلاح وعلق به على موقف الواحدى قائلا ﴿ الظن بمن يوثق به منهم اذا قال شيئا من ذلك : أنه لم يذكره تفسيرا ، ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة •• وانما ذلك منهم لنظير ما ورد به القرآن ، فان النظير يذكر بالنظير)[4] •

والأمر الثانى : ان الامام السلمى لم يدع اطلاقا قصر المعنى القرآنى على ما أورده من معان واشارات ، بدليل أنه لم يستقص كل

(٤) الزركشى : البرهان ٢/١٧١

آيات التنزيل ، افترى أنه ترك النص القرآنى عطلا من التفسير طالما كان يرى قصر المراد على ما أورده ؟؟ أم انه تركه للتفسير الظاهر المعتمد ؟ ليس الا الأمر الثانى .

واذا : فكتاب (حقائق التفسير) منفك عن حكم الواحدى ، الذى علق فيه الجواب على شرط لم يتحقق فى مصنف أبى عبدالرحمن وهو اعتقاد أنه تفسير للقرآن . والواحدى متجن فى حكمه أيضا ، لان أبا عبد الرحمن لم يدع أن الظاهر غير مراد .

ومن ثم : كان موقف الواحدى من التفسير الصوفى من المآخذ التى تؤخذ عليه رغم مكانته العلمية السامقة واستحقاقه للاجلال والتقدير — ولذا لم يتغاض العلماء والنقاد عن هذا المآخذ للواحدى حتى وهم فى غمرة الثناء عليه ، اذ يقول معاصره وصديقه الحافظ عبد الغافر الفارسى — فيما نقله عنه ياقوت فى ترجمة الواحدى[1] : وعاش سنين ملحوظا من النظام وأخيه بعين الاعزاز والاكرام .

وكان حقيقيا بكل احترام واعظام ، لولا ما كان فيه من غمزه وازرائه على أئمة المتقدمين وبسطه اللسان فيهم بغير ما يليق بمناصبهم عفا الله عنا وعنه .

وقد مر بنا — فيما أورده الذهبى عن السمعانى ، فى سير أعلام النبلاء[2] — ارتباط مأخذ وقوع الواحدى فى الأئمة وبسطه اللسان فيهم بموقفه من تفسير أبى عبدالرحمن السلمى رضى الله عنه .

وبالجملة : فان هذا الموقف لا يمنعنا من رؤية هذا الصرح العلمى الشامخ الذى أقامه الواحدى متعدد الجوانب موصول العطاء .. وسبحان من لم يكتب العصمة من الخطأ الا لأنبيائه ورسله صلوات الله وتسليماته على رسولنا الأعظم وعليهم أجمعين .

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء بتحقيق مرجليوث ٩٨/٥

(٢) الذهبى : سير اعلام النبلاء . مخطوط بدار الكتب . المجلد/١٥ ترجمة الواحدى وانظر : طبقات السبكى ٢٤١/٥

الباب الرابع

منزلة الواحدى فى التفسير وأثره فى المفسرين

بعد أن تعرفنا فى الأبواب السابقة على شخصية الواحدى — فى اطار عصره وبيئته — وعلى منهجـه التفسيرى من مختلف جوانبه وأبعاده : نأتى فى هذا الباب لرصد التقويم العلمى للواحدى المفسر ، فنتعرف على آراء العلماء والمفسرين فى مكانته فى التفسير لنطابقها بما وقفنا عليه فى المجال التطبيقى فى تفسيره ، وننظر الى الواحدى بعيون معاصريه وأقرانه ثم بعيون الثقات من العلماء والنقاد والمؤرخين ثم أسـجل نظرتى من خلال معايشتى له فى هذا البحث الذى صحبته فيه بضع سنين ، صحبة حياة قوامها التعرف والمعاناة فى تكوين ملامح الصورة العلمية والمنهجية لهـذا الامام المفسر .

ثم امتدادا لجانب التعرف على القيمـة العلمية لتفسـير الواحدى أسـجل فى الشق الثانى من هذا الباب : أثره الممتد الى كبار أئمة التفسير الذين اغترفوا من معينه وأفادوا من رسوخه وتعمقـه وامتداد آفاق بحثه فى العديد من الجوانب والاتجاهات .

الفصل الأول

منزلة الواحدى فى التفسير

تنـــاول العلمـــاء والمفسرون والمؤرخون مكانة الواحدى بالتعريف والنقد والتقويم فى مصنفاتهم ونوهوا بالاثر العلمى الذى حققته شخصيته فى الحقل العلمى عامة وفى التفسير بصفة خاصة ، ولئن كان المقصد من هذا الفصل هو تسليط الضوء على مكانته فى التفســـير خاصـــة : فان ذلك سيستتبع بالضرورة ظهور بعض الجوانب العلمية الأخرى فى منطقـــة الضوء ، لأن الواحدى كان يحمل فى اهابة أكثر من عالم حتى لقد أطلق عليه أحد علماء عصره هذا البيت الذى سار مســـيرة الشمس وجرى مجرى المثل :

قد جمـــع العـــالم فى واحـــد
عالمنـــا المعروف بالواحدى[1]

فلقد كان الواحدى عالما موسوعيا بمعنى الكلمة ، فنجد فيه ـ كما مر بنا ـ اللغوى ، والنحوى والأديب والشاعر ، ونجـــد فيه : الاخبارى ، والفقيه ، والمتكلم ، والمحدث ، ثم نجد فيه على قمة كل ذلك : المفسر والعالم بالقرآن المتبحر فى علومه •

ومن ثم سنتعرف فيما يلى على مكانة الواحدى من خلال نظرات العلماء له وأقوالهم فيه :

(١) انظـــر معجم الأدباء ليـــاقوت ٩٨/٥ بتحقيق مرجليوث .

اولا : منزلته فى نظر أقرانه ومعاصريه : ـ

حظى الواحدى ـ فى عصره ـ بحظ وافر من التقدير والتكريم ، لمـــا تبوأه من مكانة سامقة فى العـــلم والتحقيق ، ولمـــا بلغه فى التفسير خاصة من شأو رفيع تربع فيه فوق القمـــة ، فاحتفى به العلمـــاء ، وتقرب اليه الحكام ، فرأينا ـ فيما مضى ـ كيف كان نظام الملك وأخوه من بعده يعظمانه ويكرمانه ، وكيف كان شيوخه يستأثرونه بأفلاذهم ويعتبرونه ذخيرة للعلم فى عصرهم بيد أن الذى يعنينا هنا : هو التعرف على نظرة معاصريه وأقرانه له كمفسر • ومدى تقديرهم له ، وسأثبت فيما يلى أقوال أهم من تناوله بالنقد والتقويم من هؤلاء :

١ ـ حجة الاســـلام الامام أبو حامد الغزالى رضى الله عنه (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ) •

للامام الغزالى فى الواحدى وتفســـيره رأى سجله المؤرخون بالاحتفاء والاعجاب ، حيث يشهد لمكانة الواحدى بمـــا لا مزيد عليه من التقـــدير والتكريم ، حتى لقـــد ذكره المستشرق (كارل بروكلمان) فى ترجمة الواحدى فى كتابه (تاريخ الأدب العربى) قائلا : ـ

« وما يشـــهد بالتقدير العظيم لأعماله القرآنية : ما يحكى من أن الغزالى قد رفض أن يكتب فى التفسير بعده[2] » !!

(٢) كارل بروكلمان : ملحق تاريخ الأدب العربى ٧٣٠/١ ـ ٧٣١ ط : ليدن سنة ١٩٣٧م

وقد أشار (بروكلمان) الى مرجعه فى تلك الفقرة وهو (مرآة الجنان) لليافعى (ت ٧٧٨ هـ) وفى المجلد الثانى من (مرآة الجنان) نجد الامام اليافعى يقف فى تاريخه عند نقطة يعدد فيها طائفة من المصنفات التى أوفت على الغاية فى بابها واستغنى بها عن غيرها ، وفى أثناء ذلك قال :

ومثل هذا ما حكى من أن الامام حجة الاسلام أبا حامد الغزالى ، قيل له لم لا تصنف فى التفسير ؟؟

فقال : يكفى ما صنف فيه شيخنا الامام أبو الحسن الواحدى • رحمة الله عليهما[١])!

ترى أى تقدير للواحدى ولتفسيره أعظم مما قلده به حجة الاسلام ؟؟

ومما يعزز تقدير الامام الغزالى للواحدى وتفسيره — بالاضافة لما ذكره اليافعى — ما ذكره ابن قاضى شهبة فى (طبقات النحاة) حيث قال فى ترجمة الواحدى : —

(•• وقيل للغزالى يقول : من أراد أن يسمع كتابه[٢] من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعليه بتفسير الواحدى[٣]) •

ومما يؤكد تقدير حجة الاسلام للواحدى مرة أخرى أنه أخذ أسماء تفاسير الواحدى الثلاثة (البسيط) و (الوسيط) و (الوجيز) وأطلقها على كتبه فى الفقه ، وتناقل ذلك المؤرخون فى كتبهم ، فيقول الذهبى فى (السير) مترجما للواحدى (•• صنف التفاسير الثلاثة : البسيط والوسيط والوجيز • وبتلك الأسماء سمى الغزالى تواليفه الثلاثة فى الفقه[٤] ••)•

كذلك قال صاحب مرآة الجنان فى ترجمة الواحدى (وصنف التفاسير الشهيرة المجمع على حسنها والمشتغل بتدريسها ، والمرزوق السعادة فيها ، وهى : البسيط والوسيط والوجيز • ومنه أخذ أبو حامد الغزالى أسماء كتبه الثلاثة)[٥] ونقل ذلك أيضا صاحب الوفيات وغيره[٦] •

٢ — الحافظ عبد الغافر بن اسماعيل الفارسى (٤٥١ — ٥٢٩ هـ) :

ترجم للواحدى فى (السياق) الذى اختصره من (تاريخ نيسابور) للحاكم ، وكان صديقا للواحدى ويعرفه عن كثب معرفة صحبة وزمالة فى العلم ، فشهد لأبى الحسن بالامامة ووصفه بأنه (أستاذ عصره) و (واحد دهره) يقول عبد الغافر — فيما نقله عنه ياقوت — فى ترجمة الواحدى : (•• فأما أبو الحسن فهو الامام المصنف المفسر النحوى استاذ عصره وواحد دهره[٧] ••) الى أن قال : (•• وأجاز لى جميع مسموعاته ومصنفاته)[٨]•

---

(١) اليافعى : مرآة الجنان : ٢٠٨/٢
(٢) هكذا بالمخطوطة ، والضمير فى (كتابه) لله تعالى ، ولعل لفظ (تعالى) سقط فى النسخ .
(٣) ابن قاضى شهبة : طبقات النحاة : ١٣٥/٢ مخطوط بدار الكتب . تاريخ تيمور (٢١٤٦) .

(٤) الذهبى : سير اعلام النبلاء : المجلد الخامس عشر من المخطوط ، ترجمة الواحدى .
(٥) اليافعى : مرآة الجنان ٩٦/٣ — ٩٧
(٦) انظر (وفيات الاعيان) لابن خلكان ٤١٩/١ ، وانظر (النجوم الزاهرة) ١٠٤/٥ ، والشذرات : ٣٣٠/٣
(٧) ياقوت الحموى : معجم الأدباء بتحقيق مرجليوث ٩٧/٥
(٨) نفس المرجع السابق ، وانظر : المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور . للصريفينى . ميكروفيلم بمعهد المخطوطات : الطبقة الثالثة من علماء نيسابور .

٣ — أبو الحسن على بن الحسن الباخرزى (ت : ٤٦٧ هـ) :

ترجم للواحدى فى (دمية القصر) — وكان يعرفه عن قرب وينشده الواحدى من شعره كما مر — يقول الباخرزى فى ترجمة الواحدى : —

مشتغل بما يعنيه ، وان كان استهدافه للمختلفة اليه يعنيه ، وقد خبط ما عند أئمة الأدب خبط عصا الراعى فنون الغرب ، وألقى الدلاء فى بحارهم حتى نزفها ، ومد البنان الى ثمارهم حتى قطفها ، وله فى علم القرآن وشرح غوامض الاشعار تصنيفات بيده لأعنتها تصريفات[١] ..) وهكذا أشار خلال ترجمته الأدبية للواحدى الى تصنيفاته الفائقة فى علم القرآن ..

٤ — الحسن بن المظفر النيسابورى (ت : ٤٤٢ هـ) :

ترجم له صاحب (معجم الادباء) وذكر أنه (كان مؤدب أهل خوارزم فى عصره ومخرجهم وشاعرهم ، ومقدمهم والمشار اليه منهم)[٢] .

وقد نقل عنه ياقوت فى ترجمة الواحدى أنه قال : أبو الحسن الواحدى هو الذى قيل فيه : —.

قد جمع العالم فى واحد
عالمنا المعروف بالواحدى

قال : ومن غرر شعره)[٣] : ثم أنشد من شعر الواحدى ما أوردناه فى موضعه . وقد أثبت ما نقل عن ابن المظفر فى الواحدى — وان لم يعرض لشىء عن تفسيره — لمعظم دلالة البيت الذى رواه والذى يصور نظرة معاصرى الواحدى اليه كعالم موسوعى . ومعلوم أن التفسير يحتل منه موضع القلب من الجسد .

ثانيا : منزلة الواحدى فى نظر العلماء والمؤرخين :

اذا ما تركنا عصر الواحدى وعلماءه ، وتجولنا عبر القرون والأعصار ، لنرى منزلة الواحدى لدى جمهرةالعلماء وأصحاب التراجم والطبقات ، ونتعرف على رأيهم فيه كمفسر وتقويمهم له : فستتكامل لدينا الصورة النقدية بملامحها المميزة التى رسمها أساطين العلماء والمؤرخين . والتى يمكننا مقارنتها بما مر بنا من دراسة تفصيلية سبرنا بها منهج الواحدى وتعرفنا على أبعاده ، وهذه آراء أبرز من عرض للواحدى بالتعريف والتقويم : —

١ — جمال الدين على بن يوسف القفطى (ت : ٦٤٦ هـ) :

ترجم للواحدى فى (انباه الرواة) ترجمة ضافية ، أشاد فيها بقيمة تفاسيره ونوه بعظم منزلته ، ووصفه بأنه (أستاذ عصره) — كما فعل عبد الغافر فى (السياق) — فقال :

على بن أحمد الواحدى أبو الحسين[٤] : الامام ، المصنف ، المفسر ، النحوى ، أستاذ عصره . قرأ الحديث على المشايخ ، وأدرك

---

(١) الباخرزى : دمية القصر بتحقيق د. سامى مكى ٢٥٥/٢ ، وبتحقيق محمد راغب الطباخ/٢٠٣
(٢) ياقوت : معجم الادباء بتحقيق مرجليوث ٢١٨/٣
(٣) ياقوت : معجم الادباء بتحقيق مرجليوث ٩٨/٥
(٤) سبق أن حققنا أن كنية الواحدى هى : أبو الحسن وليست أبا الحسين .

الاسناد العالى ، وسار الناس الى علمه ، واستفادوا من فوائده وصنف التفسير الكبير ، وسماه (البسيط) وأكثر فيه من الاعراب والشواهد واللغة • ومن رآه علم مقدار ما عنده من علم العربية ! •

وصنف (الوسيط) فى التفسير أيضا ، وهو مختار من (البسيط) أيضا ، غاية فى بابه ، وصنف (الوجيز) ، وهو عجيب !

وصنف (شرح ديوان المتنبى) ، وهو غاية فى بابه)[1] •

ويلاحظ فيما ذكره القفطى ههنا : انبهاره بالجانب اللغوى والنحوى فى تفسير الواحدى، حتى قال : (ومن رآه علم مقدار ما عنده من علم العربية) •

كما لايخفى ما لوصفه لتفسيريه (الوسيط) و (الوجيز) من دلالة ، حيث قال فى أولهما : (غاية فى بابه) ، وفى ثانيهما : (وهو عجيب) هذا الى جانب شهادته له بأنه (أستاذ عصره) ••

٢ ــ شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (ت : ٦٨١ هـ) :

تناول التعريف بالواحدى فى (الوفيات) فأبرز منزلته ــ عامة ــ وفى التفسير خاصة ثم قارن بينه وبين شيخه (الثعلبى) فى التفسير فى خاتمة ترجمته ، وقد استهلها بقوله : (أبو الحسن على بن أحمد بن محمد ابن على بن متوية الواحدى المتوى ، صاحب التفاسير المشهورة • كان أستاذ عصره فى النحو والتفسير ، ورزق السعادة فى تصانيفه ، وأجمع الناس على حسنها ، وذكرها المدرسون فى دروسهم ، منها (البسيط) فى تفسير القرآن الكريم ، وكذا (الوسيط) وكذا (الوجيز) ومنه أخذ أبو حامد الغزالى أسماء كتبه الثلاثة)[2] ••

ثم قال فى خاتمة ترجمته للواحدى (وكان الواحدى المذكور تلميذ الثعلبى صاحب التفسير المقدم ذكره فى حرف الهمزة ــ وعنه أخذ علم التفسير وأربى عليه)[3] ••

وهكذا يلتقى ابن خلكان ــ أولا ــ مع القفطى وعبد الغافر فى الشهادة للواحدى بأنه كان أستاذ عصره ثم يشيد ــ ثانيا ــ بتصانيفه لاسيما تفاسيره الثلاثة التى أطلق الامام الغزالى أسماءها على مصنفاته فى الفقه • ثم نجده ينفرد ــ أخيرا ــ بتفضيله وترجيح كفته فى التفسير على أستاذه الثعلبى الذى قال عنه الذهبى فى (العبر) : (وكان حافظا واعظا رأسا فى التفسير والعربية)[4] !

٣ ــ تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت : ٧٢٨ هـ) :

وقد عرض للواحدى ولشيخه الثعلبى بالنقد فى (مقدمته) فقال (وأما الواحدى : فانه تلميذ الثعلبى وهو أخبر منه بالعربية ، لكن الثعلبى فيه سلامة من البدع ــ وان ذكرها تقليدا لغيره ــ وتفسيره وتفسير الواحدى : البسيط والوسيط والوجيز : فيها فوائد جليلة، وفيها غث كثير من المنقولات الباطلة وغيرها)[5] •

---

(١) القفطى : انباه الرواة ٢/٢٢٣

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ٢/٤٦٤

(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ٢/٤٦٤

(٤) الذهبى : العبر ٣/١٦١

(٥) ابن تيمية : مقدمة فى اصول التفسير ص : ٥٧ ط : السلفية .

ونجد فى نقد ابن تيمية للواحدى : انه ذكر فى جانب المحاسن : أن الواحدى أخبر بالعربية من شيخه الثعلبى ، وأن تفاسير الواحدى الثلاثة : تتضمن فوائد جليلة .

وفى جانب المساوىء : نوه أن تفسير الواحدى لم يسلم من البدع ، وأن فيها غث كثير من المنقولات الباطلة وغيرها .

ولست أدرى : أى نوع من البدع أراد ابن تيمية ؟ لم يبين ذلك . ثم أن تحديد البدعة عند العلماء أمر نسبى مختلف فيه تبعا للانتماءات المذهبية ، فالسنى يرى المعتزلى مبتدعا والمعتزلى يراه هكذا ، وابن تيمية نفسه متهم عند كثير من الائمة من الفقهاء والمحدثين لتفرده ببعض شذوذ المسائل التى أنكرها السلف لا سيما فى المسألة الحموية) المتعلقة بالصفات والتى قال فيها بما ينافى تنزيهه تعالى عن التشبيه والتجسيم[1] ، واذا : فنقده للواحدى من هذه الحيثية — فوق أنه لم يبينه محل نظر .

وأما عن قوله عن تفاسير الواحدى : فيها غث كثير من المنقولات الباطلة وغيرها : فان قصد بذلك الاسرائيليات : فهى طامة عامة، لم يسلم منها تفسير حتى تفسير الطبرى الذى رجحه ابن تيمية على سائر التفاسير بقوله (لكن تفسير ابن جرير أصح من هذه كلها[2] . لم يخل من تلك الاسرائيليات ، به انه — مع التسليم بمكانته العظمى — يعد من أكثر التفاسير حشدا لها ..

(١) أنظر كتاب (ابن تيمية) للدكتور محمد يوسف موسى ص : ٩٣ ، ٩٦ ، ١٠٢ (سلسلة أعلام العرب) .

(٢) ابن تيمية : مقدمة فى اصول التفسير ص : ٥٨

٤ — الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى (ت : ٧٤٨ هـ) :

أما تقدير الحافظ الذهبى للواحدى — كمفسر — : فانه يعتبر — فى رأيى — أرفع شهادة للواحدى بعد تقدير الامام الغزالى — السابق بيانه — له ، لانه منحه لقب (امام علماء التأويل) فقد قال فى صدر ترجمته للواحدى فى (سير أعلام النبلاء) :

(الامام العلامة الاستاذ أبو الحسن على ابن أحمد بن محمد بن على الواحدى النيسابورى الشافعى ، صاحب التفسير ، وامام علماء التأويل[3] ..) .

وهذا التقدير للواحدى له وزنه لا سيما وهو صادر من الذهبى الذى لا يرحم فى نقده من يرى فيه قدحا وهذا التقدير من الذهبى— بالذات — حجة على من لا يرى فى تفسير الواحدى الا مجرد اللغة أو النحو والاعراب فحسب ، لأن اللغة والنحو ما هما الا أداتان للتأويل فحسب ، ومادتان أوليتان لا تكفيان لخوض مجال التأويل بله الترقى فيه الى مرتبة الامامة !!

٥ — تاج الدين عبد الوهاب بن على السبكى (ت : ٧٧١ هـ) :

قال فى مستهل ترجمته للواحدى فى (طبقات الشافعية) : (.. الامام الكبير أبو الحسن ، من أولاد التجار ، أصله من ساوة ، وله أخ اسمه عبد الرحمن قد تفقه وحدث أيضا ، كان الأستاذ أبو الحسن واحد عصره فى التفسير[4] ..) .

(٣) الذهبى : سير اعلام النبلاء : المجلد الخامس عشر : مخطوط بدار الكتب .

(٤) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى : ٢٤٠/٥

وبذا انضم السبكى الى قائمة المجمعين على أستاذية الواحدى لعلماء عصره فى التفسير وكذلك فعل اليافعى (ت : ٧٧٨ هـ) فى مرآة الجنان[1] •

٦ ـ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى (ت : ٧٩٤ هـ) :

صنف الزركشى فى (البرهان) أبا الحسن الواحدى ضمن كبار المفسرين ، ووضعه ـ مع الزجاج ـ فى قائمة المفسرين بالغريب ، فقال:

وقد أكثر الناس فيه ـ أى التفسير ـ من الموضوعات ، ما بين مختصر ومبسوط ، وكلهم يقتصر على الفن الذى يغلب عليه •

فالزجاج ، والواحدى ـ فى البسيط ـ يغلب عليهما الغريب ، والثعلبى : يغلب عليه القصص ، والزمخشرى : علم البيان ، والامام فخر الدين : علم الكلام وما فى معناه من العلوم العقلية)[2] •

ولكننا نقول : اذا كان صاحب (البرهان) يرى أن الواحدى قد اقتصر فى تفسيره على الفن الذى يغلب عليه وهو علم الغريب فما رأيه فى قول صاحب (الاتقان) ـ الذى يخالفه الرأى ويصنف الواحدى ـ مع الزجاج ـ فى قائمة المفسرين النحاة ، الذين يغلب عليهم فى تفاسيرهم علم النحو والاعراب ؟ يقول صاحب الاتقان فى تصنيفه لطبقات المفسرين (ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا فى علوم ، فكان كل منهم يقتصر فى تفسيره على الفن الذى يغلب عليه ، فالنحوى تراه ليس له هم الا الاعراب وتكثير الاوجه المحتملة فيه ، ونقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته ، كالزجاج والواحدى ـ فى البسيط ـ وأبى حيان فى البحر والنهر)[3] •

فماذا يعنى ذلك الاختلاف فى تصنيف الواحدى ؟ أفلا يدل ذلك على اختلاف الزوايا التى ينظر منها النقاد لتفسيره ، وأنه ـ تبعا لذلك ـ متعدد الجوانب فى عمقه وفى ثرائه ؟ ومن الملاحظ جليا : أن صاحبى (البرهان) و (الاتقان) قد قصر كل منهما نظرته للواحدى وتقويمه له على كتاب (البسيط) فحسب مما لا يعطى حكما شموليا متكاملا على الواحدى كمفسر ، بل أن ذلك يترك فرصة ـ أو أكثر ـ لتقويمه من خلال مصنفه (الوسيط) وغيره ، وبرؤية جديدة مغايرة تماما ومن ثم فاننا نعتبر هذه احكاما جزئية لا تحيط بجوانب الواحدى المفسر • على أن للامام السيوطى فى (طبقات المفسرين) تقويما آخر للواحدى أراه وافيا بحقه كمفسر وسأعرض له بعد •

٧ ـ تقى الدين بن قاضى شهبة الاسدى (ت : ٨٥١ هـ) :

ترجم للواحدى ترجمة ضافية مستفيضة فى (طبقات النحاة) وأخرى وجيزة فى (طبقات الشافعية) فقال فى الأولى (الامام العلامة أبو الحسن الواحدى اللغوى الفقيه الشافعى المفسر النحوى اللغوى المحدث) •• ثم بعد ان عرض لشيوخه وأساتذته عرج على تصنيفاته وتقويمها فقال (ومن تصانيفه : البسيط ، فى خمسة عشر مجلدا وهو من أحسن التفاسير ، ولم يصنف مثله)[4] •

---

(١) اليافعى : مرآة الجنان ٩٦/٣
(٢) الزركشى : البرهان ١٣/١
(٣) السيوطى : الاتقان ، بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ٢١٢/٤
(٤) ابن قاضى شهبة : طبقات النحاة : ١٣٥/٢ مخطوط بدار الكتب : تاريخ تيمور ٢١٤٦

ثم يقول ابن قاضى شهبة فى (طبقات الشافعية) ، (على بن أحمد بن محمد أبو الحسن الواحدى ، كان فقيها اماما فى النحو واللغة ، وغيرها • شاعرا • وأما التفسير : فهو امام عصره فيه)[1] •

٨ ــ جمــال الدين يوسف بن تغرى بردى (٨١٣ ــ ٨٧٤ هـ) :

قال فى ترجمته للواحدى فى (النجوم الزاهرة) : (على بن أحمد بن محمد بن على أبو الحسن الواحدى النيسابورى • كان من أولاد التجار من ساوة •

وكان أوحد عصره فى التفسير وكان اماما بارعا محدثا • صنف التفاسير الثلاثة (البسيط) و (الوجيز) و (الوسيط) والغزالى أخذ هذه الأسماء برمتها وسمى بها تصانيفه)[2] •

٩ ــ الامام الحافظ : جلال الدين عبدالرحمن ابن أبى بكر السيوطى (ت : ٩١١هـ):

ترجم الامام الســيوطى للواحدى فى (طبقات المفسرين) وأعطاه فيها حقه كمفسر ، فبينما رأيناه فى (الاتقان) يصفه بأنه لم يكن له هم فى تفسيره (البسيط) الا الاعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه ــ وهذا الملحظ فيه اقتصار على أحد الجوانب العلمية فى البسيط ــ نجده فى الطبقات يصرح بأن الواحــدى كان فى التفسير واحد عصره • وبديهى أن واحدية الواحدى فى التفسير فى عصره لا تتأتى من خلال تفوقه فى جانب واحد ــ وهو النحو ــ بل تستلزم تضافر سائر المقومات فى جانبى المأثور والرأى • يقول الامام السيوطى فى ترجمة الواحدى من (طبقات المفسرين) : (على بن أحمد بن محمد بن على : أبو الحسن الواحدى النيسابورى) :

كان واحد عصره فى التفسير • لازم أبا اسحق الثعلبى ، وأخذ العربية عن أبى اسحق القهندزى ، ودأب فى العلوم ، وأخذ اللغة عن أبى الفضل أحمد بن محمد بن يوسف العروضى وسمع ابن محمش وأبا بكر الحيرى وجماعة ، وروىعنه أحمد بن عمر الارغانى ، وعبدالجبار ابن محمد الخوارى وطائفة)[3] •

١٠ ــ أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى (ت : ١٠٨٩ هـ) :

ترجم للواحدى فى (شذرات الذهب) وعرف فيها بفضله ومنزلته فى التفسير وعلوم اللغة فقال : (أبو الحسن الواحدى المفسر : على بن أحمد النيسابورى ، تلميذ أبى اسحق الثعلبى ، وأحد من برع فى العلم • وكان شافعى المذهب روى فى كتبه عن ابن محمش وأبى بكر الحيرى وطائفة •

وكان رأسا فى اللغة العربية ، توفى فى جمادى الآخرة ، وكان من أبناء السبعين • قال ابن قاضى شهبة : كان فقيها ، اماما فى النحو واللغة وغيرهما ، شاعرا •

وأما التفسير : فهو امام عصره فيه)[4]

تلك هى الصورة الحية الماثلة فى نظر هؤلاء العلمــاء والمؤرخين عن أبى الحســن

---

(١) ابن قاضى شهبة : طبقات الشافعية ص ٢٦ من المخطوط رقم ١٥٦٨ تاريخ بدار الكتب .
(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : ١٠٤/٥
(٣) السيوطى : طبقات المفسرين ص ٢٣ الترجمة رقم (٧٠) ط : ليدن
(٤) ابن العماد : شذرات الذهب : ٣٣٠/٣

الواحدى وقد رأينا فيها اجماعا منهم على أن الواحدى كان أستاذ عصره فى التفسير وواحد دهره وقد عرضت لآراء هؤلاء الأثبات — وهم ما بين حافظ محدث كالذهبى والسيوطى ، وعالم بالتفسير وعلوم التنزيل كالزركشى والسيوطى أيضا ، وابن تيمية ومؤرخ ثبت كالقفطى وابن خلكان ، وابن قاضى‌شهبة وابن تغرى بردى وابن العماد •

كما عرضنا من قبل لرأى حجة الاسلام والحافظ عبد الغافر وصاحب السياق وغيرهم: لتتكامل لدينا الصورة العلمية الوصفية والنقدية لأبى الحسن الواحدى وتتضح أمامنا — بجلاء منزلته فى التفسير •

ثالثــا — تفسير الواحدى كما أراه :

من الطبيعى أن تسفر تلك الدراسة العلمية للواحدى ولمنهجه فى التفسير عن تكوين نظرة ذاتية للباحث • تأتى وليدة المعايشة الممتدة فى الاتجاهين : الافقى والرأسى ، فى اطار الشخصية العلمية للواحدى وما ينوط بها من تيارات وأحداث وملابسات وفى اطار منهجه التفسيرى بمختلف ابعاده وزواياه • تلك المعايشة التى اقتطعت من عمر الباحث بضع سنين عاشها فى عالم الواحدى : عصرا وشخصية وعلما وفكرا ، وبذل فيهـا أقصى الجهد والطاقة فسبر منهج هذا التفسير الذى تربع على عرش التفسير فى عصره وأفاد الأئمة والفحول من علمه وتصانيفه •

ولست أقصد بأى حال : قصر نظرتى لتفسير الواحدى • ورؤيتى العلمية لتفسيره على ما أسجله فى هذه النقطة من البحث ، فقد سجلت انطباعاتى عن الواحدى وتفسيره مع كل فقرة من فقراته ، وانما أريد ههنا : الافضاء بالنظرة الذاتية الشاملة والمتحصلة من مجموع هذه الدراسة ، لتكون اضافة علمية لما سبق عرضه من آراء لجهابذة العلماء وأثبات المؤرخين فى الواحدى وتفسيره •

ومتحصل تلك الدراسة يملى على انطباعا بأن الواحدى يعد بحق ممثل عصره فى التفسير أو كما يوحيه اجماع مترجميه ومؤرخيه : هو أستاذ عصره فى التفسير • ما فى ذلك من شك ولا مراء ، ولا يداخل تلك النظرة شىء من التعصب له أو لتفسيره •

وحيثيـات تلك النظـرة تتمثل فى أن الواحدى قد دخل ميدان التفسير بنظرية علمية جد فى استجماع مقوماتها ، ونجح فى تطبيقها الى أبعد الحدود • تلك النظرية التى أوضح معالمها فى مقدمة تفسيره البسيط اذ قال : « ان طريق معرفة تفسير كلام الله تعالى : تعلم النحو والأدب ، فانهما عمدتاه ، واحكام أصولهما ، وتتبع مناهج لغات العرب فيمـا تحويه من الاستعارات الباهرة ، والأمثـال النـادرة ، والتشـبيهات البديعة ، والملاحن الغريبة ، والدلالة باللفظ اليسير على المعنى الكثير ، مما لا يوجد مثله فى سائر اللغات[1] »

وقد قدم الواحدى نظريته — فى مقدمة البسيط — مشفوعة بذكر أدلة اثباتها عمليا كما تقدم بنا فى التمهيد لمنهجه ، كما أكد ضرورة تضافر أركان نظريته الثلاثة فيمن يبغى التقدم فى أى علم فضلا عن أشرف العلوم وهو التفسير فقال : (وقل من تقدم فى علم من العلوم الا بمعرفة الأدب ، ومقاييس العربية والنحو)[2]

وقد سلك الواحدى الطريق الأمثل لتحقيق نظريته ، فلم يلج ميدان التفسير الا وهو

---

(١) الواحدى : البسيط ٢/١
(٢) الواحدى : البسيط ٤/١

متبحر فى علوم الضاد ، وعلامة فى الأدب وأمام فى النحو ، ثم صاحبته هـذه المكونات وهو ينهل من علوم الأثر والنقـل تزودا لبلوغ المقصد وهو التفسير ، وجد فى التضلع منهـا حتى أشرف على الغايات ، ثم ولى وجهه شطر مجال التفسير والتأويل ، فحقق باستجماعه لكل مقـومات المفسر ــ وهبية وكسـبية ــ استاذية عصره فى التفسـير ، لأنه صب كل الروافد التى استجمعها فى تفسيره ، فنجده باديء ذى بدء يحقق لتفسيره ميزة الجمع بين المأثور والرأى فى تكامل رائع ، فضم تفسيره المأثور من شتى منابعه وروافـده واسـتعان بخبرته فى ميدان التأويل والرأى فى تحقيق الافادة العظمى من المأثور بتوجيهه وتحليله وترجيح الراجح منه • اعتمادا على الأسس العلمية المنهجية التى أوضحناها فى موضعها من البحث •

ثم نجد الواحدى قد حقق فى مجال معرفة غريب القرآن وشرح مفرداته وسبر اغوار لغته والافادة منها فى شتى المباحث التفسيرية والفقهية وغيرها • الغاية القصوى التى لم يشق غباره فيها مفسر • حتى وجدنا صاحب (البرهان) يتناسى له كل الجوانب ، ويضعه فى قائمة المفسرين بالغريب •

ثم فى مجال النحو ظهر الواحدى فارسا فى الميدان ، ضليعا فى توجيه المعانى فى ضـوء معطيات النحو ، اماما يتصدى للخليل ، ويحتج على الفراء ، ويقدم دليله ومستنده • ثم ناهيك بالدور الذى قـام به الادب فى تفسـير الواحدى • وغزارة محصلته من عيون الشعر العربى وبراعته فى استجماع الشواهد المتواترة التى تنصب فى الموضع الواحد كغيث السماء الذى تحيا به الأرض ويخضوضر النبات ! وكذا تحليله للصور البلاغية واجلاؤه روعة البيان القـرآنى ، وكيف ينسى دور الواحـدى فى الاحتجاج للقراءات القرآنية ودفاعه الحار عن صحة القراءات السبعية وتصديه لمن نال منها من اللغويين والنحاة ؟ وكيف ينسى للواحدى مواقفه الكلامية فى تفسيره وابراز مقدرته فى فهم النص القـرآنى وتوجيهه على النحـو الصحيح بعيدا عن تأولات المبتدعة واخراسهم باظهار حجة التنزيل عليهم ؟ وهل يغيب عن الذهن ثراء المحصول الفقهى فى تفسير الواحدى وظهوره بجلاء عند تفسير آيات الاحـكام ؟

كل هذه الجوانب مجتمعة تشير ببيان الحق والانصاف الى تفسير الواحدى ناطقة بعمارة الذهبى ان هذا هو تفسير امام أهل التأويل • ولم يكن الذهبى مداهنا للواحـدى ولا منحازا له ، فلم تعرف هذه الشنشنة فى الذهبى •

ثم اذا كانت هناك مآخذ على الواحدى المفسر ــ وقد أخذناها عليه فى موضعها ــ فتلك هفوات العلماء • وكبوات سراع الجياد ، ومن من المفسرين قد سلم منها ؟ من من المفسرين قد خلا تفسيره تماما من الاسرائيليات ولم يورد ضعيف الحديث ؟ واذا توفرت السلامة لبعضهم مما منى به الواحدى من القوادح فأيهم ارتفع الى شأو الواحدى فيما تفرد به ؟ • الحق أن البناء الشامخ الذى أبصرته للواحدى عن قرب قد استثار اعجابى ، ودلائل شموخه ساطعة فى سطور هذا البحث ما فى ذلك من شـك •

ثم من وراء ذلك كله : نقف امام صرح من البراهين ممثل فى ذلك الأثر الذى تركه الواحدى فيمن أتى بعده من أئمـة المفسرين

الفصل الثانى

أثر الواحدى فى المفسرين

ترك الواحدى فيمن أتى بعده من المفسرين أثرا ممتد الأبعاد والأعماق ، يجسد عظم المكانة التى أحرزها فى ميدان التفسير والتأويل ، فمما لا شك فيه أن الأثر الذى يخلفه المفسر فيمن يأتى بعده من فرسان حلبة التفسير يمثل ركنا أساسيا فى صرح تقويمه وتقدير مدى أصالته ، واستقلال شخصيته ، ونفاذ اشعاعه العلمى فى افكار السائرين من بعده . وقد ترك صاحبنا أبو الحسن الواحدى من بعيد الأثر وعميق التأثير ما يؤكد رأينا الذى انتهينا اليه فى تقويمه وهو امامته لأهل التأويل من بعده — كما صرح الحافظ الذهبى — واعتباره ممثل عصره فى التفسير وهو الأمر الذى يؤكده اكتفاء حجة الاسلام الغزالى بتصنيفه فى التفسير — منفردا عن سائر مفسرى عصره — عن الاضافة الى ما صنفه فى هذا الميدان . وفضلا عن ذلك نجد لتفسير الواحدى — ممثلا فى جملة تصانيفه الثلاثة — صدى علميا واسعا ، حتى ان بعض كبار الأئمة كان يؤثر تصنيف الواحدى فى التفسير على ما عداه بل وبلغ الأمر ببعضهم أنه كان يحفظ تفسير الواحدى عن ظهر قلب ، فقد ذكر التاج السبكى فى ترجمة الامام أبى النجيب السهروردى رضى الله عنه أنه قال : (... ثم أوقع الله فى قلبى الاشتغال بالعلم، فاشتغلت حتى أثقلت المذهب ، وقرأت أصول الدين وأصول الفقه ، وحفظت (وسيط الواحدى فى التفسير ...)[1] .

كذلك أفاد بعض العلماء اللاحقين للواحدى — على الجملة — من تفاسيره فى تصانيفهم ، فبعضهم لخصها فى تصنيفه ، وبعضهم انتقى منها فوائد لطائف علمية ضمها الى غيرها فى مصنف ، كما فعل الحافظ أبو سعيد الهكارى (ت : ٧٦٣ هـ) فى تفسيره[2] ، وكما صنع أبو الفضائل أحمد بن عبد اللطيف التبريزى فى كتابه : (مجمع الالطاف فى الجمع بين لطائف البسيط والكشاف)[3] وبعضهم عمد الى تحقيق بعض تفاسيره بازالة ما طرأ عليه من التبديل والتحريف كما فعل الحضرمى فى

---

(١) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى : ١٧٥/٧

(٢) هو تفسير شهاب الدين أبى سعيد احمد بن احمد الكردى الهكارى (ت : ٧٦٣ هـ) ويقع هذا التفسير فى ستة مجلدات . وتوجد منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم ٤٦٣ تفسير ، وقد ذكره الاستاذ فؤاد سيد فى فهرست المخطوطات (سنة ١٩٣٦ — سنة ١٩٥٥ م) وقال فى التعريف به : (لخصه المؤلف من تفسير الثعلبى والواحدى وغيرهما) انظر الفهرست : القسم الاول ص١٧٢

(٣) ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون (١٥٩٧/٢) وذكر انه يقع فى خمس مجلدات ، ولم يؤرخ وفاة مصنفه .

(عمدة القوى والضعيف ، الكاشف لما وقع فى وسيط الواحدى من التبديل والتحريف)[1]

وأما الكثرة الكاثرة من المفسرين : فقد تلقوا تفاسير الواحدى بالاحتفاء والاغتنام وأقبلوا عليها ناهلين ، ومن محيط علمها مغترفين وساقين ، فرأينا من جهابذة المفسرين من يتخذها مصادر رئيسية ، يصدر عنها من مختلف الجوانب ، وينقل عنها — فى تفسيره — من شتى المباحث وهأنذا أعرض لأثر الواحدى فيمن تأثروا به من أعلام المفسرين ونقلوا عنه فى تفاسيرهم[2] .

أولا : أثره فى الامام فخر الدين الرازى (٥٤٤ — ٦٠٦ هـ) :

حينما نتصفح تفسير الفخر الرازى ونقرأ فيه بضع ورقات — أو أكثر — فاننا نجد اسم الواحدى يتردد فيه بين سطوره ، وحينما نعاود القراءة فيه مرات ومرات : فاننا نلمس قدرا كبيرا من التعايش العلمى للفخر مع الواحدى ، ولو قدر لنا قراءة تفسير (مفاتيح الغيب) بأكمله . أو تصفح سائر مجلداته : فسنقف — بدون شك — على حقيقة مؤكدة ، وهى أن الواحدى يمثل مصدرا أساسيا من مصادر الفخر الرازى فى تفسيره .

ولقد وعى هذه الحقيقة من درس تفسير الفخر وكتب عنه ، فهذا هو الدكتور (العمارى) يثبت فى كتابه عن الامام الرازى ، أبا الحسن الواحدى ، واحدا من عمد مصادره ، ويقول فى هذا الصدد : (والرازى كثير النقل عن الواحدى بصورة واضحة ، وربما نص على بعض كتبه عند النقل عنه ، كما جاء فى تفسير سورة (الحديد) عند تفسير قوله تعالى[3] (... وكلا وعد الله الحسنى ...)[4] .

ولقد تتبعت الفخر الرازى فى سائر أجزاء تفسيره الكبير ، فوجدته ينقل عن الواحدى نقولا بالغة الكثرة وبصورة ملفتة ، وفى بعض الصفحات ربما يتردد اسم الواحدى مرتين وثلاثا أو أكثر[5] .

كما لاحظت — بطول الممارسة — أن الفخر الرازى ينقل فى مواضع عديدة عن الواحدى — دون أن ينص عليه كمصدر له — ويثبت من تفسير (البسيط) نصوصا مطولة ، وبالحرف الواحد ! ثم لقد تفحصت فيما ينقله الفخر عن الواحدى فوجدته يتنوع الى جوانب متعددة ، وقد رصدت أبرز هذه الجوانب فيما يلى :

١ — فى مجال أسباب النزول :

فى هذا الجانب نجد الفخر الرازى — فى أغلب مواضعه — لا ينص على مصدره المباشر فتارة يقول : مثلا (قال ابن عباس : ..)[6]

(١) توجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة بدار الكتب برقم (١٥٩ تفسير) ومصنفه هو الشيخ الفقيه اسماعيل بن محمد الحضرمى (ت : ٦٧٧ هـ) وترجمته بطبقات الشافعية للسبكى ١٣٠/٨

(٢) لم التزم فى ايراد هؤلاء المفسرين بالترتيب الزمنى وانما راعيت درجة التأثير فقدمت من اكثر من النقل عن الواحدى على غيره .

(٣) أورد الامام الرازى هذا النص فى تفسير قوله تعالى (.. أولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا ..) قبيل أن يشرع فى تفسير (وكلا وعد الله الحسنى) .

(٤) سورة الحديد/١٠

(٥) انظر تفسير الفخر الرازى عند تفسير قوله تعالى (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) من سورة الأنعام ٤/ ٤٠ — ٤١ ط الشرفية — وانظر صحيفتى ١٠٦ ، ٣٧٧ من نفس الجزء وكذا ص ٢٧١ .

(٦) انظر سبب نزول قوله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله ...) فى مفاتيح الغيب ٤٤/٢ وسبب نزول قوله تعالى (يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ..) ٧٦/٢

وتارة يقول (قال المفسرون : نزلت هذه الآية فى كذا ...)[1] .

بيد أنى وجدته فى مواضع من تفسيره يروى عن الواحدى فى سبب النزول ، فمن أمثلة ذلك :

(أ) عند تفسير قوله تعالى (... حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى ...)[2] يقول فى تفسيره :

(المسألة الثالثة : حكى الواحدى عن ابن عباس وقوم كثير من متأخرى المفسرين ومتقدميهم : أن هذه الآية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ...)[3] .

(ب) وعند تفسير قوله تعالى (ان المجرمين فى ضلال وسعر ...) الى قوله تعالى (... انا كل شىء خلقناه بقدر)[4] نجده يروى بسنده عن الواحدى سبب النزول فيقول :

(أكثر المفسرين اتفقوا على أنها نازلة فى القدرية ، روى الواحدى فى تفسيره قال :

(سمعت الشيخ رضى الدين المؤيد الطوسى ـ بنيسابور ـ قال : سمعت عبد الجبار قال : أخبرنا الواحدى قال)[5] :

أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج ، قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله الكعبى ، قال : حدثنا حمدان بن صالح الأشج ، حدثنا عبد العزيز بن أبى داود حدثنا سفيان الثورى ، عن زياد بن اسماعيل المخزومى ، عن محمد بن عباد ابن جعفر ، عن أبى هريرة قال :

(جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القدر ، فأنزل الله تعالى « ان المجرمين فى ضلال وسعر) الى قوله : (انا كل شىء خلقناه بقدر »)[6].

وهكذا يتضح أثر الواحدى فى الامام الرازى فى مجال ذكر أسباب النزول ، حيث نقل عنه بسنده المتصل اليه ، ثم أثبت اسناد الواحدى المتصل الى سيدنا أبى هريرة رضى الله عنه .

٢ ـ فى الجانب اللغوى ومعرفة الغريب :

اعتمد الفخر الرازى على تفسير الواحدى ـ فى هذا الجانب ـ اعتمادا رئيسيا ، فنجده يصدر عنه فى شتى المباحث اللغوية نقولا

---

(١) انظر سبب نزول قوله تعالى (وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ..) ٩٧/٥

(٢) سورة الأحقاف /١٥

(٣) انظر : (مفاتيح الغيب) للرازى ٤٨٨/٧ ، وانظر أسباب نزول القرآن للواحدى ص ٤٠١

(٤) سورة القمر /٤٧ ـ ٤٩

(٥) واضح أن فى السياق اضطرابا ـ لعله من الناسخ ـ فما بين المعقوفتين مؤخر من تقديم ، مع تكرار ذكر الواحدى ، حيث أن الفخر هو الذى سمع المؤيد الطوسى ـ معاصره ـ الذى سمع من عبد الجبار تلميذ الواحدى ولو اسقط ما بين المعقوفتين ـ وهو سند الفخر الى الواحدى ـ لاستقام المعنى وسلم النص من الخلط .

(٦) الفخر الرازى : مفاتيح الغيب ٧٨٣/٧ ط : الشرفية ، وانظر اسباب نزول القرآن للواحدى ص ٤٢٥ ، وانظر : صحيح مسلم بشرح النووى ٢٠٥/١٦

يتعذر استقصاؤها ، وسأجتزىء منها ببعض الأمثلة :

(أ) عند تفسير قوله تعالى (... والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ..)[1] يقول الفخر فى تفسيره : (قال الواحدى : الفلك : أصله من الدوران ، وكل مستدير فلك ، وفلك السماء : اسم لأطواق سبعة تجرى فيها النجوم ، وفلكت الجارية اذا استدار ثديها ، وفلكة المغزل من هذا ، والسفينة سميت فلكا ، لأنها تدور بالماء أسهل دوران . قال : والفلك واحد وجمع ، فاذا أريد به الواحد ذكر ، واذا أريد به الجمع : أنث (...)[2] قولهم : ناقة هجان ، ونوق هجان ، ودرع دلاص ، ودروع دلاص ، (...)[3] قال سيبويه : الفلك اذا أريد به الواحد : فضمة الفاء فيه بمنزلة ضمة باء برد ، وخاء خرج ، واذا أريد به الجمع : فضمة الفاء فيه بمنزلة ضمة الحاء من حمر ، والصاد من صفر ، فالضمتان وان اتفقتا فى اللفظ فهما مختلفتان فى المعنى)[4] .

(ب) وعند تفسير قوله تعالى (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس)[5] يقول الامام الرازى فى تفسيره : (القرآن : اسم لما بين الدفتين من كلام الله واختلفوا فى اشتقاقه ، فروى الواحدى — فى البسيط — عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، أن الشافعى رضى الله عنه كان يقول : ان القرآن اسم ، وليس بمهموز ولم يؤخذ من قرأت ولكنه اسم لكتاب الله مثل : التوراة والانجيل . قال : ويهمز قرأت ولا يهمز القرآن كما تقول : واذا قرأت القرآن . قال الواحدى : وقول الشافعى : انه اسم لكتاب الله ، يشبه انه ذهب الى أنه غير مشتق ، وذهب آخرون الى أنه مشتق ..)[6] .

(جـ) ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ...)[7] يقول الفخر الرازى فى تفسيره :

(المسألة السادسة : قوله (قدم صدق) فيه أقوال لأهل اللغة وأقوال للمفسرين . أما أقوال أهل اللغة : فقد نقل الواحدى — فى البسيط — منها وجوها :

قال الليث وأبو الهيثم : القدم السابقة ، والمعنى : انهم قد سبق لهم عند الله خير ، قال ذو الرمة :

وأنت امرؤ من أهل بيت ذؤابة
لهم قدم معروفة ومفاخر

وقال أحمد بن يحيى : القدم كل ما قدمت من خير .

---

(١) سورة البقرة ١٦٤

(٢) سقط فى النقل ههنا : قولهفى(البسيط): (ومثل الفلك من المجموع التى كسرت الاحاد عليها واللفظ فيهما واحد) وبقية الكلام متصل به .

(٣) سقط فى النقل قبل نص سيبوية قول الواحدى (وشمال للخليقة والطبع وجمعه شمال ، ومجىء الجمع على لفظ الواحدى مما يدل على قلة حفلهم بالفرق بينهما من طريق اللفظ وانهماعتمدوا فى الفرق على . دلالةالحال ومتقدمالكلام ومتأخره وقال سيبويه ..) انظر البسيط ٣٥٤/١

(٤) الفخر الرازى : مفاتيح الغيب ٦٥/٢

(٥) سورة البقرة/١٨٥

(٦) انظر : (مفاتيح الغيب) للرازى ١٢٢/٢ ، وانظر (البسيط) للواحدى ٣٩٧/١ — ٣٩٨

(٧) سورة (يونس)/٢

وقال ابن الانبارى : القدم : كناية عن العمل الذى يتقدم فيه ولا يقع فيه تأخير ولا ابطاء ...)[1] ويتضح من هذا النص أن الفخر الرازى يعتمد على الواحدى ــ كما صرح بذلك ــ فى نقل أقوال أهل اللغة .

(د) ومن ذلك أيضا ما ذكره الفخر عند تفسير قوله تعالى (وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم)[2] ، اذ نجده يعتمد على الواحدى فى بيان المدلول اللغوى والتفسير أيضا فيقول : (المسألة الأولى : قال الواحدى رحمه الله : الخزائن جمع الخزانة ، وهى : اسم المكان الذى يخزن فيه الشىء ، أى : يحفظ ، والخزنة أيضا : عمل الخازن ، ويقال : خزن الشىء يخزنه اذا أحرزه فى خزانة ، وعامة المفسرين على أن المراد بقوله (وان من شىء الا عندنا خزائنه) : هو المطر ، وذلك لأنه هو السبب للأرزاق ، ولمعايش بنى آدم وغيرهم من الطيور والوحوش ، فلما ذكر تعالى أنه يعطيهم المعايش بين أن خزائن المطر الذى هو سبب المعايش عنده ، أى فى أمره وحكمه وتدبيره)[3] .

وهكذا يفيد الامام الرازى من تفسير الواحدى فى بيان المدلول اللغوى ، وفى الوجه التفسيرى الذى تتكشف به المناسبة بين الآيتين .

(هـ) وكذلك عند تفسير قوله تعالى :

(ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء ..)[4] نجد الفخر الرازى يأخذ نقوله عن أئمة اللغة من (البسيط) وينص على رواية الواحدى عنهم باسناده فيقول (المسألة الثانية : روى الواحدى باسناده عن الزجاج أنه قال (تبيانا) فى معنى اسم البيان ، ومثل التبيان التلقاء ، وروى ثعلب عن الكوفيين ، والمبرد عن البصريين[5] : أنهم قالوا : لم يأت من المصادر على تفعال الا حرفان : تبيان وتلقاء واذا تركت هذين اللفظين استوى لك القياس ، فقلت فى كل مصدر : تفعال ــ بفتح التاء مثل : تسيار ، وتذكار ، وتكرار ، وقلت فى كل اسم : تفعال ــ بكسر التاء ــ مثل : تقصار ، وتمثال)[6] .

(و) ونجد الامام الفخر أيضا عند تفسير قوله تعالى (.. ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين)[7] ينقل عن الواحدى خلاصة كلام أهل اللغة فى معنى (اثارة) فيقول : ــ

(قال الواحدى : فكلام أهل اللغة فى تفسير هذا الحرف يدور على ثلاثة أقوال :

الأول : البقية ، واشتقاقها من أثرت الشىء ، أثيره أثارة ، كأنها بقية تستخرج فتثار ، والثانى : من الأثر الذى هو الرواية . والثالث : هو الأثر بمعنى العلامة)[8] .

---

(١) الفخر الرازى : مفاتيح الغيب ٥٢٩/٤ وانظر البسيط للواحدى ٣/٤
(٢) سورة الحجر / ٢١
(٣) الفخر الرازى : مفاتيح الغيب ٣٦٤/٥ ، وانظر النص فى البسيط ٤٣٧/٤

(٤) سورة النحل / ٨٩
(٥) اخذ الفخر عن الواحدى ايضا روايتيه عن ثعلب والمبرد ، وهما باسناده المتصل أيضا انظر البسيط ٥٣٣/٤
(٦) الفخر الرازى : مفاتيح الغيب ٣٤٤/٥ ، وانظر النص بكماله فى البسيط ٥٣٣/٤
(٧) سورة الأحقاف / ٤
(٨) انظر مفاتيح الغيب للرازى ٤٧٦/٧

اصدار الفخر الرازى عن الواحدى فى اللغة دون عزو أقواله اليه :

من أقوى البينات على تغلغل تأثير المفسر فى غيره من المفسرين أن ينقل عنه دون نص على نسبة أقواله اليه ، فذلك دليل على شدة التمازج الذى لا يحد بالحدود الظاهرة ، وشاهد على سريان المادة العلمية ، بغزارة وعلى نطاق غير مرئى من المصدر المؤثر الى مصبه فى نتاج غيره من المفسرين •

وقد وجدت — وأنا بصدد التعرف على مبلغ تأثر الفخر بالواحدى — أنه ينقل عنه كثيرا من النصوص من تفسيره البسيط — وخاصة فى مجال البحث اللغوى — دون أن يعزوها اليه ، وقد حرصت بادىء ذى بدء على التثبت من مطابقة النص المنقول لأصله المنقول عنه ، ووضعت فى اعتبارى عامل توارد الخواطر العلمية ، بيد أن منطق التثبت لا يقبل بسهولة أن يتوارد فى خاطرى عالمين نص علمي يتجاوز — فى البسيط — عشرة أسطر ويشتمل على عشرات الجمل ويتضمن بضعه شواهد من الشعر ، ثم يأتى الترتيب والنسق واحدا وبالحرف الواحد • اللهم شطر بيت معروف من الشعر أكمله الفخر الرازى فى تفسيره ، وتصدير الواحدى نصه بقوله (اعلم أن •••) •

وسأعرض لهذا النص — كمثال — فى كل من (البسيط) للواحدى و (مفاتيح الغيب) للرازى ، تأكيدا لما ذهبت اليه ، وابرازا لاثر الواحدى فى الفخر رأى العين :

فعند تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام •••)[1] يقول الواحدى فى البسيط : (الصيام مصدر صام ، كالقيام • وأصله فى اللغة : الامساك عن الشىء والترك له • ومنه قيل للصمت صوم ، لأنه امساك عن الكلام ، قال الله تعالى (انى نذرت للرحمن صوما)[2] وصام النهار اذا اعتدل ، وقام قائم الظهيرة ، قال امرؤ القيس :

فدعها وسل الهم عنك بحسرة
ذمول اذا صام النهار وهجرا

وقال آخر : حتى اذا صام النهار واعتدل •

وصامت الريح اذا ركدت ، وصام الفرس : اذا قام على غير اعتلاف • ومنه قول النابغة :

خيل صيام وخيل غير صائمة

ويقال : بكرة صائمة : اذا قامت فلم تدر،قال الراجز: (والبكرات شرهن الصائمة)، ومصام الشمس حيث تستوى فى منتصف النهار ، وكذلك مصام النجم ، وروى فى شعر امرىء القيس :

كأن نجوما علقت فى مصامها
بأمراس كتان الى صم جندل

هذا هو الأصل فى اللغة ، وفى الشريعة هو ••••)[3] •

ويقول الامام الرازى فى تفسيره عند تفسير نفس الآية الكريمة :

---

(١) سورة البقرة / ١٨٣

(٢) سورة مريم / ٢٦
(٣) الواحدى : البسيط ٣٨٩/١

(أعلم أن الصيام مصدر صام كالقيام ، وأصله فى اللغة ، الامساك عن الشىء والترك له • ومنه قيل للصمت صوم لأنه امساك عن الكلام ، قال الله تعالى : (انى نذرت للرحمن صوما) وصام النهار اذا اعتدل ، وقام قائم الظهيرة ، قال امرؤ القيس :

فدعها وسل الهم عنك بحسرة
ذمول اذا صام النهار وهجرا

وقال آخر : حتى اذا صام النهار واعتدل ••••

وصامت الريح اذا ركدت ، وصام الفرس : اذا قام على غير اعتلاف • وقال النابغة :

خيل صيام وخيل غير صائمة
تحت العجاج وأخرى تعلج اللجما

ويقال : بكرة صائمة اذا قامت فلم تدر ، قال الراجز (والبكرات شرهن الصائمة) ومصام الشمس : حيث تستوى فى منتصف النهار ، وكذلك مصام النجم ، قال امرؤ القيس :

كأن الثريا علقت فى مصامها
بأمراس كتان الى صم جندل

هذا هو معنى الصوم فى اللغة ، وفى الشريعة هو •••)[1] •

هكذا النص فى تفسيرى الواحدى والرازى ، ترتيب حرف للنصوص والجمل ولا تغيير يذكر الا باكمال بيت من الشعر وابدال كلمة من آخر • ثم يبقى النص برمته وبترتيب جمله وفقراته كما هو فى البسيط ، وهذا مثال آخر ، يصدر فيه الفخر عن الواحدى — فى الجانب اللغوى — دون أن يصرح بالاصدار عنه : يقول الفخر فى تفسيره، عند تفسير قوله تعالى (•••• والله سريع الحساب)[2] :

المسألة الأولى : (سريعٌ) فاعل من السرعة ، قال ابن السكيت : سرع يسرع سرعا وسرعة فهو سريع •

و « الحساب » : مصدر ، كالمحاسبة ، ومعنى الحساب فى اللغة : العد ، يقال : حسب يحسب حسابا وحسبة ، وحسبا ، اذا عد ، ذكره الليث وابن السكيت ، والحسب : ماعد ، ومنه حسب الرجل ، وهو ما يعد من مآثره ومفاخره ، والاحتساب : الاعتداد بالشىء وقال الزجاج : الحساب فى اللغة مأخوذ من قولهم : حسبك كذا ، أى كفاك ، فسمى الحساب فى المعاملات حسابا ، لأنه يعلم به ما فيه كفاية ، وليس فيه زيادة على المقدار ولا نقصان[3] •

لننظر الى تفسير (البسيط) للواحدى فى هذا الموضع فنجده يقول : («سريع» : فاعل من السرعة ، قال ابن السكيت : يقال سرع يسرع سرعا وسرعة فهو سريع ، و « الحساب » : مصدر كالمحاسبة — وربما سمى المحسوب حسابا — ومعنى الحساب فى اللغة : العد ، يقال : حسب يحسب حسابا وحسابة ، وحسبة وحسبا اذا عد ، فذكره الليث وابن السكيت وأنشد قول النابغة

---

(1) الفخر الرازى : مفاتيح الغيب : ٢/ ١١٢ — ١١٣

(٢) سورة البقرة / ٢٠٢
(٣) الفخر الرازى : مفاتيح الغيب ٢/١٨١

(وأسرعت حسبة فى ذلك العدد)[1] وقول آخر (يا جمل أسقاك بلا حسابه)[2] والحسب ماعد ، ومنه حسب الرجل ، وهو ما يعد من مآثره ومفاخره ، والاحتساب : الاعتداد بالشىء • وقال الزجاج : الحساب فى اللغة مأخوذ من قولهم : حسبك كذا ، أى كفاك • فسمى الحساب فى المعاملات حسابا ، لأنه يعلم به ما فيه كفاية ، وليس فيه زيادة على المقدار ولا نقصان)[3] •

من مطالعة النصين يتضح — دون أدنى توقف أو تردد — أن الامام الرازى قد اعتمد على ما فى البسيط — كلية — ونقله فى تفسيره باستثناء شطرى الشعر والرجز ، وبقية النقول والفقرات منقولة حرفيا عن (البسيط) مرتبة وبدون أدنى تصرف •

ونظائر هذا الإصدار — الذى لم ينص فيه على الواحدى كمصدر — كثير فى تفسير الامام الرازى •

٣ — فى مباحث النحو والاعراب :

وقد أفاد الفخر الرازى فى تفسيره أيضا من تفسير الواحدى فى مباحث النحو والاعراب وأصدر عنه كثيرا من النقول • ونص على اصدارها عنه فى مواضع شتى من تفسيره • وهذه بعض الأمثلة لذلك :

(أ) عند تفسير قوله تعالى (وهذا صراط ربك مستقيما •••)[4] يقول الفخر فى تفسيره : (المسألة الثانية : قال الواحدى : انتصب (مستقيما) على الحال ، والعامل فيه : معنى هذا ، وذلك لأن (ذا) يتضمن معنى الاشارة كقولك : هذا زيد قائما ، معناه : أشير اليه فى حال قيامه ، واذا كان العامل فى الحال معنى الفعل لم يجز تقديم الحال عليه ، لا يجوز : قائما هذا زيد ، ويجوز : ضاحكا جاء زيد)[5] •

(ب) ومن ذلك أيضا : عند تفسير قوله تعالى (وقال اركبوا فيهـا ••)[6] يقول الفخر فى تفسيره : (قال الواحدى : ولفظة (فى) فى قوله : (اركبوا فيها) لا يجوز أن تكون من صلة الركوب ، لأنه يقال : ركبت السفينة ولا يقال : ركبت فى السفينة ، بل الوجه أن يقال : مفعول (اركبوا) محذوف ، والتقدير : اركبوا الماء فى السفينة ، وأيضا : يجوز أن يكون فائدة هذه الزيادة : انه أمرهم أن يكونوا فى جوف الفلك لا على ظهرها ، فلو قال : اركبوها لتوهموا أنه أمرهم أن يكونوا على ظهر السفينة)[7] •

(جـ) ومن ذلك أيضا : ما ذكره الامام الرازى فى تفسيره ، عند تفسير قوله تعالى (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك •••)[8] اذ يقول :

المسألة الأولى : قال الواحدى : (من) فى محل الرفع من وجوه :

---

(١) صدر هذا البيت كما فى لسان العرب (٣٠٤/١) (فكملت مائة فيها حمامتها) .
(٢) انشده ابن الاعرابى لمنظور بن مرثد الأسدى ، وبعده قوله (سقيا مليك حسن الربابة) المرجع السابق .
(٣) الواحدى : البسيط ٤٣٤/١ — ٤٣٥

(٤) سورة الأنعام / ١٢٦
(٥) الفخر الرازى : مفاتيح الغيب ١٤٨/٤
(٦) سورة هود / ٤١
(٧) الفخر الرازى : مفاتيح الغيب ٥٩/٥، وانظر : البسيط للواحدى ١١٢/٤ — ١١٣
(٨) سورة هود / ١١٢

الأول : أن يكون عطفا على الضمير المستتر فى قوله (فاستقم) (واغنى الوصل بالجار عن تأكيده بضمير المتصل ، فى صحة العطف)[1] ، أى : فاستقم أنت وهم .

والثانى : أن يكون عطفا على الضمير فى (أمرت) .

والثالث : أن يكون ابتداء ، على تقدير : ومن تاب معك فليستقم)[2] .

وهكذا يظهر جليا سريان الاثر النحوى للواحدى فى تفسير الامام الرازى ، حيث نجده يصدر النقل عنه — غالبا — فى صدر المبحث ويجعله رأس مسألة فى تفسيره . ونظير هذه الامثلة كثير وكثير .

٤ — فى مجال الاحتجاج للقراءات :

وفى هذا المضمار أيضا : أفاد الفخر الرازى من تفسير الواحدى عظيم الفائدة ، مواطن شتى من تفسيره ، ومن أمثلة ذلك : اذ نقل عن الواحدى احتجاجه للقراءات فى

(أ) عند تفسير قوله تعالى (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب)[3] ، يقول الامام الرازى :

المسألة الثالثة : قرأ حمزة وحفص عن عاصم (ليس البر) بنصب الراء — والباقون بالرفع . قال الواحدى : — وكلا القراءتين حسن ، لأن اسم ليس وخبرها اجتمعا فى التعريف ، فاستويا فى كون كل واحد منهما اسما والآخر خبرا . وحجة من رفع البر : أن اسم ليس مشبه بالفاعل ، وخبرها بالمفعول والفاعل بأن يلى الفعل أولى من المفعول . ومن نصب البر : ذهب الى أن بعض النحويين قال (أن) مع صلتها أولى أن تكون اسم ليس ، لشبهها بالمضمر فى أنها لا توصف كما لايوصف المضمر ، فكأن ههنا : اجتمع مضمر ومظهر ، والأولى : اذا اجتمعا أن يكون المضمر الاسم ، من حيث كان أذهب فى الاختصاص من المظهر، وعلى هذا قرىء فى التنزيل قوله (فكان عاقبتهما انهما فى النار ..)[4] وقوله (فما كان جواب قومه الا أن قالوا ...)[5] ، و (ما كان حجتهم الا أن قالوا ....)[6] .

والاختيار : رفع (البر) ، لأنه روى عن ابن مسعود انه قرأ (ليس البر بأن ...) والباء تدخل فى خبر ليس[7] .

(ب) وعند تفسير قوله تعالى (والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ..)[8] يقول الامام الرازى فى تفسيره :

(المسألة الأولى : قرأ أبو عمرو ، وحمزة : (والصافات صفا) بادغام التاء فيما يليه ، وكذلك فى قوله (فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا) والباقون بالاظهار .

وقال الواحدى رحمه الله تعالى : اد غام التاء فى الصاد حسن ، لمقاربة الحرفين ،

---

(١) ما بين المعطوفتين زيادة على ما فى نسخة البسيط .
(٢) الفخر الرازى : مفاتيح الغيب ٩٦/٥؛ وانظر البسيط ١٨٠/٤ .
(٣) سورة البقرة / ١٧٧
(٤) سورة الحشر / ١٧
(٥) سورة النمل / ٥٦
(٦) سورة الجاثية / ٢٥
(٧) انظر مفاتيح الغيب ٩٤/٢ — ٩٥ ، وانظر النص كاملا فى البسيط ٣٧٤/١
(٨) سورة الصافات / ١ — ٣

ألا ترى أنهما من طرف اللسان وأصول الثنايا، يسمعان فى الهمس ، والمدغم فيه يزيد على المدغم بالأطباق والصفير ، وادغام الأنقص فى الأزيد حسن • ولا يجوز أن يدغم الأزيد صوتا فى الانقص • وأيضا : ادغام التاء فى الزاى فى قوله (فالزاجرات زجرا) حسن ، لأن التاء مهموسة ، والزاى مجهورة وفيهـا زيادة صفيركما كان فى الصاد • وأيضا : حسن ادغام التاء فى الذال فى قوله (فالتاليات ذكرا) لاتفاقهما فى أنهما من طرف اللسان وأصول الثنايا وأما من قرأ بالاظهار وترك الادغام فذلك لاختلاف المخارج • والله أعلم)[١] •

من هذين النصـين اللذين أوردتهما ـ كمثالين ـ يتضح اعتماد الفخر على الواحدى فى الاحتجاج للقراءات باللغة والنحو •

٥ ـ فى عرض الأحكام الفقهية :

تأثر الامام الرازى ـ فى تفسـيره ـ بالواحدى كثيرا فى تناول الاحكام الفقهيـة وعرضها فى مواضـعها عنـد تفسـير آيات الأحـكام • وقد وجـدت الفخـر ينص على اصداره عن الواحدى فى بعض هذه المواضع ، بينما ينقل عنه من تفسيره فى مواضع أخرى دون أن يشير اليه كمصدر له • فمن أمثلة ما نص فيه على أخذه عن الواحدى :

(أ) ما ذكره عند تفسير قوله تعـالى (واذكروا الله فى أيام معدودات •••)[٢] حيث قال فى تفسيره : (قال الواحدى رحمة الله عليه[٣] : أيام التشريق هى ثلاثة أيام بعد يوم النحر : أولها : يوم النفر ، وهو اليوم الحادى عشر من ذى الحجة ، ينفر[٤] الناس فيه بمنى •

والثانى : يوم النفر الأول ، لأن بعض الناس ينفرون فى هذا اليوم من منى •

والثالث[٥] : يوم النفر الثانى • وهذه ايام الثلاثة مع يوم النحر كلها أيام النحر • وأيام رمى الجمار ، فى هذه[٦] الأيام الأربعة مع يوم عرفة: أيام التكبير أدبار الصلوات)[٧]

(ب) ونجد الفخر الرازى عند تفسيره لقوله تعالى (والوالدات يرضـعن أولادهن حولين كاملين •••)[٨] ينقل عن الواحدى ـ من البسـيط ـ ما ذهب اليـه فى تفسـير (الوالدات) ويصدر عنه بعض الآراء الفقهية التى تبرز فيهـا شخصية الواحدى العلميـة ومكانته الفقهية بشكل ملموس • فيقول :

(القول الثـالث : قال الواحـدى فى البسيط :

الأولى أن يحمل على الزوجات فى حال

---

(١) الفخر الرازى : مفاتيح الغيب ٧/ ١١٨ وانظر البسيط ١٣٧/٧
(٢) سورة البقرة / ٢٠٣

(٣) أول كلام الواحدى فى هذه النقطـة ـ فى البسيط ـ (واكثر العلماء على ما ذكرنا ، وهو أن الأيام المعدودات : أيام التشريق وهى ثلاثة أيام بعد النحر .. الخ) انظر البسـيط ٤٣٦/١
(٤) فى البسيط (يستقر الناس) .
(٥) فى البسيط : (والثالث : يوم الثالث عشر وهو يوم النفر الثانى) .
(٦) فى البسيط : (وهى الأيام الأربعة) .
(٧) الفخر الرازى : مفاتيح الغيب ٢/ ١٨٢ ، انظر البسيط ٤٣٦/١
(٨) سورة البقرة ٢٣٣ .

بقاء النكاح ، لأن المطلقة لا تستحق الكسوة ، وانما تستحق الاجرة .

فان قيل : اذا كانت الزوجية باقية فهى مستحقة النفقة والكسوة بسبب النكاح سواء أرضعت الولد أو لم ترضع . فما وجه تعليق هذا الاستحقاق بالارضاع ؟؟

قلنا : النفقة والكسوة يجبان فى مقابلة التمكين ، واذا اشتغلت بالحضانة والارضاع لم تتفرغ لخدمة الزوج ، فربما توهم متوهم أن نفقتها وكسوتها تسقط بالخلل الواقع فى خدمة الزوج ، فقطع الله ذلك الوهم بايجاب الرزق والكسوة وان اشتغلت المرأة بالارضاع. هذا كلام كله كلام الواحدى رحمه الله)[1].

وهكذا يظهر الاثر الفقهى للواحدى فى تفسير الفخر الرازى منسوب اليه فى أول النص وفى خاتمته حيث أكد الامام نسبته اليه بقوله (هذا كله كلام الواحدى رحمه الله) ونظائر هذا النقل كثير ، فى تفسير الامام الرازى ومنصوص على نسبته الى الواحدى

وثمة نقول أخرى اخذها الفخر من تفسير (البسيط) للواحدى — فى مجال المباحث الفقهية — دون أن ينص على نسبتها اليه من أمثلة ذلك : ماذكره عند تفسير قوله تعالى (فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى)[2] يقول الامام الفخر :

(المسألة الاولى : معنى التمتع التلذذ ، يقال : تمتع بالشىء ، اى : تلذذ به ، المتاع : كل شىء يتمتع به واصله من قولهم : حبل ماتع ، اى طويل ، وكل من طالت صحبته مع الشىء : فهومتمتع به والتمتع بالعمرة الى الحج هوان يقدم مكة ، فيعتمر فى اشهر الحج ،ثم يقيم بمكة حلالا ينشىء منها الحج فيحج من عامة ذلك . وانما سمى متمتعا ! لانه يكون مستمتعا بمحظورات الاحرام فيما بين تحلله من العمرة الى احرامه بالحج .

المسألة الثانية : قوله تعالى (فمن تمتع بالعمرة) اى : من يتمتع بسبب العمرة فكأنه لايتمتع بالعمرة، ولكنه يتمتع بمحظورات الاحرام بسبب اتيانه بالعمرة . وهذا هو معنى التمتع بالعمرة الى الحج)[3] ويقول الواحدى : فى نفس الموضع من تفسيره (البسيط) : — (معنى التمتع : التلذذ ، يقال : تمتع بالشىء أى : اصاب منه وتلذذ به ، والمتاع : كل شىء يتمتع به وينتفع به ، واصله من قولهم : حبل ماتع ، أى طويل ، وكل من طالت صحبته مع الشىء فهو متمتع به .

والتمتع بالعمرة الى الحج هو ان يقدم مكة محرما فيعتمر فى أشهر الحج ثم يقيم حلالا بمكة حتى ينشىء منها الحج فيحج من عامه ذلك، ويكون متمتعا بمحظورات الاحرام ، لانه حل بالعمرة الى احرامه بالحج ومعنى قوله (بالعمرة): أى بسبب العمرة لانه لا يتمتع بالعمرة ، ولكنه يتمتع بمحظورات الاحرام بسبب العمرة حيث أتى بها . هذا معنى التمتع بالعمرة الى الحج)[4] .

لاشك أن كل كلمة فى نص تفسير الرازى — الذى امامنا — تنادى بأصلها فى تفسير (البسيط) ، وتحمل بصمات الواحدى فى

---

(1) الفخر الرازى : مفاتيح الغيب ٢/ ٢٥٨ — ٢٥٩ ، والبسيط ١/٤٩٨
(2) سورة البقرة / ١٩٦
(3) الفخر الرازى : مفاتيح الغيب ١٥٩/٢
(4) الواحدى : البسيط ٤٢١/١ — ٤٢٢

مجال تفسير آيات الاحكام • ولو شئت لأوردت الكثير من هذه النقول التى نقلها الفخر عن الواحدى فى هذا المضمار ، مانص على نسبته اليه ومالم ينص ، ولكنى اكتفى بمجرد التدليل الذى يحمل اليقين ويغنى عن التطويل •

٦ ـ فى الجانب الكلامى :

ولقد افاد الامام فخر الدين الرازى ـ وهو الفارس المغوار فى علم الكلام ـ من المواقف الكلامية فى تفسير الواحدى ، فأصدر عنه فىتفسيره بما يؤكد أولا ـ مكانةالواحدى كعلم من اعلا مالمذهب الاشعرى ، وما يعزز ـ ثانيا ـ تأثيره فيهكمفسر ، ومنزاوية هى عين ماتبوأ فيه الفخر زعامة المفسرين • وهذه بعض الشواهد التى تنطق بذلك •

(أ) فنجد الامام الرازى يصدر عن الواحدى كلاميا ـ عند تفسير قوله تعالى:ـ

(ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون)[١] يقول الامام الفخر : واما المعتزلة : فقد احتجوا على صحة قولهم بقوله تعالى (ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون) •

وجه الاستدلال : بأنه يدل على أنه تعالى ما الجأ احدا الى هذه القبائح والمنكرات ولكنهم باختيار انفسهم يقدمون عليها ويباشرونها •

أجاب الواحدى عنه فقال : انه تعالى انما نفى الظلم عن نفسه ، لانه يتصرف فى ملك نفسه ، ومن كان كذلك لم يكن ظالما ، وانما قال « ولكن الناس أنفسهم يظلمون » ، لأن الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب[٢] •

(ب) وعند تفسير قوله تعالى (أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله[٣] ••) يقول الفخر فى خاتمة تفسيرها : (•• قال الواحدى : وليس يبقى للقدرية مع هذه الآية عذر ولا حيلة ، لان الله تعالى صرح بمنعه اياهم عن الهدى ، حين خبر انه ختم على سمع هذا الكافر وقلبه وبصره•••[٤]) ثم أحال الفخر بحث موضوع الختم على ما سبق فى تفسير (البقرة) وقد قدمنا ما قاله الواحدى ثم فى موضعه من البحث ووقفنا علىمعالجته له •

(ج) عند تفسير قوله تعالى (فألهمها فجورها وتقواها[٥]) قال الفخر فى تفسيره

ك أما قوله تعالى : (فالهمها فجورها وتقواها) : فالمعنى المحصل فيه وجهان : ـ

الاول : ان الهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما وأن احدهما حسن والاخر قبيح وتمكينه اختيار ما شاء منهما وهو قوله : (وهديناه النجدين[٦]) • وهذا التأويلمطابق لمذهب المعتزلة ، قالوا : ويدل عليه قوله بعد ذلك (قد أفلح من زكاها وقد خابمن دساها) وهذا الوجه مروى عن ابن عباس وعن جمع من أكابر المفسرين •

---

(١) سورة يونس / ٤٤

(٢) الفخر الرازى : مفاتيح الغيب ٤/ ٥٧٨ وانظر (البسيط) للواحدى ٣١/٤
(٣) سورة الجاثية ٢٣ .
(٤) الفخر الرازى : مفاتيح الغيب ٧/٤٧٠.
(٥) سورة الشمس / ٨
(٦) سورة البلد / ١٠

والوجه الثانى أنه تعالى ألهم المؤمن التقى تقواه وألهم الكافر فجوره ، قال سعيد ابن جبير : الزمها فجورها وتقواها • وقال ابن زيد : جعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها بالفجور

واختار الزجاج والواحدى ذلك •

قال الواحدى : التعليم والتعريف والتبيين غير ، والالهام غير ، فان الالهام هو: ان يوقع الله فى قلب العبد شيئا ، واذا أوقع فى قلبه شيئا فقد ألزمه اياه •

وأصل معنى الالهام : من قولهم ، لهم الشىء والتهمه اذا ابتلعه، والهمته ذلك الشىء: أى ابلعته • هذا هو الاصل •

ثم استعمل بعد ذلك فيما يقذفه الله فى قلب العبد ، لانه كالابلاع ، فالتفسير الموافق لهذا الاصل : قول ابن زيد ، وهو صريح فى أن الله تعالى خلق فى المؤمن تقواه وفى الكافر فجوره • وأما التمسك بقوله (قد افلح من زكاها) فضعيف ، لان المروى عن سعيد بن جبيروعطاءوعكرمةومقاتل والكلبى :ان المعنىقد أفلحت وسعدت نفس زكاها الله تعالى وأصلحها وطهرها • والمعنى : وفقها للطاعة • هذا آخر كلام الواحدى ، وهو تام[1] •

وهكذا يبرز أثر الواحدى المتكلم فى الفخر الرازى المتكلم أيضا ، وتتضح فيه معالم المنهج الكلامى للواحدى المرتكز على دعائم اللغة والاثر والرأى • وقد رأينا كيف راق كلام الواحدى فى نظر الفخر الرازى حتى عقب عليه بقوله (وهو تام) •

---

(١) الفخر الرازى : ٨/٤١٠ — ٤١١

٨ — فى عرض الوجوه التفسيرية والاراء النقدية :

وبالاضافة الى ما ذكرنا من جوانب التأثير التى أفادفيهاالفخر من الواحدى—هى جوانب تفصيلية تحليلية — فاننا نجد الفخر الرازى قد تأثر ايما تأثر بالواحدى فى نقل وجوه التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى ، فلقد كان تفسير الواحدى بحق نافذة واسعة أطل منها الفخر على عيون اقوال السلف والخلف فأفاد من الواحدى فى نقل أقاويلهم وآرائهم كما أفاد — فى الوقت نفسه — من رؤية الواحدى الخاصة وتعقبه لهذه الآراء بالنقد والترجيح وهذه بعض الشواهد التى تؤكد ذلك : —

(أ) عند تفسير قوله تعالى : (جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم[2] ••) يقول الامام الفخر فى تفسيره : المسألة الثالثة : فى قوله (ومن صلح) قولان :—

الاول : قال ابن عباس : يريد من صدق بما صدقوا به وان لم يعمل بمثل عملهم •

وقال الزجاج : بين تعالى أن الانساب لا تنفع اذا لم يحصل معها أعمال صالحة ، بل الاباء والازواج والذريات لا يدخلون الجنة الا بالاعمال الصالحة •

قال الواحدى : والصحيح ما قال ابن عباس[3] ، لان الله تعالى جعل من ثواب المطيع

---

(٢) سورة الرعد / ٢٣
(٣) ساق الواحدى فى تفسيره (البسيط) كلا من الرايين ووجهة فقال : (قال ابن عباس : (ومن صلح من آبائهم) يريد من صدق بما =

سروره بحضور أهله معه فى الجنة ، وذلك يدل على أنهم يدخلونها كرامة للمطيع الاتى بالأعمال الصالحة .. ولو دخلوها بالأعمال الصالحة لم يكن فى ذلك كرامة للمطيع ولا فائدة فى الوعد به ، اذ كل من كان مصلحا فى عمله فهو يدخل الجنة[1] .

(ب) وعند تفسير قوله تعلى (.. عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا[2]) نقل الفخر عن الواحدى اجماع المفسرين على تفسير المقام المحمود ، وأثبته فى صداره وجوهه التفسيرية فقال :

البحث الثانى : فى تفسير المقام المحمود أقوال : أنه الشفاعة ، قال الواحدى : أجمع المفسرون على أنه مقام الشفاعة ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى تفسير هذه الآية : هو المقام المحمود الذى أشفع فيه لأمتى[3] ..[4]) .

ثم نقل الفخر عن الواحدى — فى تفسير المقام المحمود — بعض آراء السلف التى تصدى لها الواحدى بالنقد اللاذع ، لانها تمثل — فى وجهة نظره — خطورة عظمى على ركن أصيل من عقيدة أهل السنة والجماعة ، فأثبت موقف الواحدى وعرض للادلة والحجج التى يقوم عليها نقده لهذا الوجه التفسيرى ، يقول الامام الرازى : —

القول الرابع : قال الواحدى : روى عن ابن مسعود انه قال : يقعد الله محمدا على العرش . وعن مجاهد انه قال : يجلسه معه على العرش .

ثم قال الواحدى : وهذاقول رذلموحش فظيع ، ونص الكتاب ينادى بفساد هذا التفسير ، ويدل عليه وجوه :

الأول : ان البعث ضد الاجلاس ،يقال: بعثت النازل والقاعد فانبعث ، ويقال : بعث الله الميت ، أى أقامه من قبره ، فتفسير البعث بالاجلاس : تفسير للضد بالضد ، وهو فاسد ..

والثانى : أنه تعالى قال : (مقاما محمودا) ولم يقل مقعدا ، والمقام موضع القيام لا موضع القعود .

والثالث : لو كان تعالى جالسا على العرش بحيث يجلس عنده محمدا — عليه الصلاة والسلام — لكان محدودا متناهيا ، ومن كان ذلك فهو محدث .

والرابع : يقال ان جلوسه مع الله على العرش ليس فيه كثير اعزاز ، لأن هؤلاء الجهال والحمقى يقولون فى كل أهل الجنة أنهم يزورون الله تعالى . وأنهم يجلسون معه ، وأنه تعالى يسألهم عن أحوالهم التى كانوا فيها فى الدنيا ، واذا كانت هذه الحالة حاصلة عندهم لكل المؤمنين لم يمكن لتخصيص محمد صلى الله عليه وسلم بها مزيد شرف ورتبة .

= صدقوا به وان لم يعمل مثل اعمالهم ، وقال أبو اسحق : اعلم ان الأسباب لا تنفع بغير اعمال صالحة . فعلى قول ابن عباس : معنى صلح : صدق وآمن ووحده وعلى ما ذكر ابو اسحق : معناه : صلح فى عمله . والصحيح ما قال ابن عباس ..) الخ .

(١) الفخر الرازى : مفاتيح الغيب ٥/ ٢٠٠ ، وانظر : البسيط للواحدى ٣٥٠/٤

(٢) سورة الاسراء / ٧٩

(٣) أخرجه ابن كثير عن الامام احمد باسناده الى ابى هريرة رضى الله عنه . انظر تفسير ابن كثير ١٠٨/٥ والمسند ٤٤١/٢

(٤) الفخر الرازى : مفاتيح الغيب ٤٣١/٥

والخامس : انه اذا قيل : السلطان بعث فلانا ، فهم منه : أنه أرسله الى قوم لاصلاح مهماتهم • ولا يفهم منه أنه أجلسه مع نفسه•

فثبت ان هذا القول كلام رذل سـاقط لا يميل اليه الا انسان قليل العقل عديم الدين والله أعلم[1] أ هـ •

وقد اكتفى الفخر الرازى بكلام الواحدى فلم يعلق عليه بكلمة واحدة ، وذلك مشعر بأنه يمثل وجهة نظره هو أيضا ، وما رأيت للواحدى موقفا نقديا هجوميا أعنف من هذا علما بأن الامام الالوسى له تعقيب عجيب على كـلام الواحدى فى تفسيره ، وعسى أن نوفق فى عرض وجهة نظره أيضا • والذى يهمنا هنا هو ادراك تأثر الفخر بالواحدى •

(جـ) ومن وجوه التفسير المأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم • التى نقلها الفخر الرازى عن الواحدى من تفسيره البسيط ، ونقل تعليق الواحدى عليها : ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير[2]) حيث قال : —

وقد روى أبو سخلة عن على بن أبى طالب رضى الله عنه — أن النبى صـلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال : « ما عفا الله عنه فهو أعز وأكرم من أن يعود اليه فى الآخرة ، وما عاقب عليه فى الدنيا فالله أكرم من أن يعيد العذاب عليه فى الآخرة»[3] •

رواه الواحدى فى (البسيط) وقال : — اذا كان كذلك : فهذه أرجى آية فى كتاب الله لأن الله تعالى جعل ذنوب المؤمنين صنفين : صنف كفره عنهم بالمصائب فى الدنيا ، وصنف عفا عنه فى الدنيا وهو كريم لا يرجع فى عفوه، وهذه سنة الله مع المؤمنين • وأما الكافر : فلأنه لا يجعل عليه عقوبة ذنبه حتى يوافى به يوم القيامة)[4] •

(د) ونجد الفخر الرازى يفيد من وجوه التأويل التى نص عليها الواحدى فى تفسيره ، والتى يحمل فيهـا النص القرآنى على غير ظاهره ، تجنبا للبس والاشكال •

من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (قل ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين[5]) حيث قال فى تفسيره : —

(•• أما القائلون بأنه لابد من التأويل : فقد ذكروا فيه وجوها : —

الأول : قال الواحدى : كثرت الوجوه فى تفسير هذه الآية ، والاقوى ان يقـال المعنى : ان كان للرحمن ولد فى زعمكم فأنا أول العابدين ، أى الموحدين لله ، المكذبين لقومكم باضافة الولد اليه[6] ••) •

وهذا التأويل الذى ذهب اليه الواحدى ورجحه على ما سواه : هو بحق أسلم وجوه التأويل التى ذهب اليها المفسرون ، والتى تباعد

(1) الفخر الرازى : مفاتيح الغيب ٥/ ٤٣١ — ٤٣٢
(2) سورة الشورى / ٣٠
(3) رواه ابن كثير فى تفسيره ١٩٥/٧ واخرجه عن الامام أحمد . أنظر المسند ٨٥/١

(4) الفخر الرازى : مفاتيح الغيب ٣٩٦/٧ وانظر : البسيط للواحدى ٣٠٦/٧ .
(5) الزخرف / ٨١
(6) الفخر الرازى : مفاتيح الغيب ٤١/٧
(7) الفخـر الرازى : مفـاتيح الغيب ٤٤١/٧

أكثرها عن ظاهر النص ولم يسلم من القدح، وقد أثبتها الفخر تالية لما ذهب اليه الواحدى .

ويؤخذ من تصديره لهذا الوجه الذى اختاره الواحدى على سائر الوجوه اختياره له على ما عداه وايثاره له بالتقديم ليكون مفاتحة بالوجه الامثل فى التأويل .

وهكذا يتضح لنا — بما لا مجال فيه للشك — أن الفخر الرازى قد أفاد من الواحدى فى شتى الجوانب التى طرقها فى تفسيره ، وأنه قد تأثر به تأثرا عميقا وجوهريا الى الحد الذى يمكننا من أن نقول : ان قدرا كبيرا من تفسير الواحدى قد دخل فى بناء تفسير الفخر الرازى ، وأن الواحدى يعتبر — بحق — أحد المصادر الرئيسية التى اعتمد عليها الفخر فى تفسيره .

ثانيا : أثره فى الامام الألوسى (ت : ١٢٧٠هـ) :

نهل شهاب الدين الألوسى — شأنه شأن أساطين المفسرين — من مختلف ينابيع التفسير والتأويل ، حتى أبرز لنا تفسيره الجامع الذى وقف به على القمة مع أفذاذ هذا العلم وفحوله. وقد كان من الطبيعى والمتوقع أن ينهل من نتاج الواحدى الذى حاز أستاذية عصره فى التفسير وأن يفيد من شتى الجوانب التى طرقها الواحدى فى تفسيره ، وقد قلبت النظر فى تفسير العلامة الألوسى فوجدته ينقل عنه فى مواضع متعددة ، ومن مختلف الجوانب وسأعرض لنماذج تصور مدى تأثير الواحدى فى هذا الامام المفسر : —

١ — فى مجال أسباب النزول : —

ليس بالغريب أن يعتمد الألوسى على الواحدى فى رواية أسباب نزول القرآن والافادة منها فى تفهم وجوه الخطاب ، وتوجيه المعنى فى ضوئها ، فالواحدى — كما مر بنا — هو صاحب أشهر تصنيف مستقل فى هذا المضمار ، وعليه اعتمدجل الأمة والمفسرين .

وقد وقفت فى تفسير (روح المعانى) على جملة من الشواهد التى تؤكد تأثر الألوسى بالواحدى فى هذا المجال ، فمن أمثلة ذلك : —

(أ) عند تفسير قوله تعالى : (أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت[١]) يقول الألوسى فى تفسيره : —

(الخطاب لجنس اليهود ، أو الموجودين فى زمانه صلى الله عليه وسلم على ما يشير اليه سبب النزول ، فقد ذكر الواحدى : أن الآية نزلت فى اليهود حين قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية ؟ [٢]) .

فلقد أفاد ذكر سبب النزول هنا فى تعيين المخاطب فى الآية الكريمة . واضاءة جانب من جوانب المعنى وتجسيده ، حيث جعل النص ردا على اليهود المعاصرين للنبى صلى الله عليه وسلم وتكذيبا صريحا لافترائهم على نبى الله يعقوب على نبينا وعليه الصلاة والسلام .

(ب) وعند تفسير قوله تعالى : (يسألونك عن الخمر والميسر[٣]) يقول الامام الالوسى :

---

(١) سورة البقرة / ١٣٣
(٢) الألوسى : روح المعانى ٣٩٠/١ ، وانظر للواحدى : البسيط ٣١٥/١ وأسباب النزول ص ٣٧
(٣) سورة البقرة / ٢١٩

قال الواحدى : نزلت فى عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل ، ونفر من الانصار أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: افتنا فى الخمر والميسر ، فانهما مذهبة للعقل ، ومسلبة للمال، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1] .

وههنا أفاد من سبب النزول فى الكشف عن بعض الشخصيات المخبر عنها بقوله تعالى (يسألونك ..) وأوضح مبررات السؤال .

(ج) كذلك نقل الألوسى عن الواحدى ماروى فى سبب نزول قوله تعالى: (ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن[2]) فقال فى صدر تفسيرها : (روى الواحدى وغيره عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا من غنى ، يقال له مرثد بن أبى مرثد ، حليفا لبنى هاشم الى مكة ، ليخرج أناسا من المسلمين بها أسرى ، فلما قدمها : سمعت به امرأة يقال لها عناق — وكانت خليلة له فى الجاهلية ، فلما أسلم : أعرض عنها فأتته ، فقالت : ويحك يا مرثد ، ألا تخلو ؟ فقال لها : ان الاسلام قد حال بينى وبينك وحرمه علينا ، ولكن ان شئت تزوجتك . فقالت : نعم . فقال : اذا رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أستأذنته فى ذلك ثم تزوجتك . فقالت له : أبى تتبرم ؟ ثم استعانت عليه فضربوه ضربا وجيعا ، ثم خلوا سبيله ، فلما قضى حاجته بمكة : انصرف الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم راجعا، وأعلمه الذى كان من أمره وأمر عناق، ومالقى بسببها فقال : يا رسول الله أيحل أن أتزوجها؟ وفى رواية — أنها تعجبنى ، فنزلت[3]) ..

---

(١) الألوسى : روح المعانى ١١/٢ أو انظر البسيط للواحدى ٤٦٤/١ وأسباب النزول /٦٤
(٢) سورة البقرة / ٢٢١
(٣) الألوسى : روح المعانى ١١٧/٢

(د) عند تفسير قوله تعالى : (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء[4]) الآية. ينقل الامام الالوسى عن الواحدى سبب نزولها فيقول فى تفسيره : —

(روى الواحدى عن ابن عباس وأنس ابن مالك : أنه لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة : وعد أمته ملك فارس والروم ، قالت المنافقون واليهود : هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم ، هم أعز وأمنع من ذلك . ألم يكف محمدا مكة والمدينة حتى يطمع فى ملك فارس والروم ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية[5] ..) .

(هـ) وعند تفسير قوله تعالى (خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين[6]) يروى الألوسى — فى تفسيره — عن الواحدى سبب نزول هذه الآية ونزول نظيرتها فى سورة (يس) وهو قوله تعالى (أو لم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين .) الى آخر السورة[7] فيقول: (وروى الواحدى أن أبى بن خلف أتى النبى صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقال : يا محمد أترى أن الله تعالى[8] يحيى هذا بعد ما قد رم ؟ فنزلت

وانظر : البسيط للواحدى ٤٧١/١ وأسباب النزول / ٦٧ وانظر روايات اخرى فى سبب نزول الآية ذكرها الواحدى فى أسباب النزول .
(٤) سورة (آل عمران) / ٢٦
(٥) الألوسى : روح المعانى ١١٢/٣ وانظر (الوسيط) للواحدى / ١٠٢ وأسباب النزول / ٩٣
(٦) سورة النحل / ٤
(٧) سورة يس / ٧٧ — ٨٣
(٨) فى أسباب النزول للواحدى (فقال يا محمد : أترى الله يحيى هذا بعد ما قد رم ؟) انظر ٢٨٤ .

نظير ما فى آخر (يس[1]) .. [2]) .

وهكذا يتضح — بجلاء — أن الواحدى كان أحد مصادر الامام الالوسى فى مجال أسباب النزول فى تفسيره وانه أفاد من الواحدى فى هذا الجانب الذى يعتمد على النقل والرواية ويلقى ضوءا كاشفا على مفاد النص القرآنى.

٢ — فى التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى : —

ونجد فى تفسير (روح المعانى) كثيرا من النقول المأثورة التى أصدرها الالوسى عن تفسير الواحدى وأفاد منها فى تشييد صرح المأثور فى تفسيره ، كما نجد الالوسى يثبت فى تفسيره أيضا : بعض الآراء والمواقف التى خاض بها الواحدى مجال التفسير بالرأى ، ويتخذ الالوسى — بدوره — منها موقفا ما . وأيا كانت طبيعة ذلك الموقف وحظه من التأييد أو المعارضة فان الدافع اليه — على أية حال — هو تأثير الواحدى الذى أحدث صدى علميا دوى فى آفاق (روح المعانى) وهذه بعض النماذج للنقول والاراء التى أصدرها الالوسى عن الواحدى .

(أ) عند تفسير قوله تعالى (هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء ، فسواهن سبع سموات[3]) يقول فى تفسيره : —

وقال بعض المحققين : اختلف المفسرون فى أن خلق السماء مقدم على خلق الأرض أم مؤخر ؟؟ نقل الامام الواحدى عن مقاتل : الأول . واختاره المحققون[4]) .

وأصدر الالوسى عن الواحدى نفس النقل عند تفسير قوله تعالى (تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى[5]) فقال : — ونقل الواحدى عن مقاتل أن خلق السموات مقدم واختاره كثير من المحققين لتقديم السموات على الأرض فى معظم الآيات[6] ومن النصين يؤخذ أن تفسير الواحدى كان حلقة الوصل للالوسى بمفسرى السلف كمقاتل .

(ب) وعند تفسير قوله تعالى : (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا[7]) عرض الامام الالوسى لموقف الواحدى من تفسير مجاهد للمقام المحمود — الذى سبق بيانه فيما نقله الفخر الرازى عن الواحدى — ثم اتخذ الالوسى من موقف الواحدى موقفا آخر يتضح فيما يلى . يقول الالوسى فى تفسيره :

وأخرج ابن جرير عن مجاهد : أنه قال : المقام المحمود أن يجلسه معه على عرشه ..) ثم يقول : (وتعقب الواحدى القول بأن المقام المحمود : أجلاسه صلى الله عليه وسلم معه عز وجل — على العرش بعد ذكر روايته عن ابن عباس — رضى الله تعالى عنهما — بأنه قول رذل ، موحش ، فظيع ، لا يصح مثله عن ابن عباس ، ونص الكتاب ينادى بفساده من وجوه : —

الأول : ان البعث ضد الاجلاس ، يقال: بعث الله تعالى الميت ، اذا أقامه من قبره ،

---

(١) بقية الرواية كما أوردها الواحدى فى سبب نزول آخر (يس) : (.. فقال نعم) ويبعثك ويدخلك النار) انظر أسباب نزول القرآن للواحدى : ص ٣٨٤ — ٣٨٥

(٢)) الألوسى : روح المعانى ٩٧/١٤ وانظر البسيط للواحدى ٤٧٠/٤ ، ١٣٣/٧ — ١٣٤

(٣) سورة البقرة / ٢٩

(٤) الألوسى : روح المعانى ٢١٦/١

(٥) سورة طه / ٤

(٦) الألوسى : روح المعانى ١٥٢/١٦

(٧) سورة الاسراء / ٧٩

وبعثت البارك والقاعد فانبعث ، فتفسيره به تفسير الضد بالضد .

الثانى : لو كان جالسا - سبحانه وتعالى - على العرش : لكان محدودا متناهيا فيكون محدثا . تعالى عن ذلك علوا كبيرا .

الثالث : انه سبحانه قال : (مقاما) ولم يقل مقعدا ، والمقام موضع القيام لا القعود

الرابع : ان الحمقى والجهال يقولون : ان أهل الجنة كلهم يجلسون معه تعالى ويسألهم عن أحوالهم الدنيوية ، فلا مزية له - صلى الله عليه وسلم - باجلاسه معه عز وجل .

الخامس : انه اذا قيل : بعث السلطان فلانا يفهم منه أنه أرسله الى قوم لا صلاح مهماتهم ، ولا يفهم منه أنه أجلسه مع نفسه انتهى[1] ..

ثم نجد الامام الالوسى لا يكتفى بعرض موقف الواحدى - كما فعل الفخر الرازى - وانما يقف موقف المدافع عن مجاهد فيقول : وأنت تعلم أنه لا ينبغى لمجاهد ولا لغيره أن يفسر المقام المحمود بالاجلاس على العرش - حسبما سمعت - من غير أن يثبت عنده ذلك الاجلاس فى خبر كخبر الديلمى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله سبحانه : (عسى أن يبعثك ..) الخ : يجلسنى معه على السرير . فان تمسك المفسر بهذا أو نحوه : لم يناظر الا بالطعن فى صحته ، وبعد اثبات الصحة لا مجال للمؤمن الا التسليم .

وما ذكره الواحدى : لا يستلزم عدم الصحة ، فكم وكم من حديث نصوا على صحته ويلزم من ظاهره المحال : كحديث أبى سعيد الخدرى المشتمل على رؤية المؤمنين الله عز وجل ثم اتيانه اياهم فى أدنى صورة من التى رأوه فيها ، وقوله تعالى لهم (أنا ربكم) وقولهم : نعوذ بالله منك ، حتى يكشف لهم عن ساق فيسجدون ، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها أول مرة . وهو فى الصحيحين[2] ..) .

ويعدد الالوسى نظير ذلك من الاحاديث المتشابهة ، ثم يعود لمناقشة الواحدى فيقول : ويرد على ما ذكره الواحدى - فى الوجه الثالث أن المقام - وان كان فى الأصل بمعنى محل القيام - الا أنه شاع فى مطلق المحل ويطلق على الرتبة والشرف .

وعلى ما ذكره فى الوجه الاول : انه ليس هناك الا تفسير المقام المحمود بالاجلاس ، لا تفسير البعث بالاجلاس . نعم فيه مسامحة والمراد : أن احلاله فى المحل المحمود هو اجلاسه على العرش ، وهذا المعنى يتأتى بابقاء البعث على معناه ، وتقدير : فيقيمك بمعنى فيحلك وبتفسيره بالاقامة بمعنى الاحلال ، وقد يقال : لا مسامحة ، والمراد من المقام : الرتبة ، والبعث متضمن معنى الاعطاء ، أى : عسى يعطيك ربك رتبة محمودة ، وهى اجلاسه اياك على عرشه باعثا .

وما ذكره فى الوجه الثانى : حق لو أريد من الجلوس على العرش ظاهره ، ان أريد معنى آخر : فلا نسلم اللازم ، وباب التأويل

---

(١) الالوسى : روح المعانى ١٤٢/١٥

(٢) انظر صحيح البخارى ١٥٨/٩ - ١٥٩ ط الشعب .

واسع . وقد أول الاجلاس معه : على رفع المحل والتشريف وهو مقول بالتشكيك . فمتى صح أن أهل الجنة كلهم يجلسون معه : آمنا به مع اثبات المزية لرسول صلى الله عليه وسلم . فاندفع ما ذكره فى الوجه الرابع .

ويرد على ما فى الوجه الخامس : أن الاجلاس معه لم يفهم من مجرد البعث ، وما ادعى أحد ذلك فيكون بعث السلطان فلانا: يفهم منه أنه أرسله الى قوم لاصلاح مهماتهم، ولا يفهم منه أنه أجلسه مع نفسه . لا يضرنا كما لا يخفى على منصف .

وبالجملة : فكل ما قيل أو يقال : لايصغى اليه ان صح التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن يبقى حينئذ أنه يلزم التعارض بين ظواهر الروايات[1] .

من الواضح البين : أن الواحدى قد أثار تلك القضية التى يمثل طرفيها : المأثور والرأى اذ أن الواحدى قد وجد فى تفسير مجاهد — ومثله ما روى عن الامام ابن عباس رضى الله عنهما — ما يوهم ظاهره التشبيه والتجسيم فاندفع بغيرته على عقيدته يدفع هذا القول ويستبعد صدوره عن ابن عباس بدليل قوله : (لا يصح مثله عن ابن عباس) وبالتأكيد لم يثبت ما يؤكد هذا التفسير من الحديث عند الواحدى ، فكان النقد منه لذات القول ، ولو صح عند الواحدى ما يؤيد هذا القول من الحديث لاورده . فكان رفض الواحدى لهذا التفسير سدا للذريعة وقطعا لأطماع المبتدعة عن التعلق به . بينما نجد الامام الالوسى قد تضافرت لديه الاثار والاحاديث التى تساند هذا التفسير وحيث أن الحمل على الظاهر منها محال فقد جنح الى التأويل .

وبعد هذا : لاشك أنه على الرغم مما بين الوجهتين من خلاف — يمكن أن يعتبر لفظيا — فان النتيجة التى نحصل عليها أن الواحدى باثارته لهذه القضية قد ترك فى تفسير الالوسى أثرا اجتهاديا يحمل وجهة نظره ويحمل على الافادة منه أو مما يخالفه .

وعلى أى الاحوال فلم يكن موقف الالوسى من الواحدى دوما على النقيض ، بل لقد أفاد منه الألوسى ، وأثبت تفسيره فى مواضع ووقف منها موقف الافادة والتأثر والقبول ومن ذلك :

(جـ) عند تفسير قوله تعالى : (لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد ..)[2] يقول الألوسى : وفسر الموصول بالمشركين من أهل مكة ، فقد ذكر الواحدى : انهم كانوا فى رخاء ولين من العيش وكانوا يتجرون وينعمون ، فقال بعض المؤمنين : ان أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد . فنزلت[3] ..

فالألوسى يذكر ما أثبته الواحدى من سبب النزول كتفسير للموصول فى الآية الكريمة

(د) وعند تفسير قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا[4] » نجد الالوسى ينقل عن الواحدى ما رواه بسنده عن ابن عباس — رضى الله عنهما — فى تفسيرها ، وقد نقل ذلك من مصدر وسيط ناقل بدوره عن الواحدى ، وهو (مجمع البيان) للطبرسى اذ يقول الالوسى : (وفى « مجمع البيان » عن الواحدى — بسنده الى الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس — قال : جاء جبريل — عليه السلام — الى النبى صلى

---

(١) الألوسى (روح المعانى) : ١٥/١٤٢ — ١٤٣

(٢) سورة آل عمران/١٩٦

(٣) الألوسى : روح المعانى ٤/١٧٢ وانظر أسباب النزول للواحدى ص ١٣٤

(٤) سورة الأحزاب : ٤١

الله تعالى عليه وسلم ــ فقال : يا محمد ، قل : سبحان الله والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، عدد ما علم ، وزنة ما علم ، وملء ما علم ، فانه من قالها : كتب له بهـا ست خصال : كتب من الذاكرين الله كثيرا وكان أفضل من ذكره بالليل والنهار ، وكن له غرسا فى الجنة ، وتحاتت عنه خطاياه كما تحات ورق الشجرة اليابسة ، وينظر الله تعالى اليه ، ومن نظر الله تعالى اليه لم يعذبه كذا رأيته فى مدونة فلا تغفل[1]) .

(هـ) وعند تفسير قوله تعالى : (ووصينا الانســان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شـهرا حتى اذا بلغ اشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن اشـكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى[2]) ينقل الالوسى عن الواحدى فى تفسيرها ما يؤكد نزولها فى سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه فيقول :

(ونقل عن الواحــدى : انه ــ أى الصديق ــ قــد صحب النبى صلى الله عليه وسلم ــ وهو ابن ثمان عشرة سنة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة ــ فى سفر للشام فى التجارة فنزل تحت شجرة سمرة[3] » وقال له الراهب : انه لم يستظل بها أحد بعد عيسى غيره صلى الله عليه وسلم ، فوقع فى قلبه تصديقه ، فلم يفارقه فى سفر ولا حضر ، فلما نبىء وهو ابن أربعين : آمن به وهو ابن ثمانية وثلاثين فلما بلغ الأربعين قال : « رب أوزعنى»[4] .. الخ) .

(١) الألوسى : روح المعانى ٤٢/٢٢

(٢) سورة الأحقاف/١٥

(٣) السمرة ــ بضم الميم ــ من شـجر الطلح ، وقيل ضرب من الشجر صغار الورق قصار الشوك (اللسان ٤٥/٦) .

(٤) الألوسى : روح المعانى : ١٩/٢٦

٣ ــ فى الاراء الكلامية :

وتأثر الالوسى ، بالواحــدى كذلك فى مواقفه وآرائه الكلامية ونقل بعضها فى تفسيره من ذلك ــ مثلا ــ ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : (والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون[5]) فقد نص الالوسى على رأى الواحدى فى حقيقة الايقان الذى هو مرادف الايمان[6] ــ أو ما يزيد عليه فى الرتبة ــ فقــال : (وذهب الواحدى وجماعة الى أنه ما يكون عن نظر واستدلال فلا يوصف به البديهى ، ولا علـم الله تعالى[7]) .

وعند تفسير قوله تعالى : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها[8] » نجد الالوسى يفيد مما ذكره الواحدى فى تأويل الوعيد ــ وقد مر بنا بيانه ــ ثم صرح بابتناء وجهته على ماذكره الواحــدى فيقــول : (والأصل فى هذا على ما قاله الواحدى : ان الله عز وجل يجوز ان يخلف الوعيد وان امتنع أن يخلف الوعد ، وبهذا وردت السنة ، ففى حديث أنس رضى الله عنــه « ان » النبى صلى الله عليه وسلم قال : من وعده الله على عمله ثوابا فهو منجــزه له ، ومن أوعده على عمله عقابا فهو بالخيار[9]) .

(٥) سورة البقرة/٤

(٦) نص الالوسى فى نفس الموضع على ان المغايرة بين الايمان بالمنزل والايمان بالآخــرة : لدفع التكرار او لكثرة غرائب متعلقات الاخرة .

(٧) الالوسى : روح المعانى ١٢٢/١

(٨) سورة النساء/٩٣

(٩) الألوسى : روح المعانى ١١٦/٥ وانظر الوسيط للواحدى ١٥٧ ــ ١٥٩ مخطوط أحمــد الثالث .

٢ ـ في المباحث اللغوية والنحوية :

ويتردد اسم الواحدى من حين لآخر فى تفسير الالوسى ، بصدد المعالجات اللغوية والنحوية ، التى برز الواحدى فيها ، وحفل بها تفسيره فصار مصدرا لجمهرة المفسرين ، فنجد الشهاب الالوسى ينقل عن الواحدى كثيرا من مسائل اللغة ووجوه الاعراب التى تبنى على أساسها الوجوه التفسيرية وهذه أمثلة لما أصدره الالوسى عن الواحدى فى هذا الصدد :

(أ) عند تفسير قوله تعالى : (ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل[١]) يقول الالوسى : (وأصل العدل ـ بفتح العين ـ ما يساوى الشىء قيمة وقدرا ـ وان لم يكن من جنسه ـ وبكسرها : المساوى فى الجنس والجرم ، ومن العرب من يكسر العين ، من معنى الفدية .

وذكر الواحدى : ان عدل الشىء ـ بالفتح والكسر ـ مثله ، وانشد قول كعب بن مالك :

صبرنا لا نرى لله عدلا
على ما نابنا متوكلينا[٢]

(ب) كما يعرض لرأى الواحدى فى اشتقاق (الميسر) عند تفسير قوله تعالى : (يسألونك عن الخمر والميسر[٣]) فيقول : (واشتقاقه : اما من اليسر ، لأنه أخذ المال بيسر ، وسهولة ، أو : من اليسار ، لأنه سلب له ، وقيل : من يسروا الشىء اذا اقتسموه وسمى المقامر يا سرا ، لأنه بسبب ذلك الفعل يجزىء لحم الجزور .

وقال الواحدى : من يسر الشىء اذا وجب ، والياسر : والواجب بسبب القدح[٤])

(جـ) وعند تناول لفظ (المحيض) من قوله تعالى : (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى[٥]) . يقول الالوسى: (وقيل : أنه هنا اسم مكان ، ونسب الى ابن عباس رضى الله عنهما وحكى الواحدى عن ابن السكيت : أنه اذا كان الفعل من ذوات الثلاثة ، نحو: كال يكيل ، وحاض يحيض : فاسم المكان منه مكسور والمصدر منه مفتوح[٦]) .

(د) وعند تفسير قوله تعالى : (وما قدروا الله حق قدره[٧]) يقول الالوسى : (وأصل القدر : معرفة المقدار بالسبر ، ثم استعمل فى معرفة الشىء على أتم الوجوه ، حتى صار حقيقة فيه . وقال الواحدى : يقال قدر الشىء اذا سبره وأراد أن يعلم مقداره يقدره ـ بالضم ـ قدرا[٨]) .

(هـ) وعند تفسير قوله تعالى : (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها[٩]) يقول : (وقال الواحدى : ان « نعمة » هنا : اسم اقيم مقام المصدر : يقال أنعم انعاما ونعمة كما يقال : انفقت انفاقا ونفقة . فالنعمة بمعنى الأنعام ، ولذا لم تجمع[١٠]) . ونظائر ذلك كثيرة فى تفسير الالوسى .

وهكذا يتضح لنا بجلاء مدى تأثير الواحدى فى الامام الالوسى وانتشار اثره العلمى فى شتى زوايا (روح المعانى) .

---

(١) سورة البقرة/١٤٨ .
(٢) الالوسى : روح المعانى ٢٥١/١ وانظر النص وبقية المبحث فى البسيط للواحدى ١٦٤/١
(٣) سورة البقرة/٢١٩
(٤) الالوسى : روح المعانى ١١٣/٢ ، وانظر تكملة المبحث فى الوسيط ٤٦٥/١
(٥) سورة البقرة/٢٢٢
(٦) الالوسى : روح المعانى ١٢١/٢
(٧) سورة الأنعام/٩١
(٨) الالوسى : روح المعانى ٢١٨/٧
(٩) سورة النحل/١٨
(١٠) الالوسى : روح المعانى ٢٢٦/١٣

ثالثا : أثر الواحدى فى جمهرة المفسرين :

لقد امتد أثر الامام الواحدى الى آفاق بعيدة فى نتاج المفسرين ، بحيث لا يمكن حصر تأثيره فى طائفة محدودة من علماء التفسير ، وليس من الوفاء بحقه العلمى ان نقف بهذا الأثر عند الحد التى وقفت عنده مطية البحث ، لأن نتاج التفسير بحر زاخر ومحيطه متلاطم الامواج ، مترامى الابعاد • وثمة آفاق لم يبلغها شراع البحث بعد ، فضلا عن أن كثيرا مما وقفنا عليه من تراث التفسير لا يزال رهن المخطوطات ولم تتطرق اليه عظمة ايدى الباحثين — كما كان عليه حال تفسير الواحدى قبل هذه الدراسة — بيد أنه على الرغم من ذلك : فان ما وقفنا عليه من أثر علمي يحمل اسم الواحدى أو صبغته العلمية — فى نتاج طائفة من المفسرين : ليعطينا حظا من اليقين بأن الواحدى قد تجاوز حدود عصره ومصنفاته بعلمه وأفكاره ، ومنهجه ، وأن كثيرا من أعلام المفسرين قد اقتاتوا على مائدته ، واستقوا من ينبوعه الدفاق الثر بالعطاء ، وأن أثره التفسيرى قد سرى فى العديد من مصنفات التفسير ودخل فى تكوينها العلمى والفكرى — كما أوضحنا تفصيلا بالنسبة للفخر الرازى والالوسى — وكما سأعرضه من آثار تتفاوت امتدادا وعمقا فى تفاسير بعض اعلام المفسرين وهذه الأمثلة لا أتجاوز بدلالتها نطاق التمثيل الى الحصر •

فمن اعلام المفسرين الذين سرى فى تفاسيرهم أثر الواحدى — فى جانب أو أكثر :

١ — الامام أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصارى القرطبى (ت : ٦٧١ هـ) :

لقد رأيت جل تأثير الواحدى فى هذا الامام منحصرا فى دائرة أسباب النزول ، فوجدته يروى عن الواحدى فى عديد من المواضع من تفسيره :

(أ) من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين)[١] • حيث قال :

(وحكى الثعلبى انها نزلت فى ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان شديد الحب له ، قليل الصبر عنه ، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ، ونحل جسمه يعرف فى وجهه الحزن ، فقال له : « يا ثوبان ما غير لونك ؟» فقال : يا رسول الله ، مابى ضر ولا وجع ، غير انى اذا لم أرك اشتقت اليك ، واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة واخاف الا اراك هناك ، لأنى عرفت أنك ترفع مع النبيين ، وانى أن دخلت الجنة كنت فى منزلة هى أدنى من منزلتك ، وان لم أدخل فذلك حين لا أراك أبدا ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، ذكره الواحدى عن الكلبى)[٢] •

(ب) وعند تفسير قوله تعالى : (قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم[٣]) يقول القرطبى فى تفسيره : (وذكر الواحدى وغيره ، عن الكلبى ، عن أبى صالح عن ابن عباس : لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رأى فى المنام أنه يهاجر الى أرض ذات نخل وشجر وماء ، فقصها على أصحابه فاستبشروا

---

(١) سورة النساء/٦٩
(٢) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ٥/٢٧١ — ٢٧٢ وانظر الوسيط للواحدى (١٥١ — ١٥٢) بمخطوطه احمد الثالث .
(٣) سورة الأحقاف/٩

بذلك ، ورأوا فيها فرجا ، مما هم فيه من أذى المشركين ، ثم أنهم مكثوا برهة لا يرون ذلك ، فقالوا يا رسول الله ، متى نهاجر الى الأرض التى رأيت ؟ فسكت النبى صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى : (وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم) ، أى : لا ادرى أأخرج الى الموضع الذى رأيته فى منامى ، أم لا • ثم قال : انما هو شىء رأيته فى منامى ، ما أتبع الا ما يوحى الى)[1] ••

(ج) وعند تفسير أول سورة الحجرات يقول القرطبى فى تفسيره : (واختلف فى سبب نزولها على ستة أقوال : الأول : ما ذكره الواحدى من حديث ابن جريج قال : حدثنى ابن أبى مليكة ، ان عبد الله بن الزبير اخبره أنه قدم ركب من بنى تميم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر ، أمر القعقاع بن معبد ، وقال : عمر : أمر الاقرع بن حابس : فقال أبو بكر : ما أردت الا خلافى ، وقال عمر : ما أردت خلافك ، فتماديا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل فى ذلك : (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله) الى قوله : (ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم[2]) • رواه البخارى[3]،[4]) •

(د) وقد يصدر القرطبى عن الواحدى — فى غير مجال أسباب النزول — فينقل عنه بعض الوجوه التفسيرية ، من ذلك مثلا : ما ذكره من وجوه تفسير قوله تعالى : (ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر[5]) حيث قال :

(وقال سفيان الثورى : « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك » ما عملته فى الجاهلية من قبل أن يوحى اليك « وما تأخر » كل شىء لم تعمله • وقاله الواحدى[6]) ••

٢ — الامام ابو عبد الله محمد بن يوسف ابن على بن يوسف بن حيان • الشهير بأبى حيان الاندلسى (ت : ٧٥٤) :

اما تأثير الواحدى فى أبى حيان المفسر : فانه يبدو على نحو اعمق وأشمل مما وجدناه فى القرطبى ، وتعليل ذلك عندى منوط باقتراب منهج أبى حيان من منهج الواحدى حتى رأينا البعض يضعهما فى قائمة واحدة ، كما صنع الامام السيوطى فى (الانتقان)[7] •

بيد أننا نجد أبا حيان لا يقتصر فى اصداره عن الواحدى على الجانب النحوى الذى يوضع فيه بازاء الواحدى فى التصنيف ، بل أن ذلك ليعتبر عندى من أبعد وجوه التأثير والتأثر بين الامامين ، لأن كليهما كان مبرزا فى هذا الجانب وقد كان أبو حيان فى غنية عن النقل عن الواحدى فى هذا الصدد ، بيد أن زوايا الالتقاء بين منهجى الواحدى وأبى حيان هى فى رأيى اشمل وأعم من الاهتمام بالمباحث النحوية ، فكلاهما يزاوج بين المأثور والرأى ، وكلاهما يعنى بمباحث اللغة مع تفرد الواحدى وامامته فى هذا الجانب ، وكلاهما يعتنق نفس المذهب الكلامى ويعنى بنصرته الى غير ذلك من الجوانب • وقد وجدت أبا

---

(١) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (١٨٦/١٦ — ١٨٧ ، وانظر : أسباب النزول الواحدى ص ٤٠١) .
(٢) انظر سورة الحجرات : الآيات (١ — ٥) .
(٣) انظر صحيح البخارى : كتاب التفسير ١٧١/٦ — ١٧٢ ط الشعب .
(٤) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ٣٠٠/١٦

(٥) سورة الفتح/٢
(٦) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ٢٦٢/١٦
(٧) انظر الاتقان ٢١٢/٤

حيان يصدر عن الواحدى فى شتى الجوانب فى تفسيره وسأورد بعض الأمثلة لذلك :

(أ) عند تفسير قوله تعالى : (الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور[1]) • نجد أبا حيان ينقل عن الفخر الرازى تفسير الواحدى للظلمات والنور ، فيقول :

(وقال أبو عبد الله الرازى : فيه قولان : أحدهما : انهما الأمران المحسوسان • وهذا هو الحقيقة ، والثانى ما نقل عن ابن عباس والحسن قبل[2] ، وهو مجاز •

وقال الواحدى : يحمل على الحقيقة والمجاز معا[3] ، [4]) •

(ب) وعند تفسير قوله تعالى : (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه[5]) نجد أبا حيان يصدر عن الواحدى موقفا كلاميا يرد فيه على المعتزلة القدرية فيقول :

(وقال الواحدى : هذه الآية من الادلة الظاهرة على المعتزلة ، على فساد قولهم ، وذلك : أنه تعالى أخبر عن قوم جرى عليهم قضاؤه فى الأزل بالشرك ، ثم بين أنهم لو شاهدوا النار والعذاب ثم سألوا الرجعة وردوا الى الدنيا لعادوا الى الشرك ، وذلك للقضاء السابق فيهم • والا : فالعاقل لا يرتاب فيما شاهد • انتهى[6]) •

(جـ) ونجد ابان حيان يصدر عن الواحدى فى بيان المدلول اللغوى ومعرفة الغريب ، من أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : (والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات[7]) • اذ يقول : (قال الواحدى : معنى الائتفاك : الانقلاب ، افكته فائتفك ، أى قلبته فانقلب ، والمؤتفكات : صفة للقرى التى ائتكفت بأهلها فجعل اعلاها أسفلها[8])

(د) وعند تفسير قوله تعالى : (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم[9]) • يقول أبو حيان •

(وقال الواحدى : التزييل والتزيل ، والمزايلة : التمييز والتفريق انتهى[10]) •

كذلك يورد أبو حيان عن الواحدى بعض النقول الاعرابية ويناقشها فى تفسيره ، كما يصدر عنه فى شتى وجوه التأويل مما نكتفى عنه بما ذكرنا من أمثلة تشهد بأثر الواحدى فى صاحب البحر •

---

(١) سورة الأنعام/١

(٢) فسر الامام ابن عباس : الظلمات : بالشرك والنفاق والكفر ، والنور ، بالاسلام والايمان والنبوة واليقين . وقال الامام الحسن فى تفسيرهما : هما الكفر والايمان (البحر المحيط ٦٨/٤) .

(٣) لقد علق الفخر على هذا الوجه قائلا (هذا مشكل ، لأنه حمل اللفظ على مجازه ، واللفظ الواحد بالاعتبار الواحد لا يمكن حمله على حقيقته ومجازه معا) انظر مفاتيح الغيب ٨/٤

(٤) أبو حيان : البحر المحيط ٦٨/٤

(٥) سورة الأنعام/٢٨

(٦) أبو حيان : البحر المحيط ١٠٤/٤

(٧) سورة التوبة/٧٠

(٨) أبو حيان : البحر المحيط ٦٩/٥ ، وأنظر نفس الاصدار عن الواحدى فى مفاتيح الغيب للرازى ٤٧١/٤

(٩) سورة يونس/ ٢٨

(١٠) أبو حيان : البحر ١٥٢/٥

٣ ـ الامام شمس الدين محمد بن محمد الشربينى الخطيب (ت : ٩٧٧ هـ) :

وقد اصدر العلامة الخطيب الشربينى عن الواحدى وتأثر به فى تفسيره القيم (السراج المنير فى الاعانة على معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبير) ، فوجدته يحذو حذو الفخر الرازى ـ الذى يتأثر به كثيرا ـ فى النقل عن الواحدى فى مختلف الجوانب فى تفسيره فمن أمثلة ذلك :

(أ) عند تفسير قوله تعالى : (الحمدلله رب العالمين[١]) يعرض لمعانى لام (الحمد) فيقول (فالحمد مختص بالله كما أفادته الجملة الاسمية ، سواء أجعلت لام التعريف فيه للاستغراق ـ كما عليه الجمهور وهو ظاهر ـ أم للجنس ـ كما عليه الزمخشرى لأن لام (الله) للاختصاص فلا فرد منه لغيره ـ أم للعهد ، كالتى فى قوله تعالى : (اذ هما فى الغار[٢]) كما نقله ابن عبد السلام .

واجازه الواحدى ، على معنى : أن الحمد الذى حمد الله به نفسه ، وحمده به انبياؤه ، وأولياؤه مختص به ، والعبرة بحمد من ذكر ، فلا فرد منه لغيره[٣]) .

(ب) وعند تفسير قوله تعالى (وغلقت الابواب وقالت هيت لك[٤]) يقول الامام الخطيب : (قال الواحدى : هيت اسم للفعل ، نحو : رويد ، وصه ، ومه . ومعناه : هلم فى قول جميع أهل اللغة[٥]) .

(جـ) وعند تفسير قوله تعالى : (ينزل الملائكة بالروح من أمره[٦]) يقول العلامة الخطيب :

(قال ابن عباس : يريد بالملائكة : جبريل وحده ، قال الواحدى : يسمى الواحد بالجمع اذا كان ذلك الواحد رئيسا[٧]) .

وكما يتضح من هذا النص نجد الخطيب يستعين بالواحدى فى فهم التفسير بالمأثور عن الصحابة كالامام ابن عباس وغيره .

(د) ويقول أيضا عند تفسير قوله تعالى : (خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين والانعام خلقها لكم[٨]) :

(قال الواحدى : تم الكلام عند قوله :

(والانعام خلقها) ثم ابتدأ فقال : (لكم دفء) ـ أى ما يدفأ به من اللباس والاكسية ونحوها المتخذة من الاصواف والاوبار والاشعار ـ قال[٩] : يجوز ايضا: أن يكون تمام الكلام عند قوله : « والانعام خلقها لكم » ثم ابتدأ فقال تعالى : « فيها دفء»[١٠]) .

(هـ) وعند تفسير قوله تعالى : (ويعفو عن كثير)[١١] يقول العلامة الخطيب :

---

(١) سورة الفاتحة/٢
(٢) سورة التوبة ٤٠
(٣) الخطيب : السراج المنير ٨/1
(٤) سورة يوسف/٢٣
(٥) الخطيب : السراج المنير ١٠٠/٢ ، وانظر البسيط للواحدى ٢١٦/٧

(٦) سورة النحل/٢
(٧) أنظر تفسير الخطيب ٢١٥/٢ ، وانظر البسيط للواحدى ٤٦٩/٤
(٨) سورة النحل /٤ ـ ٥
(٩) ضمير القول يرجع الى الواحدى بعد الاعتراض التفسيرى .
(١٠) انظر تفسير الخطيب ٢١٦/٢ والبسيط ٤٧٠/٤ ـ ٤٧١
(١١) سورة الشورى/٣٠

(قال الواحدى : بعد ان روى حديث على[1] : وهذه أرجى آية فى كتاب اللهتعالى لأن الله تعالى جعل ذنوب المؤمنين صنفين : صنف كفر عنهم بالمصائب ، وصنف ، عفا عنهم فى الدنيا ، وهو كريم لا يرجع فى عفوه ، فهذه سنة الله تعالى مع المؤمنين • أما الكافر فانه لا تعجل له عقوبة ذنبه حتى يوافى به يوم القيامة[2]) •

(و) ويقول الامام الخطيب فى تفسيره ، عند تفسير قوله تعالى : (سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين[3]) :

(والمقرن : المطيق للشىء الضابط له : من أفرنه أى اطاقه ، قال الواحدى : كأن اشتقاقه من قولك : صرت له قرنا ، ومعنى قرن فلان ، أى مثله فى الشدة[4]) •

وهكذا نجتلى أثر الواحدى فى هذا الامام المفسر ، ويستوضح افادة الشيخ الخطيب من تفسير (البسيط) واستعانته به فى اضاءة (السراج المنير) •

٤ ــ الامامان جلال الدين محمد بن احمد المحلى (ت : ٨٦٤ ﻫ) ، والحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (ت : ٩١١ ﻫ) :

اشترك الامامان فى تصنيف تفسير : (الجلالين) الذى طبقت شهرته الافاق ، وسار مسيرة الشمس، ووضعت عليه الحواشى المتعددة •

(١) سبق ايراد هذا الحديث وتخريجه فى مبحث : اثر الواحدى فى الفخر الرازى •
(٢) الخطيب : السراج المنير ٥٤٣/٣
(٣) سورة الزخرف/١٣
(٤) انظر : السراج المنير ٥٥٦/٣

وقد رجح بعض العلماء ــ باستخدام القرائن والادلة ــ ان جلال الدين المحلى قد ابتدأ هذا التفسير من أول سورة (الكهف) الى آخر سورة (الناس) ثم ابتدأ بتفسير (الفاتحة فأتمها ولحق بربه ، وجاء الامام السيوطى فأكمل هذا التفسير مبتدئا بسورة (البقرة) وانتهى عند آخر سورة (الاسراء) ، ثم وضع تفسير (الفاتحة) فى آخر تفسير المحلى ــ بعد سورة الناس ــ لتكون ملحقة به ••

وقد وقفت بالمبحث على حقيقة علمية هامة ، حيث اكتشفت آن تفسير (الوجيز) للواحدى هو آصل تفسير الجلالين ، آو بعبارة أخرى : هو المصدر الاساسى له •

وأول ما استند اليه فى تحقيق ذلك : هو تصريح الامام السيوطى نفسه بأنه اعتمد فى تكملة تفسير الجلالين على (الوجيز) وبجانبه تفاسير الكواشى والبيضاوى وابن كثير •

يقول الحافظ السيوطى فى ترجمة (موفق الدين الكواشى) من (بغية الوعاة) :

(••• وله التفسير الكبير والصغير ، جود فيه الاعراب ، وحرر أنواع الوقوف ، وأرسل منه نسخة الى مكة والمدينة والقدس) •

قلت : وعليه اعتمد الشيخ جلال الدين المحلى فى تفسيره ، واعتمدت عليه أنا فى تكملته مع « الوجيز » و «تفسير البيضاوى» و « ابن كثير »)[5] •

(٥) الحافظ السيوطى : بغية الوعاة ٤٠١/١ ، وانظر نفس النص فى (طبقات المفسرين). للداودى ١٠٠/١

فلقد صرح الامام السيوطى باعتماده على (الوجيز) فى تكملة تفسير (الجلالين) وقدمه فى الذكر على تفسيرى البيضاوى وابن كثير ، لعظم اعتماده عليه ، وتأثره به فى تركيز المعانى الكثيرة فى ألفاظ وجيزة ، وسأعرض المثالين يتضح بهما تأثر الجلالين بالواحدى فى وجيزه :

(أ) عند تفسير أول سورة (النساء) يقول الواحدى فى « الوجيز » :

(« يأيها الناس » يعنى : أهل مكة « اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة » يعنى آدم « وخلق منها زوجها » حواء ، خلقت من ضلع من أضلاعه « وبث » أى نشر وفرق « منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله » أى: خافوه وأطيعوه « الذى تساءلون به » أى : تتساءلون فيما بينكم لحوائجكم وحقوقكم به ، فتقولون : أسألك بالله وأنشدك الله وقوله « والأرحام » أى : واتقوا الأرحام أن تقطعوها « ان الله كان عليكم رقيبا » أى : حافظا يرقب عليكم أعمالكم ، فاتقوه فيما أمركم به ونهاكم عنه)[1] .

ويقول الجلال السيوطى فى تكملته لتفسير الجلالين :

(«يا أيها الناس» اى اهل مكة «اتقوا ربكم» أى عقابه بأن تطيعوه «الذىخلقكممن نفس واحدة » آدم « وخلق منها زوجها » حواء ـ بالمد ـ من ضلع من أضلاعه اليسرى و « بث » فرق ونشر « منهما » من آدم وحواء « رجالا كثيرا ونساء » كثيرة « واتقوا الله الذى تساءلون » فيه ادغام التاء فى الأصل فى السين ، وفى قراءة : بالتخفيف بحذفها ، أى تتساءلون « به » فيما بينكم حيث يقول بعضكم لبعض : أسألك بالله وأنشدك بالله . « و » اتقوا « الأرحام » أن تقطعوها . وفى قراءة : بالجر عطفا على الضمير فى (به) وكانوا يتناشدون بالرحم « ان الله كان عليكم رقيبا » حافظا لأعمالكم فيجازيكم بها ، اى لم يزل متصفا بذلك»)[2]

فمن الواضح فى النصين الاتفاق بينهما وتأثر الجلال بالواحدى فى كثير من الفقرات ولم يضف سوى بعض وجوه القراءات التى وجد الواحدى أن من مقتضى الايجاز تركها فى « الوجيز » ـ وفى النصف الثانى الذى فسره الجلال المحلى من « تفسير الجلالين » نجد تأثره بالواحدى واضحا جليا ونقله من الوجيز مؤكد ، حيث توجد نصوص تفسيرية يستعمل الجلال نفس ألفاظ الواحدى وفقراته فى الوجيز وبشكل ملحوظ وقاطع كما يتضح لنا فى هذا المثال :

(ب) يقول الواحدى فى تفسير سورة (الزلزلة) فى « الوجيز » :

(« بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الأرض زلزالها » أى اذا حركت حركة شديدة لقيام الساعة « وأخرجت الأرض أثقالها » أى كنوزها وموتاها فألقتها على ظهرها « وقال الانسان » يعنى الكافر الذى لا يؤمن بالبعث « مالها » انكارا لتلك الحال « يومئذ تحدث أخبارها » أى تخبر بما عمل عليها من خير وشر « بأن ربك أوحى لها » يعنى أمرها بالكلام وأذن لها « يومئذ يصدر الناس » أى

---

(١) الواحدى : الوجيز فى تفسير القرآن العزيز ١٣٨/١

(٢) انظر تفسير الجلالين ص : ٨٠ .

ينصرف الناس « اشتاتا » أى متفرقين عن موقف الحساب فاخذ ذات اليمين وآخذ ذات الشمال « ليروا اعمالهم » أى ثوابها « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره » أى يؤتى ثوابه ، يعنى المؤمن فى الآخرة والكافر فى الدنيا ، يراه فى نفسه وأهله وماله « ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » يعنى يرى جزاءه ، المؤمن فى الدنيا بالاحـزان والمصـائب والـكافر فى الاخرة »)[1] .

ويقول الجـلال المحلى فى تفسير نفس السورة الكريمة :

(« بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض » حركت لقيام الساعة « زلزالها » تحـريكها الشـديد المنـاسب لعظمهـا « وأخـرجت الارض اثقـالها » كنـوزها وموتاها فألقتهـا على ظهـرها « وقـال الانسان » الكافر بالبعث « مالها » انكارا لتلك الحالة « يومئذ » بد لمن«اذا» وجوابها « تحدث اخبارها » تخبر بما عمل عليها من خير وشر « بأن » بسبب أن « ربك أوحى لها » أى أمرها بذلك ، فى الحديث : (تشهد على كل عبد أو أمة بكل ما عمل على ظهرهـا[2] (يومئذ يصدر الناس) ينصرفون من موقف الحساب « اشتاتا » متفرقين ، فآخذ ذات اليمين الى الجنة وآخذ ذات الشـمال الى النار « ليروا أعمالهم » أى جزاءها من الجنة أو النـار « فمن يعمل مثقال ذرة زنة نملة صغيرة (خيرا يره) يرثوا به . (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره « ير جزاءه »[3]) .

---

(١) الواحدى : الوجيز ٤٥٩/٢ ــ ٤٦٠.
(٢) اخرجه الترمذى فى كتاب التفسـير وقال : هذا حديث حسن صحيح انظر سـنن الترمذى ٤٤٦/٥ ــ ٤٤٧
(٣) انظر تفسير الجلالين ص : ٥٦٦ ط : دار القـلم .

وهكذا يتضح أن معظم ما فى (تفسير الجلالين) منقول نقـلا حرفيا ــ أو شـبه حرفي ــ من تفسير « الوجيز » للواحدى ، وما بينهما من تغير فى بعض العبارات يشهد للواحدى بمزيد من الدقة العلمية فضلا عن امتياز « الوجيز » بالزيادة ، والاسبقية فى هذا اللون من التفسير الذى ينتفع به العوام وهم السواد الأعظم ، فضلا عن أن المتخصص يرى فى هذا الايجاز المركز مقدرة علمية فائقة ويفيد منه فوائد جليلة .

٥ ــ العلامة سليمان بن عمر العجيلى الشافعى الشهير بالجمل (ت : ١٢٠٤ هـ) :

صنف هذا الشيخ العلامة حاشية على « تفسير الجلالين » تعد من أعظم ما صنف من حواشى على هذا التفسير وقد سـماها (الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية) . وقد نقل الجمل فى حاشيته عن الواحدى ــ فى جملة من نقل عنهم من جهابذة المفسرين ــ وأصـدر بعض أقواله وآرائه ، فمن أمثلة ذلك :

(أ) عند تفسير قوله تعالى : « بلى من كسب سـيئة واحـاطت به خطيئته[4] » يقـول الشـيخ الجمـل « قـوله سيئة : شركا » أخذه مما بعده ، كما أشار اليه فى تقريره ، وهذا ما عليه اجماع المفسرين كما قاله الواحدى أ هـ)[5] .

(ب) وعند تفسير قوله تعالى : (وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا[6]) . يقول الجمل (قوله «بياتا» فيه ثلاثة أوجه :

---

(٤) سورة البقرة/٨١
(٥) انظر : الفتوحات الالهية ٧١/١ ط التجارية .
(٦) سورة الاعراف/٤

أحدهما أنه منصوب على الحال وهو فى الأصل مصدر يقال: بات يبيت بيتا وبيتة وبياتا وبيتوتة ، قال الليث : البيتوتة : دخولك فى الليل ، فقوله « بياتا » أى بائتين ، وجوزوا أن يكون مفعولا له ، وأن يكون فى حكم الظرف •

وقال الواحدى : قوله « بياتا » أى ليلا ، وظاهر هذه العبارة : أن يكون ظرفا ، لولا أن يقال : أراد تفسير المعنى • أ هـ سمين[١])

وهنا نلاحظ ان الجمل قد نقل تعقيب السمين[٢] على الواحدى مما يشعر بامتداد أثر الواحدى الى السمين أيضا ، كما اشعر نقل الالوسى عن الواحدى بعض نقوله من مجمع البيان — كما مر بنا فى موضعه — أمتداد أثر الواحدى الى الطبرسى أيضا •

(جـ) عند تفسير قوله تعالى : (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام[٣]) • يقول الشيخ الجمل :

(وأما دعاؤه لبنيه وهو الوجه الثالث من الاشكالات — فالجواب عنه من وجوه :

الوجه الأول : ان ابراهيم دعا لبنيه من صلبه ، ولم يعبد منهم أحد صنما قط •

الوجه الثانى : انه أراد أولاده وأولاد أولاده الموجودين حالة الدعاء ، ولا شك أن ابراهيم عليه السلام قد اجيب فيهم •

الوجه الثالث : قال الواحدى : دعا لمن أذن الله فى أن يدعو له ، فكأنه قال : وبنى الذين أذنت لى فى الدعاء لهم ، لأن دعاء الأنبياء مستجاب ، وقد كان من نسله من عبد الصنم ، فعلى هذا الوجه : يكون الدعاء من العام المخصوص[٤]) •

(د) ومن أمثلة ما أصدره العلامة الجمل عن الواحدى من أسباب النزول : ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم[٥]) حيث تناول جملة من اخبار موافقات سيدنا عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — للتنزيل ، وأصدر فى هذا الصدد بعض الروايات عن كتا ب« أسباب النزول » للواحدى فقال :

(ولما نزل قوله تعالى : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين » الى قوله : « انشأناه خلقا آخر[٦] » قال عمر : تبارك الله أحسن الخالقين فنزلت • رواه الواحدى فى أسباب النزول[٧]) •

(هـ) وعند تفسير قوله تعالى : (واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا[٨]) • يقول الجمل فى

---

(١) انظر : الفتوحات الالهية ١٢١/٢
(٢) هو شهاب الدين احمد بن يوسف ابن عبد الدائم بن محمد الحلبى (ت : ٧٥٦ هـ) اخذ النحو عن ابى حيان ومهر فيه،وصنف تفسير القرآن فى نحو عشرين مجلدا والدر المصون فى اعراب الكتاب المكنون . انظر ترجمته فى (بغية الوعاة) للسيوطى ٤٠٢/١ ، شذرات الذهب ١٧٩/٦ فهرس الخزانة التيمورية ١٤٣/٣
(٣) سورة ابراهيم/٣٥
(٤) الجمل : الفتوحات الالهية ٥٢٨/٢ ، وانظر البسيط للواحدى ٤٠٤/٤
(٥) سورة الأحزاب/٥٣
(٦) سورة المؤمنون ١٢ — ١٤
(٧) انظر : الفتوحات الالهية ٤٥٠/٣ وانظر اسباب النزول للواحدى ٣٢٣ — ٣٢٤
(٨) سورة الاحزاب/٧

تفسير الميثاق الغليظ : (وفى الكرخى[1] قوله[2] « وهو اليمين بالله تعالى » كما جزم به الواحدى • وهذا جواب : ما فائدة اعادة الميثاق بقوله « وأخذنا •• الخ » ، وايضاحه : أن المراد بالميثاق الغليظ : اليمين بالله تعالى على الوفاء بما حملوا • وعليه فلا اعادة ، لاختلاف الميثاق[3]) ومن هذا النص الذى أورده الجمل وأصدر فيه عن الكرخى : يتضح تأثر الكرخى أيضا بالواحدى •

(و) وينقل العلامة الجمل عن الواحدى بعض معالجاته اللغوية ونقول أهل اللغة فى مواضع من حاشيته ، من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : (أو اثارة من علم ان كنتم صادقين[4]) اذ يقول : (وقال الواحدى : وكلام أهل اللغة فى هذا الحرف يدور على ثلاثة أقوال :

الأول : الأثارة ، واشتقاقها من أثرت الشىء أثيره اثارة ، كأنها بقية تستخرج فتثار •

والثانى : من الأثر الذى هو الرواية •

والثالث : من الأثر بمعنى العلامة[5])

وهكذا يتضح من تلك الأمثلة امتداد تأثير الواحدى الى حاشية العلامة الجمل والى من نقل عنهم الجمل فى حاشيته كالعلامة السمين والشيخ الكرخى كما امتد الى تفسير الجلالين والى غيره من سائر مصنفات التفسير •

ومن ثم يتضح لنا بجلاء أن الواحدى قد حقق فى ميدان التفسير ذاتية علمية موفورة الثراء حافلة بالعطاء ، وأنه قد خلف فيمن أتى بعده من المفسرين آثارا ممتدة الابعاد متعددة الجوانب والاتجاهات ، ضاربة بجذورها فى الاعماق ، وأنه قد افاد من تراثه التفسيرى جهابذة التفسير وفحوله الذين أتوا من بعده ، وقد تعرفنا على ما شاء الله لنا من هؤلاء الذين نهلوا من معينه واعتمدوا عليه كواحد من أهم مصادر التفسير المبرزين وكامام من ائمة التأويل المحققين ، وأعود مؤكدا لما سبق التنويه به من أن ما أثبته هنا من أثر للواحدى لا يمثل الحجم الحقيقى لأثر هذا الامام المفسر ، فدون بلوغ ذلك افراغ العمر واستغراقه فى بحث دائم فى بطون الاسفار ، على أن كثرها قد تناثرت أوراقه وصار علمها ضربا من الغيوب • بيد أن الحقيقة الماثلة أمامنا تشهد بعظم أثر الامام لا سيما وقد رأينا (فخر) المفسرين ينهل من منبعه كمصدر أساسى لتفسيره ومن بعده القرطبى وأبا حيان والخطيب والجلالين ثم الجمل والالوسى وغيرهم ممن استمدوا من عطاء الواحدى للتفسير •

---

(1) هو العلامة أبو عبد الله محمد بن محمد الكرخى الشافعى (ت : ١٠٠٦ هـ) له : مجمع البحرين ومطلع البدرين على تفسير الامامين الجلالين . ذكره البغدادى فى ايضاح المكنون ٤٣٣/٢

(2) الضمير فى (قوله) يعود الى الجلال المحلى المفسر • وكلام الكرخى من حاشيته على تفسير الجلالين •

(3) انظر : الفتوحات الالهية ٤٢٤/٣ — ٤٢٥ ، وانظر البسيط للواحدى ٨/٧

(4) سورة الأحقاف/٤

(5) انظر الفتوحات الالهية ١٢٤/٤

(الخـــاتمة)

الحمد لله الذى هدانا لهـذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، فاليه يرجع الفضل كله سبحانه لا أحصى ثناء عليه ، هو كما أثنى على نفسـه •

اليه يرجـع الفضـل فى توجيهى الى اختيار موضوع هذه الرسالة ، فما كان لى من علم بالواحدى ولا بتفسيره •

واليه ــ سـبحانه ــ يرجع الفضـل ــ كل الفضـل ــ فى توفيقى واعانتى على ارتياد هذا الطريق الشاق الذى لم أسبق الى ارتياده ، ولم أجد فيه أمامى أثرا أتبعه ، ولا خطى احتذيها • فكانت كل خطوة على هذا الطريق تضيف الى من الثراء والكسب العلمى على قدر المشقة ، والمعاناة ، بل وأعظم ! وكانت عناية الله تعالى هى التى أنارت لى السبيل وذللت لى الصعب ، وصححت منى العزم ، وقادت خطاى على الدرب حتى بلغت الغاية وعدت من رحلتى الطويلة ــ بحمـد الله ــ رضيا بما اجتنبته من ناضج الثمار ، وحفيا بما أسفر عنه البحث من نتائج طالما ظلت حبيسة فى بطون الاسفار ، كأنها ضرب من الاسرار حتى طلعت عليها شمس النهار •

ولا فضل لى فى كل ذاك وانما
من الله كل الفضل بدءا ومنتهى

فلقد كشف هذا البحث عن العديد من النتائج والمحصلات ، منها ما هو عام يحتسب فى دائرة الضوء ــ كتلك التى ترتبط بالرؤى التاريخية والاحداث المعاصرة للواحـدى ، والتى انعكست بشكل ما فى أبحاث ومصنفات أخرى ــ بيد أن هذا النمط انما يأتى هنـا وقد تجسدت فيه الرؤية الشخصية التى تربط الحدث العام بمحور التأثير الفعلى فى شخصية الواحدى العلمية وما يناط بهـا •

ثم من تلك النتائج والمحصلات ما هو خاص فى أضـيق دوائر الخصوصية ، حيث تمخض عنه هذا البحث ، ورأى النور عبر سطوره ، ومن خلال ابوابه وفصوله •

وتحت هذا القسم ــ الذى ينتظم جل النتائج وأهمهـا ــ يدخـل كل ما يتصـل بالواحدى اتصالا داخليـا مباشرا وبنتاجـه العلمى ، ثم بمنهجـه التفسيرى الذى هو بيت القصيد ويمكن تلخيص أبرز هذه المحصـلات والنتائج ــ مجملة فيما يلى :

أولا : من خلال دراسة عصر الواحدى : تراءت لنـا الصورة السياسية لهذا العصر أمشـاجا من النقائض ، تمتزج فيها القـوة السياسية الداخلية للدويلات المستقلة ، بضعف الحكم الخلافى وفقدان سيطرته على أجزاء عديدة من رقعة العالم الاسلامى ، ومن بين النقيضين تتولد الصراعات السياسية بين تلك الدويلات بعضها مع البعض • بل وفى داخل الدولة الواحدة رأينـا الصراع يتفاقم بين حكامها تنافسا على العرش • وما كان لتلك الصراعات أن تنشب لو أن ليـد الخلافة من القـوة ما يمكنها من جمع شـتات الدولة الاسلامية وتوحيد قوتها وقيادتها فى ظل خلافة رشيدة قوية • بيد أن الواحدى قد قدر له أن

يعيش فى ظل دولتين كانتا أقوى دول العالم الاســــلامى آنذاك وهما الدولة الغزنوية ثم الدولة السلجوقية وقـــد حققت كلتاهما من الامجاد والفتوحات ما وقفنـــا عليه ، وفى الوقت نفسه كفلت كل منهما بقوتها السياسية الأمن الداخلى الذى جعل حيـــاة العلمـــاء ــ والواحدى خاصة ــ فى دعة واستقرار لا ينال منهما بطش الغزاة والفاتحين •

ثانيا : لقد وقفنا ــ فى عصر الواحدى ــ على حالة دينية حافلة بالاضطرابات والفتن الدينية والصراعات المذهبية الدامية التى كان طرفاها الاعظمان الشيعة والمعتزلة من جانب وأهل السنة من جانب آخر وقد بعثت عناية الله بالسلطان محمود الغزنوى ليطهر منطقة خراسان ــ وخاصة نيسابور موئل الواحدى ــ من تلك البدع المستطيرة ويعلى راية المذهب السنى ــ الذى يعتنقه الواحدى ــ ثم يليه فى ذلك حـــكام السلاجقة ، ومن ثم تسنى للواحدى أن ينعم بحريته المذهبية وأن ينافح بالكلمة الشريفة وبالمنطق العلمى عن عقيدته ومذهبه •

ثالثا : وبالقاء الضوء على مسار الحركة العلمية فى عصر الواحدى : انعكست فى مرآة البحث نهضات علمية وثقافية واسعة النطاق ، فقد بلغ تنافس الحكام فى احراز لواء الزعامة العلمية والثقافية مبلغا عظيما أرتقى بالحياة العلمية الى قمة مجدها فكان من أبرز معـــالم الازدهار : انتشار مراكز الاشعاع العلمى فى ارجاء خراسان والعالم الاسلامى ممثلة فى خزائن الكتب وقصور الثقافة ، ثم كان من أعظم الاحداث العلمية الكبرى التى عاصرها الواحدى تأسيس المدارس النظامية فى شتى مدن خراسان وفى بغداد وغيرها حيث كانت الانتفاضة الكبرى للمذهب السنى الأشعرى وشهد العـــالم الاسلامى ظهور العديد من الأئمة والاساطين فى شتى فروع العلم من محدثين وفقهاء ومتكلمين وفلاســـفة ولغويين ونحاة • ثم كانت الحركة العلمية للتفسير فى قمة ازدهارها وارتقائهـــا فبلغت مصـــنفات التفسير مئات المجلدات •

رابعا : وبالتعرف على شخصية الواحدى ــ فى اطار بيئته ــ وقفنا على شخصية علمية من الطراز الفريد المتنسك فى محراب العلم والواقف حياته عليه ، والمتأهل لتبوؤ عليـــا درجاته ، فقد درج من مهـــده الى الكتاب وتتملذ على الاساطين ثم ارتحل الى شتى البلاد والاقطار ، وحظى بالتلقى على الاساطين والأثبات فى شتى المجالات ، ونهل من أثرى مناهل العلم الدفاقة فى عصره حتى تخرج على أيدى الأساطين متأهلا لخوض مجال أشرف العلوم : تفسير القرآن الكريم ، وكانت تلك غايته التى أشرف فيها على الغاية •

خامسا : لقد أثبت فى هذه الرسالة أن مصنفات الواحدى فى التفسير لا تنحصر فى تفاسيره الثلاثة التى اقتصر على ذكرها العلماء والمؤرخون وأصـــحاب الطبقات فى ترجمتهم للواحـــدى وهى (البسيط) و (الوسيط) و (الوجيز) ، وانمـــا وقفت ــ بالتحقيق العلمى ــ على ثمانية تفاسير للواحدى ، نص هو فى كتابة (الوســـيط) على ثلاثة أخرى ــ غير المذكورة ــ وهى : (معانى التفسير) و (مسند التفسير) و (مختصر التفسير) ، كما نوه فى مقدمة (البسيط) باعتزامه تصنيف كتاب أوســـع منه ، ينطبق على ما أثبته له صاحب كشف الظنون بعنـــوان : (الحاوى لجميع المعانى فى التفســـير) كما نص عليه المستشرق (بروكلمـــان) وصرح بوجـــوده بالمكتبة الآصفية بالهند ، كما ورد فى فهرس

المكتبة الظاهرية • ثم نص (بروكلمان) على تفسير الواحدى الثامن وهو (جامع البيان فى تفسير القرآن) ونص على وجوده بمكتبة (استامبول) •

سادسا : اثبتت هذه الدراسة — من خلال النظرة المنهجية المتجردة — أن الواحدى قد طرق مجال التفسير بمنهج علمى دقيق ومتكامل ، يقوم على نظرية علمية قوامها المزاوجة بين المأثور والرأى باستجماع المقومات العلمية التى يتوقف عليها فهم المأثور ودخول الرأى فى التأويل وقد حصر هذه المقومات ، والركائز فى ثلاثة : اللغة والنحو والآدب • ومن هذا المنطلق : خاض الواحدى محيط التفسير والتأويل فحقق بمنهجه المتكامل عظيم الافادة من المأثور بتوظيف الرأى فى فهمه ومؤازرته ، كما استمد من ضوء المأثور ما مكنه من كشف خطل الرأى وتجنب فساده ومن ثم : اثبت البحث سطحية الحكم القائل بأن الواحدى مفسر لغوى فحسب أو نحوى فحسب وأثبت تأكيد اعتماده على المأثور فى المقام الأول فى تفسيره — كما أسفرت عنه دراسة مصادره — ومواقفه العلمية تجاه التفسير بالمأثور فى تفسيره •

سابعا : برزت شخصية الواحدى — كامام فى التأويل — من خلال مواقفه العلمية من التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى فى تفسيره ، فلم يكن ازاء هذا أو ذاك حاطب ليل أو متخذا موقف الناقل المتفرج وسط النقول والآراء ، وانما تجلت مقدرته العلمية فى قمة النضج والارتقاء بصدد تقويم النقول المأثورة والآراء المنقولةفنراه يرجحبينتفاسيرالصحابة التابعين ويرد بعض التفاسير من منطلق علمى قويم كما نجده يدلى برأيه الخاص فى العديد من المواقف ويعنى بالتحليلوالتعليل والتمحيص ويعقد المناسبات بين الآيات •

ثم تتجلى الأصالة المنهجية فى تفسير الواحدى — فى أرقى اطوارها وارفع مراتبها — فى ارتكاز منهجه فى التفسير بالرأى والترجيح بين الآراء على جملة من الأسس المنهجية التى أخذت شكل القوانين العلمية فى تفسيره وكانت منطلقا لمواقفه النقدية التى تصدى بها لكبار أساطين المفسرين •

ثامنا : وقف الواحدى فى تفسيره (البسيط) على قمة أصحاب الاتجاه اللغوى فى التفسير حتى قال القفطى عن تفسيره : (ومن رآه علم مقدار ما عنده من علم العربية) وحتى غلب صاحب البرهان هذا الاتجاه فى تفسيره على ما عداه — مع أن الأمر ليس بذاك — فعنى الواحدى عناية فائقة بمعالجة غريب القرآن وتطرق فى تفسيره الى أمهات مباحث اللغة ، كالاشتقاق والاشتراك والترادف ومشترك الأضداد ، والابدال والاعلال وغير ذلك ، وبرز تبحر الواحدى فى هذا المضمار باستدراكه على الأئمة والفحول كالزجاج وغيره ، وافاد الواحدى من تعمقه اللغوى فى استنباط دقائق المعانى ، وسبره للمدلولات ، كما أفاد فى كشف أوجه الخلاف بين الفقهاء ، فى تفسير آيات الاحكام •

تاسعا : وفى الجانب النحوى أبرز الواحدى تبحره وعمقه فى معالجة دقائق مسائل النحو التى يترتب عليها فهم النص القرآنى وتوجيه معناه ، وربط الوجه التفسيرى بالوجه الاعرابى ، والتعرف على منشأ الخلاف بين المفسرين فى ضوء معطيات النحو ، وقد برز الواحدى فى هذا الميدان أماما علامة ، يناقش الفراء ويرد على الخليل ويكشف مرامى سيبويه • ومن هنا وضع بعض العلماء الواحدى فى طائفة المفسرين النحاة فحسب • وهو بخس بحقه فى الجوانب الأخرى

عاشرا : سجل الواحدى فى مقدمة تفسيره البسيط دعوته الى المنهج الأدبى فى التفسير وأثبت ريادته — فى المجال التطبيقى — فى هذا الميدان ، فسبق بذلك دعاة التجديد فى عصرنا الحاضر الذين يرفعون شعار (التفسير البيانى) أو المنهج الأدبى فى التفسير ، ولقد تجلت النزعة الأدبية فى تفسير الواحدى بروائها واشراقها ممثلة فى صياغته التعبيرية واجلائه لأسرار التعبير القرآنى ومزجه الأدب بالتفسير • كما تمثلت كذلك فى غزارة استشهاده بعيون الشعر العربى لفحول الشعراء من مختلف الطبقات وفى شتى الاغراض المتنوعة من لغوية ونحوية وبلاغية وغيرها بما يجسد ثراءه الأدبى والعلمى •

حادى عشر : وأسهم الواحدى كذلك فى ابراز بلاغة القرآن وروعة بيانه فى تفسيره ، فعرض للصور البلاغية القرآنية من شتى فنون المعانى والبيان والبديع وقد رصد البحث العديد من هذه الصور كالفصل والوصل والالتفاف والتقديم والتأخير والقصر والحذف والاستفهام ثم التشبيه ، والاستعارة والمجاز العقلى والمرسل • والكناية ثم المشاكلة والمقابلة والتقسيم واللف والنشر واثبت البحث أن الواحدى قد سبق الزمخشرى الى تحديد الفرق بين الكناية والتعريض خلافا لمن زعم من الباحثين أن الزمخشرى صاحب قدم السبق فى ذلك •

ثانى عشر : وأجلى البحث كذلك جهد الواحدى العظيم فى مجال الاحتجاج للقراءات فبين أن موقفه من القراءات المتواترة كان موقف التقوية والتعليل، وكان أيضا دائم التصدى بالدفاع عن صحتها ضد القادحين فيها من اللغويين والنحاة ، كما بين موقفه من القراءة الشاذة ، وحدد الأسس التى يقوم عليها منهج الواحدى فى الاحتجاج للقراءات •

ثالث عشر : وفى مجال الرواية الحديثة فى تفسير الواحدى : كشف البحث عن ثراء تفسير الواحدى — فى الوسيط خاصة — بالأحاديث الشريفة ، وتعدد وتنوع مجالات الاستشهاد بها ، بيد أنه كان مما سجله البحث على الواحدى من مأخذ فى هذا الصدد : أنه لم يلتزم بايراد صحيح الحديث أو مرضيه عند المحدثين ، فضم الى جانب الصحيح والحسن : الضعيف بل والموضوع ، وناقش البحث قضية أحاديث فضائل السور التى التزم الواحدى بايرادها — فى الوسيط — وسجل على الواحدى رواية ما أجمع على وضعه فيها ، كما أنه لم يلتزم بتخريج كل ما أورده من الحديث عامة • ولقد كان مما يسجل للواحدى ويخفف عنه تبعة ايراده للموضوعات أنه التزم — فى الوسيط خاصة — بايراد سنده المتصل•

رابع عشر : ورصد البحث موقف الواحدى من الاسرائيليات فى تفسيره ، فكشف عن مشاركته للكثرة من المفسرين الذين تطرقت الاسرائيليات الى تفاسيرهم ، وسجل البحث على الواحدى تساهله فى قبول ما دسته ايدى اعداء كتاب الله الى تفسيره واختلقوا نسبته الى سلفنا الصالح وهم من ذلك براء • ونوه البحث بضرورة انقاذ تراثنا التفسيرى — عامة — والواحدى — خاصة — من ذلك الداء العضال الذى لم يكد يسلم منه تفسير •

خامس عشر : ورأينا — فى المبحث الفقهى — كيف ظهر الواحدى فى تفسيره فقيها متبحرا يعرض الى جانب مذهبه الشافعى للفقه المقارن ويكشف عن العديد من مذاهب السلف وآرائهم الفقهية ، ثم كيف ظهر الواحدى فى الميدان برأيه وترجيحه لمذهبه وتوجيه مختلف الآراء ، فحقق بذلك ثروة فقهية طائلة عند تفسيره لآيات الاحكام •

سادس عشر : كذلك كشف البحث عن الواحدى المتكلم ، حيث برز الواحدى فى

تفسيره واحدا من كبار حماة المذهب الاشعرى المنافحين عنه ، وقد رد الباحث على من زعم ــ بالنظرة السطحية ــ أن الواحدى لم يتابع التطور الذى حدث للمذهب على أيدى أئمة بعد الاشعرى كالباقلانى والجوينى وغيرهما ، وأثبت جوهر هذا التطور مطبقا فى تفسير الواحدى ، كذلك رصد البحث العديد من مواقف الواحدى الكلامية التى تصدى بها للمعتزلة القدرية وغيرهم والتى تأثر بها من أتى بعده من المفسرين كالفخر الرازى وأبى حيان والالوسى وغيرهم •

سابع عشر : كما أثبت البحث طائفة من آراء الواحدى فى علوم القرآن الكريم التى تناقلها فرسان هذا الميدان وأودعوها مصنفاتهم ، فمنها ما هو فى علم أسباب النزول ، ومنها ما يتعلق بالنسخ ومنها ما يتناول اعجاز القرآن الكريم •

ثم تناول البحث بالتفصيل موقف الواحدى من قضية التفسير الصوفى ، وعرض لآراء اطراف القضية ثم تناول تقويم موقف الواحدى فى ضوء الحقائق العلمية التى أجمع عليها العلماء ، وسجل على الواحدى تطرفه فى الحكم على التفسير الصوفى ، فى ضوء ما قرره الأثبات • ومن منطلق علمى متجرد •

ثامن عشر : ثم تناول البحث تقويم الواحدى وابراز مكانته كمفسر ــ فى اطار التكوين العلمى له ــ فكشف عن منزلة الواحدى المفسر من خلال نظرة أقرانه ومعاصريه له أولا ، ثم من خلال آراء العلماء والمؤرخين فيه ثانيا ، ثم من خلال رؤية الباحث ومعايشته له فى هذا البحث ثالثا ، فأثبت من بين تلك الانظار والاراء أن الامام الغزالى قد طلب منه أن يصنف فى التفسير فقال : (يكفى ما صنف فيه شيخنا الامام أبو الحسن الواحدى) ! وأثبت قول الحافظ الذهبى عنه أنه (امام علماء التأويل) ثم انتهى الى اجماع أكثر مترجميه على أنه أستاذ عصره فى التفسير • واتفق الباحث مع الحافظ الذهبى فى الرأى مؤكدا أن الواحدى يعتبر ممثل عصره فى التفسير •

تاسع عشر : وأثبت البحث ان الواحدى قد امتد أثره من بعده الى نتاج جمهرة المفسرين وبين ان ابرز من تأثر منهم بالواحدى هو الامام فخر الدين الرازى ثم الامام الالوسى كما أبرز أثره فى كل من القرطبى وأبى حيان والخطيب الشربينى والجلالين والجمل وغيرهم من كبار المفسرين •

وبعد :

فقد شاءت ارادة الله تبارك وتعالى أن يخرج هذا البحث ــ بمحض جوده وكرمه ــ الى النور وأن يحيا الواحدى من جديد فى أثره وتراثه بعد تسعة قرون خلت بعد وفاته ، وان ينشر منهجه فى تفسير القرآن الكريم ليطلع عليه أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته وليتعرفه طلاب المعرفة فيقفوا فيه على شموخ علم من أعلام التفسير عرفه السابقون عن كثب وقدروه حق قدره ، ولم ينل بعد من اللاحقين تقديره •

اللهم ان كنت كتبت لى الاحسان فى هذا العمل فمنك الفضل ولك الحمد والثناء بما أعجز عنه • وان كنت قد قصرت أو قصرت فالى يرجع القصور والتقصير وحسبى أننى حاولت وبذلت طاقتى واحتسبت نفسى فى زمرة المشتغلين بكتابك ، اللهم فاحتسب لى هذا العمل عندك فى صحيفتى وحقق نسبتى للقرآن العظيم لاكون من بررة أهله يا على يا عظيم بحق رسولك ذى القدر العظيم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم صلاة وسلاما تامين دائمين متلازمين بقدر عظمة ذاتك فى كل وقت وحين •

مصادر الكتاب ومراجعه

أولا : المخطوطات : ـ

١ ـ اشـارة التعيين الى تراجم النجـاة واللغويين • لأبى المحاسن عبدالباقى الميمنى الشافعى • رقم ١٦١٢ بدار الكتب •

٢ ـ البسيط فى التفسير • لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى • رقم ٥٣ تفسير بدار الكتب • والجزء الأول من نسخة أخرى من البنسيط بالمكتبة التيمورية بدار الـكتب رقم ٢٨٢ تفسير •

٣ ـ تلخيص أخبار النحويين واللغويين • لأحمد بن عبد القادر بن مكتوم بدار الكتب رقم ٢٠٦٩ تاريخ •

٤ ـ حقـائق التفسـير لأبى عبد الرحمن السـلمى • بمكتبة الأزهر الشريف رقم ١٠٩٣

٥ ـ سير أعلام النبلاء للحافظ شمس الدين الذهبى • المجلد ١٥ رقم ١٢١٩٥ ح بدار الكتب •

٦ ـ طبقات الشافعية • لتقى الدين بن قاضى شهبة الأسـدى بدار الكتب رقم ١٥٦٨ تاريخ •

٧ ـ طبقات المفسرين • للحافظ الداودى بدار الكتب رقم ١٦٨ تاريخ (قبل أن تظهر النسخة المطبوعة) •

٨ ـ طبقات النحاة • لابن قاضى شهبة • بدار الكتب رقم ٢١٤٦ تاريخ تيمور •

٩ ـ عمدة القوى والضعيف الكاشف لما وقع فى وسيط الواحدى من التبديل والتحريف • للعلامة اسماعيل بن محمد الخضرمى • رقم ١٥٩ تفسير بدار الكتب •

١٠ ـ القرطبى ومنهجه فى التفسير للدكتور القصبى محمود زلط • بمكتبة كلية أصول الدين بالقاهرة •

١١ ـ المنتخب من كتاپ السـياق لتاريخ نيسابور • لابراهيم بن محمـد بن الأزهر الصريفينى نسخة مصـورة على ميكروفيلم بمعهـد المخطوطات بالقاهرة •

١٢ ـ الوسيط فى التفسـير لأبى الحسن الواحدى • مخطوطة رقم ٦٣ بمكتبة أحمد الثالث باستامبول ومصـورة على ميكروفيلم بمعهـد المخطوطات بالقاهرة •

ـ جزء من نسخة أخرى بمكتبة الأزهر الشريف رقم ٢٦٦٤٢ عمومية (رقم ١٢٥٥ رافعى خصوصية) • وجزء من نسخة أخرى بمكتبة الأزهر الشريف رقم (١٠٦٤) ٢٢٣٣٠

ثانيا : المطبوعات : ـ

١٣ ـ الابريز • لسيدى عبد العزيز الدباغ رضى الله عنه طبع المطبعة الأزهرية سنة ١٣٤٥ هـ •

١٤ ـ ابن تيمية • للدكتور محمد يوسـف موسى (سلسلة أعلام العرب) نشر مكتبة مصر سنة ١٣٨١ هـ •

١٥ — أبوعلى الفارسي• للدكتور عبدالفتاح اسماعيل شلبى • ط/ دار نهضة مصر سنة ١٣٨٨ هـ •

١٦ — الاتقان فى علوم القرآن • للحافظ جلال الدين السيوطى • بتحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم ط/ المشهد الحسينى سنة ١٣٨٧ هـ •

١٧ — اثر القرآن فى تطور النقد الأدبى للدكتور محمد زغلول سلام • ط / دار المعارف سنة ١٩٦١ م •

١٨ — أثر القرآن فى الدراسات النحوية • للدكتور عبد العال سالم على • ط/ المجلس الأعلى للشئون الاسلامية سنة ١٣٨٩ هـ •

١٩ — أثر النحاة فى البحث البلاغى • للدكتور عبد القادر حسين • ط/ دار نهضة مصر سنة ١٩٧٥ م •

٢٠ — أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم لشمس الدين المقدسى ط/ليدن عام ١٩٠٢ م •

٢١ — احياء علوم الدين • لحجة الاسلام الامام حامد الغزالى رضى الله عنه ط/ العثمانية سنة ١٣٥٢ هـ •

٢٢ — الأخلاق عند الغزالى • د/ زكى مبارك ط/ التجارية •

٢٣ — الأدب العربى وتاريخه فى عصرى صدر الاسلام والدولة الأموية • للأستاذ محمود مصطفى ط/ مصطفى الحلبى سنة ١٣٥٦ هـ •

٢٤ — ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبى السعود) لأبى السعود العمادى ط/ محمد عبد اللطيف سنة ١٣٤٧ هـ •

٢٥ — ارشاد الأريب الى معرفة الاديب (معجم الأدباء) • ياقوت الحموى بتصحيح مرجليوث ط/ هندية سنة ١٩٢٣ م ، وأخرى بتحقيق فريد الدين الرفاعى •

٢٦ — أسباب نزول القرآن • لأبى الحسن الواحدى بتحقيق السيد أحمد صقر نشر لجنة احياء التراث الاسلامى سنة ١٣٨٩ هـ •

٢٧ — أسد الغابة فى معرفة الصحابة • لابن الاثير ط/ دا رالشعب سنة ١٣٩٠هـ

٢٨ — الاسرائيليات فى التفسير والحديث للدكتور محمد حسين الذهبى • نشر مجمع البحوث الاسلامية سنة ١٣٩٣ هـ •

٢٩ — الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير للدكتور محمد أبو شهبة • نشر مجمع البحوث الاسلامية سنة ١٣٩٣ هـ •

٣٠ — أسرار البلاغة للامام عبد القاهر الجرجانى بتصحيح السيد محمد رشيد رضا ط/ صبيح سنة ١٣٧٩ هـ

٣١ — اعجاز القرآن للباقلانى • بتحقيق السيد صقر • ط/ دار المعارف سنة ١٩٦٣ م •

٣٢ — اعجاز القرآن • للرافعى • ط / الاستقامة (السادسة) سنة ١٣٧٥هـ

٣٣ — الأغانى لأبى الفرج الاصفهانى• نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر سنة ١٣٨٣ هـ •

٣٤ — الأمثال لأبى فيد مؤرج بن عمر السدوسى بتحقيق د / رمضان عبد التواب نشر الهيئة المصرية سنة ١٣٩١ هـ •

٣٥ — انباه الرواه على انباه النحاة للقفطى بتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ط/ دار الكتب سنة ١٣٦٩ هـ

٣٦ — الانتصار والرد على ابن الراوندى لأبى الحسين الخياط • بتحقيق د• نيبرج ط/ دار الكتب سنة ١٣٤٤ هـ•

٣٧ — الانصاف فيمايجب اعتقاده ولايجوز الجهل به • للباقلانى بتحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثرى ط/ الخانجى سنة ١٣٨٢ هـ •

٣٨ — ايضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون • لاسماعيل باشا البغدادى نشر مكتبة المثنى بغداد •

٣٩ — البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى • نشر مكتبة النصر الحديثة بالرياض•

٤٠ — البداية والنهاية لابن كثير نشر / مكتبة المعارف ببيروت ، والنصر ببغداد سنة ١٩٦٦ م •

٤١ — البرهان فى علوم القرآن • لبدر الدين الزركشى • بتحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم • ط/ عيسى الحلبى سنة ١٣٧٦ هـ •

٤٢ — بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة للحافظ السيوطى • بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم • ط/ الحلبى سنة ١٣٨٤ هـ •

٤٣ — البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى د• محمد حسنين أبو موسى • ط/ دار الفكر العربى •

٤٤ — البلاغة تطور وتاريخ د• شوقى ضيف • ط/ دار المعارف سنة ١٩٦٥ م •

٤٥ — بلدان الخلافة الشرقية• كى لسترونج ترجمة بشير فرنسيس ، وكوركيس عواد ط/ الرابطة ببغداد سنة ١٣٧٣ هـ •

٤٦ — البيان والتبيين • للجاحظ • بتحقيق حسن السندوبى ط/ التجارية ، وأخرى بتحقيق عبد السلام هارون ط/ الخانجى •

٤٧ — تاريخ آداب العرب • لمصطفى صادق الرافعى • نشر المكتبة التجارية • سنة ١٣٥٩ هـ •

٤٨ — تاريخ الأدب العربى• كارل بروكلمان ط/ (الثانية) ليدن سنة ١٩٤٣ م•

٤٩ — تاريخ الأدب العربى • د/ شوقى ضيف • ط/ دار المعارف سنة ١٩٦٥ م •

٥٠ — تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى • د/ حسن ابراهيم ط/ النهضة المصرية سنة ١٩٦٥ م •

٥١ — تاريخ التراث العربى• فؤاد سزكين ترجمة د• فهمى أبو الفضل نشر الهيئة المصرية للتأليف والنشر سنة ١٩٧١ م •

٥٢ — تاريخ التربية الاسلامية د• أحمد شلبى • ط/ النهضة المصرية •

٥٣ — تاريخ الخلفاء للحافظ السيوطى • نشر دار الثقافة • بيروت •

٥٤ — تاريخ الفلسفة فى الاسلام • ت • ح • دى بور • ترجمة/ د• محمد محمد عبد الهادى أبو ريدة • ط/ لجنة التأليف سنة ١٣٧٧ هـ •

٥٥ — تدريب الراوى • الحافظ السيوطى بتحقيق الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف ط/ دار الكتب الحديثة سنة ١٣٨٥ هـ •

٥٦ — تذكرة الحفاظ • الحافظ الذهبى • نشر : دار احياء التراث العربى • بيروت •

٥٧ — الترغيب ، والترهيب • الحافظ عبد العظيم المنذرى • بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط/ التجارية سنة ١٣٧٩ هـ •

٥٨ — التفسير والمفسرون • للدكتور محمد حسين الذهبى • ط/ دار الكتب الحديثة سنة ١٣٨١ هـ •

٥٩ — التفسير ورجاله • الشيخ محمد الفاضل بن عاشور • نشر مجمع البحوث الاسلامية سنة ١٣٩٠ هـ •

٦٠ — تفسير القرآن العظيم • للحافظ ابن كثير • ط/ دار الشعب سنة ١٣٩٠ هـ •

٦١ — تفسير الجلالين • للامامين : جلال الدين محمد بن أحمد المحلى ، وجلال الدين عبد الرحمن السيوطى • ط/ دار القلم سنة ١٩٦٦ م •

٦٢ — الجامع الصحيح المسند • لأبى عبد الله ابن اسماعيل البخارى • ط/ محمد عبد اللطيف سنة ١٣٥٢ هـ ، ط/ الشعب •

٦٣ — الجامع الصحيح لأبى عيسى الترمذى بتحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقى وابراهيم عطوة • ط/ الحلبى سنة ١٣٥٦ هـ •

٦٤ — الجامع الصغير للحافظ السيوطى • ط/ مصطفى الحلبى سنة ١٣٧٣ هـ •

٦٥ — الجامع لأحكام القرآن • (تفسير القرطبى) لأبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى • ط/ دار الكتب سنة ١٣٦٥ هـ •

٦٦ — جامع البيان عن تأويل آى القرآن (تفسير الطبرى) • للامام محمد بن جرير الطبرى • ط/ مصطفى الحلبى سنة ١٣٧٣ هـ •

٦٧ — جمهرة أنساب العرب • لابن حزم بتحقيق عبد السلام هارون • ط/ دار المعارف •

٦٨ — جمهرة أشعار العرب • لأبى زيد القرشى • ط/ الخيرية سنة ١٣٣٠هـ • ط/ دار صادر • بيروت سنة ١٣٨٣ هـ •

٦٩ — الجواهر والدرر مما استفاده سيدى عبد الوهاب الشعرانى من شيخه سيدى على الخواص • ط/ الازهرية سنة ١٣٤٥ هـ •

٧٠ — الحاكم الجشمى ومنهجه فى تفسير القرآن • د• عدنان زرزور • ط/ مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٣٩٢ هـ •

٧١ — الحجة • لابى على الفارسى • بتحقيق على النجدى ناصف وآخرين • ط/ دار الكاتب العربى سنة ١٣٨٥ هـ •

٧٢ — الحديث والمحدثون • الدكتور محمد أبو زهو • ط/ الأولى سنة١٣٧٨•

٧٣ — حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة • للحافظ السيوطى • بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ط/ الحلبى سنة ١٣٨٧ هـ •

٧٤ — الحسن بن الهيثم • أحمد سعيد الدمرداش (سلسلة أعلام العرب)

٧٥ — حلية الأولياء • للحافظ أبى نعيم الاصبهانى • ط/ الثانية سنة ١٣٨٧ هـ نشر دار الكتاب العربى • لبنان •

٧٦ — خزانة الادب • لعبد القادر بن عمر البغدادى• بتحقيق محمدمحيىالدين عبد الحميد • نشر دار العصور •

٧٧ — دائرة المعارف الاسلامية• لمجموعة من المستشرقين • ط/ دار الشعب •

٧٨ — درة التنزيل وغرة التأويل • لمحمد ابن عبد الله الخطيب الاسكافى • نشر الخانجى وناجى سنة ١٣٢٧ هـ•

٧٩ — دلائل الاعجاز • للامام عبد القاهر الجرجانى • اصدار دار المنار سنة ١٣٧٢ هـ •

٨٠ — دمية القصر • للباخرزى • بتحقيق د/ سامى مكى العانى ط/ المعارف ببغداد سنة ١٣٩١ هـ •

٨١ — ديوان الاعشى • بتحقيق فوزى عطوى • ط/ الشركة اللبنانية للكتاب سنة ١٩٦٨ م •

٨٢ — ديوان بشار بنبرد • بتحقيق وشرح العلامة محمد الطاهر بنعاشور ط/ لجنة التأليف سنة ١٣٦٩ هـ •

٨٣ — ديوان جرير • بتحقيق وشرح محمد اسماعيل عبد الله الصاوى • نشر المكتبة التجارية سنة ١٣٥٣ هـ •

٨٤ — ديوان حسان بن ثابت الانصارى رضى الله عنه • بتحقيق عبد الرحمن البرقوقى ط/ دار الاندلس • بيروت سنة ١٣٨٦ هـ •

٨٥ — ديوان لبيد بن ربيعة العامرى • بشرح وتقديم ابراهيم جزينى • نشر دار القاموس الحديث • بيروت

٨٦ — ديوان المعانى• لابىهلال العسكرى نشر : مكتبة القدسى • سنة١٣٥٢هـ

٨٧ — ذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث • للشيخ عبدالغنى النابلسى نشر دار المعرفة • بيروت•

٨٨ — الرسالة • للامام الشافعى رضى الله عنه • بتحقيق أحمد محمد شاكر • ط/ مصطفىالحلبى سنة ١٣٥٨ هـ

٨٩ — الرسالة القشيرية • للامام أبى القاسم القشيرى • بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ، ود/ محمود بن الشريف ط/ دار الكتب الحديثة •

٩٠— روح المعانى (تفسير الالوسى) للامام شهاب الدين الالوسى • نشر : ادارة الطباعة المنيرية •

٩١ — الزمخشرى • د• أحمد الحوفى • ط/ دار الفكر العربى سنة ١٩٦٦م

٩٢ — السراج المنير فى الاعانة على معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبير للامام الخطيب الشربينى • دار المعرفة ببيروت •

٩٣ — سلاجقة ايران والعراق • د• عبد النعيم حسنين • نشر : مكتبة النهضة المصرية ط/ سنة ١٣٨٠ هـ •

٩٤ — السنة قبل التدوين • د/ محمد عجاج الخطيب • نشر : مكتبة وهبة بالقاهرة • ط/ سنة ١٣٨٣ هـ •

٩٥ — سنن أبى داود • بتحقيق محمد محيىالدينعبدالحميد • نشر:المكتبة

التجارية بالقاهرة • ط/ سنة ١٣٦٩ هـ •

٩٦ — سنن ابن ماجة • بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى • ط/ عيسى الحلبى سنة ١٣٧٣ هـ •

٩٧ — شذرات الذهب فى أخبار من ذهب • لابن العماد الحنبلى • نشر : المكتب التجارى للطباعة والنشر ببيروت •

٩٨ — شرح ديوان المتنبى للواحدى • ط/ برلين سنة ١٨٦١ م ونشر مكتبة المثنى ببغداد •

٩٩ — شرح بردة المديح (للامام البوصيرى) وحاشيتها • للشيخ خالد الازهرى وشيخ الاسلام الباجورى • ط/ الحلبى سنة ١٣٧٠ هـ •

١٠٠ — شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف لأبى أحمد العسكرى • بتحقيق عبد العزيز أحمد • ط/ مصطفى الحلبى سنة ١٣٨٣ هـ •

١٠١ — شروح التلخيص للخطيب القزوينى والتفتازانى والسبكى والمغربى والدسوقى • ط/ عيسى الحلبى •

١٠٢ — الصاحب بن عباد • د• بدوى طبانة (سلسلة أعلام العرب) سنة ١٩٦٣ م •

١٠٣ — صحيح مسلم بشرح النووى • ط/ المطبعة المصرية سنة ١٣٤٩ هـ •

١٠٤ — الصناعتين • لابى هلال العسكرى ط/ صبيح (الثانية) •

١٠٥ — طبقات الشافعية الكبرى • للتاج السبكى • بتحقيق محمود الطناحى وعبد الفتاح الحلو • ط/ عيسى الحلبى سنة ١٣٨٣ هـ •

١٠٦ — طبقات الشافعية • لابن هداية الله الحسينى • بتحقيق عادل نويهض• نشر دار الآفاق الجديدة ببيروت سنة ١٩٧١ م •

١٠٧ — طبقات الصوفية • لابى عبد الرحمن السلمى • بتحقيق نور الدين شريبة• نشر الخانجى سنة ١٣٨٩ هـ •

١٠٨ — طبقات المفسرين • للحافظ السيوطى ط/ ليدن سنة ١٨٣٩ م • ونشر طهران سنة ١٩٦٠ م •

١٠٩ — طبقات المفسرين • للحافظ الداودى• بتحقيق على محمد عمر • نشر مكتبة وهبة بالقاهرة سنة ١٣٩٢ هـ •

١١٠ — طبقات النحويين واللغويين لأبى بكر الزبيدى • بتحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم ط/دار المعارف سنة١٣٩٢هـ•

١١١ — ظهر الاسلام • أحمد أمين (الطبعة الرابعة) نشر : النهضة المصرية سنة ١٩٦٦ •

١١٢ — العالم الاسلامى فى العصر العباسى د/ حسن أحمد محمود ، د/ أحمد ابراهيم الشريف • ط/ دار الفكر العربى سنة ١٩٦٦ م •

١١٣ — عبد القاهر الجرجانى • د/ أحمد بدوى (سلسلة أعلام العرب) • نشر مكتبة مصر سنة ١٩٦٢ م •

١١٤ — العبر فى خبر من غبر • للحافظ الذهبى بتحقيق فؤاد سيد ط/ الكويت سنة ١٩٦١ •

١١٥ — علوم الحديث • لابن الصلاح • بتحقيق د/ نور الدين عتر • نشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة سنة ١٩٧٢ م •

١١٦ ـ العمدة فى صناعة الشعر ونقده • لابن رشيق القيروانى • ط/ هندية (الاولى) سنة ١٣٤٤ هـ •

١١٧ ـ عيون الاخبار • لابن قتيبة نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر سنة ١٣٨٣ هـ •

١١٨ ـ غاية النهاية فى طبقات القراء • لابن الجزرى • نشر : ج • برجستراسر ط/ الخانجى سنة ١٣٥١ هـ •

١١٩ ـ فتح البارى شرح صيح البخارى• لشيخ الاسلام ابن حجر العسقلانى ط/ مصطفى الحلبى •

١٢٠ ـ الفتوحات الآلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية • للشيخ سليمان الجمل ط/ التجارية •

١٢١ ـ فجر الاسلام • أحمد أمين • نشر مكتبة النهضة المصرية •

١٢٢ ـ فحولة الشعراء • للاصمعى بتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي وطه محمد الزينى ط/ المنيرية سنة ١٩٥٣ م •

١٢٣ ـ فخر الدين الرازى • د/ على العمارى • نشر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية سنة ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٩ م •

١٢٤ ـ الفهرست • لابن النديم • نشر المكتبة التجارية سنة ١٣٤٨ هـ •

١٢٥ ـ فهرست المخطوطات بدار الكتب المصرية المقتناه من سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٥٥ م تصنيف فؤاد سيد ط/ سنة ١٣٨٠ هـ •

١٢٦ ـ فهرست الخزانة التيمورية ط/ دار الكتب سنة ١٣٦٧ هـ •

١٢٧ ـ فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية• (علوم القرآن) رقم ٧٨١٨ •

١٢٨ ـ القاموس المحيط • لمجد الدين الفيروز آبادى • ط/ مصطفى الحلبى سنة ١٣٧١ هـ •

١٢٩ ـ الكامل فى التاريخ • لابن الاثير ط/ المنيرية بالقاهرة سنة ١٣٤٨ هـ •

١٣٠ ـ الكامل فى اللغة والادب والنحو والتصريف • للمبرد • بتحقيق د/ زكى مباركط/ مصطفىالحلبى سنة ١٣٥٥ هـ •

١٣١ ـ كشف الظنون • حاجى خليفة (مصطفى بن عبد الله) نشر مكتبة المثنى ببغداد •

١٣٢ ـ كشف المحجوب • لابى الحسن على ابن عثمان الهجويرى • بتحقيق د/ اسعاد قنديل • نشر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية سنة ١٣٩٤ هـ •

١٣٣ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل للزمخشرى • ط/ مصطفى الحلبى سنة ١٣٨٥ هـ •

١٣٤ ـ لسان العرب • لابن منظور • نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة •

١٣٥ ـ لطائف الاشارات لفنون القراءات • للامام شهاب الدين القسطلانى • بتحقيق الشيخ عامر عثمان ود/ عبد الصبور شاهين • نشر المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة سنة ١٣٩٢ هـ •

١٣٦ ـ لطائف الاشارات (فى التفسير) للامام القشيرى • بتحقيق د/ ابراهيم بسيونى نشر دار الكاتب العربى •

١٣٧ ــ لطائف المنن • فى مناقب الامام أبى العباس المرسى وشيخه ابى الحسن للامام ابن عطاء الله السكندرى • على هامش لطائف المنن والاخلاق للامام الشعرانى • ط/ الميمنية ونشر مصطفى الحلبى سنة ١٣٢١هـ•

١٣٨ ــ اللباب فى تهذيب الانساب • لعز الدين بن الاثير • نشر القدسى بالقاهرة سنة ١٣٥٧ هـ •

١٣٩ ــ اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع للامام أبى الحسن الاشعرى • نشر الخانجى سنة ١٩٥٥ م •

١٤٠ ــ المجددون فى الاسلام • عبد المتعال الصعيدى • نشر دار الفكر العربى•

١٤١ ــ المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها • لابى الفتح عثمان بن جنى • بتحقيق : على النجدى ناصف ، د/ عبد الحليم النجار ، د/ عبد الفتاح شلبى • نشر المجلس الاعلى للشئون الاسلامية سنة ١٣٨٦ هـ •

١٤٢ ــ المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطيه • بتحقيق احمد صادق الملاح • نشر المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة سنة ١٣٩٤ هـ •

١٤٣ ــ المختصر فى أخبار البشر • لابى الفدا ط الحسينية (الاولى) •

١٤٤ ــ مذاهب التفسير الاسلامى • اجنتس جولد تسيهر • ترجمة د• عبدالحليم النجار • نشر دار الكتب الحديثة سنة ١٣٧٤ هـ •

١٤٥ ــ مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع • لصفى الدين البغدادى • بتحقيق على البجاوى ط عيسى الحلبى سنة ١٩٥٤ م •

١٤٦ ــ مرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعى• ط دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد الدكن سنة ١٣٣٨ هـ •

١٤٧ ــ المزهر فى علوم اللغة وأنواعها • للامام السيوطى • بتحقيق محمد جاد المولى ، على البجاوى ، محمد أبو الفضل ابراهيم • ط عيسى الحلبى •

١٤٨ ــ مسند الامام أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ط دار المعارف بالقاهرة

١٤٩ ــ المشتبه • فى الرجال أسمائهم وأنسابهم للحافظ الذهبى • بتحقيق على محمد البجاوى • نشر عيسى الحلبى سنة ١٩٦٥ هـ •

١٥٠ ــ معانى القرآن • للفراء • بتحقيق د• عبدالفتاح شلبى • نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٣م•

١٥١ ــ المعجزة الكبرى (القرآن) للشيخ محمد أبو زهرة • نشر دار الفكر العربى سنة ١٣٩٠ هـ •

١٥٢ ــ معجم البلدان • لياقوت الحموى ط : السعادة (الاولى) سنة ١٣٢٣ هـ •

١٥٣ ــ معجم المؤلفين • لعمر رضا كحالة ط : الترقى بدمشق سنة ١٣٧٦ هـ •

١٥٤ ــ مفاتيح الغيب (تفسير الامام فخر الدين الرازى) ط/الحسينية ، ط الشرفية سنة ١٣٢٤ هـ •

١٥٥ ــ مفتاح السعادة • طاش كبرى زاده بتحقيق كامل بكرى ، عبد الوهاب أبو النور نشر : دار الكتب الحديثة•

١٥٦ ـــ المفردات فى غريب القرآن • الراغب الاصفهانى بتحقيق محمد سيد كيلانى • ط مصطفى الحلبى سنة ١٣٨١ هـ •

١٥٧ ـــ مقدمة ابن خلدون • ط : دار الشعب بالقاهرة •

١٥٨ ـــ مقدمة فى أصول التفسير • لابن تيمية ط السلفية سنة ١٣٨٥ هـ •

١٥٩ ـــ الملل والنحل • للشهرستانى • بهامش الفصل لابن حزم ط صبيح ١٣٨٤ هـ •

١٦٠ ـــ مناهج تجديد • أمين الخولى • نشر دار المعرفة بالقاهرة سنة ١٩٦١م•

١٦١ ـــ مناهج فى التفسير • د• مصطفى الصاوى الجوينى نشر : منشأة المعارف بالاسكندرية •

١٦٢ ـــ مناهل العرفان فى علوم القرآن • للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى ط عيسى الحلبى سنة ١٣٦٢ هـ •

١٦٣ ـــ منهج ابن عطية فى تفسير القرآن الكريم • د• عبد الوهاب فايد نشر مجمع البحوث الاسلامية سنة ١٣٩٣ هـ •

١٦٤ ـــ منهج الزمخشرى فى تفسير القرآن وبيان اعجازه•د• مصطفى الجوينى ط : دار المعارف سنة ١٩٥٩ م •

١٦٥ ـــ المنهج الحديث فى علوم الحديث (قسم مصطلح الحديث) للدكتور محمد السماحى • ط دار الانوار سنة ١٣٨٢ هـ •

١٦٦ ـــ النجوم الزاهرة • لابن تغرى بردى • نشر : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة •

١٦٧ ـــ **نزهة الالباء فى طبقات الادباء** • للانبارى • بتحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم • نشر : دار نهضة مصر للطباعة والنشر سنة ١٣٨٦ هـ •

١٦٨ ـــ النسخ فىالقرآن الكريم د•مصطفى زيد • نشر دار الفكر العربى سنة ١٣٨٣ هـ •

١٦٩ ـــ نشأة التفسير فى الكتب المقدسة والقرآن • د• السيد أحمد خليل : نشر الوكالة الشرقية للثقافة بالاسكندرية •

١٧٠ ـــ النشر فى القراءات العشر • لابن الجزرى ط مصطفى محمد •

١٧١ ـــ نهج البلاغة للامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه (اختيار الشريف الرضى وشرح الامام محمد عبده) بتحقيق محمد أحمد عاشور ، محمد ابراهيم البنا ط الشعب بالقاهرة •

١٧٢ ـــ هدية العارفين • لاسماعيلالبغدادى ط استامبول سنة ١٩٥١ م ونشر المثنى ببغداد •

١٧٣ ـــ الوجيز فى تفسير القرآن العزيز • للواحدى • بهامش تفسير مراح لبيد للجاوى ط عيسى الحلبى •

١٧٤ ـــ وفيات الاعيان • لشمس الدينأحمد ابن خلكان • بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد • نشر مكتبة النهضة (الطبعة الاولى) سنة ١٣٦٧ ، ط الاميرية •

١٧٥ ـــ يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر• للثعالبى • بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد نشر المكتبة التجارية بالقاهرة ١٩٥٦ م •

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم •

فهرس الكتاب

الاهــداء . . . . (جـ)
مقـدمة . . . . (د)

البــاب الأول

عصر الواحدى وحيــاته ١
الفصل الأول : عصر الواحــدى . . . ٢
الفصل الثانى : حياة الواحــدى . . . ٤٨
الفصل الثالث : مصنفات الواحــدى . ٨٥

الباب الثــانى

مدخل الى دراسة المنهج ومصادر تفسير الواحــدى ٩٨
الفصل الأول : مصادره فى التفسير بالمأثور ٩٩
الفصل الثانى : مصادره فى التفسير بالرأى ١٢٦

الباب الثــالث

منهج الواحدى فى تفسير القرآن الكريم ١٤٨
الفصل الأول : موقف الواحـــدى من التفسير بالمـأثور والتفســير بالرأى فى تفســيره ١٥١
الفصل الثانى : الاتجاه اللغوى فى تفسير الواحــدى ٢٠٩
الفصل الثالث : الجانب النحوى فى تفسيره ٢٣٥
الفصل الرابع : النزعة الأدبية فى تفسير الواحــدى واستشهاده بالشــعر . ٢٥٢
الفصل الخامس : الصــور البلاغيــة فى تفسير الواحدى ٢٨٠
الفصل السادس : منهجـــه فى عرض القراءات والاحتجاج لهــا فى تفسيره ٢٩٦
الفصل السابع : منهجه فى رواية الأحاديث الشريفة واتجاهاته فى الاستشهاد بها فى تفســيره ٣٢١
الفصل الثامن : موقفــه من الاسرائيليات فى تفسيره ٣٤٠
الفصل التاسع : منهجه فى عرض الأحكام الفقهيــة ٣٥٦
الفصل العاشر : المواقف الكلاميـــة فى تفسيره ٣٦٧
الفصل الحادى عشر : آراء للواحــدى فى علوم القرآن ٣٨٣

الباب الرابع

منزلة الواحــدى فى التفسير وأثره فى المفســرين ٤٠١
الفصل الأول : منزلة الواحدى فى التفسير ٤٠٢
الفصل الثانى : أثر الواحدى فى المفسرين ٤١١
الخاتمــة ٤٤٢
مصادر الكتاب ومراجعه ٤٤٧

رقم الايداع ١٩٧٨/٣٦٧٩
الترقيم الدولى ٦ــ٤٨ــ٢٤١ ISBN

